كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
COLLEGE OF arts & social sciences
إبداع المعرفة الإنسانية
Human Knowledge Creativity
جامعة السلطان قابوس
Sultan Qaboos University

المؤتمر الدولي الرابع لكلية الآداب والعلوم الاجتماعية

"العلوم الاجتماعية والتنمية المستدامة: التحدّيات والتجارب والبدائل"

٢١ - ٢٢ فبراير ٢٠٢٢

جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان

كتاب أبحاث المؤتمر

الجزء الأول

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
COLLEGE OF
arts
& social sciences
إبداع المعرفة الإنسانية
Human Knowledge Creativity

جامعة السلطان قابوس
Sultan Qaboos University

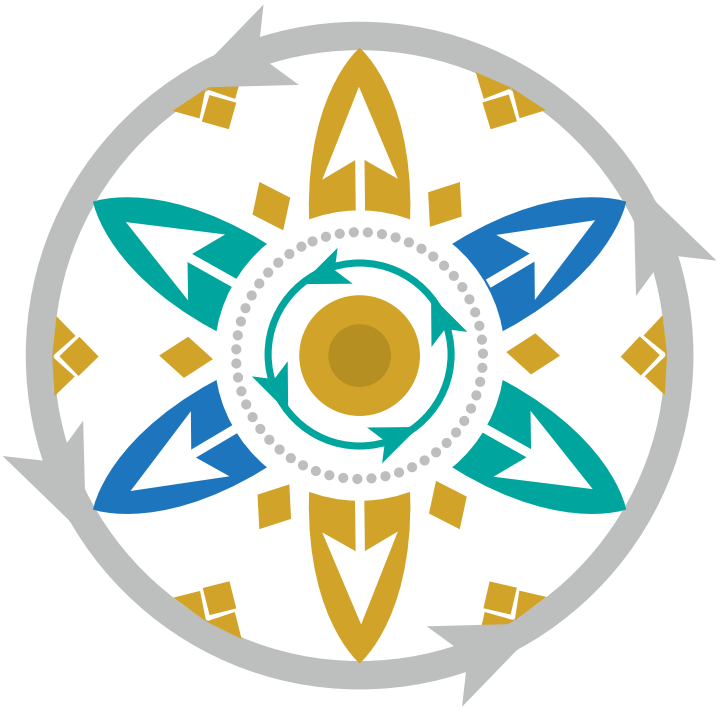

المؤتمر الدوليّ الرابع لكليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة

العلوم الاجتماعيّة والتّنمية المستدامة: التحدّيات والتجارب والبدائل

كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة
جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان

٢١ - ٢٢ فبراير ٢٠٢٢

كتاب المؤتمر
الجزء الأول

حضرة صاحب الجلالة

السلطان هيثم بن طارق

حفظه الله ورعاه

المحتويات

كلمة عميد الكلية	٧
وثيقة المؤتمر	٩
دور العلوم الاجتماعيّة في تحقيق الرؤية الاستراتيجيّة: رؤية المملكة العربيّة السعوديّة أنموذجًا. د زهير بن عبدالله الشهري	
المحور الأول: فلسفة العلوم الاجتماعية والتنمية المستدامة	١٧
أبعاد ومعيقات تحقيق التنمية المستدامة بالاستثمار في الرأسمال الاجتماعي من وجهة نظر مالك بن نبي. حنان بوطورة، د. سميرة منصوري	١٩
الاتصال والتنمية المستدامة للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية. خديجة بوشربط، الواهم مصابح مريم	٤١
وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة. سلمى العلوي، هاجر البادي، د.سيف المعمري، فهيمة السعيدي	٦٣
إسهامات مجامع اللُغة العربيّة في التّعليم العالي - الرؤى والتَّحدِّيات د. عدنان علي محمد الشريم	٨٥
التراث النظري للعلوم الاجتماعية وإشكاليات الإسقاط الميداني المستدام - التنمية ومؤشرات التقاطع الإبستيمي. عيساوي الطيب، د. نور الدين مبني	١٠٧
دور الثقافة في إصلاح التحديات الاجتماعية (أدب عبدالوهاب البياتي أنموذجا) صادق هاشمي أمجد، مريم ملك شاهي نجاد	١٢١
فضائل العقل إبستمولوجيا الفضيلة في سياق التَّنمية الثقافية صلاح إسماعيل	١٤٣
دور التعليم في سبيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة أنموذجًا: مواد الاجتماعيات (الجغرافيا والتاريخ). د. منى يونس، د. آسيا المهتار	١٧٥
المحور الثاني: العلوم الاجتماعية وتحديات التنمية المستدامة	١٩٣
التحديات التي تواجه قطاع السياحة ودوره في التنمية المستدامة الأردن - حالة دراسية د. صفاء صبح صبابحة	١٩٥
الاستدامة البيئية للأراضي المهجورة زراعيا د. علي بن سعيد بن سالم البلوشي	٢١١

الصعوبات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠ مروة بنت سليمان النبهانية، د. محمد بن ناصر الصقري، د. سالم بن سعيد الكندي	٢٣٥
مساهمة الإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية المستدامة. د. مريم الواهم مصابح، د. خديجة بو شربط	٢٦١
العلوم الاجتماعية في الخطط التنموية الإماراتية: علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أنموذجا (قراءة تحليلية وتقييمية للتجربة). د. آمال بايشي	٢٨٥
استراتيجيات إدارة المعرفة ودورها في نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي في عصر العولمة الإعلامية - تصور مستحدث في مفاهيم الشراكة المنتجة وتكامل الأدوار. رياض بن ناصر بن محمد الفريجي	٣٠٥
اللغة العربية والتنمية: التحديات وآفاق التعزيز دراسة مقارنة بين النص والممارسات العملية في سلطنة عمان. د. فوزية بنت سيف الفهدية	٣٢٧
المحور الثالث: المسألة الثقافية والتنمية المستدامة	٣٥١
التَّنمية المُسْتَدَامة في عُمان وواقع الهوية الوطنية. أ.د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي	٣٥٣
الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة. أ. عائشة محمد التاورغي	٣٧٧
الخطاب التاريخي وصناعة الوعي المجتمعي. د. نجيب بن خيرة	٤٠١
تحقيق مفهوم الاستدامة في العمارة الإسلامية (تطبيقًا على منشآت السلاجقة بالأناضول والمماليك بالقاهرة). د. الزهراء بهزاد موسى	٤٢٣
دراسة مسحية لرؤى الخبراء الأكاديميين عن برامج القنوات التلفزيونية العربية (قناة العربية) نموذجا. أ.د. هنيدة قنديل أبو بكر	٤٥٩

المؤتمر الدوليّ الرابع لكليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة
العلوم الاجتماعيّة والتنميّة المستدامة:
التحديّات والتجارب والبدائل

تمهيد

تسعى الأمم والمجتمعات في العالم قاطبة إلى تحقيق التنمية التي شغلت عقول المخطّطين من سياسيّين واقتصاديّين ومفكرين؛ إذ تواجه اليوم العلوم الاجتماعيّة تحديّات كبرى ورهانات صعبة في طرح بدائل علميّة وعمليّة من أجل تحقيق التنميّة المستدامة التي يتطلع إليها الأفراد والشعوب والدول على السواء. إنّ التحولات الاجتماعيّة والتغيرات في القيم تؤثر تأثيرًا مباشرًا في إنجاز مشروع التنمية المستدامة؛ ولهذا أصبح دمج القيم الثقافيّة والأخلاقيّة والقانونيّة واللغويّة ضرورة ملحة في إنجاح هذا المشروع. وقد عانت العلوم الاجتماعيّة والآداب والثقافة بشكل عام –ولا تزال– من نظرة قاصرة لدى بعض القائمين على التخطيط ورسم السياسات الإنمائيّة ووضع البرامج؛ وذلك لأنّهم يعتقدون أنّ التنمية المستدامة مرتبطة بالأرقام والآلات والمؤشرات الكميّة فقط؛ وكأنها معزولة تماما عن أي فكر فلسفيّ أو فعل إنسانيّ خالص. وفي الوقت ذاته لا يمكن تجاهل ما يتحمله الفلاسفة والمنظرون للعلوم الاجتماعيّة والانسانيّة والمهتمون بالآداب واللغات والدراسات الثقافيّة من مسؤوليات عندما قصّروا في مواكبة التطورات المجتمعيّة المتتابعة، وتخلفوا عن إنتاج نظريّات وأفكار تفسر تلك التغيرات، وركن بعضهم إلى الاستمرار في تدريس العلوم الاجتماعيّة بالطرائق والأساليب التقليديّة دون اعتبار أو أخذ التطورات المجتمعيّة المتلاحقة في الحسبان.

يشهد العالم في السنوات الأخيرة عمليّة تآكل متواصلة لمكانة العلوم الاجتماعيّة ودورها في تحقيق التنمية المستدامة؛ على الرغم من دور هذه العلوم ومنزلتها في فهم المجتمعات المعاصرة ودراسة مشكلاتها ومواجهة التحديّات على الأصعدة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والبيئيّة كافة؛ وذلك لأهمية تلك العلوم في تعميق الوعي النقديّ لفهم أبعاد التنمية وكيفية استدامتها.

ما زال مفهوم التنميّة المستدامة متداولًا في خطاب صنّاع السياسات وواضعي الخطط وفي أدبيّات تقارير المنظمّات الدوليّة المعنيّة بهذا الموضوع؛ ولكن شهد مصطلح «الاستدامة» توسّعًا في المفهوم، فامتدّ إلى قطاعات معرفيّة واسعة. لقد أدركت الليبراليّة الجديدة أهميّة الرأسمال الاجتماعيّ ودوره في خلق الثروة، وكذلك دافعت المنظمات الإنسانيّة عن حق الإنسان في الحياة الكريمة، فأنشأت الأمم المتحدة البرنامج الإنمائيّ (UNDP)، والمجلسيّن الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وكُتبت التقارير، ونظمت الندوات والمؤتمرات في هذا الشأن؛ ولهذا لم تعد مسألة «التنميّة المستدامة» من الموضوعات المستهلكة، ولم تعد شأنًا محليًّا، بل صارت مقاربة عالميّة تشمل مناحي الحياة جميعها.

وعلى الرغم من كل تلك الجهود على المستويات الوطنية والدولية، لا تزال البشرية تواجه في مناطق مختلفة من المعمورة تحديات كبيرة لعل في مقدمتها النمو الديمغرافيّ المتزايد وشح الموارد الطبيعيّة، والتقسيم غير العادل للثروات، والتنافس غير المتكافئ بين الدول المتقدمة والدول التي هي دون ذلك، مما أدى إلى زيادة الفقر، وتفشى الجهل والأميّة، وكثرة الحروب والمجاعات، وانتشار التطرّف والعنف؛ التي تمثل بحد ذاتها مخاطر تهدّد العمران البشريّ. وتحتم هذه التحديات الكبرى على البحوث الاجتماعيّة والإنسانيّة تحديث موضوعاتها وتطوير مناهجها؛ لكي تتمكن من مواجهتها، وتقديم الإجابات للأسئلة المطروحة، والمشكلات التي تواجه مستقبل البشرية، وإنجاز الشروط الموضوعيّة للإقلاع الحضاريّ والانتقال من التكديس إلى البناء.

ومن أجل ذلك كلّه انتظم المؤتمر الرابع لكليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة بجامعة السلطان قابوس، لبحث التحديّات التي تواجه العلوم الاجتماعيّة ولتقديم تقييم نقديّ للتجارب التي تحققت في مجال «التنمية المستدامة» وطنيًا وإقليميًا ودوليًا، كما استخلص مجموعة من النتائج والدروس المستفادة من تلك التجارب لطرحها كبدائل ممكنة للأبعاد الاجتماعيّة للتنميّة المستدامة.

دكتور/ نبهان الحراصي
عميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس

المؤتمر الدوليّ الرابع لكليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة

العلوم الاجتماعيّة والتّنمية المستدامة: التحدّيات والتجارب والبدائل

كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان

٢١ – ٢٢ فبراير ٢٠٢٢

وثيقة المؤتمر

تمهيد

شغلت قضية التّنمية عقول المخططين من سياسيّين واقتصاديّين ومفكرين قرونا ممتدة. وقد طرح ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر فكرة «العمران البشريّ» التي تطورت في منتصف القرن العشرين إلى مفهوم التنمية المستدامة، وبدأ يترسخ تدريجيّا حتى أضحى سياسة في القرن الواحد والعشرين تتطلع إلى بناء أنموذج جديد للمجتمع والاقتصاد والبيئة تنشده البشريّة جمعاء.

كانت التّنمية المستدامة في الأصل مفهومًا عامًا لمجموعة متناسقة من السياسات صِيغت لتأكيد أهمّية الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعيّة في تلبية الاحتياجات البشريّة الأساسيّة وتعزيز التّنمية الاقتصاديّة التي تراعي سلامة البيئة. واليوم، لا يزال المفهوم يستخدم على نطاق واسع في كل من دوائر وضع السياسات والتعاون الدوليّ؛ حيث يمتد نطاقه الآن إلى ما وراء القضايا البيئيّة.

وفي الوقت الذي أدركت فيه الليبراليّة الجديدة أهمّية الرأسمال الاجتماعيّ ودوره في خلق الثروة، دافعت منظمات دوليّة كثيرة وفي مقدمتها الأمم المتحدة عن مشروع التّنمية المستدامة وحق الإنسان في الحياة الكريمة، فأنشأت برامج إنمائيّة ومجالس متخصصة، و كتبت التقارير، ونظمت الندوات والمؤتمرات على المستويات المحلية والإقليميّة والدوليّة؛ الأمر الذي أدى إلى إضفاء ديناميكيّة على مشروع التّنمية المستدامة، وتجدده المستمر وتحوله إلى مقاربة عالميّة تشمل مناحي الحياة جميعها. وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة في سبيل تحقيق التّنمية المستدامة على المستويات الوطنيّة والدوليّة، فلا تزال البشريّة تواجه في مناطق مختلفة من المعمورة تحدّيات كبيرة؛ لعل في مقدمتها النمو الديمغرافيّ المتزايد، وشح الموارد الطبيعيّة، والتوزيع غير العادل للثروات، والتنافس غير المتكافئ بين الدول، مما أدى إلى زيادة الفقر وتفشي الجهل والأميّة، وكثرة الحروب والمجاعات، وانتشار التطرف والعنف؛ وهي مخاطر تهدّد بحد ذاتها العمران البشريّ.

ومن أجل مواجهة هذه التحديات الكبيرة وتحقيق التّنمية المستدامة، تحتاج البشريّة إلى نهضة علميّة وفكريّة تشمل من دون استثناء مجالات المعرفة الإنسانيّة ومحاورها جميعًا؛ إذ تؤدي هذه النهضة إلى إنتاج المعرفة وصناعتها، ثم نقلها وتداولها، مع ضرورة تحولها إلى فعل إنسانيّ شامل. وينبغي عند التفكير في هذه النهضة العلميّة والفكريّة إعادة النظر في مكانة العلوم والمعارف الانسانيّة المختلفة؛ بحيث لا يصبح بعضها «نخبويّا» فقط، وبعضها الآخر غارقا في التجربة والتطبيق، وألّا يتعامل معها على أنّها مطارحة «فلسفيّة» فقط، والأخرى ميكانيكيّة وآليّة مجردة. وتحتم مثل هذه التحدّيات على البحوث الاجتماعيّة تحديث موضوعاتها وتطوير مناهجها وتنويع أدواتها؛ لكي تتمكن من مواجهة تلك التحدّيات، وتقديم الإجابات عن الأسئلة المطروحة، والمشكلات التي تعترض مستقبل البشريّة، وتوفير الشروط الموضوعيّة للإقلاع الحضاريّ، والانتقال من طور التكديس إلى طور البناء.

واجهت العلوم الاجتماعيّة ولا تزال تحديّات ورهانات صعبة في طرح بدائل علميّة وعمليّة من أجل تحقيق التَّنمية المستدامة التي يتطلع إليها الأفراد والشعوب والدول على السواء، ولا سيّما أنّ التحولات الاجتماعيّة والتغيرات في القيم تؤثر تأثيرًا مباشرًا في إنجاز مشروع التَّنمية المستدامة؛ مما يستدعي تشخصيها ودراستها وتقويمها باستمرار.

لقد عانت العلوم الاجتماعيّة والآداب والثقافة بشكل عام ولا تزال من نظرة قاصرة لدى بعض القائمين على التخطيط ورسم السياسات الإنمائيّة ووضع البرامج؛ لاعتقادهم بأنّ التَّنمية المستدامة مرتبطة فقط بمؤشرات النمو الكميّة، وكأنها معزولة تماما عن أيّ فكر فلسفيّ، أو مقاربة منهجيّة، أو فعل إنسانيّ خالص. وفي الوقت ذاته لا يمكن تجاهل ما يتحمله الفلاسفة والمنظرون للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة والمهتمون بالآداب واللغات والدراسات الثقافيّة من مسؤوليّات عندما قصّروا في مواكبة التطورات المجتمعيّة المتتابعة، ولم يطوّروا نظريّات وأفكار تفسر تلك التغيرات، وركن بعضهم إلى الاستمرار في تدريس العلوم الاجتماعيّة والبحث فيها بالطرائق والأساليب التقليديّة دون أخذ التطورات المجتمعيّة المتلاحقة في الاعتبار والحسبان.

يشهد العالم في السنوات الأخيرة عمليّة تآكل متواصلة لمكانة العلوم الاجتماعيّة ودورها في تحقيق التَّنمية المستدامة؛ على الرغم من دور هذه العلوم ومنزلتها في فهم المجتمعات المعاصرة ودراسة مشكلاتها ومواجهة تحدياتها على الأصعدة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة والبيئيّة كافة؛ وذلك لأهمية تلك العلوم في تعميق الوعي النقديّ لفهم أبعاد التَّنمية الاجتماعيّة الثقافيّة وكيفية استدامتها.

ومن أجل ذلك كلّه يتطلّع المؤتمر الرابع لكليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة بجامعة السلطان قابوس إلى بحث مكانة العلوم الاجتماعيّة وأدوارها في تحقيق التَّنمية المستدامة، والتحدّيات التي تواجه تلك العلوم في سبيل دعم التَّنمية المستدامة وتعزيزها، وتقديم تقييم نقديّ للتجارب التي تحققت في هذا المجال وطنيّا (التجربة العمانيّة) وإقليميّا ودوليّا، واستخلاص النتائج والدروس المستفادة من تلك التجارب لطرح البدائل الممكنة.

الرؤيّة:

إبراز دور العلوم الاجتماعيّة وأهميّتها في إنجاز التَّنمية المستدامة.

الرسالة:

الوقوف على التحدّيات التي تواجهها العلوم الاجتماعيّة والبدائل التي يمكن أن تقدمها من أجل تحقيق التَّنمية المستدامة.

أهداف المؤتمر:

١. فتح نقاش علميّ حول دور العلوم الاجتماعيّة في تحقيق التَّنمية المستدامة.

٢. دراسة التحدّيات التي تواجهها العلوم الاجتماعيّة فلسفيّا ومنهجيّا في التهيئة الاجتماعيّة لتحقيق أهداف التَّنمية المستدامة.

٣. عرض التجارب الوطنيّة والإقليميّة والدوليّة وإبراز مدى إسهام العلوم الاجتماعيّة في إنجاح

التَّنمية المستدامة.

٤. تسليط الضوء على التجربة العمانيّة في التَّنمية المستدامة وتقييمها انطلاقا من قراءة علميّة ونقديّة لها.

٥. طرح البدائل لتفعيل دور العلوم الاجتماعيّة وإسهامها في التَّنمية المستدامة.

محاور المؤتمر:

المحور الأوّل: فلسفة العلوم الاجتماعيّة والتَّنمية المستدامة

١. فلسفة العلوم الاجتماعيّة وقضايا التَّنمية المستدامة.

٢. أزمة العلوم الاجتماعيّة ومتطلّبات التَّنمية المستدامة.

٣. تجديد مناهج العلوم الاجتماعيّة لتحقيق التَّنمية المستدامة.

٤. تعزيز العلاقة البينيّة بين العلوم لإنجاز التَّنمية المستدامة.

المحور الثاني: العلوم الاجتماعيّة وتحديّات التَّنمية المستدامة

١. تحديّات التَّنمية الاجتماعيّة.

٢. تحديّات التَّنمية الاقتصاديّة.

٣. تحديّات التَّنمية السياسيّة.

٤. تحديّات التَّنمية اللغويّة.

٥. التحديات البيئيّة.

المحور الثالث: المسألة الثقافيّة والتَّنمية المستدامة

١. الثقافة والهويّة.

٢. التربيّة والتعليم.

٣. الأخلاق والتَّنمية.

٤. التَّنمية ومقتضيات العدالة الاجتماعيّة.

المحور الرابع: العلوم الاجتماعيّة والتَّنمية المستدامة: تجارب إقليمية ودولية

١. تجارب الدول المتقدمة.

٢. تجارب الدول الناميّة.

٣. تجارب الدول الإسلاميّة.

٤. تجارب الدول العربيّة.

المحور الخامس: العلوم الاجتماعيّة والبدائل المطروحة

١. الإبداع والابتكار واقتصادات المعرفة من منظور اجتماعيّ ثقافيّ.

٢. البنى الاجتماعيّة والثقافيّة اللازمة لنقل التكنولوجيا وتطوير أساليب الإنتاج.

٣. التوعيّة الاجتماعيّة والاستثمار العقلانيّ للموارد الطبيعيّة والبشريّة.

٤. التشريعات القانونيّة وحماية البيئة لتعزيز التَّنمية المستدامة.

٥. الثورة الصناعيّة الرابعة وخلق مؤسسات رقميّة من منظور اجتماعيّ ثقافيّ.

شروط المشاركة في المؤتمر

- تقبل البحوث المرشحة للمؤتمر باللغتين العربيّة أو الإنجليزيّة.
- يرسل ملخص البحث باللغتين العربيّة أو الإنجليزيّة، ولا يزيد على (٣٠٠) كلمة متضمنا اسم الباحث وعنوان البحث واسم الجامعة أو المؤسسة التي يعمل بها والعنوان الإلكترونيّ، ورقم الهاتف والمحور الذي تندرج فيه مشاركته؛ وذلك في موعد أقصاه ٣١ أغسطس ٢٠٢١.
- في حالة الموافقة على قبول الملخص يرسل البحث إلى اللجنة الرئيسة للمؤتمر، شريطة أن يراعي فيه الباحث منهج التوثيق العلميّ المتبع في الدراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة؛ وذلك في موعد أقصاه ١٥ ديسمبر ٢٠٢١.
- يتم إرسال الملخصات عبر الموقع الإلكتروني للمؤتمر

https://squsys.squ.edu.om/confsys/Presenter/LoginPage.aspx?cc=37&ec=37&etc=100

أو الى رئيس اللجنة الرئيسية للمؤتمر د.نبهان بن حارث الحراصي عبر البريد الإلكتروني:
cassconference@squ.edu.om

لغة المؤتمر

- اللغتان العربيّة والإنجليزيّة.

الموقع الإلكتروني للمؤتمر

- https://conferences.squ.edu.om/sssd

رسوم المشاركة بالمؤتمر

- رسوم الاشتراك للراغبين في حضور المؤتمر ١٠٠ دولار أمريكيّ.
- يقع دفع رسوم المشاركة في حضور المؤتمر من خلال الموقع الإلكتروني

https://squsys.squ.edu.om/confsys/Conference/ConfRegistration.aspx?cc=37

النشر العلميّ

- تنشر الأوراق العلمية في كتاب المؤتمر.
- تنشر الأوراق العلميّة بعد تحكيمها في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، لكليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة السلطان قابوس، وإحدى المجلات الدوليّة لمن يرغب في ذلك.

تواريخ مهمة

- آخر موعد لاستقبال الملخصات ٣١ أغسطس ٢٠٢١.
- قبول الملخصات ١٥ سبتمبر ٢٠٢١.
- آخر موعد لاستلام الأوراق البحثيّة ١٥ ديسمبر ٢٠٢١.
- قبول الأوراق العلميّة ١٥ يناير ٢٠٢٢.
- آخر موعد للتسجيل في المؤتمر ٣١ يناير ٢٠٢٢.
- تاريخ انعقاد المؤتمر ٢١-٢٢ فبراير ٢٠٢٢.

تصميم جرافيكي

د. محمد مختار ساطور
قسم الإعلام، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،
جامعة السلطان قابوس

دور العلوم الاجتماعيّة في تحقيق الرؤية الاستراتيجيّة: رؤية المملكة العربيّة السعوديّة أنموذجاً

د زهير بن عبدالله الشهري
عميد كلية العلوم الاجتماعيّة، جامعة الإمام، الرياض

تُعد العلوم الاجتماعيّة من العلوم الأساسية والأصيلة لارتباطها العميق ببناء الفكر والمشاعر والهُويّة والسلوكيات والتفاعلات والتنمية الاجتماعيّة، وتقدم للحكومات والمؤسسات بيانات وخدمات تساعد على فهم المجتمع وتغيراته، وتدعم مشروعاته

واستراتيجيّاته التحوليّة نحو التنمية المستدامة وأهداف المستقبل. وللمملكة دور فاعل في تحقيق رؤية المملكة 2030 نحدده فيما يأتي:

- بناء المعرفة والاتجاهات لوعي الرؤية ومستهدفاتها وتأثيراتها في مستوى الفرد والمجتمع من خلال تفعيل الأدوار الأكاديميّة التعليميّة والبحثيّة ومبادرات المسؤوليّة الاجتماعيّة.
- استحداث البرامج النوعية التي تساعد على الاستثمار في البرامج والمشروعات المعتمدة على العلوم الاجتماعيّة عموماً في الموروث والأصالة في المجالات البحثية الاجتماعيّة والنفسية والسياحية والثقافية وتنفيذها. مثل: بوابة الدرعية وهيئة العلا والسودة وغيرها.
- تعزيز الانتماء والهُويّة الوطنية وتعزيز المسؤوليّة الاجتماعيّة، والمشاركة في تعزيز الشخصيّة السعوديّة الفاعلة والمعتمدة على ذاتها ومهاراتها اعتماداً على البرامج والمبادرات النوعيّة التي تركز على المعرفة النوعية والتمهير المستمر.
- تنفيذ البرامج والدراسات المشتركة مع الجهات الاجتماعيّة مثل: وزارة الموارد البشريّة والتنمية الاجتماعيّة والتعليم والصحة والعدل وغيرها، ومع الجامعات والمراكز العالميّة في مجالات العلوم الاجتماعيّة المرتبطة بالرؤية.

- تفعيل الجغرافيا ونظمها المعلوماتيّة والجيومكانيّة في خدمة برامج رؤية 2030 ومستهدفاتها مثل: خدمات الحجاج والمعتمرين، والمحافظة على التراث وخدمات السياحة والترفيه، وفي خدمات الصحة وتحسين المشهد الحضري والمدن وحماية البيئة وفي الاقتصاد والتعدين والاقتصاد الرقميّ شبكات النقل، وفي تعزيز التخطيط الماليّ وكفاءة الإنفاق واستدامة الموارد المائيّة وجودة الخدمات.
- المشاركة في تنفيذ برامج جودة الحياة عبر البرامج الاجتماعيّة والنفسيّة والثقافيّة وتنفيذ البرامج التي تنشر الإيجابيّة والإبداع والوقاية من المشكلات النفسيّة وفي تحقيق الرفاه الاجتماعيّ والنفسيّ.

المحور الأول:

فلسفة العلوم الاجتماعية والتنمية المستدامة

المحور الأول: فلسفة العلوم الاجتماعية والتنمية المستدامة

عنوان المداخلة: أبعاد ومعيقات تحقيق التنمية المستدامة بالاستثمار في الرأسمال الاجتماعي من وجهة نظر مالك بن نبي

Dimensions and obstacles to sustainable development by investing in social capital from point of view Malek Bennabi.

ط.د حنان بوطورة
مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية
جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة (الجزائر)
h.boutora@univ-skikda.dz

د. سميرة منصوري
مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية
جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة (الجزائر)
s.mansouri@univ-skikda.dz

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم مقاربة تأصيلية تحليلية حول رأى وتصور المفكر الجزائري (مالك بن نبي) عن علاقة التنمية المستدامة بفعالية الأفكار وجودتها وقابليتها للإنجاز وتحقيق غايات التنمية خاصة بالعالم العربي الإسلامي، مركزا على أهمية توجيه الجهود نحو التنمية الإنسانية بالاستثمار في رأس المال الاجتماعي والمعارف كموارد استراتيجية مستديمة وقاعدة أساسية لنجاح فعاليات وبرامج التنمية المستدامة.

وتوصلنا إلى أن مالك بن نبي ينظر للتنمية المستدامة كعملية نهضوية تتأسس على معادلة مجتمعية تحول الثروات الاجتماعية إلى رأس مال متحرك يجعل المجتمع ككل ورشة عمل اجتماعية كبرى تحركها شبكة علاقات اجتماعية قوية قوامها الثقة، يحكمها ويوجهها مبادئ أساسية هي: المبدأ الأخلاقي، المبدأ الجمالي، المبدأ العملي.

كلمات مفتاحية: مالك بن نبي؛ رأس المال الاجتماعي؛ التنمية المستدامة؛ الفاعلية، التوجيه.

Abstract:

This study seeks to present an original analytical approach about the opinion and perception of the Algerian thinker (Malek Bennabi) about the relationship of sustainable development with the effectiveness, quality and feasibility of ideas and achieving development goals specific to the Arab and Islamic world, focusing on the importance of directing efforts towards human development by investing in social capital and knowledge as resources. A sustainable strategy and a basic basis for the success of sustainable development activities and programs.

We concluded that Malik Bennabi viewed sustainable development as a renaissance process based on a societal equation that transforms social wealth into a moving capital that makes society as a whole a major social workshop driven by a strong

social network based on trust, governed and guided by basic principles: the ethical principle, the aesthetic principle, and the practical principle.

Keywords: Malek Bennabi; Social capital; unstainable Development potency; Orientation.

مقدمة:

وقف مالك بن نبي كمفكر إسلامي جزائري وباعتباره واحدا من رجالات القرن العشرين الذين شغلوا أنفسهم بقضايا أمتهم في إطار مشروعه الفكري العام الذي حدده في نوعية وطبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع الإسلامي، في وقت كان هذا العالم يعجّ باتجاهات فكرية متعدّدة المشارب والمناهج والغايات. بعدما عايش هذه الحركية الفكرية بكل ما تحملُها من تناقضات وسلبيات، فكان لهذا الجوّ الفكري أكبر الأثر في تشكّل مشروعه الفكري الذي نظّر من خلاله لقضايا الحضارة تشخيصًا لمشكلاتها وتأسيسًا وتشييدًا لصرحها وذلك بتركيز مشروعه على القراءة النقدية لهذه التجارب، تأسيسًا لمسلك التواصل والاستمرارية في بناء الأفكار النهضوية من خلال الاستثمار في رأس المال الاجتماعي الذي ينطلق من الثروات الاجتماعية الحقيقية بعيدًا عن المفهوم الاقتصادي النفعي للثروة الذي يحصرها في البعد المادي التقني أو بتعبير مالك بن نبي (عالم الأشياء) ليوسع بن نبي هذه الدلالة لتشمل (عالم الأفكار، وعالم الأشخاص) وحتى الزمن الذي دعا لتحويله من خلال الاستثمار الاجتماعي إلى رأس مال يساعد بشكل جوهري في تحقيق التنمية المستدامة.

وبالتالي فقد استبعد مالك بن نبي من خلال مشروعه الفكري منحى الإلغاء والانطلاقة الصفرية الذي تبني عليه النظريات الاقتصادية الرأسمالية أو الاشتراكية بتركيزها على عالم الأشياء، وهو ما جعل الدول الإسلامية التي نحت نحوها تعتقد أنها بتكديس منتجات الحضارة تدخل التاريخ وتصنع تنميتها المستدامة، لذا كان قوام عملية النقد البناء التي مارسها بن نبي تمهيدًا لتأسيس أرضية لفلسفة للتنمية المستدامة موقفًا يتوخى الأصالة في الطرح والانفتاح في المنهج والرؤية والدقة في النقد والتحليل، ورغم أنه لم يطرح مفهوم التنمية المستدامة بصورة مباشرة إلا من خلال مرادفه عنده (النهضة)، إلا أنه تمكن -من خلال نقده للركود بالعالم الإسلامي نقدًا موضوعيًا وتحليله تحليلا علميًا- من صوغ نظرية في التنمية المستدامة بكافة أركانها، كانت ذات فلسفة قوية الأبعاد ساهمت في بناء العديد من النهضات العربية والإسلامية، وغير الإسلامية والعربية.

ومن هنا تبرُزُ أهميّة دراسة رؤيته لمسالك التغيير وتحقيق التنمية المستدامة من خلال الاستثمار في رأس المال الاجتماعي للمجتمعات؛ لذا سعينا في هذه المداخلة إلى تجلية رؤية مالك بن نبي لمسالك التغيير والتنمية المستدامة من خلال تحويل الثروات الاجتماعية (إنسان، تراب، وقت) إلى مادة قابلة للتحويل والاستثمار باستخدام ثلاثة مبادئ أساسية (المبدأ الأخلاقي، المبدأ الجمالي، المبدأ العملي) في عصره من خلال منهج وصفي تحليلي، وبالتالي يمكن صياغة المشكلة البحثية في التساؤل التالي:

ما رؤية مالك بن نبي لدور الرأس مال الاجتماعي في تحقيق التنمية المستدامة؟

وللإجابة عن هذا التساؤل تم صياغة التساؤلات الفرعية التالية:

1. ما رأس المال الاجتماعي؟
2. ما التنمية المستدامة؟
3. ما مفهوم التنمية المستدامة من خلال الاستثمار برأس المال الاجتماعي وفق رؤية مالك بن نبي؟
4. ما أبعاد التنمية المستدامة من خلال الاستثمار برأس المال الاجتماعي وفق رؤية مالك بن نبي؟
5. ما معوقات التنمية المستدامة وفق رؤية مالك بن نبي؟

1. مفهوم رأس المال الاجتماعي:

ترجع بدايات استخدام المصطلح إلى عام 1916 إلا أن الاهتمام به تصاعد منذ أواخر الثمانينيات وفي التسعينيات من القرن الماضي، تزامنًا مع تصاعد الاهتمام بالاقتصاد المؤسسي الجديد.

1.1. لغةً:

رأس المال الاجتماعي مصطلح مشتق عن الأصل اللاتيني (Caput) بمعنى رأس (Head)، ولفظه (Capital) تشير إلى العلاقات التفاعلية داخل المباني الحكومية الرئيسية الكائنة في مدينة أثينا القديمة، وقد استعمل مصطلح (Capital) للدلالة على المدينة الرئيسية أثينا التي احتوت على ثلاث طبقات اجتماعية ناشطة (المالكين، صغار المنتجين، والمحرومين)، ومنهم ظهرت الملكيات الخاصة، واستخدام النقود لتملك عمل غيرهم وثماره، فانطلق مصطلح رأس المال، أي تكديس (الثروة أو الفائض، وهي إشارة إلى رأس المال التجاري) والربوي، وهو أول أشكال رأس المال في التاريخ، ولفظ اجتماعي (Social) فهو يعود إلى الأصل اللاتيني (Society) بمعنى الرفيق، وجماعة من الأفراد تجمعهم مصلحة مشتركة، وهو ذو صلة بالناس وعلاقاتهم ببعضهم البعض، وذو علاقة بالطبقات الاجتماعية العليا أو المتميزة. (سعدون حمود جثير الربيعاوي، 2015، ص112).

2.1. اصطلاحًا:

ينطوي مفهوم رأس المال الاجتماعي على شقين رئيسين: جانب رأس المال والجانب الاجتماعي، فرأس المال يشير أساسًا إلى أن رأس المال الاجتماعي يتكون من خلال التراكم عبر مدة طويلة من الزمن، ولا يتكون بصفة وقتية عارضة لخدمة موقف معين، ويشير الجانب الاجتماعي إلى حقيقة بديهية مؤداها أنه لا يتكون من خلال فرد واحد بذاته وإنما يتكون في إطار جماعة اجتماعية يرتضي الأفراد الانضمام

لها من أجل استغلال ما توفره العضوية في هذه الجماعة من مزايا ورصيد اجتماعي. (سعدون حمود جثير الربيعاوي، 2015، ص114).

ويشير مفهوم رأس المال الاجتماعي (Social Capital) الشائع إلى مجموعة المعايير والعلاقات الاجتماعية والشبكات التي تمكن الأفراد من العمل بشكل مشترك، ويمثل إيضاحًا للعديد من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية وتشير كثرة المؤلفات والمنشورات بهذا الصدد إلى ارتفاع مكانته وأهميته كظاهرة تخضع للبحث، إذ أن الكتب التي تناولت موضوع رأس المال الاجتماعي بين سنتي (1986-1996) قدرت بـ 97، بينما أصبح عددها 674 بين عامي (1997-2000). (سعدون حمود جثير الربيعاوي، 2015، ص112، 113).

كما أن لرأس المال الاجتماعي وجهان هما الزمالة (Associability) والثقة (Trust)، ويمكنه أن يعزز التعاون والالتزام وتبادل المعلومات، التي تساعد المنظمة على البقاء والنمو وتحقيق الميزة التنافسية، كما تم وصفه أنه مجموعة الموارد الكامنة والمترابطة مع بعضها والمشتقة من شبكة العلاقات بين الأشخاص.

ويعرف البنك الدولي رأس المال الاجتماعي بأنه مجموعة المؤسسات والعلاقات والقيم التي تشكل نوعية وكمية التفاعلات الاجتماعية، وهو ما يحقق ترابط المجتمع، وهو الأمر الضروري للتنمية الاقتصادية المستدامة. (سعدون حمود جثير الربيعاوي، 2015، ص113).

ويمثل هذا التعريف تطويرًا لتعريف سابق ظهر في دراسات البنك الدولي بأنه: القيم والشبكات والمنظمات التي يمكن من خلالها أن يحصل الفرد على القوة والموارد.

ويعرفه كولمان سنة 1988 بأنه مجموعة الالتزامات والتوقعات التي تنشأ في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وإمكان الحصول على المعلومات والمنافع. (مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، 2017، ص31).

وفي عام 2006 عرف أحمد زايد رأس المال الاجتماعي بأنه الموارد الكامنة في البناء الاجتماعي ويمكن الوصول إليها واستخدامها في أفعال مقصودة. (مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، 2017، ص31).

وتعرفه منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية باعتباره الشبكات الاجتماعية والقيم والمعايير المشتركة التي تسهل التعاون داخل المجموعات وبينها، لتحقيق منافعة متبادلة، وتصنف المنظمة الشبكات الاجتماعية في ثلاث مجموعات وهي:

- الأفراد الذين يشتركون في هوية مشتركة واضحة كالأسرة.

- الروابط القريبة والأصدقاء والمقربين وهم أفراد بينهم علاقات مهمة ولكنها أقل قوة من الروابط كالمعارف والجسور.

- زملاء العمل من خلال وجود علاقات رأسية بين أفراد من مستويات اجتماعية واقتصادية، وترابطات مختلفة، ووجد أن هذه الشبكات تحقق منافع متنوعة للفرد. (سعدون حمود جثير الربيعاوي، 2015، ص113).

وعرفه روبرت بونتام في كتابه (جعل الديموقراطية تنجح) سنة 1993 بأنه يجسد مقومات التنظيم الاجتماعي التي تتمثل في الثقة والتعاون والتشبيك (Networking) والتي يمكن من خلالها الإسهام في تحقيق التطور والتقدم داخل المجتمع.

ويعرفه أيضًا بأنه مجموعة الروابط بين الأفراد والشبكات الاجتماعية ومعايير المعاملة بالمثل والجدارة بالثقة التي تنجم عنه. (سعدون حمود جثير الربيعاوي، 2015، ص114).

مفهوم التنمية المستدامة:

- وهي نوع من الأشكال الحديثة نسبيًا للتنمية هدفها وغايتها ووسيلتها هو الإنسان، مع تأكيدها على التوازن بين البيئة بأبعادها المختلفة والمتنوعة، من خلال الحرص على تحقيق تنمية الموارد الطبيعية والبشرية دون أي إسراف أو تبذير ووفق استراتيجية حالية ومستقبلية محددة ومخططة بشكل جماعي وتعاوني علمي سليم، لتلبية احتياجات الحاضر والمستقبل مع مراعاة الحفاظ على الخصوصية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات. (مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، 2017، ص76).

- وتعرفها وفاء أحمد عبد الله بأنها: مجموع السياسات والإجراءات التي تتخذ للانتقال بالمجتمع إلى وضع أفضل باستخدام التكنولوجيا المناسبة للبيئة؛ لتحقيق التوازن بين بناء الموارد الطبيعية وهدم الإنسان لها، في ظل سياسة محلية وعالمية للمحافظة على هذا التوازن. (مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، 2017، ص81).

- وعرفتها لجنة برونتلاند على أنها:"التنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة بدون المساس بحقوق الأجيال القادمة في الوفاء باحتياجاتها". (أسعيد مصطفى، حرز الله محمد لخضر، جانفي 2018، ص90).

- أما سحر قدري الرفاعي تعرفها بأنها: تنمية تفاعلية حركية تأخذ على عاتقها تحقيق المواءمة بين أركانها الثلاثة؛ البشر والموارد البيئية والتنمية الاقتصادية (مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، 2017، ص81).

– ويعرفها محمد كامل الشرقاوي بأنها: العملية التي تهدف إلى تحقيق الحد الأعلى من الكفاءة الاقتصادية للنشاط الإنساني ضمن حدود ما هو متاح من الموارد المتجددة وقدرة الأنساق الحيوية الطبيعية على استيعابه والحرص على احتياجات الأجيال القادمة. (مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد، 2017، ص81).

– كما اتفقت دول العالم في مؤتمر الأرض عام 1992 على تعريف التنمية المستدامة في المبدأ الثالث الذي أقره مؤتمر البيئة والتنمية في ريو دي جانيرو البرازيلية على أنها: "ضرورة إنجاز الحق في التنمية بحيث تتحقق على نحو متساو الحاجات التنموية والبيئية لأجيال الحاضر والمستقبل". (أسعيد مصطفى، حرز الله محمد لخضر، جانفي 2018، ص90).

– وهي أيضًا الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة من طرف الإنسان المستدام – الذي يحمل فكرة الاستدامة ذهنيًا وعمليًا–، دون المساس بحق الأجيال القادمة في هذه الموارد، ولها أبعاد منها الاقتصادية والبيئية والاجتماعية. (ساعد هماش، ديسمبر2020، ص691).

– أما اللجنة العالمية للبيئة والتنمية فعرفتها بأنها:" التنمية التي تقضي بتلبية الحاجات الأساسية للجميع وتوسيع الفرصة أمام المجتمع لإرضاء طموحاتهم إلى حياة أفضل ونشر القيم التي تشجع أنماطًا استهلاكية ضمن حدود الإمكانات البيئية التي يتطلع المجتمع إلى تحقيقها بشكل معقول". (أسعيد مصطفى، حرز الله محمد لخضر، جانفي 2018، ص90–91).

التنمية المستدامة في علاقتها برأس المال الاجتماعي عند مالك بن نبي:

1.3. مفهوم التنمية المستدامة عند مالك بن نبي:

لم يتطرق مالك بن نبي لمفهوم التنمية المستدامة بمصطلحها الحالي وإنما جاء معناها لديه في مفهوم النهضة ويمكن استخلاص مفهوم التنمية المستدامة عند مالك بن نبي انطلاقًا من مشروعه الفكري النهضوي بأنها:

عملية تحويل المجتمع لثرواته الاجتماعية (الإنسان، التراب، الوقت) من حالتها الستاتيكية الراكدة إلى حالة ديناميكية تجعلها تشكل رأس مال اجتماعي ضمن شبكة قوية من العلاقات الاجتماعية تعمل وفق معادلة اجتماعية (الفكرة الدينية) تحدد درجة الفاعلية المجتمعية فيها انطلاقًا من ثلاثة مبادئ أساسية (المبدأ الأخلاقي، المبدأ الجمالي، المبدأ العملي) لصناعة عالمه الثقافي وتحقيق النهضة.

مبادئ التنمية المستدامة في علاقتها برأس المال الاجتماعي عند مالك بن نبي:

1.4.المبدأ الأخلاقي:

يقول مالك بن نبي"إذا كان العلم دون ضمير ما هو إلا خراب الروح –فإن السياسة دون أخلاق ما هي إلا خراب الأمة" (مالك بن نبي، د.ت، ص80)، ويربط مالك بن نبي بين السمو الأخلاقي وبين الإنسان ككائن تاريخي يسعى لإقامة الحضارة والتنمية، إذ يسمح السمو الروحي للإنسان بالارتقاء بطبيعته الغريزية لتكون مصدر للبناء الحضاري، وبالتالي فالمبدأ الأخلاقي هو الذي يعطي للتاريخ معناه، لأن المبدأ الأخلاقي يخرج التاريخ من كونه مجرد أحداث زمنية ليعطيها معناها الاجتماعي الخاص ودون هذا المبدأ ينحدر الفعل التنموي التاريخي إلى الارتباط بكل ما هو شخصي وظرفي ونفعي أناني وهو ما يتعارض مع مفهوم الاستدامة في التنمية، وعليه فالنهضة الحقيقية التي تحقق الاستدامة بالنسبة لمالك بن نبي تستلزم انقلابًا جذريًا يبدأ من نفسيات الأفراد وأخلاقياتهم ومعاملاتهم لينشأ عالم المؤسسات الاجتماعية، فالتغيير ينصب على النفوس وينعكس على الأشياء والعلاقات الاجتماعية، إذًا فمشكلة الفاعلية ترتبط بصورة جوهرية بالمشكلة الأخلاقية. (رباني الحاج، جوان 2013، ص550-553).

وتأسيسًا على ما سبق فقد تكلم مالك بن نبي على المبدأ الأخلاقي باعتباره أساسًا لقوة شبكة العلاقات الاجتماعية التي من دون قوتها لا يمكن تحويل الثروات المتاحة للمجتمع إلى رأس مال اجتماعي قابل للتداول وإنتاج الاستدامة بالتنمية، فبدون وجود المبدأ الأخلاقي كموجه لشبكة العلاقات الاجتماعية ليقوي التلاحم الوجداني بين أفراد المجتمع من خلال تعزيز الثقة كركيزة لشبكة العلاقات الاجتماعية لا يمكن للأفراد إلا تحقيق أمجاد فردية تقوم على مبدأ تكديس الثروات والمصلحة الشخصية وهذا ما يستحيل معه الاتجاه نحو الاستدامة بالتنمية فتلك الأمجاد مهما استمرت تكون وقتية وآنية قاصرة على تحقيق الاستدامة والنهضة المجتمعية بل قد تصبح معيقًا لها، أي أن المجتمعات التي لا تتضمن شبكة علاقاتها الاجتماعية رسوخًا للمبدأ الأخلاقي لن تقوى إلا على تكديس الثروات الشخصية في أقصى حد لها، ولن تقوى على الاستثمار المجتمعي الذي يحقق التنمية المستدامة لمجتمع بأكمله.

2.4. المبدأ الجمالي:

يرى مالك بن نبي أن التنمية المستدامة تحتاج لمبدأ من أهم مقوماتها ولا يقل أهمية عن المبدأين الآخرين ولا يمكن تحقيق تنمية مستدامة دون أن تكون قائمة عليه وهو الذوق الجمالي الذي يعتمد على الحس الفني، كون هذا الأخير هو مصدر الإبداع والتجديد والذي هو ركيزة من ركائز التنمية المستدامة فبدون إبداع وتجديد لن يتم استغلال الموارد المتاحة استغلالا رشيدًا، كون ذلك يحتاج لإنسان كريم ومحسن في عمله يدرك حقوقه في تنمية الحياة والاستمتاع بها دون إسراف يضر بحقوق غيره من البشر وإن لم يكونوا قد وجدوا بعد. (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص215).

وبالتالي فالمبدأ الجمالي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمبدأ الأخلاقي كونه يهذب النفوس ويحفز همم الأفراد في التنمية إلى ما هو أبعد من المصلحة الفردية الضيقة، وإذا كان النشوز في الجانب الجمالي لجوانب التنمية المستدامة ومظاهرها بالواقع الاجتماعي فإن ذلك يشير حتما إلى نشوز في المبدأ الأخلاقي وعندها لا يمكن لتنمية أن تحقق الاستدامة بوجود هذا النشوز الأخلاقي والجمالي؛ فالمبدأ الجمالي ليس رفاهية إضافية في تحقيق التنمية المستدامة وإنما هو قاعدة أساسية لازمة في تحقيقها، ولم يركز مالك بن نبي على تقديم مفهوم دقيق لما أسماه بالتوجه الجمالي في التنمية المستدامة التي تنشدها المجتمعات بقدر ما ركز عليه كتوجه ثقافي يدخل في تركيب البعد الفكري والعملي للحياة الاجتماعية ويخلق فيها الفعالية لتحقيق التنمية واستدامتها، ويكون ذلك بالنسبة لمالك بن نبي من خلال التربية الاجتماعية التي لا تكون من مهام مؤسسة اجتماعية دون أخرى وإنما هي ثقافة اجتماعية تنبع من إرادة مجتمعية تتجلى في أبسط مظاهر الحياة الاجتماعية للأفراد بالمجتمعات بدءًا من نظافة ثيابهم إلى نظافة أيديهم وضمائرهم والإحسان في أعمالهم وتقديمها في أبهى حلة. (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص216).

وبالتالي لا يكفي أن يكون العمل والإنجاز مبدأً أخلاقيًا يؤمن به الأفراد لتحقيق الإحسان وإتقان العمل والإجادة والتجديد فيه؛ لأن ذلك يحتاج للذائقة الجمالية التي تمكن الفرد من التطوير والإبداع، والميل لكل ما هو جميل، نزعة فطرية للإنسان؛ فكلما كان الأفراد محاطين بالجمال زادت قابلية العمل والإبداع والتجديد في أنفسهم، وكلما كانوا محاطين بالقباحة أنتجوا كل قبيح حتى في أخلاقهم ولا يمكن أن يحققوا تنمية أو يفكروا في الاستدامة. (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص217).

ومن أجل ذلك يرى مالك بن نبي أن بداية البناء الاجتماعي والحضاري بالمجتمعات السائرة في طريق النمو والساعية لتحقيق تنمية مستدامة لا بد أن تتبنى مبدأ التوجيه الجمالي لجهودها وإقامة الصلات الاجتماعية بها على الذائقة الجمالية، لأن الدقة في ترتيب الأشياء وتنسيقها وتنمية السلوكيات الجمالية اليومية وفق المعطى الجمالي من شأنه أن يوجد مناخًا اجتماعيًا خصبًا لتحقيق التنمية المستدامة انطلاقًا من تحقيق المنطلقات النفسية الجمالية الضرورية لها بالمجتمع، ويقول مالك بن نبي"...فالجمال الموجود في الإطار يشتمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال، يوحي للإنسان بأفكاره، ويطبعها بطابعه الخاص، من الذوق الجميل، أو السماجة المستهجنة" (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص217، 218).

ويكون بذلك الذوق الجمالي هو حد من الحدود التي تؤطر التنمية المستدامة وتساعد على تحقيقها من خلال اتصاله بالإطار الحضاري بكل محتوياته. فالشيء الواحد يختلف تأثيره بالمجتمع وأفراده باختلاف صورته التي تنطق بالجمال أو القبح. (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص218).

يقول مالك بن نبي:"...الطفل الذي يلبس الأسمال البالية، والثياب القذرة، ... مثل هذا الطفل الذي يعيش جسمه وسط هذه القاذورات والمرقعات غير المتناسبة يحمل في المجتمع صورة القبح والتعاسة معًا، بينما جزء من ملايين السواعد والعقول التي تحرك التاريخ، ولكنه لا يحرك شيئًا؛ لأن نفسه قد دفنت في أوساخه، ولن تكفينا عشرات الخطب السياسية لتغيير ما به من قبح... فإن هذا الطفل لا يعبر عن فقرنا المسلّم به، بل عن تفريطنا في حياتنا" (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص219).

ومن هنا يتكلم مالك بن نبي عن المبدأ الجمالي للإرادة التي تصنع التاريخ وتدير التنمية المستدامة، وهو مبدأ لا تقيمه الشعارات، وإنما الأفعال التي تكرسها التربية الاجتماعية للذائقة الجمالية في أفراد المجتمع، الذي يسبب غيابه في المجتمع حالة من الكسل والخمول والتفريط بالحياة لا تقيمها الشعارات السياسية؛ لأنه غياب الذائقة الجمالية في أنفس الأفراد بالمجتمع تفصل الأفراد عن الأهداف السياسية وتغيب أي فعالية لها لديهم بصورة تشوه حتى الذائقة الجمالية ليصبح القبح معبرًا عن الجمال لدى الأفراد بالمجتمع مثل تقليد الشباب اليوم لأبطال السينما في إطالة الشعر واستخدام المساحيق واعتبار ذلك ضربًا من ضروب الفن، في حين أنه ضرب من الجنون والقبح الذي يقعد الهمم ويجعل سواعدهم لا تقوى على إقامة ركائز التنمية المستدامة. (وفاء عمران، 20 جوان 2020، ص220).

3.4. المبدأ العملي:

ويعني مالك بن نبي بهذا المبدأ الربط بين الفكرة (مجردة) ووسائل تنفيذها (حسية)، أي الاستثمار في رأس المال الفكري من خلال ترجمته إلى واقع قابل للتحويل والتداول بالواقع الاجتماعي، ودون هذا المبدأ ستبقى الفكرة التي تؤسس للتنمية المستدامة راكدة غير مفعلة ولا تحقق هدفها، بينما يساعد المنطق العملي الذي تحركه الإرادة الحضارية للإنسان إلى نمو الأفكار السليمة وانتشارها وتوسعها وزيادة فاعليتها الاجتماعية، ويؤدي توجيه العمل بصورة إيجابية إلى تجنب الهدر في الطاقات والموارد الطبيعية وعالم الأشياء نتيجة العشوائية وقلة التنظيم، وهو إضافة إلى أنه يسبب ضياع الجهود التنموية التي لا تستفيد منها أجيال الحاضر ولا المستقبل تسبب إهدار المواد الأولية الخام. (بوترعة بلال، د.ت، ص174).

ويتكلم مالك بن نبي في هذا المبدأ عن العلاقة بين ظاهرتي الإنتاج والاستهلاك والإرادة الحضارية للإنسان، فالحاجة في التنمية المستدامة تغطيها عمليتان الاستثمار في العمل الذي يمثل الإرادة الحضارية والاستثمار في المال والثروة وتوجيههما، فالعمل واجب على كل ساعد في المجتمعات التي تطمح لتحقيق التنمية واستدامتها لأنه المورد الذي لا ينفد، وهو شرط لاستمرار التفاعل وضمان جدلية على مستوى الإنتاج والاستهلاك، ولا تحقق الفاعلية دون الانتقال بها من التنظير إلى التطبيق الواقعي، وهو الأمر الذي يستلزم وجود شروط نفسية وفنية لازمة لذلك، ولعل أهمها وجود الإرادة الفردية والجماعية للتوجه نحو العمل بجد والاستثمار الجيد لرأس المال وتوجيههما بصورة تحوّل البلد لورشة

عمل اجتماعية كبرى تحركها الإرادة ليتكشف الإمكان في تحقيق التنمية المستدامة. (مرزوقي بدر الدين، د.ت، ص670، 671).

وبالتالي فهذا المبدأ هو إقرار بالفاعلية التي يصنع من خلالها الفرد قوت يومه ويحدد قيمته الاجتماعية، وبؤس الأمم أو نجاحها يرتبط بقدر ما تنتج من عمل فلا خير في أمة تأكل مما لا تنتج، ويرتبط توجيه العمل بتوجيه رأس المال الذي يفرق مالك بن نبي بينه وبين الثروة في عنصر الفاعلية والحركية كون رأس المال هو ما يتم تدويره لزيادة الإنتاج في حين الثروة تتسم بالستاتيكية والثبات وهي عند مالك بن نبي ما تم تكديسه وجمعه من المال الذي إذا تم تحركه وتفعيله وتنميته تحوّل إلى رأس مال يستثمر في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات ويخلق معه العمل والنشاط وهو ما يضمن استدامته في مقابل المال الراكد أو الثروة لا تحقق الاستدامة لأنها تستهلك وتنتهي. (محمد بومدين، د.ت، ص136).

ويقوم المبدأ العملي وفقًا لذلك على ثلاثة أمور غاية في الأهمية: (بوترعة بلال، د، ت، ص175).

- تسير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، أي أن يشترك جميع أعضاء المجتمع في الأهداف الرئيسية للنهضة والتنمية المستدامة.

- التفكير بالعمل كعملية منظمة وهادفة وضرورية للوجود وتحقيق التنمية والنهضة.

- رأس المال لا يحدد بـ (الكم) بل بـ (الكيف)؛ أي من خلال عملية التحويل والانتقال والحركة التي توضع بها الثروة لتصبح رأس مال ذا قيمة اجتماعية؛ فالثروة تسعى لسد حاجات صاحبها المحدودة والضيقة، بينما رأس المال له دور في تحريك دور الاقتصاد وتلبية الحاجات الاجتماعية لأفراد المجتمع، كما أن الثروة توجد الركود، ورأس المال يخلق النشاط والاستدامة.

أهداف التنمية المستدامة في علاقتها برأس المال الاجتماعي عند مالك بن نبي:

يحدد مالك بن نبي أهداف التنمية المستدامة في هدف أساس تنبعث منه خمسة أهداف فرعية، وهو الخروج من العطالة إلى الفاعلية، أي يتكلم مالك بن نبي عن الحركة والانبعاث كهدف أساس للتنمية المستدامة، وذلك من خلال إيجاد السبل والخطاب الإصلاحي المطلوب للخروج بالمجتمعات السائرة في طريق النمو للخروج من حالة العطالة والسكون الذي يكرس الاستهلاكية في مقابل نفي الإنتاجية بالمجتمع، ويحدد مالك بن نبي خمسة عناصر فرعية كأهداف لتحقيق التنمية المستدامة والانبعاث الحضاري وهي: (يعقوب محمد، د.ت، ص173).

1.5.الفاعلية الروحية:

ويرتبط هذا الهدف بإخراج الفكرة الدينية بالمجتمعات النامية من حالة الركود إلى حالة الفاعلية كعدة دائمة لإنتاج روح التنمية ضمن البناء النفسي للمجتمع، ولا يتكلم مالك بن نبي عن الإحياء الديني الروحي كعامل للانتكاس عن الفاعلية ويجعل أفراد المجتمع ينفصلوا عن الواقع ليسيحوا في عالم الأرواح

والخيال والأوهام فيفقدوا روح الإبداع ويصابوا بالعجز الفكري، العجز الذي يطال قدراتهم الفكرية على إنتاج المعاني والمفاهيم والأفكار القابلة للاستثمار الاجتماعي لإنتاج الحضارة أو -التنمية المستدامة-، أي أن الانبعاث الروحي الذي تهدف له التنمية المستدامة عند مالك بن نبي هو تحويل الفكرة الدينية من ثروة اجتماعية إلى رأس مال اجتماعي قابل للحركة والدوران والاستثمار العملي. (يعقوب محمد، د.ت، ص137، 174).

ويرى مالك بن نبي أن الغرب الاستعماري وإن جاء بنظرة استعلائية ليحطم الموروث الثقافي للمسلمين إلا أنه كان له الفضل في إخراج العالم الإسلامي من فوضى القوى الخفية التي تعلق بها وانتكس عن روح الدين إلى الخيال الساذج الذي سيطر على المعتوهين في الإنسان المسلم ما بعد الموحدي، فقد شبه مالك بن نبي الغزو الأوروبي بالديناميت الذي فجر عالم الأحلام والوهم والاستقرار الأبله الذي كان يعيشه العالم الإسلامي حيث أوجده في مأزق يتطلب منه المحافظة على الحد الأدنى من كرامته كمسلم على الرغم مما يعانيه من انحطاط، وفي ذات الوقت هو مطالب بضمان قوته ولا شيء بلا مقابل، وكان المقابل الذي طالب به الاستعمار ثمينًا فقد طالب المسلم بالتخلي عن قيمه ومعاييره ومبادئ حضارته الإسلامية التي يكدسها دون فاعلية في مقابل قوته، فوجد ذاته مجبورًا أن يبيع هويته التي تخلى عنها منذ زمن لصالح القيم البدائية في مقابل تبني قيم جديدة تلائم الحياة التي فرضت عليه للحفاظ على بقائه فانقسم العالم الإسلامي إلى تيارين الأول سعى للحفاظ على القدر الضئيل الذي تبقى من الحضارة الإسلامية وقيمها كثروة اجتماعية لا كرأسمال اجتماعي، وآخر ركز على المصلحة وتخلى على ضمير الإسلام حتى كثروة اجتماعية في مقابل الحصول على مصالح وقتية، ويرى مالك بن نبي أن المسلم لم يتخلَ قط عبر العصور عن عقيدته الإسلامية لكن الأزمة التي صار يعاني منها هي نتيجة الازدواجية في الفكر التي جعلت الدين والقيم الدينية ثروة اجتماعية معطلة فقدت فاعليتها حينما انفصل الفرد عن روابطه الاجتماعية التي هي قوام الدين الإسلامي ليصبح إسلامه فرديًا مقتصرًا على طقوس يمارسها دون أن يعي بعدها الاجتماعي، وغابت قيم الفاعلية الحضارية للإسلام تحت أثقال العادات والتقاليد البالية ثم جاءت القيم الفردية للحضارة الغربية لتقطع آخر صلة للمسلم بروح دينه وتجعل الأجيال الجديدة جسدًا بلا روح بانفصالهم عن الجماعة، فالتخلف الحضاري يحدث عندما تفقد القيم والمعايير بعدها التاريخي والاجتماعي في نفس الفرد فينبذها. (مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1976، ص36-56).

2.5. التغيير:

يعتبر التغيير والحركية من أبرز أهداف التنمية المستدامة كونه يشجع أفراد المجتمع على الإيمان بالأهداف المشتركة والانتقال بهم من التفكير الفردي الذي توجده الثروة كمفهوم يرتكز على تلبية الحاجات الشخصية والمصلحة الفردية إلى التفكير الجماعي الذي يوجده مفهوم رأس المال الذي يوجد

التغيير والاستدامة في تحقيق التنمية، وذلك كي يكونوا قادرين على التعاون مع غيرهم من أفراد المجتمع من أجل تحقيق أهداف الجماعة من خلال العمل الجماعي سواء كقادة مسؤولين أو أتباع ملتزمين ويتمكنوا من التفكير الواقعي والنقدي لمواجهة مشكلات الحياة وإشباع حاجاتهم ودوافعهم كالحاجة إلى الانتماء، المكانة الاجتماعية والقدرة على التكيف السليم، ويؤدي هذا التغيير الذي يجري على المستوى الاجتماعي لمفهوم التنمية كمفهوم يقوم على التقليد والاستهلاك إلى مفهوم يقوم على التغير والإنتاجية التي تورث الاستدامة إلى التجديد الحضاري وتحقيق التنمية المستدامة. (يعقوب محمد، د.ت، 173، 174).

3.5. البناء لا التكديس:

لا يقتصر مفهوم الثروة كما يحددها مالك بن نبي على عالم الأشياء المادية (التراب والأرض) بل أيضا على عالم الأفكار والأشخاص؛ فكل ثروة تفنى بالتكديس وتحيا بالاستثمار والبناء وتحويلها إلى رأس مال اجتماعي بعدما كانت ثروة فردية أو حتى اجتماعية راكدة، ويرتكز ذلك الهدف عند مالك بن نبي على تنمية الوعي التاريخي لدى أفراد المجتمع، هذا الوعي الذي لا يعني الانغماس في أمجاد الماضي والهتاف لها بقدر ما يعني إنتاج وصناعة التاريخ الذي هو تحقيق استدامة الموارد المتاحة بالحاضر لتصنع المستقبل وهذا ما يحققه الوعي التاريخي؛ فالإنسان المستدام يمتلك وعيًا تاريخيًا يدرك من خلاله أن ما يصنعه اليوم هو تاريخه في المستقبل وهو حاضر الأجيال القادمة؛ لذا عليه التفكير دائمًا في تحويل الثروات الطبيعية والبشرية والفكرية في الحاضر إلى رأسمال يستثمر فيه لصناعة التاريخ وتحقيق الاستدامة لهذه الثروات من خلال استثمارها بوعي لا يعمل على تكديس الثروة وإنما استثمارها في البناء والتشييد وهو بذلك لا يقف عند المصلحة الشخصية وإنما يتجاوزها إلى المصلحة الجماعية التي لا تقف بدورها عند الحاضر بل تبني المستقبل وتصنع تاريخ الأمة مجتمعة. (مالك بن نبي، 1997، ص16).

ويشتغل الوعي التاريخي للإنسان عند مالك بن نبي على معادلة بطرفين (عالم الأفكار، عالم الأشياء)، الأول معنوي والثاني محسوس، ووفق الطريقة التي يحرك من خلالها الوعي التاريخي رابطة التفاعل بين هذين العالمين تتحدد القيمة الحضارية لهما وكيفية إدراك معطيات العالم من حولنا، وتختلف وفقا لذلك الوجهة التي يتحرك فيها إنسان العالم الأول وإنسان العالم الثاني، لأن لكل منهما وعيًا مختلفًا يتحرك من خلاله ليصنع تاريخه، وكلا العالمين دون وجود الفكرة الدينية لا يحقق الاستدامة في التنمية لأنها من يحقق التفاعل بين العالمين بما يمنع إنسان العالم الأول من الركود والرجوع إلى الوراء وتمنع إنسان العالم الثاني من التوسع حتى يبلغ نقطة الانحلال والتفسخ فإنسان العالم الأول يقف بوعيه أمام مشروع تحقيق الاستدامة لأنه لا يوجد للأفكار فاعلية بالواقع الملموس ولا يستثمر فيما لديه من ثروة فكرية ليحوله إلى رأس مال قابل لينتج ويبني، وإنسان العالم الثاني لا يراعي شروط الاستدامة

بالإسراف في استغلال الموارد المتاحة لحاقًا بعالم المتع التي لا تنتهي وكلا العالمين يتنافيان مع مفهوم الاستدامة؛ فالثروة بكل أشكالها (مادية، فكرية، بشرية) حتى تتحول إلى رأسمال منتج ومستديم تحتاج إلى وسطية الفكرة الدينية التي تعدل من جمود عالم الأفكار وتحوله إلى واقع عملي ينتج وينمي ويحافظ على استدامة الموارد المتاحة وتحد من التوسع اللامشروط لعالم الأشياء وتنظمه بالمبدأ الأخلاقي حتى تضمن الاستدامة بالموارد بأن تنمي الحاضر وتبني المستقبل. (رباني الحاج، جوان 2013، ص546-553).

4.5. التوجيه:

يتكلم مالك بن نبي على التوجيه للموارد المتاحة بالمجتمع كأبرز أهداف التنمية المستدامة، ولا تتم إلا من خلاله، ولا يكون توجيه الموارد فعالا إلا في إطار شبكة متينة من العلاقات الاجتماعية التي بدونها لا يمكن لأي مجتمع أن يصنع تاريخ ميلاد حضارته ونهضته التنموية، فمثلما تنسق الفكرة الدينية التفاعل بين مبادئ التنمية الثلاثة (الأخلاقي، الجمال، العملي)، ودونها لا يمكن أن توجد الفاعلية بهم فإن شبكة العلاقات الاجتماعية هي التي تنسق العلاقة التفاعلية بين الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة (الفكري، البشري، المادي التقني)، ولا تتأتى تقوية شبكة العلاقات الاجتماعية دون تقوية مبادئ التنمية وتفعيلها من خلال الفكرة الدينية التي توحد التوجه الوجداني بشبكة العلاقات الاجتماعية نحو هدف واحد وهو تحقيق الفاعلية من خلال توجيه الموارد المتاحة وتحويلها من ثروات اجتماعية مكدسة إلى رأس مال اجتماعي قابل للتداول والإنتاجية، هذه الثروات لا تقتصر بالنسبة لمالك بن نبي على الثروات المادية والتقنية وإنما أيضا الثروة الفكرية والبشرية وكذا ثروة الوقت، في حين أن شبكة العلاقات الضعيفة والممزقة يستحيل معها تحقيق الفاعلية لأنها لا تمتلك قوة الدفع التي تدفع وتوجه بها الثروات الراكدة والساكنة لتكون في حالة حركة تبني تنمية مستدامة. (مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، 1976، ص3-43).

وبالتالي فالتجديد في الحضارة من حيث تكوينها، تطورها، واستمرارها يقتضي تغييرًا يبدأ من داخل الفرد ثم يتجه للخارج، ويحصل البناء التنموي المستدام من خلال توجيه الموارد المتاحة توجيهًا يرتبط بمبدأ الغاية، ويستثمر بجميع الوسائل والمناهج المتاحة لتحقيق أغراض الإنسان. (يعقوب محمد، د.ت، ص177).

أبعاد التنمية المستدامة وفق رؤية مالك بن نبي:

ذهب المفكر مالك بن نبي إلى أن لكل مجتمع عالمه الثقافي بغض النظر عن مستوى تقدمه، ينتج هذا العالم عن التفاعل والنشاط المشترك للمجتمع الذي تحركه بواعث معنوية وأخرى مادية ويشترك في بناء هذا العالم الثقافي عوالم ثلاثة: عالم الأشياء المادية، عالم الأشخاص، وعالم الأفكار. (مالك بن نبي، 1997، ص16).

1.6. البعد الفكري:

يصنف مالك بن نبي الأفكار إلى أربعة أصناف يمكن بيانها في الجدول التالي:

جدول (1): يمثل أنواع الأفكار الاجتماعية عند مالك بن نبي

الأفكار المطبوعة	الأفكار الموضوعة	الأفكار الميتة	الأفكار القاتلة (المميتة)
وهي أفكار أساسية تختلف حسب طبيعة المجتمع وأصوله الثقافية.	وهي الأفكار التي نتجت عن تطبيق الأفكار الأساسية للمجتمع عبر الأجيال المختلفة وتسمى أيضًا الأفكار الحية.	وهي أفكار موضوعة فاقدة للصلة مع الأفكار المطبوعة ما يفقدها الفاعلية المجتمعية وتؤسس للقابلية للاستعمار بالمجتمع.	وهي الأفكار المطبوعة المستوردة كما هي من مجتمع يختلف في أصوله وثقافته عن المجتمع المستورد مثل استيراد المجتمعات المسلمة التي أصول حضارتها أخلاقية لأفكار مطبوعة غربية أصول ثقافتها جمالية وهذا ما ينتج الاستعمار واستنزاف الثروات من الآخر (المستعمر)، وبالتالي فالأفكار القاتلة هي أفكار فاعلة لكن وضعت في غير محيطها.

المصدر: (مالك بن نبي، 1997، ص31-65).

ومن خلال الجدول نلاحظ أن مالك بن نبي ينظر لمشكلة التخلف والبحث عن تحقيق التنمية المستدامة كمشكلة تخلف حضاري عام ولا تقتصر على نقص الوسائل الاقتصادية والأشياء المادية، ولذا نراه يأخذ على البلدان النامية البعد الاستهلاكي للأشياء التي تنتجها حضارة أخرى اعتقادًا منهم أنهم يقيمون حضارة مساوية لمصدر تلك الأشياء في حين أنهم لا يزيدون أزمة التنمية إلا تعقيدًا كونهم يهدرون ثرواتهم في أشياء دون استثمارها.

ولا تتحقق التنمية المستدامة بالنسبة لمالك بن نبي من خلال تكديس الأشياء أو المال ولكن من خلال الاستثمار الذي يقوم على معادلة اجتماعية أساسها الخصوصية الفكرية والثقافية لكل مجتمع، أي أن الاستثمار لتحقيق التنمية الاجتماعية هو استثمار اجتماعي بالدرجة الأولى وهو ما يفسر بالنسبة لمالك بن نبي فشل الاقتصادي الألماني (شاخت) في إندونيسيا بينما نجحت تجربته في بلده ألمانيا. (مالك بن نبي، 2001، ص161).

وعلى هذا التأسيس يشير مالك بن نبي إلى أن فشل الدول الإسلامية في تحقيق التنمية المستدامة يرجع إلى خلل في عالم الأفكار لديها، يتجسد في نقطتين:

حصرها الاختيار بين مذهبين، اشتراكي ورأسمالي، دون التنبه إلى وجود مذهب ثالث خاص بالمجتمعات الإسلامية، أي مذهب ينطلق من الخصوصية الثقافية للمجتمع المسلم.

حصر النشاط الاقتصادي في الاستثمار المالي وحده، في حين أن القضية تتعلق بالإرادة الحضارية للإنسان.

وبالتالي فالإشكال لا يرتبط بقلة الموارد والثروات المادية والطبيعية، لكن المشكلة في سوء استخدام هذه الموارد الناتج عن توجيه هذه الثروات لتبديدها بالاستهلاك لا للإنتاج والاستثمار، نتيجة القابلية للاستعمار التي تحد من فاعلية المعادلة الاجتماعية (الفكرة الدينية) الخاصة بهذه المجتمعات وتعطلها عن أداء دورها الاجتماعي في دفع عجلة التنمية وضمان استدامتها. وبالتالي فالتنمية المستدامة عند مالك بن نبي هي بالدرجة الأولى توجيه علمي ثقافي تربوي، تشكل فيه فكرة الواجب المحور الذي تدور حوله منظومة السلوك الاجتماعي، الذي يحقق لنا التنمية البشرية اللازمة للإقلاع الحضاري وضمان الاستدامة لعملية التنمية دون اقتصار التعويل على الاستثمارات المالية مهما كبرت، ومنه فالتنمية المستدامة هي استثمار اجتماعي في المعادلة الاجتماعية للمجتمع بهدف صناعة التاريخ الذي لا يرتد للوراء عند مالك بن نبي وإنما يسير إلى الأمام صانعًا مستقبل المجتمعات انطلاقًا من حاضرها. (البشير قلاتي، د.ت، ص387-393).

لذا فالبعد الفكري للتنمية المستدامة عند مالك بن نبي يقرّ بأن هذه الأخيرة لا تصنعها كومة من الأشياء المستوردة فقط أو كومة من الأموال المكدسة، وإنما هي بناء تطبعه فكرة معينة نابعة من عمق المعادلة الاجتماعية للمجمع (الأفكار المطبوعة، الأفكار الموضوعة)، لأنه دون عالم الأفكار لن يكون سوى تراكم أبله جامد لا طعم له مهما كان بريقه وإغراؤه ظاهريًا، فالتكديس لا يصنع حضارة ولا يحقق تنمية، كما أنه من خلال عالم الأفكار يمكن للمجتمع تطويع الأفكار الميتة والقاتلة لتصبح أفكارًا حية ذات فاعلية من خلال إخضاعها لشروط المعادلة المجتمعية الخاصة (ساعد هماش، ديسمبر 2020، ص700)، وإلا فإن وجود الأفكار القاتلة والميتة بالمجتمع لا يقف عند حد التواجد السلبي لأن هذه الأفكار هي خيانة للفكرة كرأسمال اجتماعي وسماها مالك بن نبي الأفكار المخذولة، وهو ما يجعل هذه الأفكار تنتقم فالأفكار الميتة تنتقم بتجميد التقدم والأفكار القاتلة تنتقم بتدمير التقدم. (مالك بن نبي، 1997، ص66-68).

2.6. البعد البشري:

تصب جل تعاريف التنمية المستدامة في معنى استدامة الموارد الطبيعية بالكفاية التي تحافظ على حق الأجيال القادمة فيها، ولا يكون ذلك إلا بتكوين الإنسان المستدام باعتباره كائنًا اجتماعيًا يتشارك مجموعة من الخصائص والجوانب المتعددة، إذ تقاس أي تنمية بما تغرسه في الإنسان من إنسانيته وتبث فيه روح الجماعة وبالتالي فالتنمية الحقة هي التي تشمل جميع جوانب الحياة البشرية اجتماعيًا وتربويًا ثقافيًا. (ساعد هماش، ديسمبر 2020، ص390)، لذا يقول مالك بن نبي على أهمية عالم الأشخاص

والإنسان في التنمية المستدامة: " يجب أولا أن نصنع رجالا يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى" . (مالك بن نبي، شروط النهضة، 1976، ص73).

غير أن التنمية التي تقوم على البعد البشري أو ما يسميه مالك بن نبي (عالم الأشخاص) وتجعله محورًا للتنمية لن تنتج إلا مجتمعًا من الدجالين والمرتزقة والمحتالين الذي يسخّرون ثروات المجتمع لتكديس الثروات الشخصية من خلال الاستثمار في الجهل والفقر لتكون هناك طبقة من الأغنياء تتكدس في أيديهم الثروات وفئة أخرى من المعدمين يسيطر عليهم بجملة من الأفكار الميتة والقاتلة التي يروج لها المحتالون فتجدهم يسيحون في عالم الخيالات والقوى الخارقة التي يقدمون لها القرابين لتصنع لهم التاريخ والحضارة وتعطيهم قوت يومهم، وهو ما حدث حسب مالك بن نبي للمسلمين في عصر ما بعد الموحدين، أي سيطرت جملة من الأفكار الميتة والقاتلة على المجتمع ووجهة طاقاته وموارده لخدمة فئة من الأشخاص الذين ينزلون على أنفسهم طابع القداسة فيصبحون أوثانًا ليروجوا لأفكار ميتة تساعد على حفاظهم على سلطاتهم وثرواتهم التي يكدسونها جراء هذه القداسة الوهمية التي يلحقون بها ذواتهم كأشخاص. وهذا ما يؤدي إلى استنزاف ثروات المجتمع وجعلها في حالة من الركود الذي يستحيل معه تحقيق تنمية مستدامة كونها غير قابلة للتداول المجتمعي. (مالك بن نبي، 1997، ص42-44).

وبالتالي فالبعد البشري للتنمية عند مالك بن نبي كسابقه (البعد الفكري) لا يحقق الفاعلية إلا في إطار شبكة من العلاقات الاجتماعية التي توجد التفاعل بينه وبين بقية الأبعاد انطلاقًا من الفكرة الدينية وما توجده من توازن بين هذه الأبعاد بصورة تجعل المجتمع يحول ثروته البشرية إلى طاقة إنتاج مستدامة وليست طاقة استهلاك قاتلة.

3.6. البعد المادي والتقني:

ويقصد به مالك بن نبي عالم الوسائل المادية من أرض وأدوات وتقنيات يستخدمها المجتمع في تحويل أفكاره إلى منتجات تشبع حاجات أفراد المجتمع، وتتميز في المجتمعات ما قبل التحضر بالندرة نتيجة غياب الفاعلية التي تحولها من ثروات إلى رأس مال قابل لإنتاج مستحقات المجتمع من عالم الأشياء، والندرة هنا بالنسبة لمالك بن نبي لا ترتبط بقلة الموارد المادية بقدر ما ترتبط بغياب الفاعلية المجتمعية في استثمارها فالمجتمعات العربية المسلمة من أغنى البلدان بالموارد الأولية مثل الأراضي الخصبة، إلا أنها تبقى ثروات مكدسة نتيجة غياب القدرة على تحويلها إلى رأس مال اجتماعي لغياب الشروط المجتمعية اللازمة؛ لذلك فنجد هذه البلدان التي تمتلك أكبر وأخصب الأراضي تلجأ إلى استيراد قوتها والاستعانة بأشياء المجتمعات الأخرى بصفة استهلاكية لسد حاجياتها. (مالك بن نبي، 1997، ص16).

وعندما يقرر المجتمع الدخول في مرحلة الحضارة يبدأ بتغيير الشروط النفسية حتى تتلاءم مع شروط الفاعلية فيوازن بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، ومن هنا يبدأ في تغيير آلياته في التعامل مع عالم الأشياء وإن كان يتسم بالندرة الفعلية مثلما كان الأمر مع النهضة التي حققها المسلمون التي بدأت من

مجتمعات تتسم بندرة فعلية في عالم الأشياء إلا أن النهضة الروحية التي غيرت الشروط النفسية في شبكة العلاقات الاجتماعية لهذا المجتمع الناشئ غيرت المعادلة كليًا بأن انتقلت من حالة الندرة إلى الوفرة، وذلك عندما بدأ هذا المجتمع الصغير بمواجهة مشاكله بضغط حاجاته أولا، ثم باستثمار عالم الأشياء المتاح له لتغطية أوسع نطاق من حاجاته بتعزيز قيم العمل والمثابرة والاجتهاد والسعي، وتتميز مرحلة الانطلاقة الحضارية للمجتمع الإسلامي كما بين مالك بن نبي بأروع صور التضحية والتقشف التي بدأها قائد المجتمع في أسرته أولا (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم ما ضربه الصحابة رضوان الله عليهم من صور التضحية بأموالهم لخدمة الإسلام والمسلمين فتحولت هذه الأموال من ثروات مكدسة تخدم المصالح الشخصية وتحقق منافع ضيقة إلى رأس مال اجتماعي حقق النهضة الأشمل المجتمعية والتنمية التي استدامت لتشكل حضارة أمة. (مالك بن نبي، 1997، ص20، 21).

وبالتالي ونتيجة لتلك الجهود يبدأ عالم الأشياء في التحول من الندرة إلى الوفرة، وتدخل المجتمعات في مرحلة الحضارة وارتفاع الفاعلية، وبالتالي فوفرة عالم الأشياء هنا لا تقاس بحجم الثروات الأولية في حالة الركود وإنما بحجمها وهي رأس مال اجتماعي متحرك وفاعل بالمجتمع، أي أنه قد يكون المجتمع لا يمتلك من عالم الأشياء المادية إلا قليل القليل ولكن نتيجة تحويل هذا القليل إلى رأس مال اجتماعي متداول في شبكة قوية من العلاقات الاجتماعية التي توفر لها شروط الفاعلية المجتمعية يصبح كفيلا بإنتاج عالم الأشياء بوفرة تكفي المجتمع لسد حاجيات أفراده في الحين وفي المستقبل، واليابان سنغافورة خير مثال على ذلك.

ويرجع عالم الأشياء لحالة الندرة في المجتمعات ما بعد الحضارة أو المجتمعات الآيلة للسقوط نتيجة تخليها عن شروط الفاعلية لهذا العالم ضمن شبكة علاقاتها الاجتماعية.

غير أن سيطرت هذا البعد على التنمية كمركز لها يحول المجتمع كما يرى مالك بن نبي إلى كومة من الأشياء المكدسة دون جدوى أو فاعلية اجتماعية تستنزف الموارد المادية المتاحة خاصة رأس المال المادي دون أن تحقق به الاستدامة لأنها لا توجد استثمارًا بل استهلاكًا وهو ما تعيشه المجتمعات العربية المسلمة اليوم فهي بالنسبة لمالك بن نبي تكدس أشياء الحضارة الغربية معتقدة أنها تعيش الحضارة في حين أنها تسهلك ثرواتها دون أن يكون لها عائد استثماري بالمجتمع، فتمحور شبكة العلاقات الاجتماعية حول عالم الأشياء يؤدي على الصعيد النفسي والأخلاقي للمجتمع إلى تمركز عالم الأشياء على رأس سلم القيم الاجتماعية، وهو ما يؤدي إلى انزلاق المجتمع إلى الشيئية ويصبح الحراك الاجتماعي معكوسًا حيث يكون بالمجتمع المتوازن قائمًا على سير سلّم القيم الثقافية والسلم الاجتماعي في اتجاه واحد من الأسفل إلى الأعلى أي أنه كلما ترقى الفرد ثقافيًا ارتقى في السلم الاجتماعي، وتكون المراكز الاجتماعية موزعة بحسب درجات الثقافة، أما في المجتمعات التي تعاني أزمة سيطرة عالم الأشياء ينعكس فيها اتجاه السلّمين انعكاسًا كليًا بحيث يصبح الأفراد الذين هم في قاعدة المجتمع أقل ثراء من الناحية الثقافية على الأقل من الناحية الأخلاقية من قيادات المجتمع بما يملكونه من أشياء، وعند بلوغ المجتمع

هذه الدرجة من الأزمة التنموية فإنه يصبح عاجزًا عن إنتاج الأفكار والمعاني الفعالة التي يواجه من خلالها مشكلاته داخل حدوده لأن الذين ينتجون الأفكار في قاعدة السلم الاجتماعي بالمجتمع ولا يستطيعون بلوغ أماكنهم المفترضة في قيادة المجتمع نحو التنمية المستدامة، فتلجأ القيادة العاجزة ثقافيًا إلى استيراد الأفكار الجاهزة من مجتمعات تختلف عنه في أطر الثقافة القائمة مما يزيد في حالة الأزمة الثقافية داخل المجتمع حيث لا يعود المجتمع قادرًا على التعايش مع باقي الثقافات إلا من منطلقين متناقضين كل منهما أسوأ من الآخر فالأول منطق التقوقع والتعصب الثقافي والثاني الانهزامية أمام ثقافة الآخر، فالأول يعرض الشخصية للتلف وعدم النمو والثاني يعرض الكرامة للمهانة. (مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، 2000، ص94).

4.6.البعد الوجداني:

وهو البعد النفسي للتنمية المستدامة والعامل المحرك لباقي الأبعاد أو المعطل لفاعليته الاجتماعية ويرتبط عند مالك بن نبي بالبعد الروحي الذي تنميه (الفكرة الدينية) وتتحدد من خلال شروط النهضة كونه العامل الذي يحقق تفاعل بقية الأبعاد في تناغم يجعل أي جهود تنموية تؤتي ثمارها ودونه يكون مصير أي جهود تنموية الفشل الذريع وإن توافرت بقية الأبعاد. (ساعد هماش، ديسمبر2020، ص704).

فمالك بن نبي يعتبر أن العلاقة الروحية بين الإنسان واللّه هي التي توجد الفاعلية في العلاقة التي تربط الإنسان بغيره من الأفراد، وبالتالي فقوة شبكة العلاقات الاجتماعية التي يحتاجها المجتمع في ميلاده الحضاري يرتبط بالقوة النفسية التي تولدها الفكرة الدينية فيها، وكلما ضعفت الرابطة الدينية ضعفت شبكة العلاقات الاجتماعية، غير أن الوصول إلى الدرجة الراقية من التماسك المجتمعي يكون بتقوية الفكرة الدينية، لأنها تعمل على سد الفراغ الاجتماعي الذي توجده المصلحة الفردية الضيقة، هذا التماسك يجعل من النفس الإنسانية للفرد الواحد داخل المجتمع تندمج في رابطة مجتمعية كلية تجعل من كل الأفراد بالمجتمع نفسًا واحدة تعمل كيد واحدة، وهو ما يمكن المجتمع من غرس البذرة الأولى في صناعة تاريخه وتحقيق التنمية المستدامة، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود الرابطة الوجدانية التي توحد باقي أبعاد التنمية وتوجد الإمكان لتفاعلها وإيجاد الفاعلية. (بوترعة بلال، د.ت، ص179-181).

معيقات التنمية المستدامة وفق رؤية مالك بن نبي:

يتكلم مالك بن نبي معوقات التنمية المستدامة في سياق حديثة عن أزمة التنمية والانطلاق الحضاري بالعالم الإسلامي ويحددها كالتالي: (فايزة بوثلجة، بوعقل إبراهيم، 2020، ص3-5).

غياب العامل المساعد في تحقيق التركيب الحضاري وهو عند مالك بن نبي (الفكرة الدينية) حيث إن ركائز التنمية المستدامة لا يمكنها أن تتفاعل وتعمل بفعالية بالواقع الاجتماعي دون وجود العامل الذي يحقق تفاعلها.

غياب مبدأ المراجعة والنقد الحضاري على المستوى الفردي والجماعي، وهو المبدأ اللازم لأي بناء حضاري وتحقيق التنمية المستدامة، مما أفقد العالم الإسلامي القدرة على تطوير نفسه داخليًا.

فقدان القدرة على الاستجابة للمتغيرات الخارجية والتحولات التاريخية الجارية وهو ما أظهره بمظهر العاجز عن مسايرة عصره.

غياب التربية الإيمانية الفاعلة في بناء الشخصية المسلمة، وهو ما أدى إلى الانفصال بين اعتقاد المسلم وواقعه وفعله وسلوكه.

القابلية للاستعمار التي من أبرز مظاهرها استيراد مناهج التعليم، وربط الأنظمة التعليمية العربية والإسلامية بالإيديولوجيات والاقتصاديات والسياسات الأجنبية، وهو ما أفقدها الفاعلية بالواقع الاجتماعي.

انهيار سلّم القيم الاجتماعية الذي يحدد لكل فرد دوره الاجتماعي في شبكة العلاقات الاجتماعية نتيجة الخلل الذي أصاب المنظومة الثقافية والتربوية التي جعلت المسلم لا يتحرج من وضع المتفرج على التاريخ بعدما كان صانعه. ومن معوقات التنمية المستدامة بالأقطار العربية أيضا:

7.1.العوامل الداخلية:

انتشار المذاهب الفكرية المتعارضة والمتناقضة التي شوهت الفكرة الدينية وأفقدتها الفاعلية بالحياة الاجتماعية والتي تركز على الفكر التبريري والاقتباس الحرفي غير الموفق.

السكون والركود وتعطيل حركة الأمة والتفلّت من الواجبات.

الاستبداد السياسي الذي انصرف بالأهداف الاجتماعية إلى أهداف شخصية ضيقة.

التغريب الفكري نتيجة التغريب السياسي الذي عمل على تكديس أشياء الحضارة الغربية وصرف الشباب عن ركائز الحضارة بهويتهم الثقافية.

عدم التحديد التدقيق للخلل. (عمار جيدل، 2003، ص71).

فقدان الأفكار المطبوعة لفاعليتها المجتمعية نتيجة تفشي الأفكار الميتة والقاتلة.

غياب النظرة الشمولية واعتماد الحلول الجزئية القائمة على بعد واحد من أبعاد التنمية.

2.7 .العوامل الخارجية: (فايزة بوثلجة، بوعقل إبراهيم، 2020، ص5).

الاستعمار وتعطيل مقومات النهضة بالمجتمعات العربية المسلمة من وحدة للغة والدين والتاريخ.

استنزاف الثروات والموارد الطبيعية بالمجتمعات العربية من طرف البلدان الاستعمارية مباشرة أو من خلال القابلية للاستعمار التي غرستها في البناء الفكري لهذه المجتمعات ما جعلها تقعد عن إنتاج حضارتها الخاصة وتكديس الثروة والأشياء والعجز عن استثمارها.

والملاحظ أن مالك بن نبي يركز في معوقات التنمية المستدامة النابعة من الدوافع الذاتية الداخلية أكثر منها معوقات خارجية لأن شروط الفاعلية تتحدد داخليًا وأما المعوقات الخارجية فما هي إلا انعكاس للتشوه الداخلي لمعادلة الفاعلية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أسعيد مصطفى، حرز الله محمد لخضر (جانفي2018)، التنمية المحلية المستدامة وفعالية الأفكار (مقاربة تأصيلية من منظور فكر مالك بن نبي رحمه الله)، مجلة المفكر، المجلد13، العدد (2).
2. البشير قلاتي (د.ت)، الأفكار الاقتصادية عند مالك بن نبي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد30، العدد (2)، ص379-394.
3. بوترعة بلال (د.ت)، الفكرة الدينية وبناء الحضارة عند مالك بن نبي، مجلة المداد، المجلد 1، العدد (2)، ص170-181.
4. رباني الحاج (جوان 2013)، الإنسان والوعي التاريخي: قراءة في فكر مالك بن نبي، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، العدد (04)، ص545-555.
5. ساعد هماش (ديسمبر2020)، بناء الإنسان المستدام في فكر مالك بن نبي (من الاقتصادانية المادية إلى الاستدامة الإنسانية)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1، المجلد21، العدد (02)، ص689-706.
6. سعدون حمود جثير الربيعاوي (2015)، حسين وليد حسين عباس، رأس المال الفكري، ط1، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع.
7. عمار جيدل (2003)، نقد مسالك المسلمين في التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة دراسات، العدد (20)، السنة الرابعة، ص69-75.
8. فايزة بوثلجة، بوعقل إبراهيم (2020)، تشخيص أزمة الفكر الإسلامي عند مالك بن نبي، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، المجلد8، العدد (1)، ص1-12.
9. مالك بن نبي (1976)، مشكلات الحضارة: شروط النهضة، تر: عمر كامل سقاوي، عبد الصبور شاهين، ط1، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.

10. مالك بن نبي (1976)، ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية، تر: عبد الصبور شاهين، ط3، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
11. مالك بن نبي (1976)، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط5، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
12. مالك بن نبي (1997)، تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: محمد عبد العظيم علي، ط1، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع.
13. مالك بن نبي (2000)، مشكلات الحضارة: القضايا الكبرى، ط1، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
14. مالك بن نبي (2000)، مشكلات الحضارة: مشكلة الثقافة، ط4، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
15. مالك بن نبي (2001)، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، تر: عبد الصبور شاهين، ط4، دمشق: دار الفكر.
16. مالك بن نبي (د.ت)، مشكلات الحضارة: بين الرشاد والتيه، د.ط، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
17. محمد بومدين (د.ت)، البراديغم المفقود في بناء الحضارة الإنسانية: سؤال الذات المتحضرة في فكر مالك بن نبي، مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، العدد (7)، ص131-140.
18. مدحت أبو النصر، ياسمين مدحت محمد (2017)، ياسمين مدحت محمد، التنمية المستدامة (مفهومها، أبعادها، مؤشراتها)، ط1، القاهر، مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
19. مرزوقي بدر الدين (جوان2016)، الأسس الحضارية للظاهرة الاقتصادية في فكر مالك بن نبي: قراءة نقدية في بعض المفاهيم الحديثة، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد (29)، ص667-685.
20. وفاء عمران (30 جوان 2020)، التوجيه الجمالي ودوره في تركيب الثقافة (مقاربة حضارية لـ مالك بن نبي)، مجلة أبعاد/مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر، المجلد7، العدد (1)، جامعة وهران2.
21. يعقوب محمد (د.ت)، الإنسان في فكر مالك بن نبي، مجلة المداد، المجلد2، العدد (1)، ص161-180.

الاتصال و التنمية المستدامة للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية

خديجة بوشربط
جامعة باجي مختار الجزائر

الواهم مصابح مريم
جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة ، الجزائر

مقدمة إشكالية:

يعد الاتصال حلقة وصل بين سائر المخلوقات ، يوظف بما يخدم أهداف المجتمع؛ من أجل تنمية الأفراد والمؤسسات وبالتالي الاستدامة في تنمية المجتمع، وهو ما يبعث على ضرورة ربط الجامعة مع المحيط كونها من أهم مؤسساته، وعليه فإن مهام الاتصال في الوسط الجامعي تتمثل في تزويد الجمهور الداخلي للجامعة بالمعلومات الصحيحة، في الموضوعات المتعلقة بالحياة الجامعية وبالتالي نحو التحصيل العلمي وتشجيع روح الابتكار والبحث الجاد وبإمكان هذه الاستراتيجية الاتصالية في السياسة الجامعية أن تكون وسيلة ناجحة في التعبئة واليقظة و بث روح المسؤولية عن طريق إشراك مختلف مكونات الأسرة الجامعية في التكفل ببلورة مشاريع البحث العلمي وتوضيح أهدافها ودمجها في عملية الإنتاج الوطني وجعل الجامعة عنصرا أساسيا في البرامج التنموية.1(حمدي احمد،د ت،ص 23) بمساهمة هذه الأخيرة في تقدم المجتمع عن طريق توظيف هياكلها من مكتبات ومخابر البحث للتعايش مع الحياة العلمية ودراسة همومه ومشكلاته الفعلية وتطويره عن طريق تشخيص المعضلات والمشاكل بكل ما تملك من قدرة على البحث والتشخيص والتحليل.2(العبدالله مي،2009،ص151) مع السعي من أجل خلق علاقة وثيقة بينها وبين المحيط الخارجي والتفاعل معه بتوفير مجموعة من المهارات والمعلومات للدارسين، وعلى إثره تؤدي الجامعة رسالتها الحقيقية؛ ولذلك فإن الجامعة الجزائرية تسخر كل طاقاتها وإمكاناتها بهدف تنمية البحث العلمي لأننا في وقت أصبح فيه هذا ركنا أساسيا من أركان المعرفة الإنسانية في ميادينها كافة، كما يعد السمة المميزة للدول المتقدمة بالإضافة إلى أنه يعد محرك النظام العالمي الجديد.

ولتجسيد هذه الفلسفة على مستوى الجامعة الجزائرية من التنمية المستدامة للبحث العلمي المتمثلة في كونها التنمية التي تعمل على تطوير الجامعة في ميدان البحث العلمي بالتركيز على العنصر الفعال فيها وهو الأستاذ باستعمال أحدث الطرق، وتوعيته بأهمية البحث العلمي، حيث لا يقتصر على تعليم طلابنا اكتساب المهارات الأساسية لتأهيلهم كي يصبحوا مواطنين ناجحين في ظل المنافسة العالمية بل تتعداه إلى توسيع علاقاتها مع مختلف الجامعات الأجنبية التي لا تكون حكرا على جيل دون أخر أي التفاوت في الدرجات العلمية على اعتبار أن التعليم والبحث العلمي عصب تنمية المجتمع؛ لأنها من أهم مقومات التنمية البشرية. وفي ظل المعطيات و المؤشرات الخاصة بالتنمية المستدامة للبحث العلمي كان

الأجدر على الجامعة الجزائرية الاهتمام بتنمية الأستاذ الجامعي كونه الباحث الأول. وخلق قنوات اتصالية بينه وبين الجامعة وكذلك مع المحيط الخارجي وبالتالي ترقية مبدأ التنمية المستدامة في الجامعة الجزائرية عن طريق ما ينشر من أبحاث علمية تطلبها مؤسسات المحيط الخارجي بتطبيق مبادئها، ومنها التحلي بروح المسؤولية الاجتماعية لدى أفرادها وتشجيع الثقافة المقاولاتية ودفع عجلة السياحة إلى الأمام زيادة على كل هذا الانفتاح على العالم الخارجي والاستفادة من خبراتهم لاسيما في إطار ما يعرف بإدارة الجودة الشاملة ونقلها إلى المؤسسات الأخرى التي تتطلب مثل هذه البحوث، حتى خارج ربوع الوطن.

وعلى إثره يتم تحفيز الأستاذ الجامعي وتشجيعه على الإبداع و الابتكار؛ لأنه لا يمكن الوصول إلى جامعة العصر ولا تحقيق انجازات دون كوادر بشرية مؤهلة ومدربة، خاصة أن الجامعة منظومة متكاملة ذات ثلاث وظائف هي: البحث العلمي، والتدريس، وخدمة المجتمع. ولا يمكن اقتصار دورها على منح الشهادات فقط.3(ملحس عماد لطفي، 2005،ص02)

وهو ما قادنا إلى طرح التساؤل الآتي:

هل يسهم الاتصال في الارتقاء بالبحث العلمي إلى التنمية المستدامة في الجامعة الجزائرية؟

وانبثقت عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

-هل تصب البحوث العلمية في الجامعة الجزائرية في إطار التنمية المستدامة؟

-ما هي الأنشطة الاتصالية التي تهتم بها الجامعة في إطار التنمية المستدامة؟

-ما هي الوسائل الاتصالية التي تعتمد عليها الجامعة الجزائرية من أجل التنمية المستدامة للبحث العلمي؟

وعلى أثر ذلك قسمنا هذه الورقة البحثية إلى المحاور الآتية:

المحور الأول: الاتصال والجامعة.

المحور الثاني: التنمية المستدامة والجامعة الجزائرية.

المحور الثالث: الاتصال والتنمية المستدامة للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية

كما أن هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

-التعريف بأهمية الاتصال في التنظيمات.

-توضيح أهمية العلاقة بين الاتصال والبحث العلمي بالجامعة الجزائرية التي من شأنها المساهمة في دفع حركة التنمية المستدامة للمجتمع الجزائري ككل.

-التعرف على الوظائف الأساسية للجامعة والحرص على تبليغ رسالتها.

-توضيح العلاقة بين التنمية البشرية داخل الجامعة والتنمية المستدامة للبحث العلمي الذي يعد جوهر الجامعة.

المحور الأول: الاتصال والجامعة

1-أهمية الاتصال للفرد والمجتمع:

إذا ما تحدثنا عن أهمية الاتصال بشكل عام فإن هذه الأهمية تظهر في الإجابة على السؤال لماذا نتصل بالغير.....؟ خصوصا فيما يسمى بالاتصال غير المخطط، وهو اتصال نؤديه به جميعا في حياتنا اليومية سواء داخل الأسرة أو مع الغير أوفي الجماعات الصغيرة، أو داخل المجتمع. في هذه الحالة يصبح تكييف نموذج الدوافع و الحاجات الإنسانية مدخلا مناسبا لتحديد هذه الأهمية التي تظهر في الإجابة الجامعة، نحن نتصل لتلبية حاجاتنا الإنسانية، وبالنسبة للفرد يعد الاتصال طبيعة و ضرورة، والفرد يدخل في العلاقات الاتصالية لأنه يرغب في بناء العلاقة ببيئته و بصفة خاصة البيئة الإنسانية المحيطة به. وهناك من يرى أن الاتصال هو طريق بناء العلاقات، فكل يوم نعتمد على قدرتنا في الحديث و الاستماع و الكتابة و القراءة، و ملاحظة الرموز و الإشارات، و بدون هذه القدرات نفقد كثيرا من إنسانيتنا. وفي إطار الدوافع و الحاجات الثانوية التي صاغها الخبراء يمكن عرض أهمية الاتصال بالنسبة للفرد في الآتي:4(عبد الحميد محمد،1997،ص22)

يهتم البناء الاجتماعي داخل الجماعة أو المجتمع بتحديد الدور الذي يؤديه كل فرد داخل هذا البناء. و هذا ما يجعل الفرد يشعر بتقديره لذاته داخل الجماعة أو المجتمع، وهو دور يفرض على الفرد القيام بوظائف متعددة تختلف فيما بينها من دور إلى آخر، و تحقق في النهاية التكامل الاجتماعي لارتباط وظيفة كل فرد و دوره بالآخرين ولا يمكن أن يؤدي هذه الوظائف التي يفرضها الدور الاجتماعي دون اتصال بالآخرين و نادرا ما نجد دورا اجتماعيا لا يفرض على الفرد هذا الاتصال. و بجانب ذلك فإن اتصال الفرد بمصادر المعلومات والمعرفة يدعم المكانة الاجتماعية التي ترتبط بهذا الدور.

نظرا إلى أن العزلة داخل المجتمع تجسد لدى الفرد الإحساس بالخوف فإن الاتصال بالآخرين يساعده على الاقتراب منهم و دعم الإحساس بالأمن و الطمأنينة الناتجة عن التماسك الاجتماعي الذي يعمل بدوره على دعم الاتصال بالآخرين و يعد مظهرا من مظاهر الاتصال و تعبيرا عن قوته و يتأكد الإحساس بالأمن داخل الجماعة بقيام علاقات اجتماعية ايجابية بين أفرادها تجعل الفرد يعرف الآخرين و يتبادل معهم الحاجات و الأفكار و الآراء بالاتصال المستمر في حياة الفرد اليومية

3- تظهر أهمية الاتصال للفرد في حاجته إلى المعلومات و المعارف الخاصة بالقضايا و الموضوعات اليومية التي تفيد الفرد في اتخاذ قراراته اليومية. وبالإضافة إلى ذلك تظهر الحاجة إلى الارتفاع

بمستوى المعارف والمهارات التي تنعكس على الأداء و الإنجاز اليومي و كذلك المعارف الثقافية التي تفيد في الخروج بأحكام صائبة في الموضوعات التي يتعرض لها الفرد في حياته اليومية. وتظهر أهمية الاتصال أيضا في حاجة الفرد إلى المعلومات والمعارف التي تدعم ما يتبناه من أفكار وقيم و معتقدات.

4- تظهر أهمية الاتصال للفرد في كونه العملية الأساسية التي يكتسب بها الفرد خصائص وسمات المجتمع الذي يعيش فيه و ينتمي إليه، و تدعم بالتالي انتماءه إلى هذا المجتمع، فالفرد يكتسب من الاتصال قيم المجتمع و معتقداته و ينقلها بالتالي إلى الآخرين في صورة أو أخرى، في إطار عمليات اجتماعية مثل التنشئة الاجتماعية. وعليه يتحقق التكيف الاجتماعي مع هذا المجتمع. والتوافق مع قيمه وعاداته و معتقداته و تبنيها.

5 – بجانب الأهمية التي يعكسها الدور الاجتماعي و المكانة الاجتماعية و الحاجة إلى الانتماء و التكيف الاجتماعي التي يعكسها الاتصال في ذلك، تظهر حاجة الفرد إلى تخفيف عبء الواقع اليومي و الهروب منه إلى واقع آخر يرسمه الآخرون في كتاباتهم وأعمالهم التي تعرض في وسائل الإعلام مثل الصحف و الراديو والتلفزيون و السينما و المسرح في إطار المحتوى الترفيهي الذي يساعده على ذلك ومنه يتم اتصال الفرد بهذه الوسائل لتحقيق هذه الوظيفة-التسلية و الترفيه-إلى جانب وظائف أخرى لهذه الوسائل في علاقتها بالفرد. وبالإضافة إلى الوظائف السابقة التي تعكس أهمية الاتصال للفرد ، فإن أدوارا أخرى للاتصال تعكس أهميته للمجتمع، منها :5(عبد الحميد محمد، 1997،ص ص 24،25)

يوفر الاتصال للأفراد والمجتمع ككل المعلومات الخاصة بالبيئة والأخطار المحيطة بها لتجنبها وحماية المجتمع من هذه الأخطار، مما ينعكس في دعم الاستقرار والأمن داخل المجتمع و بين أفراده.

يحقق الاتصال الترابط والتقارب بين أفراد المجتمع وعناصره، ودعم التفاعل بينهم، فيؤدي ذلك في النهاية إلى تحقيق التماسك الاجتماعي في مواجهة المواقف المختلفة.

يحقق الاتصال المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع، بنقل تراثه من جيل إلى آخر، وتعريف الأجيال الجديدة بهذا التراث الذي يعد أحد المحددات الأساسية للنظام الثقافي في المجتمع.

و على إثر ما تطرقنا إليه في أهمية الاتصال بالنسبة لكل من الفرد و المجتمع و الدور الذي يؤديه الاتصال لكليهما يمكن إسقاط ذلك على أهميته للأستاذ الجامعي (الباحث) كونه هو الفرد و أيضا على الجامعة الجزائرية كونها تمثل المجتمع الذي ينتمي إليه الأستاذ فهذا الأخير يشعر بانتمائه إلى جامعته وهذا ما يؤدي به إلى قيامه بدوره على أكمل وجه. ويعمل على الاحتكاك بالآخرين داخل الحيز الجامعي مما يدفعه إلى الشعور بالأمان والطمأنينة. زيادة على حاجته إلى اكتساب المعلومات والمعارف ما يضطره إلى أن يكون في حالة اتصال مع باقي أفراد المجتمع. أما فيما يخص الجامعة كونها تمثل المجتمع بالنسبة إلينا في دراستنا فإن الاتصال يزودها بكل المعلومات المتعلقة ببيئتها حتى تتمكن من حماية المجتمع والأفراد، كما أن الاتصال في الجامعة يخلق الترابط بين أفراد المجتمع وعناصره و بالتالي يكون

هذا المجتمع متماسكا اجتماعيا، زيادة على ذلك فهي تحافظ على الهوية الثقافية من خلال نشر تراثها و عاداتها و قيمها بين جملة الأساتذة و الباحثين.

2-الاتصال بين الجامعة والمحيط:

الجامعة في حاجة قوية إلى إقامة علاقة وطيدة مع المحيط للتعرف بنفسها على نوع الخدمات التي تقدمها له

وللتعرف على احتياجاته الفعلية الكمية والنوعية للإطارات لتقوم بتكوينهم، والتعرف على طبيعة المشكلات والقضايا البيئية والتنموية لدراستها وبحثها علميا لوصف الحلول العملية لها، كما أن المحيط في حاجة شديدة إلى هذه العلاقة الاتصالية مع الجامعة لمعرفة إمكانياتها و تخصصاتها البيداغوجية و العلمية للاستعانة بها في سد احتياجاته الوظيفية و العلمية، و بهذا يحدث التفاعل الإيجابي بين الطرفين ويكون التكامل بينهما لخدمة وتدعيم عملية التغيير والتنمية الاجتماعية الشاملة للمجتمع الجزائري وتفعيل ترشيد استغلال الإمكانيات الوطنية البشرية و المادية لإنجاح برامج التنمية وحل المشكلات الاجتماعية، و تحقيق التقدم في جميع المجالات و المرافق، فنجاح عملية البناء و تفعيلها لا يكونان إلا بالتفاعل والانسجام و التكامل بين الجامعة والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والخدمية، ولا يكونان إلا باستخدام المعرفة العلمية وتوظيف نتائج البحوث و الدراسات في تحسين تسيير أداء هذه المؤسسات، و استثمار الموارد و تطوير الإنتاج كمّا و نوعا. 6(بوجلال عبد الله،د ت، ص99)

أولا: طبيعة الاتصال بين الجامعة و المحيط :

الاتصال الجامعي مع المحيط " هو العملية التي تتفاعل بواسطتها الجامعة مع محيطها الاجتماعي و الثقافي و البيئي ضمن مضامين معرفية و علمية و اجتماعية و حضارية تتناسب مع متطلبات العصر و ضرورات المجتمع و طموحات أبنائه في التقدم و النمو السريعين "7(بوجلال عبد الله،د ت، ص105) ، ويتم هذا التفاعل عن طريق تعريف الجامعة بنفسها وإمكانياتها العلمية و البيداغوجية و الوظيفية، ونوع التخصصات المتوفرة فيها، و التعرف على أوضاع المحيط المعيشية و احتياجاته المتعددة لخدماتها، وتلبيتها في فترات زمنية معقولة مساهمة منها في حل الكثير من المشكلات الاجتماعية و الاقتصادية و البيئية عن طريق إجراء الدراسات والبحوث وتكوين الإطارات وتقديم الاستشارات والخبرات المعرفية والوظيفية إلى مؤسسات و قطاعات المحيط، و بهذا يحدث التكامل و الانسجام بين طرفي العملية الاتصالية في الاتصال الجامعي فالمحيط يعرف بنفسه و يتعرف على الجامعة ، ويبرز احتياجاته العلمية والاستشارية والوظيفية والجامعة تسد تلك الاحتياجات عن طريق التكوين المتخصص و إجراء البحوث، وهذا بدوره يؤدي إلى الإسراع بعملية التغيير الاجتماعي و رفع نسبة النمو الاقتصادي، الإنتاجي و الخدماتي، مما يؤدي إلى تطور المحيط و تقدمه و الارتقاء بمستوى التعليم الجامعي و البحوث العلمية الجامعية .

و التفاعل المقصود بين الجامعة والمحيط هو تبادل التأثيرات والاهتمامات المشتركة، والاستجابة الثنائية بينهما في المجالات والقضايا والموضوعات المشتركة، و عدم تجاهل كل طرف الآخر في هذه المجالات أو الانقطاع عنه.

و الاتصال الجامعي المقصود هنا هو "ذلك الاتصال القائم على الإعلام و الشرح و التفسير و التحليل و تقديم المعلومات و الحقائق و المواد المعرفية و يلتزم الصدق و الموضوعية، و يتجنب الدعاية السلبية والترويج التجاري البعيد عن الموضوعية و الحقائق العلمية"8(بوجلال عبد الله،د ت،ص106)، فالهدف الرئيسي من الاتصال الجامعي هو تكوين صورة إيجابية وحسنة لها سواء لدى الجمهور العام أو الجمهور الخاص و التركيز على الإيجابيات و هي كثيرة مع عدم تجاهل النقائص الموجودة، التي تعود أساسا إلى التأثيرات السلبية للمحيط، و نقص الإمكانيات المخصصة لها، وتجاهل المحيط وتهميشه لإطاراتها، وعدم إقباله على خدماتها العلمية والمعرفية، وهذا ما يخلق لها صعوبات كبيرة. و مما يضاعف من هذه الصعوبات التي تعاني منها الجامعة هو مطالباتها بتحقيق أعمال و إنجازات بيداغوجية و علمية نوعية دون توفير الإمكانيات البشرية و المادية اللازمة لذلك، و دون توفير الشروط المناسبة وظروف العمل لأساتذتها ولباحثيها، و هذا ما تسبب في هجرة أحسن الكفاءات العلمية إلى الخارج، وزاد في مشاكل الجامعة و عجزها عن تلبية احتياجات المحيط المتعددة و المتصاعدة نظريا لا واقعيا، إلى إطارات و بحوث علمية عالمية المستوى.

و الاتصال الجامعي هو فرع من الاتصال المؤسساتي، و من خصائصه أنه يعالج الأحداث و الظواهر و التطورات الجارية في الحياة الجامعية، و يتوجه أساسا إلى جمهور نوعي يتكون على الأقل من ثلاث فئات: أساتذة ، وطلبة، و عمال دون أن نغفل الجمهور العام، و يشكل همزة وصل بين الأسرة الجامعية و منبرا لطرح مختلف الانشغالات و الأفكار و الرؤى الكفيلة بتحقيق الأهداف التي ينتظرها المجتمع من جامعته، و فضاء فسيحا لنشر الدراسات و البحوث العلمية الجادة وفرصة ثمينة لتطوير الإنتاج العلمي الذي لا تستقيم دونه الجامعة، و ميدانا خصبا للتحصيل التربوي. ويتميز عن غيره من الاتصال المتخصص بارتفاع المستوى التعليمي لجمهوره، بمعنى أنه اتصال نخبوي كما يتميز موضوعه بطابعه البيداغوجي والتنظيم الجامعي والبحث العلمي، ولأجل ذلك فهو يتصدر قائمة الاهتمامات عند الحديث عن الإصلاح الجامعي.

وعليه فإن الأبعاد الإستراتجية للاتصال في الجامعة تتضمن عدة أهداف نذكر منها:

- العمل على تبليغ رسالة الجامعة وإيصالها للجميع.
- تشكيل صورة حقيقية عن الجامعة، ودورها في التنمية الوطنية والرقي والتقدم الحضاري.
- المساهمة في ترشيد استغلال الموارد الجامعية بشكل عقلاني.

- توفير الفرص للتحصيل البيداغوجي والمعرفي.

- تدعيم الانسجام بين البنيات القائمة، والمشاريع المرتقبة.

- تنمية المهارات وروح الابتكار العلمي في الوسط الجامعي.

و يتبين مما سبق أنه لتحقيق سياسة اتصال فاعلة بين الجامعة و محيطها يجب السعي إلى تنمية روح احترام الآخر داخل الوسط الجامعي و فهمه فهما صحيحا، وهذه السياسة ينبغي أن تحتوي ضمن مفهومها العام على عدة عوامل، فمهمة الاتصال تكمن دون شك في إبراز الطاقات و الإمكانات العلمية و الفكرية للأسرة الجامعية وقدرتها على الإبداع و الابتكار و قيادة عملية التنمية الوطنية وحضورها الفاعل للتصدي للأزمات و التحديات الناجمة عن انتشار ظاهرة العولمة، واقتصاد السوق ،والتفكك الأسري...الخ

ثانيا- عوامل إقامة الاتصال بين الجامعة والمحيط وشروطه:

1-الشروط و العوامل المتعلقة بالجامعة: 9(**بوجلال عبد الله،د ت،ص**111)

- يجب إحداث تغيير في أساليب تقويم عملية التكوين وطرقها، والتخلي عن الأساليب التقليدية الموروثة التي تركز على الحفظ واسترجاع المقررات الدراسية في الامتحانات والاهتمام بمناهج الإجابة عن الأسئلة باستخدام العقل بدل التذكر والحفظ.

- ينبغي تغيير معايير النجاح والتشدد فيها وعدم التساهل في الانتقال من سنة إلى أخرى، والحرص على حضور الطلبة للدروس التطبيقية والنظرية وإلغاء النصوص القانونية المعمول بها حاليا، وهي نصوص تشجع الطلبة على الكسل والتغيب عن الدروس واستبدالها بأخرى مناسبة.

- منع كل السلوكيات و الإجراءات و الظواهر السلبية التي تعرقل السير الحسن للدروس مثل : غلق المؤسسات الجامعية والإضرابات العشوائية التي يتبعها الطلبة و العمال و الموظفون بالجامعة، سواء كانت لأسباب معقولة أو غيرها، كما هو شائع في جامعاتنا التي تشهد هذه الظواهر المرضية خلال معظم شهور السنة الجامعية، مما أدى إلى خلق جو من عدم الاستقرار و أوجد أوضاعا سيئة للغاية لا تليق بالجامعة على أنها مؤسسة للتكوين و البحث و التفكير العلمي الهادئ البعيد عن المشاحنات و العصبيات و الصدامات و الصراعات مهما كان لونها أو اتجاهها.

ربط محتوى البرامج والبحوث العلمية باحتياجات المحيط الوطني دون إهمال مراعاة مسايرتها البرامج والبحوث الجامعية الدولية في منهجها ومحتواها ووسائلها ونتائجها.

إيجاد حوافز مادية ومعنوية للأستاذة والباحثين وللطلبة المتفوقين مما يحفز هؤلاء وأولئك على مواصلة الجد والاجتهاد، وبالتالي الارتقاء بمستوى التكوين و البحث الجامعيين و تشجيع عودة الأستاذة والباحثين المتواجدين في الخارج حاليا.

2-**الشروط و العوامل المتعلقة بالمحيط:** 10(**بوجلال عبد الله،د ت،ص**116)

طغيان العامل المادي و التجاري الطفيلي عليه، و احتقاره للعلم و العمل المنتج بنوعيه المعرفي و المادي لاسيما و أن الجامعة فضاء تربوي و علمي يشجع على استخدام العقل و المعرفة العلمية.

من الشائع في خطاب المحيط و الجامعة معا ترديد عبارة "ضرورة إقامة علاقات تعاون و تكامل بينهما" لتطوير الجامعة و ترقية المحيط و تلبية احتياجاته للإطارات و حل معضلاته المعقدة بواسطة الأساليب و الخبرات العلمية. لكن هذا الخطاب الإيجابي لم يترجم في الواقع، و لم يحدث هذا الاتصال المنشود بين الجامعة و المحيط، و لم تحدث هذه العلاقة الإيجابية بين الطرفين، باستثناء بعض الحالات الحتمية وظيفيا و ليس علميا، و يرجع السبب الرئيسي في ذلك إلى انعدام الثقة و المصداقية لدى الطرفين.

إن الأوضاع السلبية و الظواهر المفزعة المعاشة في المحيط و الجامعة معا انعكست في محتوى وسائل الإعلام الوطنية و في التقارير و الدراسات و البحوث العلمية الوطنية و الدولية دون معالجتها بجدية.

توجد ظاهرة شائعة منذ الاستقلال الوطني في معظم مؤسسات و تنظيمات المحيط و هي تجاهل الجامعة و الخبرات الجزائرية و اللجوء إلى إقامة علاقات اتصالية و علمية مع الجامعات و مراكز الخبرات العلمية و الاستشارية الأجنبية للتكفل بدراسة المشكلات و توصيف الحلول لها.

المحور الثاني:التنمية المستدامة والجامعة الجزائرية

1-الجامعة و تكنولوجيا الاتصال:

يفهم من تكنولوجيا الاتصال، استخدام تكنولوجيا المعلومات، و الاتصالات مثل شبكات ربط الاتصالات الخارجية، و مواقع الإنترنت، و الإنترانت، و الإكسترانت و نظم الحاسب الآلي الشبكية المختلفة. إذ إن اعتماد الجامعة على هذه الوسائط قاد إلى تغييرات دراماتيكية حقا في الكثير من السياقات التقليدية للمهام الجامعية، و تمثل ذلك في إعادة ابتكار الأنشطة البحثية و التدريسية بواسطة طرق جديدة أتاحها إدماج المعلومات و تكاملها في مواقع إلكترونية يمكن المشاركة فيها و اقتناؤها . من جهة أخرى بات ممكنا في ظل اتباع تلك الطرائق إدخال تغيرات جذرية في طبيعة إدارة شؤون الجامعة و رسم مسارات علاقاتها بجميع الأطراف يتقدمهم زبائنها. و هم الطلبة بطريقة تقلص من الروتين و جمود التعليمات و النظم التعليمية.11(محجوب فيصل بسمان2003،ص10)

إن الانتشار الواسع لما تقدم من تغييرات يمكن أن يحسم الكثير من مشكلات الجامعات في البلدان النامية و منها جامعاتنا العربية ، و تتقدم ذلك آليات الارتقاء بالأداء العلمي للجامعة ،سواء كان ذلك في مسارات البحث العلمي والتأليف و النشر أم في الارتقاء بالتدريس إلى مستوى معطياته على النطاق العالمي و برغم أن ما تقدم-من مظاهر و مضامين – يبدو إيجابيا و لكنه جاء بتحديات و متطلبات جديدة تتصل باتفاقيات الملكية الفكرية و الخصوصية و الضمان و شبكات المعلومات و المنافسة .

وبعد ... ما الذي نتوقع حدوثه في ظل دخول تكنولوجيا الاتصال من أوسع الأبواب إلى أروقة جامعتنا العربية.....؟ إن ما نتوقع حدوثه بهذا الصدد هو الآتي:12(محجوب فيصل بسمان، 2003،ص10)

-إمكانية إحداث تحولات جذرية في الإجراءات الخاصة بالنظم الجامعية ، و منها نظم القبول و الامتحانات و التسجيل.

-توفير الخدمات الجامعية للمستفيدين منها بطريقة سريعة و بتكلفة أقل .

-إعادة تنظيم مسارات الإدارة الجامعية (جامعة، وكليات، وأقسام).

-دمج قواعد المعلومات و تكاملها في الجامعة الواحدة أو مجموعة من الجامعات على المستوى الوطني وربما الإقليمي.

- إتاحة خدمات جديدة للأطراف المتعاملة مع الجامعة، و في مقدمتهم الطلبة.

- انخفاض تكلفة الخدمات الجامعية .و ربما تكلفة التعليم الجامعي ذاته، ومنها: الحصول على المحاضرات، و المصادر، ونقل الدروس عبر شبكة الاتصال بين قطاع التدريس و الطلاب.

- توفير المعلومات اللازمة لتطوير السياسات التعليمية، وتحديد الأولويات والتوجهات الاستراتيجية للجامعة.

إن ما تعرضنا له من آراء قد انطلق من معطيات استخدامات نظم المعلومات الإلكترونية في قطاعات خدمية مختلفة في العالم وبالتالي فإن حصاد فوائد الاستثمار في استخدام التقنيات الحديثة، ينطلق بالأساس من توافر إرادة و تصميم أكيدين لدى الإدارات الجامعية لإيجاد التزام حقيقي باستخدام تلك التقنيات . و لكي ننتقل من موقع الوصف و التمني ، وجدنا من المناسب أن نعرض تصورنا على مراحل و آليات التحول إلى جامعة إلكترونية ترتكز على أرضية صلبة مدعمة بتكنولوجيا الاتصالات.

وتكمن مراحل التحول إلى جامعة رقمية فيما يلي: إن إقامة مجتمع يعتمد على المعرفة و المعلومات يعد هدفا كليا تسعى إليه الحكومات بجهودها، وهي جهود تتبنى استراتيجيات تطوير شاملة عندما تجد في هذا المسعى خيارا وطنيا يتيح لها أفضل الفرص لاستثمار معطيات الاتجاهات العالمية بما يحقق مصالحها المشروعة . وإن البداية المبكرة للدول النامية في جهود تأهيل نظمها العاملة وفق ما باتت عليه النظم المناظرة في العالم –تعد أمرا لا يقبل التردد، إلا على حساب تخلفها و ما ستواجه من مشكلات و مصاعب يصعب إيجاد حلولها لاحقا فضلا عن التكلفة الإضافية التي تتحملها في سعيها لمعالجة الفجوات المتسعة هندسيا بين آليات عمل نظمها وما يقابلها في العالم.

بناء على ما تقدم، فالجامعات بموجب ما تعرضنا له، هي الحلقة الواقعة على خط التماس الأول من المنهج الرقمي بصفتها الموقع العلمي المتقدم في مجتمعاتنا ويصعب تبرير تعاملها مع "الرقميات" و استيعاب مضامينها، ومن تم فهي الأكثر قدرة على استخدامها في تشغيل آليات نظمها التعليمية والبحثية

والإدارية، فالتحدي الذي تواجهه جامعاتنا العربية عند الانخراط في حركة الرقميات لا يحسمه قرار تتخذه إدارتها وتعبر من خلاله عن رغبتها، إذ أن هذا الخيار يتطلب تفكيرا استراتيجيا يقود إلى صياغة استراتيجية التحول إلى جامعة رقمية لتحقيق ذلك ينبغي اعتماد المراحل أو الخطوات التالية: 13(محجوب فيصل بسمان2003،ص13)

توفير رؤية رقمية: تتضمن هذه المرحلة تكوين صورة متكاملة، وتقييما دقيقا وشاملا للواقع، من حيث توافر تكنولوجيا الاتصالات و المعلوماتية والبنى التحتية المناسبة، إلى جانب الموارد البشرية القادرة على التعامل مع هذه المعطيات، في ظل الحاجات الحالية والمستقبلية للنظم الرقمية حجما ونوعا.

توفير الدعم الإداري والمالي: لا بد من توفير الدعم الإداري والمالي بما يساعد على اقتناء التسهيلات اللازمة للدخول إلى الرقمية وتأهيل النظم العاملة والعاملين للتعامل الإلكتروني وبذل جهود مثابرة من قبل الجامعات لخلق حث مناسب لدى جميع الأطراف المعنية، لإسناد مهامها من خلال عملية مشاركة فعالة، ويعد الدعم الحكومي مهما في هذا الاتجاه.

اختيار خط الشروع ونقطة البداية: إن الرقمية ليست صاعقة تنزل من السماء مرة واحدة لذا فإن التصور المنهجي في النظرة إلى خطوات ومراحل التطبيق تتطلب قدرا واسعا من الإلمام بآليات العمل المنتظم واختيار خط الشروع المناسب لتحقيق انتقالات هادئة ومتزنة ومحسوبة وفق معايير ضابطة، مضمونها دراسة الجدوى لكل قرار نحو الرقمية يأخذ في الاعتبار تكلفة التنفيذ ووقته ومدى توفر متطلباته، إلى جانب تحديد الحاجة إلى نتائجه على أنها عناصر أولية تؤخذ في الاعتبار عند المقارنة مع خبرات رقمية أخرى.

وهكذا فإن الإدارة الجامعية معنية بالتفكير في تكوين " إدارة طوارئ " تأخذ على عاتقها مهام تنفيذ مراحل استراتيجيتها، وتهتم بدعمها بمتطلبات مادية وفنية وبشرية مناسبة وعلى هذه الإدارة اعتماد المؤشرات الآتية:

اعتماد حزم برمجية وتطبيقات مستخدمة ومجربة وثبتت مصداقيتها.

تبني خطة إقامة وتطوير بنية تحتية مناسبة ومرنة.

الأخذ في الاعتبار تنويع مصادر قواعد البيانات، ومدى قدرة المستخدمين. في الوصول إليها بطرق مختلفة، مثل استخدام الحاسب الآلي أو تسلم الرسائل إلكترونيا وبعثها، سواء عن طريق الهاتف المحمول أو التلفزيون المرقم وربط الشبكات بمراكز الهاتف.

الاهتمام باللجوء إلى الشركات وبيوت الخبرة المجربة و الحذر من المشكلات التي تثيرها الرغبات المفرطة لبعض الشركات في تقديم وعود وهمية من أجل الحصول على العقود واحتكار الأعمال.

الاهتمام باختيار نظم غير معقدة لا تحتاج إلى إعادة هيكلة جذرية للنظم القائمة كي تكون ميدانا لتطبيق الرقميات لتكون مرحلة أولية يتم بعدها الانتقال التدريجي إلى نظم أخرى وتطوير وظائف النظم التي حرصت الإدارة على تحويلها وزيادة فاعلية استخدامها.

-الاهتمام بتوفير التسهيلات القادرة على استيعاب كميات مناسبة من العمليات و بدرجة توافق أكيدة بين الأنظمة.

ضف إلى ذلك أن الجامعات عموما وهي تتصدى لتنفيذ استراتيجيات التحول إلى جامعات إلكترونية- عليها أن تأخذ في الاعتبار أن مهمتها إن كانت لها بداية فهي ليست ذات نهاية محددة وبالتالي فصفتها الأساسية الاستمرار و خاصة إذا ما أخذنا بالاعتبار متطلبات معالجة الفجوة بين ما هي عليه وما جرى تحقيقه في الإنجازات السابقة للرقميات عالميا، لاسيما و أن التمسك بالدعوة إلى الرقمية في العمل الجامعي ينطلق من حقيقة مفادها أن مشكلتنا اليوم لا تشير إلى وجود نقص في المعرفة أو المعلومات بل هي الزيادة المفرطة فيهما فضلا عن وجود تغيير في بنيتهما يصاحبه تغيير في البنية المجتمعية ولعل الجامعة تبدو محاصرة بتحديات مختلفة فرضتها عليها خصائصها العلمية والمهنية، لتكون بين خيارين فإما أن تمضي مع التغيير لتجتاز أطرها التقليدية، من كونها منظمة تعنى بالبحث العلمي والتعليم، في ظل قوالب بيروقراطية جامدة هدفها الترقية والسمعة والشهادة التي تتيح لحامليها الانخراط في سوق العمل. أو أن تأخذ دورها كي تكون أداة فاعلة في استيعاب التغييرات عالية التقنية، إلى جانب الإبداع المعرفي، وتكون بذلك مسؤولة عن التقدم العلمي والحضاري لمجتمعاتها.

وعلى أثر ذلك فإن التحول من الهيكلة التقليدية للجامعة التي تعتمد على فعاليات الأداء البشري إلى هيكلة شاملة التشكيل تعتمد على التقنية التي تيسر الأداء وتقتصد في الوقت و الجهد و المال-أصبح أمرا مفروضا لا مناص منه. والتحول في القوى البشرية من حفظة المعارف، منفذين للوائح فقط، إلى مدعين في إطار المعلوماتية، مطورين في إطار الثقافة العلمية أصبح أمرا وجوبيا، فضلا على أن التحول في الوعي الاجتماعي من ثقافة التملك إلى ثقافة الشيوع والجمعية، قد أصبح كذلك أمرا لا مفر منه في إطار السماوات المفتوحة والاتصالات متسارعة الإيقاع. 14(محجوب فيصل بسمان،2003،ص20)

على اعتبار أن الجامعة من أهم أقطاب المجتمع فهي تعمل على دفع عجلات التنمية في جميع القطاعات عن طريق مواكبة كل التطورات التكنولوجية الحاصلة في العالم مركزة في ذلك على العنصر الأساسي في الجامعة الجزائرية ألا وهو الأستاذ أو الباحث فتسعى جاهدة إلى إقامة علاقة اتصالية ناجحة معه كونه مفتاح الاستثمار في التنمية والارتقاء بالجامعة الجزائرية إلى أحسن ما يكون، بالإضافة إلى ذلك يجب بناء اتصال أساسه النوعية والمهارة والإبداع والمسؤولية مركزة بذلك على الاستدامة في تنمية البحث العلمي وعلى إثر كل هذه المعطيات يمكننا القول بأن الاتصال الجامعي يؤدي دورا فعالا ومهما ويعد من أكبر دوافع التنمية المستدامة في الجامعة .

2-آلية التفاعل بين تطوير الجامعات والتحول التكنولوجي:

تعد الجامعة المسؤولة بصورة مباشرة عن عمليتي المبادرة والتطوير في ثلاثة محاور مترابطة: التعليم العالي، والبحث العلمي، والثقافة العامة. فهي تتولى إعداد الكوادر المتوسطة والعليا للمساهمة الفعالة في الإنتاجين (السلعي والخدمي) وتعد الأبحاث والاستقصاءات العلمية في مختلف مجالات الحياة وتعمل عل تعميق الثقافة الإنسانية بما يزيد الوعي الاجتماعي ويعظم الإنماء إلى المسار الحضاري الراهن. ولذلك يجب على الجامعة أن تعتمد العلوم والمعلومات المتاحة في مناهجها التعليمية. وتطبق هذه العلوم في أبحاثها المخططة ثم تطور النتائج العلمية المستخلصة لتضاف إلى المنجزات الحضارية المتحققة. إن هذه الدورة – إن تحققت بشكل كفؤ – كفيلة بتطوير التكنولوجيا وتوسيع أبعادها الموقعية ويعود ذلك إلى أنها تتناول بعدين رئيسيين هما: 15(هوشيار معروف،2006،ص309)

وسيلة الإنتاج التي تمثل الجانب المركزي للتصنيع والعمل على مكننة الوظائف المختلفة.

طريقة الإنتاج وهي تمثل الجانب الثانوي الذي يتعلق بالفكر الإنساني وعقلانية الأنماط السلوكية وعلاقاتها الإنتاجية.

ويرتبط الأسلوب بالجهاز في تفاعل ديناميكي ضمن العمليات الإنتاجية المتباينة وبالتأكيد يتوقف الأسلوب على الجانب العلمي والجهاز على الجانب التطبيقي، وهو ما يؤدي إلى تمخض العلاقة الجدلية بين الأسلوب و الجهاز– و في إطار متفاعل-عن تطوير الجانبين فإذا طور الأسلوب – بما يحمله من معلومات محددة- الجهاز فإن الجهاز المتطور من جانب آخر يهيئ ظروفا فعالة لمد الأسلوب بعلوم جديدة. وهنا بدأ ارتباط توطين التكنولوجيا بمواقع الكليات والجامعات والمعاهد ومراكز استيطان الخريجين.

إن التكنولوجيا تتجه نحو مناطق التعليم وحيث تتمركز أسواق المبتكرين من ذوى المؤهلات الأكاديمية العالية وتقاوم ضغوط الانتشار بالاستيعاب الواعي للتكنولوجيا. ولا شك أن هذا الاتجاه سيكون عنصرا جوهريا في تفاعل البيئة الإنتاجية مع النشاط الأكاديمي وذلك من خلال توفير مستلزمات هذا النشاط من أجهزة وموارد وأدوات بالإضافة إلى المكتبات والمختبرات والحاسبات...الخ.

وكل ذلك سيساعد بدوره على إدخال تغيرات جوهرية في النظام العام وفي مواقع حساسة للاستيعاب والنشر في آن واحد، كما أن التطورات الجامعية السابقة مع الاتجاهات التكنولوجية الأخيرة ستعملان في مسار متفاعل لتغذية الابتكارات وتفتيت الاختناقات و بالتالي مد قنوات النشر التكنولوجي ضمن شبكة معقدة من البنُيان الإنتاجي والنشاط الجامعي. وكلما تكاملت حلقات هذه الشبكة أصبح بمقدور البلد الآخذ في النمو إخضاع مراحل اختيار التكنولوجيا ونقلها وتعديلها وتطوير القرارات الوطنية أو

الإقليمية. ويتبين هذا الوضع الديناميكي المتفاعل بين تطور الجامعات وتحول التكنولوجيا في تشابك الآثار المترتبة عليهما. ففيما يخص الجامعات أنها: 16(هوشيار معروف، 2006،ص310)

1-تجهز الوحدات الاقتصادية والاجتماعية بمفاهيم وخبرات وتوقعات جديدة باستمرار.

2-تقدم للمجتمع أفرادا من ذوي المؤهلات التكنولوجية المتوسطة والعالية.

3-تستمد القوانين والنظريات باتباع أفضل الأساليب التي تجمع المناهج الاستنباطية والاستقرائية.

4- تقترح مسارات تخطيطية لتطور التكنولوجيا وذلك بالاعتماد على القدرات الذاتية في تحليل المعلومات والمساهمة العلمية المباشرة في كافة مراحل نقل الأساليب والوسائل المتاحة وتعديلها وتطويرها. ومن جانب آخر تعمل التكنولوجيات المتجددة على:

تجهيز الجامعات بكافة الوسائل المتقدمة مما يسهم في رفع كفاءتها الإنتاجية.

جذب أصحاب المؤهلات والخبرات التكنولوجية من الذين يجتمع فيهم جانبا الخلفية العلمية (الأكاديمية) والتطبيقات التكنولوجية (الآلية).

زيادة الحاجة إلى إعادة تدريب العاملين وتطويرهم علميا باستمرار وهذا ما يمكن تحقيقه من الجامعات بالشكل المطلوب.

إعادة تقييم أداء العناصر الإنتاجية وإعادة تقييم جدوى الوحدات الإنتاجية وكل ذلك وبكافة عناصر التشابك بين تطوير الجامعات والتحول التكنولوجي.

3-أهمية استخدام تكنولوجيا التعليم في التدريس الجامعي الجزائري :

إن قناعة مدرسي الجامعات باستخدام تكنولوجيا التعليم، وتشكيل اتجاهات إيجابية نحو استخدامها في التدريس الجامعي لا يمكن أن يأتي إلا بعد اقتناع من قبل المدرسين أنفسهم بأهميتها في الميدان التربوي، وتجمع المصادر المتعلقة بهذا الموضوع على فكرة مؤداها أن استخدام التكنولوجيا في التعليم من شأنه أن يؤدي إلى تحسين التدريس وزيادة فاعليته، ويتم ذلك بالنظر إلى التقنيات التعليمية سواء من منظورها الضيق أي بصفتها وسائل تعليمية. وتكنولوجيا التعليم بأجهزتها وأدواتها الحديثة أو وسائلها القديمة، إذا ما أحسن استخدامها يمكن أن تسهم فيما يلي:17(الطائي حجيم يوسف وآخرون،2008،ص142)

1- تحرير المدرس الجامعي من الأعمال الروتينية، ومنها: الأعمال المتعلقة بالتلقين والتصحيح ورصد العلامات مما يمنحه الفرصة للتفرغ لمساعدة الطلبة على تعلم التفكير والمساهمة في التخطيط لنشاطاتهم وغير ذلك من الأعمال الإشرافية.

2- تعزيز التفاعل الصفي، والتحفيز على زيادة المشاركة الإيجابية للطلاب، ويتم ذلك عن طريق التنوع في استخدام الوسائل التقنية وتنويع أساليب التدريس، وتجنب أسلوب التلقين.

3- استثارة اهتمام الطلبة وإشباع حاجاتهم للتعليم وتنشيط دافعيتهم ورغباتهم الذاتية في الاستزادة من المعرفة، مما يسهل مهمة المدرس الجامعي، ويساعده في تهيئة الفرص والمواقف المناسبة لإحداث التعلم.

4 - اختصار وقت المدرس وجهده داخل قاعة التدريس، ففي عرض وسيلة تعليمية بصرية مناسبة إراحة للمدرس من الشرح الطويل، والتخفيف من الوقوع في اللفظية المجردة.

5- تشجيع المدرس على تبني مواقف تربوية تجديدية تبعده عن الجمود والتقليدية وتقربه من روح العصر ومسايرة التطور العلمي التكنولوجي.

وتجمع التقارير العالمية على ضرورة أن يكون لكل إنسان قدر من الثقافة العلمية والتكنولوجية يسمح له بفهم المجتمع الدائم التطور الذي يعيش فيه، ويذهب بعضها إلى أن تدريس التكنولوجيا ينبغي أن يصبح جزءا لا يتجزأ من المناهج الدراسية على جميع مستويات التعليم وأن يكيف محتواه أي المعارف والمهارات العلمية وطرق التفكير التي يمكن اكتسابها بحيث يصبح أكثر انسجاما مع احتياجات كل مجتمع.18(الدحلة عبد الرؤوف فيصل،د ت،ص62)

ومن ذلك نجد أن التكنولوجيا في التعليم الجامعي تسهم في التنمية البشرية عن طريق تقوية العلاقة والاتصال الفعال بين كل من الطالب والأستاذ من جهة وإدارة الجامعة من جهة أخرى بالإضافة إلى نقل الجامعة إلى المحيط الخارجي، وهو ما يسهم في خلق تنمية مستدامة داخلها؛ وبالتالي انتقالها إلى المحيط الخارجي والعمل على مواكبة التطورات الحاصلة في العالم على جميع الأصعدة وفي شتى المجالات، وهذا بواسطة ما تقدمه لنا البحوث العلمية من خدمة للجامعة والبيئة المحيطة.

المحور الثالث:الاتصال والتنمية المستدامة للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية

1-التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس وتحقيق وظائف الجامعة:

تعد الجامعات من أكثر المؤسسات الاجتماعية والثقافية والعلمية أهمية فهي بمثابة شبكة من التنظيمات المعقدة التي تتغير بصفة مستمرة عن طريق التفاعل مع البيئة الخارجية في سبيل المحافظة عليها، وانقاذها وقيادة التغيير في المجتمع إذ يحتضن التعليم الجامعي عادة في إطار هيئة التدريس أكبر مجموعة من أبناء المجتمع ذات التأهيل العالي، والتخصص المتميز، والخبرة العميقة في جميع المجالات، أي أنه يحتوي على معظم القيادات الفكرية العليا في المجتمع.

وقد حددت رابطة التربية الوطنية الأمريكية أهداف التعليم الجامعي بأنها الوسيلة التي يمكن عن طريقها إعداد الأفراد الأكفاء، ونقل التراث الثقافي وتوسيع أبعاد المعرفة الإنسانية عن طريق البحث العلمي، والعمل على تحويل العلوم المكتشفة إلى وسائل وتقنيات تسهم في حياة أفضل.

وتختلف الجامعات في قدر التزامها بهذه الوظائف حيث تُغَلّبُ بعض الجامعات وظائف على أخرى، فهناك جامعات تركز على خدمة المجتمع وجامعات تهتم بالتدريس أكثر من غيره، وجامعات للبحث العلمي، وان كان ذلك لا يعني إهمال الوظائف الأخرى.

وعضو هيئة التدريس سواء أكان في الجامعة التي تركز على الوظائف الثلاث أو على وظيفة واحدة يعمل في ظل مجموعة من الأهداف التي وضعتها الجامعة لنفسها ولذلك يعد محور العملية التي تحقق أهداف الجامعة ومن هنا يلقى موضوع اختياره وتنميته مهنيا العناية في مؤسسات التعليم الجامعي بما يسهل لها تحقيق وظائفها . ونقدم فيما يلي عرضا لوظائف هيئة التدريس الثلاث:19(حداد محمد بشير، 2004،ص48)

التدريس: ويقصد من هذا المصطلح: العملية المنظمة المعتمدة التي يتم فيها تعليم الطلاب خبرة ما بما تتضمنه من تقديم للمعارف والمعلومات بقصد تنمية الطلاب فكريا وثقافيا واجتماعيا، إنه فن إيجاد بيئة تعليمية مع الإبقاء عليها وإحداث الأنشطة التي تؤدي إلى تطوير العقل تطويرا صحيحا والمدرس هو أحد معالم هذه البيئة يمنحها الطاقة، ويمدها بأحكامه بواسطة طرق مختلفة في مواقف متعددة ليزيدها نموا واستقامة، فهو يتوجه نحو طلابه بالجدية ليزيد من ثروتهم المعرفية وينمي مهاراتهم العلمية، وبما أن الطرق المستخدمة غالبا في الوقت الحالي في التدريس التي يستطيع عضو هيئة التدريس أن يختار منها ما يناسب الموقف التعليمي الذي بصدده، ولذا لابد له أن يتدرب على الطرائق والاستراتجيات المختلفة ليستخدم الطريقة المناسبة للموقف التعليمي، وهذا يقتضي اعتماد مبدأ التخطيط للتدريس وتنوع الخبرات التعليمية ليتمكن من اختيار الأسلوب الذي يمكنه من تحقيق الأهداف التي خطط لها .

ب- البحث العلمي: تعد الجامعات بحكم الوظائف التي تسعى لتحقيقها هي المسؤولة عن إجراء البحوث والقيام بالدراسات في جميع مجالات المعرفة حتى يتم التغيير نحو الأفضل بتوظيف نتائج هذه البحوث والدراسات في معالجة مشاكل المجتمع وقضاياه، والمحافظة على المعرفة وتنميتها وتقدمها ونقلها وتبني الطاقات المبدعة، وهنا تعمل الجامعة على تنمية الاتجاهات الإيجابية لدى أساتذتها نحو الاهتمام بالبحوث العلمية وتقدمها بتوفير المناخ العلمي للبحث وما يستلزم من معدات وأجهزة وكتب ومراجع وغيرها من المصادر العلمية وتنفيذ برامج تنمية تحفز أعضاء هيئة التدريس على تحقيق وظيفتها في البحث والتمكن من مهاراته والتجديد فيه وبدون هذا لا تستطيع الجامعات تحقيق وظيفتها في البحث العلمي المتميز وكذلك المحافظة على تميزها عن مراحل التعليم لأخرى كما لابد أن تعمل

الجامعة على توثيق علاقتها بمؤسسات المجتمع الأخرى خاصة التي يمكنها أن تسهم في نفقات البحث العلمي، وتفيد من نتائجه؛ وذلك للمساهمة في حل مشكلة تمويل البرامج التنموية المهنية لأعضاء هيئة التدريس وتمويل البحث العلمي فيها.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن العلاقة بين وظائف الجامعة الثلاث هي علاقة ترابط وتكامل رغم تعددها يؤديها عضو هيئة التدريس الجامعي بشكل متكامل بشرط أن يخطط لذلك تخطيطا صحيحا، وأن تقدم له الجامعة ما يمكنه من تحقيقه، فهو ينمي المعرفة التي يحتاجها في التدريس، ويجد المشكلات التي تستحق البحث والدراسة في مؤسسات المجتمع المختلفة، ويقترح الحلول لها، وبهذا يخدم التدريس والمجتمع بنتائج أبحاثه.

ج- خدمة المجتمع: إن النمو المعرفي الذي تقدمه الجامعة لطلابها لابد أن يجد طريقه إلى المجتمع مساهمة منها في نشر المعرفة وحل المشكلات وذلك كونها مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لخدمة أغراضه. والخدمة بين المجتمع والجامعة تبادلية فهي تؤثر عن طريق ما تقوم به من وظائف ومهام وتتأثر بما يحيط بها من مناخات تفرضها أوضاع المجتمع أو حركته، وهذه العلاقة تدفع الجامعة إلى إحداث تغييرات في البنية والوظائف والبرامج والبحوث تتناسب مع المتغيرات التي تحدث في المجتمع وبقدر ما تلتحم الجامعة بمجتمعها تكون أقدر على تحقيق وظائفها وتفرض هذه الصلة أن يصبح الهدف الأول للتعليم الجامعي هو تطوير المجتمع والنهوض به إلى أفضل المستويات الاجتماعية والثقافية والصحية والتقنية والاقتصادية.

2-ضرورة الالتحام بين الجامعة الجزائرية ومجتمعاتها المحلية:

لا شك أن الجامعة، بحكم إمكاناتها البشرية والمادية والفنية، قادرة على الانخراط في جوف الحياة الاجتماعية في المجتمع وتطويرها وتحديثها وازدهارها والعمل على رقيها وتقدمها وحل ما يجابهها من مشكلات وأزمات وصراعات. فالجامعة مجتمع متكامل من الخبرات في شتى العلوم والفنون والآداب، مجتمع من أصحاب الخبرات العلمية والتقنية والفكرية والإدارية بما يمكنها من القيام بدورها المنشود في الارتقاء بالحياة في مجتمعنا المعاصر. والإسهام الفعال في معركة التنمية الشاملة ولذلك لم يعد مقبولا أن تبقى الجامعات أبراجا عاجية بعيدة ومنعزلة عن معترك الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية في المجتمع، ولا يمكن أن تقف موقف المتفرج أمام ما يعج به المجتمع من مشكلات، أفرزتها الحياة الحديثة والظروف العالمية والإقليمية والمحلية الجديدة، بل لا يمكن أن تقف الجامعة مكتوفة الأيدي أمام طموحات المجتمع وتطلعاته إلى غد أفضل والدخول مسلحا بالعلم والإيمان والقدرات إلى القرن الحادي والعشرين.

إن العالم من حولنا يتغير، ويسرع الخطى في تغيره وتقدمه وبذلك لا بد وأن يستفيد المجتمع بمختلف قطاعاته، مما يوجد بالجامعة من العلماء والخبراء والأساتذة والباحثين في شتى مجالات الحياة

العصرية، ولا بد أن تفتح الجامعة صدرها وعقلها وقلبها وورشها ومعالمها ومختبراتها وساحاتها إلى أبناء البيئة المحلية لينهلوا منها ما يشاءون ولتصبح الجامعة بحق مشعلا حضاريا وثقافيا ودعامة في حركة التنوير والتحضر والتمدين والارتقاء في البقعة التي توجد بها.20(العيسوي عبد الرحمن محمد، 2006،ص73)

ومعظم الجامعات العربية لا تولي جهدا في سبيل الالتحام بالمجتمع والتواصل معه، فرجالها وعلماؤها وباحثوها ينخرطون في كثير من المؤسسات والشركات والمصانع ووحدات الإنتاج وفي الوزارات والهيئات والمصالح والمستشفيات يعملون خبراء ومستشارين وباحثين وأعضاء ورؤساء في هذه المؤسسات.

ويقدم رجال الجامعات خدماتهم للمؤسسات وللأفراد عل حد السواء، فكبار الأساتذة يعالجون المرضى وكبار المهندسين يصممون الأبنية، وكبار المحامين يترافعون أمام المحاكم في القضايا الكبرى، فالجامعة مصدر خير وتنوير وإشعاع فكري وثقافي وحضاري وعمراني وإنمائي للمنطقة التي توجد فيها، وبحكم تنوع خبرات علمائها، فإنها قادرة على الإسهام، في جميع مجالات الحياة العصرية التي لا بد لها وأن تعتمد على العلم والمنهج العلمي، إلا أن هناك مجالات في أمس الحاجة إلى إسهامات الجامعة ودعمها وعونها، ومن أبرز هذه المجالات مجال التعليم الأساسي، والعام أي مجال التربية والتعليم بصفة عامة؛ وذلك لأن التربية هي صانعة الأجيال الصاعدة، وهي أساس كل إصلاح في حياة المجتمع، لأنها تتولى أغلى وأثمن ما يمتلك المجتمع من الثروات ونعني بها الثروة البشرية.

فالتربية تتولى الفرد بالرعاية والنماء والصقل والتشكيل والبناء والتوجيه والإرشاد والتكوين، بحيث يشب مواطنا صالحا مؤمنا بربه ووطنه وعروبته، وبحيث يكون متحررا من مشاعر الغل والحقد والبغض والكراهية والعنف ومتحليًا بمشاعر الإخاء والوطنية.

3-مساهمة النظام الجامعي الجزائري في إنتاج المعرفة وتفعيلها:

تعد الجامعة الجزائرية أحد أهم الأقطاب والروافد التي يعتمد عليها المجتمع الجزائري في النهوض به بغية مواكبة الركب الحضاري فالجامعة بمثابة مصنع أو مصدر نعتمد عليه في إنتاج مختلف المعارف من أجل استخدامها في تحقيق الأهداف التربوية وكذلك المجتمعية فهي توفر للمحيط الذي تنتمي إليه معطيات معرفية يستفيد منها في تحقيق التنمية، فمواضيع المعرفة تتداخل مع الفكر المعاصر الذي يؤسس لحال العولمة، ويبدو هذا الاتجاه قويا بانشغالاته المتمركزة حول بناء الإنسان وتزويده بقدرات وخبرات ليغدو قادرا على تحريك ذاته ونفسه ومحيطه، ويمكننا اختصار قضيته في طموح المتعلم أن يصبح فيها ذاتي المرجعية وذاتيا في تحريك وضبط ميكانيزمات حياته، وذاتيا في تنظيم عمل ما؛ لذلك وجب التركيز على أسلوب التسيير في الجامعة الجزائرية؛ لأنه القطاع الذي يسعى إلى تنظيم الإنتاج المعرفي بسبب ما يتوفر عليه من إمكانيات ووسائل تكسب المعرفة طابعا ماديا من جهة و يقابله المنتوج الذي يتمثل في فئة الطلبة المتخرجين من جهة أخرى.

فالإنتاج يعني: " خلق المنفعة من حيث لم يكن لها وجود من قبل، وإضافة منفعة إلى شيء يحتوي قدرا معينا منه. ويعرف أيضا بأنه خُلقَ للأشياء أو للخدمات التي يمكنها إشباع حاجات الإنسان بصورة مباشرة أو غير مباشرة" 21(ساقور عبد الله،2002،ص101)

وأصل الإنتاج هو الخلق و الإبداع سواء من حيث النوع أو الكم بالاعتماد على الموارد المادية والبشرية المتوفرة مما يستوجب وجود مؤسسات ومراكز لممارسة هذا النشاط الإنساني الذي يؤدي بالدرجة الأولى إلى التطور الاقتصادي والاجتماعي عن طريق الخريجين والباحثين الذين ينتمون إلى هذه الجامعة، وللبيئة دور كبير في تفعيل المنتوج وإعطائه دفعا قويا أو عرقلة نجاحه في تحقيق الأهداف المسطرة له، فالإنتاج المعرفي لا يأتي هكذا بغتة بل لابد أن يكون ممنهجًا وذا طابع علمي.

فالنظام الجامعي في الجزائر يستند إلى عامل الإنجاز من جهة، وعامل الشرعية من جهة أخرى، وهو ينطلق من فرضية مؤداها أن المطالب النابعة من بيئة الجامعة ظرفية، متغيرة، يتكفل الزمن بحلها، مقابل التركيز على نموذج جامعي جزائري يتطابق ومبادئ مشروع مجتمع اشتراكي، وبها تشتق الأهداف التربوية والتعليمية والبحثية من فلسفة تربوية تقدمية قوامها: 22 (ساقور عبد الله،2002،ص103)

1- ديمقراطية التعليم الجامعي ومجانيته، أي تمكين كل طالب جزائري – غنيا كان أم فقيرا – من موقع دراسي (مقعد بيداغوجي) بالجامعة وتتكفل الدولة بالتكاليف، أي أنها تصرف له منحة دراسية طوال المدة التي يقضيها في الجامعة.

2- جزأرة هيئة التدريس الجامعي، والمناهج، والهياكل القاعدية.

3- استيعاب كل طالب جامعي – مهما كان مستواه – للتقليل من سلوكيات التسرب الجامعي.

4- تعريب المواد الدراسية مع الانفتاح على اللغات الأجنبية.

5- تنمية البحث العلمي.

فسياسة النظام الجامعي في الجزائر قائمة على مبدأ " الناس سواسية "، دون التركيز على مدى أحقية الطلبة في التحصيل العلمي والاهتمام بغية توفير مناخ أكثر ملاءمة لتنمية البحث العلمي وتقديم منتوج جيد للمجتمع الخارجي، كما نجد أن هذه الأنظمة تدعو إلى جزأرة هيئة التدريس في ظل نزيف الكفاءات الجزائرية بفعل الهجرة في إطار ما يعرف بهجرة الأدمغة. وبالنسبة إلى البحث العلمي نجد أن الدولة تولي اهتماما كبيرا عن طريق تسطير برنامج ومناهج دراسية تكون وفق التطورات العلمية والتكنولوجيا الحاصلة في العالم بالإضافة إلى جملة التسهيلات التي تمنح الطلبة دون الأخذ بالاعتبار هل هؤلاء الطلبة يتمتعون بالأحقية أم لا.

فبالرغم من الجهود التي يقوم بها النظام الجامعي في الجزائر للنهوض بالبحث العلمي وتنميته إلا أنه يلاقي عراقيل جمة تحد من سيرورته وتفعيله في خدمة المحيط هذا الأخير الذي يعد أهم الصعوبات بسبب رفضه للبحث. والجامعة في حد ذاتها مع أنها مسخرة لخدمة المجتمع، و النظام الجامعي الجزائري حريص أشد الحرص على تحقيق الأهداف المنشودة من الجامعة و تأسيسا على ذلك تتحدد شروط الفعالية في النظام كما يأتي: 23(العبادي دباس هاشم فوزي وآخرون،2008،ص557)

1- عامل التكامل بين العناصر البشرية والأجهزة الإدارية وتشكيلها في هيئة لكتلة اجتماعية متماسكة.

2- عامل الالتزام بالموضوعية والحياد عند نقل الوقائع وتقديمها لمختلف السلطات الوصية دون تشويه أوتحريف أو تسويف.

3- عامل تحمل مسؤولية التسيير بأوسع وأضيق معانيه وضمان الفعالية على كل المستويات ودون تحيز.

4- ضرورة توفر مركز خاص بمعالجة البيانات لممارسة مهام التخطيط، والمتابعة، والتقويم... غير أن هذا النظام لا يتصور وجوده دون محركيه ويغدو بذلك عالما خاصا تخترقه القيم وتعطله المشكلات.

وتشهد الجامعة ومراكز البحث اختلالا وظيفيا جعل فعالية النظام الجزائري يعاني كثيرا من النقص في عدة جوانب، والاعتماد على الحلول المؤقتة عند التسيير خاصة في ظل غياب الجد بين الأطراف الفاعلة في الجامعة صعب معرفة رد الفعل على جميع الأصعدة وعدم الرضا في أوساط الأساتذة على وجه الخصوص كونهم محرك الجامعة، مما يستدعي من المسؤولين عن النظام الجامعي في الجزائر تركيز اهتمامهم بشكل كبير على العلاقات الإنسانية وتفعيل العلاقة مع المحيط حتى تخفف ضغوطاته على الجامعة، حتى يتسنى لهم تقديم الأفضل في التدريس وتنمية البحث العلمي وبالتالي النهوض بالمجتمع ككل.

نتائج الدراسة:

بعد الدراسة التي تم إجراؤها بجمع المادة العلمية التي تدور في فلك الاتصال والتنمية المستدامة للبحث العلمي في الجامعة الجزائرية ووصف وتحليل المعطيات المتحصل عليها خلصت الدراسة إلى وضع النتائج الآتية:

-التعليم و البحث العلمي لهما دور أساسي في عملية التنمية البشرية بالتركيز على أهم عنصر في المجتمع وهو الإنسان، كما أنهما يحملان في طياتهما مبادئ التنمية المستدامة على غرار الاهتمام بالمرأة المواطنة بالإضافة إلى ترسيخ مبدأ المسؤولية الاجتماعية لدى الأفراد وإخراجها إلى المحيط.

-الجامعة الجزائرية قادرة على الانخراط في الحياة الاجتماعية بما يتوفر فيها من خبرات وكفاءات من شأنها الإسهام في معركة التنمية المستدامة وعدم بقائها منعزلة، بل عليها أن تفتح صدرها وعقلها

وقلبها وورشها ومعاملها ومخابرها إلى أبناء بيئتها، ومن ابرز المجالات التي من شانها الإسهام فيها مجال التعليم الأساسي والعام(التربية والتعليم بصفة عامة) بما توفره من موارد بشرية، وزيادة على ذلك الأنشطة البحثية التي تجريها الجامعة لخدمة هذا القطاع، ومنها معالجة ظاهرة العنف في المدارس، كما أن إسهامات الاتصال في التنمية المستدامة للبحث العلمي داخل الجامعة الجزائرية تتمثل في خلق ثقافة التنمية المستدامة و الانفتاح على المحيط الخارجي بما يتضمنه من مؤسسات و أطراف من شانها إفادة الجامعة الجزائرية على أداء الدور المنوط بها.

- إن الاتصال يسهم في خلق التغيير والتجديد داخل الجامعة الجزائرية ما يكفل له تحقيق بعض مؤشرات التنمية المستدامة للبحث العلمي أهمها جودة التعليم الجامعي.

-كما أنه من بين إسهامات الاتصال في التنمية المستدامة للبحث العلمي داخل الجامعة الجزائرية تمثلت في جعل هذه الأخيرة أداة لتطوير المجتمع الجزائري من خلال توظيف مؤسساتها لتشخيص مشكلاته الفعلية وإيجاد حلول مناسبة لها بالإضافة إلى توفير كوادر بشرية مؤهلة لذلك.

-زيادة على ذلك تتجلى إسهامات الاتصال في التنمية المستدامة للبحث العلمي داخل الجامعة الجزائرية في تحقيق وظيفة رابعة لا تقل أهمية عن باقي الوظائف ألا وهي الشراكة بين الجامعات فيما بينها من جهة والتعاون مع قطاعات الإنتاج والخدمات من جهة أخرى نحو انفتاح الجامعة الجزائرية وتنميتها.

الخاتمة:

بالرغم من كل الجهود التي تؤديها الجامعة الجزائرية من أجل النهوض بتنمية البحث العلمي، إلا أنها بحاجة ماسة إلى تطوير لتتمكن من مسايرة ديناميكية البحث العلمي، والواقع أن بعض جامعاتنا لم ترتق إلى المستوى الذي يمكنها من إنجاز بحوث تسهم في دفع حركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع، وحتى لو أنجزت هذه البحوث على مستوى فرق البحث أو الأطروحات الجامعية فإن الاستفادة منها وتوظيفها ميدانيا يبقى حبيس الجدران، وحسب ما توصلت إليه بعض الدراسات فإن الجامعة الجزائرية لم تتمكن من احتواء واقع المجتمع الجزائري بخلق نوع من الإثراء بينها وبين محيطها الخارجي بالاعتماد على الاتصال الجامعي بل إن هذا الواقع هو الذي احتواها وهو ما أثر سلبا على مسيرة الجامعة الجزائرية وعطل سيرورة البحث فيها، زيادة على التقليص من عزيمة الأستاذ الجامعي واتساع الفجوة بينه وبين الجامعة، بالرغم من توفرها على الموارد المادية و البشرية أم أن هذه الموارد وحدها غير كافية في ظل غياب الاتصال بالدرجة الأولى.

قائمة المراجع:

1/الكتب :

1-أحمد حمدي: الإعلام والاتصال في الوسط الجامعي، كلية الإعلام والعلوم السياسية، جامعة الجزائر، د س ن.

2-بسمان فيصل محجوب: الدور القيادي لعمداء الكليات في الجامعات العربية، بحوث و دراسات المنظمة العربية للتنمية الإدارية،2013.

3- عبد الرحمن العيسوي: علم النفس والتنمية الشمولية، الدار الجامعية،مصر2006.

4- عبد الله بو جلال: الإعلام والاتصال في الوسط الجامعي، كلية الإعلام والعلوم السياسية، جامعة الجزائر، د س ن.

5-فيصل عبد الرؤوف الدحلة: تكنولوجيا الأداء البشري-مفهوم و أساليب القياس و النماذج-د م ن، د س ن.

6- محمد عبد الحميد: نظريات الإعلام و اتجاهات التأثير، عالم الكتب، مصر1997.

7-محمد بشير حداد: التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس الجامعي-دراسة مقارنة-عالم الكتب نشر توزيع طباعة، مصر 2004.

8- مي العبد الله: علوم الإعلام والاتصال وإشكاليات التكوين المهني في العالم العربي، دار النهضة العربية، لبنان 2009.

9-هاشم فوزي دباس العبادي وآخرون: إدارة التعليم الجامعي-مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن 2008.

10-هوشيار معروف: تحليل الاقتصاد التكنولوجي، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن ط 2، 2006.

11-يوسف حجيم الطائي وآخرون: إدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع، الأردن 2008.

2-المجلات:

12-عبد الله ساقور: مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب و العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة باجي مختار-عنابة-عدد17 جوان 2002.

المراجع من الانترنت:

13-عماد لطفي ملحس: مقال-هل تحتاج المعرفة إلى إدارة-جوان 2009 www.almoharer.net

وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة

سلمى على العلوي هاجر بنت سليم البادي د.سيف بن ناصر المعمري
فهيمة بنت حمد السعيدي
جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان

الملخص:

هدفت الدراسة الكشف عن مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة، وقد وظفت الدراسة المنهج الوصفي، وتكونت عينة الدراسة من (315) طالب وطالبة من جامعة السلطان قابوس، وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية (مرتفع)، ومستوى وعيهم بأسباب المشكلات البيئية (مرتفع)، في حين جاءت أعلى استجابات لأفراد عينة الدراسة على أساليب التوعية بالمشكلات البيئية من جانب الجامعة (منخفضاً)، وأخيرا جاءت أعلى استجابات لأفراد العينة على مظاهر اهتمام الطلبة بالمشكلات البيئية (منخفضاً)، وأوصت الدراسة بتفعيل أساليب التوعية البيئية بشكل مستدام لدي طلبة الجامعة، وتوفير الدعم المالي للبحث العلمي في مجال حماية البيئة، وتنظيم ندوات ومؤتمرات لتنمية الوعي البيئي، وتفعيل أنشطة ومشروعات عن طريق الأنشطة الثقافية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: المشكلات البيئية، التنمية المستدامة، طلبة جامعة السلطان قابوس

Abstract:

The study aimed to reveal the level of awareness of Sultan Qaboos University students about the environmental problems associated with sustainable development. The study employed the descriptive approach, and the study sample consisted of (315) students from Sultan Qaboos University. , and their level of awareness of the causes of environmental problems (high), while the highest responses of the study sample members to methods of awareness of environmental problems on the part of the university (low), and finally, the highest responses of the sample members to the manifestations of students' interest in environmental problems (low), and the study recommended activating the methods Environmental awareness in a sustainable manner among university students, providing financial support for scientific research in the field of environmental protection, organizing seminars and

conferences to develop environmental awareness, and activating activities and projects through various cultural activities.

Keywords: environmental problems, sustainable development, Sultan Qaboos University students

المقدمة:

تفاقمت في السنوات الأخيرة المشكلات البيئية بشكل يؤثر على النظام البيئي وصحة الإنسان؛ لذا فإن نشر الوعي البيئي بين الأفراد في الوقت الحاضر يعد أمراً في بالغ الأهمية، لما يواجه العالم اليوم من تفاقم في هذه المشكلات، والتحديات الكبيرة التي تواجه وضع حلول جذرية لها؛ لذا ينبغي التركيز على الوعي البيئي وإكسابه صفة الاستدامة وأن يظل الأفراد على مدى حياتهم يكتسبون المعارف، والمهارات والاتجاهات التي تؤهلهم حاضراً ومستقبلاً من الحصول على موارد البيئة بعدالة، والمحافظة عليها.

وقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان واستخلفه في الأرض ليعمرها ويستخدم كل مقوماتها لتسهيل أمور حياته، ولكن مع مرور الوقت ومع دخول الإنسان عصر الصناعة بدأت علاقة الإنسان بالبيئة تسلك مساراً مدمراً لمعطيات البيئة دون وعي لعواقب تعامله السلبي مع عناصرها المختلفة (إبراهيم، 2010؛ العبري، 2009)، فتكررت وتفاقمت التصرفات غير المسموح بها مما أدى إلى استنزاف مواردها بدون وعي مما أدى إلى إخلال التوازن البيئي الطبيعي (جاسم، 2001).

ونتيجة للتدهور الذي تشهده البيئة العالمية بسبب التفاعل السلبي للإنسان مع البيئة، اتجهت معظم دول العالم إلى سن القوانين والتشريعات التي تنظم علاقة الانسان مع بيئته، بما يكفل حمايتها والحفاظ عليها، غير أن هذه الدول أدركت أن صيانة البيئة وحمايتها لا يمكن أن تحققها النواحي التشريعية، والعلمية، والتكنولوجية وحدها، وإنما مسألة تربوية يجب أن تبدأ بالإنسان نفسه، وذلك بتنمية قدراته، ورفع مستوى وعيه ببيئته، وتبصيره بمشكلاتها وقضاياها، مما يجعل الفرد هو الذي يسعى إلى فرض القوانين والتشريعات لتطويرها واحترامها بوازع داخلي (العبري، 2016؛ العلوي والمعمري، 2020). وينبغي رفع هذا الوعي عن طريق إدخال حماية البيئة ضمن برامج التعليم في المدارس، والجامعات، واستخدام أجهزة الإعلام العصرية واسعة الانتشار (أبو عراد، 2005)، إذ أن هذا الوعي يساعد الأفراد على التعرف على الأسباب الرئيسية لتدهور البيئة، وعلامات هذا التدهور، والكشف عن مدى تفاقم المشكلات والقضايا البيئية وتعقدها، لاسيما أن الوعي البيئي عملية متواصلة، ومستمرة تبدأ في مرحلة ما قبل المدرسة وتستمر في جميع المراحل التعليمية، ولأهمية الموضوع عملت العديد من الدول على تدريب الكوادر اللازمة التي تهتم بنشر الوعي البيئي لدى الطلبة، وتعزيز سلوكياتهم تجاه البيئة (الشطي والتركيت، 2018؛ النجدي، 2002).

علاوة على أن التربية البيئية تسهم في تحقيق التنمية المستدامة، التي ترتكز فكرتها على تنمية الموارد الطبيعية، لتكفي حاجات الحاضر، وتراعي في الوقت ذاته متطلبات المستقبل، إضافة إلى ذلك تتمثل

التربية البيئية في إيقاظ الوعي الناقد للعوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والتكنولوجية، والأخلاقية، وتنمي القيم التي تحسن من طبيعة العلاقات بين الإنسان والبيئة (الغيثي، 2003؛ المطيري، 2016)، كما أنها جانب مهم من جوانب التربية الذي يساعد الناس على العيش بنجاح على كوكب الأرض، وتعرف التربية البيئية على أنها "تعلم كيفية إدارة وتحسين العلاقات بين الإنسان وبيئته بشمولية وتعزيز، وهي عملية إعداد الإنسان للتفاعل الناجح مع بيئته بما تشمله من موارد مختلفة" (عوض، 2017)، كما عُرفت على أنها "العملية التي يتم عن طريقها زيادة الوعي البيئي بين الطلبة عن طريق المحافظة على البيئة من التلوث وإبقائها نظيفة حتى يتمتع الإنسان بجمالها ونظافتها، وعملية إدراك القيم وتوضيح المفاهيم بغية تطوير المهارات والمواقف الضرورية لفهم وتقدير العلاقات المتبادلة بين الإنسان وثقافته ومحيطه الحيوي والطبيعي (العوفي، 2015). كما عُرفت على أنها "تلك العملية المنظمة لتكوين القيم والاتجاهات والمهارات اللازمة لفهم العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته البيئية، واتخاذ القرارات المناسبة المتصلة بالبيئة، وحل المشكلات البيئية الموجودة، ومحاولة منع حدوث مشكلات بيئية جديدة" (عامر، 2008). وعرفها مطاوع (2005, 15) على أنها " عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدركات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي الفيزيقي، وتوضح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان، وحفاظا على حياته الكريمة، ورفع مستوى معيشته".

وتعرف الباحثون التربية البيئية على أنها: غرس وتعزيز مفاهيم الحفاظ على البيئة، وكيفية الحفاظ عليها في أذهان الطلبة، وتكوين اتجاهات إيجابية لديهم تجاهها، للاستفادة منها على أحسن وجه، كما أنها منهج تربوي منظم وموجه لتشكيل الوعي البيئي للأفراد، عن طريق تزويده بالمعارف والمهارات وإكسابه القيم التي تنظم سلوكه، وتمكنه من التفاعل مع بيئته بطريقة مستدامة.

وقد ارتبطت أهداف التربية البيئية بالعديد من المشكلات البيئية المحلية والإقليمية والعالمية، وبزيادة الاهتمام بأهمية التربية البيئية، وتطور مفهومها الذي لابد أن ينعكس على الأهداف التربوية والتعليمية لكل مرحلة تعليمية، وجميع المواد الدراسية، وتنقسم أهداف التربية البيئية إلى:

أولا: الأهداف العامة، وهي: (عربيات ومزاهرة، 2009؛ هلال، 2007):

توعية الأفراد بأنهم جزء لا ينفصل من النظام البيئي، وأن كل ما يقومون به يغير بيئتهم تغييرا ضارا أو نافعا.

مساعدة الأفراد على الفهم العميق والشامل للمشكلات البيئية التي تواجه الإنسان في الوقت الحاضر.

تشجيع الأفراد على المساهمة في حل هذه المشكلات بمشاركة جميع الأفراد والجماعات.

خلق الوعي لدى الأفراد وإكسابهم مهارات حل المشكلات البيئية والخبرات اللازمة للتعامل الإيجابي مع البيئة.

مساعدة الأفراد والجماعات على اكتساب خبرات متنوعة، والتزود بفهم عناصر البيئة والمشكلات المرتبطة بها.

مساعدة الأفراد والجماعات لخلق قيم اجتماعية، ومشاعر قوية للاهتمام بالبيئة ووضع الحوافز للأنشطة التي تسهم في حمايتها وتحسينها، وعلى تطوير إحساسها بالمسؤولية تجاه البيئة، ومشاكلها على كافة المستويات بما يضمن اتخاذ الخطوات المناسبة لحل مشكلاتها.

ثانيا: الأهداف الخاصة، وهي (الطنطاوي، 2008؛ العياصرة، 2012؛ مطاوع، 2005):

أن يحسن الإنسان استغلال موارد البيئة المتجددة، وغير المتجددة وبصورة فردية وجماعية.

الحفاظ على مصادر البيئة وحمايتها في الحاضر والمستقبل.

ثالثا: الأهداف التربوية السلوكية، وهي: (الطنطاوي، 2008؛ عوض، 2019؛ المطيري، 2016)

تعد الأهداف العامة والخاصة للتربية البيئية مصدر اشتقاق الأهداف السلوكية والإجرائية لأي منهج تعليمي في التربية البيئية، لتحسين الوعي بالبيئة وإثارة الاهتمام بمختلف قضاياها، ثم ترجمتها فيما بعد إلى القيام بحماية البيئة مما يتطلب الفعل والممارسة فرادى وجماعات في التعليم النظامي وغير النظامي، التي ينبغي إذا ما أرادت تحقيق هذه الأهداف أن تقدم للطلبة المعارف اللازمة، التي تساعدهم على فهم بيئتهم، وأن تكسبهم اتجاهات موجهة نحو إيجاد الحلول للمشكلات التي تعاني منها، ويتم ذلك على شكل سلسلة من الأنشطة العلمية والتعليمية وهي:

الوعي: وهو مساعدة الأفراد على اكتساب وعي يعمق في نفوسهم الشعور بالبيئة وما يتصل بها من مشكلات.

المعرفة: لابد من مساعدة الأفراد على اكتساب فهم أساسي للبيئة، ومشكلاتها، والمسؤولية المتكاملة تجاهها، والحفاظ على مواردها، والعنصر البشري فيها.

الاتجاهات: مساعدة الأفراد على اكتساب قيم اجتماعية وتشجيعهم في المشاركة الفعالة في حماية البيئة.

المهارات: مساعدة الأفراد على اكتساب المهارات اللازمة لحل المشكلات البيئية.

المشاركة: مساعدة الأفراد على تنمية الشعور بالمسؤولية والإحساس بأن المشكلات البيئية تتزايد وينبغي اتخاذ الإجراءات اللازمة لحلها.

وتوجد خمسة مستويات للتربية البيئية، وهي:

أولا: مستوى الوعي بالقضايا البيئية والمشكلات البيئية: ويتضمن هذا المستوى تنمية وعي الطلبة بالموضوعات البيئية الآتية (السرياني، 2002):

تأثير النشاط الإنساني على البيئة بصورة إيجابية أو سلبية.

تأثير السلوك الشخصي للإنسان على الاتزان البيئي، مثل (النفايات، الإسراف بالماء، قطع الأشجار ...)

ضرورة تظافر الجهود الفردية على مستوى المدرسة مع الجهود المحلية أو الدولية لحل المشكلات البيئية.

توعية الطلبة بارتباط المشكلات البيئية المحلية مع المشكلات الإقليمية والعالمية، وضرورة التعاون لحل هذه المشكلات.

ثانياً: مستوى المعرفة البيئية بالقضايا والمشكلات البيئية: ويتضمن هذا المستوى مساعدة الطلبة على اكتساب الخبرات المتعلقة بالبيئة، وذلك على النحو الآتي (الضبع، 2006):

ربط المعلومات التي يحصل عليها الطالب من مجالات المعرفة المختلفة بمجال دراسة المشكلات البيئية.

التعرف على الخلفية التي تقف وراء المشكلات البيئية الراهنة.

التعرف على التجارب المحلية والإقليمية والدولية لحماية البيئة والاستفادة منها أو الاقتراح بتعديلها.

تحليل المعلومات والمعارف اللازمة للتعرف على أبعاد المشكلات البيئية التي تؤثر على الإنسان والبيئة.

ثالثاً: مستوى الميول والاتجاهات والقيم البيئية: ويتضمن تزويد الطلبة بالفرص المناسبة التي تمكنهم من تنمية ميولهم اتجاه البيئة؛ وذلك من خلال الآتي (عبد الغني، 2012):

تنمية الميول الإيجابية للطلبة للحفاظ على البيئة.

تكوين الاتجاهات الصحيحة لدى الطلبة للحفاظ على موارد البيئة وإيجاد حلول لمشكلاتها.

تنمية روح الفريق الواحد لدى الطلبة وتنمية الإحساس بالمسؤولية الفردية والجماعية.

بناء القيم البيئية الهادفة لدى الطلبة مثل احترام حق البقاء والحياة لكافة الكائنات الحية مهما كانت صغيرة أو كبيرة.

تقدير عظمة الخالق في خلق بيئة صحية ومتوازنة للإنسان في الأرض واستخلافه فيها.

رابعاً: تحديد مستوى المهارات البيئية: ويتضمن هذا المستوى مساعدة الطلبة على تنمية المهارات البيئية بشكل فعلي، على النحو الآتي (فراج، 2000):

جمع البيانات والمعلومات البيئية من المصادر البحثية والتجارب والرصد البيئي والتجريب والاستقصاء عن طريق الرحلات التعليمية والزيارات الميدانية إلى مواقع تشهد مشكلة بيئية معينة.

تنظيم البيانات وتحليلها واستعمال الوسائل المختلفة للبحث والاستقصاء.

وضع خطة عمل لحل المشكلات البيئية أو صيانة الموارد الطبيعية وتنميتها أو ترشيد استهلاكها وحمايتها من الاستنزاف بحيث تتضمن هذه الخطة إجراءات العمل ونوعيتها مع جدولته زمنيا ومكانيا.

استقراء الحقائق من دراسة المشكلات البيئية ثم صياغة نماذج أو تعميمات أو قوانين مقترحة حولها.

تنظيم دراسات في الرصد البيئي والتجارب البيئية وبناء مشاريع تنموية بناء على نتائج هذا الرصد.

خامساً: مستوى المشاركة الفعلية في الأنشطة البيئية: ويتضمن هذا المستوى إتاحة الفرص المناسبة للطلبة في المساهمة الفعلية في النشاطات البيئية العملية، مثل (Ernst, 2004):

المشاركة في الاستقصاءات والمراجعة والدراسات البحثية لاقتراح الحلول لهذه المشكلات.

تنظيم أنشطة حماية البيئة وصيانة مواردها وتنميتها.

تقويم البرامج والإجراءات البيئية من حيث درجة تأثيرها على مستوى التوازن بين متطلبات الإنسان ومتطلبات الحفاظ على البيئة.

المشاركة في الأنشطة والمشاريع والحملات البيئية الوطنية والإقليمية والعالمية.

ويعد الوعي البيئي أهم أهداف التربية البيئية؛ لأن الممارسات الإيجابية للأفراد، هو السبيل للاهتمام بالبيئة وحل مشكلاتها، كما أن السلوكيات غير السوية تعد سلوكيات هدامة وغير بناءة (Singh, 2013)، لاسيما أن القضايا البيئية تعد من المشكلات التي يعجز التعامل معها عن طريق القوانين والتشريعات فقط؛ لأنها مسألة تتعلق بسلوك الأفراد وبالتالي فإن الحل الأمثل لمواجهتها والمحافظة على البيئة وحمايتها يكمن في حسن التنشئة للأفراد وتربيتهم على احترام البيئة وتقديرها (Rivard, 2003).

وقد عرف الصباغ (2017, 47) الوعي البيئي على أنه "تنمية مفاهيم الأفراد واتجاهاتهم وسلوكياتهم، بما يؤدي إلى إكساب هؤلاء الأفراد الوعي، وإدراكهم للمشكلات البيئية، فينعكس إيجابيا على سلوكهم تجاه البيئة، ويزيد من إحساسهم وانتمائهم للبيئة المحيطة بهم"، كما عرفه المرشد (Almorshid, 2017, 334) على أنه "إدراك الفرد لمسؤوليته ودوره في مواجهة البيئة والتعامل الجيد مع مكونات البيئة ومواردها، والاستغلال الرشيد للموارد البيئية بشكل يحقق عائد على الفرد والمجتمع"،

وتعد المعرفة والاتجاهات والسلوك والوعي بالمشكلات البيئية مكونات الوعي البيئي، ونذكرها بالتفصيل، على النحو الآتي (الزيادات، 2013؛ الطراونة، 2015؛ العبري، 2016):

المكون المعرفي: عن طريق تزويد الأفراد بالمعلومات البيئية التي تمكنهم من معرفة بيئتهم وعلاقتهم معها، وتفيد الطلبة في زيادة معارفهم البيئية.

المكون السلوكي: عن طريق إكساب الأفراد مجموعة الممارسات العملية، والمهارات التي تعين الطلبة على المحافظة على البيئة التي يعيشون فيها، وتمكنهم من المساهمة في حلها.

المكون الوجداني: هي مجموعة القيم والاتجاهات التي تغرس في الأفراد بحيث تتكون لديهم اتجاهات إيجابية نحو المحافظة على البيئة التي يعيشون فيها.

ومن أبرز خصائص الوعي البيئي ما يلي (بهجات، 2016؛ جاد، 2007؛ الفريحات، 2008؛ نايل، 2009):

يعد هدفا رئيسيا من أهداف التربية البيئية، ويمكن تنميته عن طريق التربية النظامية، والتربية غير النظامية.

يتطلب تنمية الوعي البيئي لدى الأفراد تنمية معارفهم، واتجاهاتهم، وسلوكياتهم نحو البيئة.

يعد توفر المعلومات عن البيئة، وأهم مواردها ومشكلاتها، وأفضل السبل لمواجهتها الأساس في تطوير الوعي البيئي.

إدراك العلاقة بين الإنسان والبيئة عامل مهم في تكوين الوعي البيئي.

الوعي البيئي لدى الأفراد يحدد سلوكياتهم نحو البيئة، ويجعلهم قادرين على اتخاذ القرارات اللازمة لحماية البيئة والمحافظة عليها.

وقد اهتمت العديد من الدول بالتنمية المستدامة كونها المركز الرئيس للتربية البيئية، اقتناعاً منها بأن الدور الحقيقي نحو البيئة لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق الأفراد الواعين بخطورة ما تتعرض بيئته من تحديات ومخاطر(بديوي، 2007).

وقد اهتمت المؤسسات التعليمية ومن بينها الجامعات بتنمية الوعي البيئي لدى طلبتهم، إذ تشكل هذه المنابر التعليمية مدخلا مهما لترشيد سلوك الأفراد نحو البيئة ومواردها، ويقع على عاتق التعليم الجامعي المسؤولية الكبيرة لتعزيز المعارف والمهارات والاتجاهات الإيجابية نحو البيئة لدى الطلبة؛ وذلك عن طريق تضمين المقررات الدراسية للبعد البيئي، وتفريد مقررات خاصة معنية بالبيئة، (أبو غزالة، 2000)، كما أنه من الأهمية بمكان أن يركز التعليم الجامعي على إعداد مواطنين واعيين اجتماعياً، يدركون مفهوم الاستدامة على أنها مظهر لمسؤوليتهم الاجتماعية والأخلاقية، وبهذا يصبحون أفرادًا

مرتبطين بالعالم الطبيعي المحيط بهم، وقد أكد الأستاذ والد دح (2011) أن الحاجة للوعي بالقضايا والمشكلات تزداد مع تزايد الحاجة لبرامج بيئية في الكليات والجامعات، ولابد من وجود مساقات دراسية في الجامعات شرط أن تكون إجبارية لا اختيارية، علاوة على أن البرامج الدراسية تسهم في ترشيد السلوك البيئي للأفراد وتوسع مداركهم وتزيد من معرفتهم ووعيهم بآلية التعامل مع البيئة والحفاظ عليها إذ أن الشباب وهي الفئة التي ينصب عليها التعليم الجامعي هم أداة التغيير في المجتمع (جاسم، 2001).

كما يرى أن الجامعة يمكن أن تسهم في حماية البيئة ودرء الأخطار عنها، ليشكل جانبًا وقائيًا للتصدي لما أصابها من أخطار، ومعالجتها عن طريق التعليم، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع. ويُعرف الدور الثقافي للجامعة على أنه "النشاط الذي تؤديه الجامعة بالتطبيق المباشر للمعرفة العلمية بالمجتمع، مما يحقق الفائدة للمجتمع والعائد الاقتصادي للجامعة من وراء تنفيذ الأنشطة المتعددة التي تؤديها الجامعة في المجالات التنموية المختلفة بالمجتمع" (بديوي، 2007)

وقد اكتسبت التنمية المستدامة أهميتها منذ عقد مؤتمر الأمم المتحدة (ريو دي جانيرو) عام 1992م والمعني بالبيئة والتنمية، فقد أكد هذا المؤتمر على أن التنمية المستدامة تضم ثلاثة مكونات ألا وهي: البيئة، والمجتمع، والاقتصاد وتتكامل هذه المكونات مع بعضها البعض، وتهدف التنمية المستدامة إلى تحسين نوعية حياة الأفراد، بينما هم يعيشون داخل قدرة تحمل الأنظمة الأيكولوجية المحيطة بهم (شاذلي، 2005)

وفي ظِل الأوضاع البيئية المتردية عالمياً، أصبح لزاماً الاهتمام بالتنمية المستدامة، من أجل تحسين جودة البيئة، وتحقيق مستقبل بيئي مستدام، لا يتحقق إلا عند توفر وعي عام لدى الأفراد، عن طريق العملية التعليمية، ويمكن الأخذ هنا بالتربية البيئية من أجل التنمية المستدامة، التي تعمل لصالح الأجيال الحالية والأجيال القادمة.

ومن هنا فإن الوعي البيئي يتطلب من أجل تنميته لدى الطلبة، دمج الاهتمامات البيئية في الأنشطة والمقررات الدراسية، من المواقف التربوية المخطط لها والمنظمة في ضوء فلسفة تربية التنمية المستدامة وأهدافها، وسنتعرف في الدراسة الحالية على مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

مشكلة الدراسة:

أكدت العديد من الدراسات (الصارمي، 2006؛ العلوي والمعمري، 2020؛ الغريبية، 2018) والمنتديات مثل "منتدى عمان البيئي الثاني" الذي عقد في إبريل 2018، والندوات مثل "الندوة الدولية حول التدابير البيئية ودورها في حماية الشواطئ" التي عُقدت في الفترة بين (17–19 ديسمبر 2018)، على القضايا

والمشكلات البيئية التي تعاني منها البيئة العُمانية، وتنعكس سلباً على التنمية المستدامة، ومن أبرزها: التصحر، وتلوث المياه الجوفية، وتلوث التربة، والآفات الزراعية، ونقص المياه، والاحتباس الحراري، ...

وبالرغم من الاهتمام المتزايد بالبيئة إلا أن المشكلات البيئية في تزايد مستمر نتيجة للاستغلال الجائر للموارد الطبيعية وتدني الوعي من قِبل الإنسان للمحافظة على البيئة، ولا يتم ذلك التصدي إلا بتظافر الجهود من المجتمع ومتخذي القرار والجامعات، من أجل تعزيز ونشر الوعي بالبيئة ومشكلاتها بين الأفراد، ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تتناول مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة، وتأسيساً على ذلك تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة؟

ما مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة؟

ما تقديرات طلبة جامعة السلطان قابوس لمدى إسهام الجامعة في تنمية الوعي بالمشكلات البيئية لدى طلبتها؟

ما تقديرات طلبة جامعة السلطان قابوس لمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

التعرف على مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

معرفة مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

معرفة درجة تقديرات طلبة جامعة السلطان قابوس لمدى إسهام الجامعة في تنمية الوعي بالمشكلات البيئية لدى طلبتها.

معرفة درجة تقديرات طلبة جامعة السلطان قابوس لمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية.

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية:

تهتم بدرجة وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

إثراء المعرفة النظرية في مجال وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

تسهم في فتح المجال أمام باحثين آخرين في المستقبل للاهتمام بهذا الموضوع ودراسته من جوانب أخرى، بالإضافة إلى توفير إطار نظري من المفاهيم والبيانات والمعلومات.

الأهمية التطبيقية:

تقدم الدراسة مؤشرات عن وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

إعداد استبانة خاصة بوعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة يمكن الاستفادة منها لباحثين آخرين.

مصطلحات الدراسة:

المشكلات البيئية: عرفها المصطفى (2014) على أنها "كل ما يؤدي بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الإضرار بالبيئة نتيجة للتأثير السلبي الضار على سلامة الوظائف المختلفة لكل الكائنات الحية علي الأرض سواء النبات أو الحيوان أو المياه وبالتالي ضعف كفاءة الموارد وزيادة تكاليف العناية بها" (ص. 247).

التنمية المستدامة: عرفها عبد المسيح (2017)"التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون الإخلال بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها على أساس الإدارة الحكيمة للموارد والإمكانيات البيئية". (ص.33)

طلبة جامعة السلطان قابوس: الطلبة المقيدين بجامعة السلطان قابوس لعام 2020/ 2021م.

محددات الدراسة:

تتحدد الدراسة الحالية بالمتغيرات المدروسة المتمثلة في وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة. كما تتحدد بخصائص العينة المتمثلة في طلبة جامعة السلطان قابوس في العام الأكاديمي 2021/2020م.

منهجية الدراسة:

منهج الدراسة

اتبع الباحثون المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف الظاهرة وتحليلها، وتفسيرها من أجل الوصول إلى الاستنتاجات العلمية الصحيحة، كما أن هذا المنهج يحقق للباحثين فهما أكثر وضوحا للظاهرة المدروسة عن طريق تحليل بنية هذه الظاهرة (أبو علام، 2006؛ كريسويل، 2019).

مجتمع الدراسة وعينتها

تكونت عينة الدراسة من طلبة جامعة السلطان قابوس في سلطنة عمان، والبالغ عددهم (18822) حسب إحصائية عمادة شؤون الطلبة للعام الدراسي 2021/2020م، موزعين على مختلف الكليات. وقد تم اختيار عينة البحث من جميع الكليات بالعينة المتاحة؛ وذلك لاعتماد الباحثين على استمارة إلكترونية تم إرسال رابطها إلى إيميلات الطلبة بواسطة إدارة الجامعة بعد أخذ موافقة لجنة أخلاقيات البحث. و تكونت العينة من (315) طالبا وطالبة.

أداة الدراسة:

اشتملت الدراسة على أداة واحدة وهي أداة الاستبانة، وتجيب على جميع أسئلة الدراسة، فبعد الرجوع والاطلاع على الأدبيات النظرية والدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، ومن أبرزها دراسة (بديوي، 2007)، اهتم الباحثون بتطوير استبانة تقيس مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة.

الخصائص السيكومترية للمقياس:

الصدق:

تم التحقق من الصدق الظاهري للمقياس عن طريق عرضه في صورته الأولية على عدة محكمين من ذوي الخبرة والاختصاص تخصص مناهج وطرق تدريس الدراسات الاجتماعية من جامعة السلطان قابوس، وجامعة نزوى، وتخصص القياس والتقويم، وأبدى المحكمون آراءهم حول المقياس، في تعديل بعض العبارات وإعادة صياغتها، وإضافة عبارات أخرى مناسبة.

الثبات:

تم التأكد من ثبات المقياس عن طريق حساب معامل ألفا لكرونباخ لعينة استطلاعية تكونت من 40 معلمة من مختلف محافظات السلطنة؛ وأشارت قيمة ألفا لكرونباخ التي بلغت (0.726) إلى مناسبة المقياس للتطبيق على العينة الفعلية في البيئة العمانية. وجدول 1 يوضح معاملات الاتساق الداخلي للمقياس.

جدول 1

معاملات الاتساق الداخلي محاور المقياس والمقياس ككل

محاور القياس	معامل الثبات
المشكلات البيئية	0.635
أسباب المشكلات البيئية	0.409
الجامعة والتوعية بالمشكلات البيئية	0.769
المشاركة الطلابية في حماية وتنمية البيئة	0.694
المقياس ككل	0.726

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

استخدم الباحثون برنامج الرزم الإحصائية (SPSS) لمعالجة وتحليل البيانات التي جمعتها عن طريق تطبيق أداة الدراسة لمعرفة مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة، للإجابة على أسئلة الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، للإجابة على السؤال الأول.

اختبار "ت" لعينة واحدة للإجابة عن السؤال الثاني والثالث والرابع.

عرض النتائج ومناقشتها:

نتائج السؤال الأول، ونصه: ما مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة؟

وللإجابة على السؤال الأول: تم استخدام اختبار "ت" لعينة واحدة للتعرف على مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات المرتبطة بالتنمية المستدامة، كما يتضح في جدول 2.

جدول 2

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) للعيِّنة الواحدة لمعرفة مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس لمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة (المتوسط النظري= 2)

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	الاحتمال
وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة	2.32	0.37	14.93	314	0.000

يتضح من جدول 2 أن وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة جاء مرتفعا عند مستوى دلالة إحصائية أقل من 0.001، إذ نلاحظ من جدول 1 ارتفاع المتوسط الحسابي لوعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية عن المتوسط النظري (المتوسط النظري= 2)، حيث إن ارتفاع المتوسط الفعلي عن 2 يعني وعي أفراد العينة المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة بصورة مرتفعة، إذ بلغ وعي أفراد العينة بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة بشكل عام 2.32. وتبين أن طلبة جامعة السلطان قابوس أكثر وعياً بمشكلة (التلوث البلاستيكي) مقارنة بالمشكلات البيئية الأخرى، حيث بلغت قيمة متوسط وعيهم 2.68، بينما نلاحظ أن الطلبة أقل وعيا بمشكلة (تلوث مياه الشرب) الذي بلغ متوسطة 2.00 مقارنة بمتوسطات المشكلات البيئية الأخرى؛ وتعزى هذه النتيجة إلى المساقات الدراسية التي يتلقاها طلبة جامعة السلطان قابوس، والمتخصصة في التربية البيئية، الذي يهدف إلى تعزيز الجوانب الوجدانية والمهارية ذات الصلة بالتربية والوعي البيئي، إذ تطرح الجامعة مساق "البيئة" على أنه مساق حر يمكن للطلبة من كافة التخصصات دراسته وهذا المساق يتناول بشكل أساسي قضايا تتعلق بالبيئة ومشكلاتها، ويناقش الآثار المترتبة على تزايد هذه المشكلات، كما تتناول بعض الحلول المقترحة لهذه المشكلات، إضافة إلى جماعات الأنشطة التي لها علاقة بالبيئة، ونمت من معارفهم البيئية وعززت سلوكياتهم تجاهها، مما أسهم في ارتفاع مستوى الوعي البيئي لدى الطلبة، كما أن للشبكة العنكبوتية دورا في ذلك إذ أن تصفحهم للإنترنت يمكن أن يسهم في زيادة وعيهم بمواضيع بيئية والأخطار التي تتعرض لها، علاوة على أن للتنشئة الأسرية والمنظومة القيمية دور في زيادة وعيهم البيئي. وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (الزعبي، 2015؛ زيدان وحرز الله، 2010؛ سرحان، 2016؛ عوض، 2019)، وتختلف عن نتيجة دراسة (البدراني، 2004؛ الشرعة والدويلي، 2010؛ العتيبي، 2003) التي أظهرت أن مستوى الوعي البيئي لدى الطلبة

كان متوسطاً. ودراسة (العديلي، 2010؛ علي، 2017؛ المعافا، 2020؛ المولى، 2009) التي أظهرت أن مستوى الوعي البيئي لدى الطلبة الجامعيين كان منخفضاً.

نتائج السؤال الثاني، ونصه: ما مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة بأسباب المشكلات البيئية؟

وللإجابة على السؤال الثاني: تم استخدام اختبار "ت" لعينة واحدة للتعرف على مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات المرتبطة بالتنمية المستدامة كما يتضح في جدول 3.

جدول 3

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) للعيِّنة الواحدة لمعرفة مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس لأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة (المتوسط النظري= 2).

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	الاحتمال
وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة	2.36	0.40	16.25	314	0.000

يبين جدول 3 أن وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة مرتفع عند مستوى دلالة إحصائية أقل من 0.001، إذ بلغ وعي أفراد العينة بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة بشكل عام 2.36، إذ أن وعي الطلبة بسبب (انبعاث العوادم من السيارات) جاء أكثر ارتفاعا مقارنة بأسباب المشكلات البيئية الأخرى، إذ بلغت قيمة متوسط وعيهم 2.57، بينما كان طلبة جامعة السلطان قابوس أقل وعيا بالسبب (تدني التزام الطلبة بالتشريعات البيئية) الذي بلغ قيمة متوسط وعيهم 2.16 بين متوسطات أسباب المشكلات البيئية الأخرى؛ وتعزى هذه النتيجة إلى دور العبادة (المساجد)، إذ أن لها دوراً بارزاً في تبصير المعلمين الذكور بمشاكل بيئتهم، وتنمية وعيهم بهذه المشكلات، وشحذ هممهم للعمل على حل مشكلاتها (اللولو ومعروف، 2010)، عن طريق الحلقات النقاشية، وخطبة الجمعة التي تقدم محتوى يهتم بالبيئة بين الفينة والأخرى، وهذا ما أكد عليه (العياصرة، 2012؛ مازن، 2009)، كما أن القرآن الكريم قد أشار في الآية القرآنية: ئى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ ئى. ولعل في هذه الآية ما يشير إلى وجود مشكلات بيئية في البر والبحر بسبب السلوك الخاطئ للإنسان في تعامله مع بيئته، ولعل هذا التلوث المُشار إليه في هذه الآية أثار حماسهم للعمل على الانتباه لهذه المشكلات والمسارعة في البحث عن حلول

لها، وقد أكد على هذا مازن (2007)، كما يمكن أن تعزى هذه النتيجة إلى القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية التي أكدت على أهمية حماية البيئة، مثلما أكدت الثقافة العربية والإسلامية على أهمية حماية البيئة بكل عناصرها وإيجاد الحلول للمشكلات البيئية التي تعاني منها كما أكد على ذلك عربيان ومزاهرة (2009).

نتائج السؤال الثالث، ونصه: ما مدى تقدير طلبة جامعة السلطان قابوس لإسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية؟

وللإجابة على السؤال الثالث: تم استخدام اختبار "ت" لعينة واحدة للتعرف على تقدير طلبة جامعة السلطان قابوس لمدى إسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية كما يتضح في جدول 4.

جدول 4

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) للعيِّنة الواحدة لمعرفة مدى تقدير طلبة جامعة السلطان قابوس لإسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية (المتوسط النظري= 2).

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	الاحتمال
تقدير طلبة جامعة السلطان قابوس لإسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية	1.80	0.43	7.83-	314	0.000

يتضح من جدول 4 أن تقدير طلبة جامعة السلطان قابوس بإسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة جاء منخفضاً عند مستوى دلالة إحصائية أقل من 0.001، ذلك أن انخفاض المتوسط الفعلي عن 2 يعني امتلاك أفراد العينة تقديراً أقل بإسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية، إذ بلغ تقدير أفراد العينة بإسهام الجامعة في تنمية وعيهم بالمشكلات البيئية بشكل عام 1.80. وتختلف هذه النتيجة عن نتيجة دراسة المعافا (2020) التي أظهرت أن دور الجامعة في تنمية الوعي البيئي لدى الطلبة متوسطا.

نتائج السؤال الرابع، ونصه: ما مدى تقدير أفراد العينة بمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية؟

وللإجابة على السؤال الرابع: تم استخدام اختبار "ت" لعينة واحدة للتعرف على مدى تقدير أفراد العينة بمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية، كما يتضح في جدول 5.

جدول 5

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري وقيمة (ت) للعيِّنة الواحدة للتعرف على تقدير أفراد العينة بمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية (المتوسط النظري= 2).

المتغير	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية	الاحتمال
تقدير أفراد العينة بمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية	1.63	0.46	13.84-	314	0.000

نلاحظ من جدول 5 أن تقدير أفراد العينة بمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة جاء منخفضاً عند مستوى دلالة إحصائية أقل من 0.001، إذ بلغ تقدير أفراد العينة بمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة بشكل عام 1.63.

الخلاصة:

جاء مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة مرتفعاً.

جاء مستوى وعي طلبة جامعة السلطان قابوس بأسباب المشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة مرتفعاً.

جاءت تقديرات طلبة جامعة السلطان قابوس لمدى إسهام الجامعة في تنمية الوعي بالمشكلات البيئية لدى طلبتها منخفضة.

جاءت تقديرات طلبة جامعة السلطان قابوس لمظاهر اهتمام طلبة جامعة السلطان قابوس بالمشكلات البيئية منخفضة.

التوصيات:

إعداد برامج تدريبية للطلبة الجامعيين لإعدادهم بيئياً وعدم الاقتصار على الجانب النظري في تلك الدورات بل ربطه بالجاني التطبيقي.

تنظيم دورات ومسابقات في أماكن مفتوحة تحت شعارات تخدم البيئة وتزيد الوعي البيئي وإدراك الطلبة بالمشكلات البيئية.

تنظيم حملات للتوعية البيئية عن طريق برامج الإذاعة والتلفزيون.

قيام الإعلام الجامعي بإصدار النشرات وإفراد زاوية خاصة للتربية البيئية في مجلة الجامعة.

تشكيل جمعية أصدقاء البيئة في كل كلية من كليات الجامعة.

الاحتفال بالمناسبات البيئية الوطنية والعالمية ومنها يوم الشجرة ويوم البيئة العالمي.

إبراز دور الجامعة كونه مركزاً للتوعية البيئية عن طريق تفعيل دور مركز خدمة المجتمع وذلك من خلال نشر الثقافة البيئية بين طلبة الجامعة.

ضرورة التنسيق بين الجامعة والجهات المعنية بشؤون البيئة والمؤسسات الأخرى لدعم مشاريع تنمية الوعي البيئي.

تشريب الخطط الدراسية الجامعية بمساقات لتعريف الطلبة بأهم القضايا البيئية.

الاهتمام بنشر الوعي البيئي بين أفراد المجتمع العُماني بشكل عام، وبين طلبة جامعة السلطان قابوس بشكل خاص، إذ أنهم عماد المستقبل وبخاصة ما هو متعلق بالبيئة العالمية والمحلية.

دعم السياسات التي يمكن أن ترفع من مستوى الوعي البيئي المحلي والإقليمي والعالمي.

إنشاء مركز بيئي تابع لجامعة السلطان قابوس وتجهيزها بالوسائل والعينات وصالات عرض الأفلام لنشر الوعي البيئي لدى الطلبة.

تنسيق زيارات ميدانية خارجية للمواقع البيئية المختلفة، لإتاحة الفرصة للطلبة للتعرف على القضايا البيئية التي تعاني منها البيئة العُمانية.

المقترحات:

إجراء دراسة مقارنة مع جامعات أخرى بحيث تتناول متغيرات ديمغرافية أخرى تتعلق ب نوع الكلية، والجنس، والمحافظة.

إجراء دراسة تجريبية حول أثر برنامج إرشادي بيئي في تعديل السلوكيات البيئية لدى طلبة الجامعة.

إجراء دراسة وصفية عن تصورات الطلبة حول البيئة وطرق الحفاظ عليها.

عمل دراسات تتناول الاحتياجات التعليمية والتدريبية لتنمية الوعي البيئي لدى طلبة الجامعة.

إجراء دراسات تتناول تصور مقترح لإدماج مداخل التدريس الحديثة في تعزيز الوعي البيئي لدى الطلبة الجامعيين والتعرف على مستوى وعيهم بالقضايا البيئية.

المراجع:

المراجع العربية

إبراهيم، فاضل (2010). أسباب السلوك البيئي السلبي لدى طلبة جامعة الموصل. مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، 10(1)، 1-20.

أحمد، عبد الحكيم (2008). المشكلات البيئية. المؤتمر العلمي العربي الثالث، جامعة سوهاج. 1(2).

الأستاذ والددح (2011). الوعي بالتشريعات البيئية عند طلبة الجامعات الفلسطينية. مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، 23(1)، 157-198.

البدراني، علي (2004). الوعي البيئي لدي طلبة قسم علوم الحياة في كلية التربية وعلاقته ببعض المتغيرات [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الموصل.

بديوي، رزق (2007). وعي طلاب الجامعة بالمشكلات البيئية المرتبطة بالتنمية المستدامة. مجلة كلية التربية، (36)، 206-270.

بهجات، ريم (2016). فاعلية برنامج قائم على مبادئ التنمية المستدامة لتنمية الوعي البيئي لدي طفل الروضة. مجلة الطفولة والتربية، 8(28)، 15-88.

جاد، منى (2007). التربية البيئية في الطفولة المبكرة. دار المسيرة للنشر.

جاسم، صالح (2001). الاتجاهات البيئية لدى طلبة وطالبات جامعة الكويت. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، (102)، 63-123.

حرز الله، حسام، وزيدان، عفيف (2010، 13-14 شباط). مدى إدراك الطلبة الفلسطينيين القريبين من المصانع الإسرائيلية لأهمية المحافظة على البيئة [بحث مقدم]. مؤتمر الصناعات الإسرائيلية في المناطق الحدودية والمستوطنات الإسرائيلية: جسور السلام وتنمية اقتصادية أم دمار للإنسان والبيئة، جامعة القدس المفتوحة.

الزعبي، عبدالله (2015). مستوى الوعي البيئي لدى طلبة كلية العلوم التربوية وعلاقته ببعض المتغيرات. مجلة دراسات العلوم التربوية، 42(3)، 821-830.

الزيادات، ماهر (2013). مستوى الوعي البيئي لدى معلمي الدراسات الاجتماعية في الأردن وعلاقته ببعض المتغيرات. دراسات العلوم التربوية، 40(4)، 1334-1351.

سرحان، جنان (2016). مستوى الوعي البيئي لدى طلبة المرحلة المتوسطة في محافظة كركوك. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، 11(2)، 216 -242.

السرياني، محمد محمود (2002). المنظور الإسلامي لقضايا البيئة (دراسة مقارنة). مجلة جامعة نايف للعلوم الأمنية.

شاذلي، ناهد (2005). التعليم العالي وتلبية متطلبات التنمية المستدامة. مجلة التربية والتنمية، (32)، 97-98.

الشرعة، ناصر، والدويلة، عبير (2010). درجة الوعي البيئي لدى طلبة الصف العاشر في دولة الكويت. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، 36(139)، 147-184.

الصارمي، كوثر (2006). المشكلات البيئية لشواطئ محافظة مسقط [رسالة ماجستير غير منشورة]. الجامعة الأردنية.

الصباغ، ولاد (2017). أثر الملصقات التوعوية على تنمية الوعي البيئي لطلبة كلية الفنون الجميلة في جامعة اليرموك [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الشرق الأوسط.

الضبع، محمود (2006). المناهج التعليمية صناعتها وتقويمها. مكتبة الأنجلو المصرية.

الطراونة، محمد (2015). التربية البيئية رؤية بنائية. دار وائل للنشر.

الطنطاوي، رمضان (2008). التربية البيئية تربية حتمية. دار الثقافة.

عامر، سكينة (2008). أهداف ومبادئ التربية البيئية. أسترجع من: www.beaty.com

عبد المسيح، عبد المسيح سمعان (يوليو 2017) [بحث مقدم]. التنمية المستدامة. المؤتمر العلمي التاسع عشر: التربية العلمية والتنمية المستدامة، القاهرة.

العبري، ناصر (2009). فاعلية وحدة مقرحة في التربية البيئية قائمة على التعلم التعاوني في تنمية الاتجاهات البيئية ومهارات اتخاذ القرار لدى طلاب التعليم الأساسي في سلطنة عمان (الحلقة الثانية) [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة عين شمس.

العبري، ناصر (2016). فاعلية برنامج مقترح قائم على مدخل العلم والتكنولوجيا والمجتمع في تنمية التنور البيئي لدى عضوات جمعيات المرأة العمانية [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة عين شمس.

العتيبي، نور (2003). الوعي البيئي لدى طالبات جامعة أم القرى من منظور تربوي إسلامي [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة أم القرى.

العديلي، عبد السلام (2010)، مستوى الوعي البيئي لدى الطلبة المعلمين في جامعة الزرقاء الخاصة وعلاقته ببعض المتغيرات. مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، 25(2)، 185-214.

أبو عراد، صالح (2005). تنمية الوعي البيئي. مكتب التربية العربي لدول الخليج.

عربيات، بشير، ومزاهرة، أيمن (2009). التربية البيئية. دار المناهج للنشر والتوزيع.

أبو علام، رجاء (2006). مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية (ط.5). دار النشر للجامعات.

العلوي، سلمى، والمعمري، سيف. (2020). مستوى بظاهرة التلوث البيئي لدى معلمي الدراسات الاجتماعية في ضوء بعض المتغيرات. مجلة العلوم التربوية والنفسية،4 (4)، 82 – 95.

علي، عبد الحليم (2017). الوعي البيئي وعلاقته بالوعي نحو الواجب الاجتماعي لدى طلبة الجامعة. مجلة العلوم التربوية والنفسية، (129)، 190–214.

عوض، أمل (2019). مستوى الوعي البيئي والاتجاهات البيئية في ضوء بعض المتغيرات لدى طلبة كلية العلوم التربوية والآداب التابعة لوكالة الغوث الدولية. دراسات العلوم التربوية، 46 (1)، 821–840.

عوض، أمل. (2017). أثر استراتيجية تدريس قائمة على توظيف المشاريع في تنمية الاتجاهات البيئية لدى طلبة كلية العلوم التربوية والآداب التابعة لوكالة الغوث الدولية. المجلة الدولية للبحوث التربوية، 2(41)، 8 – 11.

العوفي، أميرة (2015). دراسة تحليلية لكتب الدراسات الاجتماعية المطورة للمرحلة المتوسطة في ضوء مفاهيم التربية البيئية العالمية [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة طيبة.

العياصرة، وليد. (2012). التربية البيئية واستراتيجيات تدريسها. دار أسامة للنشر والتوزيع.

الغريبية، فاطمة (2018). مستوى الوعي بالكوارث الطبيعية لدي معلمي الدراسات الاجتماعية في سلطنة عمان [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة السلطان قابوس.

أبو غزالة، موفق (2000). النشاطات التربوية ودورها في رفع مستوى الوعي البيئي لدى الطلبة. مجلة رسالة العلم، 40(2)، 159–170.

الغيثي، شوانة خميس (2003). مستوى الوعي البيئي لدى معلمي الدراسات الاجتماعية في سلطنة عمان [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة السلطان قابوس.

فراج، محسن حامد (2000). تنمية بعض عناصر التنور البيئي لدى طلاب كلية التربية جامعة الملك خالد باستخدام الموديولات التعليمية، مجلة التربية العلمية، 3(1)، 20–29.

الفريحات، غالب (2008). مؤشرات وقضايا التربية البيئية. مؤسسة الانتشار العربي.

كريسول، جون (2019). تصميم البحوث الكمية – النوعية – المزجية (عبد المحسن القحطاني، ترجمة؛ ط 4). دار المسيلة للنشر والتوزيع. (2014).

مازن، حسام (2007). التربية البيئية (قراءات-دراسات-تطبيقات). دار الفجر للنشر والتوزيع.

المصطفى، محمد (2014). المشكلات البيئية والتلوث بمدينة نواكشوط. مجلة دراسات موريتانية، (3)، 237-258.

مطاوع، إبراهيم (2005). التربية البيئية. الدار العلمية للنشر والتوزيع.

المطيري، تركي (2016). درجة مراعاة كتاب الجغرافيا للصف الثاني عشر في الكويت للقضايا والمشكلات البيئية من وجهة نظر المعلمين [رسالة ماجستير غير منشورة] .. جامعة آل البيت.

المعافا، محمد (2020). دور الجامعة في تنمية الوعي البيئي لدى طلاب جامعة نجران. مجلة اتحاد الجامعات العربية، 40(4)، 113-136.

مقدادي، كاظم (2006). التربية البيئية. الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك منشورة على شبكة الإنترنت.

المولى، مآرب (2009). مستوى الوعي البيئي لدى طلبة كلية التربية في ضوء بعض المتغيرات. مجلة التربية والعلم، 16(3)، 282-309.

نايل، نبيهة (2009). صحة البيئة والطفل. عالم الكتب للنشر والتوزيع.

النجدي، أحمد (2002). الدراسات الاجتماعية ومواجهة قضايا البيئية. دار القاهرة للنشر.

هلال، عصام الدين (2007). التربية البيئية. مكتبة الأسرة.

المراجع الأجنبية

Almorshid, Y. (2017). A proposed perspective based on self-learning strategy in developing the environmental awareness for the student of middle school at Saudi Arabia. International journal for research in education, 41(2), 326-356.

Rivard, P. (2003). Strands in the Web: 201 Activities for Teaching Environmental Awareness, Science Activities, 4(2), 46-47.

Singh, U. (2013). Comparative study of environmental awareness of different level teachers, Indian streams Research Journal, 3(7): 1-5.

Ernst, J., & Monroe, M. (2004): The effects of environment-based education on students critical thinking skills and disposition toward critical thinking. Environmental Education Research, 10(4), 207-522.

"إسهامات مجامع اللُغة العربيّة في التّعليم العالي- الرؤى والتَّحدِّيات"

د. عدنان علي محمد الشريم

أستاذ الأدب والنّقد العربيّ الحديث المساعد

جامعة إربد الأهلية، الأردن

الملخص:

يُوجِّه هذا البحث اهتمامه إلى تناول إسهامات مجامع اللغة العربية في تنمية وتطوير التعليم العالي، وذلك من خلال استقراء الأهداف والوظائف العامة التي نصّت عليها قوانين ولوائح هذه المجامع في بعض من أقطار الوطن العربي، التي تنبَّهت في وقت مبكِّر مع بدايات القرن العشرين، إلى ضرورة تأسيس مجامع للُّغة العربيَّة، ولاسيَّما بعد أن ظهرت في الوطن العربي مستجدات وتحولات حضاريَّة وثقافيَّة متنوعة، ساعد على تشكُّلها العديد من العوامل الداخليَّة والخارجيَّة للمُكوِّن العربي.

ولكنَّ المتتبَّعَ لهذه المجامع وما أفضت إليه من جهود واسعة، يلاحظ أنَّ ثمةَ انحسارًا متناميًا لدور اللغة العربية على أصعد عديدة، وأهمّها: التَّعليم، والتَّعلم، ولغة البحث العلمي، علاوة على دورها الحضاري في الحفاظ على هُويَّة الإنسان العربي على وجه الخصوص. ومن هنا، يبقى الأمر مناطًا بهذه المجامع في ضرورة تفعيل دورها المرجوِّ، ولاسيَّما أنها أنشئت- على وجه التحديد- لذلك الدور، مع عدم إغفال دور الجهات والأطراف المعنيَّة، ولاسيَّما مؤسسات التَّعليم العالي المنتشرة في جميع أقطار الوطن العربي.

وقد انتظم البحث في المحاور الآتية:

أولا: نشأة مجامع اللغة العربية.

ثانيًا: الإسهامات المبذولة في مجامع اللغة العربية الفاعلة في الوطن العربي.

ثالثًا: الرُّؤى والاحتياجات المستقبلية لدى المجامع العربية.

رابعًا: التَّحديات والمعوِّقات التي تواجه مجامع اللغة العربية وتنفيذ أهدافها.

الكلمات المفتاحية: مجامع اللُّغة العربيَّة، التَّعليم العالي العربي، لغة البحث العلمي، التَّحولات الحضاريَّة.

Abstract:

This research aims at addressing the contributions of the Arabic Language Councils in the development of higher education through the extrapolation of the objectives and the general functions stipulated in the laws and regulations of these councils in some Arab countries, which, as early as the beginning of the twentieth century, Arabic Synonyms. Especially after the emergence in the Arab world of various cultural and cultural changes and developments, helped to form many of the internal and external factors of the Arab component.

However, there is a growing decline in the role of the Arabic language at many levels, the most important of which are: education, learning and the language of scientific research, as well as its cultural role in preserving the identity of the Arab man in particular. In particular, it was established for that role, while not forgetting the role of concerned parties and parties, especially higher education institutions spread throughout the Arab countries. The research was organized in the following axes:

First: the emergence of the Arabic language assemblies.

Second: The contributions made in the active Arabic language assemblies in the Arab world.

Third: Future visions and needs of Arab societies.

Fourth: Challenges and constraints facing the Arabic language assemblies and the implementation of their objectives.

Keywords: Arabic Language Academies, Arab Higher Education, The language of scientific research, Civilizational transformations.

المقدمة

لقد انبثق دور مجامع اللغة العربية بصفة عامة، من ذلك الدور الذي يضطلع به علم اللغويات، الذي يهتم بدراسة التراكيب اللفظية والصوتية ومعناها في جميع لغات العالم، وذلك من خلال معرفة أصول الكلمات ومعناها وتطور مدلولاتها ضمن سياقاتها التاريخية المختلفة، وهو كذلك علم اهتم بوضع نظريات علمية تفسر نشأة اللغات وما اعتراها من حركة تطور بفعل العوامل الداخلية والخارجية، عبر سيرورتها التاريخية.

ولعل حجم الدراسات التي أولى أصحابها دراسة اللغة بمستوياتها المختلفة، واسع جدًّا، سواءٌ على صعيد الدراسات الغربية أم العربية، وهي، في أغلبها تقع ضمن الإطار الألسني البنيوي الذي أفضى

إلى الاتجاهات السيميولوجية- الثقافية الفلسفية، وكان من بين الجهود التي بذلت في إطار الألسنية البنيوية، تلك التي بدأت مع فرديناند دي سوسير، وزيللج هاريس، وإميل بنفنست. وأما في الإطار السيميولوجي، فذلك ما نجده عند ميخائيل باختين، وفلاديمير بروب، وغريماس، ورولان بارت، وميشال فوكو، وتودوروف وجيرار جينيت، وغيرهم من البنيويين.(1).

وقد تنبه عدد من علماء اللغة العربية إلى ضرورة تأسيس مجامع للغة العربية في بعض من أقطار الوطن العربي، وخاصة بعد أن خضع الوطن العربي إلى حملة واسعة من الاستعمار والاحتلال والانتداب الأجنبي، وما رافقها من آثار التداخل الثقافي بين الشعوب. وقد بادر نخبة من هؤلاء العلماء لتأسيس مجامع لغوية تسعى لحماية اللغة العربية من المفردات والمصطلحات الدخيلة، وتصحيحيها من الأخطاء الشائعة، وتعريب المصطلحات الأجنبية، التي رافقت انتشار الآلة والطباعة وحركة الترجمة آنذاك.

وسوف يعنى هذا البحث بدراسة: نشأة مجامع اللغة العربية، والإسهامات المبذولة في مجامع اللغة العربية الفاعلة في الوطن العربي، والرؤى والاحتياجات المستقبلية لدى المجامع العربية، والتحدِّيات والمعوِّقات التي تواجه مجامع اللغة العربية وتنفيذ أهدافها.

وقد سعى الباحث إلى الإفادة من بعض مناهج البحث، من مثل: المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتاريخي؛ لملاءمتها لطبيعة الدراسة. وأما مصادر البحث ومراجعه، فقد اتكأ الباحث على منشورات المجامع، ومؤلفاتها التي تتضمن: المجلات، والمعاجم، والمؤتمرات، ومؤلفات المجمعيين، وغيرها من الكتب والمراجع ذات الصلة بالموضوع.

أولا: نشأة مجامع اللغة العربية

المجْمَعُ لغةً: من "جَمْعٌ"، في قولك: جَمَعْت الشَّيْءَ، والجَمْعُ: المجتمعون، وهو اسم لجماعة من النّاس، وقد استعملوا ذلك في غير النّاس، حتّى قالوا: جماعة الشّجر، وجماعة النّبات، وللموضع الّذي يجتمعون فيه(2).

وترجع تسمية "المجْمَع"، إلى المصطلح اللاتيني Académie ، وقد انتقلت إلى الفرنسية وهي: Académie، وإلى الإنجليزية: Académiy، والكلمة يونانية الأصل نسبة إلى البطل اليوناني الأسطوري أكاديموس Académos ، وقد أطلقت هذه التسمية في الأصل على حديقة يونانية؛ حيث كان يجلس أفلاطون (374 ق. م) وتلامذته، وكان يجري في هذا المجلس مناقشة القضايا والموضوعات

(1) انظر: عدنان علي محمد الشريم. الخطاب السردي في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015، ص 7.
(2) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، تحقيق. عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003، مادة "جمع".

التي تخطر على باله وأتباعِه؛ من فلسفية وعلمية وأدبية وسياسية وغيرها، ولما توفي أفلاطون لازمت تسمية أكاديمية مجالس أتباعه ومريديه(1).

وفي تاريخنا الحديث، ظهرت المجامع اللغوية، بمفهومها الدقيق، في فرنسا، حيث أصدر الأديب والسياسي الفرنسي ريشيليو سنة 1635م أمرًا ملكيًّا بإنشاء ما سماه (الأكاديمية الفرنسية) التي بدأت باثني عشر عضوًا، ثم صدر قانونها فرفعهم إلى أربعين، وقد قصرت العضوية فيها على الفرنسيين، وكان أهدافها: إعداد معجم شامل، ووضع قواعد للبلاغة والعروض والإملاء والنحو. وكان عملها المجمعي هو معجمها الذي صدرت طبعته الثامنة عام 1932– 1935م، وعلى غرارها أنشئت (الجمعية العلمية الملكية) في إنكلترا بعد ربع قرن، وتلتها الأكاديميتان الألمانية والروسية، وغلب عليها الطابع العلمي.(2).

وقد عدَّ الدارسون (المجمع العلميّ المصريّ) الذي تأسس سنة 1798م، أول مجمع علمي عربيّ أنشئ على غرار الأكاديميّة الفرنسيّة، وقد بلغ عدد أعضائه آنذاك (48 عضوًا)، وكان لهذا المجمع نشرة تصدر كلّ ثلاثة أشهر، وقد نشرت أعماله في أربع مجلات، غير أنّه تعطل إثر خروج الفرنسيين من مصر سنة 1801م.(3).

وفي مطلع القرن العشرين المنصرم، ظهرت أربعة مجامع لغويّة تباعًا في الوطن العربي، وهي، وفق تسلسلها الزمني، على النحو الآتي:

1. مجمع اللُغة العربية بدمشق سنة (1919م)

يُعَدُّ مجمعُ اللغة العربية بدمشق، أقدم مجمع للّغة العربيّة في الوطن العربيّ، وذلك وفقًا للمفهوم الدقيق للمجامع اللغويّة التي شهدتها الساحة العربية مع بدايات القرن العشرين، والفضل يعود في تأسيسه إلى عهد حكومة الملك فيصل في سوريا سنة 1919م؛ وذلك من أجل النهوض باللغة العربية آنذاك. وقد كان للمجمع أثر كبير في تعريب المؤسسات، وهيئات الدولة، وتعريب التعليم.

وقد جاء تأسيس هذا المجمع "وليد التفكير في ضرورة حلّ مشاكل اللغة العربية، التي كانت تعاني من الضعف والتهميش في العهد العثماني، لأنَّ الدولة أبعدتها عن أن تكون هي اللغة الرسمية في العالم

(1) انظر: هلال ناتوت. المجامع اللغوية العربية حديثًا ، الإمارات العربية المتحدة ، دبي ، مجلة: "آفاق الثقافة والتراث" ، ع ، 11، رجب ، 1416 هـ / ديسمبر 1995 م ، ص ، 14. وانظر: جيلالي بوترفاس. تيسير النحو العربي في منظور المجامع اللغوية العربية (المجمع اللغوي السوري نموذجا)، مخطوطة لنيل درجة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014، ص97.

(2) انظر: خير الله الشريف. المجامع اللغوية العربية (دمشق، القاهرة، بغداد، عمّان)، مجلة "التراث العربي"، اتحاد الكتاب العربي بدمشق، ع 109، ربيع الآخر1429هـ ، آذار2008، ص 241.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص241.

الإسلامي، عندما كانت تسيطر عليه، ففرضت اللغة التركية بدلا منها، وجعلتها اللغة الرسمية المستعملة في الإدارة".(1).

وقد ذكر مجمع اللغة العربية بدمشق في النسخة المعدلة من قانون إنشائه، أنه يعنى بالأهداف الآتية:

المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهجية محددة، والسعي في توحيدها ونشرها في الوطن العربي.

ج. العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها وصلتها بالحضارات الأخرى.

د. العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقا ونشرا.

ه. النظر في أصول اللغة العربية وضبط أقيستها، وابتكار أساليب ميسرة لتعليم نحوها وصرفها وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها.

و. السعي في الحؤول دون استفحال العامية في شتّى المجالات.

ز. النظر في كل ما يرد إلى المجمع من موضوعات تتصل بأغراضه.(2).

وقد سعى مجمع اللغة العربية بدمشق، إلى تحقيق أهدافه وأغراضه، وذلك من خلال عدة وسائل، لعل من أبرزها: وضع معجمات لغوية عصرية، ومعجمات للمصطلحات العلمية ذات تعريفات محددة. وإصدار الكتب، والنشرات، ونشر ما يراه مناسبًا لأغراضه في مجلة المجمع. وعقد المؤتمرات السنوية، والندوات، وإلقاء محاضرات تتصل بأغراض المجمع، والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من ندوات ومؤتمرات مماثلة. وتوثيق الصلة باتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والتعاون مع المجامع اللغوية والعلمية الأخرى لخدمة أغراض. والاستعانة بكل ما تنتجه التقانات الحديثة من وسائل لخدمة اللغة العربية. والسعي لدى الجهات المسؤولة لاتخاذ كل ما ينتهي إليه المجمع من قرارات؛ لسلامة اللغة وتيسير تعميمها وتوحيد المصطلحات.(3).

2. مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (1932م)

(1) إبراهيم الحاج يوسف. دور مجامع اللغة العربية في التعريب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، ط1، 2002م ص 15.
(2) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص 242.
(3) المرجع نفسه، ص 243.

أُنْشِئَ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بعد "محاولات سابقة"(1) لم يكتب لها النجاح، وقد أخذت جميع هذه المحاولات صفة المجامع الأهلية. غير أنها أسفرت في نهاية المطاف، عن إنشاء مجمع اشتهر في الشرق والغرب، بخدماته الجليلة في ميادين العلم والمعرفة واللغة والحضارة، وقد أنشئ المجمع بمرسوم صدر بقصر عابدين (مقر إقامة فؤاد الأول) يوم 14 من شعبان سنة 1351ه الموافق 13 من ديسمبر 1932م، وسمّي آنذاك "مجمع اللغة العربية الملكي"(2)، واتخذ مدينة القاهرة مركزا له. وقد نصّ المرسوم على أن المجمع يتكون من عشرين عضوًا عاملا من بين العلماء المعروفين بتعمقهم باللغة العربية أو ببحوثهم في فقهها ولهجاتها دون تقيد بالجنسية. وذلك اصطبغ مجمع القاهرة في نشأته بصفة عالمية على غرار الأكاديمية الفرنسية؛ فضم أعضاء مصريين وغير مصريين من أشقائهم العرب والمستعربين، وأجاز المرسوم اختيار أعضاء فخريين ومراسلين.(3).

ولم يتوانَ مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن بذل "الجهود للحفاظ على اللغة العربية وجعلها وافية بحاجات العلوم والفنون، وشؤون الحياة في العصر الحاضر، وتهيئة الوسائل لذلك بوضع المعاجم وغيرها، والتنبيه على ما ينبو عن العربية من الألفاظ والصيغ، والعمل على وضع معجم تاريخي لغوي، والعناية بدراسة اللهجات العربية الحديثة في مصر وغيرها ...، واتخاذ كل الأسباب لتقدم العربية.(4).

وقد تطور مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد انتهى إلى تعديل أغراضه الرئيسة ووسائل تحقيقها على النحو الآتي:

المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

النظر في أصول اللغة العربية، وأساليبها لاختيار ما يوسّع أقيستها وضوابطها ويبسّط تعليم نحوها وصرفها، وييسّر طريقة إملائها وكتابتها.

ج. دراسة المصطلحات العلمية، والأدبية، والفنية، والحضارية، وكذلك دراسة الأعلام الأجنبية، والعمل على توحيدها بين المتكلمين بالعربية.

(1) بدأت هذه المحاولات بتأسيس (مجمع البكري)، الذي بقي عدة أشهر في القاهرة سنة 1892م، ومن أبرز أعضائه: محمد عبده، محمد توفيق البكري، محمد محمود الشنقيطي، ثم (نادي خريجي دار العلوم) الذي عقد جلسة سنة 1908م بدعوة من حفني ناصف، وضم محمد الخضري، وطنطاوي جوهري، ثم عقد جلسة أخرى سنة 1925م. ثم (مجمع دار الكتب) المؤسس سنة 1916م، وبقي إلى سنة 1919م، ودعا إليه مدير الدار أحمد لطفي السيد وهو كاتب سره، وكان رئيسه سليم البشري شيخ الأزهر، وتلاه أبو الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر، ومن أعضائه أحمد الإسكندري، وحفني ناصف، وحمزة فتح الله، وعاطف بركات، وكان يتألف من (28) ثمانية وعشرين عضوا. انظر: الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص 244.

(2) سمّي سنة 1938م مجمع فؤاد الأول للغة العربية، ثم تغير سنة 1954م بقرار جمهوري فأصبح مجمع اللغة العربية. انظر: الحاج يوسف ، دور مجامع اللغة العربية في التعريب (مرجع سابق)، هامش رقم (2)، ص 23.

(3) محمود حافظ. مجمع اللغة العربية- موجز عن تاريخه وإنجازاته (1932- 2007)، ط3، ص6.

(4) شوقي ضيف. مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا، القاهرة، ط1، 1984، ص20.

د. بحث كل ما له شأن في تطوير اللغة العربية والعمل على نشرها.

ه. بحث كل ما يرد للمجمع من موضوعات تتصل بأغراضه السابقة.

وقد سعى المجمع إلى تنفيذ أغراضه الآنفة، من خلال عدة وسائل وهي على النحو الآتي(1):

وضع معجمات لغوية محررة على النمط الحديث في العرض والترتيب، ومعجمات علمية اصطلاحية خاصة أو عامة ذات تعريفات محددة.

بيان ما يجوز استعماله لغويًا، وما يجب تجنبه من الألفاظ والتراكيب في التعبير.

ج. الإسهام في إحياء التراث العربي في اللغة والآداب والفنون، وسائر فروع المعرفة المأثورة.

د. دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية؛ لخدمة الفصحى والبحث العلمي.

ه. دراسة قضايا الأدب ونقده وتشجيع الانتاج الأدبي، بالتنويه به، أو بعقد ندوات ومسابقات فيه ذوات جوائز، أو بأية وسيلة أخرى.

و. إصدار مجلات أو نشرات أو كتب تحوي قرارات المجمع وأعماله وبحوث أعضائه وغيرهم، مما يتصل بأغراض المجمع.

ز. توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه المجمع، لخدمة سلامة اللغة وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات.

ح. الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات التي تتصل بأغراض المجمع والاشتراك فيما يُدعى إليه المجمع من مؤتمرات وندوات تتصل بأغراضه.

ط. توثيق الصلات بالمجامع والهيئات اللغوية والعلمية في مصر وخارجها.

ي. اتخاذ أية وسائل لتحقيق أغراض المجمع.

3. المجمع العلمي ببغداد (1945م)

ترجع فكرة إنشاء المجمع العلمي بالعراق إلى بداية العهد الفيصلي 1921م، فقد حاولت وزارة المعارف آنذاك إنشاء مجمع باسم "لجنة الترجمة والتعريب" سنة 1340ه-1921م، وقد كانت مهمة هذه اللجنة تعريب الكلمات الأجنبية، ووضع مصطلحات لها، غير أن هذه الفكرة قد تعذر تنفيذها.(2).

وقد استمرت المحاولات المتعثرة التي مرت بها هذه اللجنة إلى سنة 1945م، حيث أنشأت الحكومة العراقية في ذلك العام، من خلال وزارة المعارف لجنة أخرى دعتها "لجنة التأليف والترجمة والنشر"

1( ) محمود حافظ وفاروق شوشة. إطلالة تاريخية على قانون المجمع وتعديلاته، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 2010م ص9،10.

(2) انظر: أحمد مطلوب. حركة التعريب في العراق، الكويت، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر،1983م، ص 152.

لمؤازرة المؤلفين والمترجمين والناشرين، ثم نظرت إلى منزلة العراق من البلاد العربية قديمًا وحديثًا وما ينبغي من توسيع نطاق النشاط العلمي فيه، فألغت اللجنة وأنشأت في 26 نوفمبر1947م المجمع العلمي العراقي، فكان ثالث المجامع العلمية بعد مجمعي دمشق والقاهرة، ويتألف المجمع من أعضاء عاملين وعددهم أربعة وعشرون عضوًا، وأعضاء مؤازرين من عراقيين وغيرهم، وأعضاء شرف، وكان أخر ما صدر فيما يتعلق بقانون المجمع سنة 1995م.

أما أهداف المجمع وفق المادة الثانية من قانونه الأساسي، فقد جاءت على النحو الآتي(1):

النهوض بالدراسات العلمية في العراق لمسايرة التقدم العلمي.

المحافظة على سلامة اللغة العربية والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون.

ج. إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون.

د. العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته.

ه. نشر البحوث الأصيلة وتشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآدب والفنون.

ولتحقيق أهدافه يقوم المجمع بالأنشطة التالية، حسب المادة الثالثة من قانونه الأساسي(2):

وضع معجمات لغوية وعلمية.

إصدار مجلات ونشرات.

ج. نشر الكتب والوثائق والنصوص القديمة.

د. توثيق الصلة بالمجامع والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية من البلاد العربية وغيرها.

ه. منح الباحثين والعلماء والأدباء المبرزين جوائز.

و. تقديم عون مالي للباحثين والمؤلفين والمترجمين.

ز. الدعوة إلى التأليف والترجمة في موضوعات يختارها المجمع.

ح. إقامة ندوات للتدريس.

ط. إنماء مكتبة المجمع واستكمال شؤون الطباعة فيه.

4. مجمع اللغة العربية الأردني (1976م)

(1) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص 247.
(2) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص 247.

لقد سبق تأسيس هذا المجمع، مبادرة لإنشاء مجمع، كانت بأمر من المغفور له سمو الأمير عبد الله بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية، حيث أصدر إرادته بتأسيس مجمع علمي في عمان ونُشِرَ في الجريدة الرّسمية لحكومة شرقي الأردن في 23 تموز سنة 1923م. ما نصه:

"صدرت الإرادة المطاعة بتأسيس (مجمع علمي) بحماية صاحب السمو الملكي الأمير المعظم يكون رئيسًا له سماحة الأستاذ وكيل الأمور الشرعية الشيخ سعيد أفندي الكرمي، وأعضاؤه العاملون الفيلسوف العلامة رضا توفيق بك والأستاذ اللغوي المفضال الشيخ مصطفى الغلاييني والأستاذ الفاضل السيد رشيد بقدونس ومدير الجريدة الرسمية الأديب السيد محمد الشريقي، فينتخب هؤلاء الأعضاء العاملون إخوانهم من الأعضاء الفخريين في الأقاليم العربية كافة على الطريقة التي يقررونها، فيكون ذلك عاملا قويًّا من عوامل إحكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد، كما أن الأعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة إدارية لمصلحة الآثار."(1).

ومن هنا يمكن القول: إنّ المجمع الأردني، الذي صدر مرسوم تأسيسه في 23/ تموز 1923م، يُعدُّ ثاني مجمع للغة العربية يُؤسَّس في الوطن العربي، بعد المجمع العلمي العربي بدمشق الذي تأسَّس سنة 1919م، ولكن لم يقدّر لمجمع عمَّان الحياة لقلة الإمكانات المالية والعلمية والبشرية آنذاك. وفي سنة 1961م أنشئت في وزارة التربية والتعليم بعمَّان اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، استجابة لإحدى توصيات مؤتمر التعريب الأول الذي عقد في الرباط في شهر نيسان من ذلك العام. وصدرت عن تلك اللجنة فكرة تأسيس المجمع. وبدأت الاستجابة الأولى لهذه الفكرة في أوائل سنة 1973م، إذ وافق مجلس الوزراء على إرسال ثلاثة وفود من أعضاء لجنة التعريب والترجمة والنشر، لزيارة مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد، للتعارف ولدراسة أعمال هذه المجامع وأنظمتها وأساليب العمل فيها، والاطلاع على أجهزتها العامة، وحضور جلسة عمل في كلٍّ منها، ومعرفة آراء أعضائها النابعة من تجاربهم الشخصية فيها. وفي أواخر سنة 1973م، وافق مجلس الوزراء من حيث المبدأ على طلب وزير التربية والتعليم تأسيس المجمع، غير أن اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر استمرت في ممارسة أعمالها حتى صدرت الإرادة الملكية السامية بتأسيس مجمع اللغة العربية الأردني. ونشر نص قانون المجمع المؤقت رقم (40) لسنة 1976م في عدد الجريدة الرسمية ذي الرقم (2634) الصادر في 1976/7/1م. وتنص المادة(3-أ) منها على أن:" يؤسس في المملكة الأردنية الهاشمية مجمع يسمى (مجمع اللغة العربية الأردني) يتمتّع بشخصية معنوية ذات استقلال مالي وإداري ضمن أحكام هذا القانون، وله أن يكون في هذه الصفة في جميع التصرفات والاجراءات القانونية، وأن ينيب عنه فيها النائب العام أو يعين أي وكيل آخر".(2).

(1) مجمع اللغة العربية الأردني في أربعين عامًا، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1437هـ – 2016م، ص 26.
(2) مجمع اللغة العربية الأردني في أربعين عامًا، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1437هـ – 2016م، ص 28.

وقد تجسدت أهداف مجمع اللغة العربية الأردني(1)، وفقا لنص قانون المجمع على النحو الآتي:

الحفاظ على سلامة اللغة العربية والعمل على أن تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة.

النهوض باللغة العربية لمواكبة متطلبات مجتمع المعرفة.

ج. وضع معاجم مصطلحات العلوم والآداب والفنون، والسعي إلى توحيد المصطلحات بالتعاون مع المؤسسات التربوية والعلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها.

د. إحياء التراث العربي والإسلامي.

ويتولَّى المجمع في سبيل تحقيق أهدافه ما يلي(2):

إجراء الدارسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية.

تشجيع التأليف والترجمة والنشر في اللغة العربية وقضاياها.

ج. عقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها، وإقامة المواسم والندوات الثقافية.

د. نشر المصطلحات الجديدة التي يتمّ توحيدها في اللغة العربية بمختلف وسائل الإعلام، وتعميمها على أجهزة الدولة.

ه. إصدار مجلة دورية محكّمة ورقيا وإلكترونيا تسمّى مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، وأي مجلة متخصصة أخرى.

و. التعاون مع الجامعات والمؤسسات العلمية والتربوية داخل المملكة وخارجها، وإقامة روابط علمية معها، وتوثيق الصلة بالمجامع العلمية واللغوية في البلاد العربية والإسلامية والأجنبية.

ثانيًا: الاسهامات المبذولة في مجامع اللغة العربية

إنَّ الأهداف العريضة والوظائف التي نصَّت عليها قوانين ولوائح مجامع اللغة العربية التي خصَّتها هذه الدارسة بالبحث، ليكشف لنا، من جهة، أهميَّة الإسهامات الواسعة التي بذلتها تلك المجامع وما زالت تعكف على تحقيها، وهي من جهة أخرى، تكشف لنا الدور الكبير الذي تضطلع به هذه المجامع في سبيل الحفاظ على إرث الأمَّة اللغوي، الذي ظلَّ لغة العالم ردحًا واسعًا من التاريخ الإنساني. ولعلَّ هذه الاسهامات، تكشف لنا من جهة ثالثة، ما يمكن أن تقوم به اللغة العربية من دور فاعل منشود بوصفها مُكوِّن حضاري إنساني.

(1) المرجع نفسه، ص ص 30، 31.
(2) المرجع نفسه، ص 31.

ولعلَّنا في هذا الجانب من الدراسة نتوقف، بشكل مقتضب، عند أبرز ما حققته هذه المجامع من إنجازات في مسيرة تأسيسها، ومدى إسهامها في إحداث حركة تنمية وتطوير لمسيرة التعليم في الوطن العربي.

فقد تجلَّت منجزات مجمع اللغة العربية بدمشق، في ثلاثة أنواع من الإصدارات، وهي على النحو الآتي(1):

تحقيق المخطوطات: بدأت إصدارات المجمع من الكتب التراثية المستقلة عن المجلة المحققة تحقيقا علميًا منذ عام 1930م، ولعل من أبرز هذه الكتب المحققة كتاب (مشوار المحاضرة) الذي بدأه المستشرق مرغليوث، وكان آخر ما صدر منها كتاب (ديوان بن سنان الخفاجي) عام 2008م، وبلغت عدة هذه الكتب (150) كتابًا بين مجلد وعشرات المجلدات، ومن أبرز التحقيقات التي ما تزال تصدر(تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر الذي أصدر منه المجمع نحو (40) مجلدًا، وهناك عشرات أخرى من النصوص أو الرسائل المحققة نشرها المجمع ضمن مجلته.

التآليف والمحاضرات والفهارس ومعاجم المصطلحات: درج المجمع منذ إنشائه على أن يعهد إلى أعضائه أو من يثق بهم بإلقاء محاضرات ثقافية أودعها سلسلة مطبوعاته، وقد صدر منها(6) أجزاء، كما عهد إلى مجموعة من الأساتذة بوضع فهارس لمخطوطات دار الكتب الظاهرية بلغت قرابة (40) أربعين مجلدًا، كما نشر مجموعة من التآليف والدراسات والتراجم بلغت (40) كتابًا أيضًا، واصدر ستة من معاجم المصطلحات المستقلة هي:(معجم المصطلحات الحراجية، معجم المصطلحات الأثرية، معجم مصطلحات الفنون، معجم المصطلحات الحديثة، نظرة في معجم المصطلحات الطبية كثير اللغات)، كما أصدر على صفحات مجلته معاجم مصطلحات أخرى مثل: (الاصطلاحات الفلسفية، نواة معجم الموسيقى) وغيرها، وأصدر (معجم الكلمات المصطلحية في لسان العرب)، وأصدر مجلدين بعنوان (الألفاظ المعرّبة والموضوعة الواردة في مجلة المجمع العلمي العربي) ضمت (7000) مصطلح وردت في المجلدات الأربعين الأولى منها وهناك مشروعات لتوحيد ثمانية من معاجم المصطلحات في الجامعات السورية سيصدرها المجمع تباعًا، وقد أنجز أحدها وهو معجم الفيزياء، وهو بصدد معاجم: الكيمياء والرياضيات والمعلوماتية والعلوم الطبيعية والزراعية، وهو بصدد إعداد معجم لألفاظ الحضارة في ثلاثة مجلدات هي: الحياة اليومية، البيئة والاقتصاد والتربية، والعلوم والآداب والفنون.

ج. مجلة المجمع: بدأ صدورها سنة 1921م، وكانت تسمى (مجلة المجمع العلمي العربي)، ثم صار اسمها (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق)، وقد صدر منها حتى الآن (330) جزءًا. آخرها الجزء الثاني من المجلد (83)، وتضم بين دفتيها بحوثًا علمية محكّمة ونصوصًا محقّقة، واجتهادات في وضع المصطلح والحفاظ على سلامة اللغة.

(1) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص 244.

أما منجزات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد تمثَّلت في عدَّة إصدارات ومنها(1):

معاجم لغوية: معجم ألفاظ القرآن الكريم في جزأين، والمعجم الكبير، والمعجم الوسيط، والمعجم الوجيز.

مجموعة المصطلحات العلمية والفنية: وتضم (170000) مصطلح، وقد أصدرها المجمع في تسعة عشر معجمًا، وهي الجيولوجية، الفيزياء النووية والإلكترونيات، والفيزياء الحديثة، والحاسبات، والمصطلحات الطبية، والكيمياء والصيدلة، والبيولوجية في علوم الأحياء والزراعة، والنفط، والرياضيات، والجغرافية، والفلسفة، وألفاظ الحضارة، والفنون وعلم النفس، والهندسة الميكانيكية، والقانون، والهيدرولوجية، والموسيقا ومصطلح الحديث النبوي، وأصول الفقه.

ج. بحوث لغوية: وهي قرارات لجنة المجمع من خلال لجنة الأصول المنشورة في كتاب(في أصول اللغة)، وقرارات لجنة الألفاظ والأساليب المنشورة في كتاب (الألفاظ والأساليب).

د. إحياء التراث: ويتجلى في عشرة كتب محققة علميًّا هي: "عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب" للحازمي الهمذاني، و"التكملة والذيل والصلة" للزبيدي، و"التكملة والذيل والصلة" للصاغاني، و"ديوان الأدب" للفارابي، و"الأفعال" للسرقسطي، و"الجيم" للشيباني، و"التنبيه والإيضاح" لابن بري، و"الشوارد مما تفرد به بعض أئمة اللغة" للصاغاني، و"غريب الحديث" لابن سلام، و "ما يعول عليه في المضاف والمنسوب" للمحبي.

ه. المحاضرات، والبحوث والدراسات والمحاضرات المنبثقة عن المجلس والمؤتمر.

و. مجلة المجمع: صدر جزؤها الأول سنة 1934م وتصدر مرتين في العام، وبلغت (100) عدد.

ز. النَّدوات: طبع منها (علي الجارم: قضايا اللغة العربية)، (د. إبراهيم أنيس والدرس اللغوي)، (د. شوقي ضيف على الإنترنت)، (الأرقام ومكانتها في قضية التعريب).

أما المجمع العلمي العراقي، فقد تمثلت إسهاماته في المنجزات الأتية(2):

مجلة المجمع: فقد صدرت سنة 1950م، تحت مسمّى (مجلة المجمع العلمي العراقي)، ثم صار اسمها سنة 1995م (مجلة المجمع العلمي)، وانتظم صدروها فصليّة منذ عام 1980م، وقد وضع الدكتور عبد الله الجبوري كشافًا لها من عام 1950 إلى عام 2000م.

رعاية المصطلحات: أصدرت لجان المجمع اثنتي عشرة مجموعة من المصطلحات العلمية في مجالات كثيرة. وأصدر الدكتور أحمد مطلوب معجمًا للمصطلحات البلاغية، وأصدر الأستاذ محمد حسن آل

(1) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص246.
(2) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص ص 247، 248.

ياسين الجزء الأول من معجم النبات والزراعة، والثاني اصدرته لجنة الزراعة في المجمع، وأصدر المجمع سنة 1993م كتاب "ألفاظ حضارية محدثة"، وسنة 1998م كتاب " ألفاظ حضارية".

ج. العناية بالتراث ورعاية حركة التأليف والترجمة: بلغت مطبوعات المجمع منذ تأسيسه إلى سنة 2000م قرابة (500) مطبوع.

أما إسهامات مجمع اللغة العربية الأردني، فقد تجسدت في المنجزات الآتية(1)، ولعل من أبرزها:

تعريب التعليم الجامعي: يقوم مجمع اللغة العربية الأردني بترجمة الكتب العلميّة التي تدرس في كلية العلوم في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك، وقد عمل على ترجمة (19) تسعة عشر كتابًا علميًا، نشرها بين سنة 1981م وسنة 1997م في الرياضيات والبيولوجية والجيولوجية والفيزياء والكيمياء والطب.

ووضع المصطلحات العلمية: يقوم المجمع بإصدار كراسات تضم مصطلحات علمية في جميع المجالات، وقد أنجز إصدار (21) واحد وعشرين كراسًا بين سنة 1981م وسنة 1998م في علوم الأرصاد الجوية والزراعة والدهانات والعلوم العسكرية والتمريض والكهرباء والتجارة والنجارة والخراطة والتكييف والهندسات.

ج. وضع فهارس مخطوطات المكتبات وتحقيق المخطوطات: أصدر المجمع (6) ستة فهارس مخطوطات لمكتبات في الأردن وفلسطين، ونشر سنة 1976م تحقيقًا لرسائل المعري في ثلاثة أجزاء، وسنة 1982م تحقيقًا لكتاب المقنع في الفلاحة لابن حجاج الإشبيلي.

د. إنهاء المشروع الأردني من (المعجم العربي الموحد لألفاظ الحياة العامة) بعد الجمع والتدقيق والتخزين لقرابة (50000) خمسين ألف لفظ وتشذيبها وغربلتها والانتقاء منها وفق معايير محددة تمهيدًا لإرسالها إلى اتحاد المجامع.

ه. إصدار دورية علمية متخصصة هي مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، وهي مجلة محكّمة تصدر مرتين في السنة، صدر منها (72) اثنان وسبعون عددًا.

و. المشاركة في الأنشطة الثقافية داخل الأردن وخارجه: أثمرت جهود المجمع الأردني عددًا من البحوث داخل الأردن، فعقد ندوات ومحاضرات نشر بحوثها في سلسلة الموسم الثقافي التي بلغت (21) واحدًا وعشرين كتابًا بين عامي 1983- 2003م، وفي الندوة الإعلامية المشتركة سنة 1980م، وندوة الازدواجية في اللغة العربية سنة 1988م، وظهرت من خلال التقارير السنوية الستة والعشرين المطبوعة للمجمع من عام 1977- 2003م، وخارج الأردن من خلال ندوات المجامع الأخرى ومؤتمرات اتحاد المجامع.

(1) الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص ص 249- 250.

ز. معالجة أسباب ضعف الناطقين بالعربية في لغتهم: بتعميم التسميات العربية للمؤسسات والشركات الأردنية والمحال التجارية وإلغاء الأجنبية، عقد دورات للعاملين في الإعلام بالتعاون مع الجهات المعنية، وبحث وسائل معالجة الضعف عند الطلبة في اللغة العربية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، ووضع كتب مبحث اللغة العربية لجميع الصفوف في مرحلة التعليم الأساسي بالاتفاق مع وزارة التربية والتعليم.

ومن منجزات التي تضاف إلى مجمع اللغة العربية الأردني(1): أنشأ مكتبة تضم ما يزيد على ستة وعشرين ألف كتاب ودورية ومجلة. وللمجمع إذاعة باللغة العربية السليمة في سائر ما تقدّم تخدم العربية وترتقي بالذائقة الفنية، وتحبب الناس بالفصيحة، وتطلعهم على قدرات اللغة وكنوزها ومرونتها وغناها. وقد فاز مجمع اللغة العربية الأردني بداية عام 2017م، بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والآداب، وفاز بمنحة صندوق الأوبيك للتنمية لطباعة "معجم لسان العرب الاقتصادي". كما ينظم المجمع مسابقات ثقافية سنوية خاصة به في فن الخط العربي ومسابقات للأطفال بعنوان" أحب لغتي العربية"، ومسابقة لأفضل كتاب مترجم، ولأفضل مبادرة لغوية وتقرير صحفي يخدم اللغة العربية، ويخصص المجمع جوائز ومكافآت مجزية لهذه المسابقات انطلاقا من رؤية المجمع وسعيًا لتحقيق أهدافه على الحفاظ على سلامة اللغة العربية. وقد أطلق المجمع مسابقات مشتركة مع الجامعة الأردنية ووزارة التربية والتعليم في فن الخط العربي وفي التأليف والترجمة والإنشاد الشعري على مستوى المملكة. وقد نفذ امتحان الكفاية في اللغة العربية تطبيقًا للمادة العاشرة من قانون حماية اللغة العربية رقم خمسة وثلاثين لعام ألفين وخمسة عشر، بواقع دورة واحدة في كل شهر على الأقل. كما فاز المجمع بجائزة محمد بن راشد للغة العربية في محور السياسة اللغوية والتخطيط والتعريب عن أفضل مبادرة في السياسة والتخطيط المتمثلة في قانون حماية اللغة العربية في عام ألفين وثمانية عشر، ويعكف المجمع حاليًا على تأليف ونشر ودعم مجموعة من المعجمات في العلوم التربويّة والاقتصاديّة والرياضيّة والطبيّة والتاريخيّة.

ثالثًا: الرؤى والاحتياجات المستقبلية لدى المجامع العربية

لعل المتأمل في جميع منجزات المجامع الآنفة الذكر، يلاحظ أنَّ ثمة إسهامات حقيقية تبذلها تلك المجامع وما زالت تبذلها في مختلف مجالات الحياة. غير أنَّ واقع لغتنا العربية في وقتنا الحاضر بات يعاني ضعفًا متناميًا على مستوى انتشار اللغة العربية، سواءٌ بين مكونات المجتمع العربي أم مكونات العالم الأخرى، وذلك إلى حدِّ الانحسار المضطرد الذي بات يشكل تهديدًا حقيقيًّا ومصيريًّا أمام المجتمعات العربية على مختلف أنماط حياتهم، ومستوياتهم الفكرية والثقافية والتعليمية.

(1) انظر: التقارير السنوية لمجمع اللغة العربية الأردني، المنشورة في كتاب: مجمع اللغة العربية في أربعين عامًا (مرجع سابق)، ص ص 137- 149.

وبالعودة إلى دور المجامع الذي أنشئت من أجله، وهو بلا شك دور حضاري كبير، يتلخَّص في الحفاظ على دور اللغة العربية بوصفها مُكوِّن حضاري، وجزء لا يتجزأ من هُويّة المجتمع العربي، فقد لاحظت الدراسة أن المجامع العربية تكاد تشترك في رسم أهدافها العامة التي أعلنت عنها في قوانينها وأنظمتها، غير أن هذه الأهداف لم تكن لتلبي حاجة المكوّن العربي في خضم حركة النهضة المعرفية التي يشهدها العالم في وقتنا الحاضر، ولاسيّما بعد انتشار الثورة المعلوماتية الهائلة التي اجتاحت جميع مظاهر النشاط الإنساني على هذه البسيطة.

وقد لاحظت الدراسة أن المجامع سعت جاهدة على الاشتغال بالمنجز من إرثها السابق، تحقيقًا، وتصنيفًا، ودراسةً، وإعادةَ نشرٍ، وغيرها من مظاهر الاهتمام بالتراث العربي القديم، وهو على أهميته، لم يعد يلبي حاجة المجتمعات العربية، في سبيل اللحاق بركب التقدم العلمي والحضاري التي تعيشه المجتمعات الأخرى المحيطة بنا. ولعل هذا يدفعنا إلى القول: بأن المجامع العربية لا بد لها، وفي هذه المرحلة التي نعيشها على وجه التحديد، من أن تعيد النظر في تلك الوظائف، ومن ثم تحديد الاتجاهات الخاصة بها في ظل الإمكانات المتاحة، لكي نكشف عن أوجه القصور التي تعاني منها تلك المجامع بصفة عامة.

لقد سعت المجامع العربية، التي توقفت عندها الدراسة، على ترجمة العديد من الكتب العلمية التي تُدرَّس في مؤسسات التعليم العالي، مثل مصنفات: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والزراعة والهندسة وغيرها، بالإضافة إلى وضع مصطلحات علمية لها. وهي على الرغم من أهمية هذه المجهودات، إلا أنها لم تكن لتلبي حاجة هذا القطاع الهام من التعليم، ولا سيما أن هذه المصنفات العلمية، عادة، ما تشهد حركة تطور هائلة ومتسارعة وواسعة في مجال الانتاج المعرفي المتقدم. وهو أمر لا يمكن أن نجاريه من خلال دور الترجمة والتعريب فحسب، ما لم نكن نحن شركاء في استحداثه وإنتاجه بصورة فاعلة. وهو أمر لا يتحقق من غير تفعيل دور البحث العلمي في جميع مؤسساتنا التعليمية سواء في قطاع التعليم العام أم قطاع التعليم العالي من جامعات ومعاهد ومؤسسات التدريب والتأهيل المختلفة. وهذا لن يتحقق دون توفير الإمكانات اللازمة للبحث العلمي من إمكانات مادية، وبشرية، علاوة على ضرورة استحداث التشريعات التي تساعد على خلق بيئة بحثية جادة تلبي حاجة مجتمعاتنا في المستقبل، بدلا من أن تظل مجتمعاتنا مستهلكة لكل ضروب المعرفة الغربية، دون أن تكون شريكة فاعلة في إنتاجها.

ومن هنا بات من الضروري على مجامع اللغة العربية، ألا تبقى حبيسة المصادر التراثية التي أنجزها أصحابها في فترة سابقة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وقد كانت شاهدة على خلق نهضة معرفية علمية قلَّ نظيرها آنذاك بين الأمم والحضارات. وأن يتعدى دور هذه المجامع إلى ضرورة تفعيل دور البحث العلمي من أجل إعادة قراءة هذه المصنفات والمخطوطات قراءة معمّقة تساعد أبناءها على الإمساك بأدوات البحث العلمي الجاد من أجل إنتاج جيل معرفي جديد قادر على مواجه تحديات العصر الحاضر.

لقد سعت المجامع اللغوية، وخاصة، مجمع اللغة العربية الأردني، إلى التواصل مع المؤسسات والهيئات التعلمية المختلفة، وهو أمر لم يتحقق بالصورة الواسعة المرجوّة، وقد تجلّى هذا التواصل في جهود المجمع اليسيرة والتي تمثلت: ببحث وسائل معالجة الضعف عند الطلبة في اللغة العربية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم، ووضع كتب مبحث اللغة العربية لجميع الصفوف في مرحلة التعليم الأساسي بالاتفاق مع وزارة التربية والتعليم. هذا بالإضافة إلى ما قام به المجمع الأردني من تعريب للتعليم الجامعي الذي أشرنا إليه في موضع آنف من الدراسة.

ولكي تفعّل المجامع اللغوية دورها في تنمية وتطوير التعليم الجامعي، كان لابدَّ من العمل على خلق تواصل حقيقي مع مؤسسات التعليم الجامعي؛ وذلك من خلال الاعتماد على دور الأساتذة الجامعيين وطلبتهم في برامج الدراسات العليا فيما يمكن إسناده إليهم من: ترجمة وتعريب الكتب الدراسية الجامعية والنسخ المحدّثة منها لمواكبة التطور العلمي والثقافي، بالإضافة إلى التأليف المعجمي المتخصص، ووضع المصطلحات العلمية. وهو أمر يتطلب إلى اتخاذ حزمة من القرارات والتشريعات التي تمنحها الجهات المخوّلة بهذا الأمر، من أجل تنفيذها على النحو المرجوّ.

رابعًا: التَّحديات والمُعوِّقات التي تواجه مجامع اللغة العربية في تنفيذ أهدافها

لقد مرَّت مجامع اللغة العربية آنفة الذكر، بمجموعة من التّحديات والمُعوّقات التي حالت دون تحقيق أهدافها بالشكل المرجوّ، كما نصَّت عليها قوانينها وأنظمتها، وليس أدلّ على وجود هذه التحديات من فترات الانقطاع التي تخللت تأريخ تأسيسها، فمجمع اللغة العربية في القاهرة، قد سبقه مجامع غير رسمية، ومؤسسات تشبه المجامع، "فقد بدأت هذه المحاولات بتأسيس (مجمع البكري)، الذي بقي عدة أشهر في القاهرة سنة 1892م، ومن أبرز أعضائه: محمد عبده، محمد توفيق البكري، محمد محمود الشنقيطي، ثم (نادي خريجي دار العلوم) الذي عقد جلسة سنة 1908م بدعوة من حفني ناصف، وضم محمد الخضري، وطنطاوي جوهري، ثم عقد جلسة أخرى سنة 1925م. ثم (مجمع دار الكتب) المؤسس سنة 1916م، وبقي إلى سنة 1919م، ودعا إليه مدير الدار أحمد لطفي السيد وهو كاتب سره، وكان رئيسه سليم البشري شيخ الأزهر، وتلاه أبو الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر، ومن أعضائه أحمد الإسكندري، وحفني ناصف، وحمزة فتح الله، وعاطف بركات، وكان يتألف من (28) ثمانية وعشرين عضوا.(1). وكان لهذه المؤسسات وظيفتها العناية باللغة العربية. وهذه الجهود الأولية قام بها أفراد وجماعات، ولم يكتب لها أن تعمر طويلا لأسباب، أهمها: عدم مساعدة الدول العربية لها، ووجود المشاكل الإدارية، وعدم ثبات المسؤولين أو عدم الجديّة في العمل، والخلافات التي نشأت بين أعضائها نتيجة تباين الآراء حول إدارة تلك المجامع"(2).

(1) انظر: الشريف، المجامع اللغوية العربية (مرجع سابق)، ص 244.
(2) حلمي خليل، المولد في العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1985، ص 586.

أما المجمع العلمي العراقي، الذي انبثقت فكرته من وزارة المعارف، التي حاولت جاهدة على إنشاء مجمع باسم "لجنة الترجمة والتعريب" سنة 1925م، ومهمة هذه اللجنة تعريب الكلمات الأجنبية ووضع مصطلحات لها، ولكن هذه الفكرة تعذر تنفيذها، وجاءت إثره محاولة المعهد العلمي العراقي التي دعت إلى اجتماع رجال العلم والأدب في 23 يناير سنة 1925م، وأسفر هذه الاجتماع عن إنشاء مجمع يقوم بالتعريب وإيجاد المصطلحات العلمية، بالإضافة إلى ترجمة الكتب التي تمس الحاجة إليها فشُكّلت له لجنة إدارية، ورُسِم له منهاج يحتوي بعض اللوائح. وقد طلب المجمع من الحكومة العراقية توفير السبل المالية اللازمة لإدارته ونشاطه؛ ولكن عدم إيفاء الحكومة العراقية بهذه الالتزامات أدّى إل توقف المجمع. وفي عام 1945م عزمت وزارة المعارف على إنشاء مجمع، بعد أن رصدت له رصيدًا ماليا بتصديق من مجلس الوزراء، وإقرار من مجلس الأمة، غير أن وزير المعارف لظروف معينة أصدر أمرا بقطع ميزانية المجمع، مما أدى إلى توقفه.(1).

أما مجمع اللغة العربية الأردني، فقد تأسس في المرة الأولى التي يحدث فيها إنشاء مجمع لغوي في الأردن، في سنة 1924م، والذي انتخب له الشيخ سعيد الكرمي وكيل الشؤون الشرعية رئيسا له، غير أن حياة هذا المجمع لم تطل؛ لظروف لم يكن من الممكن التغلب عليها؛ وهي ظروف مادية وعلمية وبشرية. وقد استمر انقطاع المجمع عن عمله مدة ثلاث وثلاثين سنة، حتى سنة 1961م حيث أنشئت في وزارة التربية والتعليم بعمَّان اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر، استجابة لإحدى توصيات مؤتمر التعريب الأول الذي عقد في الرباط في شهر نيسان من ذلك العام. وصدرت عن تلك اللجنة فكرة تأسيس المجمع، وبدأت الاستجابة الأولى لهذه الفكرة في أوائل سنة 1973م.

ولعلَّ من أخطر التَّحديات التي تواجهها اللغة العربية من جهة، والمجامع اللغوية من جهة أخرى، "هي طغيان العامية، التي كان دعاتها يسعون لأن تصبح لغة العلم والثقافة والمسرح، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى القضاء على الفصحى، وقطع الصلة بين الماضي والحاضر، والتفريق بين أجزاء العالم العربي"(2). هذا بالإضافة إلى ذلك التباين الواسع بين مستويات اللغة العربية لدى أفراد المجتمع العربي على مختلف مستوياتهم الثقافية والفكرية والعلمية والاجتماعية. والمقصود بالمستويات اللغوية، كما يعرفها المختصون: هي" حالة خاصة من اللغة تؤدي دورًا اجتماعيًا ووظيفيًا في الجماعة اللغوية الواحدة". (3)، وكما جاء في تصنيف اللغوي أحمد مختار عمر لمستويات اللغة التي ضمنها معجمة " المَكْنَز الكبير"، وهي: "لغة معاصرة، ولغة تراثية، ولغة مثقفين، ولغة مولَّدة أو محدثة، ولغة قرآنية، ولهجة أو لغة محلّيّة، ولغة سلبية، ومصطلحات علمية، ولغة محضورة أو مبتذلة، ولغة رسمية."(4). وهذا يقودنا إلى أن ثمة إشكالية تواجه المجامع اللغوية بصورة عامة، وهي اتساع الفجوة بين أهدافها المعلنة، وتلك

(1) الحاج يوسف، دور مجامع اللغة العربية في التعريب (مرجع سابق)، ص26.
(2) خليل، المولد في العربية (مرجع سابق)، ص 580.
(3) السعيد بدوي. مستويات العربية المعاصرة في مصر، دار المعارف، القاهرة،1973، ص52.
(4) احمد مختار عمر. المكنز الكبير، سطور، الرياض، ط1، 2000، ص 18.

اللغة المعاصرة التي تتخللها مستويات لغوية عديدة، كما أشرنا إليها قبل قليل، وهي بتعبير آخر، تلك الفجوة الحاصلة بين اللغة التأصيلية والمعايير القياسية التي تتبناها المجامع، وبين مستويات اللغة المحدثة التي تسيطر على السواد المجتمعي بصورة عامة. ولكي تتجاوز المجامع هذا التحدي الكبير، ينبغي أن تلتفت هذه المجامع إلى ضرورة تمكين لغتهم الحيّة من أبناء المجتمعات، وهو أمر يحتاج إلى الأعداد الكبيرة من الخبراء والباحثين والمختصين بعلم اللغة المجتمعية.

إنَّ الجهود العلمية التي بذلتها المجامع اللغوية كبيرة جدا، وهي تتطلب توافر جميع الإمكانات: المادية والبشرية والتقنية، من أجل المضي قدمًا في مواصلة تحقيق أهدافها ووظائفها بالشكل المرجوِّ، الذي يلبِّي طموح أبناء المجتمع العربي؛ فعلى صعيد هذه الإمكانات الثلاثة، تعاني المجامع اللغوية، بصورة دائمة من عدم توافر المخصصات المالية الكافية التي تحتاجها المجامع في تنفيذ أهدافها ووظائفها على النحو المرجوّ؛ حيث تحتاج المجامع بصورة عامة إلى تسكين أعضائها وخبرائها في مواقع وظيفية دائمة في المجمع، بالإضافة إلى رفد المجامع بأعداد كبيرة من ذوي الاختصاصات المعنية في العمل المجمعي، من معجميين ومحققين ومؤلفين ومترجمين وخبراء الحاسب الآلي، وغيرهم من العلماء على مختلف تخصصاتهم. وهو أمر يتطلب إمكانات مادية كافية، وبناء المنشآت الملائمة لعمل هذه الأفرقة؛ الأمر الذي يتحتم على الجهات الحكومية والأهلية من العمل على تذليل هذه الصعاب والتحديات.

وتحتاج المجامع اللغوية أن تربو بنفسها عن بعض المعوقات التي تمارس بين أروقتها، من أشكال "التعقيد الإداري"، التي ترتحل بها القرارات العلمية في سلسلة غير متناهية من المكاتب. علاوة على افتعال الصراعات وخلق الفرق غير المتجانسة بين أعضاء هذه المجامع، وهو ما يفت في عضد المجامع، وأداء دورها المنشود؛ الأمر الذي يتطلب استحداث أنظمة إدارية تتصف بالديناميكية والانتاجية الفاعلة والمتطورة.

الخاتمة

لقد سعت الدراسة إلى الوقوف على" إسهامات مجامع اللغة العربية في تنمية وتطوير التعليم الجامعي- الرؤى والتحديات"، وذلك في أربعة منها، مما كان لها فضل السبق في التأسيس على أرض الوطن العربي، وذلك مع بدايات القرن العشرين، وهي: مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي في العراق، ومجمع اللغة العربية الأردني.

ولكي يتسنّى للدراسة الكشف عن هذه الإسهامات، كان لا بد لها من الوقوف على نشأة هذه المجامع اللغوية من ناحية، وتحديد وظائف هذه المجامع وطبيعتها وفقًا لأنظمتها وقوانينها التي نصَّت عليها، من ناحية ثانية، ورصد أبرز منجزات هذه المجامع وأنشطتها، من ناحية ثالثة.

وقد لاحظت الدراسة أن نشأة هذه المجامع، جاءت وليدة التفكير في ضرورة حلّ مشاكل اللغة العربية، التي كانت تعاني من الضعف والتهميش في العهد العثماني، لأنَّ الدولة أبعدتها عن أن تكون هي اللغة

الرسمية في العالم الإسلامي، عندما كانت تسيطر عليه، ففرضت اللغة التركية بدلا منها، وجعلتها اللغة الرسمية المستعملة في الإدارة. ويضاف إلى ذلك أن العالم الإسلامي كان مهدّدًا بغزو لغوي يتمثّل في الألفاظ الدّخيلة؛ حيث ترد إليه كلّ يوم مئات من ألفاظ لمسمّيات الوسائل المادّيّة والأدوات الحضارية المبتكرة في الغرب.

وقد لاحظت الدراسة، أن هذه المجامع الأربعة، اتّفقت إلى حدٍّ بعيد، في مجمل وظائفها التي نصّت عليها قوانينها وأنظمتها؛ ومن الوظائف التي كانت حاضرة لدى هذه المجامع: أولها: الحفاظ على سلامة اللغة العربية والعمل على أن تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة. وثانيها: النُّهوض باللغة العربية لمواكبة متطلبات مجتمع المعرفة. وثالثها: وضع معاجم مصطلحات العلوم والآداب والفنون. ورابعها: إحياء التُّراث العربي والإسلامي.

ولعلّ هذا التوافق الكبير بين المجامع اللغوية في وظائفها، إنما يدلُّ على استشعار هذه المجامع بعظيم دورها المرجوّ تجاه التحديات الجسيمة، التي تواجهها اللغة العربية. ويكشف لنا، كذلك، مسؤولية المجامع في سبيل الحفاظ على إرث الأمة اللغوي، الذي ظلّ لغة العالم ردحًا واسعًا من التاريخ الإنساني، وما يمكن أن تقوم به اللغة العربية من دور فاعل منشود بوصفها مكوّن حضاري إنساني.

وقد توقفت الدراسة في جانبها الثالث، عند الرؤى والاحتياجات المستقبلية لدى المجامع العربية، وقد لاحظت الدراسة أن المجامع سعت جاهدة على الاشتغال بالمنجز من إرثها السابق، تحقيقًا، وتصنيفًا، ودراسةً، وإعادةَ نشرٍ، وغيرها من مظاهر الاهتمام بالتراث العربي القديم، وهو على أهميته، لم يعد يلبي حاجة المجتمعات العربية، في سبيل اللحاق بركب التقدم العلمي والحضاري التي تعيشه المجتمعات الأخرى المحيطة بنا. ومن هنا، لا بد لها، وفي هذه المرحلة التي نعيشها على وجه التحديد، من أن تعيد النظر في وظائفها، ومن ثم تحديد الاتجاهات الخاصة بها في ظل الإمكانات المتاحة، لكي نكشف عن أوجه القصور التي تعاني منها تلك المجامع بصفة عامة.

وفيما يخص دور المجامع في تنمية وتطوير التعليم الجامعي، كان لابدَّ من العمل على خلق تواصل حقيقي مع مؤسسات التعليم الجامعي؛ من خلال تفعيل دور الأساتذة الجامعيين وطلبتهم في برامج الدراسات العليا فيما يمكن إسناده إليهم من: ترجمة وتعريب الكتب الدراسية الجامعية والنسخ المحدّثة منها لمواكبة التطور العلمي والثقافي، بالإضافة إلى التأليف المعجمي المتخصص، ووضع المصطلحات العلمية.

وفيما يتعلق بجانب التحديات والمعوقات التي تواجه مجامع اللغة العربية في تنفيذ أهدافها، فقد تعددت صور هذه التحدّيات والمعوقات، فمنها ما هو متعلق بطغيان "اللهجات العامية" بوصفها المعضلة الكبرى التي تواجه الأمة برمتها، وهي ما لا يمكن للمجامع من الوقوف في خطرها السادر، علاوة على ذلك التباين الواسع بين مستويات اللغة العربية لدى أفراد المجتمع العربي على مختلف مستوياتهم الثقافية

والفكرية والعلمية والاجتماعية؛ مما أدى إلى خلق فجوة بين اللغة التأصيلية والمعايير القياسية التي تتبناها المجامع، وبين مستويات اللغة المحدثة التي تسيطر على السواد المجتمعي بصورة عامة. ومن التحديات ما كان متعلقا بضعف الإمكانات المادية والبشرية والتقنية، التي تحتاجها المجامع لتنفيذ أهدافها وأنشطتها بصورة فاعلة.

قائمة المصادر والمراجع:

بدوي، السعيد. مستويات العربية المعاصرة في مصر، دار المعارف، القاهرة،1973.

بوترفاس، جيلالي. تيسير النحو العربي في منظور المجامع اللغوية العربية (المجمع اللغوي السوري نموذجا)، مخطوطة لنيل درجة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014.

الحاج يوسف، إبراهيم. دور مجامع اللغة العربية في التعريب، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، ط1، 2002م.

حافظ، محمود. مجمع اللغة العربية- موجز عن تاريخه وإنجازاته (1932- 2007)، ط3. 2010م.

حافظ، محمود، وفاروق شوشة. إطلالة تاريخية على قانون المجمع وتعديلاته، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 2010م.

خليل، حلمي، المولد في العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1985.

الشريف، خير اللّه. المجامع اللغوية العربية (دمشق، القاهرة، بغداد، عمّان)، مجلة "التراث العربي"، اتحاد الكتاب العربي بدمشق، ع 109، ربيع الآخر1429هـ، آذار2008.

الشريم، عدنان علي محمد. الخطاب السردي في الرواية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2015.

عمر، أحمد مختار. المكَنز الكبير، سطور، الرياض، ط1، 2000.

10.ضيف، شوقي. مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا، القاهرة، ط1، 1984.

11. مجمع اللغة العربية الأردني في أربعين عامًا، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1437هـ - 2016م.

12. مطلوب، أحمد. حركة التعريب في العراق، الكويت، مؤسسة الفليج للطباعة والنشر،1983م.

13.ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، تحقيق. عامر أحمد حيدر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003.

ناتوت، هلال. المجامع اللغوية العربية حديثًا، الإمارات العربية المتحدة، دبي ، مجلة: "آفاق الثقافة والتراث"، ع ، 11، رجب، 1416 هـ / ديسمبر 1995م.

التراث النظري للعلوم الاجتماعية وإشكاليات الإسقاط الميداني المستدام – التنمية ومؤشرات التقاطع الإبستيمي –

The theoretical legacy of the social sciences and the problems of sustainable field projection – Development and indicators of epistemic intersection –

ط. د: عيساوي الطيب
جامعة محمد الصديق بن يحيى-الجزائر
tabiscience@gmail.com
+213793624123

د. نور الدين مبني
جامعة محمد لمين دباغين-الجزائر
mebni@hotmail.com
+213550686225

ملخص

تمتلك التخصصات العلمية خلفيات نظرية تؤكد أحقيتها في التموقع بين الفروع المعرفية المختلفة. ذلك أن تصنيف العلوم يتوقف على مراعاة وجوديتها التاريخية بالنظر لحجم التراكم المعلوماتي الخاص بها الذي يحافظ على خصوصيتها. لكنه لا يلغي إمكانية تفاعلها مع باقي العلوم الأخرى، وفي إطار هذه الفكرة فإن حقل العلوم الاجتماعية ليس بمعزل عن مظاهر التقدم الفكري والابتكار الإنساني الذي ما فتئ يستمر في دفع عجلة التطور التكنولوجي دون عجز أو أفول.

وتتضح أهمية هذا الموضوع عن طريق الاهتمام بالبحث في التراث النظري للعلوم الاجتماعية الذي أثرى معاهد الدراسات الإنسانية والمكتبات الجامعية مع مرور الوقت. وساهم كذلك في توثيق الكثير من الظواهر الإنسانية والآفات الاجتماعية بالملاحظة والتحليل، فالهدف من هذه الدراسة هو تحديد كيفيات التطبيق الميداني للموروث النظري في العلوم الاجتماعية خاصة في ميادين التنمية المستدامة وذلك بواسطة اكتشاف مواطن التقاطع الإبستيمي بين النظريات الاجتماعية ومدى صلاحيتها للتجريب على المستوى الواقعي ولو بشكل نسبي.

الكلمات المفتاحية: التراث النظري، العلوم الاجتماعية، الدراسة الميدانية، التقاطع الإبستيمي، التنمية المستدامة.

Abstract

All scientific disciplines have theoretical achievements that confirm their right to position themselves among the different branches of knowledge, As the classification of sciences depends on taking into account their historical existence

in view of the volume of their information accumulation that preserves their nature. But it does not eliminate the possibility of its interaction with the rest of the other sciences. Within the framework of this idea, the field of social sciences is not isolated from the manifestations of intellectual progress and human innovation, which has been advancing technological development without failure or decline.

The importance of this topic is illustrated by the interest in research in the theoretical heritage of the social sciences, which has enriched humanities institutes and university libraries over time. He also contributed to documenting many human phenomena and social pests by observation and analysis. The aim of this study is to determine the methods of field application of the theoretical heritage in the social sciences, especially in the fields of sustainable development, by discovering the epistemic intersection between social theories and their suitability for experimentation at the realistic level, even if relatively.

Keywords: theoretical heritage, social sciences, field study, epistemic intersection, sustainable development.

مقدمة

أحيانا يشاع عن العلوم الإنسانية والاجتماعية عجزها في تأطير الظواهر العلمية وهذا بحجة الصعوبة والتعقيد الذي تتميز به المشكلات والآفات الاجتماعية، فالعامل الإنساني يعتبر من العوامل الأساسية التي تتسبب في حدوث مظاهر التغير والتغيير الاجتماعي على مستويات عدة، وبناءً على هذه المعايير فإن الحديث عن كيفيات إسقاط التراث النظري للعلوم الاجتماعية داخل الحيز الميداني أو الاجتماعي على نحو مستدام يتطلب التمعن في مختلف الظروف المحيطة بهذا المفهوم المعرفي. والعمل على تجويد المعارف الكلاسيكية لتصبح أكثر توافقًا مع متطلبات المجتمعات التكنولوجية التي أنتجت أنماطًا مستحدثة لصور التفاعل الانساني والاجتماعي، فقد عملنا في إطار هذه الورقة العلمية على تحديد نقاط التقاطع الإبستيمي مع التخصصات الأكاديمية ذات الصلة مع مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية أو بالعودة للحقول المعرفية التي تعتبر نسبيًا بعيدة عن دائرة التفاعل الفكري مع فلسفة الإنسانيات والعلوم الاجتماعية أيضًا.

تحديد المشكلة:

يعتبر التراث النظري للعلوم السبيل الوحيد الذي يمكننا من تصنيف المعارف وترتيبها وفق الأسلوب الذي يجعلها قادرة على تفسير الظواهر وتحقيق المنفعة على أرض الواقع، وانطلاقًا من هذا التوصيف فإن العلوم الاجتماعية واحدة من الحقول المعرفية التي ساهمت في مرافقة وتطوير المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، وعليه فالاهتمام بالتعرف على مآلات التراث النظري للعلوم الاجتماعية يتطلب الوقوف على قابلية هذه المكتسبات المعرفية للتجديد أو الإسقاط على المستوى الواقعي، حيث إن فهم هذه

الإشكالية الإبستيمية يحتاج بدوره إلى ثورة حقيقية في مجالات التطوير النظري التي يجب أن تصبح أكثر إحاطة بالآفات التي صاحبت مجتمعات ما بعد الحداثة، لكن هذا لا يعني الاستغناء بشكل النهائي عن تقاليد البحث الاجتماعي المعروفة التي تعتبر قارة وثابتة عند إنجاز مختلف الدراسات الإنسانية أو حتى في خضم محاولات تطبيق التوصيات والاقتراحات العلمية والعملية داخل البيئات الاجتماعية.

إن المقصود بفكرة الإسقاط الميداني المستدام هو تلك الآلية التي تساعدنا على توسيع نطاق التطبيق الفعلي للنظريات العلمية بطريقة دائمة ومستمرة. والتي تتيح لنا إعطاء الفرصة الكاملة لكافة مدخلات الفكر الإنساني في التجريب والمعاينة، فمنذ عقود بدأ الحديث عن الأزمة القادمة للعلوم الاجتماعية يتضح شيئًا فشيئًا من خلال ما تقدم به مجموعة من المفكرين والباحثين في هذا الميدان، حيث إن طغيان الجانب النظري على الدراسات الاجتماعية وانعدام مؤشرات التجديد المنشود لأدوات البحث الإحصائي والتجريبي أدى إلى خلق نوع من المعارضة للمخرجات والبراديغمات المؤسسة لهذه التخصصات. فقد زاد هذا التطرف إذا صح التعبير حتى بلغ حد التشكيك أو الإلغاء التام لمنطلقات الفكر الاجتماعي التي تمثل الأبجديات المنهجية للبحث العلمي، فالتركيز على جزئية الإسقاط الميداني المستدام تجعلنا نطرح العديد من التساؤلات حول كيفية إيجاد الصيغ المعرفية المناسبة لتحقيق هذا المسعى والمتمثلة حصرًا في بناء جسور فكرية بين حاضر وماضي العلوم الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى مباشرة البحث عن بؤر التوافق الإبستيمي مع المشارب العلمية الأخرى وذلك بهدف الاستفادة منها وتقوية قاعدتها الفيزيقية والنظرية.

لقد حازت مؤخرًا المواضيع المتعلقة بالتنمية المستدامة على مساحات كبيرة من الأبحاث والمقالات الأكاديمية ذلك أنها أصبحت عابرة للتخصصات العلمية بأنواعها، فمن أهم مقاصد التنمية المستدامة هو تدعيم القواعد الاقتصادية والمحافظة على معدلات ازدهارها وهذا طبعًا دون الإضرار بالموارد الطبيعية وحق الأجيال القادمة في الثروة. ومنه فإن التطرق لهذه المسألة يستوجب نسبيًا تحديد الميكانيزمات التي تحتاجها التنمية المستدامة من كافة العلوم والمعارف سواء على السبيل التجريب أو التنظير. وعليه فإن الرفع من قيمة العلوم الاجتماعية والإنسانية يستدعي التفتيش عن كل ما يمكن أن يضيفه الموروث النظري للأبحاث الاجتماعية في مجالات الاستدامة، الأمر الذي سيساعد على التسريع من عملية اكتشاف مظاهر التكامل المعرفي بين التنمية المستدامة والخلفيات النظرية للعلوم الاجتماعية والذي سيكون البوابة التي تؤكد أحقية الحلول والاستنتاجات الاجتماعية في الإسقاط الميداني المستدام.

وبالعودة إلى ما سبق ذكره ارتأينا معالجة الموضوع بطرح التساؤل الرئيسي التالي:

ما الآليات الميدانية والعلمية التي يمكن أن تسهم دائمًا في الاستفادة من التراث النظري للعلوم الاجتماعية كنموذج لتحقيق التنمية المستدامة؟

وتندرج في إطاره التساؤلات الفرعية الآتية:

1. أين تكمن أهمية الفكر الاجتماعي بالنسبة لمفهوم التنمية المستدامة؟

2. كيف يمكن تحديد مؤشرات التقاطع الإبستمي بين التراث النظري للعلوم الاجتماعية والمعارف الأخرى؟

3. هل يساعد التجديد المنهجي والميداني للمعارف الاجتماعية والإنسانية على عصرنة فكرة التنمية المستدامة؟

وللإجابة على تساؤلات الدراسة تم تقسيم وهيكلة البحث على النحو التالي:

المحور الأول: مدخل مفاهيمي نظري.

المحور الثاني: منهجية البحث.

المحور الثالث: الفكر الاجتماعي في خدمة التنمية المستدامة.

المحور الرابع: الروابط الإبستمية بين العلوم الاجتماعية ومختلف الفروع المعرفية.

المحور الخامس: التطور المعرفي للعلوم الاجتماعية ومستقبل التنمية المستدامة.

1- المحور الأول: مدخل مفاهيمي نظري:

مفهوم التراث النظري:

تعريف التراث لغة: كلمة تراث حسب معجم المعاني هي الإراث وجذرها الفعل الثلاثي تَرَثَ، فمن ترك تُراثًا، تَرَكَ إرثًا ينتقل من جيل إلى جيلٍ، ويقال: وَرَثَ يَرِثُ وِرثَةً أو إرثًا أو تُراثًا.

تعريف التراث اصطلاحًا: يُعرف التراث بالإنجليزية Heritage على أنه مجموعة من الموروثات التي تم نقلها من الجيل السابق -الآباء والأجداد- إلى الجيل الحالي، وتتعدد هذه الموروثات بين موروثات مادية مثل الأدوات والمعدات وطريقة صناعتها، ومعنوية مثل العادات والتقاليد المعمول بها، ومن دون التراث فإنه لن يكون تواجد للحضارة التي تميز الشعوب من بعضها وتعطي لها كيانًا يحفظ وارثيه من الضياع والتشرد في حال التعرض للتهديدات والضغوطات السياسية مثل الحروب التي تشرد الأفراد والجماعات عن بعضهم البعض. (https://sotor.com تعريف-التراث)

تعريف التراث النظري:

التراث النظري هو مجموعة النظريات والمداخل الفكرية وكذلك المقاربات التي تتشكل على إثرها المعارف والتخصصات العلمية بأنواعها، فالحديث عن التراث النظري يقودنا إلى مفهوم التراكم المعرفي الذي يعتبر من القواعد الأساسية التي ترتكز عليها العلوم من حيث النشأة والتطور، ومن هذا المنطلق

فالاطلاع على التراث النظري للعلوم يتطلب توافر مجموعة من الأدوات المعرفية التقليدية ومنها القياس والإسقاط إضافة إلى البرهنة والاستدلال.

مفهوم العلوم الاجتماعية:

يشير مصطلح العلوم الاجتماعية إلى أي فرع من فروع العلوم الذي يتعلق بالسلوك الإنساني ويشمل جوانبه الاجتماعية والثقافية، ويستخدم أحيانًا للإشارة إلى علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد، والتاريخ، والقانون، وغالبًا يضم الجغرافيا الاجتماعية والاقتصادية.

تعود العلوم الاجتماعية إلى الأصول الإغريقية واليونانية القديمة، وتعتبر تراثًا قويا في تاريخ الفكر الاجتماعي بسبب استفساراتهم العقلانية عن الطبيعة البشرية والدولة والأخلاق، مع العلم أنه كان هناك فترات زمنية طويلة تفتقر إلى العلوم الاجتماعية، إلا أنها أصبحت فيما بعد جوهر عصر النهضة والتطوير في التاريخ الأوروبي الحديث، بحيث استُعيد هذا الاتجاه من خلال نصوص الفلاسفة الكلاسيكيين العظماء. (https://mawdoo3.com/ ما هي العلوم الاجتماعية)

مفهوم الدراسة الميدانية:

تعددت تعاريف الدراسات الميدانية شأنها في ذلك شأن كثير من المفاهيم في العلوم الاجتماعية وبما أن البحث الميداني من صميم البحث العلمي الذي يعني الدراسة العلمية المنظمة لظاهرة معينة باستخدام المنهج العلمي، فإن تعريف البحث الميداني لن يخرج عن هذا الإطار، فهو نوع من أنواع البحوث العلمية يتميز بكونه بحثًا مسحيًا يعتمد على جمع البيانات من مصادرها ومجالاتها الميدانية، لتحليلها واستثمارها قصد التوصل إلى نتائج وحقائق تفسر الظواهر تفسيرًا علميًا.(إبراهيم الوجاجي، 2020، ص65-66.)

مفهوم التقاطع الإبستيمي:

هو التقاطع المعرفي الذي يتم بين مختلف الفروع العلمية بالطريقة التي تخلق أنواعًا جديدة من المتغيرات التي ستؤدي إلى فتح آفاق علمية وفلسفية جديدة في مجالات العلم والمعرفة (بمعنى بوابة للتخصصات العلمية الجديدة)، فهذا المفهوم يقوم على رصد نقاط الاستفادة بين حقلين علميين أو أكثر، حيث تساعد هذه الآلية (التقاطع الإبستيمي) على مأسسة وتجديد التخصصات العلمية وفق ما تقتضيه الحاجة والظروف.

مفهوم التنمية المستدامة:

تعرف التنمية المستدامة بأنها: "تلك التنمية التي تهيئ للجيل الحاضر بمتطلباته الأساسية والمشروعة، دون أن تخل بقدرة المحيط الطبيعي على أن يهيئ للأجيال التالية متطلباتهم، أي استجابة التنمية

لحاجات الحاضر، دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها، وهناك من يرى أنها تنمية متكاملة، ويعتبر الجانب البشري فيها وتنميته هي أولى أهدافها، لذلك فهي تراعي الحفاظ على رأس المال البشري والقيم الاجتماعية، الاستقرار النفسي للفرد والمجتمع، حق الفرد والمجتمع في الحرية وممارسة الديمقراطية في المساواة والعدل.(قاسم خالد مصطفى، 2007، ص157).

2- المحور الثاني: منهجية البحث:

فيما يخص الجانب المنهجي استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي وهو طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث. (https://bit.ly/3ec7eOQ)

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة النظرية على الملاحظة العلمية البسيطة وهذا من خلال الاطلاع والبحث عن الكيفية التي تسهم في استغلال التراث النظري للعلوم الاجتماعية وإسقاطه بشكل ميداني مستدام وهذا من خلال التأمل في النظريات الاجتماعية التي يمكن أن تساعد في إحداث التنمية مع التدقيق في التقاطعات الإبستيمية مع الفروع العلمية الأخرى، وتعتبر الملاحظة واحدة من أدوات جمع البيانات حيث تقوم على جمع المعلومات عن طريق مراقبة الظاهرة المعرفية وملاحظة مختلف صور الاستفادة منها، دون إخفاء أي عنصر أو إهماله، حيث يتم من خلال هذه الأداة فهم الظاهرة محل الدراسة بطريقة شاملة بهدف تحليلها للحصول على النتيجة التي يهدف البحث لمعرفتها.

وتتمثل أهمية هذا البحث في العمل على تحديد انعكاسات التراث النظري للعلوم الاجتماعية على الجهود المتعلقة بتحقيق التنمية المستدامة وهذا طبعًا بصورة إبستيمية، وأيضًا تأثيرات هذا التراث المعرفي واقعيًا على مختلف مناحي الحياة الإنسانية ومكاسبها خاصة فيما يتعلق بتبادل الخبرات والمعلومات بين عديد التخصصات العلمية داخل المجتمعات الواقعية والافتراضية بموضوعية ودون وجود نوع من الانحيازية العلمية، الأمر الذي يكرس بدوره التكامل في معالجة وطرح المشكلات العلمية والمعرفية ودراسة الجدوى من التراث النظري للعلوم الاجتماعية، حيث إن الاستمرار في مناقشة هذه القضايا سيسرع من وتيرة تجديد الإشكاليات والفرضيات العلمية التي ستصبح قابلة للدراسة والتحليل بواسطة التأشير الدائم على مواطن الاقتران بين التراث النظري للعلوم الاجتماعية والمسائل الخاصة بالتنمية المستدامة مستقبلا.

فالهدف من هذه الدراسة هو السعي للبحث عن الآليات التي تشير إلى وجود براهين موضوعية مقنعة لأهمية وثقل الإسقاط الميداني للتراث النظري داخل البيئات الاجتماعية وقدرتها كذلك على ابتكار قاعدة تجريبية أو تطبيقية تتكون في الأساس من معايير ولوائح تعريفية تسهل من مهمة تأكيد المقاربات النظرية أو تفنيدها (الضرورة الإبستمية)، فتحقيق هذه الفرضية يتطلب مراقبة علمية دقيقة لمختلف

التغيرات التي طرأت على تقاليد الفكر الاجتماعي مع بدايات استخدام وسائل التواصل الإلكترونية وتغير نطاقات التفاعل الاجتماعي وعلاقاتها مع مواضيع التنمية المستدامة، وذلك طبعًا من خلال توظيف الأدوات البحثية الأساسية المعتمدة في مجال الدراسات النظرية والتحليلية.

إن منظور هذه الدراسة تمثل في البنائية الوظيفية التي تعتبر من أهم المنظورات وأكثرها واقعية، باعتبارها تنظر للظواهر الاجتماعية كشبكة من الأنساق التي تتكون من مجموعة من البناءات والعلاقات الاجتماعية، حيث إن استمرار هذه العلاقات ووجودها يعتمد على مدى التوافق والانسجام في شبكة العلاقات التي ينشأ على إثرها مفهوم الدور والأثر والنتيجة المتوقعة بين التراث النظري للعلوم الاجتماعية كبناء وعمليات الإسقاط الميداني لهذه المداخل والمقاربات كوظيفة، ومن ثم فإن دراسة الخصائص المعرفية الخاصة بالتراث النظري للعلوم الاجتماعية وعلاقته بالتنمية المستدامة في ظل البنائية الوظيفية يهدف إلى استشعار صلاحيته الإبستيمية وقابليته للتقاطع مع مختلف المعارف العلمية والخبرات الإنسانية. ما يجعلنا نستطيع أن نفهم مبدئيًا المآلات البنائية والوظيفية لطرق استغلال التراث النظري للعلوم الاجتماعية في ميادين الاقتصاد والتنمية المستدامة وحتى تلك التي تتعلق بالمحافظة على مظاهر الاستقرار الاجتماعي.

3- المحور الثالث: الفكر الاجتماعي في خدمة التنمية المستدامة:

تعاني معظم المجتمعات من المشكلة الاقتصادية المتمثلة في التناقض بين الحاجات الإنسانية المادية وغير المادية اللامحدودة، وبين الموارد الاقتصادية والطبيعية الكفيلة بإشباع هذه الحاجات، التي تتسم بالندرة النسبية، وقابليتها للنفاد، ولا تقتصر المشكلة على استنزاف الموارد الطبيعية فحسب، بل بتأثير المناخ النفسي الذي يعيشه المجتمع المعاصر وأزمة الأخلاق والقيم على مستوى المناطق والدول وفيما بينها وتتمثل في غياب العمل المشترك نتيجة غياب العدالة الاجتماعية على الصعيد العالمي كما تؤكد اللجنة العالمية للبيئة والتنمية في تقرير1989، وبالتالي فإن الدول تسعى -بغض النظر عن درجة تطورها- إلى تلبية احتياجات أفرادها كما تسعى بالمقابل إلى الموازنة بين الموارد والحاجات، وعلى الرغم من وجود فجوة بين الموارد والحاجات في جميع الدول دون استثناء، إلا أن عمقها وحدتها تختلف من دولة إلى أخرى ومن فترة زمنية إلى أخرى، بحسب درجة التقدم المادي والرفاه الاقتصادي ودرجة الثقافة في المجتمع ودرجة ترابط مكونات المجتمع في كل من هذه البلدان، وبالتالي فإن الدول النامية التي تسعى إلى تنمية مجتمعاتها سوف تكون الفجوة فيها أكثر عمقًا وبالتالي يكون ردمها أكثر صعوبة. (معتصم محمد إسماعيل، 2015، ص39.)

ونتيجة للاستجابة الواقعية والطبيعية للمشكلات التي تعاني منها المجتمعات وانعكاسًا للخبرات الدولية والمحلية؛ استمر مفهوم التنمية بالتطور بالمفهوم والمحتوى كنتيجة واقعية لتطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي، حيث أثرت الثورة الصناعية وقيام الثورة الفرنسية وانهيار النظام الإقطاعي وظهور النظام

الصناعي الرأسمالي على الفكر الاقتصادي والاجتماعي لمختلف المفكرين، حيث اعتبر (سان سمون) التقدم الاجتماعي أساس حركة الإصلاح التي تهدف إلى تطور النظام الاجتماعي. كما اعتبر (واوكسنت كومت) أن التغير الاجتماعي ما هو إلا محصلة للنمو الفكر الإنساني؛ حيث أوضح نظريته من خلال انتقال الفكر بشكل طبيعي من التفكير الديني إلى العملي. (معتصم محمد إسماعيل، 2015، ص 39-40).

ويهتم المشتغلون بالعلوم الاجتماعية، بعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية وعلم النفس الاجتماعي، وهي العلوم التي تدرس الظواهر والوقائع الاجتماعية التي تحدث في أي مجتمع جراء دخول أفراد المجتمع، أي مجتمع، في علاقات اجتماعية. وذلك من أجل دراستها، وتبيان آثارها في المجتمع، سلبًا أم إيجابًا. والمعلوم أن العلوم الاجتماعية تسهم على نحو فعال في تحديد مسارات المجتمع، بل إن الدول الكبرى تعتمد اعتمادًا كبيرًا على تحليل المؤشرات الاجتماعية social indicator، لمعرفة ما تم إنجازه في مجالات التنمية الاجتماعية، في سياق علاقتها بالتنمية الاقتصادية، حتى تمكن متابعة آثار التغيير أو التغير الاجتماعي الذي يلحق بالمجتمع نتيجة الحراك الاجتماعي (S. mobility). (https://bit.ly/3gCtHFu).

وقد أشار تقرير التنمية البشرية الأخير إلى ذلك، وبما يفيد أن تقدم المجتمعات البشرية لا يقاس فقط بمعدل النمو الاقتصادي، أو مجرد ارتفاع نصيب الفرد من الناتج الإجمالي.

ولذلك يجب تأكيد أهمية دور الفكر الاجتماعي، في كشف ورصد كافة العوامل التي تؤثر في حياة الناس الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والبيئية، ذلك أنه بعيدًا عن المنهجية الاجتماعية تصعب دراسة وتحليل مدخلات أو مخرجات التنمية البشرية، أو قياس مؤشرات التنمية المستدامة بمفهومها الشامل، وهو المنهج الذي يوسع من مساحة الخيارات أمام الناس، ويتيح لهم فرصًا أفضل للمشاركة بفعالية في اتخاذ القرار، وذلك ضمن الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه. (https://bit.ly/3gCtHFu).

وهذا ما يؤكد أن التنمية المستدامة لا سبيل إليها إلا بتفعيل المفهوم الشمولي للتنمية، والأهم من ذلك كله، ضرورة التنسيق بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بما في ذلك تنمية الموارد البشرية وتأهيل رأس المال البشري، علميًا ومهنيًا، عبر سلسلة من الحزم التدريبية المتخصصة، حتى يمكن تلبية احتياجات سوق العمل والقضاء على البطالة والتضخم، وهما من المؤشرات الدالة على بطء الحراك التنموي في أي مجتمع. (https://bit.ly/3gCtHFu)

4- المحور الرابع: الروابط الإبستمية بين العلوم الاجتماعية ومختلف الفروع المعرفية:

لم يكن ظهور العلوم الإنسانية والاجتماعية سهلا بل جاء بعد مخاض عسير، لأنه ظهوره رافقته الكثير من الصعوبات والإشكاليات سواء المعرفية منها أو المنهجية، التي يمكن أن نذكر أهمها: هل يمكن أن

ترقى هذه العلوم إلى درجة العلمية التي تميز العلوم الطبيعية؟ إلى أي حد يمكن دراسة الظاهرة الإنسانية بنفس الطريقة التي تدرس بها الظاهرة الطبيعية؟ هل يمكن التنبؤ بحدوث الظاهرة الإنسانية؟ وغيرها من التساؤلات الأخرى. ولكن قبل التَعمق في دراسة جوانب هذه التساؤلات، ينبغي علينا التعمق أكثر في دلالة مصطلح العلوم الإنسانية والاجتماعية، التي لا تدل دلالة حقيقية ومباشرة على معناها؛ فيمكن مثلا تعريف هذه العلوم مثلا، بأنها: "تلك التي تُدرِك العالم بأنه ينطوي على معاني، وكيف تتكون معرفتها بتلك المعاني، وهذا يعني بأن العلوم الاجتماعية تحاول النفاذ إلى الأفكار والمشاعر والمقاصد التي تقف وراء الواقع والتعبيرات المختلفة وإدراكها إدراكًا كيفيًا. "يبين لنا هذا التعرف أن موضوع العلوم الاجتماعية يختلف عن موضوعات العلوم الأخرى، كالعلوم الطبيعية والعلوم الصورية مثلا، فالعلوم الطبيعية تدرس المادة الجامدة التي يمكن للباحث التحكم فيها أثناء دراستها. أما العلوم الصورية خصوصًا الرياضيات، فتختص بدراسة الجوانب الكمية، القابلة بدورها للتحديد والقياس، أما العلوم الإنسانية فتختص بدراسة الجانب المعنوي في السلوك الإنساني، وهنا يقول لوسيان غولدمان Goldman Lucien 1913-1970 عن الفرق بين العلوم الاجتماعية والعلوم التجريبية خصوصًا من ناحية موضوع الدراسة: "ليست العلوم التاريخية والاجتماعية كالعلوم الفيزيائية والكيميائية، دراسةً لِوقائِع خارجية عن الناس، وقائِع عالم يتوجه إليه فعلهم، إنها على العكس من ذلك، دراسة لهذا الفعل نفسه ولِبِنيته، وللتطلعات التي تحييه وللتحولات التي يخضع لها". (محمد بن سباع، 2020، ص555.)

ولطالما كانت المنهجيات التجريبية ركيزة أساسية في تخصصات العلوم الطبيعية، وأصبحت شعبية في بعض تخصصات العلوم الاجتماعية مثل علم النفس الاجتماعي والاقتصاد والعلوم السياسية الحديثة، حيث ما تزال هناك اختلافات ملحوظة بين التخصصات من حيث استخدام التجارب الميدانية والمخبرية، ولكن بشكل عام يتم قبول الطريقة التجريبية على أنها تقدم إمكانات مثيرة لجعل الاستدلال السببي وحتى تتغذى على صنع السياسات والممارسة الأخلاقية المنضبطة.

كما تعد قيمة هذه الأساليب وقابليتها للتطبيق جديدة نسبيًا في البحث الذي يدرس الأبعاد النفسية والسياسية والاقتصادية لحياة الإنسان على الإنترنت مثلا، وذلك لأن المساحات توفر عبر الإنترنت مجموعة من السياقات التجريبية الجديدة التي يمكن من خلالها تجميع مجموعة كبيرة من البيانات واختبار النظريات المؤكدة بطرق جديدة ومثيرة للاهتمام، وفي الوقت نفسه أصبح من الواضح بشكل متزايد أن هذا الشكل من العمل التجريبي يقدم أيضًا عددًا من المزالق الفريدة من نوعها للبحث عبر الإنترنت تعمل على تهدئة وإمكانية تقويض صلاحية الاستدلالات السببية التي قد يستخلصها الباحثون.(https://bit.ly/2Y1l1lv)

فبعد أن انفصلت العلوم الإنسانية والاجتماعية عن الفلسفة، نتيجة تأثرها بالتطور الحاصل في ميدان العلوم الطبيعية، أخذت تُطَور مناهجها ساعية لبلوغ درجة العلمية والدقة واليقين، على الرغم من اعتراف الكثير من العلماء والفلاسفة بصعوبة تحقيق هذا الهدف؛ إذ لا ينكر لوفي ستروس-Strauss Lévi Claude 1908-2009 مثلا أهمية التطور الكبير الذي عرفته العلوم التجريبية التي تمكَنَت بفضل المنهج التجريبي من دراسة موضوعها دراسة علمية دقيقة، حيث إن أهم ما يميزها هو انفصال الملاحظة عن الظاهرة، أي انتفاء إمكانية تأثير ذاتية الباحث عليها، في حين نجد أن هذا الأمر صعب التحقيق في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. لكن، رغم هذه الصعوبات والعوائق التي تحد من إمكانية دراسة الظاهرة الإنسانية دراسة علمية موضوعية، إلا أن هناك علومًا تُعتَبر مجالا خصبًا لاستثمار المنهج العلمي فيها، حيث يمكننا هنا أن نعرض بعض التجارب الناجحة للعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية في تخطي رهانات العلمنة والتكميم، مثل علم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة وغيرها من العلوم الأخرى. (محمد بن سباع، 2020، ص560.)

5- المحور الخامس: التطور المعرفي للعلوم الاجتماعية ومستقبل التنمية المستدامة:

اتجه الفيلسوف الفرنسي أوغست كوميت Comte Augusten مؤسس تخصص علم الاجتماع إلى خلط العقلانية والتجريبية باستخدام مذهبه الجديد الإيجابية أو الوضعية. Positivism وقد اقترح أن النظرية theory والملاحظات observations يعتمدان على بعضهما البعض بشكل دائم. وبينما قد يتم إنشاء النظريات من خلال التفكير والتعليل إلا أنها فقط تكون موثوقة إذا كان من الممكن تأكيدها من خلال الملاحظات. وقد عمل التركيز على البرهان والتحقق على بدء فصل العلم الحديث عن الفلسفة والميتافيزيقا والعمل أيضًا على المزيد من التطوير «للطريقة العلمية» مثل الوسائل الأولية لإثبات الادعاءات العلمية.

وتم توسيع أفكار كوميت من خلال إيميل ديركايم Durkheim Emile في تطويره للوضعية الاجتماعية positivism sociological(الوضعية كأساس للبحث الاجتماعي) ولودفيدج فيتجينشتاين Wittgenstein Ludwigفي الوضعية المنطقية positivism logical. (أنول باتشيرجي، 2015، ص 30).

وفي أوائل القرن العشرين تم رفض الاعتماد القوي على الوضعية من جانب علماء الاجتماع التفسيريين (المناهضين لعلماء الوضعية) الذين ينتمون لمدرسة المذهب المثالي الألماني للفكر. وتعادلت الوضعية positivism تمامًا مع طرق البحث الكميquantitative methods research مثل التجارب experiments وطرق المسح surveys وبدون أية التزامات فلسفية صريحة، بينما تستخدم مناهضة الوضعية anti-positivism والطرق النوعيةmethods qualitative مثل

المقابلات الغير مهيكلة interviews unstructured مسبقًا وملاحظة المشاركين. وحتى ممارسي الوضعية مثل عالم الاجتماع الأمريكي بول لازارسفيلد Lazarsfield Paul، الذي كان رائدًا للبحث المسحي واسع المجال والتقنيات.

وفي أواخر القرن العشرين تم اقتراح تغييرات اعتمدت على قبول انتقادات لعلماء الفكر الوضعي والمناهض للوضعية. واقترح الفيلسوف البريطاني سير كارل بوبير Popper Karl Sir أن المعرفة البشرية لا ترتكز على الأساسات الصلبة التي لا يمكن تحديها، ولكن على مجموعة من التخمينات التجريبية التي لا يمكن إثباتها بشكل حاسم ولكن يمكن إبطالها. والدليل التجريبي evidence empirical هو أساس إبطال تلك التخمينات يطلق عليه اسم أو «النظريات». وينتقد هذا الموقف العقلي الرياضي الذي يُطلق عليه اسم مرحلة ما بعد الوضعية أو الإيجابية postpositivism أو ما بعد التجريبية ويُعدَل من الوضعية من خلال اقتراح أنه من المستحيل

التحقق من الحقيقة على الرغم من أنه من الممكن رفض المعتقدات الخاطئة، وتستبقي ما بعد الوضعية على الفكر الوضعي للحقيقة الموضوعية وتأكيده المنهج أو الطريقة العلمية. (أنول باتشيرجي، 2015، ص 31-32).

إن التطرق للتطور المعرفي للعلوم الاجتماعية هو عبارة عن إشارة لما يمكن أن تضيفه هذه العلوم للتنمية المستدامة على المستوى النظري والتطبيقي، فالتعمق في التاريخ الفلسفي والمعرفي للعلوم الاجتماعية سيجعلنا أكثر دراية بما يتلاءم وخصائص المجتمعات الإنسانية الحديثة وسيتيح كذلك فرصة هامة للمقارنة بين الحاضر الاجتماعي وماضيه أيضًا (بناء روابط إبستيمية بينهما)، إلا أن رصد التطور المعرفي للعلوم الاجتماعية وفق ما تقتضيه معدلات تحقيق التنمية المستدامة يقودنا كباحثين إلى فتح مجالات بحثية جديدة تتخذ من التراث النظري للعلوم الاجتماعية منطلقًا قاعديًا لكافة مدخلات ومخرجات الفكر التنموي وبالتنسيق كذلك مع مختلف المعارف العلمية ذات الصلة مع الخطط الاستراتيجية التي تسعى لتحسين ظروف المعيشة الإنسانية.

مناقشة النتائج:

- التراث النظري للعلوم الاجتماعية يزخر بحجم كبير من المعلومات والمقاربات التي نقلت لنا مجموعة هامة من الأحداث والمجريات التاريخية ذات الأثر الإنساني والاجتماعي.
- المعارف الاجتماعية ركزت دائمًا على ملاحظة ودراسة تأثيرات مظاهر التغير الاجتماعي والتطور التكنولوجي على الخصائص القيمية والحضارية للمجتمعات الإنسانية.

- هنالك ثلاثة تصنيفات يمكن من خلالها تأطير معطيات الفكر الاجتماعي وأولها البراديغمات المؤسسة ثم النظريات الحديثة وبعدها نشير إلى المقاربات المستقبلية (قيد الإنشاء) للعلوم الاجتماعية.
- أغلب النظريات الاجتماعية تفتقر لأدوات التطبيق الميداني وهذا لأنها تقوم على افتراضات وتخمينات فقط، الأمر الذي يحد من مصداقيتها العلمية ويؤثر في فعاليتها في تفسير الظواهر المحيطة بالبيئة الاجتماعية.
- الإسقاط الميداني المستدام للتراث النظري الاجتماعي يبقى ظرفيًا، وهذا بالنظر لطبيعة الظاهرة الإنسانية التي تتميز بالتعقيد وصعوبة التحكم فيها، إلا أنه توجد العديد من المحاولات الأكاديمية التي عملت على ابتكار مناهج كيفية وتجريبية مختلطة وذلك من أجل تجويد الدراسات الاجتماعية.
- توجد مبادرات تنظيرية عديدة حاولت إبراز الجوانب الاجتماعية والإنسانية لمفهوم التنمية المستدامة بعيدًا عن فروع علم الاقتصاد وعلوم التسيير، وكمثال على ذلك نذكر علم الاجتماع الاقتصادي وعلم اجتماع التنمية... إلخ.
- ماهية التقاطع الإبستيمي كآلية لتطوير المعارف لا تزال غير واضحة في الأبحاث الاجتماعية أو المجالات العلمية الأخرى، فالبقاء داخل التخصص وعدم الاطلاع على العلوم المجاورة ساهم في التقليل من معدلات التكامل بين مختلف الفروع العلمية (طغيان العنصرية العلمية).

التوصيات والاقتراحات:

- العمل على توطيد الروابط المعرفية بين مناهج العلوم الاجتماعية والتخصصات العلمية ذات الصلة بمجالات تطوير المفاهيم والتقنيات المتعلقة بالتنمية المستدامة.
- مواصلة البحث في أساليب الإسقاط الميداني المستدام عن طريق التعمق أكثر في التراث النظري للعلوم الاجتماعية، وأيضا مباشرة تدعيم الجبهة الداخلية للفروع الاجتماعية في حد ذاتها.
- التكثيف من الزمالات العلمية بين مختلف الباحثين مهما تباينت تخصصاتهم المعرفية والذين يهتمون أساسًا بمعالجة مواضيع التنمية المستدامة.
- تجديد طرق البحث الاجتماعي تستوجب المضي قدمًا في تحديث الدراسات الكمية (الرياضيات والإحصاء) والتجريبية (التجارب الاجتماعية وقياس الآثار النفسية)، فبلوغ مستويات مقنعة من البرهنة العلمية داخل العلوم الاجتماعية يحتاج إلى ثورة إبستيمية في المعايير الكيفية والكمية على حد سواء.

- إن تحقيق التقارب المعرفي بين العلوم الاجتماعية والمشارب الأخرى يتطلب في حقيقة الأمر تنظيم الملتقيات والمؤتمرات التي يجب أن تسلط الضوء على كيفيات التكامل في ما بينها لخدمة الإنسان وبيئته بالدرجة الأولى.
- التقاطع الإبستمولوجي بين العلوم والمعارف يعتبر من الأفكار المقترحة لهذه الورقة العلمية الذي يجب التركيز عليه في الوصل بين التخصصات الأكاديمية الكلاسيكية والجديدة عله يساعدنا على الانطلاق في إنشاء أو اكتشاف حقول بحثية مستحدثة.

الخاتمة:

إن سرمدية الفكر الإنساني هي المحرك الأساسي لاستمرارية التساؤل العلمي والفلسفي؛ فالتأمل في تاريخ العلوم يجعلنا قادرين على الإحاطة بمحددات النمو المعرفي الذي يقترن مباشرة بتعاقب العصور والحضارات، ومنه فإن من بين أهم التحديات التي تواجه فكرة الإسقاط المستدام للتراث النظري الخاص بالعلوم الاجتماعية تتمثل في تحديد مكانة ومنطلقات العلوم الاجتماعية ضمن المزيج المعرفي الذى يسعى لتحقيق التنمية المستدامة. أي أن هذه العلوم هي في الحقيقة أمام مسؤولية إدماج المكون الإنساني (البحث عن التبرير الإبستيمي لأهميته) وتهيئته ليصبح واحدًا من العوامل المهمة في مسيرة التطوير الحضاري ورص البناء الاقتصادي والتنموي داخل المجتمعات البشرية.

قائمة المراجع:

1- نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://sotor.com/ تعريف-التراث/

2- نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://mawdoo3.com/ ما هي العلوم الاجتماعية/

3- إبراهيم الوجاجي، صعوبات البحث الميداني في العلوم الاجتماعية، المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية، المجلد04، العدد 02، أكتوبر2020، ص65-66.

4- قاسم خالد مصطفى، إدارة البيئة والتنمية المستدامة في ظل العولمة المعاصرة، الإسكندرية، الدار الجامعية، 2007، ص157.

5- نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/3ec7eOQ

6- معتصم محمد إسماعيل، دور الاستثمارات في تحقيق التنمية المستدامة، كلية الاقتصاد، جامعة دمشق، مذكرة دكتوراه، الجمهورية العربية السورية، السنة الجامعية 2014-2015، ص39.

7- نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/3gCtHFu

8- محمد بن سباع، علاقة العلوم الإنسانية بالعلوم الطبيعية أو في إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد12، العدد 6، 2020، ص555.

9- نقلا عن الموقع الإلكتروني: https://bit.ly/2Yl1lv

10- أنول باتشيرجي، ترجمة خالد ناصر آل حيان، بحوث العلوم الاجتماعية، دار اليازوري للنشر، عمان، الأردن، 2015، ص 30.

دور الثقافة في إصلاح التحديات الاجتماعية

(أدب عبدالوهاب البياتي أنموذجا)

صادق هاشمي أمجد
جامعة بيام نور أهواز، إيران

مريم ملك شاهي نجاد
جامعة قم، إيران

الملخص

تعد الأشعار الاجتماعية والسياسية من أهم التيارات الأدبية الحديثة لاسيما في العراق، فقد تطوّرت هذه التيارات في نهاية تكاثر ظلم الدول الاستعمارية هادفة مقاومة الاستعمار وعوامل الاضطرابات الاجتماعية، وكانت هذه الأشعار مرآة تتجلّى فيها الآلام والصمود والحرية وتتحدّث عن المشاكل الاجتماعية، وقد نادى بها أكثر الشعراء خاصة عبدالوهاب البياتي، وكانت للبياتي رؤية شعرية تتناسب مع حياته، ومجتمعه، وفكره العقائدي، وثقافته، فكانت رؤيته رؤيةً ناضجة على المستوى المضموني والفني، فهي ليست رؤية سطحية وهامشية، بل توغّلت في عمق الأحداث التاريخية، وجوهر القضايا الجديدة، وقدّمت للمتلقّي العبر، ووضعته على طريق الخلاص، كما تعبّر بقوّة وحيوية عن قضاياه كافة، وأظهرت حقيقة انتمائه إلى أصله الآدمي الإنساني، وقوّة علاقته بالكادحين والمعذّبين، وأكدت إيمانه الشديد بضرورة العمل الجماهيري الثوري الدؤوب، بغية إنجاز الإصلاح في حياتنا المعاصرة التي تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وتزداد تردّياً وفساداً.

إن رؤية البياتي الشعرية مرتبطة بنشأته الاجتماعية، ومتأثّرة بأفكاره، ولهذا لا نجد غرابة في أن يتسم شعره بالواقعية، وأن يعبّر عن قضايا الإنسان ومشكلاته في المجتمع والحياة، وأن يكون ذا مضامين فكرية وسياسية وإصلاحية.

يعالج هذا النص المشاكل الاجتماعية، من الأشعار الإصلاحية للبياتي بنوعيها السياسية والاجتماعية. ومن أهم ما توصلت إليه هذه المقالة أنّ شاعرنا البياتي لم يترك إشكالية ذات أهمية في الحياة والمجتمع إلاّ ووصفها في شعره، وعبّر عنها انطلاقاً من رؤيته الإصلاحية التي ترفض أن ترى الفساد بكل أنواعه، وتسكت عليه، وألاّ تشير إلى خطره الذي يشتدّ ويمتدّ بين الشعوب من غير أن تحدّه حدود، أو تمنعه موانع، فهو شاعرٌ ذو رؤية، يرى بها الأخطاء، ويبدي رأيه في تصحيحها؛ لأنّ موضوعاته الشعرية مستمدّة من المجتمع والحياة، فهي تعبّر عن قضاياهما، وليست مستمدّة من انفعالاته الوجدانية الخاصّة. فاللّغة

الرؤيوية الشعرية البياتية لغةٌ إيحائية، وإشارية، وحركية استطاعت أن تعالج الموضوعات ذات الأهداف السياسية والاجتماعية معالجة فنية وإبداعية.

الكلمات الدليلة: ظاهرة الإصلاح - عبدالوهاب البياتي - نظام الطبقي - سياسة الاضطهاد العالمية.

1. المقدمة

إن إحساس الأديب بالمسؤولية تجاه أحداث المجتمع والعصر يخلق نوعا من الالتزام فيه، وفي ضوء هذه المسؤولية، يظهر أديب من جهة التزامه بالقيم التحررية، ومن جهة أخرى يرى نفسه مضطرا إلى عكس هذه القضايا في أدبه، وقد كان البياتي إنساناً مطلقاً لا تقيده قيود، ولا تحدّه حدود، وطنه الأرض والآدمية، لقد تضامن مع الفقراء وصوّر بؤسهم، ودافع عن حقوق العمّال، وأحسَّ ألم المعتقلين في السجون، ولم ينس ألم المناضلين الذين كانوا معتقلين في السجون، فقد عاش البياتي في حقبة من العصر الذي يحفل بالنوائب، والمحن، والأحداث المأساوية التي تجري على الساحة العربية، فرسم تصويرا من معاناة إنسانها ومشاكله وأحلامه؛ لأنه عارف بالقضايا والمشاكل السياسية، والاجتماعية، فاستطاع أن يرسم أمام المتلقّي طريق الحلّ بإظهار أسباب ومواضع الخلل وسعى لإظهار الغاية التي توخّاها، فبدت غايته الإصلاحيّة تغييريّة مطلقة.

ومن هذه المنطلقات العقائدية استطاع البياتي يكون شاعراً عالمياً، وأن يكسب شعره الديمومة والخلود، فشعره شعر ملتزم، وقد التزم الدفاع والتعبير عن الناس المسلوبين والمستضعفين، شعره المرآة الصافية التي تجعل الفنّ متصلا بالإنسان ومعبّراً عن قضاياه ومشكلاته، وتجعله متصلاً بالحياة، يواكب أحداثها، ويحمل رسالتها، ويؤمن بالدفاع عنها ضدّ أعدائها الطغاة والمجرمين. فبدت رؤية شمولية تنطوي تحت شعار واحد هو الإنسان، وتهدف إلى إصلاح الحياة متجاوزة حدود الذات الفردية والوطنية والقومية.

لم تستهدف الكتابة الشعرية عنده الشهرة، وتأكيد وجود الذات على الساحة الثقافية، بل كانت رسالة إنسانية حضارية ذات مضمون جماهيري أممي، تدعو الشعوب المضطهدة إلى الصحوة من سباتها، وتحطيم قيود ذلها، وتحطيم قيود ذلها، والنضال في ساحة واحدة من أجل الوصول إلى غايتها في تحقيق العدالة والمساواة.

لذا كان البياتي مضطرا إلى أن يرصد هذه الأحداث، ويصف نتائجها الكارثية، ويشير إلى خطرها الشديد على الشعوب والحياة.

ارتقى البياتي سلّم المجد والشهرة بسرعة وكان الفضل في ذلك يعود دون شك إلى انتمائه وإمكاناته الذاتية وإلى نشاطه الدؤوب وإيمانه الراسخ بعدالة قضية شعبه، فغدا في مرحلة مبكرة من عمره واحداً

من أبرز أعلام المجتمع وشعراء السياسة والفكر والأدب على صعيد الوطن العربي، وقد خاض في ميدان الفكر والإبداع الأدبي، فأنتج ببراعة فكره كل ما فيه خير الوطن والشعب، فعمل بكل جهده للإصلاح فوجّه كلماته بلسما شافيا وعلاجا ناجعا للمجتمع ولما يفتك به من فقر وجهل ومرض، وترك البياتي من بعده تراثاً مرموقاً يجمع بين الفكر والسياسة، وهو فكر مازال بحاجة إلى الدرس والتمحيص لما يتضمن تجارب وعبر ودروس مفيدة.

وإنّ الأحداث السياسية في بداية القرن العشرين أثّرت في الحياة اليومية وعواطف الناس قاطبةً فالبياتي دخل هذه الساحة ككثير من الشعراء لكن فاز عليهم؛ لأنه يجمع قسما عظيما من تلك الأحداث حيث عاصر كثير من الأحداث السياسية آنذاك وعكسها في شعره، لهذا فإن دراسة أدب البياتي بما يختزنه فكره يكون جديرا للبحث والدراسة لأنّه يكشف للمخاطب كثير من القضايا الاجتماعية المؤلمة التي عانى منها الشعب العراقي والعالم العربي، وتستهدف دراستنا الوصول إلى أهداف منها، التعرف على المضامين الاجتماعية التي واكبت المجتمع العراقي في العصر الحديث. كما تستهدف رصد مواقف الشاعر في مواجهة القضايا الاجتماعية، وكيفية ترسيم تلك المواقف. وفي الأخير تحاول أن تجيب في هذه المقالة عن السؤالين الآتيين:

1- كيف عالج البياتي المجتمع، ومنها الفقر والتخلّف والجمود وغير ذلك من القضايا الاجتماعية؟
2- هل أثرت الحياة السياسية على مواقفه الاجتماعية؟

1-خلفية البحث

لم تنل ظاهرة الإصلاح عناية جيّدة من قبل الباحثين بصورة مستقلة بل تطرّق إليها الباحثون بصورة غير مستقلة أثناء دراساتهم الأدبية؛ ومن هذا المنطق فإنَّ هذه الدراسة التي تعالج ظاهرة الإصلاح عند عبدالوهاب البياتي لم تحظ بإقبال الباحثين والكتّاب، فنريد أن نتطرّق إليها ونكشف جوانبها بالتحليل والتوصيف، وفيما يلي نشير إلى بعض البحوث التي تمت دراستها قبل بحثنا هذا:

1. حسين ومحمود آبادى، معصومة (1390)، الصدمات الاجتماعية من وجهة نظر "جميل صديق زهاوي"، فصلية محكمة في نقد الأدب العربي المعاصر، السنة 2،العدد1.
2. سرباز، حسن، جعفرى، جميل وصحرارو، حمدية (1396)، الفقر في شعر عبدالوهاب البياتي وإيرج ميرزا دراسة مقارنة، مجلة الأدب المقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شهيد

باهنر كرمان، السنة 9، العدد16.

2-البيئة الاجتماعية ودورها في تنمية أفكار الشاعر

إنّ للبيئة الاجتماعية تأثيراً كبيرا في النفس الإنسانيّة، فهي التي تطبعُها بطابعها الخاصّ، وتجعلها متفقة مع مناخِها، وتتواءم مع طقوسها حتى تغدو خواصها المميّزة، ومن هنا جاء التمايز على المستوى النفسي بين البدويّ الذي ينشأ، ويعيش في المدينة، وإن كان الاثنان البدوي والحضري ينتميان إلى قوم وحضارة واحدة، وكذلك من هنا جاء التمايزُ بين الإنسانَ الذي اعتاد على أنماط اجتماعية عربية، والإنسان الذي اعتاد على أنماط اجتماعية أجنبية غربية (الجاحظ، 1990: 78)، ولهذا السبب نجد اللّغةَ الشعرية البياتية لغةً جديدة؛ لأنّها مرتبطةٌ بانفعاله الداخلي الجديد. يقول كولردج1 في هذا السياق2: "يجب أن نفهم لفظة (انفعال) بأكثر من مدلولاتها اتّساعاً، أي يمعن حالةِ اضطرابٍ في الأحاسيس لفظة (انفعال) بأكثر من مدلولاتها، أي يمعن حالة اضطراب في الأحاسيس والعواطف، ولمّا كان انفعال نبضهُ الخاص فإنّ له أيضا طرقَ التعبير التي تميزه.

وإذا ما وُجدت تب

لك الدرجةُ منَ العبقرية والموهبةِ التي تؤهّل الكاتب ليتطلع إلى شرف لقبِ شاعر، فإنّ عملية التأليف الشعريّ تصبح غير عادية من الاضطرابِ والانفعال، كما أنّه من شأنها أن تولّد هذه الحالة الانفعالية. ولا شك في أنّ هذه الحالة غير العادية من الانفعال، تبرّرُ وتستلزمُ تغيرا مماثلاً في اللّغة" (جيدة،1988 : 179).

ونحن إذا ما توغلّنا في أعماقِ علمِ الفسيولوجي3 نجده يصب مباشرةً في المجال المعرفي للبلاغةِ والنصوص، لهذا "تولى علماء هذا الفرعِ دراسةَ الأسسِ الحيوية للإحساسِ والإدراك، والتعلّم والذاكرة واللغةِ، والدوافعِ والانفعالاتِ والسلوك غير العادي، على أساسِ أن الإنسانَ مكون من ملايين الخلايا، كل واحدةٍ أو مجموعة منها تخصّ بأداء دور معين، والجهازُ العصبي هو الذي يوجه وينسق عملَ هذه الخلايا، بحيث يتمكن منَ الرؤية والسمع والتفكير، والكلام والسلوك بطريقة فعالة" (فضل، 1992: 32-33).

فالبياتي قد أثّرت بيئته الاجتماعية في بنيته كبيرا وعميقا لا لبسَ فيه وليس هذا وحسب، بل إنّ بيئته الاجتماعية لها الدورُ الرئيسي، والعواملُ الأساسية في تشكيل بنيته النفسية، وآية رأينا هذا تتجلى تجليا واسعاً وملموسا في سائرِ أغراض شعرهِ.

---

1 - colleredge
2 - contexte
3 - physiologe

فكل قصيدة بياتية مرتبطةُ ببنية ارتبطت بها النفسية ارتباطاً وثيقا، والبياتي نفسُهُ يثبت رأينا هذا في قوله: "إنّ قصائدي هي ليست محضَ قصائدَ شعرية، وإنما هي إشاراتٌ، أصواتٌ غامضةٌ أحيانا، وواضحةٌ أحيانا أخرى تتحدّثُ عن عذاباتٍ وعوالم وتجاربَ مريرة، مرّ بها الانسانُ القديم والمعاصرُ أو مررتُ بها أنا واحترقتُ بجحيمها"(صبحي،1973: 133).

وليس هذا بغريب من البياتي، فهو يعبر عن تجربتهِ الإنسانية الواقعية البعيدة عن حالةٍ شعرية يكتنفها الخيال والوهم، وآية رأينا هذا تتجلى في قصيدته (أحزان البنفسج) حيث يقول فيها: "الملايين التي تكدح لا تحلمُ في موتِ فراشة/وبأحزانِ البنفسج؟ أو شراعٍ يتوهج؟ تحت ضوء القمر الأخضر في ليلة تصنع للحاكم زورق/الملايين التي تصنع منديلا لمغرم ؟ الملايين التي تبكي تغّني تتألّم"(الديوان، 1990: 261).

هذه القصيدة تؤكد التصاقَ صاحبها ببيئته الاجتماعية والتزامَه الأبديِّ بمشاكلها وعذاباتِ إنسانها فما البنفسج إلاّ رمزٌ أكد إلى الفقراء المستضعفين المنسحقين الذين يشكلون الغالبية العظمى في الشريحة الاجتماعية التي ينمتي إليها شاعرنا البياتي عضويا وشعريا.

إنّ الانفعال النفسي لدى البياتي هو أساس التجربةِ الشعرية البياتية، وضابطُ قاعها، وحدودُ منازعها؛ لأنّ التجربة الشعرية بشكل عامٍ هي مرتبطةٌ بإطارها الاجتماعيّ، وبتجربة صاحبها الحياتية، لهذا يمكننا القول: إنّ المادة الشعرية تُستمدُّ وتتشكل من المصادرِ التالية: الانفعال النفسيّ والبيئة الاجتماعية، وتجربة الشاعر الخاصّة، كما أنّ هذه المصادر الثلاثة تتحد فيما بينها وتمتزج، فتتشكل منها العمليُة الشعرية بأبعادِها الإبداعية المكتملة، وآية حديثنا هذا تتجلى في قولِ البياتي: "أشعاري مستمدةٌ من تجاربي وليست من قراءاتي؛ لهذا فإنّ القارئ يجد فيها طعماً متفرداً لتجربةٍ فريدة عاشها الشّاعرُ الذي كتب القصائد، كما أن تجاربَ قصائدي وصورها ليست تجارب لغوية أو لفظية، وإنما هي صورٌ وتجاربُ لها دلالاتٌ في الوجود الإنسانيّ" (صبحي،1973: 135).

إنّ الشريحة الاجتماعية التي انتمى إليها شاعرُنا، عاش مشكلاتها، هي شريحة فقيرة كادحة، ثّم جاءت الشيوعية لتكون حركة سياسية فكرية إنقاذيه لتمثل لهذه الشريحة الإلهية العقائدية الوحيدة التي بها يتحقق التغيير الذي يفضي إلى إقامة العدل والمساواة بين سائر الطبقات الإنسانية في المجتمع؛ لهذا سارع الكثيرون من الكادحين إلى اعتناقها وفي طليعتهم النخبةُ الفذةُ من المثقفين الثوريين الذين يحملون رسالة الكلمة، ومن بين هؤلاء عبدالوهاب البياتي الذي اعتنق الفكر الشيوعي اعتناقاً تلقائيا، انسجاماً وتطابقاً مع البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها ولم يعتنقه بدافع ضغطٍ أو إغراء معين، أو بدافع عرضٍ فكري تلقاه من غيره.

3-تجليات قضايا الاجتماع في أدب عبدالوهاب البياتي

العراق من الدول التي حكمها المستعمرون والاستبداد الداخلي لسنوات عديدة، حتى طغى القهر والفساد على جميع جوانب حياة أهل هذا البلد، والبياتي رجل محب للحرية، يصرخ ضد ظلم الظالمين وهيمنتهم، ويناضلهم في أشعاره بلا خوف وتهور، ومن كتاباته في الصحف والمجلات، وأيضا قصائده التي تعد سلاحا حادا وخفيا وفعالا في نضالات الأمة، يحاول إعلام شعبه وإيقاظه لمؤامرات الأعداء، وفيما يلي نشير إلى بعض مظاهر هذا النوع من الأدب في شعره.

3-1-الاختلاف الطبقي

ممّا لا ريب فيه أنّ استغلال الأثرياء البرجوازيين لحياة الفقراء في المجتمع ليس قضيّة مختلقة وخيالية في شعر عبد الوهّاب البياتي، وإنما هي قضيّة واقعيّة أكدتها التجارب التاريخيّة الاجتماعية التي مرّت بها الشعوب على اختلاف أعراقها وانتماءاتها، ولأنّ هذه القضية هي قضيّة واقعية مرتبطة بحياة الناس ارتباطاً مباشراً ومؤثّراً؛ فإنّ البياتي قد طرحها في شعره طرحاً جديداً يتناسب مع خطورتها وقدر الجديّة فيها، وقصائد البياتي التي تعالج الاستغلال الذي يمارسه الأثرياء بحقِّ الفقراء الكادحين، هي كثيرة، نختار بعضها دارسين ومحلّلين، لعلّنا نكشف عن ملامح الصورة الاجتماعية والحياتية التي أراد الشاعر ظهورها.

إن الحالة الطبقية التي كانت سائدة في المجتمع العراقي في طفولة البياتي، ومرحلة شبابه، وترعرعه جعلته يرى الهوة السحيقة الفاصلة بين الأثرياء والفقراء، بين السلطويين والمساكين، بين الملوك والرعية. وجعلته يعكسها بطابعها حتى أصبح غارقا في عمق إشكاليتها، فانبرى إلى الدفاع عن الكادحين والمضطهدين، حاملا همومهم ومعبرا عنها في شعره تعبيرا يوحي إلى القارئ والجماهير بضرورة الثورة والإصلاح والتغيير، وإن قصيدة (القرية الملعونة) تطرح بقوة الإشكالية الطبقية بين الأغنياء والفقراء، وتصور الظلم البشع الذي يلقي به الإنسان المسيطر على إنسان ضعيف آخر، كما تصور الروح الاستغلالية التي تحول الإنسان الذي تسكنه إلى وحش ضار يقبل على الحياة بنهم وجشع شديدين، ولا يفكر إلا بنفسه، حيث يقول:" *بشر ينام مع الدواب السائبات على سواء ما دام ينعم بالثراء ابن السماء "العمدة" المرهوب، والخبز العريق حلم الملايين الجماع من الرقيق، ولم الشهيق؟/ الخبز نضجه السياط الداميات لم الشهيق؟/ ولم العويل؟/ غدا الرحيل عن هذه الأرض الخبيثة - لعنة العيش الذليل - حلت جيل بعد جيل/ غدا الرحيل/ "والعمدة" المرهوب يمسح بالسياط، دم الظهور كتل مشوهة تدور حول الزرائب، والقبور النائمات على القبور... أصواتها النكراء، تقطر بالدم المزرق، بالدم إذ تدور كتل مشوهة تدور وتعود تنبش في المزابل والقبور ليظل طاغية العصور بالويل ينذر والثبور* (الديوان، 1990: 254).

إن هذه القصيدة البديعة تصور بأسلوب نقدي ناقم فتك الإنسان بأخيه، كما تصور روحه الشريرة التي تجعله يتنكر لبني جنسه. وليس هذا وحسب، بل يتجرد من إنسانيته تجردا تاما ليغدو وحشا، وظيفته الأساسية والثابتة هي الافتراس لأجل البقاء، دون أي تفكير بسائر الكائنات الصغيرة والمستضعفة.

إن القانون الذي سيطر على المجتمع البشري هو قانون الغاب حيث يغدو الصغير لقمة سائغة في فم الكبير، وهذه الإشكالية الطبقية الرهيبة التي يطرحها البياتي في قصيدته (القرية الملعونة) ستظل قائمة ما دام ابن السماء ينعم بالثراء. وما (ابن السماء) سوى رمز شعري لأبناء الطبقة البرجوازية الاستعلائية الذين يستغلون الفقراء من أبناء الأرض، لأن الفرق في عقيدهم وعرفهم شاسع بين الطبقتين، كالفرق تماما بين السماء والأرض.

هذا التعبير الشعريُّ من قبل البياتي يظهر مدى غباء الإنسان البرجوازي، ومدى حماقته، واستهزائه بالحياة، فهو في تصرّفاته دائماً لا يخضع لمعيار أخلاقيّ أو إنسانيّ، وخصوصاً إذا كان يعيش في مجتمع رأسمالي، ويؤمن بالمفاهيم الرأسمالية. وهذا ما يؤكده كارل ماركس واصفاً لنا الرجل الرأسماليّ: " إنّه عميل التراكم المتعصّب، يجير الناس بلا رحمة ولا شفقة، على الإنتاج من أجل الإنتاج، ويدفعهم هكذا بشكل غريزي إلى تطوير القوى المنتجة والشروط المادية التي تستطيع وحدها أن تكون قاعدة مجتمع جديد ومتفوّق" (فيشر، د.تا: 60).

2-3-صراع الحق والباطل

منذ أن تشكلت المجتمعات البشرية علي الأرض، وبنت لنفسها مرتكزات ودولا وممالك نشأ فيها ومن بين أفرادها رجالٌ طغاةٌ عملوا جاهدين علي استغلالها واستعبادها والهيمنة على قدراتها وثرواتها. والتاريخ البشري القديم والجديد حافلٌ بالأمثلة على ممارسة الطغيان والاستغلال، فلا تخلو حقبةٌ تاريخيةٌ من صور الظلم والعبودية.

ومن أبرز قصائد البياتي التي تتجلى فيها بصورة حيدة شخصية البياتي العامّة هي القصيدة (قراءة في كتاب الطواسين للحلاّج)، حيث يطرح فيها إشكالية الصراع بين الطغاة وأبناء الحق، وبين الخير والشّر قائلا: "من تحت مسلات طغاة العالم/ من تحت رماد الأزمان/ من خلف القضبان/ أصرخ في ليل القارّات، أقدم حبي قربان/ للوحش الرابض في كل الأبواب)" (الديوان، 1990: 373). إنَّ الشاعر في هذا المقطع الشّعري يطرح بقوّة إشكالية الطغيان، والظلم، والقمع التي يتعرض لها الأبرياء في المجتمع الإنساني، فنجده يوحد العالم ضمن إطار مأساته الواحدة، حين وحدّ طغاته بقوله: (من تحت مسلات طغاة العالم)، وفي صياغة أخرى ضمن هذا المقطع الشعرى القصير يوحد العالم، مرّة جديدة، فيظهره لنا غارقاً في خضمّ الظلم والطغيان، حيث يقول: (من خلف القضبان/ أصرخ في ليل القارّات، أقدّم حبي قربان)، فما (القضبان) في هذا التعبير الشعرىّ إلاّ رمزٌ صريح للكبت والقمع اللذين يمارسان

على الإنسان من قبل الطغاة، والمستبدين، والمجرمين. وما (ليل القارّات) إلا رمزٌ صريح هو الآخر إلى الفساد، والظلم، والطغيان في الأرض، رمزٌ إلى الجهل، والغباء، والحماقة. وما (الصرخة) التي يطلقها الشاعر في (ليل القارّات) سوى رمز صريح إلى الثورة والرفض، فالشاعر يثور سياسة الطغيان المتبعة في العالم الذي ترمز إليه (القارّات)، كما أنّه يرفض كل الرفض أن يظل الإنسان يتجرع كأس المرارة، والألم، والذلّ بسبب طغيان حفنة من الطغاة في العالم.

وللباطل آثار مدمرة ومميتة كثيرة، بحيث يمكن القول إن هذه المصيبة ستقود العالم والنفس والجسد والظالمين وممتلكاتهم إلى هاوية الدمار والشقاوة الأبدية.

إن أحد مظاهر التعاليم الاجتماعية للإسلام الساطعة هو الأمر بفعل الخير والنهي عن المنكر، "*يعلمنا الإسلام أن مصير كل مسلم في المجتمع يرتبط بمسلمين آخرين؛ لذلك يجب على أهل المجتمع ألا يتجاهلوا القهر والاستبداد؛ لأن الظلم الذي يصيب الإنسان لا تقتصر آثاره السلبية عليه، بل يسود في كل مكان ويغرق الجميع، وفي الحالة الضيقة التي خلقها الاستعمار لأهل الثقافة والفن في العراق وتجاهل حرياتهم الطبيعية، بهدف خلق مجتمعا موحدا، وعدم تحمل الأصوات المتعددة في ساحة المجتمع، أصبح كل شيء سياسيا فاقدا للوعي*"(الشامي، 1990م: 9).

اجتمع البياتي مع طالبي الحرية حول محور الحرية وعززوا الانسجام والتقارب والصمود، وطالبوا بمناهضة الظلم، ولتحقق الحرية التي لا تتجسد إلا بالتحرر من براثن الاستعمار والثورة الشعبية التي لن تأتي إلا بتحمل المصاعب الكثيرة، وبذل الجهود الكبيرة، وقصيدة البياتي (أغنية إلى شعبي)، هي خير دليل علي ما نورده هنا، إذ يقول فيها: "أنا هنا، وحدي، علي الصليب/ يأكل لحمي قاطعو الطريق والمسوخ والضباع/ يا صانع اللهيب/ يا شعبي الحبيب/ أنا هنا، وحدي، على الصليب/ يسطو على بستاني الصغار/ ويرجم الكبار/ ظلّي الذي يبسط كفية إلى النجوم"(الديوان، 1990: 1/219).

إن أحد الركائز الأساسية لسلطة المجتمع هو وحدته وتماسكه، الذي يعد أعظم رصيد للفخر، وتدل التجربة على أن انعدام الوحدة في المجتمع يؤدي إلى الفقر والتخلف والتحقير، وتجدر الإشارة إلى أنه بدون الوحدة لا بد من أن يتحمل المرء ظل أجنبي ويعيش حياة الذل، "*وقد سعى المستعمرون والأقوياء دائما إلى استخدام أسلوب التفرقة لاكتساب رأس مال وثروة البلد. لطالما سعى أنصار وحدة الشعوب العربية إلى تذكير مجد الحضارة العربية التي لم تكن في الحقيقة سوى مجد الحضارة الإسلامية، وأن يحافظوا على قيمة التراث العربي القديم ومكانته، واستعادة العزة السابقة للعرب بإدراك مناطق وحدتهم، وهي في الواقع لغة مشتركة وتاريخ ودين وذكريات مشتركة، وتجدر الإشارة إلى أنه في أواسط القرن التاسع عشر كان الأدباء والكتاب قواد الحركة العربية من أجل الوحدة والانسجام*"(عنايت، 1370ش: 227).

إن (أنا) الشاعر البياتي في مطلع هذه القصيدة ليست (أنا) فردية، بل هي ذات دلالة جماعية على اعتبار أنّ الشاعر يتحدّث باسم شعبه، وهو يرمز إلي الفقراء من أبنائه، ومن هذه الأنا يعبّر الشاعر عن محنته القاسية التي يعيشها كونه إنساناً فقيراً مضطهداً ومعذباً، ومحنة الشاعر هذه تتمثّل برمزية الصليب في القصيدة، حيث يبدو الشاعر، برمزيته إلى الشعب والفقراء، إنساناً مظلوماً يتعرّض إلي شتّى أنواع الظلم والاستعباد والاستغلال، ومعنى الاستغلال الحقيقي تتضمّنه عبارة (يأكل لحمي قاطعو الطريق والمسوخ والضباع)، وفي هذه الصورة الشعرية يعبّر البياتي عن أقسى وأعلى درجات الاستغلال، حيث أنّه لم يعد يمتلك حتى لحمه، فقد سُلِبَ كل شيء من حقوقه في الحياة، وتمادي سالبوه في الاعتداء عليه، فراحوا يأكلون لحمه، والسالبون والاستغلاليون يتمثّلون في القصيدة بقاطعي الطريق والمسوخ والضباع.

3-3-الفقر:

إنّ الأمر بديهيّ جداً أن يأخذ الفقر في التعبير الشعريّ عند عبد الوهّاب البياتيّ وجوهاً عديدة ومتنوّعة؛ لأنّ التعبير الشعريّ البياتيّ، هو تعبيرٌ تجتمع فيه بحقّ، كل عناصر الإبداع والتجديد، وعناصر الانقلاب علي المنطقيّة الشعرية المألوفة التي تعالج القضايا الحياتية معالجة ساذجة خالية من أيّة حيويّة أو تطوير، فالفقر عند عبد الوهّاب البياتي ليس افتقاراً إلى المال والمادّة وحسب، وليس حرماناً من التمتع بالحياة ولذاتها، إنما يعني الفقر عنده الافتقار والتدبّر، فلقد فهم الشاعر البياتي الفقر بمعناه الشموليّ، وتناول موضوعاته تناولاً مكثفا في التعبير الشعريّ.

والتعبير البياتيّ الشعريّ عن الفقر هو تعبيرٌ جديدٌ، تعبيرٌ يقوم علي الترميز1 والتخصيب2، فالفقر عنده يأخذ أبعادا معنوية ودلالية جديدة، وهو يأخذ أيضاً وجوهاً عديدة، ومتنوّعة، وقد يتصف بصفة، أو يأخذ وجهاً واحداً، وأحياناً يكون الفقر بلا وجه عند البياتي، فقد يكون في كل شيء، و يتمثّل بكل شيء، لهذا يصبح من الصعب تحديد صفاته.

إنّ هذا التعدد في وجوه الفقر عند البياتي يعود إلى كون الشاعر ينتمي إلى عصر متعدد المجالات، ومتعدد الإشكالات، فيم كان للشاعر المحدث أن يشعر بفقره ويعاني منه على الصعيد الماديّ، وعلى الصعيد الروحي، كما يمكن له أن يعاني منه على الصعيد الإبداعي والكتابي، كما إنّ التنوّع في الموضوع الواحد عند الشعراء المحدثين يعود إلى كون الحداثة تتنافى مع التقليد من حيث المضمون، ومن حيث اللغة، فلا تنحصر بالشكل، وليس بالضرورة أن تتجلّى فيه، فالحداثة هي، قبل كل شيء جوهر، وفكرة

[1] – symbolation
[2] – fertilization

حديثة، وكما يقول يوسف الخال: "هي ليست أشكالا يقتبسها الإنسان أو زيّاً يتزين به؛ لأنّ المهمّ هو ما وراء الأشكال والأزياء"(الخال،1987: 32).

إنّ تعددّ المنافي أكسب البياتي أفقاً مفتوحاً من الحوار مع إبداعات العالم الذي ارتبط بتيّاراته الثورية في الفن والفكر، وكان من نتيجة ذلك " أن أفسحت قصائده مكانة دالّة لشعراء الغرب والشرق وكتابهم الذين عرف بهم واختار من أشعارهم، وقد ارتبط ذلك بتجوله الشعري الذي جمع ما بين كتاب الشرق والغرب إلى أسماء المبدعين العرب الذين اتصل بهم أو اتصلوا به في تقلّب منافيه، وأحسب أنّ هذا الأفق الممتد من العلاقات كان سبباً من أسباب تعميق إدراكه بوحدة الإبداع الإنساني قديماً وحديثاً " (عصفور، 1999: 24-25).

لقد التزم عبد الوهّاب البياتي في شعره بقضية الفقر بوجوهه المتنوعّة وخصوصاً الوجهين الأبرزين: الوجه الماديّ والوجه المعرفيّ؛ لأنّه كان يدرك كل الإدراك أنّهما يفضيان إلى سائر وجوه الفقر في الحياة، ويبدو أنّ البياتي من تجربته الحياتية الاجتماعية الفنية بدأ يدرك أيضاً أنّ التحوّل الاجتماعي لا يكون إلا بالثورة، وإدراكه هذه هو الذي يفسّر ميوله الشعري الجامح إلى التعبير الثوريّ، وضمن هذا المفهوم الثوريّ، يقول كارلوس البارث عن البياتي: "إنّ مضامين البياتي هي مضامن ثوريّة بشكل عميق، فهو يضع نفسه إلى جانب الثورة"(البارث، 1998: 159).

أ) الحرمان:

البياتي لم يطرح في شعره الفقر بوصف له قضية مأساوية وحسب، بل طرحه بوصفه قضية مأساوية فيها الكثير من المعاني التي تدعو الإنسان إلى الحزن والألم، ومن أبرز المعاني التي تجدها في صور الفقر التي جاء بها البياتي، هو المعنى الحرمانّي، حيث جسّد لنا الشاعر في الكثير من الصور الشعرية مشاهد الحرمان المؤلمة والحزينة، والحرمان الذي يعانيه الإنسان الفقير.

إنّ الفقر، تحت هذا العنوان، يغدو علّة خطيرة تصيب الإنسان فتحرمه من الحياة وما فيها من معان جميلة ولذّات ومباهج؛ لأنّ السير في سبل الحياة الناعمة والجميلة يحتاج إلى ما يقتضيه، وهو المال، والمال، إن لم يكن يجلب السعادة، فهو يجلب الرفاه، ويجعل المرء يعيش في أجواء الراحة والنعيم، وهو أيضاً سبيل إلى تحقيق المطامح التي يصبو إليها سواء أكانت هذه المطامح عظيمةً أم حقيرة، أمّا الفقر، فهو يقتل في النفس هواها ويقتل مطامحها، ويجعلها ضعيفة مستسلمة للواقع وللحقيقة المرّة إلا النفس الثائرة المتمرّدة، فهي لا تعرف الاستسلام، ولكن نموذجها قليلٌ في المجتمع، وفي رأي الناقد العراقي مدني صالح: "هو شاعر الفقر والثورة، وشاعر العشّاقّ والثوّار، والشاعر الذي ألبسه الفقراء تاجهم وساروا ورائه، حلاجاً يشطح فيشطحون، ومعرياً يتأمّل فيتأمّلون، وخياماً سكران في حانة الاقتدار يغنّي ويصفّق ويفرح فيغنّون ويرقصون ويصفّقون ويفرحون" (صالح، 1992: 58).

إنَّ القصائد التي ضمّنها البياتي صوراً حرمانيه، هي كثيرة جداً، فقد كان كلما طرح قضية الفقر أظهر فيها حرمان الفقراء. وأقرب صورة إلى الحرمانيه نجدها متجلية في قصيدة (بكائية إلى شمس حزيزان)، إذ يبدو في هذه الصورة الفقراء الشرقيون أناساً يعيشون محنة الحرمان والاستلاب، فهم جياعٌ وعراةٌ وضعفاء تدوس عليهم خطى الفقر فتسحقهم سحقاً شديداً، ويبدو البياتي للقارئ واحداً من الفقراء المعذبين، ومحروماً يصف الحرمان وصفاً دقيقاً في مشاهد صادقة لا زيف فيها، نابضة بالألم والإحساس والعاطفة، وهذه المشاهد الحرمانيه تبدو قول البياتي: "فلماذا تركونا في العراء؟/ يا إلهي للطيور الجارحات/ نرتدي أسمال موتانا ونبكي في حياء/ آه لم تترك على عورتنا شمس حزيزان رداء/ ولماذا تركونا للكلاب/ جيفاً دون صلاة/ حاملين الوطن المصلوب في كف وفي الأخرى التراب"(مظلوم، 1998: 67).

إنّ الفقراء في هذه المشاهد الجرمانية هم محرومون نعمة الحياة الكريمة، يعيشون في العراء تحت أديم السماء دون منزل يستقرّون فيه أو سقف يحميهم من الحرّ والقرّ، إنّهم يعانون أقسى أنواع الحرمان، وقد وصلوا فيه إلى أعلي درجاته. وليس هذا وحسب، بل هم مهملون أيضاً من المسؤولين، فلا أحدٌ قَدر من الأهمّية، وقد دفعت هذه المأساة القاسية الشاعر إلى إطلاق نداء الاستغاثة: (يا إلهي). إنّه نداءٌ مترعٌ بالوجع والمعاناة. إنّه نداءٌ يعبّر عن شدّة الأزمة الحياتية التي تواجه الفقراء فهي أزمةٌ مستعصية تستدعي تدخّل الإله، إذ يعجز الناس عن المساهمة في حلّها، فالمرء عادةٌ يلجأ إلى الإله حينما لا يستطيع أحدٌ أن يخفّف من آلامه، أو حينما يصبح الأمر محالاً بعيداً عن التحقيق، وإنّ اللجوء إلى الإله يكون في لحظات اليأس الشديد من النجاة، ويتابع شاعرنا البياتي حديثه راسماً صوره الحرمانيه التي تتوافق مع الواقع الاجتماعي الحرماني توافقاً كاملا.

ب) الاستلاب

حرم القرآن الكريم أي انتهاك لحقوق الآخرين سواء كانت حقوقهم المادية أو الروحية، ونبه المسلمين إلى الانحراف عن طريق العدل، فيقول: ﴿ ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ﴾ (البقرة / 1990).

وقال صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يذله ولا يحتقره" (البخاري،1998م: 98) ينطوي الظلم على معنيين: "المعنى الأول هو عكس الضوء، والمعنى الثاني يعني وضع الشيء في غير مكانه" (ابن فارس،2001 م: 617)

والجدير بالذكر أن الظالم ظلم نفسه أولاً قبل أن يظلم الآخرين، كما لو فعل حسناً، ففعل الخير لنفسه أولاً، ولقد ذكر الله تعالى آيات عديدة في القرآن عن الظلم. على سبيل المثال :"إنَّ الظّالمينَ لَهم عَذَاب أَليم."(ابراهيم /22)

فبالإضافة إلى المعنى الحرماني، هناك المعنى الاستلابي، فبين الحرمان والاستلاب فرقٌ كبير في مفهوم البياتيِ وشعره، فالحرمان يتصل بالمادّة الحياتية، أما الاستلاب فيتصل بمادّة الحياة، والمقصود منها مادّة العيش، ويتصل بشخصية المرء ومقوّماتها الإنسانية والحضارية والإبداعيّة، وكذلك يتصل بقوّماتها الوطنية والقوميّة، وقد شكلت هذه الحال الاستلابية للبياتي مادّة شعرية غنيّة، فاعتمدها في كتاباته الشعرية، ووظفها أحسن توظيف، واستطاع أن يقدّم للقارئ نتاجات شعرية جديدة راقية، فالبياتي في شعره يطرح قضية المسلوبين كما يطرح قضية المحرومين، ويحملها على عاتقه، ويؤمن بها إيماناً راسخاً، فهي قضيته الأولى؛ لأنّه مسلوبٌ مثلهم ويشعر بالاستلاب ويعيشه، ويعرف حقيقته، فيطرح في شعره قضية المسلوبين الذين سلبوا الحرية، حرية التعبير بكل أشكالها، وحرية الذات وحرية الوطن والأمّة الذين سلبوا الشعور الإنساني والحبّ والإيمان بالحياة والسلام، وفي هذا السياق يقول شاعرنا البياتيّ: "الفقراء هم المستلبون في هذا العالم، والاستلاب الذي أعنيه هنا ليس الاستلاب المادي فقط وإنما معناه الأشمل: مجيء الإنسان إلى هذا العالم دون إرادته وبدون أن تترك له حرية اختيار اسمه أو لغته أو قوميته، وتحركه في هذا العالم وتتركه وحيداً مثل قطرة المطر لكي يلاقي مصيره، والكتابة عليه أن يرى ويسمع دون أن يسمح له بالإسهام في بناء هذا العالم: أي أن يكون شاهداً ومتفرجاً، ويدخل في عداد هؤلاء الفقراء: الفنّانون والعلماء والشعراء والثوريّون والعمال الذين يعانون معاناة حجر رحى الطاحون"(صبحي، 1973: 140–141).

وقد عد البياتيّ أهل الإبداع أكثر الناس معاناةً من الاستلاب، فهم أحياناً كثيرة مسلوبو التفكير والتعبير، وهذا الشعور الاستلابي قد شعر به البياتيّ أكثر من غيره، إذ طالما وجد نفسه مسلوب التفكير والتعبير في وطنه العراق، وحين رفض أن يقبل أن يكون مسلوباً نُفي خارج وطنه، فعاش فترةً طويلةً من عمره مشرّداً ومنفياً مسلوب الوطن والملاذ الذي يجد فيه الطمأنينة والاستقرار والحبّ والجمال. ففي قصيدة بديعة تحت عنوان (في المعركة) يعبّر شاعرنا البياتيّ عن الحال المسلوبة السائدة في العراق، الحال الكسلوبة التي يعيشها الملايين من الفقراء الكادحين العراقيين بسبب تسلّط زمرة من الطغاة والظالمين عليهم، إذ يقول: "وكانت شعارتنا كالسماء/ مخضّبةً بدماء الرفاق/ وكنا نطالب باسم الصغار/ وباسم الحياة/ وباسم العراق/ نطالب بالأرض للكادحين/ وبالخبز والملح للجائعين"(الديوان، 1990: 1 / 254). ممّا لا ريب فيه أنّ المقطع الأول من هذه القصيدة (في المعركة) التي نتناولها بالتحليل يعجّ بالمعاني المسلوبة التي تُظهر لنا الفقراء العراقيين الذين يعيشون السلب بأبشع صوره ويعانون منه أشدّ معاناة. فهم مسلوبو الحياة، مسلوبو الأرض، مسلوبو الخبز، مسلوبو الملح، وهذه الحال القاسية التي يعيشها الفقراء العراقيّون دفعت البياتيّ إلى تبنّي قضيّتهم ووقوفه معهم في معركتهم ضد الاستغلاليين والطغاة الظالمين، دفعته إلى أن يرفع شعارات الثورة الغاضبة التي بها وحدها تُصان الحقوق ويعود ما سلب منها إلى أصحابه.

إنّ البياتيّ كان يدرك أنّ ثمة أسر في المجتمع ليست فقيرة وحسب، وإنما هي مسلوبة، فقرها وصل إلى درجة أن سلبت حقوقها، فلم تعد تملك شيئاً من حقوقها وهذه الفئة التي أدركها البياتيّ، هي الفئة الكادحة التي تشقى وتستثمر الأرض في سبيل الحياة وأبنائهم، ولكنها على الرغم من شقائها وتبعها، فقد سُلبت الأرض التي تحرثها وتزرعها، وغدت تعمل فيها مرغمة مستعبدة ليس لها حقٌ من الحقوق الاجتماعية والإنسانية، إنّها فئة اجتماعية تكدح في سبيل العيش الذليل، فهي فئة مسلوبة الحقّ في الخبز والملح: (نطالب بالأرض للكادحين/ وبالخبز والملح للجائعين)، وفي هذا السياق تقول الدكتورة ناديا جمال الدين في دراسة تحت عنوان: "بين البياتيّ وآو كتافيوباث: "إنّ كلا الشاعرين يظهر ثراءً روحياً، أولاً بسب توحدهما مع بلديهما المكسيك والعراق مستخدمين أساطيرها، وثانياً بسبب تجربتها الواسعتين والخصبتين وإلمامهما بثقافات أخرى، هما شاعران ملتزمان يحاولان تبليغ تحذير للتأكيد على الحاجة إلى التغيير، تغيير طباعنا التي أجبرتنا عليها حياتنا المعاصرة بمتطلباتها، والبحث عن طبائع أكثر إنسانية، ولكي تصبح أحلامنا ممكنة وواقعية"(جمال الدين، 1988: 30).

3-4- الاضطهاد

إنّ الصورة الشعرية الحديثة تمتاز بالتعقيد المعنوي والغنى المضموني؛ لأنّها تتألّف من أُنساق لغوية وصياغة تتوافق مع روح عصرنا الحديث المفعم بالمشكلات السياسية والاجتماعية وبالمتناقضات الفكرية والثقافية والحضارية، فالتحديث في بناء القصيدة العربية وتشكيل الصورة فيها مرتبط بالعصر ومستجدّاته. "لا شك في أنّ التحوّلات العربية الجديدة التي طرأت على شعرنا العربي منذ أوائل الأربعينيات كان لها أثرٌ كبير في التركيب العضوي للقصيدة الجديدة، فقد كان لهذه التحوّلات أثرٌ مهمٌ في إعادة تركيب العلاقات الداخلية بين مستويات القصيدة، وربطها بواقع معين، وبنفسية معينة عن طريق أسلبة خاصّة تنطلق من الكلمة"(سقّال، 1992: 21-22).

وإذا صور عبد الوهّاب البياتي، الاضطهاد المتنوّع الذي تتعرّض له الشعوب، من قبل الظالمين والمستبدّين، وإذا صوّر حجم الجريمة الفظيعة الشاملة التي ترتكب بحقّها، لم يسدّ أمامها الطريق، وهي تسير إلى الغد الجميل والحرية والعزّة.

لم يزرع البياتي في نفوس أبناء أمته اليأس والإحباط، والاستسلام، بل زرع في نفوسهم الإيمان بالصمود والبقاء، زرع في نفوسهم الحبّ الذي يمدّهم بالقوّة الجبّارة، ويجعلهم ينتصرون على الحقد والشرّ، وهذه السّمة التعبيرية التي أظهرت البياتي شاعراً متمرّداً على الظلم والطغيان، طامحاً إلى صناعة الحياة التي يتوخّاها الفقراء المضطهدون نلاحظها في قوله: "حبيبتي ها أنا/ أُحرق نفسي هنا/ كي أكسر الثلج والأغلال يا بؤسنا/ إن أشرقت شمسهم ونحن في سجننا/ نجترّ أحزاننا/ حبيبتي إن همُ لم يرحموا حبّنا/ لكننا لم نزل نحبُّ لكننا"(المصدر نفسه، 1/ 371-372).

نلاحظ في هذا المقطع الشعري وجود الضمائر المنفصلة الثلاثة: (أنا)- (نحن)- (هم)، وهي ضمائر لها رمزيتها الشعرية التي ينبغي أن نشير إليها. فالضمير الأوّل يمثّل ذات الشاعر الفردية المتمرّدة التي ترفض الانصياع لسياسة القتلة والمستبدّين، فهي ذات ثورية تفضّل أن تحترق بلهب الثورة على أن تبقى مقيدة بقيود الذلّ والعبودية.

أمّا الضمير الثاني (نحن)، فيمثّل ذات الجماهير المضطهدة التي تجمعها المعاناة، يمثل ذات الجماهير التي جعل الظالمون حياتها سجناً جماعياً كبيرا لا تستطيع الفرار منه، ولا طعام لها فيه سوى الأحزان المستمرّة التي لا تتغير. واستمرارية الأحزان تدلّ عليها عبارة: (ونحن في سجننا نجترّ أحزاننا).

إنّ فعل الاجترار هنا يدلّ على الإعادة والتكرار، والأحزان التي يتمّ اجترارها، هي أحزانٌ مكررة وغير منقطعة، ووفق هذا المعنى يريد البياتي أن يبين المعاناة الشديدة التي يكابدها الناس المضطهدون في العالم على اختلاف انتماءاتهم الوطنية، والقومية، والحضارية.

الضمير المنفصل (نحن) لا يدلّ على جماعة مؤطّرة بإطار وطني أو قومي محدّد، وإنما يدلّ على جماعة الناس، الجماعة الآدمية المؤطّرة بإطار إنساني شامل وجامع، فكل الناس المضطهدين والمقهورين هم برأي البياتي مجموعون في سجن واحد، يتذوّقون الآلام نفسها، ويجترّون أحزانهم التي باتت طعامهم الوحيد، وقد أراد الشاعر في هذه الصورة أن يظهر لهؤلاء الحال الاجتماعية والحياتية المهينة والمذلّة التي وصلوا إليها.

أ) الاضطهاد السياسي:

"من أجل إقامة نظام استبدادي، يجب أن يعتمد الطغاة على القوة والتطرف العنيف، ولكن بمجرد استمرار الاستبداد، فإنهم يتركون العنف لمن يحكم باسمهم، بينما يعانون هم أنفسهم من نوع من الخمول والخدر حيث لا تنتهي هذه الحالة إلا بفترات من اللذائذ غير قابلة للزوال تنتهي من الملذات الجسدية تعطله" (بوشه،1387: 252). وتجدر الإشارة إلى "أن الناس هي الضحية الأولى في الأنظمة الظالمة والمستبدة، إذ قد سيطر عليها الفقر والتردد والفساد والموت والقتل، كما تجدر الإشارة أن في مثل هذه الأنظمة يعد التعذيب والسجن والخنق والترحيل والاغتيال مسألة قانونية "(سنكري، 1377 :39).

لم يطرح البياتي موضوع الاضطهاد في شعره طرحاً غوغائياً وقشورياً، وإنما طرحه طرحاً واعياً وناضجاً ومعمّقاً، فظهر في شعره بوجوه ومعان مختلفة وعديدة، وبسبب تعدّد وجوهه ومعانيه وغنى التجربة الحياتية واتساعها لدي الشاعر، كانت التجربة الحياتية الغنية والواسعة المنهل الذي نهل البياتي منه موضوعاته الشعرية كافة بما فيها موضوع الاضطهاد.

والتجربة الحياتية، في تزويد أي شاعر بالموادّ التي تتشكل منها القصيدة، أمرٌ ضروري لابدّ منه، فلا يمكن أن تتمّ الكتابة الشعرية دون تجربة واسعة في قضايا الحياة والمجتمع، وإن تمّت فإنها تأتي فارغة من المضمون الذي يتصل بالإنسان ومشكلاته، وتأتي كتابة عبثية لا تؤدّي أي وظيفة نقدية أو ثورية.

وفي حديثنا عن الاضطهاد السياسي في شعر البياتي اخترنا الوقوف عند قصيدته (في المعركة)، وهي قصيدة يلحظ المتلقّي بسرعة أنّها تصوّر الاضطهاد السياسي الذي كان سائداً في العراق، وعاني منه البياتي ورفاقه معاناة شديدة، وتجرّعوا كأسه المرّة مراراً، فالقصيدة يشير مطلعها إلى الاضطهاد السياسي وقسوته إشارةً مباشرة من غير أي مواربة أو غموض، إذ يصوّر المطلع الدماء الزكية التي سفحها الحكام الطغاة؛ لأنّ أصحابها ينتمون إلى جبهة نضالية واحدة، تعمل لأجل نصرة الضعفاء والمظلومين واسترداد حقوقهم المسلوبة؛ لأنّ أصحابها رفاق درب واحد، ويعتنقون عقيدة سياسية واحدة.

وهذا المعنى نلحظه في قول الشاعر: "وكانت شعاراتنا كالسماء/ مخضّبة بدماء الرفاق/ وكنا نطالب باسم الصغار/ وباسم الحياة/ وباسم العراق/ نطالب بالأرض للكادحين/ وبالخبز والملح للجائعين" (المصدر نفسه، 1/ 254).

العمل النضالي الذي يقوم به البياتي ورفاقه وفق هذه الصورة هو عمل حياتي إنساني. ولكن منطلقاته منطلقات سياسية وعقائدية، ولهذا حقَّ عقابهم ووجب عند أهل السلطة، فهم يرفعون شعارات خطيرة تتجاوز العرف والمألوف السياسيين، ويعملون لتحقيق أهداف لم يجرؤ أحدٌ قبلهم على إعلانها والعمل في سبيلها، هم يطالبون بالأرض للكادحين، ويطالبون كذلك للجائعين بالخبز والملح اللذين هما مادّة الحياة وأساسها.

وهذا الطلب الحياتي والإنساني له عند شاعرنا ورفاقه منطلقه السياسي العقائدي، فالشيوعيون والاشتراكيون هم الذين عملوا لأجله في العراق وفي كل مكان من العالم، وكلمة (الرفاق) تدلّ في القصيدة على الجماعة الحزبية السياسية التي تعمل وفق نهج سياسي معروف ومحدّد، وهذا الإيمان العقائدي قد جعله البياتي ورفاقه حقيقة نضالية على أرض العراق، ولهذا عُذِّبوا واضطهدوا، وخضبِّت شعاراتهم بالدماء، إنّهم اضطهدوا بسبب فكرهم السياسي الذي يؤمنون به ويحثّهم حثّاً مستمراً على مجابهة الفكر السياسي الرجعي الاستبدادي الذي يؤمن به الحكام في العراق، فالمعركة الدائرة هي معركة سياسية بامتياز، هي بين فكرين سياسيين متناقضين تناقضاً تامّاً، وكلاهما يشكل جبهة ثابتة تسعى إلى أهداف محدّدة.

وفي العصر المعاصر، ركز الشعر العربي التزامه على قضايا مهمة في العالم العربي، مثل الحرية والتحرر من نير الاستعمار، "في هذا العصر تحول الشعراء إلى واقع أمتهم وهزوا المهملين، وبشعرهم قاموا بجلد الاستعمار الأجنبي، وكل من سار مع الاستعمار وسار على خطاه" (المحسن ويوسف، 2000 م: 123).

المعركة في القصيدة المذكورة هي بين الطغاة والأحرار المناضلين اليساريين الذين يريدون أن يعيش الكادحون والجائعون حياةً كريمة، الذين يريدون أن يتحرّر العراق من سلطة الجلاّد ومن سياسته الغاشمة، وقد صوّر لنا شاعرنا في القسم الثاني من قصيدة (في المعركة) السياسة الهمجية القمعية الديكتاتورية التي يمارسها الرجال السلطويون العراقيون ضدّ أبناء شعبهم الذين وحّدهم طريق النضال والعقيدة، إذ قال: "وكان رفاقي الصغار/- ورود الغد اليانعات/ وراء الجدار/ يموتون تحت سياط البغاة/ وفي الغرف الموحشات/ وقد أسدل القاتلون الستار/ على سخريات/ محاكم تفتيشهم، يا رفيق" (المصدر نفسه، 1/ 371-372).

هذا المقطع يظهر الهمجية السياسية التي اضطهدت البياتي ورفاقه أشدّ اضطهاد دون أن يقترفوا أي ذنب يستحقّ هذا العقاب، فذنبهم الوحيد أنّهم خالفوا السلطان الجائر السياسة والعقيدة، وأنّهم فتية ثوريون مناضلون، يرفضون الظلم والطغيان، وأن يعيش شعبهم حياة حقيرة مليئة بالآلام والأحزان، فذنبهم سياسي محضٌ، إذ اتخذوا التغيير والعمل الثوري النضالي في العراق نهجاً ثابتاً لهم لا محيد عنه، فهم طلاّب عزّة وكرامة وحرية، لهذا وجد أهل البياتي هذا كل الخطر على بقاء النظام، فلم يتلكأوا في اتخاذ القرارات القمعية الصّارمة ضدّهم، ولم يقصّروا في استخدام أقسى أساليب التعذيب.

ب)الاضطهاد الاجتماعي:

تبرر معظم الأنظمة الاستبدادية، من خلال أيديولوجية شمولية، الإكراه والقمع في المجامع العامة، وأكثر الأساليب السياسية القمعية شيوعا هي بث الخوف والرعب بين الناس، إن استمرار الخوف بين الناس عن غير قصد وإجبار إما يجبرهم على طاعة الحكومة أو اختيار ركن من العزلة والعيش في حياتهم الشخصية والخاصة، ولهذا السبب، "يصبح الأشخاص الذين أصبحوا معزولين وعاجزين بسبب الخوف، جبناء وخاضعين لسلطات الدولة"(بوشه، 1385:243).

إنّ ثمّة وجهاً من وجوه الاضطهاد نلحظه في شعر عبد الوهّاب البياتي، وهو الاضطهاد الاجتماعي الذي يطال الشريحة المسحوقة في المجتمع، شريحة الفقراء والعمّال والفلاّحين، فالمجتمع في كل بلاد الدنيا ليس طبقة واحدة، بل هو يتألّف من طبقات متنوّعة، ففي كل مجتمع الأثرياء والفقراء، والمرفّهون والكادحون، والملاك الإقطاعيون والفلاّحون، وهذا التنوّع في بنية المجتمع وتركيبته أدّى إلى وجود الاضطهاد الاجتماعي، وتغليب الأقوياء على الضعفاء، وإلى خلق إشكالية اجتماعية معقّدة اعترضت مسيرة الأكثرية الساحقة من أبناء الشعب الواحد في البلد الواحد، وهذه الإشكالية الاجتماعية رآها البياتي رؤية واضحة؛ لأنّه عاشها وعانى منها معاناة خاصّة، ما جعله يفهمها جيداً، ويحيط بكل جوانبها، ويتقصّى أسبابها، ويطرحها في شعره طرحاً يناسب أهمّيتها، مقترحاً الثورة الجماهيرية الشاملة حلاً لها، ولا توجد غرابة في أن يفهم عبد الوهّاب البياتي إشكالية الاضطهاد الاجتماعي هذا الفهم النّاضج

الشامل، وهو الذي ينتمي في المجتمع إلي شريحة الفقراء والمضطهدين، فقد ذاق عذابهم وألمهم، وعاش فقرهم وبؤسهم، فتطلّع بشغف إلى تحقيق حلمهم الجميل في العدالة الاجتماعية والمساواة الطبقية.

إنّ البياتي الذي عاش هذه الإشكالية الاجتماعية بكل أبعادها ومعانيها، وجد لزاماً عليه أن يطرحها في شعره قضية مهمّة لا تحتمل إغفالها أو الاستهزاء بها؛ لأنّ عدم الاهتمام بها يؤدّي إلى زيادة عدد الفقراء والبائسين في المجتمع، وإلى تقوية شوكة الذين يمارسون سياسة الاضطهاد الاجتماعي. من هذا المنطلق كان شاعرنا البياتي يومئ إلى المضطهدين، من عمّال وفلاّحين، وفقراء ومسحوقين، إيماءً شعرياً أنّ عليهم المبادرة السريعة إلى العمل الثوري الذي يحقّق لهم أمانيهم العادلة التي طالما انتظروا تحقيقها قروناً وحقباً طويلة من الدهر، فلم يجدوا بعد مرارة الانتظار سوى الخيبة والفشل، فأمانيهم حتّى تتحقّق تحتاج إلى جهد حثيث، وتضحيات جسام مستمرّة، وهذا هو النهج التغييري الذي وضعه البياتي أمام المضطهدين في المجتمع، ليستردّوا حقوقهم المسلوبة، إنّه نهج الثورة والنضال والتضحية، وهذا النهج يتجلى لنا في قصيدته (يوميات العشّاق الفقراء) التي يشير عنوانها إلى ديمومة العذاب والشقاء، فأيام الفقراء كلها متشابهة، لا يحدث فيها جديد، ولكنهم لا يستسلمون في معركة النضال، ولا ييأسون من التغيير، فلنسمع البياتي معبّراً عن هذه الروح الثورية، إذ يقول: "نغتصب العالم بالشعر وبالثورة والوعيد/ والموت والرحيل/ نسقط أعياءً على أرصفة التاريخ/ نذبل في مناجم الفحم وفي أقبية الجليد/ نموت واقفين" (المصدر نفسه، 1/ 248).

هذا المقطع الشعري يعبّر عن الروح الثورية والنضالية التي يمتاز بها الفقراء، ويعبّر عن الاضطهاد الشديد الذي يلقونه في المجتمع في آنٍ معاً، فهم مضطهدون، ومعذّبون، ومحرومون السعادة والراحة في الحياة، ولكنهم أناسٌ أباةٌ يرفضون الذلّ والعار والرضوخ لمشيئة الطغاة المتجبّرين. فهم على رغم تعبهم، عمّالاً وكادحين، في مناجم الفحم وفي أقبية الجليد، لا يدعون القنوط يغلبهم أو حتّى يدنو منهم، إنّهم يظلّون متجالدين أمام كل التحدّيات، ولا يقبلون أن يرى أعداؤهم في عيونهم معنى الانكسار، يعيشون ويموتون كالأشجار واقفين رغم ذبولهم في ميدان العمل، ميدان البذل والتضحية في سبيل رغيف الخبز والحياة الطاهرة الشريفة، يموتون واقفين؛ لأنّهم يرفضون الانكسار حتّى أمام الموت، فهم قومٌ فقراء مالاً، ولكنهم أغنياء كرامة وعزّةً وعنفواناً، فكلما قسا الدهر عليهم بمصائبه وأحداثه ازدادوا صلابةً ورسوخاً في مواقع النضال والتحدّي، فلقد علمتهم الحياة أنّ الغايات العظيمة لا يمكن الوصول إليها إلاّ بمغالبة الدهر، والانتصار على المحن، وأنّ المساومة على بعض الحقوق تؤدّي في النهاية إلى فقدانها كاملة؛ لهذا اتخذوا الرفض في الحياة عقيدةً ثابتةً ومنهاجاً، وهم يعلمون مسبقاً أنّ هذه العقيدة وهذا المنهاج سيجلبان لهم العذاب والمزيد من الاضطهاد، يعلمون سابقاً أنّ مسيرهم على الشوك سيسبّب لهم الجراح والألم، ولكنهم آثروا المسير عليه في وجود الكرامة والشرف، على الانكفاء والقعود في وجود الذلّ والمعانة.

النتائج:

تعد الأشعار الاجتماعية والسياسية من أهم التيارات الأدبية الحديثة لا سيما في العراق تطوّرت في نهاية تكاثر ظلم الدول الاستعمارية الأجنبية هادفة مقاومة الاستعمار وقلع الجذور وعوامل الاضطرابات الاجتماعية، وكانت هذه الأشعار مرآة تتجلّى فيها الآلام والكفاحات والمقاومات والحركية وتتحدّث عن المشاكل الاجتماعية للأقشار المختلفة في المجتمعات البشرية، ويعد الشعراء الكثيرون خاصة عبدالوهاب البياتي منادين حقيقين لها، وقد رفع البياتي لواء الحرية والمقاومة والدفاع عن الفقراء والمحرومين في المجتمع وعمل كثيرا في سبيل حرية المرء من سنن وقيود المجتمع، وأكثر شعر البياتي يعد شعرا إصلاحيا اجتماعيا، وقد طرق الشعر الاجتماعي من زاوية واحدة إذ نظر إلى المجتمع والفقر والتخلّف والجمود، وغير ذلك من الموضوعات الاجتماعية، وفي الواقع دخل البياتي عالم السياسية لكن مع هذا لم يتخل عن مبادئه الاجتماعية التي كان يؤمن بها ولم يتراجع عن مواقفه الاجتماعية.

إن نظرة البياتي الاجتماعية تدور حول إصلاح قضايا المجتمع، الإنسان والحرية والمساواة وهي نظرة مثالية أخلاقية، كما يرى البياتي أن حكام العراق استخدموا المنابع الطبيعية لهذا البلد بما يتماشى مع أهدافهم وأدوا بالناس إلى الفقر والجوع، وفي رأيه جهل هؤلاء الحكام وقمعهم من جهة وسلطتهم من ناحية أخرى، فقد داسوا على الإنسانية ووقعوا بالناس في المعاناة.

ويرى البياتي أن السبيل الوحيد لإنقاذ الوطن وتحقيق العدل والمساواة هو حكم القانون وإنفاق الحياة والممتلكات من أجل إقامة الحرية الكاملة، ويرى أن التحرر من براثن القهر والطغيان أمر بديهي ومسلم للأمة العربية وحق غير قابل للتصرف، ويرى أن بإمكان الشعب العراقي أن يتعلم دروساً مفيدة من الحرب، وفي ضوئها سيحقق التقدم والحرية للوطن.

ويرى البياتي أن جذور استمرار الحكومات الاستبدادية تعود إلى الانقسام وانعدام الوحدة الوطنية، كما يعتقد أن الدكتاتوريين والزعماء المستبدين استمر حكمهم الاستبدادي عند غياب الوحدة الشعبية وعدم وجود إرادة محاربة الظلم، وهو يرى أن الوحدة بين الشعب العراقي أدت إلى تجنب العداء لبعضهم البعض وأن ينبذوا التفرقة وينشرون الصداقة والإخوة فيما بينهم.

يعتقد البياتي أن الاستعمار يحاول خنق صوت المناضلين بوسائل مختلفة، ومنها الحبس وإبقاء الشعب في حالة إهمال، ورأى أن على المسلمين وخاصة العرب توخي اليقظة ومنع العدو من تنفيذ مخططاته الشريرة، كما يشير إلى أن المستعمرين لا يستطيعون أن يحكموا فترات طويلة بسجنهم وتعذيبهم، وأن يواصلوا نفوذهم في البلدان الإسلامية والعربية؛ لأن الشعوب العربية والإسلامية شعوب حرة لن تسمح للعدو الأجنبي أن يلطخ كرامتها وشرفها.

وكان للبياتي رؤيته الشعرية التي تتناسب مع حياته، ومجتمعه، وفكره العقائدي، وثقافته، فجاءت رؤيةً ناضجة علي المستوى المضموني والفني، فهي ليست رؤية سطحية وهامشية، بل توغّلت في عمق الأحداث التاريخية، وجوهر القضايا الجديدة، وقدّمت للمتلقّي العبر، ووضعته علي طريق الخلاص بلغة جديدة تنتمي إلى العصر، وتعبّر بقوّة وحيوية عن قضاياه كافة، وجاء شعر البياتي شعراً ملتزماً يحمل رؤية إصلاحية، ويخلو من الانفعالات الوجدانية والألم والبكاء، أو ما يمتّ بصلة إلى الرومنسية، فشاعرنا منذ نشأته كان على صلة مباشرة بالقضايا الاجتماعية، والسياسية، والجماهيرية، وبالتيارات الفكرية العقائدية، ما جعله يرى الحياة السّيئة المتردّية التي يحياها الكادحون والفقراء، ويحمل قضيتهم، ويناضل من أجل أن يعيد إليهم حقوقهم المستلبة.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

البارث، كارلوس (1998)، (عبد الوهّاب البياتي أمل الفقراء)، فتوحات البياتي، ط 1، دمشق: دار الجندي.

البخارى، أبو عبد اللّه محمد بن إسماعيل (1998م): صحيح البخارى، ج3، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.

البشري، عبد العزيز (1959): رسالة الأدب، المختار، ج1، دار المعارف بمصر.

بوشه، راجر ، نرية هاي جباريت ، الترجمة: فريدون محلى، العدد1 ، طهران ،انتشارات مروارید ، 1385ش.

البياتي، عبدالوهاب (1971)، تجربتي الشعرية، دار العودة بيروت.

.....(1972)، الديوان، دار العودة، بيروت.

..... (1985)، سيرة ذاتية .. سارق النار، ط 2، دار الشروق، بيروت.

..... (1990)، الديوان، ط4، بيروت: دار العودة.

..... (1994)،- سيرة ذاتية- القيثارة والذاكرة، ط1 و4، منشورات البزّاز.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (1990)، الحيوان، تحقيق: يحيى الشامي، ج3، ط2، بيروت: دار الهلال.

جمال الدين، ناديا (1988)، (بين البياتي و أكوتافيوباث)، مجلّة الدستور.

حيدة، عبد الحميد (1988)، في قضايا النقد الأدبي الحديث، ط1، دار الشمال.

الحرز، محمّد (2005)، شعرية الكتابة والجسد، دراسات حول الوعي الشعرية والنقدىّ، ط1، مؤسسة الانتشار العربي.

الخال، يوسف (1972)، الحداثة في الشعر، دار الطليعة.

زيعور، علي (د.تا)، مذاهب علم النفس، بيروت: دار الأندلس.

سنكري، محمدرضا (1377ش) ، أدب المقاومة ، مجله الشعر، العدد 39 ، صص 45 -53.

الشامي، أحمد بن محمد (1990م)، قصة الادب في اليمن، دمشق: مكتبة الأسد.

صالح، بشرى موسى (2001)، نظرية التلقي، أصول و تطبيقات، ط1، المركز الثقافي العربي.

صالح، وليد غائب (1992)، عبد الوهّاب البياتي من باب الشيخ إلى قرطبة،ط1، دار الحداثة.

صبحي، محيي الدين (1972): دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

.....(1973)، مقابلة أجراها مع البياتي، مجلّة المعرفة السورية، العدد: 137، ابن فارس (2001م) : معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى.

ابن مسكويه، أبو علي أحمد (د.ت): تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، التحقيق: ابن الخطيب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ.

..... (1973) ، مقابلة مع عبدالوهاب البياتي .

عصفور، جابر (1999)، توديع البياتي، من كتاب (ينابيع البياتي)،دمشق: منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1999.

عنايت، حميد (1370ش)، جولة في الفكر السياسي العربي، تهران، أمير كبير.

فضل، صلاح (1992)، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت: عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

فيشر، إرنست (د.تا)، ضرورة الفن، تعريب د. ميشال سليمان، بيروت: دار الحقيقة.

المحسن، فاطمة، وسعدي يوسف (2000م)، النبرة الخافقة في الشعر العربي الحديث، دمشق: دار الهدى

مظلوم، محمّد(1998)، عبد الوهاب البياتي (كتاب المختارات)، ط1، دار الكنوز الأدبية.

يونغ، كارل (1987)، الإنسان و رموزه وسيكولوجيا العقل الباطني، تعريب عبد الكريم ناصيف، عمان.

فضائل العقل إبستمولوجيا الفضيلة في سياق التَّنمية الثقافية

Virtues of the mind Virtue epistemology in the context of cultural development

صلاح إسماعيل
جامعة القاهرة

ملخص

إحدى السمات الرائعة لجنسنا هي ميله إلى البحث، ولكن البحث يمكن أن يسير بشكل جيد أو بشكل سيء.، وربما يرد الخطأ إلى خلل في قدرة إدراكية مثل ضعف الذاكرة، ومع ذلك، غالبًا ما يصدر نجاح أو إخفاق البحث عن مصدر شخصي، إذ يتطلب ممارسة سمات شخصية عقلية مثل الملاحظة اليقظة، أو التحليل الدقيق والشامل، أو التفسير والتقييم المنصفين.

عندما نفكر في الشخصية أو الفضائل، فإننا نفكر في شيء أخلاقي على نحو مميز، ولكن السمة الأخلاقية لا تستنفد السمة الشخصية؛ ذلك أن للسمة الشخصية بعدًا معرفيًا أو عقليًا: يمكن أيضًا الاعتماد على الشخص الفاضل للاهتمام بغايات مثل الحقيقة والمعرفة والدليل والعقلانية والفهم، وبسبب هذا الاهتمام ستظهر سمات معرفية أخرى مثل حب الاستطلاع، والانتباه، والحرص، والشمولية في البحث، والإنصاف، والانفتاح العقلي، والأناة الفكرية، والصدق، والشجاعة، والتواضع.

وعندما تزودنا إبستمولوجيا الفضيلة بأوصاف الفضائل المعرفية، فإنها تهدف إلى تشجيع كائن عقلي جيد، وتدعم الإصلاح الثقافي والازدهار الفكري. ويكشف العمل الحالي في إبستمولوجيا الفضيلة التطبيقية عن مشروعات أخذت طريقها إلى التنفيذ في التعليم. تهدف أكاديمية الفضائل العقلية (IVA)، مثلا، إلى تعزيز الفضائل العقلية. زد على ذلك أن أنصار إبستمولوجيا الفضيلة يهتمون أيضًا بتطبيق وجهات نظرهم على مسائل تتعلق باتخاذ القرارات البيئية، والرعاية الصحية والطب. وتهدف هذه المقالة إلى تحديد موضوع إبستمولوجيا الفضيلة، وبيان نشأتها واتجاهاتها، وتهدف أيضا إلى تفسير طبيعة الفضائل العقلية، وبنيتها، ودورها في استدامة التَّنمية الثقافية.

Abstract

One of the remarkable features of our species is its tendency to inquiry. But inquiry can go well or badly. The error may be due to a defective cognitive faculty such as poor memory. Often, however, the success or failure of an inquiry has a personal source. It requires an exercise of intellectual character traits, attentive observation, thoughtful or careful and thorough analysis, or fair-minded interpretation and assessment.

When we think of character or virtues, we have something distinctively moral in mind. But personal character is not exhausted by moral character. It also has an epistemic or intellectual dimension: a virtuous person can also be counted on to care about ends like truth, knowledge, evidence, rationality, and understanding; and out of this concern will emerge other epistemic traits like inquisitiveness, attentiveness, carefulness, and thoroughness in inquiry, fair-mindedness, open-mindedness, and intellectual patience, honesty, courage, humility.

When virtue epistemology gives us descriptions of epistemic virtues, it aims to encourage a good mental being and supports cultural reform and intellectual flourishing. The current work in applied virtue epistemology reveals projects that are on their way to implementation in education. Intellectual Virtues Academy (IVA), for example, aims to promote intellectual virtues. Moreover, virtue epistemologists also apply their views to issues related to environmental decision-making, health care, and medicine. This paper aims to identify the subject of virtue epistemology, and to indicate its origin and trends, and also aims to explain the nature of intellectual virtues, their structure, and their role in the sustainability of cultural development.

1- مقدمة

إحدى السمات الرائعة للجنس البشري هي ميله الفطري الدائم إلى البحث وطلب المعرفة، وقديما قال أرسطو الإنسان بطبعه مشوق للمعرفة، وعني الفلاسفة بدراسة المعرفة عناية كبيرة تجلت فيما يعرف بنظرية المعرفة (الإبستمولوجيا)، وهي بحث في طبيعة المعرفة، وإمكانياتها، ومصادرها، وأنواعها، وحدودها، وقيمتها.

والمعرفة على وجه التقريب علاقة إدراكية تقوم بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، ولا تقوم هذه العلاقة على الإحساس أو الانفعال فحسب، وإنما لا بد من أن تفكر الذات في الموضوع، وعندما تفكر الذات في موضوع، فهي إما أن تصدق به (وهذا هو الاعتقاد)، أو تنكره (وهذا هو رفض الاعتقاد)، أو تتوقف عن الحكم (وهذا هو الإمساك عن الاعتقاد)، وعلى هذا النحو يكون الاعتقاد تفكيرا مع تصديق في قضية معينة، فالمعرفة اعتقاد وليست رأياً أو ظناً، ولكن الاعتقاد شرط ضروري للمعرفة وليس كافياً؛ لأن المرء قد يتمسك حيناً من الوقت باعتقادات كاذبة لا تمثل معرفة، ثم يأتي الشرط الثاني ليقرر أن المعرفة اعتقاد صادق، ومع ذلك فالصدق أيضا شرط ضروري للمعرفة وليس كافياً؛ لأن بعض الاعتقادات الصادقة يؤيدها الحظ ولا تؤيدها الأدلة أو قدرة العارف، ثم يأتي الشرط الثالث وهو التسويغ الذي يعني امتلاك القدرة أو الأسباب الجيدة التي تسوغ الاعتقاد وتجعله مقبولاً.

وهذه الشروط الثلاثة ضرورية على انفراد وكافية بالإشتراك معاً، وعندما تشترك معاً نحصل على التحليل الثلاثي أو التعريف المعياري القائل إن المعرفة اعتقاد صادق مسوغ، ونعبر عن ذلك بالصيغة: يعرف شخص ما (س) قضية معينة (ق) إذا:

1) اعتقد س أن ق.
2) كانت ق صادقة.
3) كان س مسوغا في الاعتقاد أن ق.

وأبرز الفلاسفة الذين دافعوا عن هذا التعريف في السبعينيات من القرن العشرين هو الأمريكي رودريك تشيزم في كتاب نظرية المعرفة الذي ظهر في ثلاث طبعات مختلفة (Chisholm, 1989) وجاء إدموند جيتير في عام 1963 ليزعم عدم كفاية هذا التحليل الثلاثي للمعرفة، وكان ذلك في مقالة من ثلاث صفحات بعنوان "هل الاعتقاد الصادق المسوغ معرفة؟"

حاول جيتير أن يثبت من خلال مثالين مضادين أن هذه الصيغة غير كافية؛ لأن الشروط الثلاثة المتضمنة فيها لا تؤلف شرطا "كافيا" لصدق القضية القائلة إن (س) يعرف أن (ق)، ويقيم جيتير المثالين المضادين على افتراضين حول التسويغ، الأول هو أن المرء يمكن أن يكون مسوغا فى الاعتقاد بقضية كاذبة، والافتراض الثانى هو أن التسويغ يتم الاحتفاظ به فى استدلال صحيح، بمعنى أنه إذا كان مسوغا فى الاعتقاد بقضية، فإنه يكون مسوغا فى الاعتقاد مهما يكن الشيء الذى يستنبطه من القضية تبعا لقوانين المنطق.

وحسبنا الإشارة إلى المثال الأول: هب أن محمدا ومصطفى تقدما بطلب لشغل وظيفة معينة، ولنفترض أن محمدا يملك دليلا قويا على القضية العطفية التالية:

(1) مصطفى هو الرجل الذى سوف يحصل على الوظيفة، مصطفى يملك فى محفظته عشر قطع من العملة المعدنية.

ويجوز أن يكون دليل محمد على (1) أن رئيس الشركة، وهو الشخص الموثوق به تمام الثقة، أكد له أن مصطفى سوف يقع عليه الاختيار فى نهاية الأمر، وأن محمدا قد عد قطع العملة المعدنية فى محفظة مصطفى منذ عشر دقائق. والقضية (1) تستلزم القضية:

(2) الرجل الذى سوف يحصل على الوظيفة لديه عشر قطع من العملة المعدنية فى محفظته.

ودعنا نفترض أن محمدا يدرك أن (1) تستلزم (2)، ويقبل (2) كونها نتيجة لهذا اللزوم أو قل يقبلها على أساس (1) التى يملك دليلا قويا عليها، وفى هذه الحالة يكون محمد مسوغا فى الاعتقاد بأن (2) صادقة، ومع ذلك قد يتصادف أن يحصل محمد نفسه على الوظيفة، وأن يملك بالمصادفة، وهو أمر مجهول بالنسبة له، عشر قطع معدنية فى محفظته، فالقضية (2) إذن صادقة، على الرغم من أن

القضية (1) – التى استدل محمد منها على (2) – كاذبة. (Gettier, 1968: 145) وفى هذا المثال تتحقق الشروط الثلاثة الواجب توفرها فى تحليل المعرفة وهى:

(أ) القضية (2) صادقة.

(ب) يعتقد محمد أن القضية (2) صادقة.

(جـ) محمد مسوغ فى الاعتقاد أن القضية (2) صادقة.

ومع ذلك فإن محمدا لا يعرف القضية (2)؛ لأن (2) صادقة بمقتضى عدد قطع العملة المعدنية فى محفظة (محمد)، على حين أن محمدا لا يعرف كم عدد قطع العملة المعدنية فى محفظته، وأسس اعتقاده بـ (2) على عدد قطع العملية المعدنية فى محفظة مصطفى، الذى يعتقد بصورة خاطئة أنه الرجل الذى سوف يحصل على الوظيفة، فتحليل المعرفة القائل إنها اعتقاد صادق مسوغ هو تحليل ناقص من وجهة نظر جيتير، وقد وجد الفلاسفة في حل مشكلة جيتير (إسماعيل، 2020: 50-62)، وكان ذلك إيذاناً بتحول كبير في الإبستمولوجيا المعاصرة، نشأت عنه نتائج كثيرة لعل أبرزها ظهور فرع جديد هو إبستمولوجيا الفضيلة.

2- إبستمولوجيا الفضيلة

2-1 النشأة والدلالة

ظهرت فكرة الفضيلة العقلية لأول مرة في المشهد الإبستمولوجي المعاصر في مقال سوسا "الطوافة والهرم" 1980. وفي ذلك الوقت كانت الإبستمولوجيا تزخر بحلول مقترحة لمشكلة جيتير، واعتراضات حديثة على النزعة الداخلية والنزعة الخارجية معاً، واختلافات بين أنصار نظرية الأسس وأنصار نظرية الاتساق، وخلص سوسا في هذا المقال إلى نتيجة مؤداها أن فكرة الفضيلة العقلية intellectual virtueربما تساعدنا في حل النزاع بين نزعة الأسس ونزعة الاتساق، وبعد أن نشر سوسا مقاله، تحول بعض فلاسفة المعرفة إلى مفاهيم الفضيلة العقلية لمعالجة مجموعة واسعة من مشكلات المعرفة، وتستطيع أن تقول إن إبستمولوجيا الفضيلة جاءت في الأصل لتضع بعض التحسينات على نزعة الثقة، ولتكون طريقة لحل المشكلات التي كانت تزعج نظريات التسويغ القائمة على الاعتقاد.

ويستمد أنصار إبستمولوجيا الفضيلة المعاصرة إلهامهم من فلاسفة كبار مثل أفلاطون وأرسطو والأكويني وديكارت وبيرس، وهناك إشارات إليها في كتابات هيوم وريد ورسل وسيلرز، وتقدم الفلسفة الإسلامية أصولا لإبستمولوجيا الفضيلة من قبيل مناقشات القيمة المعرفية للتخيل عند الكندي والفارابي، وإبستمولوجيا اجتماعية للشهادة الموثوقة وغير الموثوقة عند ابن سينا (Turri, et al.,

(2017و"تهذيب الأخلاق" عند ابن مسكويه، و"طب النفوس" عند الرازي. وتسري في مؤلفات الغزالي، مثل "معيار العلم" و"ميزان العمل"، سريان الزيت في الزيتونة.

إبستمولوجيا الفضيلة هي محاولة لاستكشاف الفضائل العقلية والبحث فى الطريقة التى يمكن بها أن تشكل معالجتنا لمسائل المعرفة، وإن شئت فقل إنها الإبستمولوجيا التي تفهم المعرفة فى حدود الملكات الإدراكية والفضائل العقلية، وجاءت الصور المبكرة منها، كما هو الحال فى أعمال سوسا وجون جريكو، بمثابة عمليات تهذيب لنزعة الثقة، أما الصور المتأخرة من إبستمولوجيا الفضيلة فابتعدت عن نموذج الثقة، وأكدت على العنصر الباعثي والقدرة التأملية من جانب الفاعل المعرفي، والمعرفة في هذه الحالة لا يمكن أن تأتي فحسب بوصفها نتيجة لملكة إدراكية موثوقة، وإنما تتطلب أيضا نوعاً من القدرات التأملية المتضمنة في ممارسة الفضيلة العقلية، وتميل هذه الصور المتأخرة من إبستمولوجيا الفضيلة إلى النزعة الداخلية في المعرفة التي تؤكد على مسؤولية الفاعل عن اعتقاداته؛ وذلك على خلاف الصور المبكرة التي كانت تشترك مع نزعة الثقة في الالتزام بالنزعة الخارجية. وأبرز أنصار الصور المتأخرة الفيلسوفة الأمريكية ليندا زاجزيبسكي التي تصور موقفها على أنه أرسطية جديدة، والهدف الذي تطمح إلى تحقيقه هو دمج إبستمولوجيا الفضيلة مع أخلاق الفضيلة في رؤية واحدة، رؤية موحدة للحياة الخيرة التي تجمع الجوانب الأخلاقية والمعرفية معاً، وعندما نفعل ذلك، نستطيع أن نفسر قيمة المعرفة.

وأخص ما تمتاز به إبستمولوجيا الفضيلة، مع تنوع أشكالها واختلاف موضوعاتها، هو تركيزها على التقييم المعرفي للناس وقدراتهم العقلية وسماتهم الشخصية، وتؤكد أن الفاعلين (الناس) هم الموضوعات الرئيسية للتقييم المعرفي، وأن القيم المعرفية (العقلية)، التي هي تقييمات للفاعلين، هي المفاهيم والخصائص الأساسية في المعرفة، وبعبارة أخرى، تنظر إبستمولوجيا الفضيلة إلى الفضائل المعرفية، التي هي أنواع من تقييم الفاعل، بوصفها أساسية من الناحية النظرية أكثر من التسويغ والمعرفة، التي هي أنواع من تقييم الاعتقاد.

عندما نتأمل النظريات المعرفية القائمة على الاعتقاد في النصف الثاني من القرن العشرين نجد أنها نادرا ما كانت تشير إلى الفضائل العقلية، وإذا أشارت إليها، فإنها تعرفها في حدود المعرفة والتسويغ، وفي المقابل اقترح سوسا وزاجزيبسكي طريقة بديلة، إبستمولوجيا الفضيلة، تدعونا إلى النظر إلى الفضائل والرذائل العقلية بوصفها المفاهيم والخصائص الأساسية في نظريتنا المعرفية، وبهذه الطريقة، تكون البنية النظرية لإبستمولوجيا الفضيلة مناظرة للبنية النظرية لأخلاق الفضيلة virtue ethics.

وتدعونا إبستمولوجيا الفضيلة إلى البداية بتقييمات الفاعلين بوصفهم فاضلين أو فاسدين عقلياً، وتعريف المعرفة، وتقييمات الاعتقاد الأخرى، في حدود الفضائل العقلية. وهي "تعكس اتجاه التحليل" على حد تعبير جريكو، وعندما تفعل هكذا، فإنها تأمل في اجتناب الخلافات المتعلقة بالمعرفة والتسويغ أو حلها (Battaly, 2019c: 269).

والسؤال عما إذا كانت إبستمولوجيا الفضيلة قد نجحت في اجتناب أي خلاف من هذه الخلافات أو حله هو سؤال لا يزال مطروحا، وتضع إبستمولوجيا الفضيلة بالفعل إسهامات مهمة لتحليل المعرفة، ولتوسيعها على وجه الخصوص أولاً، عندما تدعونا إلى أن نبدأ من مكان آخر – مع الفضيلة العقلية – ونعرف المعرفة في حدود فضيلة عقلية، بدلا من العكس، تكون إبستمولوجيا الفضيلة قد نجحت في إلقاء الضوء على المعرفة الفعالة active، وجرى التفكير في أن المعرفة الفعالة تعبر عن فاعليتنا، وهي معرفة أهملتها النظريات المعرفية القائمة على الاعتقاد في النصف الثاني من القرن العشرين، وأكدت بدلا منها على المعرفة غير الفعالة passive التي نشترك فيها مع الحيوانات غير البشرية والأطفال، وعلى وجه التقريب يعتقد بأنها تظهر قدرتنا على التأمل بفاعلية على مستوياتنا المعرفية واستعمال هذه التأملات لإرشاد الأفعال المعرفية التي نؤديها في البحوث، ثانياً، دعتنا جماعة من أنصار إبستمولوجيا الفضيلة إلى إعادة تقييم أهمية تحديد الشروط الضرورية والكافية للمعرفة، واقترح هؤلاء أن هذه الشروط، برغم التأكيد عليها من قبل الإبستمولوجيا القائمة على الاعتقاد، ليست اللعبة التحليلية الوحيدة، وربما لا تكون حتى الأكثر أهمية، واعتقد هؤلاء أنه حتى إذا تبين أن الفضائل العقلية غير ضرورية للمعرفة، فلا تزال توجد علاقات محتملة بين الفضائل والمعرفة التي يمكن تطبيقها في أوضاع تعليمية (Battaly, 2019c: 270).

2-2 الفضيلة العقلية

هناك مجموعة من الأسئلة التي ترسم خريطة البحث في إبستمولوجيا الفضيلة، ويطرحها الفلاسفة والباحثون في هذا المجال على أنفسهم ويطرحها بعضهم على بعض، مع ملاحظة أنهم يستخدمون أحيانا تعبير الفضيلة المعرفية مكان الفضيلة العقلية، فهل الفضائل العقلية تنتج المعرفة والفهم؟ وهل الفضائل العقلية تتطلب دافعاً للصدق؟، وهل الفضائل العقلية نوع من المهارة؟

قدمت هيذر باتالي قائمة مفيدة من الأسئلة لارشاد البحث في طبيعة الفضيلة العقلية تتمثل في خمسة أسئلة أساسية: الأول، هل الفضائل طبيعية أم مكتسبة؟ الثاني، هل امتلاك الفضيلة يتطلب من الفاعل أن يمتلك دوافع مكتسبة فاضلة عقلياً أو استعدادات لإنجاز الأفعال الفاضلة عقلياً؟ الثالث، هل الفضائل متميزة عن المهارات skills؟ الرابع، هل الفضائل موثوقة؟ والخامس، ما الذي يجعل الفضائل قيّمة؟ وهل هي قيّمة أداتياً أم تكوينياً أم جوهرياً؟ (Battaly, 2008: 645).

تحدث أفلاطون وأرسطو كثيرا عن الفضيلة، واهتم أفلاطون فى الجمهورية بالعدالة وبين السبب في أنها مهمة للأفراد والمجتمعات، ولاحظ أن العدالة نوع من الفضيلة، والفضيلة لديه نوع من الصحة والحالة الرائعة وصلاح النفس، على حين أن الرذيلة مرض وحالة مخزية وضعف.

وما دام الإنسان يجمع بين الشهوة والعقل، يمكن تقسيم الفضائل إلى نوعين: فضائل خلقية وأخرى عقلية، وتأتى الأولى عن طريق التربية، وتنشأ الثانية عن طريق التعلم، والفضيلة عند أرسطو وسط بين طرفين كلاهما رذيلة؛ فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، والفضيلة تعني الاعتدال، ومن هنا كانت فكرة الوسط الذهبي الذي جعل الفضيلة وسطاً بين رذيلتين إحداهما إفراط والأخرى تفريط، وهكذا فهم أفلاطون وأرسطو الفضيلة بوصفها خلقاً أو سمة لشخص تعزز الصحة والصلاح والامتياز، وحاولا إثبات أن الإنسان يكتسب الفضائل عن طريق التربية الملائمة، والممارسة والعادات الحسنة، وعلى العكس، نجد أن الرذائل مهلكة للإنسان.

والفضيلة العقلية تدل على قدرة وسمة إدراكية تسمح للمرء أن يفكر جيداً وتجعله في وضع أفضل للوصول إلى الصدق، وبعبارة بير "الفضائل العقلية صفات شخصية، في ظل ظروف معينة وفيما يتعلق بقضايا معينة، تكون وسيلة موثوقة لبلوغ الصدق واجتناب الخطأ" (Baehr, 2011: 52; Goldman,1992: 157; Greco, 2002: 287) وعند أرسطو تتضمن الفضائل العقلية الحرفة أو الفن وهي قدرة الشخص على الانتاج؛ والعلم وهو قدرة على استنباط الصدق من أشياء ضرورية؛ والتعقل وهو قدرة على الاختيار بعقلانية حول الخير والشر؛ والحكمة وهي معرفة كيفية استعمال المعرفة استعمالاً ملائماً؛ والفهم وهو القدرة على إدراك الطبيعة الأساسية للواقع (إسماعيل، 2020: 181-182).

وترتبط الفضائل العقلية ارتباطاً وثيقاً بالفضائل الخلقية، وتستطيع أن تدرك التماثل بينهما في سهولة ويسر، فالفضائل العقلية، شأنها في ذلك شأن الخلقية، تنشأ عن طريق العناية والتعهد من جانب المرء طوال الحياة، وتتطور الفضائل الخلقية والعقلية كأحسن ما يكون التطور داخل الجماعة وفي سياق المجتمع، ومن بين الفضائل العقلية نجد الفطنة، والتعقل، والإخلاص، والاجتهاد، والتواضع، وسماحة النفس، والاستقلال، وحب الاستطلاع، والانتباه، والإنصاف، والانفتاح العقلي، والعناية الفكرية، والمثابرة، والحذر، وهَلُمَّ جَرًّا.

3-2 اتجاهان في إبستمولوجيا الفضيلة: نزعة الثقة ونزعة المسؤولية

طور أصحاب إبستمولوجيا الفضيلة تحليلين مختلفين للفضيلة العقلية، نظر التحليل الأول إلى الفضيلة العقلية بوصفها خاصية أو ملكة لشخص مستقرة وموثوقة أو موصلة إلى الصدق، وعرف هذا التحليل باسم نزعة ثقة الفضيلة virtue reliabilism.

ومن أبرز أنصار نزعة الثقة إرنست سوسا، وألفين جولدمان، وجون جريكو، وتأتي وجهة نظرهم في إطار نظريات المعرفة الخارجية مثل نزعة ثقة العملية process reliabilism البسيطة، ونزعة ثقة

العملية هي وجهة النظر القائلة إن المعرفة أو التسويغ يجب تعريفه في حدود عملية موثوقة لتشكيل الاعتقاد.

والمعرفة وفقا لنزعة ثقة الفضيلة هي اعتقاد صادق ناتج عن تميز عقلي (أو فضيلة)، حيث يُفهم التميز العقلي في حدود استعدادات معرفية موثوقة وموجهة نحو الصدق، وبقدر ما تكون الاستعدات المعرفية ناجحة نجاحا موثوقا، يمكن التفكير فيها بوصفها قدرات معرفية، وعلى هذا النحو، فإن الاعتقاد بالصدق من القدرة يمكن أن يتعارض مع الاعتقاد بالصدق عن طريق الحظ أو بالصدفة، وإن شئت أن تضع ذلك بعبارة أخرى، فقل إن الفاعل س يعرف ما إذا كانت ق فقط إذا كان س يؤمن بالصدق المتعلق بـ ق لأن س يعتقد من فضيلة عقلية (أو تميز، أو قدرة). (Greco, and Reibsamen 2018: 726)

ونظر التحليل الثاني إلى الفضيلة العقلية بوصفها سمة شخصية عقلية جيدة تتطلب دافعا للصدق، ويكون الفاعل مسؤولاً عنها، وعرف هذا التحليل باسم نزعة مسؤولية الفضيلة virtue responsibilism.

ومن أبرز أنصار نزعة المسؤولية لورين كود، وجيمس مونتماركيه، وليندا زاجزيبسكي، وجوناثان كفانفيج، وجايسون بير، وجاي أكستيل. وتأتي وجهة نظرهم منسجمة مع النزعة الداخلية في الإبستمولوجيا، وبرغم أن هذا التمييز تعرض لشيء من النقد، ونظر سوسا إليه بوصفه خاطئاً ومضللاً، فإنه لا يزال مألوفا في أدبيات إبستمولوجيا الفضيلة.

ويتفق هذان الاتجاهان على عدة أمور، يأتي في طليعتها:

1- الفضائل العقلية تجعلنا مفكرين ممتازين؛ ذلك بأنها خصائص تشجع على الازدهار العقلي وتهيء عارفاً ممتازاً.

2- نظرية المعرفة فرع معياري.

3- تعريف المعرفة في حدود مفهوم الفضيلة المعرفية.

4- النظر إلى الفاعلين العقلاء (وكذلك الجماعات) بوصفهم المصدر الرئيس للتقييم المعرفي.

وللقول إن نظرية المعرفة فرع معياري وجهان، أحدهما يتصل بوضع نظرية المعرفة وتطورها، والآخر يتصل بمهمة أنصار إبستمولوجيا الفضيلة، فأما الوجه الأول فنستطيع أن نتبينه في معارضة الاقتراح الجذري الذي قدمه كواين في مقال "إبستمولوجيا متطبعة"(نشر ضمن كتابه النسبية الأنطولوجية ومقالات أخرى 1969)، فقد رأى كواين أنه يجب على الفلاسفة التخلي عن الأسئلة المتعلقة بما هو معقول للاعتقاد والاهتمام بدلا من ذلك بما يقدمه علم النفس الإدراكي، "إن وجهة نظري هي وجهة نظر طبيعية، وأنا أنظر إلى الفلسفة ليس بوصفها دراسة تمهيدية أو أساسا أوليا للعلم، وإنما بوصفها

متصلة بالعلم، وأنا أنظر إلى الفلسفة والعلم على أنهما في المركب نفسه، المركب الذي يرجع إلى تشبيه نيورات ولطالما أرجعه هكذا، نستطيع أن نجدد بنيانه في البحر بينما نظل عائمين فيه، ولا توجد نقطة امتياز خارجية، ولا توجد فلسفة أولى" (Quine, 1969:126-127).

وتفهم نظرية المعرفة التقليدية بوصفها فرعا معياريا يهتم بالقيمة المعرفية والتسويغ وتنظيم الاعتقاد، والاعتراض على طريقة كواين هو أن الإبستمولوجيا الطبيعية لا يمكن أن تكون معيارية وتكون فصلا من علم النفس والعلم الطبيعي في وقت واحد (إسماعيل، 2002: 46-47).

أما الوجه الثاني للتمسك بأن نظرية المعرفة فرع معياري فهو بحث المعيارية المتضمنة في التقييم المعرفي، عندما نقول، مثلا: إن شخصًا ما يعرف شيئًا ما، أو إن مجموعة من الأدلة جيدة، أو إن اعتقادا ما مسوغ، فإننا نصدر أحكامًا قيمية، نصدر أحكامًا تقييمية أو معيارية حول الأشخاص، وأدلتهم، واعتقاداتهم، ونحو ذلك، وتتمثل إحدى مهام نظرية المعرفة في بحث نوع المعيارية المتضمنة في التقييمات المعرفية، وجادل بعض فلاسفة إبستمولوجيا الفضيلة بأنه من خلال تركيز البحث هنا، من الممكن إحراز تقدم في المشكلات الدائمة في نظرية المعرفة، مثل الشكية، وبنية التسويغ، وتحليل المعرفة، وجادل آخرون بأن التركيز على المعيارية المعرفية يفتح أبوابًا جديدة وخطوط بحث مثيرة للاهتمام، مثل العلاقات بين الالتزامات المعرفية والأخلاقية، والأبعاد الأخلاقية والاجتماعية للمعرفة وأخلاق البحث (76: Greco, 2010).

ويختلف الاتجاهان حول نقطتين؛ أولاهما أساسية وتتعلق بطبيعة الفضيلة العقلية، والثانية ثانوية وترتبط بتركيز الجهد المعرفي، وحسبي أن أشير إلى الثانية بإيجاز: يميل أنصار الثقة إلى تركيز البحث على تقديم تقرير قائم على الفضيلة للمعرفة أو التسويغ، على حين يهتم كثير من أنصار المسؤولية بمتابعة مشروعات معرفية مختلفة وغير تقليدية.

ويفهم أنصار نزعة الثقة الفضائل العقلية بوصفها خصائص مستقرة تحقق بثقة اعتقادات صادقة، ويمكن أن تكون هذه الفضائل ملكات متأصلة فينا (مثل الرؤية 20/30) أو مهارات مكتسبة (مثل القدرة على تحديد الطيور عن طريق أصواتها)، أو حتى سمات شخصية مكتسبة (مثل الانفتاح العقلي)، ولما كانت نماذج الفضائل العقلية عند أنصار نزعة الثقة تتمثل في ملكات أو قوى إدراكية مثل الإدراك الحسي، والذاكرة، والاستبطان، والحدس، يمكن أن تسمى هذه الفضائل فضائل الملكات أو القوى الإدراكية أو باختصار فضائل الملكة faculty-virtues.

أما أنصار نزعة المسؤولية فيفهمون الفضائل العقلية ليس بوصفها ملكات أو قدرات إدراكية، وإنما بوصفها سمات شخصية عقلية جيدة، وغالبا ما يضع أنصار المسؤولية تحليلهم للفضيلة العقلية على غرار تحليل أرسطو للفضيلة الأخلاقية في كتاب الأخلاق النيقوماخية؛ ولذلك يفكرون في الفضائل

العقلية بوصفها سمات شخصية مكتسبة، نتحكم فيها ونكون مسؤولين عنها بدرجة ما، "فالفضائل والرذائل سمات مكتسبة. والفضائل والرذائل العقلية سمات عقلية مكتسبة" (Zagzebsky, 2020 : 97).

ولما كانت نماذج الفضائل العقلية عند أنصار نزعة المسؤولية تتمثل في سمات مثل حب الاستطلاع، والإنصاف العقلي، والانفتاح العقلي، والاجتهاد، والحذر الفكري، والتواضع العقلي، والمثابرة العقلية، يمكن أن تسمى فضائل السمات الشخصية، أو باختصار فضائل السمة trait-virtues، ويرى هؤلاء أن الفضائل العقلية تتطلب دافعا مكتسبا للصدق، ويرى بعضهم أنها تتطلب الثقة أيضا مثل زاجزيبسكي، ولا يرى بعضهم الآخر ذلك مثل مونتماركيه وبير، ونظرا لأن هؤلاء يرون الفضائل العقلية "امتيازات للشخصية العاقلة" (Baehr, 2011: 47)، تراهم يستبعدون الملكات المتأصلة فينا على أساس أن هذه الخصائص لا هي شخصية ولا هي جديرة بالثناء.

ترى أي الاتجاهين على صواب: أصحاب الثقة أم أصحاب المسئولية؟ وهل يجب أن نتبنى رأيا دون الآخر، أم نرفضهما معا؟ (Dougherty, 2019: 127-37) أم نتبنى تحليلا مختلفا للفضيلة العقلية لا يكون موثوقا ولا مسؤولا؟ (Slote, 2019: 105-14) أم يجب أن نختار التعددية حول الفضيلة العقلية؟ (Battaly, 2019b :115-126)، هذه أسئلة لا تزال مطروحة، ولكن الرأي الذي نطمئن إليه هو أن الاتجاهين يجب أن يتقبل أحدهما الآخر ولا يستبعده؛ لأن الفضائل العقلية يتمم بعضها بعضا، فالغاية واحدة، وإن اختلفت الوسيلة، ألا وهي أن نكون مفكرين ممتازين.

وإحدى الطرق لأن تكون مفكرا ممتازا هو أن تحصل بثقة على اعتقادات صادقة عن طريق كل ما يملكه المرء من خصائص دائمة- من القيم أن يملك المرء قوة بصر 20/30، حتى لو لم يكن جديرا بالثناء على هذا، والطريقة الأخرى لأن تكون مفكرا ممتازا هو أن تملك سمات شخصية جديرة بالثناء- من القيم أن يكون المرء مهتما بالصدق، وأن يكون منفتح العقل حتى لو كانت هذه السمات لا تتطلب الثقة.

وهذه الأنواع المختلفة من الفضائل العقلية ربما ترتبط أيضا بأنواع مختلفة من المعرفة، وتشجعنا إبستمولوجيا الفضيلة على تعريف المعرفة، وتقييمات الاعتقاد الأخرى في حدود الفضائل العقلية وتقييم الفاعل.،وربما تؤدي الفضائل الموثوقة وظيفة في تفسير المعرفة اللاإرادية (مثل المعرفة المتعلقة بالإدراك الحسي) أفضل مما تؤديه الفضائل المسؤولة، وربما تؤدي الفضائل المسؤولة وظيفة في تفسير المعرفة الفعالة (مثل المعرفة العلمية) أفضل مما تؤديه الفضائل الموثوقة (Battaly, 2019a: 2).، وأنت ترى إذن أن اجتماع هذين الاتجاهين في إبستمولوجيا الفضيلة أفضل من أن يمضي كل منهما على حدته.

ومهما يكن من أمر، فقد تعرض التقسيم بين هذين الاتجاهين لشيء من النقد. أولا، ليس من الواضح لماذا يتعين على أصحاب إبستمولوجيا الفضيلة الاختيار بين فضائل الملكة وفضائل السمة، وعند النظرة

العجلي نجد أن الإدراك الحسي الممتاز، والذاكرة الجيدة، والعقلية المنفتحة، والتواضع العقلي تبدو جميعا مرشحة ترشيحا جيدا بصورة متساوية لتشجع التميز أو الازدهار، ثانيا، من المعقول القول إن الإبستمولوجيا الكاملة يجب أن تظهر فضائل الملكة وفضائل السمة معا، فأما فضائل الملكة فتبدو أساسية ولا غنى عنها في تفسير معرفة الماضي والعالم المحيط بنا، وأما فضائل السمة فيمكن أن تكون مطلوبة لتفسير المجال الكامل من الإنجازات العقلية الغنية، مثل الفهم والحكمة، التي ربما تفترض مسبقا معرفة ولكن تتجاوزها أيضا. حاول بير (2006) إثبات أن أنصار الثقة في الفضيلة يجب ألا يتجاهلوا فضائل السمة؛ لأن هذه الفضائل ضرورية لتفسير بعض حالات المعرفة، فعلى سبيل المثال، ربما تبرز الشجاعة والمثابرة العقلية، وليس الذاكرة الجيدة والإدراك الحسي الممتاز فحسب، بروزا مركزيا في تفسير كيف يتوصل العارف إلى الصدق (Turri, et al., 2017).

ولعل أخص ما تمتاز به إبستمولوجيا الفضيلة هو الفائدة العملية؛ ذلك بأنها قابلة للتطبيق على حياتنا المعرفية على نطاق واسع، وتهدف في المقام الأول إلى تشجيع كائن عقلي جيد، على عكس الإبستمولوجيا القائمة على الاعتقاد، تركز إبستمولوجيا الفضيلة على التقييم المعرفي للناس وقدراتهم العقلية وسماتهم الشخصية، وعندما تبصرنا بأوصاف الفضائل العقلية، فإنها تشجع الإصلاح الثقافي والازدهار الفكري (Roberts & Wood, 2007:3) ويكشف العمل الحالي في إبستمولوجيا الفضيلة التطبيقية عن مشروعات أخذت طريقها إلى التنفيذ في التعليم، ويؤثر بعضها في حياة الطلاب تأثيرا قويا ومباشرا عن طريق تهذيب ما لديهم من فضائل عقلية، فعلى سبيل المثال، تهدف أكاديمية الفضائل العقلية Intellectual Virtues Academy (IVA)، التي افتتحت في مدينة لونج بيتش، كاليفورنيا في عام 2013، إلى تعزيز الفضائل العقلية مثل الانفتاح العقلي والتواضع الفكري، وبالإضافة إلى الجوانب التطبيقية لإبستمولوجيا الفضيلة في مجال التربية (Baehr 2016:1–5)، نجد أن أنصار إبستمولوجيا الفضيلة يهتمون أيضًا بتطبيق وجهات نظرهم على مسائل تتعلق باتخاذ القرارات البيئية (Kawall, 2010)، والرعاية الصحية والطب (Marcum, 2009).

وتؤكد إبستمولوجيا الفضيلة على قيمة الفضائل العقلية في معالجتنا للمعرفة والتسويغ، والسؤال الآن هو: كيف تساعد الفضائل العقلية في إنجاز أهدافنا المعرفية؟ خذ التواضع مثلا، تجد أن الشخص المتواضع هو الذى يكون لين الجانب وبعيدا عن الاغترار بالنفس، وإذا طبقنا هذا المعنى الخلقى للتواضع على الطريقة التى يمكن أن يعمل بها فى ملاحقة المعرفة، نحصل على التواضع المعرفي، وعندما نفعل ذلك ندرك أن التواضع فضيلة عقلية.

طبقت ليندا زاجزيبسكى فكرة أرسطو عن الوسط الذهبى على مسألة التواضع، ورأت أن التواضع المعرفي "يمكن تفسيره على نحو معقول بوصفه وسطا بين تكلف العظمة والميل إلى الحط من قدرات

المرء الخاصة" (Zagzebsky, 1998: 220). والرأي عندي أن الشخص المتواضع معرفيا هو الذي يتبني نزعة إمكان الخطأ، وهي موقف يأتي وسطا بين موقفين أحدهما هو الدوجماطيقية والآخر هو الشكية، وتعني نزعة إمكان الخطأ أننا نتمسك بمعارف واعتقادات عن العالم نؤكد على صوابها لكن ربما يتبين في مقبل الأيام أنها خاطئة، والشخص المتواضع معرفيا هو الذي يعترف للآخرين بما لديهم من قدرات معرفية، ويكون أقرب إلى الاعتدال وأبعد ما يكون عن الغلو الفكري.

3- سوسا في المعرفة وإبستمولوجيا الفضيلة

3-1 حل الخلاف بين نزعة الأسس ونزعة الاتساق عن طريق الفضيلة العقلية

ظهر مفهوم الفضيلة العقلية في مقال سوسا "الطوافة والهرم" بوصفه حلا للنزاع بين نزعة الأسس ونزعة الاتساق حول بنية المعرفة أو قل بنية التسويغ المعرفي، ومنذ ذلك الحين حاول سوسا الاستعانة بالفضيلة العقلية في معالجة المشكلات المعرفية الأخرى مثل مشكلة الشكية، والنزاع بين النزعة الداخلية والنزعة الخارجية حول طبيعة المعرفة.

هل بنية المعرفة مثل بنية الهرم الذي يدعم فيه الأساس المتين بقية البناء، أم أنها أشبه شيء بطوافة (خشب يشد بعضه إلى بعض ويوضع في البحر) ترتبط فيها الأجزاء المنوعة بعضها مع بعض في علاقات دعم متبادل؟ إذا قبلت تشبيه الهرم، فأنت من القائلين بالأسس، وإذا قبلت تشبيه الطوافة، فأنت من القائلين بالاتساق.

رأى سوسا أن الصيغ التقليدية لنزعة الأسس ونزعة الاتساق تعاني من عيوب خطيرة، وأراني في حاجة إلى توضيح يسير لهذا الخلاف قبل أن أعرض عليك معالجة سوسا له.

يمكن نقل التسويغ المعرفي من اعتقاد إلى آخر عن طريق العلاقات الاستدلالية، ولكن من أين يأتي هذا التسويغ في الأصل؟ ما مصدره؟ هل ينشأ عن فئة فرعية من الاعتقادات ذات وضع ممتاز، أم ينشأ عن مبادئ أولية a priori، أم ينشأ عن عنصر خارجي لنسق المعرفة (مثل التجربة الصرفة)، هل ينشأ عن نسق المعرفة ككل، أم تراه ينشأ من مصدر آخر؟ إن وجهة النظر المعيارية، من الناحية التاريخية، في قضايا من هذا النوع هي نزعة الأسس، التي تقول بوجود نوع ما من الاعتقادات يشكل المصدر أو الأساس الذي يبنى عليه التسويغ والمعرفة التجريبية برمتها (Bonjour, 1985: 16) فماذا عسى أن تكون هذه الاعتقادات؟

الجواب هو ما اصطلح على تسميته بالاعتقادات الأساسية، وهي عبارة عن فئة محددة من الاعتقادات التي تملك وضعا معرفيا ممتازا، ويبدأ صاحب نظرية الأسس في بناء نظريته من الفكرة التي مؤداها أن المعرفة تأتي إلينا عن طريق الحواس التي تربطنا بالعالم الخارجي، وتتألف اعتقاداتنا البسيطة التي نكونها عن العالم نتيجة استجاباتنا للمثيرات الحسية، ثم ينتقل صاحب نظرية الأسس من فكرة الاعتقاد

إلى فكرة التسويغ عن طريق القول إن الاعتقادات البسيطة الناتجة عن الإدراك الحسي تشكل الأساس المعرفي لعملية التسويغ؛ لأن الاعتقادات الأخرى يتم تسويغها في نهاية الأمر عن طريق الاستعانة بالاعتقادات الأساسية، والاعتقادات الأساسية ليست في حاجة إلى تسويغ؛ لأنها مسوغة ذاتيا-self justified. (إسماعيل، 2000: 115)

والعلاقات التسويغية هنا هي علاقات ذات اتجاه واحد، فالقضايا الأساسية تسوغ القضايا غير الأساسية وليس العكس، ولذلك تتمتع الأولى بوضع معرفي خاص ومستقل.

ولكن صاحب نظرية الاتساق ينكر وجود القضايا الأساسية، فجميع القضايا في رأيه، حتى القضايا التي تدور حول الخبرة الحسية الذاتية، تتطلب تأييدا تسويغيا من قضايا أخرى داخل النسق المعرفي للمرء، وتحصل أية قضية مسوغة على تسويغها؛ لأنها تكون مؤيدة – وتساعد بدورها فى التأييد – عن طريق القضايا الأخرى المسوغة داخل هذا النسق، فالعلاقات التسويغية علاقات متبادلة ومتعددة الاتجاهات.

وعلى خلاف نظرية الأسس التي تثبت العلاقات التسويغية في أساس، ترى معي أن نظرية الاتساق تجعل هذه العلاقات التسويغية منتشرة داخل نسق اعتقاداتنا. والسؤال الذى يطرح نفسه هو: ما الذى يجعلنا مسوغين في الاعتقاد بشيء دون آخر، أو في التمسك باعتقاد معين؟ الجواب أن ما يسوغ اعتقادا معينا هو الطريقة التي تجعله يتسق coheres مع بقية اعتقادات المرء (إسماعيل، 2005: 166–167).

نشأ الخلاف بين أنصار الأسس وأنصار الاتساق رداً على إشكالية بيرونية، إذ يصر البيرونيون على أن المعرفة تتطلب أكثر من الاعتقاد الصادق، فيجب أن يتمتع الاعتقاد الصادق بسلطة مناسبة أيضًا، علاوة على ذلك، تتضمن هذه السلطة معرفة أن مصادر اعتقادات المرء تتوافق مع الواقع بشكل مناسب – وأن إدراك المرء موثوق به، وأن تفكيره سليم، ومع ذلك، فإن مثل هذا المطلب يهدد بحدوث تراجع أو دور، فكيف يمكن للمرء أن يعرف أن مصادره تتوافق بشكل مناسب مع الواقع؟ الشيء المحقق أننا مقيدون بهذه المصادر ذاتها، ولذلك فنحن مضطرون إما إلى تراجع الإثباتات أو حجة في دور.

وترد نزعة الأسس بأن بعض المعرفة ممكنة دون إثبات إضافي، إذ تتمتع أسس المعرفة بنوع من اليقين يتيح لها الوقوف بمفردها، وترد نزعة الاتساق بأن ليست كل حالات الدور فارغة، فحالات الدور المتسقة والشاملة بالقدر الكافي تكون فاضلة معرفيًا، وتجعل اعتقاداتها فاضلة أيضًا، والمشكلة التي تواجه نزعة الأسس هي تفسير كيف يمكن لبعض المعرفة أن تكون قائمة بذاتها، والمشكلة التي تواجه نزعة الاتساق هي تفسير كيف يمكن لبعض حالات الدور أن تكون فاضلة (Greco, 2005: 2288).

يجادل سوسا، فيرى أن الخلاف يمكن تبديده بتبني حل "ديكارتي"، فقد حافظ ديكارت باستمرار على التمييز بين الإدراك cognitio والعلم scientia بالنسبة للإدراك، لا يتطلب المرء سوى سلطة حدس وإثبات واضحين ومتميزين على وجه التحديد، ولا يتطلب الإدراك دفاعا عن تلك السلطة. ويمكن لعالم

الرياضيات أن يكون لديه الإدراك من حدس وإثبات واضحين ومتميزين، حتى لو لم يتفلسف عالم الرياضيات بشأن أية سلطة منهما، ومع ذلك، فإن العلم يتطلب المزيد بالنسبة إلى هذا الوضع المعرفي الممتاز، فيجب على المرء أن يكتسب وجهة نظر عن سلطة الحدس والإثبات – ويجب أن يكون المرء قادرًا على التفكير، كما فعل ديكارت، بأن عناية الله تضمن عصمتهما، ويرفض سوسا تفصيلات تقرير ديكارت لكنه يعتنق بنيته، وتتطلب المعرفة الحيوانية أن يكون لاعتقادات المرء الصادقة مصدر موثوق، وهنا يكون صاحب نزعة الأسس على صواب، وسبب ذلك أنه ليس كل المصادر الموثوقة تتضمن استدلالا من اعتقادات أخرى، فعلى سبيل المثال، الإدراك الحسي والاستبطان موثوقان بدرجة عالية، لكن لا ينشأ أي منهما عن طريق الاستدلال.

وتتطلب المعرفة التأملية، التي هي من النوع الممتاز للغاية، ما هو أكثر من مصدر موثوق، وللحصول على المعرفة التأملية، يحتاج المرء إلى وجهة نظر عن موثوقية مصادره، هنا يكون صاحب نزعة الاتساق على صواب، لأن وجهة النظر التأملية هي نوع من الاتساق في مجموعة اعتقادات المرء (Greco, 2005: 2289).

والرأي عند سوسا أن التناول القائم على الفضيلة يحافظ على رؤى نزعة الأسس ونزعة الاتساق بينما يحل المشكلات التي تواجهها كل نزعة منهما، وكانت مشكلة نزعة الأسس تفسير كيف يمكن لبعض المعرفة أن تكون قائمة بذاتها، الجواب أن المعرفة هي اعتقاد صادق مؤسس في فضيلة عقلية، وبعض الفضائل العقلية لا تستلزم استدلالا من اعتقادات إضافية، فعلى سبيل المثال، لا يستلزم الإدراك الموثوق والاستبطان الموثوق استدلالا من اعتقادات أخرى.

وكانت مشكلة نزعة الاتساق هي شرح كيف يمكن لبعض حالات الدور أن تكون فاضلة، والجواب هو أن شيئًا ما يُعد فضيلة عقلية فقط في حالة كونه ملكة إدراكية موثوقة، والعقل الساعي إلى الاتساق هو ملكة إدراكية موثوقة، علاوة على ذلك، يمكن أن يمنح العقل الساعي للاتساق نوعًا آخر من التميز لاعتقادات المرء، وذلك عن طريق تقديم نوع من الرؤية المعرفية التي تحول المعرفة الحيوانية فحسب إلى معرفة تأملية (Greco, 2005: 2290). وقد يحسن أن نلفت النظر الآن إلى التمييز بين هذين النوعين من المعرفة.

2-3 نوعان من المعرفة

يميز سوسا بين نوعين من المعرفة:

(1) المعرفة الحيوانية animal knowledge:

هي معرفة غير فعالة passive ولا إرادية involuntary وتلقائية automatic- وهي نوع المعرفة التي نشترك فيها مع الأطفال والحيوانات غير البشرية؛ ولذلك يسميها سوسا "المعرفة الحيوانية"

(Sosa 2010: 185)، وهي عند زاجزيبسكي "مرتبة أدني" (Zagzebski 1996: 273–83)، وتتضمن هذه المعرفة، معرفة الإدراك الحسي، ومعرفة الذاكرة، من ذلك أن معرفة أن النافذة بيضاء، لا يتطلب منك إجراء بحث، أو التأمل في ملكاتك الإدراكية لكي تدرك أن النافذة بيضاء، كل ما عليك فعله هو أن تفتح عينيك وتنظر إلى النافذة، فالمعرفة الحيوانية إذن هي مسألة توصل إلى اعتقاد صادق عن طريق استخدام ملكات موثوقة.

(2) المعرفة التأملية reflective knowledge :

وهي معرفة فعالة active، وإرادية volitional وتتطلب فاعلية وفعلا، وتتطلب أن يكون لدى المرء وجهة نظر عن اعتقاده، ومعرفة أن ملكاته موثوقة، وتتضمن المعرفة التأملية نوعا من معرفة المستوى الثاني أو معرفة أن المرء يعرف، وتشترط أن يفكر الفاعل بفاعلية في اعتقاداته وبيئته وقدراته الإدراكية، ويسميها سوسا المعرفة "التأملية" (Sosa 2017a:18, 98)، ويربطها بمفهوم العلم scientia عند ديكارت. وتسميها زاجزيبسكي المعرفة "التأملية" و"المرتبة الأعلى" (Zagzebski, 2014 :141). وتتضمن هذه المعرفة الاكتشافات في العلم والأفكار الجديدة في الفلسفة، ونحو ذلك.

ويتم تصوير المعرفة الحيوانية عن طريق الثقة، ويتم تصوير المعرفة التأملية عن طريق وجهة نظر متسقة في ثقة المرء، ويملك العارف التأملي وجهة نظر عن اعتقاده بوصفه منتجا بقدرة موثوقة في ظروف مناسبة لممارستها، وفي هذا المعنى يفهم العارف التأملي لماذا يملك اعتقادا صادقا ويمكن أن يعرف اعتقاده لنفسه وللمتحدثين معه، ومع ذلك، فالمعرفة التأملية مسألة درجة، مثلما يمكن أن تكون ملكات المرء موثوقة تقريبا، كذلك يمكن أن تكون وجهة نظر المرء مفصلة تقريبا وواضحة تقريبا.

وأخيرا، تتطلب المعرفة التأملية أن وجهة نظر المرء لا تكون بالمصادفة، ولابد من أن تكون منتجة بقدرة إدراكية موثوقة، وفي هذه الحالة عقل يسعى إلى الاتساق (Greco, 2013:183; Goldman, 2004: 86)

3-3 تعريف المعرفة في حدود الفضيلة العقلية

يحاول سوسا البرهنة على أن القسمة المقبولة لإبستمولوجيا الفضيلة إلى معسكرين- يركز أحدهما على الثقة والقدرة، ويركز الآخر على المسؤولية والشخصية- هي قسمة خاطئة ومضللة، ويعتقد أن الإبستمولوجيا الحقة تربط هذه العناصر الأربعة ربطا ملائما، وتفعل هكذا حتى في تناولها للمسائل التقليدية مثل النزعة الشكية، ومسائل طبيعة المعرفة وقيمتها.

في مقال "إبستمولوجيا الفضيلة الهادفة" (Sosa, 2019) يقرر سوسا أن الفضائل العقلية هي استعدادات موثوقة مكونة للاعتقاد، ويصف نوعين مختلفين من الفضائل العقلية، الأول: الفضائل التي

تكون وظيفية فحسب ولا تستلزم فاعلية عقلية، مثل الرؤية الموثوقة، والثاني: الاستعدادات الموثوقة التي تستلزم فاعلية عقلية، مثل الاجتهاد العقلي، ويؤدى الاجتهاد العقلي دورا حاسما وتكوينيا في تحقيق المرء لحكم ملائم.

تهدف إبستمولوجيا الفضيلة المتعلقة بالقدرة إلى حل مشكلتين أفلاطونيتين: مشكلة ثياتيتوس المتعلقة بطبيعة المعرفة (مشكلة التعريف)، ومشكلة مينون المتعلقة بقيمة المعرفة (مشكلة القيمة).

وفيما يتعلق بمشكلة التعريف، تقترح إبستمولوجيا الفضيلة أن المعرفة اعتقاد تظهر صحته قدرة المعتقد ذات الصلة؛ ولذلك يجب أن تكون القدرة ذات الصلة (الفضيلة العقلية الموثوقة) قدرة يجب أن تساعد ممارستها على تكوين معرفة، وهذا ما يُقال بحيث يكون معرفة، اعتقاد صحيح، ومن ثم يكون ناجحا، من خلال ممارسة قدرة، وهذا على الأقل هو ما يعادل نوعا مهما وأساسيا من المعرفة، المعرفة الحيوانية (Sosa, 2017a: 141; 2021: part III).

تضيف معرفة بعض المسائل بشكل مهم إلى ازدهار حياة الفرد بشكل فردي والحياة في المجتمع، مجرد الاعتقاد الصادق بهذه الأمور المهمة لا يسهم بقدر ما تسهم المعرفة المناظرة، ومع ذلك، ليس كل حالة من المعرفة، بغض النظر عن موضوعها، تضيف إلى ازدهار هذا العارف أو المجتمع، وهكذا، فإن تقرير المعيارية المعرفية بوصفه نوعا من معيارية الأداء له فضيلتان، الأولى: أنه يقدم تفسيرا لطبيعة المعرفة، التي تعادل الاعتقاد الذي يكون ملائما، والاعتقاد الذي يكون أداء معرفيا ملائما، والاعتقاد الذي يظهر القدرة المناسبة للمعتقد في الحصول على الصدق، والثانية: أنه يساعد أيضًا على شرح كيف يمكن التفكير في المعرفة تفكيرا معقولا بحيث تكون "أفضل" من مجرد الاعتقاد الصادق (Sosa, 2017a:115–16).

وعلى نحو مقارب، يمكن فهم المعرفة القضوية بوصفها الاعتقاد الذي يحقق هدفه (الصدق) ولا يحقق ذلك بالحظ فقط وإنما يحققه من خلال قدرة هذه المعرفة، فهي حالة خاصة من الأداء الذي لا يكون محظوظًا فحسب، بل ملائما، أي الأداء الذي يرجع نجاحه إلى قدرة المؤدي المناسبة، ويفترض أن تمنع ملاءمة الأداء نوعًا مهمًا من الحظ، وهو النوع الذي يمنع الأشخاص على طريقة جيتير من معرفة ما يعتقدون به اعتقادا صحيحا، ويقصر الاعتقاد عن بلوغ المعرفة عندما يرجع صدقه إلى الحظ وليس إلى قدرة المعتقد (Sosa, 2017a: 124–25; 1991: 277).

ولا يزال سوسا يؤكد في كتاباته الأخيرة على أهمية القدرة والمهارة للمعرفة، فالقدرة والمهارة أساسيان لفهم كيفية اكتساب المعرفة والتسويغ ودعمهما، والمعرفة اعتقاد مقتدر تماما وملائم؛ والاعتقاد المسوغ هو اعتقاد ماهر justified belief is skillful belief، ونحن نفهم الزعمين داخل تصور للاعتقاد والمعرفة بوصفها فعلا- ليس فعلا قصديا واعيا بالضرورة، وإنما هو فعل مفهوم على نطاق واسع ليشمل

ليس الفعل القصدي فقط وإنما الفعل الوظيفي أيضا، وبدوره، يمكن أن يكشف التفكير في تقارير الفضيلة في نظرية المعرفة جوانب المهارة والقدرة بصفة عامة، أو يكشف أيضا الجوانب التي قد تتنوع فيها الأدائيات والمهارات عبر المجالات (Sosa and Callahan, 2021:155).

وفي محاولة تعريف المعرفة في حدود فضيلة موثوقة، يبدأ سوسا بالنظر إلى المعرفة بوصفها نوعا من النجاح، النجاح الإدراكي في الوصول إلى اعتقاد صادق، وبطبيعة الحال، يمكن الوصول إلى اعتقاد صادق نتيجة للحظ، وفي هذه الحالة لا يملك المرء معرفة، ولكي نستبعد الحظ، تتطلب المعرفة اعتقادا صادقا يجب أن يكون تصديقا للفاعل وليس راجعا للحظ أو عامل عرضي آخر، وهنا تؤدي الفضيلة دورا أساسيا.

يعتقد سوسا أنه لكي يملك الفاعل معرفة، لابد أن يصل إلى اعتقاد صادق بسبب فضائله العقلية، وليس بسبب الحظ، ويمكن وضع شرط الفضيلة في المعرفة على النحو التالي: س يعرف أن ق إذا كان اعتقاد س أنتجته فضيلة عقلية، وعلى هذا النحو يأتي تعريف المعرفة بأنها اعتقاد ملائم، وإن شئت أن تضع ذلك بعبارة أخرى، فقل: س يعرف أن ق إذا كان اعتقاد س ملائما، أعني صادقا لأنه أنتج بفضيلة.

و"نستطيع أن نميز بين دقة accuracy الاعتقاد، أي صدقه، وبراعته adroitness، أي إظهاره لفضيله أو قدرة معرفية، وملاءمته aptness، أي كونه صادقا بسبب مقدرته" (Sosa, 2007: 23). وبذلك يعرف الفاعل أن ق إذا وفقط إذا كان اعتقاده بأن ق :

1) دقيقا – صادقا.

2) بارعا – منتجا عن طريق إحدى فضائل المرء العقلية.

3) ملائما – يحصل على الصدق لأن اعتقاده منتج عن طريق إحدى فضائله العقلية.

ويفسر سوسا كيف يمكن أن تكون الاعتقادات، مثل الرميات في الرماية، دقيقة وبارعة معا من دون أن تكون ملائمة.

"إن التسديدة الدقيقة والبارعة معا يمكن أن تخفق، مع ذلك فكر في رمية سهم ببراعة تاركة القوس باتجاه وسرعة عادة ما تأخذها مباشرة إلى عين الثور، ومع ذلك، تأتي عاصفة من الرياح وتحول اتجاهها، ولكن عاصفة ثانية تعيدها إلى مسارها الأصلي، هذه الرمية دقيقة وبارعة، لكنها تخفق في أن تكون ملائمة، وتتطلب ملاءمة الرمية أن يكون نجاحها ليس فقط بالحظ (مثل حظ هذه العاصفة الثانية). يجب أن يظهر النجاح بالأحرى قدرة" (Sosa, 2016: 2).

وبصورة مماثلة، ربما يكون اعتقاد الفاعل صادقا ومنتجا بإحدى فضائله العقلية، ومع ذلك ربما يصل إلى هذا الاعتقاد الصادق بسبب الحظ، وليس بسبب الفضيلة (كما يفعل المرء في حالات جيتير)، ويؤكد

سوسا أنه فقط عندما تكون الاعتقادات ملائمة تكون صحة الاعتقاد جديرة بالتصديق ويمكن نسبتها إلى الفاعل، وعندئذ فقط يملك الفاعل معرفة.

والمعرفة صورة من الفعل، وأن تعرف هو أن تفعل، والمعرفة نوع من المحاولة الناجحة للوصول إلى الصدق، ومن ثم تكون المعرفة خاضعة لمعيارية مميزة للفعل، بما في ذلك الفعل القصدي.

وفيما يتعلق بالمحاولات (سواء أكانت قصدية بصورة واعية أم وظيفية/غائية)، تميز نظرية الفضيلة (أ) الدقة أو النجاح، حيث يتم تحقيق هدف المحاولة، (ب) البراعة أو القدرة، و (ج) الملاءمة، حيث تظهر الدقة البراعة، فهذا هو إذن تقرير الدقة، والبراعة، والملاءمة عن معيارية الأداء (Sosa, 2017a: 209–10).

تمسك سوسا بموقف متسق فيما يتعلق بالعلاقات بين المعرفة والفضيلة والأمان safety، وتتطلب المعرفة الاعتقاد الملائم، والملاءمة تستلزم الأمان، وعلى وجه التحديد تمسك بأن المعرفة تتطلب اعتقادا فاضلا، وأن الاعتقاد الفاضل يستلزم نوعا محددا من الأمان، ويتطلب الأمان أنه إذا عرف المرء قضية معينة، فإنه لا يملك اعتقادا صادقا بهذه القضية في العالم الفعلي فقط، وإنما يملك أيضا اعتقادا صادقا بها في العوالم الممكنة القريبة، واستيفاء الأمان يعد شرطا ضروريا لامتلاك المعرفة، وبهذه الطريقة، يكون الأمان شرطا جهويا modal condition على المعرفة، وفي شرط الأمان: يكون الاعتقاد مأمونا فقط في العوالم الممكنة القريبة حيث يعتقد س أن ق، تكون ق صادقة.

والشيء المحقق أن تقارير المعرفة التي تؤيد شرط الأمان على المعرفة هي من بين التقارير الأكثر رواجا في الإبستمولوجيا المعاصرة، ولعل السبب الرئيس في هذا الرواج هو أن هذا الشرط يقدم حلا لبعض المشكلات المعرفية الصعبة مثل مشكلة جيتير ومشكلة الشكية، وهو يفعل ذلك عندما يبرهن على أن الشيء الأساسي للمعرفة أن تكون مأمونة، بمعنى أن اعتقاد المرء لا يمكن أن يكون خاطئا بسهولة.

وعندما ننتقل من معيارية الأداء عامة إلى المعرفة خاصة، نجد تفكير سوسا يسير في خط فكري متسق يتمثل في ثلاث دعاوى (kelp, 2020a: 5096; 2020b: 7):

الدعوى المعيارية، أي أداء في أي مجال يحقق حالة مرغوبة تمامًا بوصفه أداء في هذا المجال إذا وفقط إذا كان ملائما تمامًا؛ ويكون أداء مقصرا عن بلوغ هدفه بوصفه أداء في هذا المجال إذا وفقط إذا لم يكن كذلك.

الدعوى النفسية، إن الفئات النفسية المنوعة – وأهمها التخمين والاعتقاد والحكم – هي أنواع من الإثبات، ونتيجة لذلك، أدائيات ذات هدف. اهتمام سوسا الرئيسي هو الإثباتات ذات الهدف المعرفي على وجه التحديد، التي تنطوي على الصدق.

بينما يوافق سوسا على مجموعة منوعة من الفئات النفسية ذات الأهداف المعرفية، فإن تركيزه الرئيسي ينصب على الحكم (والاعتقاد الحكمي)، ويختلف الحكم عن الفئات النفسية الأخرى من حيث أن له هدفًا معرفيًا قويًا بشكل خاص، فالحكم لا يهدف فقط إلى الصدق بل إلى الملاءمة، ولكي يكون الحكم ملائما، إذن، هناك حاجة إلى ما هو أكثر من مجرد الإثبات الملائم، ومطلوب للحكم الملائم أن يتم توجيه المرء إلى الملاءمة من تقييم المخاطر الملائمة، والحكم الملائم هو إثبات ملائم تمامًا.

أخيرًا، الدعوى المعرفية: المعرفة البشرية حكم ملائم.

فأنت حين تتابع عمل سوسا إنما تشهد شيئا من الانسجام والجاذبية، وعند الملاحظة الأولى، تدرك أنه يقدم تقريرا جذابًا للغاية لقيمة المعرفة البشرية عن طريق الدعوى النفسية، والحكم الملائم هو إثبات ملائم تمامًا وعن طريق الدعوى المعيارية، تتمتع الأدائيات الملائمة تمامًا بوضع مرغوب فيه، ويتمتع الحكم الملائم بوضع معياري خاص.

وأخيرًا، الدعوى المعرفية، الحكم الملائم معرفة، ونتيجة لذلك، تتمتع المعرفة بوضع معياري خاص، الذي بدوره يقطع شوطًا طويلاً نحو تفسير القيمة الخاصة للمعرفة.

4- دور إبستمولوجيا الفضيلة في استدامة التَّنمية الثقافية

4-1 أهمية دراسة فضائل العقل في التربية والتعليم

كان الأصل في مفهوم التنمية المستدامة أنه دعوة عالمية للعمل من أجل القضاء على الفقر، وحماية كوكب الأرض، وضمان تمتع جميع الناس بالسلام والازدهار، وكان الهدف منه هو الملاءمة بين التنمية الاجتماعية والاقتصادية من جهة، والأولويات البيئية من جهة أخرى، ثم اتسعت دلالة المفهوم لتشمل الأبعاد الثقافية وغيرها أيضا، وفي هذه الأبعاد الثقافية، نجد أن التعليم يقدم دورا مهما في تجديد رؤية الناس للحياة والعالم، بالإضافة إلى إكسابهم المهارات الضرورية للتقدم البشري، والتفكير الدقيق في فضائل العقل خليق بعناية الفلاسفة وعلماء التربية وغيرهم من الذين يشرفون على أمور التعليم،

وهناك عدة أسباب وراء إلحاح الفلاسفة على أهمية الاستفادة من فضائل العقل في التربية والتثقيف والتعليم:

أولاً، تقدم مفاهيم الفضيلة العقلية وصفًا مناسبًا لبعض الأهداف والغايات الصحيحة للتعليم. على سبيل المثال، نتوقع تعليمًا جيدًا لمساعدة الطلاب على تعلم طرح أسئلة جيدة (الفضول)، وتبني وجهات نظر بديلة والنظر في الاحتمالات الجديدة (الانفتاح العقلي)، وملاحظة التفاصيل المهمة (الانتباه)، وتحمل المخاطر العقلية (الشجاعة العقلية)، والاستمرار في وضع الأفكار موضع التحدي ومواجهة التحديات العقلية (المثابرة العقلية)، والقدرة على الاختيار العقلاني (التعقل)، والقدرة على إدراك طبائع

الأشياء وحقائق الأمور (الفهم)، وقول الصواب والاذعان للحق (الإنصاف)، والتوسط بين الكبرياء العقلي وعدم الثقة بالنفس (التواضع).

وتقدم مفاهيم الفضيلة العقلية أيضًا طريقة معقولة "لتجديد" بعض الأهداف التعليمية التي يلفها الغموض رغم كونها مألوفة، مثل "حب التعلم" و"التعلم مدى الحياة" و"التفكير الناقد"، وعلى هذا النحو، تهدف إبستمولوجيا الفضيلة إلى إلقاء أضواء شارحة على فهمنا لبعض الأهداف التربوية المهمة وتعميق هذا الفهم.

النقطة الثانية وذات الصلة تتعلق بتأثير هذا الدور المفهومي في الممارسة التربوية، فبدون فهم ثري أو ملموس لما يعنيه "حب التعلم" أو كونك "متعلمًا مدى الحياة"، فمن المحتمل أن تقوم أمام المعلمين والطلاب على حد سواء عقبة عند سعيهم لتحقيق هذه الأهداف؛ سوف يفتقرون إلى الإدراك أو الوعي الكافي لهدفهم.

وفي سياق التعلم مدى الحياة، تجد حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) "لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم، فقد جهل"، وورد في كتاب الياقوتة من العقد الفريد قولا لأبي عمرو ابن العلاء، حين سأله سائل: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ فأجاب قائلا: "إن كان يحسن به أن يعيش، فإنه يحسن به أن يتعلم"، ولما كانت إبستمولوجيا الفضيلة تملك موارد مفهومية لتطوير تقرير أكثر ثراءً وتفصيلاً عن الفضائل المعرفية، فإن تطبيقها على التعليم لن يفيد الفلاسفة والعلماء الآخرين فقط، وإنما يفيد المعلمين والطلاب أيضًا؛ ذلك بأنها تشكل فهم الطلاب لأهداف تعليمية مهمة، وتدفع المعلمين إلى طبع الطلاب على حب التعلم ومكارم الأخلاق.

ثالثًا، نظرًا للتشابه البنيوي والموضوعي بين الفضائل العقلية من جهة، والفضائل الأخلاقية والمدنية من جهة أخرى، فإن التفكير في التعليم على أنه يهدف بشكل صحيح إلى تطوير الفضائل العقلية يفتح مجموعة واسعة من الموارد لتحقيق هذا الهدف.

وقد اهتم الفلاسفة وعلماء النفس مؤخرًا اهتمامًا عميقًا ومدروسًا بالقوى المحركة لتكوين الشخصية، أي ما يمكن للآباء والمعلمين والحكام والمؤسسات القيام به لمساعدة الأشخاص على تطوير شخصية جيدة، وتنطبق مبادئ وممارسات مقترحة كثيرة بشكل مباشر على مشروع تعليم السمة العقلية، ولذلك، من النظر إلى التعليم بواسطة عدسة الفضيلة المعرفية، يمكننا الاستفادة من الموارد المهمة ذات الصلة بتعزيز الفضائل العقلية لدى طلابنا (Baehr, 2016: 4-5).

وفي بعض الحالات، يكون الوصول إلى الحقيقة أمرًا سهلاً ويتطلب قدرًا يسيرًا من استعمال أدواتنا المعرفية، فعلى سبيل المثال، لمعرفة أن هناك كتاباً أمامي، لا أحتاج إلا إلى بصر جيد بشكل معقول، ولست في حاجة بالتأكيد إلى إظهار أي شيء مثل "حب الحقيقة"، ومع ذلك، يكون الحصول على الحقيقة أكثر صعوبة في حالات أخرى مثل البحث الفلسفي والعلمي، وغالبًا ما يفرض الوصول إلى الحقيقة

مطالب كبيرة على مواقفنا وفاعليتنا المعرفية، إذ يمكن أن يتطلب حب الحقيقة، أو يمكن أن يتطلب ممارسة سمات من قبيل الحذر الفكري والشمولية والأمانة والمثابرة.

تأمل الملاحظات التالية من الكتاب الرابع من كتاب لوك "مقال يتعلق بالفهم الإنساني":

"من يشرع بجدية في البحث عن الحقيقة، يجب عليه في المقام الأول أن يهيئ عقله بحب لها؛ لأن من لا يحبها لن يعاني كثيرا من الآلام؛ ولا يقلق كثيرًا عندما يفتقدها ... وبرغم كل هذا قد يقول المرء حقًا: هناك عدد قليل جدًا من محبي الحقيقة من أجل الحقيقة، حتى بين أولئك الذين [يقنعون] أنفسهم بأنهم كذلك" (Locke, 1979: 655).

هنا يعتقد لوك أن التميز المعرفي ليس مسألة قدرة معرفية فحسب، وإنما هو أيضًا وظيفة لحالة إرادية وعاطفية يجب تنميتها، أي "حب الحقيقة"، ويعتقد ديكارت، شأنه في ذلك شأن لوك، أن التميز المعرفي أوسع وأشمل من مجرد القدرة أو السرعة؛ ذلك بأن الفاعل المعرفي إذا شاء أن يكون ممتازًا، فلابد من أن يكون أيضًا مستعدًا لاستخدام قدراته المعرفية جيدًا، يستخدمها بطرق يقظة وحذرة ومجتهدة، مثلاً.

ويلفت هذا التفكير الانتباه إلى بُعد في علم النفس البشري يشبه إلى حد كبير ما نفكر فيه عادةً على أنه سمة شخصية، ولكنه لا يتطابق معه على وجه التحديد، إذ يشير إلى وجود بُعد لسمة الشخصية يقع بين (1) الصفات أو القدرات التي نربطها عادةً بالتميز المعرفي و (2) الأفكار الأخلاقية والمدنية المألوفة للشخصية والفضيلة، ففي كثير من الأحيان، نربط التميز المعرفي بالموهبة المعرفية الفائقة أو القدرة العقلية الخام، ومثل هذا القدرات، يركز البعد المعني على المعرفة، إنها مسألة أن تكون موجهًا "بمحبة" نحو الخيرات المعرفية ومستعدا للتفكير والبحث بطرق مختلفة مناسبة أو ممتازة (بالطرق التي ألمح إليها ديكارت، مثلا)، ومع ذلك، على عكس القدرة المعرفية الخام، فإن هذا البعد إرادي بقوة، ومرغوب، وعاطفي، إنه أيضًا شيء يجب تنميته بمرور الوقت بالممارسة والتكرار، في هذه الجوانب، يشبه إلى حد كبير السمة الأخلاقية والمدنية (Baehr, 2016: 3).

وفي التأكيد على هذا الجانب الإرادي في فضائل العقل، يقول ابن مسكويه في "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" :"وأما أفعاله وقواه وملكاته التي يختص بها من حيث هو إنسان وبها تتم إنسانيته وفضائله فهي الأمور الإرادية التي تتعلق بها قوة الفكر والتمييز"(ابن مسكويه: 9) "والإنسان من بين سائر الموجودات له فعل خاص لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية، فكل من كان تمييزه أصح ورويته أصدق واختياره أفضل كان أكمل في إنسانيته" (ابن مسكويه: 10).

2-4 الانفتاح العقلي

ها نحن أولاء قد بينا أهمية جهر الفلاسفة بالدعوة إلى بحث الفضائل المعرفية والاستعانة بها في التعليم، ونريد أن نقف بشيء من التفصيل عند نموذج لها، وهو الانفتاح العقلي، والشيء المحقق أن

الانفتاح العقلي فضيلة شخصية عقلية وصفة مثيرة للإعجاب ومميزة للعقل البشري، وهو فضيلة تساعد في تخفيف قبضة رغبتنا القوية في أن نكون على حق، وتتطلب العقلية المنفتحة قدرة معرفية لجعل وجهات النظر الجديدة مفهومة للذات، فالانفتاح العقلي فضيلة تتضمن الدافع لتحسين الاتصال المعرفي للفرد مع الواقع، ويرتبط بصفات إيجابية أخرى مثل الفضول والإنصاف والتَفَكُّر، والشخص المنفتح العقل طُلعة دائما، سائلا دائما، يسعى إلى الحقيقة في المسائل التي يبحثها، ولما كان مترويا في بحثه، فإنه لا يقفز إلى النتائج، بل يفكر في البدائل تفكيرا يقوم على التأني والقصد والاعتدال، ويمنح الآراء المعارضة ما تستحقه من عناية، ويتعامل معها تعاملا منفتحا وعادلا، وترى الشخص المنفتح العقل في سعيه إلى تعلم أشياء جديدة مستعدا للتخلي عن الاعتقادات المألوفة والمحببة إليه عندما تظهر له اعتقادات أفضل منها.

وفي محاولة فهم الانفتاح العقلي سأطرح جملة من الأسئلة وأحاول الإجابة عنها على النحو التالي:

1- ما تعريف الانفتاح العقلي؟
2- هل الانفتاح العقلي ضرورة معرفية؟
3- ما الدوافع المطلوبة لشخص ما ليكون منفتح العقل؟
4- ما السمات المعرفية التي يمتاز بها أصحاب العقول المنفتحة؟

ومن الحق أن الانفتاح العقلي يتصل بالمواقف التي يجد فيها المرء نفسه في صراع فكري، مثل المواقف التي تكشف عن تعارض واضح بين اعتقادات الشخص من جهة، وحجج وأدلة معارضة من جهة أخرى، وفي مثل هذه الحالات يتخلى الشخص عن وجهة نظر معرفية افتراضية معينة أو ينفصل عنها أو يتجاوزها من أجل وجهة نظر أخرى، وهنا نجد أن الشخص المنفتح العقل هو القادر على تخفيف قبضته على اعتقاده بقضية معينة وأخذ قضية بديلة مأخذ الجد.

ولكن بير يرى أن هذا الصراع الفكري ليس مطلوبا. ويدعونا إلى النظر إلى قاضٍ يستعد لسماع الحجج في محكمة (Baehr, 2011: 143). يبدو من المعقول القول إن القاضي يجب أن يكون منفتح العقل في سماع كلا الجانبين، على الرغم من حقيقة أن القاضي يفترض أنه ليس لديه اعتقاد حالي بشأن القضية بطريقة أو بأخرى. وهكذا يمكن أن يكون الانفتاح العقلي قابلا للإسناد في الحالات التي لا يوجد فيها التزام اعتقادي حالي، ومن ثم لا يوجد صراع اعتقادي. ومع ذلك، لا يزال التقييم العقلاني يحدث في هذا المثال، فالقاضي يقيم ويحكم، يقيم الوضعين ويميز بينهما.

ويزعم بير أيضا أن الانفتاح العقلي يمكن نسبته إلى شخص لا يشارك في تقييم عقلاني (Baehr, 2011: 145–46)، تخيل معلمة فيزياء بالمدرسة الثانوية على وشك تعريف طلابها بنظرية النسبية الخاصة عند أينشتين، وتركز على إعدادهم بتهيئتهم للاستماع والتعامل مع الموضوع "بعقول متفتحة"،

يزعم بير أن هذا السيناريو لا يتضمن أي تقييم عقلاني على الإطلاق، حيث يحاول الطلاب ببساطة "لف عقولهم" حول مفاهيم جديدة وصعبة، إذا كان هذا استحضارًا مناسبًا للحاجة إلى الانفتاح العقلي، فإن تجسيد الانفتاح العقلي في موقف ما، وفقا لبير، لا يحتاج إلى تقييم عقلاني على الإطلاق.

قبل الانتقال إلى تقديم تعريف للانفتاح العقلي على أساس التوصيف السابق، من المهم أن نضيف ما إذا كانت حالة معينة من "الانفصال" المعرفي أو "التجاوز" تعد مثالا على الانفتاح يعتمد جزئيًا على الدافع المباشر وراءها.

تخيل شخصًا ينحى جانبًا أحد اعتقاداته من أجل تقييم حجة ضد هذا الاعتقاد، ولكن ليس لديه نية حقيقية لإجراء تقييم صادق أو عادل لهذه الحجة (إنه يريد فقط لفت انتباه محاوره، مثلا)، وحدسيًا، هذا الشخص ليس منفتحًا حقًا؛ والسبب هو أنه غير ملتزم بأخذ الحجة المعارضة مأخذ الجد Baehr, (2011: 151; Riggs, 2019: 143).

والآن دعنا ننتقل إلى وصف بير الرسمي للانفتاح العقلي بوصفه فضيلة عقلية:

(الانفتاح العقلي): أخص ما يمتاز به الشخص المنفتح العقل هو أن يكون (أ) مستعدًا وقادرًا (ضمن حدود) على (ب) تجاوز وجهة نظر معرفية افتراضية (ج) من أجل تبنى مزايا (د) وجهة نظر معرفية مميزة أو أخذها مأخذ الجد (Baehr, 2011: 266).

هل الانفتاح العقلي ضرورة معرفية؟ الجواب نعم، وسر ذلك أنه ليس ترفا ولا متاعا، وإنما اتساع الأفق كله ضرورة من ضرورات الفكر والحياة العقلية السليمة والصالحة، ويعد الانفتاح العقلي مكونا أساسيا في نزعة إمكان الخطأ fallibilism، وخلاصتها أن اعتقاداتنا حول العالم ربما يتبين في نهاية الأمر أنها خاطئة، وأنه ليس من الضروري أن تكون اعتقاداتنا يقينية، ويعود هذا المذهب إلى الفيلسوف الأمريكي تشالرز ساندرس بيرس، وأيده آخرون مثل بوبر وكواين. وتأتي نزعة إمكان الخطأ وسطا بين النزعة الشكية من جهة، التي يقر أنصارها أن الكائنات البشرية لا يمكن أن تعرف شيئا بيقين، والنزعة الدوجماطيقية (التوكيدية) من جهة أخرى، التي يتمسك أصحابها بمعارف من دون نقد أو تثبت.

يحاول القائل بإمكان الخطأ إثبات أن الشاك ينبذ قدرًا أكبر مما ينبغى عن طريق رفض كل الاعتقادات التى لا نكون على يقين منها بصورة مطلقة، زد على ذلك أنه عندما يفعل هكذا يعوق نمو المعرفة، وبكونه بوابًا صارمًا هكذا، يكسر الشاك ما سماه بيرس القاعدة الوحيدة للعقل: "لا تعترض طريق البحث" Do not block the road of inquiry (Peirce, 1998: 48)، ويمكن أن نخلص من هذا إلى نتيجة تقول إن موقف بيرس الوسط بين الشاك والتوكيدى جعله يوجه جل عنايته إلى نهاية البحث، وجعله يتجاوز التطرف المسرف فى موقف الشاك، والبداية المتكلفة عند التوكيدى، (إسماعيل 2019: 104) والباحث المنفتح العقل لا يكون مسرفا في إنكار إمكانية المعرفة مثلما يفعل الشكاك، ولا يكون

متزمتا ومنغلقا فيعوق طريق المعرفة مثلما يفعل المتزمت، وهكذا يكون اكتساب العقل المنفتح هدفًا أساسيًا لمن يريد أن يكون متعلمًا ماهرًا.

بعد تعريف الانفتاح العقلي، وبيان ضرورته المعرفية، ننظر في السؤال الثالث: ما الدوافع المطلوبة لشخص ما ليكون منفتح العقل؟ عندما قررنا التعامل مع الانفتاح العقلي على أنه فضيلة مسؤولة، فقد أجبنا على هذا السؤال بالإيجاب، كما تشرح باتالي، "تبدأ نزعة مسؤلية الفضيلة بالحدس القائل بأن ما يجعل الفاعل مفكرًا ممتازًا هو السمات الفاعلة (الإيجابية) لفاعليته: الأفعال، والدوافع، والعادات التي لديه بعض السيطرة عليها التي يكون مسؤلا عنها (إلى حد ما)" (Battaly, 2008: 648). يصر أنصار مسؤولية الفضيلة على أنه، من بين متطلبات امتلاك الفضيلة، والتصرف من الفضيلة في حالة معينة، هو أنه يجب على المرء أن يتصرف للأسباب الصحيحة، أو بالدافع الصحيح، ويؤيد أنصار مسؤولية الفضيلة النموذجية مثل مونتماركيه وزاجزيبسكي وبير هذا المطلب.

ويرى هؤلاء أن الدافع المناسب المطلوب لجميع الفضائل العقلية هو شيء مثل حب الحقيقة أو المعرفة أو غيرها من الخيرات المعرفية أو الرغبة فيها، وتعبر زاجزيبسكي عن هذا بطريقة خاصة:

> إن أبسط طريقة لوصف الأساس التحفيزي للفضائل العقلية هي أن نقول إنها تستند جميعها إلى الدافع . . . للحصول على اتصال معرفي بالواقع، حيث يتضمن ذلك أكثر مما يتم التعبير عنه عادة بالقول إن الناس يرغبون في الحقيقة. (Zagzebski, 1996: 167)

يتفق الفلاسفة المذكورين أعلاه على أن امتلاك أي من الفضائل العقلية يتطلب أن يكون لديك دافع مميز بالطريقة الصحيحة، هذا يأتي من مفهومهم العام للفضائل العقلية، ولكن هل هناك أسباب للاعتقاد بأن الانفتاح على وجه الخصوص يتطلب دافعًا محددًا؟

يعتقد بير أنه من البديهي أن يفعل ذلك، وهو يدعي أن الشخص الذي يتخلى عن معتقداته الخاصة من أجل تقييم بعض البدائل، لكنه يفعل ذلك دون نية إجراء تقييم عادل (أي أخذ البديل على محمل الجد)، ليس منفتح العقل، "هذا يكشف أن دافعًا فوريًا معينًا يشكل جزئيًا الانفتاح العقلي" (Baehr, 2011: 151–152). ومع ذلك، فإن حاشيته على هذا البيان مفيدة:

> لاحظ أن الاهتمام الحالي يختلف عن الاهتمام بالدافع النهائي لشخص منفتح العقل للانخراط في نشاط منفتح العقل، والشخص الذي يتجاهل معتقداته باستمرار في محاولة لتقديم استماع عادل وصادق إلى "الجانب الآخر"، ولكنه يفعل ذلك لأسباب غير معرفية تمامًا (على سبيل المثال لتحسين سمعته)، قد يكون منفتح العقل، حتى لو ليس كذلك بحكمة. (Baehr, 2011: 152, fn. 14)

يعتقد بير، إذن، أنه يمكن للمرء أن يَظهر سمة الانفتاح في امتلاك الدافع المباشر لإعطاء جلسة استماع عادلة، ومع ذلك يفشل في أن يكون منفتح العقل لأن المرء يفتقر إلى الدافع الأعمق والأخير لحب الحقيقة.

هناك بيت من الشعر الأغريقي يقول: "يعرف الثعلب أشياء كثيرة، ولكن القنفذ يعرف شيئا واحدا كبيرا"، ولما كان أصحاب العقول المنفتحة يجوبون في فجاج الفكر لاستكشاف كل ما هو جديد، جاز أن نشبههم بالثعالب التي تجوب في فجاج الأرض.

ويتميّز الأشخاص الذين يمتلكون عقلاً منفتحًا بالسمات الآتية:

1- يمتلكون فضولاً لمعرفة أشياء كثيرة ومنوعة.
2- أصحاب همم عازمة تصرفهم عن الخمول والاسترخاء.
3- قادرون على وضع أفكارهم موضع التحدّي.
4- لا يجدون في أنفسهم حرجا عندما يكتشفون أنّهم مخطئون.
5- يتعاطفون مع الآخرين، ويخصصون من وقتهم جزءًا للتفكير فيما يدور في رأسهم.
6- متواضعون فيما يتعلّق بمعارفهم وخبراتهم.
7- يحبون سماع ما يود الآخرون قوله، ويتقبلون تجاربهم.
8- يؤمنون بأنّ الآخرين يملكون الحق لمشاركة معتقداتهم وأفكارهم.
9- لا ينحازون إلى آرائهم السابقة والمألوفة.
10- يميلون دائما إلى نقد الأفكار قبل قبولها أو رفضها.

3-4 الرذائل العقلية

إذا كانت الفضائل العقلية سمات شخصية أو أساليب تفكير أو مواقف تساعدنا في اكتساب المعرفة وتجعلنا أكثر فاعلية في البحث عن الحقيقة، فإن هناك، على النقيض، سمات شخصية أو أساليب تفكير أو مواقف تميل إلى اعاقة البحث وتجعلنا أقل فاعلية في تحصيل المعرفة، وهذه هي الرذائل العقلية، وإذا عرفت فضائل العقل، فقد عرفت رذائله، وإن شئت أن تضع ذلك بعبارة أخرى، فقل إذا عرفت الأفضل، فقد عرفت الأرذل، "والضد يظهر حسنه الضد" على حد تعبير دوقلة المنبجي.

ومن الرذائل العقلية الجهل، والتزمت الفكري، والانغلاق العقلي، والتحيز (الهوى)، والكبرياء الفكري، والتهاون، والكسل، والجبن، والسذاجة، والتفكير بالتمني، وعدم الإحساس بالتفاصيل، والبلادة، وعدم الدقة، والغفلة، والإهمال، والعُجْب، وَهَلُمّ جَرّاً".

خذ الجهل مثلا، تجد أنه يدل، من بين ما يدل، على النزعة الدوجماطيقية أي التوكيد والتزمت والتسليم بالأمور من دون تمحيص، وهذا واضح في بعض آيات القرآن الكريم ﴿ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ

ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﴿ (الأنعام:111)، ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ

ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﴿ (الأعراف: 138)، ﴿ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﴿

(الأعراف: 198–199) ﴿ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﴿ (الأحقاف: 23)

أشار فلاسفة إبستمولوجيا الفضيلة إشارات خاطفة إلى بعض الرذائل، وكان اهتمامهم بفضائل العقل أكثر من اهتمامهم برذائله، وفي الوقت الحالي تجد من يؤكد على أن فلاسفة المعرفة يجب أن ينتبهوا أكثر إلى الرذائل العقلية عندما يتعلق الأمر بالمأزق المعرفي للبشر (Cassam, 2016: 159) وأصبحت إبستمولوجيا الرذيلة هي الدراسة الفلسفية لطبيعة الرذائل العقلية، وهويتها، وخطورتها المعرفية.

وفضائل العقل ليست غاية يقصد إليها الفلاسفة وعلماء التربية، وإنما هي وسيلة إلى أغراض أرقى منها وأبقى وهي الإنسان الممتاز الخير الصالح النافع، فنحن لا نقف من هذه الفضائل موقف المعجبين بها المطمئنين إليها، وإنما نأخذها وسيلة إلى الكمال المعرفي، وسبب من أسباب الرقي الفكري والازدهار الحضاري، ومن أراد الغاية فقد أراد الوسيلة، فالانفتاح العقلي ليس غاية في حد ذاته، والصواب أنه وسيلة إلى تطوير رؤية للعالم أكثر دقة وثراءً وعمقاً، "مجرد وجود عقل منفتح لا يعد شيئًا، فالهدف من فتح العقل، شأنه في ذلك شأن فتح الفم، هو إغلاقه مرة أخرى على شيء صحيح وخير"، فنحن في حاجة إلى تعليم جاد يثمر علما دقيقا وتكنولوجيا متقدمة، ويكون التفوق الحق بين طلابنا سمة عامة لا حالات فردية. ولابد من أن نهيء شبابنا لهذا الامتياز العقلي على النحو الذي تهيء به الأمم المتقدمة شبابها لهذا الامتياز.

وعلى حين تتصل بعض فروع الإبستمولوجيا بالعقول وملكاتها فقط مثل الإبستمولوجيا العلمية أو الطبيعية التي عاب عليها النقاد بسبب إهمالها للجانب المعياري في المعرفة، فإن إبستمولوجيا الفضيلة تتصل بالعقول والقلوب والأذواق جميعا، ذلك بأنها تعمل على تثقيف العقول، وتذكية القلوب، وتهذيب الأخلاق. ومن المحقق أن في القرآن الكريم ما يحقق هذه الفضائل المعرفية، ومن الحق علينا أن نجتهد في استقصاء هذه الفضائل واستنباطها من آيات القرآن، وأن ننظمها في نسق معرفي إسلامي يمكن أن نسميه "إبستمولوجيا الفضيلة في القرآن".

المراجع

إسماعيل، صلاح، الإبستمولوجيا الطبيعية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، الرسالة 183، الحولية الثانية والعشرون، 2002.

إسماعيل، صلاح، البراجماتية الجديدة: فلسفة ريتشارد رورتي، الطبعة الثالثة، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2019.

إسماعيل، صلاح، "مفهوم المعرفة فى الفلسفة المعاصرة"، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد 58، عدد 4، أكتوبر 1998، 101–158.

إسماعيل، صلاح، "نظريات التسويغ المعرفي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 69، 2000، 110–151.

إسماعيل، صلاح، نظرية المعرفة المعاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع، 2005؛ الطبعة الثانية، القاهرة: دار قباء الحديثة، 2007.

إسماعيل، صلاح، نظرية المعرفة: مقدمة معاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2020.

ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، الطبعة الأولي، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية، 1329 ه.

Baehr, Jason (2006) "Character, Reliability and Virtue Epistemology,"The Philosophical Quarterly, 56 (223): 193–212. doi:10.1111/j.1467–9213.2006.00437.x

Baehr, Jason (2011) The Inquiring Mind: On Intellectual Virtues and Virtue Epistemology, Oxford: Oxford University Press.

Baehr, Jason (ed.) (2016) Intellectual Virtues and Eduction: Essays in Applied Virtue Epistemology, New York and London: Routledge.

Baehr, Jason (ed.) (2016) Intellectual Virtues and Education: Essays in Applied Virtue Epistemology, New York and London: Routledge.

Baehr, Jason 2016. "Introduction: Applying Virtue Epistemology to Education," in Baehr, Jason (ed.) 2016, 1–15.

Bahr, Amrei and Markus Seidel (eds.) (2016) Ernest Sosa:Targeting His Philosophy, Switzerland: Springer.

Battaly, H. (2006) 'Teaching Intellectual Virtues', Teaching Philosophy. 29(3), pp. 191–222.

Battaly, Heather (2008) "Virtue Epistemology," Philosophy Compass, 3(4): 639–663. doi:10.1111/j.1747–9991.2008.00146.x

Battaly, Heather (ed.) (2019a) The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, Introduction, 1–11.

Battaly, Heather (2019b) "A Third Kind of Intellectual Virtue: Personalism," in Heather Battaly, ed. The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, 115–126.

Battaly, Heather (2019c) "Intellectual Virtue and Knowledge," in Stephen Hetherington and Markos Valaris, eds. The Philosophy of Knowledge: A History, Volume IV, Knowledge in Contemporary Philosophy, London, New York: Bloomsbury, 269–287.

Bonjour, Laurence (1985) The Structure of Empirical Knowledge, Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

Cassam, Quassim 2016. "Vice Epistemology," The Monist, 99, 159–180.

Church, Ian M. and Peter L. Samuelson 2017. Intellectual Humility: An Introduction to the Philosophy and Science, London and New York: Bloomsbury Academic.

Descartes, R. 2006. A Discourse on the Method of Correctly Conducting One's Reason and Seeking Truth in the Sciences, I. Maclean (trans). Oxford: Oxford University Press.

Dougherty, Trent (2019) "There Are No Epistemic Virtues," in Heather Battaly, ed., The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York: Routledge, 127–137.

Gettier, Edmund L. (1963) 1968. "Is Justified True Belief knowledge?," in Phillips A. Griffiths (ed.), Knowledge and Belief, London: Oxford University Press, 144–146.

Chisholm, Roderick (1989) Theory of Knowledge, 3d ed., Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice Hall, Inc.

Goldman, Alvin (1992) Liaisons: Philosophy Meets the Cognitive and Social Sciences, Cambridge, MA: MIT Press.

Goldman, Alvin (2004) "Sosa on Reflective Knowledge and Virtue Perspectivism," in John Greco, ed., Ernest Sosa and His Critics, 86–95.

Greco, John (2000) "Two Kinds of Intellectual Virtue," Philosophy and Phenomenological Research 60 (1): 179–184.

Greco, John (2002) "Virtues in Epistemology," in Paul K. Moser, ed., The Oxford Handbook of Epistemology, New York: Oxford University Press, 287–315.

Greco, John (2003) "Knowledge as Credit for True Belief," in Michael DePaul & Linda Zagzebski, eds., Intellectual Virtue: Perspectives From Ethics and Epistemology, Oxford: Clarendon Press, 111–134.

Greco, John (ed.) (2004) Ernest Sosa and His Critics, Malden, MA: Blackwell.

Greco, John (2005) "Sosa, Ernest (1940–)," in John. R. Shook, (Grneral editor). The Dictionary of Modern American Philosophers, Vol. 4, Bristol: Thoemmes, 2287–2291.

Greco, John (2010) "Virtue Epistemology," in Jonathan Dancy, Ernest Sosa, and Matthias Steup, eds., A Companion to Epistemology, 2nd ed., West Sussex: Wiley–Blackwell, 75–82.

Greco, John (2012) "A (different) virtue epistemology," Philosophy and Phenomenological Research 85: 1–26.

Greco, John (2013) "Reflective Knowledge and the Pyrrhonian Problematic," in John Turri, ed., Virtuous Thoughts: The Philosophy of Ernest Sosa, 179–191.

Greco, John (2014) "Episteme: Knowledge and Understanding," in Kevin Timpe and Craig A. Boyd, eds. Virtues and Their Vices, Oxford: Oxford University Press, 285–301.

Greco, John and Jonathan Reibsamen, 2018. "Reliabilist Virtue Epistemology," in N. Snow (ed.) Oxford Handbook of Virtue, New York: Oxford University Press, 726–746.

Kawall, J. (2010) "The Epistemic Demands of Environmental Virtue," Journal of Agricultural and Environmental Ethics 23(1–2): 109–128.

Kelp, Christoph (2011) "In Defence of Virtue Epistemology," Synthese 179 (3) : 409–433.

Kelp, Christoph (2020a) "The Epistemology of Ernest Sosa: An Introduction," Synthese, Vol. 197, issue 12, December, 5093 – 5100.

Kelp, Christoph (2020b) "Introduction: Virtue Theoretic Epistemology," in Christoph Kelp and John Greco, eds., Virtue Theoretic Epistemology: New Methods and Approaches, Cambridge, New York: Cambridge University Press, 1–14.

Lackey, Jennifer (2007) "Why We Don't Deserve Credit for Everything We Know," Synthese 158 (3): 345–361.

Locke, J. 1979. An Essay Concerning Human Understanding, Peter Nidditch (ed.). Oxford: Oxford University Press.

Marcum, J. (2009) "The Epistemically Virtuous Clinician," Theoretical Medicine and Bioethics 30: 249–265.

Montmarquet, James (2019) "Do Epistemic Virtues Require a Motivation for Truth?," in Heather Battaly, ed., The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, 37–46.

Peirce, C. S. (1998) The Essential Peirce: Selected Philosophical Writings, 2 vols. ed. Peirce Edition Project, Bloomington: Indiana University Press.

Pritchard, Duncan (2009) "Apt Performance and Epistemic Value," Philosophical Studies 143: 407–416.

Quine, W.V. (1969) Ontological Relativity and Other Essays, New York and London: Columbia University Press.

Riggs, Wayne (2019) "Open–Mindedness," in Battaly, Heather (ed.) The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, 141–154.

Roberts, Robert C. and W. Jay Wood (2007) Intellectual Virtues: An Essay in Regulative Rpistemology, Oxford: Clarendon Press.

Slote, Michael (2019) "Sentimentalist Virtue Epistemology: Beyond Responsibilism and Reliabilism," in Heather Battaly, ed., The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, 105–114.

Sosa, Ernest (1980) "The Raft and the Pyramid: Coherence versus Foundations in the Theory of Knowledge," Midwest Studies in Philosophy V: 3–25.

Sosa, Ernest (1991) Knowledge in Perspective, Cambridge: Cambridge University Press.

Sosa, Ernest (1995) "Perspectives in Virtue Epistemology: A Response to Dancy and Bonjour," Philosophical Studies,78 (3): 221–235.

Sosa, Ernest (1999) "Skepticism and the Internal/External Divide," in John Greco and Ernest Sosa, eds., Blackwell Guide to Epistemology, Malden, MA: Blackwell, 145–157.

Sosa, Ernest (2007) A Virtue Epistemology: Apt Belief and Reflective Knowledge. Oxford: Oxford University Press.

Sosa, Ernest (2009) "Replies to Brown, Pritchard, and Conee, A Virtue Epistemology by Ernest Sosa," Philosophical Studies, 143 (3: 427–440.

Sosa, Ernest (2010) "Ernest Sosa," in Jonathan Dancy, Ernest Sosa & Matthias Steup, eds., A Companion to Epistemology, 185–190.

Sosa, Ernest (2015) Judgment and Agency, Oxford: Oxford University Press.

Sosa, Ernest (2016) "Knowledge in Action," in Amrei Bahr and Markus Seidel, eds., Ernest Sosa: Targeting His Philosophy, 1–13.

Sosa, Ernest (2017a) Epistemology, Princeton and Oxford: Princeton University Press.

Sosa, Ernest (2017b) "Replies to Comments on Judgment and Agency," Philosophical Studies, 174 (10): 2599 – 2611.

Sosa, Ernest (2019) "Telic Virtue Epistemology," in Heather Battaly, ed., The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, 15–25.

Sosa, Ernest and Laura Frances Callahan (2021) "Skill and knowledge," in Ellen Fridland & Carlotta Pavese, eds., The Routledge Handbook of Skill and Expertise, London: Routledge, 146–156.

Sosa, Ernest (2021) Epistemic Explanations: A Theory of Telic Normativity, and What It Explains, Oxford: Oxford University Press.

Turri, John (ed.) (2013) Virtuous Thoughts: The Philosophy of Ernest Sosa, Switzerland: Springer.

Turri, J., M. Alfano, and J. Greco. (2017) "Virtue Epistemology," Stanford Encyclopedia of Philosophy, https://plato.stanford.edu/entries/epistemology-virtue.

Zagzebsky, Linda (1998) Virtues of the Mind: An Inquiry into the Nature of Virtue and the Ethical Foundations of Knowledge, New York: Cambridge University Press.

Zagzebsky, Linda (1998) "Virtue Epistemology," in Edward Craig, ed., Routledge Encyclopedia of Philosophy, London: Routledge, 617–621.

Zagzebsky, Linda (2000) "From Reliabilism to Virtue Epistemology," in Guy Axtell, ed., Knowledge, Belief and Character: Readings in Virtue Epistemology, Lanham: Rowman and Littlefield, 113–122.

Zagzebski, Linda (2009) On Epistemology, Belmont, CA: Wadsworth.

Zagzebsky, Linda (2014) "Knowledge and the Motive for Truth," in Mathias Steup, John Turri, and Ernest Sosa, eds., Contemporary Debates in Epistemology, Malden: Wiley Blackwell, 140–145.

Zagzebski, Linda (2019) "Intellectual Virtues: Admirable Traits of Character," in Heather Battaly, ed., The Routledge Handbook of Virtue Epistemology, New York and London: Routledge, 26–36.

Zagzebski, Linda (2020) Epistemic Values: Collected Papers in Epistemology, Oxford: Oxford University Press.

دور التعليم في سبيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة
أنموذجاً: مواد الاجتماعيات (الجغرافيا والتاريخ)

د. منى يونس
د. آسيا المهتار
كلية التربية، الجامعة اللبنانية، لبنان

المقدمة:

يعتبر الانسان محور عملية التنمية المستدامة، التي تتضمن تنمية بشرية قائمة على تحسين مستوى التعليم والثقافة والرعاية الصحية والرفاه الاجتماعي. وقد أشار تقرير اللجنة العالميّة للتنمية والبيئة "برونتلاند" إلى أن "التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر من دون النيل من قدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها". (مجلة الدفاع الوطني اللبناني، 2011، العدد78، بحث التنمية المستدامة وابعادها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية)

اما التعليم فهو عملية اكساب الفرد المعارف والمعلومات والمهارات المتنوعة بهدف احداث تغييرٍ في السّلوك والمواقف والقيم. إضافةً الى توفير فرص عمل، وتحويل الانسان الى كائن منتج في المجتمع ، مع العلم أنّ التّعليم يُساهم في تطوير هذا الكائن، كما أنّه يؤدي دورًا مهمًّا في سير عملية التنمية المستدامة، ويحرّر الفرد من العبوديّة والجهل والفقر.(ابن منظور، 1972، لسان العرب، دار صادرة بيروت، لبنان.)

تهدف مواد الاجتماعيات عامةً إلى تنشئة المتعلم تنشئة اجتماعية عبر كفايات، ومهارات تلائمه وتساير قدراته العقلية والوجدانية وتتناسب مع التطور التكنولوجي المعاصر، وتحفز فضوله المعرفي في عملية البحث و التقصي والتوثيق. هذا كله لتطوير عملية التنمية، وإعطاء مادتي التاريخ والجغرافيا الحيز الذي تستحقه لتصبح نشاطاً يعزز مشاريع التنمية المستدامة وأهدافها.

في لبنان، وبعدما تفاقمت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية ظهر واضحاً انّ الهمّ الاجتماعي بات مسؤولية الجميع، ما فيهم قطاع التربية والتعليم، سواء في المؤسسات التعليميّة العامة (أي الرسمي) او الخاصة، تحت راية المسؤولية الاجتماعية للمساهمة في تحقيق أهداف الأمم المتحدة الـ17 للتنمية المستدامة حتى العام2030 . فأين التعليم في لبنان من هذه الأهداف؟

أكدت الهيكليّة التعليميّة في لبنان منذ تجديد المنهج سنة 1997 على انه "*لا يقتصر عمل التلامذة في المدرسة على متابعة الدروس والأنشطة داخل الصف إنما يمكن أن يقوموا بمهام معينة مرتبطة بالدروس*

والأنشطة وذلك بطريقة عملية توجه التصرفات عند المتعلم وتساعد على تمثل الأنماط السلوكية المطلوبة، التي يتوافق العديد منها مع مبادئ التنمية المستدامة منها المساواة الاجتماعية، واحترام البيئة والحفاظ على الفعالية الاقتصادية" (منشورات المركز التربوي للبحوث والانماء، 1997، امال وهيبة) .

انطلاقًا من ذلك أصبحت التنمية الاجتماعيّة التي تعد اساسيّة في عملية التنمية المستدامة أولوية لتطور الدول، لا سيما رفع المستوى التعليمي لأعلى درجاته، وهذا هو جوهر بحثنا " **دور التعليم في سبيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة**" إذن تسعى المناهج في لبنان الى تحقيق هدفين رئيسيين هما :

1- بناء شخصية الفرد بحيث "تراعى في تكوينه الشخصية القادرة على تحقيق الذات وتحمل المسؤولية والالتزام الاخلاقي والتعامل مع الاخرين بروح المواطنية المسؤولة والمشاركة الانسانية" (المرجع نفسه، ص:40) وذلك من خلال تنمية كافة جوانب الشخصية الانسانية (المعرفية، المهاراتية /الحركية، والعاطفية).

2- الانفتاح على المجتمع وذلك لجهة "المشاركة في العمل الاجتماعي والسياسي ضمن اطار النظام اللبناني الديموقراطي البرلماني، وهذا حق للمواطن وواجب عليه تجاه مجتمعه ووطنه" (المركز التربوي،م.س.، ص:3).

اما أهمية هذا البحث فهي تتجلى في :

1- إظهار رأي المعلمين والمعلمات في مادتي الجغرافيا والتاريخ، بمدى ملاءمة الأهداف و الاستراتيجيات والنشاطات التربوية والمنهج بشكل عام لتحقيق اهداف التنمية المستدامة.

2- تبني استراتيجيات قادرة على تفعيل التعليم في سبيل تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

أولاً- منهجية البحث :

I. أهداف البحث : تهدف هذه الدراسة الى :

1- ايضاح أهمية تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا في المنهج اللبناني بهدف تحقيق التنمية البشرية.

2- اقتراح آراء لتعزيز اكتساب اهداف التنمية المستدامة وتفعيل المواطنية عند التلاميذ اللبنانيين في صفوف الحلقة الثالثة (سابع،ثامن وتاسع الاساسي) بهدف صناعة التغيير لبناء مستقبلٍ أفضل.

II. الإشكالية:

تعرض العالم اجمع في الفترة الاخيرة الى ازمات عديدة على الصعيد الاقتصاديّ، الماليّ، الصحي والغذائيّ والتعليميّ...، واصبحت التنمية المستدامة هدفًا اساسيًا، ينبغي ايجاد الحلول الممكنة لها عن طريق التربية، اذ يعتبر التعليم الحجر الرئيسيّ في هرم التنمية .

كيف يسهم تعليم مواد الاجتماعيات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في الحلقة الثالثة من التعليم الاساسي؟

هل جميع مدارس لبنان تهتم في اكساب المتعلم لأهداف التنمية المستدامة في الحلقة الثالثة ؟

هل تساعد مناهج التاريخ والجغرافيا اللبنانية في تعزيز مفهوم المواطنة عند التلاميذ اللبنانيين؟

ما الصعوبات التي تعترض تحقيق اهداف التنمية المستدامة في منهاج التاريخ والجغرافيا في الحلقة الثالثة؟

III. الفرضيات:

بناء على الأسئلة التي تضمنتها الإشكالية، وضعت الفرضيات التالية :

1- مفهوم المواطنة محدود في مناهج التاريخ والجغرافيا في لبنان في الحلقة الثالثة .

2- مفهوم التنمية المستدامة غير واضح عند معلمي مادتي التاريخ والجغرافيا في بعض المدارس الخاصة والرسمية في لبنان.

3- يختلف دور المعلم في القطاع الخاص عنه في القطاع الرسمي من حيث إيلاء اهداف التنمية المستدامة الأهمية التي تستحقها.

IV. أدوات البحث ومراحله ومنهجه:

تم جمع المعلومات عن طريق استمارة رأي عبر google drive تم التأكد من صدقها وثباتها وعرضها على مختصين من الزملاء وتعديل اسئلتها وفق ملاحظاتهم، ثم توزيعها على عينة صغيرة من الأساتذة قبل استهداف العينة الكبيرة. من حيث الفئة المستهدفة من هذه الدراسة فهي معلمو الحلقة الثالثة ومعلماتها (سابع، ثامن وتاسع الاساسي) في المدارس اللبنانية الرسمية والخاصة .

كما سيتم توزيع الاستمارة على المعلمين والمعلمات ويتم انزال النتائج لاحقًا بواسطة رسوم بيانية مختلفة الاشكال من برنامج excel ... وبناء على ما سبق، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في عرض نتائج البحث الميداني في تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا.

ثانياً- القسم النظري :

يشمل هذا القسم تعريفات وتوضيحات لبعض المصطلحات والمفاهيم العلمية التي مرت في البحث، إضافةً الى الدراسات السابقة التي تناولت مواضيع قريبة من موضوعه.

1- مصطلحات البحث:

التنمية المستدامة:

- التنمية: جذرها (ن م و) ونمى أي كثر وزاد وارتفع وعلا وتطوّر. والتنمية هي الزيادة والرفع من مستوى شيء ما، وهي للأرض تحويل عدم انتاجيتها إلى ما هو منتج أو مثمر وزيادته كذلك، وللطبيعة تحويل مواردها غير المستثمرة إلى موارد منتجة من خلال الصناعة أو الزراعة، وفي الاقتصاد هي الزيادة من مردوده أو الدخل الاقتصادي... (معجم المعاني -النسخة الالكترونية/ ابن منظور: لسان العرب، النسخة الالكترونية، موقع الوراق، ص 98، 5963).
- المستدامة: جذرها (د و م) ومنه دام أي استمر ولم ينقطع (ابن منظور: لسان العرب، موقع الوراق، ص 1932). ومستدامة أي دائمة مستمرة غير متوقفة لفترة زمنية محددة أو غير محددة. (معجم المعاني، النسخة الالكترونية / ابن منظور: لسان العرب، موقع الوراق، ص 1936)

التنمية المستدامة وعلاقتها بالتعليم: التنمية المستدامة ترتبط أو تقوم على فكرة اعتراف الفرد بعلاقته المتبادلة ببيئته المحيطة (https://www.unescwa.org/sites/default/files/event/materials/raed.pdf) وهنا تبرز أهمية التعليم لأنه الوسيلة لتحقيق هذا الاعتراف بهذه العلاقة، انطلاقًا من تعريف قطبيها: التنمية والمستدامة، تكون التنمية المستدامة في التعليم عبارة عن عملية تطوير مستمر لا يتوقف للقدرات والكفايات والمهارات كمهارات التواصل مع الآخرين.

التعليم : الجذر (ع ل م) ومنه علِم وعلَم وعلّم وتعلَّم. وعلى اختلاف الأفعال المشتقة من هذا الجذر، فإن المعنى الذي تحمله يرتبط بوصول معرفة أو حقيقة أو خبر إلى المرء (علِمَ)، وبالرسم وترك الأثر ووضع العلامة (علَمَ وعلّم)، وبمعرفة الأمر وإتقانه (تعلّم). (معجم المعاني- الكتاب الالكتروني / لسان العرب: النسخة الالكترونية، موقع الوراق، البحث عن علم) وما هذا الربط إلاّ لكون التعليم – مع التطور الحاصل في الحياة وفي المجتمع وطبيعة الحياة، يتطلب أن تتوسع مروحة هذا المصطلح لتشمل ما هو معروف وما يستجيب لما هو مستجد.

التعلُّم : يربط ابن منظور في لسان العرب نقلاً عن ابن جني بين العلم والغريزة، بمعنى أنّ العلم عندما يتحصّل للفرد يجري عنده مجرى الغريزة، أي الفطرة، فيعمل بما تعلمه من دون تفكير لأنه أصبح جزءًا منه، وكأنه ولد فيه ومعه، وسيستمر معه ما عاش هذا الفرد. المتعلّم إذًا هو من حصل على المعرفة والمهارات والمعلومات وغيرها، وتمكّن من استخدامها والاستفادة منها في ما بعد.

المواطنية : الجذر (وطن)، والوطن استنادًا إلى لسان العرب (النسخة الالكترونية، موقع الوراق، البحث عن وطن) هو المنزل – والمنزل هو المكان الذي ننزل فيه – الذي نقيم فيه، ويقال وطن في المقام أي أقام

فيه، والمَوَاطِن هي كل مكان أقام فيه الإنسان. أمّا المواطنة، وهي لفظ مشتق من واطن، فترتبط بالشعب مبتعدة عن القبيلة التي كانت رابطة توحّد الجماعة قديمًا، لتشمل جميع المواطنين المرتبطين بالدولة جمعًا روحيًا وماديًا، والذين يدينون بالولاء لهذه الدولة وأنظمتها وقوانينها. وعليه، تكون المواطنية هي هذا العلاقة التي تربط الفرد بالدولة وتجعله جزءًا منها، ينتمي إليها، ويخلص الولاء لها، ويعمل على تقدمها، يخضع لقوانينها، في توازن بين الحقوق والواجبات، ومشترك يحفظ حق الجماعة ومنعة الدولة وسيادتها.

البيئة : ادلّت على مجموع العناصر الطبيعية أو الفكرية أو المادية أو الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها التي تحيط بالفرد، وتؤثر فيه، وتنطبع في فكره وعقله وحتى طرائق تفكيره.

وفي مجال التعليم في القرن الحادي والعشرين، يضاف إلى هذه العناصر التي تحيط بالفرد، العناصر التي أحدثتها العولمة والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الالكترونية والواقع الافتراضي على الانترنت، والتي ألّفت بين كل هذه العناصر وأحالتها بيئة موازية للبيئة التي يولد ويعيش فيها المتعلّم وينشأ، وأحيانًا بيئة أصيلة لا موازية.

صناعة التغيير :

صناعة: من صنع. وصَنَعَ أي عمل الشيء وأنشأه. أمّا الصناعة فهي الحرفة أو الفن الذي يتعلمه المرء حتى يتقنه. (معجم المعاني- النسخة الالكترونية) ،الصناعة إذًا هي عملية إنشاء أو عمل الشيء باليد في مفهومها، وهي تقتضي التعلّم والممارسة لإتقان الإنشاء.

التغيير: الجذر (غ ي ر). التغيير هو الإصلاح من شأن الشيء، أو تبديله أو تحويله من ... إلى... (لسان العرب: موقع الوراق، البحث عن غير). والتغيير أن يصبح الشيء على غير ما كان عليه، أي إنه تبدّل وتحوّل، وللطقس تقلّبه(معجم المعاني- النسخة الالكترونية). وبعطف التغيير كمصطلح على الإطار الذي يتناوله وهو إطار يجمع بين التنمية المستدامة والتعليم والتعلّم والمواطنة، يكون التغيير موضوع البحث بإيجابيات ما سيصنعه من تبديل وتحويل للفرد، المواطن والإنسان، ومن خلفه المجتمع والوطن، تبديلاً وتحويلاً إيجابيًا يمكّن النهضة والتقدّم والرقي بالوعي والفهم والمعرفة وحسن التفكير وتحكيم العقل ومبدأ المحاسبة.

التنمية البشرية (Human Development): يقصد بها "**التنمية** الإنسانية"، يمكن تعريفها على أنه تطوّر الأشخاص واستغلال نقاط القوة لديهم لتحسين مستويات الحياة الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية من حيث تحفيز وتعليم الانسان كيفية استثمار العناصر المتاحة من وقت ومال وجهد وعلاقات لتطبيق نظرية التطور الاجتماعي. (https://hbrarabic.com/ موقع جامعة هارفرد هارفارد بزنس ريفيو- تم الاطلاع في 13-9-2021) بدأ توسيع نطاق اهتمام التنمية البشرية بقطاعات الحياة المختلفة وربطها بالجانب والعامل

النفسي للإنسان ومدى التحفيز والربط بين احتياجات الانسان ورغباته وإمكانياته المتاحة لتحقيق النهضة التي يسعى لها جميع الأشخاص في مختلف القطاعات والميادين الشخصية والمهنية. (مقال "ما هي التنمية البشرية؟" منشور في hdr.undp.org ، تمت مراجعته في 2020/8/31)

2- الدراسات السابقة :

أ- منشورات منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة : التعليم من اجل تحقيق اهداف التنمية المستدامة

نشرت منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة مطبوع حول اهداف " التعليم من اجل تحقيق اهداف التنمية المستدامة" سنة 2017 وذلك ضمن خطة التعليم 2030 ، والهدف منه تشخيص واقع التعلم في العالم ، والحث على التعلم والتعليم لما له من فائدة في تطور المجتمعات وارتقائها وتحقيق فوائد قومية ودولية مهمة . وتوصلت الدراسة الى النتائج التالية:

- إن بناء عالم أكثر استدامة ومعالجة القضايا المتصلة بالاستدامة التي أوردتها أهداف التنمية المستدامة يتطلب من الأفراد الإسهام في إحداث التغيير الضروري لتحقيق الاستدامة. ومن أجل ذلك، يتعين مدّهم بالمعارف والمهارات والقيم والمواقف التي تمكّنهم من الإسهام في التنمية المستدامة.
- يساهم التعليم في تحقيق التنمية المستدامة لانه يساعد الدارسين من اتخاذ قرارات مستنيرة والتصرف على نحو مسؤول لضمان سلامة البيئة والاستدامة الاقتصادية وعدالة المجتمع.
- يقدم المنشور الإرشادات للقارئ بشأن الاستعانة بالتعليم، ولا سيّما التعليم عن بعد، لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.
- يبين هذا المنشور أهداف التعلم كما يورد موضوعات مقترحة وأنشطة تعزز عملية التعلم فيما يتصل بكل واحد من أهداف التنمية المستدامة، كما يوضح عمليات التنفيذ على شتى المستويات بدءاً بتصميم المساقات وصولاً إلى وضع الاستراتيجيات الوطنية.

ج- التنمية المستدامة: دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى

نشرت مجلة المنارة الثقافية ، في مجلد رقم 12، في العدد 1 دراسة حول التنمية المستدامة " دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى " سنة 2006 وذلك من اعداد ماجدة أبو زنط و عثمان غنيم ، وتناولت الدراسة علاقة التنمية المستدامة بالتطور الفكري والثقافي والاجتماعي والبيئي.

وقد توصلت الدراسة إلى أن التنمية المستديمة هي أسلوب حياة، ونمط معيشة، تحكمه أطر أخلاقية إنسانية، إلى جانب أنها نمط تنموي يمتاز بالعقلانية والرشد، ويسعى إلى خلق مجتمع أقل ميلاً للنزعة

المادية من تغيير كثير من المفاهيم الثقافية السائدة التي تقوم على مبدأ الأكثر هو الأفضل في جوانب الحياة المختلفة.

د- تعليم جغرافيا من أجل تنمية مستدامة، قراءة في إعلان لوزيرن :الهدف الرئيسي من هذه الورقة هو إعتبارها فرصة لاستكشاف العلاقة وقراءتها وتوضيحها بين الجغرافيا والتنمية المستدامة وذلك بحسب ما ورد في "إعلان لوزيرن" الصادر بعنوان "إعلان حول تعليم الجغرافيا من أجل تنمية مستدامة" في يوليو 2007 ، والذي أصدرته لجنة التعليم الجغرافي بتفويض من الجمعية الجغرافيّة العالميّة استجابة وتنفيذا لخطة الأمم المتحدة العشرية تحت شعار " تعليم من اجل تنمية مستدامة (2014-2008).

ه -CAPPE(Gilles),DELFORGE(philippe),(2015), Développement durable: 30 situations pour comprendre les enjeux et agir, editions Retz, Paris.

يشدد الكتاب على أهمية دور المعلم في جعل الصف خلية عمل قائم على لعب الادوار وجعل المتعلم يتفاعل خلال الحصة من خلال التفكير بالمشاكل العالمية للبيئة واخذ المبادرة المحلية والقيام بالمشاريع التي من شأنها التأثير الايجابي على البيئة.

و- التعليق على الدراسات السابقة:

افاد الإطلاع على هذه الدراسات تناول بعض جوانب البحث فيما يلي:

- تقارب الأهداف العامة بين مادتي التاريخ والجغرافيا ومدى ملاءمتها لأهداف التنمية المستدامة.
- الاطلاع على آراء المعلمين فيما يخص علاقة التعليم والتعلم بأهداف عملية التنمية المستدامة.
- إحداث تغيرات إيجابية في طرق تدريس الجغرافيا والتاريخ وزيادة فاعليتها في تعميق معالجتها للمواضيع ذات الصلة بالتنمية المستدامة.
- مساعدة راسمي السياسات ومعدّي المناهج الدراسية والمربين على تصميم الاستراتيجيات والمناهج الدراسية والاستراتيجيات التعليمية (مثل التعلم باللعب... وغيرها) التي تروج عمليات التعلم الرامية إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة .

ثالثاً- القسم التحليلي (نتائج تحليل الإستمارة) :

1- **بالنسبة للإستمارة :**

تم توزيع الإستمارات عبر google drive على 100 معلم ومعلمة لمادتي التاريخ والجغرافيا في الحلقة الثالثة من التعليم الأساسي. وقد اجابواعلى الاستبيان، اذ جرى اقتطاع الاسئلة والاجابات وانزالها في جداول ورسوم بيانية، من دون الاسئلة التي تضمن رأيًا او افكارًا اذ تم التطرق اليها بشكل منفرد، فكانت النتائج كما يلي:

الجدول رقم (1) : تدريس مادتي التاريخ والجغرافيا

عدد المواد التي يدرسها الاساتذة	النسبة المئوية (%)
استاذ واحد يدرس المادتين معاً (التاريخ والجغرافيا)	22.3
استاذ يدرس مادة التاريخ	33.3
استاذ يدرس مادة الجغرافيا	44.4
المجموع	100

أ- بعد تحليل الاستبيان عبر excel تبين ان معظم المدارس التي تتبع القطاع الخاص تدرس مواد الاجتماعيات مجتمعة (اي التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والتنشئة المدنية) بينما تكون شهادتها الجامعية متناسبة مع اختصاص واحد فقط ، ما يدل على التوفير المادي عند القيمين على التعليم الخاص.

ب- كما أظهرت الإستمارة تفوق عدد الأساتذة المجيبين على اسئلتها في القطاع الرسمي(82.8%) عليهم في القطاع الخاص حوالي (24.2%)، وذلك يعود الى اهتمام القطاع الرسمي في تدريس هاتين المادتين في كافة الحلقات وليس فقط في الحلقة الثالثة، بينما يقتصر تعليمها في القطاع الخاص مرات كثيرة على الحلقة الثالثة او تبدأ بعض المدارس الخاصة في تدريس مواد الاجتماعيات من الصف الرابع الأساسي.

تكشف المعالجة الاحصائية وجود الفروقات بين اساتذة القطاع الرسمي والقطاع الخاص كما تظهر صحة فرضيتنا حول قلة وضوح مفهوم التنمية المستدامة عند معلمي مادتي التاريخ والجغرافيا في بعض المدارس الخاصة والرسمية في لبنان.

2- **بالنسبة للقسم الثاني من الاستبيان الذي يتساءل عن تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا:**

الجدول رقم (2) : تعليم اهداف مادتي التاريخ والجغرافيا

السؤال	النسبة المئوية (%)	
	نعم	كلا
هل تم الاطلاع على الاهداف التعلميّة في مادة التاريخ ؟	57.1	42.9
هل يتم تعليم الاهداف المهاراتية والوجدانية اثناء عملية التعليم- التعلّم في مادة الجغرافيا؟	80.8	19.2
ما مدى ملاءمة الاهداف التعلميّة الواردة في منهج مادتي التاريخ والجغرافيا مع اهداف التنمية المستدامة؟	55.6	44.4
هل يتم تنفيذ نشاطات صفية او لا صفية في تعليمها؟	71.4	28.6

من حيث **تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا** ، يتبين من خلال إجابات معلمي مادّة التّاريخ (الحلقة الثّالثة) بعض الثغرات خصوصًا فيما يتعلّق بالسّؤال حول الاهداف التعلميّة في مادة التاريخ كما يظهر الجدول (رقم 2) اذ ان (57%) من المعلّمين فقط مطّلعين على أهداف مادّة التّاريخ وهذا يشكل خللا كبيرًا، فكيف يمكن للأستاذ تعليم مادّة معيّنة دون الإطّلاع على أهدافها؟ كذلك لا بدّ من الإشارة إلى أنّ منهج التّاريخ القديم والمعدّل سنة 2001-2010 لم يلحظ أهداف التنمية المستدامة بشكل مباشر لأسباب عديدة أهمها أن مفهوم التنمية المستدامة لم يكن بعد متداولاً ومنتشراً كما هو الحال اليوم.

وعند السؤال عن مدى ملاءمة هذه الاهداف في منهج مادتي التاريخ والجغرافيا مع اهداف التنمية المستدامة، اظهرت الإجابات ان (55.6%) من الاساتذة يدركون ان الاهداف التعلميّة للمادتين المذكورتين تخدم اهداف التنمية المستدامة، ما يدل على اطلاع عدد من الاساتذة على اهداف التنمية المستدامة بينما هناك نسبة لا بأس بها حوالي (44.4%) يعتبرون الاهداف الواردة في المنهج لا تخدم اهداف التنمية المستدامة كما يبين الجدول رقم (2)، ما يدفع الى الاعتقاد بجهلهم لأهداف هذه الاخيرة ومبادئها، بالرغم من ايلاء المركز التربوي أهمية كبيرة للتنمية المستدامة عند تعديله للمنهاج وقد تمت الاشارة الى ذلك من قبل الأستاذ **أمال وهيبه الذي كان مسؤولا سابقًا لمركز الموارد دار المعلمين والمعلمات في جونيه اذ ورد في مقدمة كتيب تعديل المناهج لمواد الاجتماعيات** " من الطبيعي أن تواكب المناهج الدراسية التغُيرات العلمية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الحاصلة على المستوى الوطني وعلى المستويين الإقليمي والعالمي. وقد اصطلح على تسمية ما يتم إدخاله إلى

المناهج من معارف وقيم ومهارات اجرائية في مختلف الميادين العلمية والثقافية والاجتماعية بالتجديدات التربوية منها: الجندرة أو المساواة بين الجنسين وحقوق الإنسان وثقافة القانون الإنساني وحل النزاعات وحماية البيئة والتنمية المستدامة وغيرها. إنّ طرح إدخال هذه التجديدات في المناهج الدراسية تنجم عنه مشاكل عدة منها تحويل المناهج إلى مواد موسوعية، وعدم إيجاد الوقت اللازم لذلك، إعداد المعلمين لتدريسها، إنتاج الأدوات التربوية اللازمة... وكان لا بد من إدخال هذه التجديدات في المناهج من جهة وعدم المس بتنظيم البرنامج الدراسي والملاءمة مع أعمار التلامذة وتنامي المعرفة الأكاديمية المطلوبة من جهة ثانية."

اما من حيث السؤال الذي تناول تنفيذ الأنشطة في تعليم هاتين المادتين فقد جاءت النتائج كما يظهرها الجدول رقم (2) ان حوالي 71.4% من الاساتذة ينفذون نشاطات صفية او لاصفية في تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا مثل قراءة الخرائط، تحليل النصوص التاريخية، قراءة الخط الزمني وتحليل المستندات وزيارات ميدانية على مختلف انواعها اضافةً الى الابحاث التي يتم من خلالها اقتراح افكار وحلول تساهم في المحافظة على الموارد البيئية الطبيعية والبشرية الاقتصادية واللاصفية .

الجدول رقم (3) : الاهداف العامة لمادتي التاريخ والجغرافيا في المنهج اللبناني واهداف التنمية المستدامة وفق برنامج الامم المتحدة.

الاهداف العامة لمادة الجغرافيا في الحلقة الثالثة .	الاهداف العامة لمادة التاريخ في الحلقة الثالثة.	الاهداف العامة للتنمية المستدامة وفق برنامج الامم المتحدة الانمائي في الدول العربية.
1. تعريف المتعلم الى المجال الجغرافي وتزويده بالمفاهيم الاساسية التي تحكم العلاقة بين الانسان وهذا المجال. 2. فهم المتعلم تنظيم مجاله الجغرافي ضمن بيئات مختلفة. 3. تعريف المتعلم الى جغرافية لبنان، مما يساعد على تفتح الوعي الموضوعي والعقلاني لديه، وينمي فيه الحس الوطني.	1. تعرّف المتعلّم عل بيئته المباشرة: الأسرة، المدرسة، المنطقة، الوطن... 2. تعرّف المتعلّم على أنماط العيش: مسكن، وسائل نقل... 3. اِطّلاع المتعلّم على بعض وجوه النّشاط البشريّ: زراعة، صناعة، حرف، تجارة... 4. اطّلاع المتعلّم على التّراث التّاريخيّ والجغرافيّ والبشريّ المشترك وإدراك تفاعل التّاريخ مع الحضارة الإنسانيّة.	1. القضاء على الفقر. 2. القضاء التّامّ على الجوع. 3. الصّحّة الجيّدة والرّفاه. 4. التّعليم الجيّد. 5. المساواة بين الجنسين. 6. المياه النّظيفة والنّظافة الصّحّيّة. 7. الطّاقة النّظيفة بأسعار مقبولة. 8. العمل اللّائق. 9. الصّناعة والابتكار. 10. الحدّ من أوجه عدم المساواة. 11. المدن والمجتمعات المحلّيّة المستدامة. 12. الاِستهلاك والإنتاج المسؤولان.

4. توعية المتعلم على الحاجات الاجتماعية لتعزيز الانتماء الوطني، مثل: دور اليد العاملة المتخصصة وارتباطها بالانتاجية، التطور الاقتصادي لمواجهة المتغيرات والتحديات المتسارعة في العالم، دور التكنولوجيا في مجال التنمية، الانماء المتوازن لمواجهة النزوح والهجرة وترسيخ الاستقرار الاجتماعي والسياسي... 5. توعية المتعلم على أهمية علاقة لبنان بعالمه العربي من طريق دراسة الظاهرات الاقليمية المتشابهة (طبيعة وبشرية...)، ودراسة المصالح المشتركة مختلف مجالات التعاون التي تعزز هذا التواصل والتكامل. 6. تعزيز البعد الانساني العالمي لدى المتعلم من طريق اتاحة الفرصة امامه لمناقشة بعض القضايا المحلية والعالمية المتشابهة، وربط بعضها بالبعض الآخر. 7. تنمية قدرة المتعلم على الملاحظة الدقيقة والوصف وتحليل الظاهرات وادراك تطورها.	5. بيان أثر الإطار الجغرافيّ في دراسة تاريخ الشّعوب وفهمه. 6. تعرّف المتعلّم على القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة في المسيحيّة والإسلام. 7. التّأكيد على الوحدة الوطنيّة. 8. مقاومة الشّعوب للاستعمار. 9. فهم المتعلّم الشّرائع المتعلّقة بحقوق الإنسان. 10. تدرّب المتعلّم على إعداد الملفّات وجمع المعلومات من خلال المستندات والمصادر والمراجع. 11. وعي المتعلّم أسباب النّزاعات بين اللّبنانيّين وأثرها على الوحدة الوطنيّة. 12. تعرّف المتعلّم على المنظّمات والهيئات الدّوليّة ومساهمة لبنان فيها. 13. تفصيل المفاهيم الدّيمقراطيّة وأساليب ممارستها. 14. ارتباط الفرد بالجماعة ووحدة البشريّة. 15. اكتساب المتعلّم مفهوم الزّمن وتسلسله واستمراريّة الحضارة. 16. استيعاب المتعلّم تاريخ لبنان على امتداد جغرافيّته. 17. ارتباط تاريخ لبنان بالتّاريخ والحضارة العربيّين. 18. التّراث المشترك.	13. العمل المناخيّ. 14. الحياة تحت الماء. 15. الحياة في البرّ. 16. السّلام والعدل والمؤسّسات القويّة. 17. عقد الشّراكات لتحقيق الأهداف.

8. تنمية الحس النقدي لدى المتعلم لفهم مختلف القضايا، وتعويده اكتساب المعارف من طريق البحث والاستقصاء. 9. تنمية مهارات قراءة الخريطة ورسمها، واعتبارها، مع غيرها من الوسائل التعليمية، ادوات تعلمية اساسية.	19. وعي المتعلّم مميّزات الثّقافة الوطنيّة اللّبنانيّة. 20. فهم المتعلّم الخطوط العريضة لأبرز الأحداث التّاريخيّة والتّحوّلات السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والحضاريّة في العالم.	

المصدر : المركز التربوي للبحوث والانماء و www.arabstates.undp.org

تبين نتائج التحليل في الجدول رقم (3) انه هناك فروقات في الاهداف العامة بين مادتي التاريخ والجغرافيا من حيث ارتباط منهجها التعليمي بأهداف التنمية المستدامة، اذ يُعتبر منهاج مادة الجغرافيا اكثراهتمامًا لأهداف التنمية المستدامة وتعمقًا بها، بينما لم يتطرق منهاج مادة التاريخ بشكل كافٍ لها على الرغم من ارتباط كلٍّ من هاتين المادتين بمفهوم المواطنية الذي يعتبر مبدءاً اساسيًا من مبادىء التنمية المستدامة ، ما يؤكد صحة فرضيتنا حول محدودية مفهوم المواطنة في المنهج اللبناني لمادة التاريخ في الحلقة الثالثة بينما تدحض نتائج التحليل الاحصائي هذه الفرضية في منهاج مادة الجغرافيا للحلقة عينها .

يبين الجدول أعلاه بشكل واضح إندماج روحية التنمية المستدامة في أهداف مادة التاريخ (إعطاء أمثلة توضيحية)لأن أهداف مادة التاريخ قاربت المفهوم دون تسميته : اذ يعتبر من أهداف التنمية المستدامة تحقيق العدل والمساواة من خلال مقاومة الشعوب للاستعمار وفهم شرائع حقوق الانسان، وعي اسباب الحروب، والأهم صعوبة إحلال السلام بسبب عدم تبني قيم التنمية المستدامة والاستقواء ووضع اليد على مقدرات الدول والشعوب الأكثر فقراً... أما دورنا كمدرّسين وباحثين ومدرّبين يمكّننا من استخدام استراتيجيّات وطرائق حديثة، تحثّ المتعلّم على معرفة بيئته الجغرافيّة والعمل على المحافظة عليها وبالتّالي إسقاط أهداف التنمية المستدامة في تدريس مادّة التّاريخ والعمل على تحقيقها من خلال جعل المتعلّم مشاركًا في العمليّة التعليميّة وباحثًا يجيد العمل على الوثائق للوصول إلى الحقيقة وربط الماضي بالحاضر واستشراق المستقبل.

تشتمل التنمية المستدامة على ثلاثة جوانب رئيسية مع ما يتفرع عنها من مؤشرات فرعية، وهذه الجوانب هي: الجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي والجانب الإنساني. هذه الجوانب تتفاعل وتتشابك مع بعضها من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو تحقيق الرفاهية للإنسان في جميع متطلبات الحياة... ولأن النشاطات اللاصفية لم يتم ربطها بشكل كافٍ بالأهداف المطلوبة لتحقيق

التنمية المستدامة، بل كانت انشطة تثقيفية بمعظمها ما شكل عائقًا في تحقيق اهداف التنمية المستدامة.

إنطلاقاً من ذلك نستنتج انه لو أُحسن ربط الانشطة بالأهداف لكان المتعلم قد اكتسبها بوقت وجهد أقل، وكان تعليم التاريخ والجغرافيا ايسر واسهل ويلاقي استحساناً لدى المتعلم الذي يربط بذاكرته تلك الأنشطة المنفذة مع المعلومات الواردة في كتبه والتي تتناسب مع اهداف الالفية الثالثة لا سيما فيما يخص التنمية المستدامة.. .

3- **بالنسبة للقسم الثالث من الاستبيان الذي يتساءل عن أهمية تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا في تحقيق اهداف التنمية المستدامة:**

اشار 74.1% من الاساتذة كما يظهر الرسم البياني رقم (1) الى انهم يقومون بتقييم مدى إكتساب التلاميذ لكل الأهداف التعلميّة المرتبطة بالتنمية المستدامة وفق التوصيف الرسمي في مادتي الجغرافيا والتاريخ في الحلقة الثالثة ، وقد اكدوا انه أوقف المركز التربوي للبحوث والانماء، ، العمل ببعض الأهداف التعلميّة المرتبطة بالتنمية المستدامة ، بسبب الظروف التي فرضتها جائحة كورونا على القطاع التربوي للبناني .

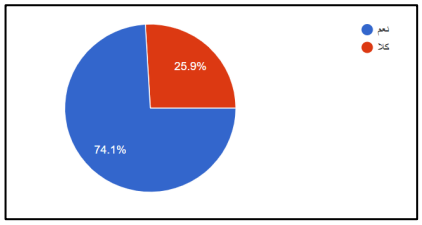

الرسم البياني رقم (1) : تقييم مدى إكتساب التلاميذ لكل الأهداف التعلميّة المرتبطة بالتنمية المستدامة وفق التوصيف الرسمي في مادتي الجغرافيا والتاريخ في الحلقة الثالثة .

اشارت العينة الى ان معظم التقييم يكون تقريريًا فقط و هذا الامر دليلاً جديداً على عدم الثقة بإكتساب المتعلمين للاهداف المساعدة في تحقيق التنمية المستدامة ، اذ يُعتبر التقييم التكويني مرحلة ضرورية وجب اعتمادها اثناء عملية تعليم التعلّم، للتأكد من مدى اكتساب المتعلم للأهداف التعلميّة. كما يلعب التقييم التشخيصي دوراً تحفيزياً مهماً في تعليم هاتين المادتين، سيما في بداية شرح الدرس بعد طرح الاشكالية.

إنطلاقاً من ذلك يمكن الاستنتاج بأن ندرة تطبيق هذه الانواع من التقويم ستنعكس سلبياً على تحقيق اهداف التنمية المستدامة. اذ ان المبادئ الرئيسية للتنمية المستدامة تكمن في إرساء المقومات السياسية والاجتماعية والأخلاقية وتأمين فعاليتها يكون فيما يلي: التمكين والانصاف، وحسن الإدارة والمساءلة اضافةً الى المساعدة و التضامن ... هذه الأمور لا يمكن تقويمها بالدرجات فقط انما بمراقبة السلوك والنقاش وتنمية شخصية المتعلم منذ الصغر .

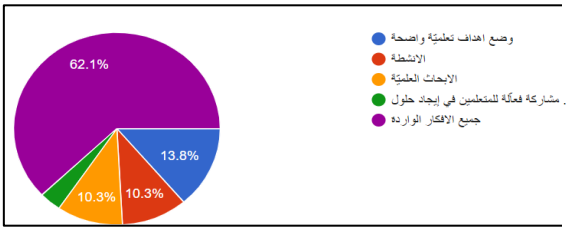

الرسم البياني رقم (2): كيفية مساهمة تعليم التاريخ والجغرافيا في تحقيق اهداف التنمية المستدامة.

اما حول كيفية مساهمة تعليم الإجتماعيات في تحقيق اهداف التنمية المستدامة، فقد اشارت نسبة وسطية حوالي 13.8% بحسب ما يظهر الرسم البياني رقم (2) الى انها تتم عبر وضع اهداف واضحة ، وتنفيذها بأنشطة واستراتيجيات تفاعليّة مناسبة ومشاركة فعالّة للمتعلمين في إيجاد حلول، كما تلعب الأبحاث الميدانية التي ينفذها المتعلمون في مجالهم الجغرافي دوراً اساسيًا في تحقيق اهداف التنمية المستدامة .

اما السؤال عن علاقة **تعليم مادة التاريخ بالمواطنية** كما أظهرت الأجوبة على الإستمارة أنّ (63%) من المعلّمين يعتبرون أنّ تدريس مادّة التّاريخ تعزّز المواطنيّة خصوصًا أنّ تدريس التّاريخ يشدّد على أخذ العبر من الماضي، والعيش المشترك والولاء للوطن والتعرّف على القيم الإنسانيّة والأخلاقيّة وفهم الشّرائع المتعلّقة بحقوق الإنسان والإطّلاع على التّراث التّاريخي والجغرافي والبشري المشترك وإدراك تفاعل التّاريخ مع الحضارة الإنسانيّة.

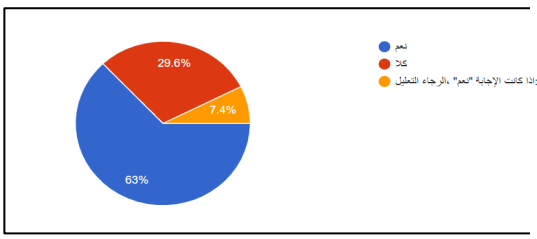

الرسم البياني رقم (3): علاقة تعليم مادة التاريخ بالمواطنية.

اعتبر (29.6%) من المعلمين أنّ التّاريخ لا يعزز المواطنيّة دون تبرير ذلك، هنا سؤال يطرح نفسه: هل الجهل أو عدم الإطّلاع على أهداف مادّة التّاريخ دفع هذه المجموعة للإجابة بـ كلا؟

يعود الاختلاف في اكتساب مفهوم المواطنية بين الجغرافيا والتاريخ الى طبيعة كل مادة اذ ان علم الجغرافيا يرتبط بالمجال الجغرافي الذي يعيش فيه المتعلم، والحوادث الجغرافيّة العالميّة ودراسة العوامل المؤثرة في المجال الجغرافي. اما طبيعة مادة التاريخ وعدم توحيد المنهج شكل لغطاً كبيراً جداً لدى الاساتذة، وجعلهم يستعملون الوسائل التعليمية التقليدية في تدريسهم للمادة اذ كثير ما يلجؤون الى سرد الحوادث التاريخية كقصة ولا يتم الربط بواقع المتعلم ما يجعل الاهداف التعلميّة في مادة التاريخ تبتعد عن اهداف تحقيق التنمية المستدامة ويجعل الصعوبات تزداد بعض الشيء.

رابعاً – صعوبات تعترض تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا بنجاح وتزيد من محدوديتها:

ابرز الصعوبات التي واجهت المعلم في تعليم الأهداف التعلميّة المساعدة في تحقيق اهداف التنمية المستدامة التي تم استخلاصها من السؤال رقم 18 في الاستمارة واهمها :

1- الافتقار الى خطة مستقبلية واضحة بسبب كثافة المنهج اللبناني في مختلف المراحل التعليمية بما فيها الحلقة الثالثة لا سيما لمادتي الجغرافيا والتاريخ، اضافةً الى احتواء هذا المنهج على الكثير من المعلومات المفصلة التي لا يشعر المتعلم بأهميتها ولا تحاكي واقعه المعاش، ولا تتناسب مع اهداف التنمية المستدامة ، بل تشكل عائقًا وتحول دون إعطاء المتعلم الوقت لإكتساب اهداف التنمية المستدامة.

2- قلة توفر الامكانات المادية التي تسمح بتنفيذ بعض الانشطة الصفية واللاصفية المرتبطة بأهداف تعلميّة تساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة لا سيما في المدارس الرسمية... إذ تحتاج هذه النشاطات الى وسائل تعليميّة وتربوية مختلفة والى تكاليف مادية عالية لتنفيذها.

3- الافتقار الى الاستراتيجيات الحديثة في العديد من المدارس الخاصة والرسمية إذ ان معظم الوسائل التربوية المعتمدة في عملية التعليم-التعلم لمادتي التاريخ والجغرافيا تقتصر على صور الكتاب المعتمد سواء كتب المكاتب الخاصة، او الكتاب الرسمي ، اذ لا زالت في اغلبيتها تعتمد الوسائل التقليدية والطرائق التقليدية ، في الوقت الذي يلاحظ فيه إقبال المتعلم خارج الصف على التكنولوجيا والإنترنت؛ مما يجعله يهمش دروسه، نظرًا لروتينيتها، وقد عملت مجموعة من البلدان – خاصة العربية" :الأردن، مصر، قطر ..."على تطوير دروس التاريخ والجغرافيا، من خلال توظيف ما يسمى بنظام المعلومات الجغرافية (GIS)، وبرنامج map info والخرائط الزمنية (Clausse, Arnold, ,1976,P47).

4- فقر المدارس بمعظمها (الرسمية وبعض المدارس الخاصة) كما تم الذكر سابقاً للمختبرات الخاصة في مادتي التاريخ والجغرافيا، وللأنشطة الصفية واللاصفية التي يجب تكثيفها لمواكبة التنمية المستدامة .

5 – الافتقار في التقويم او التقييم الى التقويم المبني على الوضعيات والمشكلات وبيداغوجيا المشروع، اذ لم تجد مكانها ضمن حقل التربية والتكوين؛ مما يجعل تجسيدها في الأداء الديداكتيكي صعب التحقيق (المرجع السابق ص.49) على الرغم من أهميتها في تحقيق اهداف التنمية المستدامة.

خامساً- التوصيات :في ختام هذه الدراسة لا بد من تقديم توصيات هي في الحقيقة عبارة عن أفكار اقترحها الاساتذة (في السؤال الأخير من الاستبيان) لتفعيل اكتساب اهداف التنمية المستدامة فإننا سنورد عددًا منها.

- ضرورة العمل على تحديث المنهج اللبناني في مادتي التاريخ والجغرافيا لتحديد الاهداف المتعلقة بتطوير المحتوى لا سيما فيما يخص اهداف التنمية المستدامة.
- تعميق المعرفة والتحليل الصحيح لمفهوم التنمية المستدامة وذلك بدراسة المفاهيم العالمية عن التنمية بشكل دقيق وواضح.
- تدريب المعلم وتأهيله لاكتشاف الطرائق الحديثة التي عرفها القطاع التعليمي بعد ثورة المعلومات والاتصالات وتغيرات العولمة وكذلك إيجاد التوازن بين أفكارهم ومواقفه الخاصة، وبين مضمون المنهج الدراسي.
- مواجهة مشكلات المجتمع من قبل المتعلمين كالعنف والمخدرات داخل المدارس خاصةً عند فشل الآباء ومؤسسات المجتمع في مواجهة مثل هذه المشكلات.
- تمكين المتعلمين من استخدام خبراتهم الشخصية بإعطائهم نصيباً أكبر من الاستقلالية والاستنتاج وحل المشكلات.
- تغيير العلاقة بين المعلم والمتعلم الى الحوار والتفاعل وتبادل الخبرات.
- إعادة توجيه العملية التعليميّة وذلك يتم عبر اعداد استراتيجيات حديثة لإثارة الدافعية عند المتعلم.
- التعلم من التجارب الشخصية للطالب، ويمكن أن يأتي ذلك من خلال تنمية قدرات المتعلمين على الكشف عن تجاربهم الشخصية وتحليلها وربطها بالمواضيع التي تمر بحياتهم اليوميّة .
- مناقشة القيم والسلوكيات المجتمعية السائدة وتحديد أداورها الموجبة والسالبة على المجال البشري والطبيعي مثل مواضيع حماية البيئة والحد من التلوث.
- العيش في عصر العولمة يتطلب من المتعلمين أيضاً تدريبهم على مجموعة من السلوكيات لتسهيل انخراطهم في الحياة الاجتماعية، لأن هذه السلوكيات تعتبر من أساسيات المجتمع المدني وعلى رأسها الاعتزاز بالمواطنة، ومعرفة مسؤولياتهم وواجباتهم وحقوقهم في مجتمع متنوع مثل المجتمع اللبناني، وعلى المتعلمين تجسيد مبدأ الديمقراطية في سلوكهم الشخصي كإحترام حقوق الإنسان، وتشجيعهم على إبداء رأيهم بحرية تامة في مجمل القضايا.

الخاتمة :

ظهرت في هذه الدراسة عدة نتائج، من أبرزها أنه من الصعب أن يقوم تعليم وتعلم مادتي التاريخ والجغرافيا بدور رئيسي في التحول المطلوب إلى مجتمعات أكثر استدامة من الناحية البيئية والاجتماعية والاقتصادية...، بل يجب ان تدخل اهداف التنمية المستدامة الى كافة المواد التعليميّة لتظهر انتاجيتها على المتعلمين بشكل اسرع و بالتنسيق مع المبادرات الحكومية ومبادرات الجمعيات والمؤسسات في المجتمع المدني والقطاع الخاص. فالتعليم يضع المبادىء

والاسس السليمة، ويساهم أيضاً في تنمية وتطوير المهارات والمفاهيم والأدوات التي يمكن أن تستخدم في خفض الممارسات غير المستدامة أو إيقافها لكن لا لا يمكن المراهنة على ان دوره سيكون دائمًا ايجابي اذا كان هذا القطاع منفرداً ، إذ يمكن أن يعزز ممارسات غير مستدامة. ومن ذلك الاستهلاك المفرط للموارد، والإسراع في تآكل معارف السكان وطرق عيشهم ذات الاستدامة النسبية. لذلك قد يتطلب الأمر تكييف التعليم وتحويله لضمان تأثيره الإيجابي. لا يمكن تحقيق اهداف التنمية المستدامة من خلال النظريات او التكنولوجية أو الأنظمة السياسية أو السياسة التربوية وحدها. فنحن بحاجة إلى أن نغيّر طرائق التعليم والتفكير التقليدي لدى المعلم والمتعلم في آنٍ واحد ، الأمر الذي يفرض توفير نوعية تعليم وتعلّم من أجل التنمية المستدامة على جميع المستويات وفي جميع البيئات الاجتماعية.

ويتمثل هدف التعليم من أجل التنمية المستدامة في تمكين متعلمينا من مواجهة المشاكل و التحديات المحلية و العالميّة الحالية والمستقبلية مواجهة بنّاءة وخلاّقة، وفي إنشاء مجتمعات أكثر استدامة قادرة على التكيّف ومواكبة المستجدات.

قائمة المصادر والمراجع

❖ لائحة المصادر :

1. الجمهورية اللبنانية، (1971)، تحديد مناهج التعليم في مواد الاجتماعيات،مرسوم رقم 21510تاريخ4-8-1971.
2. المركز التربوي للبحوث والإنماء(1997)، تفاصيل محتوى منهج الجغرافيا، بيروت،لبنان.
3. المركز التربوي للبحوث والإنماء(1999)، الهيئة الاستشارية في المركز التربوي. منهج مادة التاريخ، بيروت،لبنان.
4. المركز التربوي للبحوث والإنماء(1997)، المنشورات، امال وهيبة، بيروت،لبنان.
5. منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (2017)، التعليم من اجل تحقيق اهداف التنمية المستدامة، دليل التعليم 2030.
6. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، (2014)، إعلان آيشي ناغويا: التعليم من أجل التنمية المستدامة .

❖ لائحة المراجع :

1. ابن منظور، (1972)، لسان العرب، معجم المعاني، دار صادرة بيروت، لبنان.
2. الزند، وليد خضير، واخرون ،(2009)، المناهج التعليمية تصميمها ، تنفيذها ، تقويمها ، تطويرها ، عالم الكتب الحديث، اربد ، الاردن.
3. العفون ، نادية حسين يونس ، واخرون ،(2011)، مناهج وطرائق تدريس العلوم ، مكتبة التربية

الاساسية ، بغداد .

4. دهان (م)، زغستور (م). 2018. دور التّعليم في تحقيق التنمية المستدامة، الجزائر: جامعة عباس لغرور خنشلة.
5. عبدالعظيم، عبدالعظيم وعبدالفتاح، رضا،(2017)، إعداد المعلم في ضوء تجارب بعض الدول،المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة،مصر.
6. مرعي،توفيق أحمد والحيلة ،محمد محمود(2015)،المناهج التربوية الحديثة،مفاهيمها-عناصرها-أسسها-عملياتها، دار المسيرة، عمان، الأردن.

❖ لائحة المراجع باللغة الأجنبية:

1. Bonnet,Laurent(2005),Comment enseigner l' histoire et la géographie au cycle 3, Hachette Education.
2. Blond (O). (2012). Ces enfants qui changent le monde (un livre de la fondation Goodplanet), Paris, édition : la Martinière.
3. Carlier,Isabelle et Le van Gong,Angelique(2012),Ecolier et citoyen: Instruction civique et morale,France,Hachette Education.
4. De VECCHI (G), PELLEGRINO (J), (2008), Eduquer au développement durable, Paris, édition Delagrave.
5. CAPPE (G), DELFORGE (P), (2015), Développement durable. Situation pour comprendre les enjeux et agir, Paris, édition Retz.
6. CHAMPAGNE (C), DEVESNE (C) ET AUTRES. (2014), Gestion et développement des ressources humaines. Nouvelle édition, Paris, édition Hachette.
7. Nolan, C. (2012). Shaping the education of tomorrow. report on the UN decade of education for sustainable development, Abridged, France, UNESCO.
8. PETIT (N). (2018). Montessori à la maison 9-12 ans : je passe à l'acte, Paris, édition : Actes Sud.

❖ المجلات والدوريات:

1. حجازي، عبدالحميد أحمد. (2017م). تقويم مناهج الأحياء للمرحلة الثانوية في ضوء أبعاد وقضايا التنمية المستدامة. ورقة مقدمة إلى **المؤتمر العلمي التاسع عشر: التربية العلمية والتنمية المستدامة**، الجمعية المصرية للتربية العلمية، القاهرة، مصر.

2. فادي توا، وسوزان عبد الرضا أبو الرجيلي، (2017)، دراسة ميدانية حول تعليم مادة التاريخ في لبنان: الواقع والتصورات، المركز التربوي للبحوث والإنماء بالتعاون مع مؤسسة أديان.
3. عبد الحليم البشير الفاروق،(يوليو 2007)، دراسة حول تعليم الجغرافيا من أجل تنمية مستدامة: استكشاف العلاقة وقراءتها وتوضيحها بعد اعلان لوزيرن، جامعة أم القرى، فلسطين.
4. مجلة الدفاع الوطني اللبناني، (2011)، العدد78، بحث التنمية المستدامة وابعادها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية)
5. ماجدة أبو زنط، و عثمان غنيم،(2006)، مجلد رقم 12، دراسة نظرية حول التنمية المستدامة في المفهوم والمحتوى، مجلة المنارة الثقافية.

❖ عناوين على الإنترنت:

- www.crdp.org
- www.hyatok.com
- www. hdr.undp.org
- www. hbrarabic.com موقع جامعة هارفرد هارفارد بزنس ريفيو
- www.mohamah.net/law
- www.portal.unesco.org
- www.yanabeea.net/details.aspx
- www.unstats.un.org/uns.
- www.unescwa.org

المحور الثاني:

العلوم الاجتماعية وتحديات التنمية المستدامة

التحديات التي تواجه قطاع السياحة ودوره في التنمية المستدامة الأردن – حالة دراسية

د. صفاء صبح صبابحة
الجغرافيا الاقتصادية
قسم الجغرافيا- كلية الآداب
جامعة الحسين بن طلال- الأردن
Safasb76@yahoo.com

ملخص

تولي دول العالم اهتمامًا متزايدًا بموضوع التنمية المستدامة، ولاسيما بعد قمة الأرض التي عقدت سنة 1992 في ريو ديو جانيرو بالبرازيل، حيث أجمعت الدول على ضرورة حفظ التوزان بين متطلبات الإنسان الحالية والمستقبلية والمحافظة على العناصر البيئية، ويعد القطاع السياحي من أكثر القطاعات الاقتصادية ارتباطًا بالتنمية المستدامة، حيث يتم استغلال موارد الجذب السياحي سواء أكانت الطبيعية أم البشرية بأقصى استخدام ممكن. وينظر للقطاع السياحي على أنه أحد القطاعات الرائدة التي يعول عليها في إحداث تنمية اقتصادية ورفع نسبة التوظيف، حتى إن البعض يطلق على قطاع السياحة "نفط الأردن"، حيث أسهم بنحو (14%) من الناتج المحلي الإجمالي لعام 2019، ويوفر نحو 55 ألف فرصة عمل مباشرة، ونحو 120 ألف فرصة عمل غير مباشرة. (وزارة السياحة والآثار، 2020)

والتنمية السياحية المستدامة هي التنمية التي تقابل وتشبع احتياجات السياح والمجتمعات المضيفة وضمان استفادة الأجيال المستقبلية، كما أنها التنمية التي تدير الموارد بأسلوب تحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والجمالية مع الإبقاء على الوحدة الثقافية واستمرارية العمليات الإيكولوجية والتنوع البيولوجي ومقومات الحياة الأساسية.

ونظرًا لما تتمتع به الأردن من مزايا تنافسية Competitive Advantage ومزايا نسبية Comparative Advantage تعمل الدولة حاليا على تنشيط وتطوير سياحات معينة؛ مثل: السياحة التعليمية والسياحة العلاجية وسياحة المثلث الذهبي، ولتطبيق مبادئ التنمية المستدامة أخذت الدولة في تطوير وتنشيط السياحة البيئية بوصفها مدخلا للتنمية المستدامة. لكنها تواجه العديد من التحديات في هذا المجال، ومن أبرزها المنافسة الحادة من قبل العديد من المراكز السياحية في منطقة الشرق الأوسط، بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار النسبي في الأردن، كما تشكل نوعية وجودة المنتج السياحي أحد التحديات البارزة في تشكيل صورة السياحة الأردنية. لذا؛ فقد جاءت هذه الدراسة للتعرف على

مقومات السياحة البيئية المستدامة في الأردن والتحديات التي تواجهها باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وتحليل العوامل المكونة لصورة العرض السياحي البيئي الأردني، بحيث تسهم نتائج هذه الدراسة في التوصل إلى توصيات تتعلق بالسياحة البيئية والنهوض بها، وتطوير مركز أبحاث متخصص في السياحة البيئية المستدامة على مستوى الوطن العربي.

الكلمات الدالة: التنمية المستدامة، التنمية السياحية المستدامة، المحميات الطبيعية، عناصر الجذب السياحي البيئي، البيئة المستدامة المتجددة.

المقدمة:

تُعرّف السياحة لُغةً بأنّها الضرب في الأرض؛ أي الانتقال والمشي من موقع إلى آخر، سواء أكان في دولة معينة أم في إقليم مُحدّد أم حول العالم؛ من أجل الوصول إلى حاجات معينة، وبعيدة عن مكان السكن الدائم أو بيئة الأعمال أو الحروب، أمّا اصطلاحًا فهناك العديد من التعريفات، ويعود مفهوم السياحة لكلمة رحلة Tour المشتقة من الكلمة اللاتينية Torno وفي عام 1643م، ولأول مرة استعمل المفهوم Tourism ليدل على السفر أو التجوال من مكان إلى آخر، ويتضمن المفهوم كل المهن التي تشبع الحاجات المختلفة للمسافرين، ويمكن أن يعتبر السفر Travel سياحة إذا توافرت فيه ثلاثة شروط: أن يكون مؤقتا، وأن يكون بشكل تطوعي غير إجباري، وأن لا يكون فيه بحث عن العمل أو نشاطات ربحية. (مقابلة وذيب، 2000، ص18)

ويقصد بالسياحة مختلف الأنشطة التي يمارسها المسافرون الذين يمكثون خارج مقر إقامتهم المعتاد مدة تتراوح بين يوم إلى أقل من السنة، لأي غرض من الأغراض مثل قضاء وقت الفراغ، أو التسوق، أو التجارة، أو العلاج أو غيرها.

وقد عرف مؤتمر الأمم المتحدة للسياحة السياحة بأنها: مجموع الأنشطة الصناعية والتجارية التي تنتج السلع والخدمات التي يستهلكها الزوار الأجانب والسياح المحليون، في حين أن الهيئة الكندية الوطنية للمعلومات السياحية تُعرّف السياحة بأنها: "مجموع السلع والخدمات التي تلبي حاجات المسافرين خارج نطاق إقامتهم (Smith,1990,P33). وتعرف الجهات الأسترالية المسؤولة السياحة بأنها: القيام بالسفر من بلد إلى آخر لفترة لا تتجاوز ستة أشهر من دون أن تحدد هدفا معينا لهذا السفر (Smith,1983,P27)

وعرفت منظمة السياحة العالميّة السياح بأنّهم جميع الأشخاص الذين يوجدون في مكانٍ ما لمُدّةِ 24 ساعة؛ بهدف الحصول على وسائل الترفيه التي تشمل الإجازات والرياضة والاستجمام.

وتبعا لذلك فإنه من الممكن عد السياحة ظاهرة ونشاطا له أبعاده الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، وهي ترتكز على ثلاثة أركان: حركة الناس بين مكانين أو أكثر، والزمن الذي تستغرقه هذه الحركة؛ والغرض أو الهدف من الحركة المكانية.

وفهم ظاهرة السياحة من خلال المحاور السابقة يقود إلى إدراك محدد بأن السياحة لا تتضمن الأنشطة الاعتيادية التي يمارسها الناس من خلال العمل أو اللعب، كما أنها لا تشمل ممارسة أنشطة استجمامية أو استطلاعية تقع في منطقة غير بعيدة عن مكان إقامة من يمارسها، أو أنها تقع ضمن محيطه الحضري، بحيث يستطيع الوصول إلى هذه الأنشطة في نفس اليوم. وهناك من يؤكد أن المقصود بالسياحة أو النشاط السياحي هو التنقل من بلد إلى بلد آخر طلبا للتنزه أو الاستطلاع أو الكشف (الزوكة ،1997، ص13).

وربما يكون التعريف العملي الأشمل للسياحة ما اقترحه إيرك كوهنErik Cohen الذي وصف السياحة بأنها: سفر طوعي مؤقت، للحصول على المتعة من خلال التجديد والتغيير الذي يشعر به السائح في رحلة متكاملة وطويلة نسبيا بين المنشأ والمقصد السياحي. (Lea , 1988,P4).

ويلاحظ تعدد وتباين تعريفات السياحة، حيث إن بعض الدراسات خلصت إلى وجود ما يقارب 80 تعريفًا مختلفا للسياح

أولا: الإطار النظري للدراسة:

1-1 مشكلة الدراسة

نظرًا لما تتمتع به الأردن من مزايا تنافسية Competitive Advantage ومزايا نسبية Comparative Advantage يعمل حاليا على تنشيط وتطوير سياحات معينة؛ مثل: السياحة التعليمية والسياحة العلاجية وسياحة المثلث الذهبي، ولتطبيق مبادئ التنمية المستدامة أخذت الدولة في تطوير وتنشيط السياحة البيئية بوصفها مدخلا للتنمية المستدامة. لكنها تواجه العديد من التحديات في هذا المجال، ومن أبرزها المنافسة الحادة من قبل العديد من المراكز السياحية في منطقة الشرق الأوسط، بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار النسبي في الأردن، كما تشكل نوعية وجودة المنتج السياحي أحد التحديات البارزة في تشكيل صورة السياحة الأردنية. لذا؛ جاءت هذه الدراسة للتعرف على مقومات السياحة البيئية المستدامة في الأردن والتحديات التي تواجهها.

1-2 أهداف الدراسة

1. التعرف إلى أهمية القطاع السياحي في الأردن.
2. التعرف إلى السياحة البيئية في الأردن بوصفها مدخلا للتنمية السياحية المستدامة.

3. اقتراح مجموعة من التوصيات للإسهام في تفعيل دور القطاع السياحي في التنمية المستدامة.

1-3 أهمية الدراسة:

السياحة صناعة استغلالية عالمية وإقليمية ومحلية، ولمنتجها دورة تبدأ باكتشاف المقصد السياحي، وهو الموقع ذو الجاذبية السياحية، ويتبعها نمو الطلب على زيارة المقصد أو الموقع السياحي الذي يأخذ في الازدهار، ثم نصل إلى مرحلة استغلال الموقع السياحي في أقصى استغلال له، وبعد مرور فترة زمنية قد تكون طويلة أو قصيرة حسب الطلب على الموقع تنتقل الدورة بنا إلى مرحلة جديدة يصبح المنتج السياحي خلالها أقل منافسة وجاذبية وقيمة، ثم تبدأ مرحلة لاحقة يتراجع خلالها الموقع السياحي في جاذبيته السياحية وينخفض الطلب عليه إلى الحضيض. (prosser, 1995, p. 23) ولتلافي الوصول إلى هذه المرحلة من الانحطاط فلابد من تفعيل السياحة البيئية المستدامة، للحفاظ على الموارد السياحية في الدولة وضمان حق الأجيال القادمة فيها.

1-4 منهجية الدراسة

تركز الدّراسة على استخدام أسلوب النظم، بوصفه أسلوبا متكاملا للبحث والدّراسة؛ لما له من أهمية كبيرة في دراسة السياحة، حيث إن الظّواهر والعلاقات بين العناصر السّياحيّة تتشابك وتتعقد؛ لذا يصعب تشخيص هذه العلاقات ودراسة تأثيرها المتبادل، ومعالجة خصائص السّياحة البيئية المستدامة باستخدام أسلوب النظم، يعني النظر إليها بوصفها وحدة تنظيمية متكاملة، وتتضمن هذه الوحدة عناصر ذات تنوع واسع لكنها مندمجة مع بعضها البعض بشبكة من الروابط المتداخلة والعلاقات المتبادلة والحركة الدائمة. لذا؛ فإن (هذه) الدّراسة ستعتمد عددا من المناهج والأساليب والطرق الكمية لتحقيق أهدافها، منها:

1- المنهج الإقليمي: يتضمن المنهج الإقليمي دراسة الإمكانات والخصائص الاقتصادية لمنطقة محددة والعلاقة بينها وبين الأقاليم الأخرى، بحيث يدرس الموارد الاقتصادية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي الذي تتناوله الدراسة داخل إطار الإقليم، يتميز هذا المنهج بإعطاء صورة واضحة عن النشاط الاقتصادي في داخل الإقليم والأنماط المختلفة لهذا النشاط ودور الموارد البشرية في تفعيل النشاط الاقتصادي.

2- المنهج السلوكي (Behavioral Approach): يركز هذا المنهج على دراسة أثر الخصائص الشخصية في السلوك الاقتصادي لرجال الأعمال المستثمرين في مجال السياحة البيئية.

3- المنهج الوصفي: يعتمد المنهج الوصفي على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبّر عنها كيفا أو كما. فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى.

4- المنهج الوظيفي (Functional Approach): لإلقاء الضوء على التركيب الوظيفي للسياحة البيئية المستدامة.

ل – المجتمع والعينة:

- سيتم جمع المعلومات الأولية من خلال المسح الميداني لمقومات السياحة البيئية والمنشآت المستضيفة في الأردن؛ وتصنيفها حسب خصائصها المختلفة كحجم الاستضافة، ومواسمها، والسعة، والتجهيزات.

- سيتم إجراء مقابلات شخصية مع متخذي القرار سواء أكانوا في المؤسسات الرسمية أم الخاصة، لاستكشاف طبيعة التنظيم القائم في السياحة البيئية.

- سيتم تصميم استبانة تشمل متغيرات الدراسة، وستتناول الاستبانة موضوعين رئيسين، هما: المشكلات التي تواجه السائح البيئي، ومدى وعي السائح بالسلوكيات المصاحبة للنشاط البيئي.

- ستقوم الباحثة باختيار نماذج للسياحة البيئية، وهي تلك التي اعتمدتها هيئة السياحة العربية، ومنظمة السياحة العالمية، وبالتشاور مع الخبراء سيتم بناء نموذج نظري للسياحة البيئية يحاكي تلك النماذج العالمية.

- سيتم مراجعة أرشيف الصحف ونشرات الجامعات للوقوف على حجم الظاهرة وخصائصها.

- المصادر الثانوية؛ وتشمل التقارير والنشرات والإحصاءات الصادرة عن الجهات الرسمية وغير الرسمية ذات العلاقة بالموضوع، مثل: وزارة السياحة، وزارة التخطيط، وزارة الأشغال العامة، دائرة الإحصاءات العامة، بالإضافة إلى الأبحاث والدراسات العلمية التي تناولت موضوع السياحة البيئية.

ثانيا: الدراسات السابقة

دراسة (صبابحة، 2017) والتي هدفت إلى استقصاء واقع السياحة البيئية في منطقة حائل، من حيث مقوماتها والمشاكل التي تعاني منها، وقياس مدى وعي السائح بالسلوكيات البيئية المصاحبة للنشاط السياحي، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وعدد من الأساليب الكمية لتحقيق أهدافها، وتوصلت الدراسة إلى انخفاض الاهتمام بتنمية موارد السياحة البيئية في المنطقة، وعدم كفاءة عمليات التسويق السياحي، في حين أظهرت وعي السائح بالسلوكيات البيئية، وتوصي الدراسة بضرورة وضع خطة متكاملة لتنمية السياحة البيئية في المنطقة، وتعزيز الشراكة المجتمعية.

وجاءت دراسة (الرواشدة، 2012) لمعرفة مدى انطباق خصائص السياحة البيئية على محمية غابات عجلون. شملت الدراسة (147) زائرا من مختلف الجنسيات، وقد ركزت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة: آراء وانطباعات السياح عن المنطقة والخدمات السياحية فيها، وتعامل الزوار مع المجتمع المحلي والتعرف على الثقافات والمصادر الطبيعية والتراثية في المنطقة، والمعلومات التي حصل عليها الزوار

ودورها في زيادة وعيهم البيئي .وقد بينت الدراسة أن هناك العديد من خصائص السياحة البيئية تنطبق على المنطقة من حيث طبيعة الزوار، ومستواهم الاقتصادي، والثقافي، والعمري. كما بينت الدراسة انخفاض مدة الإقامة في المنطقة التي لم تتجاوز أكثر من ليلة واحدة عند (46.2%) من عينة الدراسة. وأوصت الدراسة بضرورة زيادة النشاطات والفعاليات السياحية الليلية التي قد تساهم في جذب المزيد من الزوار من ناحية وإطالة مدة إقامتهم من ناحية أخرى، وكذلك ضرورة عقد دورات تدريبية ولغوية لموظفي المحمية خاصة الأدِلاء وموظفي مركز الزوار وخدمات الإقامة.

أما دراسة (عذبي، 2004) فقد هدف من خلالها إلى التعرف على واقع السياحة البيئية في دولة الكويت ثم تقويم الآثار البيئية للسياحة على البيئات والنظم الإيكولوجية، وتشير نتائج الدراسة إلى أن قطاع السياحة البيئية في الكويت قد شهد تطورا ملحوظا، نظرا لما تمتلكه الدولة من مقومات سياحية أهمها: الموقع الجغرافي، وتنوع موائلها الطبيعية المختلفة البرية منها والبحرية، الأمر الذي شجع الدولة على توفير البنية التحتية لاستقطاب الزوار من خارج الدولة وداخلها. ولكن دلت النتائج على أن الموائل الطبيعية في الدولة قد تعرضت لضغوط عالية نتيجة لازدياد أعداد السياح والزائرين، وبسبب التطور غير المدروس للسياحة. وقد أدت هذه الضغوط إلى تأثيرات على البيئات الساحلية والجزر والبيئات الصحراوية الحساسة، حيث بدأت هذه البيئات بالتدهور من جراء الاستخدام غير المستدام.

وجاءت دراسة (Barkauskiene, and Snieska,2013) لمعالجة آثار السياحة البيئية في التنمية المستدامة باعتبارها أسرع أنواع السياحات نموًّا، وكيفية تلبية احتياجات السكان المحليين دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة، وقد استخدم الباحث أسلوب (SOWT) في تحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات لتطوير السياحة البيئية في منطقة ليتوانيا، حيث تتمتع المنطقة بالثقافة والتقاليد والتراث والمناظر الطبيعية، وتوصلت الدراسة إلى أن السياحة البيئية يمكن استخدامها لإعادة التوازن الطبيعي والاقتصادي والاجتماعي، بعكس السياحة التقليدية التي تهدف إلى تحفيز الاقتصاد، بغض النظر عن الظروف الطبيعية والثقافية للمنطقة، لذا؛ لا بد من التكيف مع التراث الثقافي والموارد الطبيعية للحفاظ على التوازن البيئي والإيكولوجي

من الدراسات التي تناولت السياحة البيئية دراسة (Kuuder, et,al, 2013) التي هدفت إلى تقييم الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسياحة البيئية، واقتراح وسائل للحفاظ على الموارد التي وضعها المجتمع للحد من الآثار السلبية للسياحة، وقد شملت الدراسة (69) مشاركًا من منطقة Mognori في غانا، شكل الذكور (68%) منهم، (12%) منهم من الفئة العمرية (20–30) سنة، وقد كشفت الدراسة أن السكان انخرطوا في نشاطات السياحة البيئية، فاشتغلوا مرشدين سياحيين، وشكلوا فرقا للرقص الشعبي، والصيد، وكشفت الدراسة أن (20%) من عائد الأنشطة السياحية قد أودع في صندوق التنمية المجتمعية، واستخدم في حفر الآبار في المنطقة، وفي توفير خدمات لوجستية للمجتمع،

وتوفير كتب مدرسية ومستلزمات الدراسة الليلية، كما أن السكان المحليين حصلوا على دخل إضافي من خلال بيع الحرف اليدوية والمواد الغذائية والأسماك والعسل للسياح، وقد أجمع المشاركون في الدراسة على أن المستوى الاقتصادي لهم قد تحسن بسبب الفوائد الاقتصادية التي تحققها السياحة البيئية، وعن الآثار الثقافية والاجتماعية أشار السكان إلى التفاعل بين السياح والسكان المحليين، فيما انخفضت الآثار السلبية للنشاط السياحي البيئي بسبب التوعية.

أما الدراسة الحالية فهي من أولى الدراسات التي ستبحث في السياحة البيئية المستدامة ومقوماتها في الأردن. والتحديات التي تواجهها.

ثالثا: القطاع السياحي في الأردن

يحظى القطاع السياحي في الأردن بأهمية واضحة، ويسعى متخذ القرار إلى تعويض النقص في الموارد الطبيعية وموارد الطاقة، بتنمية الموارد السياحية واستغلالها، تلك الموارد التي يشكل مجمل إيراداتها 4 مليارات دينار وتوظف نحو 51499 موظفا. (Central Bank, 2018)

ولأن القطاع السياحي شديد الحساسية للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، تحتاج إدارة هذا القطاع إلى التجديد بشكلٍ دائم، وإلى الإلمام بكافة المتغيرات الداخلية والخارجية التي تحيط بنا.

فقد استفاد القطاع السياحي من المزايا التنافسية Compatitive advantage التي يتميز بها الأردن ذاتيًا، ومن أبرزها:

1. احتضانه لمدينة البتراء، ووادي رم، والبحر الميت، بوصفها بؤرا سياحية مميزة Peak Tour – وقلما تملك دولة أكثر من موقع أو موقعين – التي تجتذب سنويًا مليونًا ونصف المليون من السائحين، وتشكل بؤرة السياحة الأردنية. (Ministry of Tourism and Antiquities, 2018).
2. احتضانه المغطس، بالإضافة إلى سبعة من مواقع الحج المسيحي، حيث اعتمد المغطس في عام 2000، ليكون مقصداً للحجاج بوصفه مكان تعميد السيد المسيح عليه السلام، مما جعل الأردن مقصداً لنحو 143 ألف سائح سنويا. (Ministry of Tourism and Antiquities, 2018)
3. امتلاكه لمقومات السياحة العلاجية، مما يجعله مقصداً لنحو 300 ألف مريض، يرافقهم نصف مليون شخص بمعدل إيرادات تربو على المليار والنصف دولار سنويًا، إذ تصنف الأردن على أنها الأولى في الشرق الأوسط والخامسة عالميًا في السياحة العلاجية. (Ministry of Tourism and Antiquities, 2018)
4. السمعة التي يتمتع بها الأردن Locational Image of Potinatial حفزت نمو سياحة الأعمال.

إلا أن الأردن يقع ضمن محيط منافس، وقادر على جذب الفعاليات السياحية، فمثلا تتصدر دبي المنطقة في الجذب السياحي، نظرا لنوعية المنتج الذي تقدمه، وتقدم تركيا منتجا سياحيا منخفض التكلفة نسبيًا.

لكن الثورات في بعض الدول العربية عام 2011، أثرت في اتجاهين متضادين على السياحة الأردنية على النحو التالي:

- الاتجاه الأول: انخفاض حاد في عدد السياح القادمين من خارج المنطقة العربية، حيث شكلت المنطقة بؤرة للأحداث السياسية المتسارعة والمظاهرات والحروب الأهلية، التي كونت صورة طاردة للسياح من خارج المنطقة العربية، فانخفض عدد السياح بنسبة 16% بين عامي 2010 و2011، أي العام الذي انطلقت فيه الثورات في بعض الدول العربية، وقد توالى الانخفاض في أعداد السياح بعد عام 2011 لتصل إلى 4.8 مليون سائح، في حين كان عدد السياح عام 2010 8 ملايين سائح. (Dgrh et al,2019)
- الاتجاه الثاني: أسهمت أحداث الثورات في بعض الدول العربية في تنشيط بعض أنواع السياحة في الأردن، ومنها السياحة العلاجية، حيث أصبحت المستشفيات الأردنية مركزا لجذب مرضى الأحداث والحروب الأهلية من: العراق وليبيا واليمن وسوريا وفلسطين بالإضافة إلى الأسواق التقليدية المتمثلة في سوق دول الخليج العربي.

كما أن هذه الأحداث قللت من تنافسية العديد من المراكز السياحية التقليدية لسياح دول الخليج العربي، مثل سوريا ولبنان، وشكل الأردن بديلا منها، بالإضافة إلى توقف تيارات الطلبة الأردنيين المتجهين للدراسة في ليبيا وسوريا والعراق وبعض الدول الأخرى التي تعاني من اضطرابات سياسية، بل وأصبح الأردن بديلا للطلبة القطريين مثلا بعد المقاطعة الخليجية، فأصبحت الجامعات الأردنية مقصد الطلبة الذين تأثروا بأحداث المقاطعة، الذين كانوا على مقاعد الدراسة في مصر والسعودية، ورغم ارتفاع تكلفة التعليم في الأردن مقارنةً بدول الجوار، فإن الأحداث السياسية المحيطة ألغت الفرص المعترضة Intervening Opportunities في طريق السياحة التعليمية الأردنية، فتحتضن اليوم الجامعات الأردنية نحو (40) ألف طالب من دول الخليج العربي وبعض الدول الأخرى.

وفي خضم التغيرات الاقتصادية الداخلية والتغيرات السياسية المحيطة أصبحت خيارات الأردن لتحفيز الاقتصاد الأردني وتوليد فرص عمل محدودة، أصبح القطاع السياحي بديلا وخيارًا استراتيجيًا، ومن أبرز السياحات التي تجتهد الدول الآن على تفعيلها، السياحة البيئية المستدامة، التي تسعى الأردن جاهدة لجذب مزيدٍ من فعاليتها.

أصبح مفهوم السياحة البيئية من أكثر مفاهيم التنمية المستدامة نموًّا وانتشارًا في العالم، وتحظى باهتمام واسع من قبل العديد من دول العالم، فالدول المتقدمة تسعى منذ ثلاثة عقود إلى تطبيق مفهوم الاستدامة السياحية، التي تعتمد على ثلاثة جوانب هامة، هي: أولا: العائد المادي لأصحاب المشاريع السياحية، ثانيًا: البعد الاجتماعي، على أساس أن هذه المؤسسات جزء من المجتمع المحلي وعليه الاستفادة من الخبرات والكفاءات المحلية ما أمكن، بالإضافة إلى إشراك المجتمع المحلي في التخطيط السياحي، ثالثًا: البيئة؛ فالعناصر السياحية الجاذبة هي جزء من البيئة، وبالتالي يجب الحفاظ عليها وعلى مواردها الطبيعية(Weiler, and Crabtree, 1995, p45) .

ولأهمية البيئة في استدامة السياحة ظهر مصطلح السياحة البيئية (ECO-Tourism) منذ ثمانينيات القرن العشرين، والذي يعبر عن نوع جديد من النشاط السياحي الصديق للبيئة، الذي يمارسه الإنسان، محافظًا على الميراث الطبيعي والحضاري للبيئة التي يعيش فيها، ويمارس فيها نشاطه وحياته. (Westlake, and Diamantis, 1998, p2)

في الأردن، ينظر للقطاع السياحي على أنه ركيزة أساسية للاقتصاد، فالدخل السياحي يسهم بنحو 16% من الناتج المحلي الإجمالي، ويسهم في تشغيل نحو (54) ألف عامل. (وزارة السياحة، 2019)

يعود تاريخ السياحة البيئية المبكرة في الأردن إلى عام 1966 عندما أنشئت الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، التي نشأت بهدف حماية وإدارة الموارد الطبيعية في الأردن، وأدخل مفهوم السياحة البيئية إلى الأردن في أوائل التسعينات، ولم يستغرق وقتًا طويلا ليترسخ بوصفه عنصرًا رئيسًا في خطط السياحة الوطنية، خاصة مع نجاح تجربة محمية "ضانا".

وتعد المحميات الطبيعية التي تديرها الجمعية الملكية لحماية الطبيعة مركز الثقل الرئيس للسياحة البيئية، بوصفها نشاطًا تنمويًّا متعدد الفوائد يساهم في حماية الطبيعة. فهي توفر مجالات عمل للسكان المحليين، ومن خلال رفع التوعية البيئية تساهم في جعل الناس يفهمون جيدًا أهمية حماية الطبيعة في حياتهم.

ونظرا لتمتع المحميات في الأردن بالعديد من عناصر القوة والمزايا المطلقة والنسبية في مجال السياحة البيئية، ندرك أهمية الاهتمام بهذا القطاع ومحاولة تنميته.

مفهوم التنمية السياحية المستدامة:

لقد اعتنق العديد من الدول المتقدمة والنامية على السواء مفهوم التنمية المستدامة، وتطور تصور هذا المفهوم مع مرور الزمن، إذ كان سابقا يركز على البعد البيئي فقط، في حين أصبح حاليا يركز على التنمية المستدامة بوصفها عملية تشمل أهدافا اقتصادية واجتماعية وبيئية، وقد جاء تعريف التنمية المستدامة في قاموس (Webster) بأنها: "تلك التنمية التي تستخدم الموارد الطبيعية دون أن تسمح

باستنزافها أو تدميرها جزئيا أو كليا".(مخول وغانم، 2009: 3). ففي بداية الثمانينيات أخذ مفهوم التنمية المستدامة معاني جديدة، وراح يستأثر باهتمام علمي وفكري متجدد، وبرز هذا الاهتمام في تقرير الاتحاد العالمي للمحافظة على الموارد الذي خصص كله للتنمية المستدامة، وصدر عام 1981 تحت عنوان (الإستراتيجية الدولية للمحافظة على البيئة)، حيث تم وضع تعريف محدد للتنمية المستدامة على أنها " السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع النظر بعين الاعتبار إلى قدرات وإمكانات النظام البيئي الذي يحتضن الحياة" وقد تأثر هذا التعريف بالاستخدام المكثف لمفهوم الاستدامة في الزراعة وضرورة المحافظة على خصوبة الأرض الزراعية(Tisdell ، 1988.(373 :

ظهرت البوادر الحقيقية لفكرة التنمية المستدامة في التقرير الموسوم "مستقبلنا المشترك" الذي أعدته اللجنة الدولية عن التنمية والبيئة في عام 1987، ويشار إليها أيضا باسم "لجنة بروندتلاند" تيمنا باسم رئيستها"Gro Harlem Brundt Land" ، حيث أوضحت "Brundt Land" في مقدمة تقرير مستقبلنا المشترك أنه تمت دعوتها في كانون الأول عام 1983 من قبل الأمين العام للأمم المتحدة لإجراء تحقيق، وإعداد تقرير لتقديم جدول أعمال عالمي للتغيير وعلى نحو أكثر تحديدا، حيث نصت البنود المرجعية من الجمعية العامة للأمم المتحدة على الآتي:

1. اقتراح إستراتيجيات بيئية طويلة الأمد لتحقيق التنمية المستدامة بحلول عام 2000 وما بعده.
2. إمكانية دمج العلاقات بين الأفراد والموارد والبيئة والتنمية في السياسات الوطنية والعالمية.

وكانت اللجنة واضحة في تقريرها حيث قامت بوضع طريقة يكون بإمكان الأفراد في الدول المختلفة من خلالها خلق السياسات والتطبيقات الملائمةBruce) ، 2002(74-72 :، فالعبارة التي تستند باستمرار إلى لجنة " بروندتلاند" حول مفهوم التنمية المستدامة هي "أنها التنمية التي تلبي حاجات الجيل الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم" (اللجنة العالمية للتنمية والبيئة، 1989: 83.(

وقد حاول (David Pearce) الإدلاء برأيه حول مفهوم التنمية المستدامة مؤكدا أنها "التنمية التي تضمن عدم انخفاض نصيب الفرد من الرفاهة البشرية في المستقبل (Pearce& Atkinson ، 2002 (1 :، في حين ركز بعضهم على تعريف التنمية المستدامة من الجانب الاقتصادي حيث بين أن التنمية الاقتصادية هي التي تركز على الإدارة المثلى للموارد للحصول على الحد الأقصى من منافع التنمية الاقتصادية، بشرط الحفاظ على نوعية الموارد الطبيعية واستخدام الموارد التي يجب أن لا تقلل من الدخل الحقيقي في المستقبل (السعيد، 1999: 53) ، وفي عام 1989 عرفت منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) التنمية المستدامة "بأنها إدارة وحماية قاعدة الموارد الطبيعية وتوجيه التغيير التقني والمؤسسي بطريقة تضمن تحقيق واستمرار إرضاء الحاجات البشرية للأجيال الحالية

والمستقبلية" وتتسم تلك التنمية بكونها ملائمة من الناحية الفنية ومناسبة من الناحية الاقتصادية ومقبولة من الناحية الاجتماعية (روناتو ،2003: 56).

أما (حسن،2007 :11) فقد قدم مفهوما للتنمية المستدامة على مستوى المنظمة (بأنها استهلاك المنظمة لمواردها بما يؤدي إلى نمو صافي الحقوق بها وتحقيق حجم ملائم من التدفقات النقدية، وبما يؤدي إلى استمرار المنظمة خلال الفترات المحاسبية القادمة).

وفي عام 1992، كانت التنمية المستدامة الموضوع المركزي لمؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية UNECD في قمة الأرض، حيث توصلت قمة الأرض إلى عدة اتفاقيات مهمة حول هذا المجال: (السعيد، 1999: 17)

أ- تصريح (ريو) في البيئة والتنمية: الذي قدم 27 مبدأ لتوجيه التنمية المستقبلية ولمعرفة حقوق السكان في التنمية ومسؤولياتهم في حماية البيئة العامة.

ب- اتفاقية تغير المناخ: وهي اتفاقية بين البلدان لتثبيت غازات الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي إلى المستويات التي لا تضر نظام المناخ العالمي بشكل كبير.

ت- اتفاقية التنوع الحيوي البيولوجي: وهدفها الحفاظ على التنوع للفصائل الحية وضمان المشاركة العادلة في فوائد استخدام التنوع البيولوجي.

ث- التصريح الخاص بمبدأ توجيه الإدارة: نحو الحفاظ على التنمية المستدامة في جميع أشكال الحياة.

ج- جدول أعمال القرن الحادي والعشرين: وهو برنامج شامل عن الأعمال في كيفية تطبيق التنمية الاجتماعية المستدامة اقتصاديا وبيئيا.

وفي السياق نفسه قدمDasgupta) ، 2007 (2 :تعريفا للتنمية المستدامة على "أنها برنامج اقتصادي طويل ينظر بعين الاعتبار إلى الأجيال الحالية والمستقبلية على حد سواء دون تعريضها إلى الانحطاط "(DecLine)، في حين قدم (سعود، 2011: 25) وجهة نظره حول مفهوم التنمية المستدامة مؤكدا أنها أسلوب من أساليب التنمية التي تضع البيئة وقدرتها على العطاء في الحسبان، وأن الاهتمام بالبيئة يعد العامل الأساس للتنمية المستدامة، كما وصفها بأنها تنمية لا تؤدي إلى دمار للموارد الطبيعية واستنزافها وتكون موالية للناس ولفرص العمل وللطبيعة.

ونظرا لارتباط النشاط السياحي بشكل أساس بالبيئة وبكل معطياتها، فإن المنظمات الدولية القائمة على تنظيم هذا النشاط وعلاقته بالبيئة "كمنظمة السياحة العالمية World Toursim" (WTO) " Organization"، والاتحاد العالمي لصون الطبيعة والبيئة International Union"" (IUCN) for Conservation of Nature and Natural Ressources والمرفق العالمي للبيئة

Global Enviroment" (GEF) " Facillity ركزت كلها على مبدأ السياحة المستدامة منذ أوائل الثمانينيات من القرن العشرين في إعلان مانيلا (الفلبين) عام 1980، الذي أكد أن الاحتياجات السياحية لا ينبغي أن تلبى بطريقة تلحق الضرر بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية لسكان المناطق السياحية، أو على البيئة الطبيعية التي وهبها الخالق عز وجل للإنسان، والمواقع التاريخية والثقافية التي تعد عوامل جذب رئيسة للسياحة، ويشدد الإعلان على أن هذه الموارد هي جزء من تراث البشرية وأنه ينبغي على المجتمعات المحلية والمجتمع الدولي القيام بالخطوات اللازمة للحفاظ عليها، والعمل على إحداث توازن بين البيئة والسياحة لتصبح هذه الأخيرة نشاطا إنمائيا قابلا للاستمرار (World Toursim Organization، 1980.)

وقد عرف الاتحاد الأوربي للبيئة والمتنزهات القومية عام 1993 التنمية السياحية المستدامة بأنها "نشاط يحافظ على البيئة ويحقق التكامل الاقتصادي والاجتماعي ويرتقي بالبيئة المعمارية(Helmy ، 1999 : 58)، وقد عد كل من(Myburgh & Saayman ، 1999 (أن التنمية السياحية المستدامة تتجسد بالاعتماد على العلاقة بين القضايا البيئية والاجتماعية والاقتصادية ، وهذا يعني أن السياحة المستدامة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار جزءًا من عمليات التخطيط التي تكمل السياحة مع مبادرات التنمية الاقتصادية الأخرى، في محاولة لإنجاز الاستدامة (Mbaiwa ، 2005: 207)، أما منظمة السياحة العالمية (WTO) فقد عرفت التنمية السياحية المستدامة "بأنها تلك التنمية التي تلبي احتياجات السياح والمواقع المضيفة إلى جانب حماية حق الأجيال القادمة في الاستمتاع بهذه المواقع مستقبلا. أي إنها القواعد المرشدة في مجال إدارة الموارد بطريقة تتحقق فيها متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وأيضا التكامل الثقافي مع العوامل البيئية والتنوع الحيوي ودعم نظم الحياة (World Toursim Organization، 2004.)

ويشير كل من(Liu & Jones ، 1996: 217 (إلى أن السياحة المستدامة يجب أن تكون متكاملة مع عملية التنمية المستدامة ويجب أن تكون متابعة لتطورات التنمية المستدامة، وأن تكون عبارة عن عملية إدراك لأهداف اقتصادية واجتماعية معينة تساهم في تحقيق الاستدامة، زيادة، أو تخفيضا، أو تغيير النوعية وحتى إزالة أو إيجاد منتجات، أو شركات، أو صناعات أو أي عناصر أخرى من شأنها أن تصب في خدمة عملية التنمية السياحية المستدامة. كما يؤكد(Liu ، 2003: 460 (أن التنمية السياحية المستدامة تقابل حاجات السياح الحالية والمناطق المضيفة، وتعمل على توفير فرص الحماية والتحسين للمستقبل، ويمكن أن يكون أداء الإدارة جميع الموارد بطريقة تجعل الحاجات الاقتصادية، الاجتماعية والجمالية (aesthetic) منجزة، ويشير(Lane ، 1994 (102 :إلى أن تنمية السياحة المستدامة هي العلاقة المثلثية المتوازنة بين المناطق المضيفة وبيئتها والناس، والسياح، وصناعة السياحة.

أما (العنزي، د. نايف، 2010: 1) فيعرفها بأنها الاستغلال الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة سواء أكانت بشرية أم مادية أم طبيعية بشكل فعال ومتوازن بيئيا وعمرانيا واجتماعيا واقتصاديا، وبما يخدم مجالات التنمية السياحية المختلفة تحقيقا لتطلعات السكان المحليين واحتياجات السياح بعدالة من دون إسراف أو إهدار لمكتسبات الأجيال القادمة، في حين حدد (خربوطلي، 2004: 25) ثلاثة محاور للتنمية السياحية المستدامة وهي:

1. مراعاة قواعد البيئة ونظمها.
2. احترام الثقافة المحلية وطابعها.
3. ترشيد استخدام الموارد السياحية لتبقى صالحة للأجيال والمستقبل.

وفي السياق نفسه يؤكد (Kovathanakul ، 2008, 19) : من خلال إعداده لأطروحته أن السياحة المستدامة تتوقف على ثلاثة أبعاد رئيسة لضمان تنمية مستدامة طويلة الأمد، وهي:

1. الاستخدام المثالي للموارد البيئية التي تشكل العنصر الأساس لتطوير السياحة، والإبقاء على العمليات البيئية الضرورية التي تساعد في الحفاظ على التراث الطبيعي والتنوع.
2. احترام الأصالة الثقافية والاجتماعية لجاليات المكان المضيف، للمحافظة على تراثهم الثقافي والصناعي والطبيعي وقيمهم التقليدية، والمساهمة في فهم ثقافة متباينة.
3. الضمان الفعال، للعمليات الاقتصادية الطويلة الأمد، والفوائد الاقتصادية والاجتماعية لجميع أصحاب المصالح، وفرص التوظيف والحصول على دخل مستقر وخدمات اجتماعية للمجتمعات المضيفة ، التي تساهم في تخفيف الفاقة (Poverty) فالتنمية السياحية المستدامة تتطلب اطلاع جميع أصحاب المصالح ذات العلاقة، إضافة إلى قيادة سياسية قوية لضمان المشاركة الواسعة فيها. فإنجاز التنمية السياحية المستدامة يتطلب عملية مستمرة ومراقبة مستمرة للمؤثرات، والوسائل الوقائية الضرورية والإجراءات التصحيحية عند الضرورة كما تتضمن التنمية السياحية المستدامة الإبقاء على مستوى عال من الرضى للسائح وضمان رفع مستوى وعيهم حول قضايا الاستدامة وترويج ممارسات السياحة المستدامة بينهم (World Toursim Organization ،، 2006 (ومن أجل التعرف على الفرق بين كل من التنمية السياحية المستدامة والتنمية السياحية التقليدية فبالإمكان الاطلاع على الجدول (1) الذي يبين ذلك.

ووفقا لـ Swarbrooke)، 1998 (25: فإن القضايا الأساسية للسياحة المستدامة التي يبينها الشكل (1). تتضمن الأخلاقيات والتطبيقات العملية التي تمارس لحماية استمرار خطة تنموية للسياحة المستدامة.

أما ضرائب السائح والتسعير العادل فهي أدوات مستخدمة لإقناع الجاليات في أن معيشتهم ستدعم بوساطة صناعة السياحة. والقطاعات العامة والخاصة يجب أن تكون متضمنة في عملية التخطيط أن لديها القدرة على النظر بعين الاعتبار إلى تراث الجالية الثقافي. وأخيرا، فإن السياح عليهم مسؤولية كذلك، في أن يكونوا الزوار الخضر (green visitors) الذين يولعون بالحفاظ على البيئة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الرواشدة، أكرم عاطف. (2012). السياحة البيئية في محمية غابات عجلون دراسة استطلاعية، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 5، العدد 2، ص151–171.
2. صبابحة، صفاء صبح. (2017). السياحة البيئية في منطقة حائل، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
3. عذبي، سعاد وآخرون (2004)، السياحة البيئية في دولة الكويت: تحليل الآثار وإستراتيجية الاستدامة، مجلة الجامعة الأردنية للعلوم الاجتماعية، مجلد 33، عدد 2، ص: 291 – 312.
4. الجمعية الملكية لحماية الطبيعة، تقارير منشورة، 2019، 2020.
5. وزارة السياحة الأردنية، تقارير وإحصائيات منشورة، 2019.

List of Sources and References

6. Athbi, Souad and others (2004), Ecotourism in the State of Kuwait: An Impact Analysis and Sustainability Strategy), Journal of the Jordan University of Social Sciences, Volume 33, Issue 2, pp: 291-312
7. Barkauskiene, Kristinaand Snieska, Vytautas. (2013). ECOTOURISM AS AN INTEGRAL PART OF SUSTAINABLE TOURISM DEVELOPMENT, CONOMICS AND MANAGEMENT; ISSN 2029-9338, 18(3).
8. Jordanian Ministry of Tourism, published reports and statistics, 2019.
9. Joshi, R.L., 2011. Eco-tourism Planning and Management on Eco-tourism Destinations of Bajhang District, Nepal. M. Sc. Forestry (2010-2012), p.11. Online [Available]: http://www.forestrynepal.org/images/ publications/ Ecotourism %20 destination %20bajhang.pdf.
10. Kiper, Tuğba.(2012). Roleof Ecotourism in Sustainable Development, http://dx.doi.org/10.5772/55749
11. Kuuder, Conrad-J Wuleka and Bagson, Ernest, and Aalangdong, I. Oscar. (2013). Livelihood Enhancement through Ecotourism; A case of MognoriEcovillage near Mole National Park, Damongo, Ghana. International Journal of Business and Social Science, Vol. 4No.4; April 2013
12. .Rawashda, Akram Atef. (2012). Ecotourism in Ajloun Forest Reserve: An exploratory study, The Jordanian Journal of Social Sciences, Volume 5, Issue 2, pp. 151-171.
13. Royal Society for the Conservation of Nature, published reports, 2019, 2020

14. Sababha, Safaa Subh. (2017). Ecotourism in the Hail Region, University of Sharjah Journal of Humanities and Social Sciences.
15. Steward, W.P. and Sekartjakrarini, S. (1994). Disentangling ecotourism. Annals of Tourism Research 21(4), pp; 840-866.
16. Weiler,B. andCrabtree, A.(1995) Towards a national ecotourism education strategy: Assessing the formal training needs of the ecotourism industry. In H. Richins, J. Richardson and A. Crabtree (eds) Ecotourism and Nature-Based Tourism: Taking Next Steps (pp. 187–191). Red Hill: The Ecotourism Association of Australia Conference Proceedings.
17. Westlake, J.and Diamantis, D. (1998) The application ofenvironmental auditing to themanagement of sustainability within tourism. Tourism and Recreation Research 23 (2). Wight, P. (1993a) Ecotourism: Ethics or eco-sell? Journal of Travel Research XXXI (3), 3–9.

الاستدامة البيئية للأراضي المهجورة زراعيا

د. علي بن سعيد بن سالم البلوشي

أستاذ مشارك، الجغرافيا الفيزيائية والدراسات البيئية
قسم الجغرافيا- كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان
buloshis@squ.edu.om

1. المقدمة

يعد الاستخدام المستدام للأرض من الشواغل الأساسية لأي بلد في العالم. وقد ركزت أهداف التنمية المستدامة (SDGs)، على الاستخدام المستدام للأراضي في هدفها الخامس عشر، وينص بوضوح على أن هناك حاجة ملحة لمكافحة إزالة الغابات والتصحر، ما لا يشكل تحديات كبيرة للتنمية المستدامة فقط، بل يؤثر سلبا في حياة الملايين من الناس وسبل عيشهم كذلك.

يمثل هجر الأراضي الزراعية أحد التهديدات الرئيسة للاستخدام المستدام للأراضي، وأصبح من الأمور الشائعة في العديد من الدول. ويرى (Estel S. et al., 2015) أن هجر الأراضي الزراعية هو تغيير واسع النطاق في استخدام الأراضي في المناطق المعتدلة، بسبب زيادة الغلات في الأراضي المنتجة، وسياسات الحفظ وزيادة الواردات من المنتجات الزراعية من مناطق أخرى. وقد تتشابه أسباب هجر تلك الأراضي في كثير من الأقاليم، إذ غالبا ما تتمحور حول الأخطار الطبيعية المفاجئة والصراعات التي تدور بين المجموعات البشرية. وفي العقود الأخيرة شهد هجر الأراضي الزراعية تزايدا واضحا، بل وأصبحت الأراضي الزراعية هدفا للهجر، ويمثل هجرها رغبة في تغيير استعمالاتها لدوافع اقتصادية واجتماعية وبيئية. وقد أبرزت التحليلات الوصفية للدراسات المنشورة أن هجرَ الأراضي الزراعية ظاهرةٌ عالمية مدفوعة في الغالب بالهجرة من الريف إلى المدينة في المناطق التي يتم فيها تقديم فرص اقتصادية جديدة لسكان الريف (Aide T. and Grau H., 2004). وأن هجر الأراضي هو إحدى العمليات المسؤولة عن تغييرات استخدامات الأراضي (Arnáez J. et al., 2015). ويعد هجر الأراضي إحدى النتائج المحتملة لعملية التهميش المدفوعة بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية، والتي من خلالها تتوقف مناطق معينة من الأراضي الزراعية عن كونها

قابلة للحياة في ظل استخدام الأراضي القائمة والهياكل الاقتصادية الاجتماعية (Keenleyside C. and Tucker G., 2010).

وقد لوحظ أن هناك العديد من العوامل التي تؤثر على قرارات المزارعين بشأن هجر الأراضي الزراعية (Agriculture Land Abandonment) مثل التعلق بالمكان (Brown G. and Raymond C., 2007) ورأس المال الاجتماعي (Robison L. et al., 2002)، والأحداث المناخية المتطرفة والكوارث، والأطر المؤسسية، والحوافز الموجهة للمحافظة على الأراضي الزراعية (Prishchepov A. et al., 2012) والخصائص التضاريسية، وسوء إدارة الأراضي (Benayas J. et al., 2007). وذكرت بعض الدراسات أن هجر الأراضي قد حدث بشكل رئيسي في البلدان المتقدمة نتيجة لتكثيف الزراعة ومحاولة تقليل الأراضي الزراعية مقابل الاستخدامات الأخرى (Alonso- Kou M. et al., 2016).

يؤثر هجر الأراضي الزراعية سلبا وإيجابا في وظائف النظام الإيكولوجي (Cammeraat E. et al., 2010. Lasanta T. et al., 2015.). كما يؤدي إلى تغييرات في نظام التربة، وحدوث تغييرات في الدورة الهيدرولوجية، وموارد الحيوانات والنباتات (de Araújo A. et al., 2015; Keesstra S. 2007; Dixon-Coppage T. et al., 2005). وتتفق الدراسات على أنه لا يمكن منع هجر الزراعة من خلال تبني طريقة أو سياسة واحدة (Dixon-Coppage T. et al., 2005)، وأنه يجب على الحكومات وصناع القرار تطوير إستراتيجيات فعالة لمنع المزيد من التخلي لضمان الإدارة المستقبلية المستدامة للنظم الإيكولوجية الزراعية.

تهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار ظاهرة هجر الأراضي الزراعية، وإيجاد تعريف موحد لها، وتحديد أنماط عمليات هجر الأراضي الزراعية، والكشف عن الدوافع الرئيسة لها، وإيضاح أهم العواقب الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للظاهرة، وتحديد السبل الممكنة لاستدامة الأراضي المهجورة زراعيا.

تعتمد الدراسة على تحليل الدراسات والأدبيات التي تعرضت لعملية هجر الأراضي الزراعية في العديد من أقاليم العالم، ومقارنة بعضها بالبعض الآخر؛ للخروج برؤية واضحة حول الظاهرة. وتبرز أهميتها في إيجاد أرضية تشخيصية للعديد من الدراسات التي ستستهدف الأراضي المهجورة زراعيا في سلطنة عمان مستقبلا. ولذلك تعد هذه الدراسة من الدراسات التشخيصية الأولى التي تتعرض لظاهرة هجر الأراضي الزراعية، وإطارا توجيهيا للدراسات التخطيطية للمؤسسات الحكومية المعنية بسلطنة عمان باستدامة وإعادة تخطيط الأراضي، إضافة إلى توعية المزارعين وملاك الأراضي الزراعية بالآثار المتوقعة نتيجة هذه الظاهرة وطرق استدامتها.

2. التعريف:

مما لا شك فيه أن تشهد استعمالات الأراضي في جميع أنحاء العالم تغيرات جذرية، نظرا لمجموعة من العوامل البيئية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى تسارع عمليات التنمية. ومن أوضح الصور لتغيير استعمالات الأراضي هو هجر الأراضي الزراعية، بحيث يتغير النمط الزراعي للأراضي لتبدو وكأنها مناطق قاحلة أو مناطق طبيعية تسمح بنمو النباتات الطبيعية العشوائية، أو مناطق مستهدفة لصرف النفايات البشرية، وغيرها من الممارسات غير المرغوب فيها.

على الرغم من أن هجر الأراضي الزراعية والمستوطنات المصاحبة لها كان أمرا شائعا في الماضي (Raj N. and Watanabe T., 2006) لأسباب قهرية، مثل: الأوبئة، والتقلبات المفاجئة في المناخ (الجفاف أو العواصف الثلجية أو الفيضانات) والنزاعات المسلحة (Khanal N., Mahat T. et al., 1987; 2002)؛ فإن الظاهرة قد أصبحت شديدة التكرار في مختلف أقاليم العالم، بل وأصبحت غير مرتبطة بنوعية المناخ السائد ولا نوعية التضاريس، وأصبحت ترى في العديد من المناطق (Cramer V., 2008) كالمناطق الجبلية والسهول (البلوشي، 2003) وفي أراضي البحر المتوسط (Novara A. et al., 2017)، كالبرتغال (Van der Zanden E. et al., 2018) ودول جنوب شرق أوروبا (Zakkak S. et al., 2015) وشمال أوروبا (Robinson R., and Sutherland J., 2002)، وجنوب أوروبا (Ostermann O., 1998) وأمريكا الشمالية (Parody J. et al., 2001) وأمريكا الجنوبية (Díaza G. et al., 2011). كما يعد هجر الأراضي الزراعية مشكلة رئيسية في إفريقيا (Tesfaye W. and Seifu L., 2016). وتهديدا بيئيا كبيرا للهيكل الإقليمي الأوروبي (Zakkak S. et al., 2015)، والولايات المتحدة (Estoque R. et al., 2019)، واليابان (Osawa T. et al., 2016)، وكذلك في المناطق النامية، مثل: الهند، وفيتنام، والصين، والفلبين (Rudel T. et al., 2005) وباكستان (Rajpar H. et al., 2019) وأقاليم الرياح الموسمية في آسيا (Fujihara M. et al., 2005; Tokuoka, Y. et al., 2011; Osawa T. et al., 2013.).

كما هُجرت ملايين الهكتارات لنسب تتراوح بين 15–20٪ من الأراضي الزراعية في كل من سلوفاكيا، وبولندا، وأوكرانيا (Keenleyside C. and Tucker G., 2010; Van Dijk G. 2004) وإسبانيا (Nainggolan D. et al., 2014). وتشير البيانات الصادرة عن مركز الأبحاث والمسح المالي للأسرة في الصين في 262 دولة، إلى أنه تم العثور على 13.5٪ و15٪ من الأراضي الزراعية معطلة في 2011 و2013 على التوالي (Gan, L. et al., 2015). وعلى الصعيد العالمي، قدرت الأراضي

المتدهورة بسبب الأنشطة الزراعية بحوالي 12400000 كيلومتر مربع (Bot A. et al., 2000)، ونطاقات بين 10–20٪ في المناطق الجافة من الكوكب (Lepers E. et al., 2005). كما قدرت بعض الدراسات أنه بين عامي 2001 و2012، قد هُجر ما يصل إلى 7.6 مليون هكتار من الأراضي الزراعية في أوروبا الشرقية، وجنوب الدول الإسكندنافية، والمناطق الجبلية في أوروبا (Estel S. et al., 2015). وفي جبال الهملايا، وعلى الرغم من تباطؤ وتيرة هجر الأراضي الزراعية بعد عام 2000، فإنها لا تزال مرتفعة، وتمثل حوالي 1٪ من إجمالي المساحة المزروعة في سنة واحدة (Raj N. and Watanabe T., 2006).

إن مصطلح هجر الأراضي الزراعية (ALA) مصطلح شائع الاستخدام لوصف الأراضي غير المزروعة، وتشير معظم الدراسات إلى تعدد التعريفات، إلا أن معظمها يدور حول ما يأتي:

1- الأرض المستخدمة للأغراض الزراعية حتى وقت قريب، ولكن لم تعد مزروعة.
2- الأرض التي لا تخضع لأي ممارسات زراعية على الرغم من أنها مخصصة للزراعة مع احتفاظ مالكها بحقوق ملكيتها.
3- أراضٍ مهملة زراعيا، وأصبحت مسرحا لنمو النباتات غير المستساغة، أو الطبيعية العشوائية (Leal W. et al., 2017).
4- أراضٍ زراعية غُيِّرتْ استخداماتها بشكل غير قانوني، ومن دون استخراج أذونات قانونية توضح طبيعة الاستخدام الجديد.
5- تقلص مساحات الأراضي الزراعية المنتجة، بسبب زيادة الغلة، وسياسات الحفظ وزيادة الواردات من المنتجات الزراعية من مناطق أخرى (Estel S. et al., 2015).
6- توقف الأنشطة الزراعية على سطح معين من الأرض، وعدم استغلالها لأنشطة أخرى للتخطيط العمراني، أو تحريج الأراضي. (Pointereau P. et al., 2008).

من ناحية أخرى قد يحدث هجر الأراضي عندما يتأثر النظام الزراعي بدوافع خارجية أو بسبب الحركة الموجهة والمستمرة نحو التوسع أو التكثيف، والتي عادة ما تكون مدفوعة بالظروف الاقتصادية أو البيئة الاجتماعية (Baudry J., 1991; Rudel T., 2009.). ويمكن لعملية هجر الأراضي الزراعية أن تأخذ خمسة أنماط (Bielsa I. et al., 2005) أبرزها:

1- التحول من المحاصيل المختلطة والمراعي إلى القليل من المحاصيل أحادية الثقافة.
2- الإلغاء التام بمساعدة السياسات والتشريعات والقوانين.
3- التحريج المنظم للأراضي بحيث تبدو كأنها من الغطاء النباتي السائد.

4- التخلي الجزئي عن بعض المساحات لأسباب متعلقة بالآفات أو النقص في المياه.
5- التخلي التام عن الزراعة، والتحول المنظم إلى أرض غير مزروعة، بهدف تغيير الاستعمال لاحقا.

إن هجر الأرض هو مصطلح شائع الاستخدام لوصف الأرض غير المزروعة، حيث الأرض المستخدمة للأغراض الزراعية إلى وقت هجرها لتصبح غير مزروعة، مع غطاء ملحوظ من الشجيرات والأعشاب الطبيعية (Filhoa W. et al., 2017). وبشكل عام يمثل هجر الأراضي الزراعية تغييرا في استخدام الأراضي (Lambin E. et al., 2003)، والذي يمثل في حد ذاته ظاهرة معقدة تتداخل فيها التأثيرات والعلاقات بين سلع وخدمات النظام الإيكولوجي. كما يعرف هجر الأراضي الزراعية بأنه سوء إدارة الأراضي الزراعية، ما يؤدي إلى إحداث تغييرات غير مرغوب فيها في خدمات النظام البيئي (Keenleyside C. and Tucker G., 2010). كما يمكن تعريفه بأنه عملية إيقاف زراعة الأراضي الزراعية، أو تلك المخصصة لعملية الزراعة لصالح أغراض، واستخدامات أخرى، مثل: السكنية، والتجارية، والسياحية، أو التنموية بشكل عام (Pointereau P. et al., 2008). ويشار كذلك إلى أنه تحويل أي استخدام للأراضي الزراعية إلى مناطق ليست للزراعة كتحريج الغابات، أو إنتاج الطاقة (Nainggolana D. et al., 2012).

يذهب البعض إلى أن هجر الأراضي الزراعية أحد مظاهر التوقف المتعمد أو المنهج المدفوع بمجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية، والتي من خلالها تتوقف مناطق معينة عن الزراعة، وعن كونها قابلة للحياة في ظل استخدام الأراضي القائمة والهياكل الاقتصادية والاجتماعية (Keenleyside C. and Tucker G., 2010). غالبًا ما يكون هجر الأراضي الزراعية عملية معقدة وتدريجية، حيث تبدأ عملية الهجر عادة من خلال تخفيض المساحة المزروعة وخاصة على الأطراف (Filhoa W. et al., 2017)، ثم يتم التراجع واضحا باتجاه مصدر الماء الرئيس للمزرعة، أو باتجاه الوحدات المبنية سواء أكانت للسكن أم بوصفها حظائر حيوانات. كما يلاحظ تقليص عملية الحراثة، وسحب حظائر الحيوانات من الأطراف مع عدم تكرار الزراعة (Keenleyside C. and Tucker G. 2010)، ويكون ذلك بالطبع متبوعا بتطور ملحوظ ومتنامٍ في عمليات التعاقب الطبيعي للنباتات.

3. دوافع هجر الأراضي الزراعية:

كشفت الدراسات عن مجموعة من العوامل المعززة للاتجاه المتزايد نحو هجر الأراضي الزراعية في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد الانفتاح الاقتصادي في فترة السبعينيات من القرن المنصرم، الذي وافق الاستقرار السياسي والاقتصادي لمعظم الدول النامية. وقد شهدت الساحة العالمية العديد من التغييرات

المتعلقة باستخدامات الأرض والأهمية المكانية والهيكل السكاني للدول، واستحداث إستراتيجيات وهياكل اقتصادية لتنوع مصادر الدخل، والتحسين في خدمات البنية الأساسية وإمكانية الوصول إليها، وتغلغل اقتصاد السوق، والنمو اللاحق لمدن السوق والمراكز الحضرية وانفتاح البلدان على سوق العمل الدولية. بجانب ذلك برزت في العالم العديد من القضايا البيئية الحديثة (التصحر، والتغير المناخي، وارتفاع مستوى منسوب البحر، وتكرار حدوث الفيضانات، والأعاصير) التي دفعت ملاك الأراضي الزراعية إلى هجرها تحت مظلة الخوف الآني أو المستقبلي، من تفاقم تلك المشاكل البيئية، بحيث تكون عملية هجر الأراضي الزراعية اختيارية، بدلا من أن تكون إجبارية.

من ناحية أخرى فإن الصراعات السياسية، وعدم استقرار الكثير من الدول النامية سياسيا، سواء أكان بعدم استقرار الحدود السياسية وسوء العلاقات الخارجية لها، أم بعدم الاستقرار الداخلي، كالصراعات على الحكم، والطائفية، والمذهبية، وغير ذلك؛ ما زالت أحد المسببات الرئيسة لعمليات هجر الأراضي الزراعية.

عادةً ما تكون بعض الدوافع ذات علاقة بقوى التغيير العالمية واسعة النطاق، وتمثل فرصًا اقتصادية جديدة (Benayas J. et al., 2007). إلى جانب تأثير السياسات الزراعية الإقليمية، مثل: السياسة الزراعية الأوروبية المشتركة (Ruiz Pe´ rez M. 1990; Happe K. et al.,2006)، وسياسات تحرير التجارة العالمية، حيث تتداخل الدوافع الاجتماعية والاقتصادية أحيانًا مع السياسات العميقة، مثل: سياسات سوق ما بعد الاتحاد السوفيتي (Ho¨ lzel N. et al., 2002; Vranken L et al., *2004*) في دول أوروبا الشرقية، والتغيرات الثقافية مثل التقاليد في الهند (Maikhuri R. et al., 2000).

3.1. **الدوافع الاجتماعية والاقتصادية**: تتضمن الدوافع الاقتصادية لهجر الأراضي مجموعة من العوامل، مثل:

1) الهجرة، وتتضمن الهجرة من الريف إلى الحضر، التي يحفزها الانجذاب الثقافي، والفرص الاقتصادية الجديدة في المدن (Aide T. and Grau H., 2004; Benayas J. et al., 2007)، والهجرة الخارجية (Raj N. and Watanabe T., 2006).
2) عوامل متعلقة بخصائص الأراضي الزراعية، كشيخوخة الأراضي الزراعية (البلوشي، 2019) ويشير (Benjamin K. et al., 2007) إلى أن الملاك على المدى الطويل، قد هجروا الأراضي الأقل شعبية والأقل قيمة. إضافة الى حالة الحيازة الزراعية، وعمر المزارعين (Benayas J. et al. 2007)،

3) عوامل متعلقة بتشغيل وإدارة الأراضي الزراعية، مثل: النقص المتزايد في العمالة (Raj N. and Watanabe T., 2006; Osawa T. et al., 2016; Estoque R. et al., 2019)، وانخفاض عدد الثروة الحيوانية، وما صاحبها من انخفاض في الخدمات الزراعية المساعدة، كالأسمدة، والحراثة، وتوفير المواد الغذائية الأساسية (Khanal N., 2002)، والزراعة والعمليات الزراعية غير الفعالة (Osawa T. et al., 2016)، إضافة إلى التكثيف الزراعي للأراضي الزراعية الكبيرة المساحة والتجارية (Bu¨ rgi M. and Turner M., 2002; Mottet A. et al., 2006).

4) عوامل متعلقة بالخدمات، والمرافق الحضرية، والقرب من المدن (Benayas J. et al., 2007) وتحسن الطرق السريعة، وإمكانية الوصول، والتعليم، والصحة، وارتفاع مستوى التعليم لدى الأطفال الذين كانوا يستخدمون بشكل مباشر، أو غير مباشر، كجزء من القوة العاملة في الأنشطة الزراعية (Raj N. and Watanabe T., 2006).

5) عوامل اقتصادية بحتة، متعلقة بحوافز السوق، واستيراد السلع الأساسية – بما في ذلك الحبوب الغذائية – بسعر أرخص، والتصنيع، وزيادة وفرص الاستثمار في المدن المجاورة، وازدياد التدفق النقدي من التحويلات، والمعاشات، والخدمات. وقد مكن ذلك العديد من السكان المحليين من شراء العناصر المستوردة (Raj N. and Watanabe T., 2006)، وانخفاض معدل العائد من المحاصيل التقليدية وانخفاض ربحيتها، فعلى سبيل المثال: يؤدي انخفاض أسعار المحاصيل إلى ارتفاع سور المنافسة أمام صغار المزارعين (Keenleyside & Tucker 2010; Aide T. and Grau H., 2004)، وارتفاع معدل الأجور في القطاعات غير الزراعية، مثل: الخدمات الحضرية والبناء (Khanal N., 2002).

6) عوامل متعلقة بالتطور الحضري، والتطور التكنولوجي (Benayas J. et al., 2007)، وما رافق ذلك من زيادة غلة الأراضي المنتجة، وتطور طرق الحفظ، وزيادة الواردات من المنتجات الزراعية من مناطق أخرى (Estel S. et al., 2015).

3.2. **الدوافع البيئية:** تسمى أحيانًا بالمحركات جيو-بيولوجية-فيزيائية، أو فيزيائية، أو غير حيوية، وتشمل ما يلي:

1) عوامل أرضية، وتشمل عوامل، مثل: الارتفاع، والطبيعة الجيولوجية (Benayas J. et al. 2007)، ودرجة الانحدار، والتضرس، وخشونة التربة، وافتقادها للعناصر الغذائية الطبيعية

(Pastor J. et al., 1992)، وعمق التربة، وقابلية التربة للتآكل (Hodgson J. et al., 2005)، وارتفاع محتواها من العناصر المعدنية الضارة.

2) عوامل مناخية، وتشمل النظام المناخي السائد، والتذبذب، أو الشذوذ، أو التطرف المناخي، والتغير المناخي (Wiebe K. et al., 2015).

3) التلوث بسبب الإفراط في استخدام الأسمدة الكيماوية، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع سمية التربة، وتصلبها، وارتفاع تكاليف الإصلاح (Raj N. and Watanabe T., 2006).

4) التملح نتيجة لممارسات زراعية غير ملائمة (البلوشي، 2003؛ Benayas J. et al., 2007).

5) الكوارث الطبيعية الواسعة النطاق، كالأعاصير، والزلازل، والبراكين، وغزوات الجراد المتكررة (Aide & Grau, 2004; Zakkak S. et al., 2015).

6) المشاكل البيئية متعددة الاتجاهات، ويكون لها تأثير في المجتمع أكبر من تأثيرها على المزارع التي تحدث فيها عملية الهجر (Stoate C. et al., 2001) كرمي النفايات، وتحولها إلى نظام العشوائيات، حيث تكدس العمالة غير القانونية، وزراعة المحاصيل غير المتوافقة مع الظروف الطبيعية للمنطقة (البلوشي، 2003).

3.3. **الدوافع الاجتماعية والسكانية، وتشمل:** مجموعة من العوامل المتعلقة بـ:

1) عمر مالك الحيازة الزراعية.

2) انخفاض المؤهلات الدراسية لملاك الحيازات الزراعية (Terres J. et al., 2013).

3) إجمالي الدخل لأسرة الحائز الزراعي.

4) نوع ملكية الحيازة الزراعية (مملوكة، أو مستأجرة).

5) تفتت الملكية الزراعية بنظام الإرث.

6) عدم اتفاق الورثة على خصوصية واستعمال الحيازة الزراعية.

7) نقص الجمعيات، والشبكات الاجتماعية التي تضمن حقوق الحائزين الزراعيين.

8) النقص العام في المرافق والخدمات الأساسية.

3.4. **الدوافع السياسية والتشريعية والقانونية، وتشمل:**

1) السياسات الحكومية المتعلقة بحقوق الملكية، واستخدام الأراضي، والضرائب، والإيجارات، حيث لها تأثير مباشر وغير مباشر في المعدل المتزايد لهجر الأراضي الزراعية. فقد أدى الحكم القانوني بإلغاء الملكية المزدوجة للأرض، من خلال جعل الأرض مقسمة بالتساوي بين المالك والمستأجر، إلى إحجام مالكي الأراضي في النيبال عن تأجير أراضيهم لأشخاص آخرين راغبين

في زراعتها؛ لأنه إذا قام مالك الأرض بتأجير أرضه لأي مستأجر، فيمكن للمستأجر المطالبة بنسبة 50 ٪ من الأرض التي استأجرها (Raj N. and Watanabe T., 2006).

2) أنظمة تملك حيازة الأراضي الزراعية، من حيث نوع المالك، ومساحة الحيازة، ونوع المحاصيل المستهدفة.

3) انخفاض ضريبة حيازة الأراضي الزراعية المهجورة، التي تشجع الأسر الغائبة على الاحتفاظ بحقوق الملكية، من خلال دفع ضريبة الأرض دون زراعة الأرض في موطنها الأصلي (Raj N. and Watanabe T., 2006)

4) عدم وضع سياسات، أو تنفيذ سياسات واضحة، للسيطرة على الأراضي المهجورة وإدارتها، من قبل الحكومة.

5) عدم وجود تشريعات تُشجع الأسر الزراعية على استخدام الأراضي المهجورة، فمثلا: تعمل عوامل مثل: ارتفاع إيجار الأرض، وعدم رغبة الملاك الغائبين في نقل حق ملكية الأرض بأسعار منخفضة، أو تأجير أراضيهم لأشخاص آخرين، وكل ذلك يؤدي إلى زيادة هجر الأراضي (Raj N. and Watanabe T., 2006)

6) النزاعات المسلحة، أو عدم الاستقرار السياسي (Filhoa W. et al., 2017).

7) انخفاض حصة الإعانات من السياسات الزراعية المشتركة بين الدول لدعم القطاع الزراعي (Lasanta T. et al., 2017).

8) انخفاض الاستثمارات الخارجية في مجال الزراعة، وضعف سوق الأراضي (Terres J. et al., 2013.).

9) عوامل سياسية تاريخية، مثل: الانتقال إلى اقتصادات السوق الحرة، مع انهيار الاقتصاد الزراعي خلال الفترة 1990–2004 في بلدان أوروبا الشرقية، والسياسات الوطنية، وسياسات الاتحاد الأوروبي، ومشاكل في تجديد عقود البيئة الزراعية بعد 5 سنوات، والمتطلبات الصحية الجديدة لـ CAP على دول أوروبا الشرقية عام 2004، وفصل المدفوعات المباشرة عن المنتج (Pointereau P. et al., 2008,).

ومن خلال قراءة الدراسات ذات العلاقة بالدوافع المحفزة لهجر الأراضي الزراعية، يمكن اشتقاق مجموعة من أنواع الهجر، وفقا لأسباب هجرها وغايته، وهي على النحو التالي:

1) الهجر المفاجئ، ويحدث عادة لأسباب غير واضحة، تكون متعلقة بتفتت الملكيات الزراعية نتيجة الإرث، أو موت صاحب الحيازة، أو شيخوخته، أو لعدم وجود نظام إداري واضح للحيازة الزراعية، أو نزاعات قانونية متعلقة بملكية الأرض، أو عدم شرعيتها القانونية.

2) الهجر التدريجي ويؤدي إليه أسباب مشتركة بين العوامل الطبيعية والبشرية، كالتملح، ونقص الموارد المائية، والتصحر، ونقص العمالة، حيث يحاول صاحب الحيازة مقاومة العوامل الدافعة لعملية الهجر.
3) الهجر المقصود أو المتعمد، ويصاحب عادة الرغبة الفردية لصاحب الحيازة لرفع القيمة الاقتصادية للحيازة، مدفوعا بالتغييرات الهيكلية المستحدثة في استخدامات الأراضي المجاورة، ويكون الهدف الرغبة في تحويلها إلى استخدام آخر لزيادة الإنتاجية الاقتصادية للأرض.
4) الهجر الإجباري للأراضي الزراعية، ويكون نتيجة للصراعات والنزاعات والحروب، كما يكون أحيانا بسبب قوانين الدولة وتشريعاتها في نزع الملكيات الزراعية لأغراض وخدمات تنموية.
5) الهجر المؤقت، وعادة ما يرافق الكوارث الطبيعية، كالفيضانات، والحرائق، والآفات الزراعية، ونقص العمالة الزراعية، وهجرة ملاك المزرعة من الريف إلى المدينة، أو نتيجة التشريعات أو القوانين المتعلقة باستخدام الحيازة أو تأجيرها.
6) الهجر الدائم، ويصاحب عادة الهجرة الدائمة لملاك الأراضي الزراعية، مع صرامة القوانين التشريعات الحكومية المتعلقة بالتصرف في ملكية الأرض الزراعية، كالبيع، والإيجار، وتغيير الاستخدام. كما يمكن أن يصاحب هذا النوع عمليات تدهور الأراضي الزراعية، كالتملح، والتصلب والانجراف، والانهيارات الأرضية، وعدم القدرة على الإصلاح وإعادة التأهيل، وانخفاض العائد الاقتصادي للمحاصيل الزراعية.
7) الهجر الجماعي، وعادة ما يرافق الظروف السياسية، والصراعات، والنزاعات القبلية، والحروب.
8) الهجر الفردي، ويحدث نتيجة ترك مالك الحيازة للعمل الزراعي، وتغيير مهنته أو رغبته في تغيير الاستعمال لأغراض اقتصادية.

4. آثار هجر الأراضي الزراعية

ركزت معظم الدراسات الخاصة بالأراضي المهجورة زراعيا على الجوانب البيئية أكثر من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وبشكل عام يتضح تأثيرها عبر ما يلي:

4.1. الآثار الاقتصادية:

1) اتفقت دراستي (Raj N. and Watanabe T., 2006; Benayas J. et al., 2007) على مجموعة من الآثار الاقتصادية، أبرزها:
2) انخفاض مستوى الإنتاج الزراعي، وما يترتب على ذلك من انخفاض في دخل المزرعة، وزيادة نقص الغذاء، والاعتماد على الاقتصاد الخارجي.
3) التأثير على سبل عيش الأسر المعيشية الهامشية، والمزارع الصغيرة في القرى.

4) استخدام الدخل الخارجي، مثل التحويلات، والمعاشات التقاعدية، لتعزيز الأنشطة الزراعية واستصلاح الأراضي، بعد أن أصبحت مجالا للنباتات الطبيعية، والتصرفات غير القانونية.
5) انخفاض فرص العمل للأسر ذات الدخل المنخفض في الريف.
6) إجبار الأسر ذات الدخل المنخفض، إما على الهجرة من القرى بحثًا عن عمل، أو العيش على أطراف المدن (عشش الصفيح) لكسب عيشها.
7) زيادة نقص الغذاء وانتشار الفقر بين الأسر الزراعية الهامشية والصغيرة في القرى.
8) اتجاه الأسر الزراعية المنخفضة الدخل إلى الاستيلاء بشكل غير قانوني على الأراضي الزراعية الهامشية، بل واتخاذ مجموعة من التدابير للتحكم في الجريان السطحي، وتقليل فقد التربة، وعدم استقرارها على المنحدرات، وتحويل مجاري المياه، وبناء المصاطب، ورصف الممرات الحجرية، وبناء الجدران الاستنادية، وإقامة السدود.
9) زيادة إنفاق الأسر الزراعية، وتحمل مشاق العمل لصيانة المدرجات، والتحكم في الأخاديد والانهيارات الأرضية، والفيضانات، في الحقول المزروعة.
10) عدم تكييف النظم الزراعية، وسوء إدارة الأراضي.
11) زيادة تكثيف الأراضي الزراعية جنبًا إلى جنب مع هجر الأراضي الزراعية على نطاق واسع (Busch G., 2006).

4.2. الآثار الاجتماعية:

1) فقدان القيم الثقافية والجمالية، فعلى سبيل المثال، فإن أربعة من أصل سبعة أنظمة بيئية أرضية ستضيع إذا تم هجر الاستخدام الزراعي فيها، تلك الأنظمة مدرجة في توجيه الاتحاد الأوروبي للموائل، تخضع للاستخدام الزراعي، بما في ذلك الأراضي العشبية المعتدلة، والمراعي، والأراضي العشبية، والمراعي الحرجية (Benayas J. et al., 2007).
2) فقدان قرى تقليدية قديمة قائمة على النشاط الزراعي (Angelstam P. et al., 2003).
3) اختفاء الممارسات الزراعية التقليدية (Díaza G. et al., 2011)
4) تأثيرات اقتصادية اجتماعية، مثل الصحة ومستوى الرفاهية وتوفر فرص العمل (Haddaway N. et al., 2013)
5) التأثير على نظام الحكم الأصلي والممارسات التقليدية وبعض البنى التحتية القائمة (المدارس، والبنوك، والصحة، والبريد، والمعابد، وغيرها (Chaudhary s. et al., 2018)

4.3. الآثار البيئية:

4.3.1. الآثار البيئية الإيجابية:

1) فرصة لاستعادة حالة الغطاء النباتي التاريخية (Cramer V., Hobbs R. and Standish R. 2008). وزيادة التنوع البيولوجي، فعلى سبيل المثال: الغابات في المناطق الاستوائية، يؤدي التخلي إلى زيادة كبيرة في التنوع البيولوجي مقارنة بالأراضي الزراعية (Otto R. et al., 2006). كما أشار (Plieninger T. et al., 2014) إلى أن هجر الأراضي أظهر زيادة طفيفة في ثراء ووفرة الأنواع النباتية والحيوانية بشكل عام، على الرغم من أن النتائج كانت غير متجانسة، مع وجود اختلافات في حجم التأثير بين الأصناف، والمقاييس المكانية والزمانية، واستخدامات الأراضي، والتضاريس، والمناخ. إضافة إلى إعادة الغطاء النباتي والغابات (Benayas J. et al., 2007) حيث يعمل هجر المزارع على استعادة تجديد الغابات الطبيعية، وبتكلفة أقل من زراعة الأشجار. وقد قدر أن هجر الأراضي عمل على استعادة مساحة تقدر بـ 45000 كيلومتر مربع سنويًا (FAO., 2006).
2) ارتفاع منسوب المياه الجوفية (البلوشي، 2018). وتنظيم المياه من خلال تقليل الجريان السطحي، وزيادة قدرة الاحتفاظ بالمياه (Benayas J. et al., 2007).
3) الحد من التلوث بالمواد الكيميائية الزراعية في المناطق التي كانت تدار بشكل مكثف في السابق (Pointereau P. et al., 2008).
4) استعادة التربة، إلى جانب تدوير المغذيات (Benayas J. et al., 2007)، وتخفيف تآكلها، وزيادة الخصوبة، والكتلة الحيوية الفطرية (van der Wal A. et al., 2006)، ونشاط التحلل، وجودة المياه العالية، وعزل الكربون، وانخفاض مستويات التملح.
5) توفير فرصة لاستعادة النظم الإيكولوجية ذاتية الاستدامة (Ohashi, H. et al., 2019)؛ مما قد يوفر خدمات بيئية لتزايد عدد سكان الحضر، كما يمكن أن يدعم التنوع البيولوجي (Aide T. and Grau H., 2004). كم يعد فرصة لاستعادة الموائل غير الزراعية (مثل إعادة التدوير للموارد المستحدثة) (Keenleyside C. and Tucker G., 2010).
6) زيادة عزل الكربون (Altieri M. and Nicholls C., 2017; Montanaro G. etal., 2018.) نتيجة إعادة نمو الغطاء النباتي الطبيعي (Munroe D. et al., 2013.)، وتخفيف انبعاثات ثاني أكسيد الكربون البشرية المنشأ، بسبب استعادة الغطاء النباتي، وزيادة المواد العضوية في التربة (Novara A. et al., 2017.). وبذلك يمكن أن يؤدي هجر الأراضي إلى انخفاض

الكربون في الغلاف الجوي المقدّر بـ 70 جزءا في المليون من ثاني أكسيد الكربون بحلول عام 2100 (Scholes R. and Noble I., 2001).

4.3.2. الآثار البيئية الضارة:

1) تعطيل وظائف النظام البيئي، وخلخلة العلاقات المتعلقة بالسلسلة الغذائية (Munroe D. et al., 2013).
2) الحد من عدم تجانس المناظر الطبيعية (Hochtl F. et al., 2005)، وتعزيز تجانس الغطاء النباتي المبني على الانتشار الطبيعي (Lasanta T. et al., 2017).
3) انخفاض التنوع البيولوجي على المدى المتوسط والطويل (Laiolo P. et al., 2004; Marini L. et al., 2008). بالإضافة إلى انخفاض أعداد الأنواع المتكيفة (Susan F. and Ziliotto U., 2004; Weiss C. and Fox K., 2003)، وتزايد فقدان النباتات، والطيور، ولا الفقاريات، إلى جانب فقدان الموائل، والهيمنة، والاستبعاد التنافسي اللاحق، وزيادة الافتراس (Dullinger S. et al., 2003; Pinto-Correia T., 2000).
4) تراكم القمامة (البلوشي، 2010) (Diemer M. et al., 2001)
5) ارتفاع أخطار اندلاع الحرائق وانتشارها، بسبب زيادة الكتلة الحيوية النباتية الناتجة عن تعاقب النبات (Moreira F. and Russo D., 2007; Vega-Garcı´a C. and Chuvieco E., 2006; Pausas J., 1999; Viedma O. et al., 2006).
6) التعرية، وتآكل التربة، والتصحر (البلوشي، 2003) (Benayas et al. 2007; Maertens M. et al., 2006; Hendrickson O., 2003.)
7) تقليل المياه الجوفية، أو انخفاض رطوبة التربة، بسبب انخفاض زيادة التبخر-النتحي، بفعل فقدان المحاصيل من ناحية، وبسبب امتداد جذور النباتات غير المرغوبة، وامتصاصها لرطوبة التربة والمياه الجوفية، من ناحية أخرى (Gallart F. and Llorens P., 2003).
8) تعرض الحقول المهجورة لأنواع مختلفة من الأضرار الجيومورفولوجية، مثل: انجراف التربة (Vincini M., 1999)، وتصلبها، وتكرار الفيضانات، وخلق مسارات جديدة للتدفقات المائية الطبيعية السطحية وتحت السطحية (Raj N. and Watanabe T., 2006)، وزيادة حدة الانهيارات الأرضية، والمشاكل المتعلقة بحركة التربة، أو حركة المواد على السفوح (Nagumo F.,

1999; Ruiz-Flano, P. et al., 1992; Francis C., 1986; Vogel H., 1988; Lasanta T. et al., 1995; Harden C., 1996.).

9) خسارة الأراضي الصالحة للزراعة (Douglas T. et al., 1996): فقد قدر (Gerrard J. and Gardner R., 2002) خسارة التربة من أراضي الخث (0.48 من الطن / هكتار / سنة) ومن الغابات (0.80 من الطن / هكتار / عام) والأراضي العشبية (1.86 من الطن / هكتار / عام) في التلال الوسطى في نيبال.

10) تعرض الترب المهجورة زراعيا لغزو النباتات الدخيلة وتكوين المستعمرات (Raj N. and Watanabe T., 2006; Schneider L. and Geoghegan J., 2006; Grau H. et al., 2003) (البلوشي، 2010: البلوشي، 2003).

11) تحفيز عملية الاحتطاب (البلوشي، 2021)، وإفقار الأراضي من المسطحات الشجرية والشجيرية والحشائش، مما يعمل على توليد الجريان السطحي، والتعرية، والفيضانات في اتجاه المصبات.

5. النتائج

يمكن من خلال هذه الدراسة الخروج بأن عملية هجر الأراضي الزراعية تمثل مشكلة عالمية. وأن دوافع حدوثها متنوعة بتنوع الأقاليم التي تحدث بها، والظروف البيئية، والاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، التي تحيط بالإقليم. وتعد الظروف الاقتصادية عبر تغلغل اقتصاد السوق، والنمو المتسارع للأسواق التجارية والمراكز الحضرية؛ من أكثر الدوافع التي تشجع – باستمرار – على هجر الأراضي الزراعية. بالإضافة إلى التغييرات في السياق المكاني، والهيكل السكاني، وانفتاح الدول على سوق العمل الدولي. كما أشارت الدراسة إلى العديد من الآثار الناتجة عن هجرة الأراضي الزراعية على السكان والأراضي المهجورة ذاتها. وتعد الآثار البيئية، الأكثر وضوحا في العديد من الأقاليم التي تناولتها الدراسات.

6. التوصيات:

بناء على تعريف الأراضي المهجورة زراعيا، والدوافع المسببة لها، والآثار الناتجة عنها، نرى أن هناك مجموعة من المقترحات التي يمكن الأخذ بها، لاستدامة وإعادة استخدام تلك الأراضي، وهي على النحو التالي:

1) ضرورة الإدارة المستدامة للأراضي المهجورة زراعيا، لتقليل العواقب الجيومورفولوجية، والمخاطر البيئية، وتحسين سبل عيش الأسر الزراعية.

2) النظر إلى الأراضي المهجورة زراعيا، في سياق متعدد الوظائف، للاستفادة من سلع النظام البيئي وخدماته. وإعادة النظر في مجمل التركيبة الزراعية التقليدية التي أصبحت نتيجة التطور الحضري المتسارع، ليست جذابة من الناحية الاقتصادية، ولا تستحوذ على رغبة الجمهور ولا ترضي ذوقه.

3) لا بد من طرح قضايا هجرة الأراضي الزراعية في المناهج الدراسية، وطرح فرص استثمارية جيدة ومستدامة، وتدريب الطلبة على تطبيقها، ولا سيما في مستويات التعليم العليا في التخصصات العلمية ذات العلاقة.

4) إيقاف منح الأراضي الزراعية الهامشية في أعلي المراوح الفيضية والأراضي المنحدرة، ومحاولة استبدال ذلك بإعادة إحياء الأراضي المهجورة زراعيا.

5) إيجاد برامج دعم لمشاريع استثمارية واضحة، ذات جدوى بيئية واقتصادية، تقوم على استغلال الأراضي المهجورة زراعيا، وتعتمد على إمكانياتها، والموارد المتوفرة بها.

6) الاهتمام بالتنوع البيولوجي يعد ضرورة ملحة لاستدامة الأراضي المهجورة زراعيا، وتهيئتها؛ لتكون موائلَ مناسبة للطيور، والنباتات المستوطنة.

7) استعادة الديناميات البيئية، والعمليات الطبيعية، والسماح للأراضي المهجورة باستعادة مناظرها الطبيعية، عبر مراقبتها من انتشار النباتات الغازية، وانتشار الممارسات غير القانونية بها.

8) إعادة النظر في قوانين حقوق الملكية، وحقوق الاستخدام للأراضي المهجورة زراعيا، وذلك عبر إيجاد سياسات وخطط استراتيجية تمكن من خلق فرص عمل جديدة، واستثمار اقتصادي يرفع من معدلات الدخل لملاك الأراضي المهجورة.

9) تنفيذ السياسات الحكومية لدعم الخدمات البيئية التي تشجع المجتمع على التوفيق بين الاستخدام الزراعي، والحفاظ على الطبيعة.

10) إيجاد برامج للحفاظ على الممارسات التقليدية لملاك الأراضي المهجورة زراعيا وعائلاتهم؛ لإيجاد مصادر للدخل من ناحية، وللحفاظ على الإرث الثقافي، والقيم الجمالية التي توفرها تلك الممارسات لتعزيز إمكانيات التنمية السياحة من ناحية أخرى.

7. المراجع:

1. البلوشي علي، الراسبي وفاء، الغنبوصي جواهر، السنيدي سهام، 2021، الاحتطاب في ولاية جعلان بني بو علي – محافظة الشرقية جنوب – سلطنة عمان، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد 137.

2. البلوشي علي، السعدي خلود، القرني أماني، الخروصي تهاني، 2018، الآثار البيئية للينابيع المائية في مدينة الأنصب – محافظة مسقط - دراسة في الجغرافيا البيئية، سلسلة بحوث جغرافية، الجمعية الجغرافية المصرية، العدد 112.

3. البلوشي علي، 2019، العلاقة المتبادلة بين العمالة الوافدة والخصائص الديموغرافية للحيازات وتأثيرها على التنمية الزراعية في سلطنة عمان، المؤتمر الدولي "السكان والتنمية المستدامة في سلطنة عمان"، جامعة السلطان قابوس، مسقط، الفترة 14–2019/10/16.

4. البلوشي علي، 2010، الآثار البيئية لنبات الغاف البحري- ولاية الخابورة- سلطنة عمان- حالة دراسة، وحدة البحث والترجمة، الجمعية الجغرافية الكويتية، رسائل جغرافية، العدد 361، ص 1–88.

5. البلوشي علي، 2003، التصحر في سهل الباطنة، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

6. Aide T. and Grau H., 2004, Globalization, migration and Latin American ecosystems. Science; (80), 305: 1915–1916.
7. Alonso-Sarría F., Martínez-Hernández C., Romero-Díaz A., Cánovas-García F. and Gomariz- Castillo F., 2016, Main environmental features leading to recent land abandonment in Murcia region (Southeast Spain), Land Degrad.; Dev. 27 (3): 654–670.
8. Altieri M. and Nicholls C., 2017. The adaptation and mitigation potential of traditional agriculture in a changing climate, Clim. Chang.; 140: 33–45.
9. Angelstam P., Bronge L., Mikusin´ ski G., Sporrong U. and Wa¨ stfelt A., 2003, Assessing village authenticity with satellite images: a method to identify intact cultural landscapes in Europe, Ambio; 32: 594–604.
10. Arnáez J., Lana-Renault N., Lasanta, T., Ruiz-Flaño P. and Castroviejo J., 2015, Effects of farming terraces on hydrological and geomorphological processes, A review, Catena; 128: 122–134
11. Baudry J., 1991. Ecological consequences of grazing extensification and land abandonment: role of interactions between environment, society and techniques, Options Méditerranéennes: Série A, Séminaires Méditerranéens 15: 13–19
12. Benayas J., Martins A., Nicolau J. and Schulz J., 2007, Abandonment of agricultural land: an overview of drivers and consequences, Perspectives in Agriculture, Veterinary Science, Nutrition and Natural Resources; 2, No. 057: 1-14.
13. Benjamin K., Bouchard A. and Domon G., 2007, Abandoned farmlands as components of rural landscapes: An analysis of perceptions and representations, Landsc. Urban Plan; 83: 228–24.
14. Bielsa I., Pons X. and Bunce B., 2005, Agricultural abandonment in the northeastern Iberian Peninsula: the use of basic landscape metrics to support planning, J. Environ. Plan. Manage.; 48 (1): 85–102.
15. Bot A., Nachtergaele F. and Young A., 2000, Land Resource Potential and Constraints at Regional and Country Levels. FAO, Land and Water Development Division, Rome, Italy.

16. Brown G. and Raymond C., 2007, The relationship between place attachment and landscape values: Toward mapping place attachment, Appl. Geogr; 27: 89-111.
17. Bu¨ rgi M. and Turner M., 2002, Factors and processes shaping land cover and land cover changes along the Wisconsin River. Ecosystems; 2: 184–201
18. Busch G., 2006, Future European agricultural landscapes – what can we learn from existing quantitative land use scenario studies? Agriculture, Ecosystems and Environment; 114: 121–40.
19. Cammeraat E., Cerdà A. and Imeson, A., 2010, Ecohydrological adaptation of soils following land abandonment in a semi-arid environment, Ecohydrology; 3: 421–430.
20. Chaudhary s., Wang Y., Raj Khanal N., Fu B., Dixit A., Yan K., Liu Q. and Lu Y., 2018, Social Impact of Farmland Abandonment and Its Eco-Environmental Vulnerability in the High Mountain Region of Nepal: A Case Study of Dordi River Basin, Sustainability; 10, 2331: 1-19.
21. Cramer V., Hobbs R. and Standish R., 2008, What's new about old fields? Land abandonment and ecosystem assembly, Trends Ecol Evol.; 23:104–112.
22. De Araújo A., Eisenhauer N., Nunes L., Leite L. and Cesarz S., 2015, Soil surfaceactive Fauna in degraded and restored lands of Northeast Brazil, Land Degrad. Dev.; 26(1): 1–8.
23. Díaza G., Nahuelhuala L., Echeverríad Cr. and Maríne S., 2011, Drivers of land abandonment in Southern Chile and implications for landscape planning, Landscape and Urban Planning; 99: 207–217.
24. Diemer M., Oetiker K. and Billeter R., 2001, Abandonment alters community composition and canopy structure of Swiss calcareous fens, Applied Vegetation Science; 4: 237–46.
25. Dixon-Coppage T., Davis G., Couch T., Brevik E., Barineau C.,and Vincent P., 2005, Aforty-year record of carbon sequestration in an abandoned borrow-pit, Lowndes County, GA. Soil and Crop Science Society of Florida Proceedings; vol. 64: 8–15.
26. Douglas T., Critchley D. and Park G., 1996, The deintensification of terraced agricultural land near Treve´ lez, Sierra Nevada, Spain. Global Ecology and Biogeography Letters; 5: 258–70.
27. Dullinger S., Dirnbo¨ ck T., Greimler J. and Grabherr G., 2003, resampling approach for evaluating effects of pasture abandonment on subalpine plant species diversity. Journal of Vegetation Science; 14: 243–52.
28. Estel S., Kuemmerle T., Alcántara C., Levers C., Prishchepov A. and Hostert P., 2015, Mapping farmland abandonment and recultivation across Europe using MODIS NDVI time series. Remote Sens Environ.; 163: 312–325.
29. Estoque R., Gomi K., Togawa T., Ooba M., Hijioka Y., Akiyama H., Nakamura S., Yoshioka A. and Kuroda K., 2019, Scenario-based land abandonment projections:

Method, application and implications, Science of the Total Environment; 692: 903–916.

30. FAO, 2006, The Global Forest Resources Assessment 2005, FAO, Rome, Italy.
31. Filhoa W., Mandel M., Al-Aminc A., Feher A. and Jabboure C., 2017, An assessment of the causes and consequences of agricultural land abandonment in Europe, International Journal of Sustainable Development & World Ecology; V. 24, N. 6: 554–560.
32. Francis C., 1986, Soil erosion on fallow fields; an example from Murcia, Papeles de Geografia Fisica; 11: 21-28
33. Fujihara M., Hara K. and Short K., 2005. Changes in landscape structure of “yatsu” valleys: a typical Japanese urban fringe landscape. Landsc. Urban Plan.; 70: 261–270.
34. Gallart F. and Llorens P., 2003, Catchment management under environmental change: impact of land cover change on water resources, Water International; 28: 334–40.
35. Gan L., Yin Z. and Tan J., 2015, China Household Finance Survey Report 2014; Southwestern University of Finance and Economics Press: Chengdu, China.
36. Gerrard J. and Gardner R., 2002, Relationships between land sliding and land use in the Likhu Khola drainage basin, Middle Hills, Nepal, Mountain Research and Development; 22 (1): 48-55.
37. Grau H., Aide T., Zimmerman J., Thomlinson J. Helmer E. and Zou X., 2003, The ecological consequences of socioeconomicand land-use changes in post agriculture Puerto Rico, Bioscience; 12: 1159–68.
38. Haddaway N., Styles D. and Pullin A., 2013, Environmental impacts of farm land abandonment in high ltitude/mountain regions: a systematic map of the evidence, Environmental Evidence; 2:18: 1-7.
39. Happe K., Damgaard M., Osuch A., Sattler C., Zander P. and Uthes S., 2006, CAP-reform and the provision of non-commodity outputs in Brandenburg. Agrarwirtschaft; 55: 268–79.
40. Harden C., 1996, Interrelationship between land abandonment and land degradation; A case from the Ecuadorian Andes, Mountain Research and Development; 16 (3): 274-280.
41. Hendrickson O., 2003, Influences of global change on carbon sequestration by agricultural and forest soils. Environmental Reviews;11: 161–92
42. Hodgson J., Montserrat-Martı´ G., Cerabolini B., Ceriani R., Maestro-Martı´nez M., Peco B., et al., 2005, A functional method for classifying European grasslands for use in joint ecological and economic studies. Basic and Applied Ecology; 6 :119–31.
43. Hochtl F., Lehringer S. and Konold W., 2005, Wilderness’: what it means when it becomes a reality – a case study from the southwestern Alps. Landscape and Urban Planning; 70: 85–95.

44. Ho¨ lzel N, Haub C, Ingelfinger MP, Otte A, and Pilipenko VN., 2002, The return of the steppe – large-scale restoration of degraded land in southern Russia during the post-Soviet era. Journal for Nature Conservation; 10: 75–85.
45. Keenleyside C. and Tucker G., 2010, Farmland Abandonment in the EU: An Assessment of Trends and Prospects; Institute for European Environmental Policy, London, UK, p. 93.
46. Keesstra S., 2007, Impact of natural reforestation on floodplain sedimentation in the Dragonja basin, SW Slovenia. Earth Surf. Process. Landf.; 32 (1): 49–65.
47. Khanal N., 2002, land use and land cover dynamics in the Himalaya: a case study of the Madi watershed, western development region, Nepal, Ph.D dissertation, Kirtipur, Nepal; Tribhuvan University.
48. Kou M., Jiao J., Yin Q., Wang N., Wang Z., Li Y., Yu W., Wei Y., Yan F. and Cao B., 2016, Successional trajectory over 10 Years of vegetation restoration of abandoned slope croplands in the Hill-Gully region of the Loess Plateau, Land Degrad. Dev.; 27 (4): 919–932.
49. Laiolo P., Dondero F., Ciliento E. and Rolando A., 2004, Consequences of pastoral abandonment for the structure and diversity of the alpine avifauna, J. Appl. Ecol; 41: 294–304.
50. Lambin E., Geist H. and Lepers E., 2003, Dynamics of land-use and land-cover change in tropical regions, Annual Review of Environment and Resources; 28: 205–41.
51. Lasanta T., Arnáez J., Pascual N., Ruiz-Flaño P., Errea M.P. and Lana-Renault N., 2017, Space–time process and drivers of land abandonment in Europe, Catena; 149: 810–823.
52. Lasanta T., Vicente-Serrano S. and Cuadrat-Prats J., 2005, Mountain Mediterranean landscape evolution caused by the abandonment of traditional primary activities: a study of the Spanish Central Pyrenees, Applied Geography; 25: 47–65.
53. Lasanta T., Pereze-Rontome C., Garcia-Ruiz J., Machin J. and Navas A., 1995, Hydrological problems resulting from farmland abandonment in semi-arid environments; The central Ebro Depression, Physical and chemistry of the Earth; 20(3/4): 309-314.
54. Lasanta T., Nadal-Romero E. and Arnáez J., 2015, Managing abandoned farmland to control the impact of re-vegetation on the environment, The state of the art in Europe. Environ. Sci. Pol.; 52: 99–109.
55. Leal W., Mandel M., Al-Amin A., Feher A. and Chiappetta C., 2017, An assessment of the causes and consequences of agricultural land abandonment in Europe. Int. J. Sustain. Dev. World Ecol.; 24: 554–560

56. Lepers E., Lambin E., Janetos A., DeFries R., Achard F. and Ramankutty N., 2005, a synthesis of rapid land-cover change information for the 1981–2000 period, BioSciencem; 55: 19–26.
57. Maertens M., Zeller M. and Birner R., 2006, Sustainable agricultural intensification in forest frontier areas. Agricultural Economics; 34, 197–206
58. Mahat T., Griffin D. and Shepherd K., 1987, Human impacts on some forests of the Middle Hills of Nepal, Part 4. A detailed study in SE Sindhu Palchok and NE Kabhre Palanchok. Mountain Research and Development; 7(2): 111–134.
59. Maikhuri R., Nautiyal S., Rao K., Chandrasekhar K., Gavali R., and Saxena K., 2000, Analysis and resolution of protected areapeople conflicts in Nanda Devi Biosphere Reserve, India, Environmental Conservation; 27: 43–53.
60. Marini L., Scotton M., Klimet S. and Pecile A., 2008, Patterns of species richness in Alpine hay meadows: local vs. landscape factors, Basic Appl. Ecol.; 9: 365–372.
61. Montanaro G., Nuzzo V., Xiloyannis C. and Dichio B., 2018, Climate change mitigation and adaptation in agriculture: the case of the olive, Journal of Water and Climate Change; 9: 633–642.
62. Moreira F. and Russo D., 2007, Modelling the impact of agricultural abandonment and wildfires on vertebrate diversity in Mediterranean Europe, Landsc Ecol.; 22: 1461–1476.
63. Mottet A., Ladet S., Coque´ N., and Gibon A., 2006, Agricultural land-use change and its drivers in mountain landscapes: a case study in the Pyrenees, Agriculture, Ecosystems and Environment; 114: 296–310.
64. Munroe D., Van Berkel D., Verburg P. and Olson J., 2013, Alternative trajectories of land abandonment: causes, consequences and research challenges, Curr Opin Environ Sustain.; 5: 471–476.
65. Nagumo F., 1999, Degraded bare ground distribution and related soil properties in a small river basin of the Mossi Plateau, Burkina Faso, Japanese Journal of Soil Science and Plant Nutrition; 70: 142–5.
66. Nainggolana D., Venteb J., Boix-Fayosc C., Termansena M., Hubacekd K. and Reede M., 2012, Afforestation, agricultural abandonment and intensification: Competing trajectories in semi-arid Mediterranean agro-ecosystems, Agriculture, Ecosystems and Environment, 159: 90– 104.
67. Novara A., Gristina L., Sala G., Galati A., Crescimanno M., Cerdà A., Badalamenti E. and La Mantia T., 2017, Agricultural land abandonment in Mediterranean environment provides ecosystem services via soil carbon sequestration, Science of the Total Environment, 576: 420–429.
68. Ohashi H., Fukasawa K., Ariga T., Matsui T. and Hijioka Y., 2019. High-resolution national land use scenarios under a shrinking population in Japan, Transactions in GI; 23: 786–804

69. Osawa T., Kohyama K. and Mitsuhashi H., 2013, Areas of increasing agricultural abandonment overlap the distribution of previously common, currently threatened plant species, PLoS One; 8: e79978.
70. Osawa T., Kohyama K. and Mitsuhashi H., 2016, Multiple factors drive regional agricultural abandonment, Science of the Total Environment; 542: 478–483.
71. Ostermann O., 1998. The need formanagement of nature conservation sites designated under natura 2000. J. Appl. Ecol.; 35: 968–973.
72. Otto R., Kru¨ si B., Burga C. and Ferna´ ndez-Palacios J., 2006, Oldfield succession along a precipitation gradient in the semi-arid coastal region of Tenerife, Journal of Arid Environments; 65: 156–78.
73. Parody J., Cuthbert F. and Decker E., 2001, The effect of 50 years of landscape change on species richness and community composition, Glob. Ecol. Biogeogr.; 10: 305–313.
74. Pastor J, Oliver S. and Garcı´a A., 1992, Ecological relationships between pasture species and soil factors in degraded areas of the Southern Submeseta, Pasto; 22: 21–35.
75. Pausas J., 1999, Response of plant functional types to changes in the fire regime in Mediterranean ecosystems: a simulation approach, Journal of Vegetation Science; 10: 717–22.
76. Pinto-Correia T., 2000, Future development in Portuguese rural areas: how to manage agricultural support for landscape conservation? Landscape and Urban Planning; 50: 95– 106.
77. Plieninger T., Hui C., Gaertner M. and Huntsinger L., 2014, The Impact of Land Abandonment on Species Richness and Abundance in the Mediterranean Basin: A Meta-Analysis, PLoS One; 9(5): e98355,
78. Pointereau P., Coulon F., Girard P., Lambotte M., Stuczynski T., Sanchez Ortega V. and Del Rio A., 2008, Analysis of Farmland Abandonment and the Extent and Location of Agricultural Areas that are Actually Abandoned or are in Risk to be Abandoned; European Commission Joint Research Centre, Institute for Environment and Sustainability, Copenhagen, Denmark.
79. Prishchepov A., Radelo V., Baumann M., Kuemmerle T. and Müller D., 2012, Effects of institutional changes on land use: Agricultural land abandonment during the transition from state-command to market-driven economies in post-Soviet Eastern Europe, Environ. Res. Lett.; 7: 024021.
80. Raj N. and Watanabe T., 2006, Abandonment of agricultural land and its consequences – A case study in the Sikles Area, Gandaki Basin – Nepal Himalaya, Mountain research and development; V. 26, No. 1.
81. Rajpar H., Zhang A., Razzaq A., Mehmood K., Pirzado M. and Hu W., 2019, Agricultural Land Abandonment and Farmers- Perceptions of Land Use Change in

the Indus Plains of Pakistan: A Case Study of Sindh Province, Sustainability;11, 4663: 1-19.

82. Robison L., Myers R. and Siles E., 2002, Social capital and the terms of trade for farmland, Agric. Econ.; 24: 44–58
83. Robinson R., and Sutherland J., 2002, Post-war changes in arable farming and biodiversity in Great Britain, J. Appl. Ecol.; 39: 157–176.
84. Robledano F., Romero A., Belmonte F., Zapata V., Martinez C. and Martinez V., 2014, Ecogeomorphological consequences of land abandonment in semiarid Mediterranean areas: integrated assessment of physical evolution and biodiversity, Agric. Ecosyst. Environ.; 197: 222–242.
85. Rudel T., 2009, Tree farms: driving forces and regional patterns in the global expansion of forest plantations, Land Use Policy; 26 (3): 545–550.
86. Rudel T., Coomes O., Moran E., Achard F., Angelsen A., Xu J. and Lambin, E. 2005, Forest transitions: Towards a global understanding of land use change, Glob. Environ. Chang.; 15: 23–31.
87. Ruiz Pe´ rez M. 1990, Development of Mediterranean agriculture: an ecological approach. Landscape and Urban Planningm 8:211–20.
88. Ruiz P., Garcia J., and Ortigosa L., 1992, geomorphological evolution of abandoned fields; a case study in the central Pyrenees, Catena; 19: 301-308.
89. Schneider L. and Geoghegan J., 2006, Land abandonment in an agricultural frontier after a plant invasion: the case of bracken fern in southern Yucatán, Mexico, Agric. Resour. Econ. Rev.; 35 (1): 167–177.
90. Scholes R. and Noble I., 2001, Storing Carbon on Land, Science; 294:1012–3.
91. Stoate C., Boatman N., Borralho R., Rio Carvalho C., de Snoo G. and Eden P., 2001, Ecological impacts of arable intensification in Europe, Journal of Environmental Management; 63: 337–65.
92. Susan F. and Ziliotto U., 2004, Effects of arboreal and shrubby components on some features of pastures in a dolomitic area, Land use systems in grassland dominated regions, Proceedings of the 20th General Meeting of the European Grassland Federation, 21–24 June 2004, Luzern, Switzerland.
93. Terres J., Nisini L. and Anguiano E., 2013, Assessing the risk of farmland abandonment in the EU, Final report, Joint Research Centre, Ispra (VA), Italy.
94. Tesfaye W. and Seifu L., 2016, Climate change perception and choice of adaptation strategies: Empirical evidence from smallholder farmers in east Ethiopia, Int. J. Clim. Chang. Strateg. Manag.; 8: 253–270.
95. Tokuoka Y., Ohigashi K. and Nakagoshi N., 2011, Limitations on tree seedling establishment across ecotones between abandoned fields and adjacent broad-leaved forests in eastern Japan, Plant Ecol.; 212: 923–944.
96. Van der Wal A., van Veen J., Pijl A., Summerbell R. and De Boer W., 2006, Constraints on development of fungal biomass and decomposition processes

during restoration of arable sandy soils, Soil Biology and Biochemistry; 38: 2890–2902.

97. Van der Zanden E., Carvalho S. and Verburg P., 2018, Abandonment landscapes: User attitudes, alternative futures and land management in Castro Laboreiro, Portugal. Reg. Environ. Chang.; 18: 1509–1520.
98. Van Dijk G., Zdanowicz A. and Blokzijl R., 2004, Land abandonment, biodiversity and the CAP. Land abandonment and biodiversity, in relation to the 1st and 2nd pillars of the E U 's Common Agricultural Policy; outcome of an international seminar in Sigulda, Latvia; 2004 Oct 7-8. Brussels: Institute of European Environment Policy.
99. Vega-García, C. and Chuvieco E., 2006, Applying local measures of spatial heterogeneity to Landsat-TM images for predicting wildfire occurrence in Mediterranean landscapes, Landsc. Ecol.; 21: 595–605.
100. Viedma O., Moreno J. and Rieiro I., 2006, Interactions between land use/land cover change, forest fires and landscape structure in Sierra de Gredos (Central Spain), Environmental Conservation; 33: 212–22.
101. Vincini M., 1999, The effect of abandoning agricultural activity on the LS factors of the erosion models in the Perino Valley: simulation using GIS technique, Genio Ruralemm; 62: 58–64
102. Vogel H., 1988, Deterioration of mountainous agro-ecosystem in the third World due to emigration of rural labour, Mountain Research and Development; 8(4): 321-329.
103. Vranken L., Noev N. and Swinnen J., 2004, Fragmentation, abandonment, and co-ownership: transition problems of the Bulgarian land market. Quarterly, Journal of International Agriculture; 43: 391–40.
104. Weiss C. and Fox K., 2003, European food supply chains – are they sustainable? Executive Outlook; 3: 54–63.
105. Wiebe K., Lotze H., Sands R., Tabeau A., van der Mensbrugghe D. and Biewald A., 2015, Climate change impacts on agriculture in 2050 under a range of plausible socioeconomic and emissions scenarios, Environ. Res. Lett; 10 (8).
106. Zakkak S., Radovic A., Nikolov S., Shumka S., Kakalis L. and Kati V. 2015. Assessing the effect of agricultural land abandonment on bird communities in southern-eastern Europe, J. Environ Manage.; 164: 171–179.

الصعوبات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030

مروة بنت سليمان النبهانية
طالبة ماجستير، قسم دراسات المعلومات
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

د. محمد بن ناصر الصقري
أستاذ مشارك، قسم دراسات المعلومات
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

د. سالم بن سعيد الكندي
أستاذ مساعد، قسم دراسات المعلومات
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

المستخلص

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الصعوبات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، من وجهة نظر العاملين فيها، وإداراتها، والجهات المشرفة عليها. ولتحقيق هدف الدراسة استخدمت الدراسة المنهج المزجي Mixed Method Approach ، متمثلا في الاستبانة، والمقابلة شبه المقننة. توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها: تشابه المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات من وجهة نظر العاملين في مؤسسات المعلومات، وإداراتها، وهي: المعيقات المالية، وعدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة، والمعيقات الإدارية والبشرية. كما توصلت الدراسة إلى تصدرالمعيقات المالية قائمة المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق التنمية المستدامة، من وجهة نظر العاملين في مؤسسات المعلومات، ومن وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات، كما أنها تصدرت قائمة المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات بوصفه معيقا أوليا، كما أن عدم الوعي بأهداف التنمية المستدامة جاء في المرتبة الثانية بوصفه معيقا من وجهة نظر العاملين في مؤسسات المعلومات، وإدارات مؤسسات المعلومات. وبناء على نتائج الدراسة أوصى الباحثون بتعزيز وعي العاملين في مؤسسات المعلومات بأهداف التنمية المستدامة، وسُبل تحقيقها، من خلال الدورات التدريبية والورش التعريفية، وأن تعمل مؤسسات المعلومات على إيجاد مصادر أخرى للدعم المادي، كتشجيع القطاع الخاص على دعم برامج ومبادرات مؤسسات المعلومات، بما يساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بشكل أوسع.

الكلمات المفتاحية: مؤسسات المعلومات- التحديات- التنمية المستدامة- أهداف التنمية المستدامة- سلطنة عمان.

Abstract

Aim: this study aimed to identify the obstacles facing Omani- information institutions and limit their contribution to achieving sustainable development from the point of view of their employees and their management or supervisory authorities. **Methodology**: The researchers employed the mixed method approach using questioner and semi-structured interviews with the information-institutions management. **Results**: it was found that the obstacles facing Omani information institutions are similar from the point of view of information institutions' employees and their management, which are: Financial obstacles, lack of awareness of the sustainable development goals, administrative obstacles, and human obstacles. The study also revealed that financial obstacles topped the list of obstacles that limit the contribution of information institutions to achieving sustainable development from the point of view of information institutions' employees and from the point of view of their managements, and they topped the list of obstacles facing information institutions as a primary obstacle. While the lack of awareness of the sustainable development goals came in second place as an obstacle from the point of view of information institutions' employees and managements of information institutions. Recommendations: Enhancing the awareness information institutions' employees about the sustainable development goals and ways to achieve them through training courses and specialized workshops, and finding other sources of financial support, such as encouraging the private sector to support the programs and initiatives of information institutions in a way that contributes to achieving sustainable development goals in a broader way.

Keywords: information institutions; obstacles; sustainable development; sustainable development goals; Sultanate of Oman

1- مقدمة الدراسة وخلفيتها

تعد التنمية المستدامة من أبرز القضايا ذات الاهتمام العالمي في الوقت الحالي، وهي تهدف إلى تحقيق الرخاء والرفاهية البشرية، والعمل على حماية البيئة وكوكب الأرض للأجيال الحاضرة والمقبلة. وجاءت أجندة 2030 للتنمية المستدامة مشتملة على الأبعاد الثلاثة للتنمية، وهي النمو الاقتصادي، والإدماج الاجتماعي، والحماية البيئية التي بدورها تكفل تحقيق الهدف العام من التنمية المستدامة. ويرى بان كي مون Ban Ki-Moon الأمين العام الثامن للأمم المتحدة، أن الأهداف الإنمائية السبعة عشر، هي: تعبير عن الرؤية المشتركة للإنسانية، وهي عقد اجتماعي بين زعماء العالم وشعوبه (الأمم المتحدة،

2015). وبذلك فإن مسؤولية تنفيذ هذه الأهداف، يقع في المقام الأول على عاتق الحكومات من خلال خططها الوطنية والإستراتيجية، كما أن للمنظمات الدولية والإقليمية ومؤسسات الدولة الحكومية وغير الحكومية والأفراد ذاتهم دورًا في المساهمة في تحقيق الأهداف والخطط والبرامج المرسومة، فهي مسؤولية مجتمعية ينبغي لجميع الفئات والقطاعات الإسهام في تحقيقها.

وتأتي المكتبات ومؤسسات المعلومات في طليعة المؤسسات المساهمة في إنجاح عملية التنمية المستدامة، كونها تمتلك الأداة الأمثل لتحقيق التنمية في كافة القطاعات، والمتمثلة في المعلومات؛ فالمكتبات تساهم في الوصول إلى نتائج أفضل في تحقيق أهداف التنمية المستدامة من خلال الترويج للقراءة والكتابة ومحو الأمية الرقمية، ومن خلال إتاحة المعلومات للحكومات والمجتمع المدني، بما يكفل تقدمها وتطورها، ومن خلال المساهمة في الإدماج الرقمي من خلال إتاحة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وتطوير المهارات الرقمية لأفراد المجتمع، كما أن إسهامها في تحقيق الأهداف يكمن فيما تسهم به من حفظ التراث والثقافة وإتاحة الوصول إليه، ويتضح دورها جليًا عندما تصبح قلب المجتمع البحثي والأكاديمي الذي يسهم في تطوير كافة القطاعات (IFLA, 2015).

وعلى الرغم من الدور الفاعل لمؤسسات المعلومات عامة، والمكتبات خاصة، في تنمية الأفراد والجماعات، وبناء المجتمعات والنهوض بها، فإنها تواجه العديد من المعيقات التي تحد من أنشطتها ومهامها، وقد تؤدي هذه التحديات في كثير من الأحيان إلى تأطير عملها في المهام الأساسية الموكلة إليها، وتجعل خُطاها في مواكبة المستجدات العلمية، وخدمة المجتمع وتنميته، بطيئة ومحدودة. وبشكل عام تتشابه التحديات التي تواجه مؤسسات المعلومات في كثير من الدول، لتشابه الأنظمة واللوائح المنظمة لها، فضلا عن تشابه الظروف والأوضاع في كثير من البلدان ولاسيما العربية، وفي المقابل تختلف طبيعة وحِدة التحديات التي تواجه مؤسسات المعلومات من بلد لآخر، تبعًا لمكانة تلك المؤسسات في بلدانها، ومدى الوعي بأهميتها ودورها في التنمية، وما يرتبط نتيجة ذلك بدعمها وتنميتها. وتجدر الإشارة إلى أن التحديات التي عانت منها المكتبات ومؤسسات المعلومات على اختلاف الأمكنة والأزمنة، وحدت من أدوارها هي ذاتها، التي تؤثر الآن وتحد من أدوارها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، ما دامت أسبابها باقية حتى الآن. ومع ذلك فإننا ننظر إلى أن خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2030، وأهدافها السبعة عشر، هي أكثر من فرصة لتثبت مؤسسات المعلومات من خلال المساهمة في تحقيقها، أنها قادرة على التنمية في مختلف المجالات: الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية، وقادرة على المساهمة في حل كل ما يستجد من قضايا عالمية، مما سينتج عنه إقناع على مستوى عالٍ بأهميتها ودورها الفاعل، على مختلف المستويات العالمية والإقليمية والمحلية، وبالتالي العمل على تعزيز وضعها والنهوض بها وتذليل الصعوبات التي تعرقل مسيرها في التنمية والاستدامة من قبل الحكومات ومتخذي القرار.

وعليه تأتي الدراسة الحالية من أجل التعرف على الصعوبات التي تواجه مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان، وتحد من تحقيقها لأهداف التنمية المستدامة 2030، من وجهة نظر العاملين فيها وإدارات تلك المؤسسات.

1-1 مشكلة الدراسة

أكدت الإفلا (IFLA) أن الحصول على المعلومات، يعد حقا من حقوق الإنسان، من أجل القضاء على مشكلة الفقر، والجوع ، وأكدت دعم التنمية المستدامة، مشيرةً إلى وجود أكثر من 320 ألف مكتبة عامة حول العالم، وأكثر من مليون مكتبة برلمانية، ووطنية، وجامعية، وعلمية، وبحثية، جميعها تضمن قدرتها على توفير المعلومات، وكفاءة استخدامها للجميع، من خلال تعليم الناس المهارات اللازمة للوصول إلى المعلومات، واستخدامها بكفاءة؛ إذ تُعد المكتبات المكان الوحيد في كثير من المجتمعات الذى يوفر المعلومات لأفراد المجتمع لتطوير التعليم، واكتساب مهارات جديدة، وتوفير فرص عمل، وإقامة مشروعات اقتصادية، واتخاذ قرارات صائبة فيما يخص الزراعة، والصحة، ومعالجة المشاكل البيئية (IFLA, 2015). كما تلعب المكتبات دورًا فريدًا بوصفها شريكا مهما في التنمية، من خلال توفير المعلومات بكافة أشكالها، وتقديم البرامج والخدمات المعرفية، في ظل التغير المُتسارع الذي تشهده المجتمعات. ومن أجل ذلك أوضحت الإفلا في بيان لها أهمية الاعتراف بدور المكتبات في تطوير السياسات، وتحقيق التنمية المستدامة من قبل صانعي السياسات؛ لكي يعززوا من دور المكتبات، ويستثمروا مهارات القائمين عليها، والعاملين في مجال المعرفة، للمساهمة في تحقيق التنمية، كما أكد البيان أن أي إطار تنموي بعد عام 2015، لابد أن: يقدر أهمية إتاحة المعلومات، بوصفها عنصرا أساسيا يدعم التنمية، ويعترف بالدور الذي يلعبه العاملون في قطاع المكتبات، بوصفهم أدوات تنموية، ويشجع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على دعم أطر المعلومات اللازمة للتنمية، ويضمن توفير شبكات المعرفة، والمصادر البشرية، والمعلوماتية، مثل: المكتبات، والهيئات العامة (IFLA, 2014).

وعلى الرغم من ذلك، ما زالت المكتبات ومؤسسات المعلومات في مختلف دول العالم، تعاني من العديد من الصعوبات التي تحد من مساهمتها في تحقيق التنمية، أو حتى المهام الأساسية المناطة بها؛ إذ ما زالت تعاني – كما أثبتت العديد من الدراسات- من نقص في تأهيل مواردها البشرية وتدريبها، وضعف في موازناتها المالية، بالإضافة إلى ضعف البنى التحتية والتكنولوجية (Omotosho & Okiki, 2012; Onoyeyan &Adesina, 2014; Ifijeh, James & Adebayo, 2016). ومن أجل ذلك تأتي الدراسة الحالية للكشف عن الصعوبات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق التنمية المستدامة 2030.

1-2 أهداف الدراسة

تسعى الدراسة الحالية إلى تحديد المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030.

1-3 أسئلة الدراسة

ما المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030؟

1-4 أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة، في الكشف عن المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان، في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030، للوقوف عليها، وإيجاد حلول لها من قبل متخذي القرار، لتعزيز دورها في تحقيق التنمية المستدامة 2030، والخطط التنموية الوطنية، بوصفها شريكا أساسيا في التنمية، كما أن أهميتها تكمن في التوصيات التي ستخرج بها للحد من التحديات، وتعزيز إمكانياتها، أسوة بمؤسسات المعلومات العالمية، كما يؤمل أن تسهم الدراسة في إثراء النتاج الفكري العربي عامة، والعماني خاصة، في مجال مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق التنمية المستدامة ولاسيما مع قلة الدراسات التي أجريت للوقوف على التحديات التي تواجهها، وبما ستفتحه من آفاق للباحثين والمهتمين لدراسة الأبعاد الأخرى للموضوع.

1-5 محددات الدراسة

الحدود الموضوعية: تناولت الدراسة الحالية المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2030.

الحدود المكانية: اقتصرت الدراسة على مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان، والجمعية العمانية للمكتبات والمعلومات، ودائرة المكتبات بوزارة التراث والثقافة.

الحدود البشرية: اقتصرت الدراسة على العاملين في مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان، والمسؤولين في الجمعية العمانية للمكتبات والمعلومات، ودائرة المكتبات بوزارة التراث والثقافة.

الحدود الزمنية: تم إجراء الدراسة في العام الدراسي 2017- 2018م.

1-6 مصطلحات الدراسة

مؤسسات المعلومات: هي المؤسسات المعنية بإنتاج وحفظ وإتاحة المعلومات، والمتمثلة في المكتبات، ودور الوثائق والمحفوظات، والمتاحف، والمراكز الثقافية، ومراكز المعلومات والإحصاء.

أهداف التنمية المستدامة 2030: يقصد بها الأهداف الإنمائية السبعة عشر الواردة في وثيقة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة التي تم البدء في تنفيذها في 2016، ولمدة خمسة عشر عامًا، لتنتهي في 2030، والتي جاءت بعنوان خطة "تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة لعام 2030".

2- الدراسات السابقة

تواجه مؤسسات المعلومات عامة، والمكتبات خاصة، العديد من المعيقات التي تحد من مساهمتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتختلف طبيعة تلك المعيقات من بلد لآخر، تبعًا لمكانة تلك المكتبات في بلدانها، ومدى الوعي بأهميتها، وما يرتبط نتيجة ذلك بدعمها وتنميتها. يستعرض المحور عدد من المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات كالآتي:

1- قلة الموارد المالية

تعد قلة الموارد المالية من أبرز التحديات التي تعاني منها المكتبات في أغلب دول العالم، والتي قد تحد من فاعلية الأدوار التي تقوم بها، وتتفق معظم الدراسات التي تبحث في دور المكتبات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ولاسيما في الدول النامية، على أن الموارد المالية تأتي في مقدمة التحديات التي تواجهها، ومن هذه الدراسات دراسة المسند (2017) الذي يشير فيها إلى أن الانكماش الاقتصادي الذي تعاني منه الدول العربية، والذي أدى إلى زيادة ضعف الدعم المالي في الدول العربية عامة، مما يؤكد أهمية إيجاد برامج تكاملية وتعاونية بين المكتبات، تسهم في خفض التكاليف، بالإضافة إلى دراسة Sow & Vinekar (2012)، و Onoyeyan & Adesina (2014) ، و Omotosho & Okiki (2012). وقد أوصت دراسة Sow & Vinekar (2012) بضرورة تمويل المكتبات العامة على نحو كافٍ، وعدها مركزًا لتحقيق التنمية، وأكد Onoyeyan & Adesina (2014) أن المكتبات النيجيرية غير ممولة بشكل جيد؛ فمباني المكتبات غير مناسبة، وبعضها متهدمة، مما يشكل خطورة على المواد والأجهزة، فضلا عن عدم كفاية مرافق المكتبات وتسهيلاتها؛ فالمكتبات النيجيرية اليوم أصبحت بحاجة إلى مرافق ومساحات كافية تستوعب المواد الجديدة كالحواسيب، ومساحات كافية للموظفين والمستفيدين، وأوصى بضرورة توفير التمويل المناسب، إذا ما أُريد لها أن تكون فاعلة ومؤثرة، حيث تصبح قادرة على توفير المساحات، والمباني الآمنة والمناسبة، وتوفير عدد كافٍ من الموظفين المؤهلين تأهيلا جيدًا، وتصبح قادرة أيضًا على اقتناء مواد إعلامية مناسبة، فيما يخص الأهداف الإنمائية لرفع مستوى وعي المستفيدين بها، وتلبية احتياجاتهم المتعلقة بالتنمية المستدامة. وجاءت دراسة Omotosho & Okiki (2012) مؤكدة معاناة المكتبات النيجيرية لمشكلة الموارد المالية غير الكافية، ففي 2011 ونتيجة للأوضاع الاقتصادية والسياسية في نيجيريا أثرت الأزمة المالية في هيكل مباني المكتبات وصيانتها، وتقليل الموارد المالية المخصصة لتنمية مجموعات المكتبات، وتم الاقتصار على

تقديم الخدمات بشكل عام؛ فأصبح النشاط الرئيس للمكتبة يتمثل في توفير غرف القراءة والدراسة للطلاب الذين يستخدمون في معظم الحالات موادهم ومصادرهم الخاصة، ولا يرجعون إلى مجموعات المكتبة، بالإضافة إلى ذلك، وفيما يتعلق بتحقيق الأهداف الإنمائية الصحية، يشير Omotosho & Okiki إلى أن معظم المكتبات لم تضع ضمن أولويات ميزانياتها المتاحة بنودا لتوفير مواد ومعلومات وخدمات متعلقة بالصحة، في حين أن توفير المعلومات الصحية أمر حيوي لابد منه من أجل الحد من آثار المشاكل الصحية في نيجيريا، خاصة تلك المتعلقة بصحة الأمومة، ووفيات الأطفال، وفيروس نقص المناعة المكتسبة، فضلا عن ذلك، فإن أهمية توفير مثل هذه المعلومات، من شأنه أن يساهم في مساعدة صناع القرار في تطوير سياسات سليمة تضمن الاستدامة الصحية.

2- ضعف التدريب وتنمية العاملين في قطاع مؤسسات المعلومات مهنيًا

يعد تدريب العاملين وتأهيلهم مهنيًا في مؤسسات المعلومات، بما فيها المكتبات، أمرا بالغ الأهمية، إذا ما أُريد لهذه المؤسسات أن تقوم بالدور المنوط بها على أكمل وجه، وبما يسهم في خدمة المجتمع وتنميته؛ فمؤسسات المعلومات ولكي تقوم بالمساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، ينبغي أن يُدرَّب ويُؤهل العاملون بها جيدًا للقيام بذلك الدور.

فعلى مستوى الدول العربية يشير المسند (2017) إلى عدم توافر الكوادر البشرية المؤهلة، والمدربة لإدارة المكتبات، إداريًا وفنيًا، بوصفه أحد تحديات التنمية المعرفية المستدامة التي تواجه العالم العربي. وتشير المداني والشاطر إلى الحاجة إلى تدريب وتنمية العاملين في المكتبات إلى أبعد من ذلك؛ ففي ظل سعي المجتمعات اليوم للتحول إلى مجتمعات المعرفة – والتي تعني كما أشار Ukachi (2012) أنها المجتمعات التي تكون فيها المعلومات بمختلف أشكالها متاحة للجميع، من دون قيود؛ من أجل تنمية الناس، دون النظر إلى أعمارهم، وديناتهم، وخلفياتهم التعليمية، وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، وتسمح أيضا بالتغذية الراجعة من قبلهم لتكون بمثابة إضافة إلى المعرفة، فهي مجتمعات تسمح بإنتاج واستخدام المعلومات والمعرفة، على نطاق واسع، يتيح بذلك فرصًا أكبر لإضافة معارف جديدة إلى المعارف القائمة فعليًا – يتطلب من المكتبات العربية، ليس توفير الوسائل التقنية والمتطلبات المادية فحسب، بل تأهيل العاملين في قطاع المكتبات؛ ليكونوا قادرين على التعامل مع هذه التقنيات، ليساهموا في تحويل مجتمعاتنا من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج، من أجل تنمية مستدامة، وبعبارة أخرى: من أجل أن تحافظ المكتبات على مكانتها وأهميتها بوصفها أهم مصدر للحصول على المعلومات، وفي ظل التحولات الرقمية وتسارعها، ومن أجل أن تضمن استمرار تطورها وبقائها في بيئة المعلومات الرقمية؛ ينبغي عليها أن تحرص على إلمام العاملين فيها بالمهارات الأساسية التي تؤهلهم لتقديم خدمات متفردة في بيئة المعلومات الرقمية؛ فالتكوين المهني المستمر أمر ضروري لمواكبة تطورات المهنة وفق احتياجات ومتطلبات العصر ومن أجل تحقيق التنمية المستدامة، وهذا ما أكدته التجربة التونسية من خلال برنامج

التكوين المستمر الذي يرمي إلى تمكين الموظفين المتخصصين في مجال المكتبات والتوثيق والأرشيف، وإحاطتهم بمستجدات التخصص، وإعدادهم للتغيرات المهنية، ولاسيما الرقمية، عبر إكسابهم المزيد من المعارف والخبرات، لرفع مستوى أدائهم (المداني والشاطر،2017). وفي دراسة أجريت للتعرف على دور المكتبات العامة في تنمية الوعي الصحي، ومكافحة الأزمات الصحية عالميًا، أشار السيد وصالح (2009) إلى أن مستوى أداء أنشطة وخدمات الوعي الصحي يعتمد على عدة مقومات، أهمها: تأهيل أخصائي المعلومات والمكتبات لتوفير معلومات صحية للمستفيدين من المكتبات العامة، مما ينبغي – وبناء على ما أكدته الدراسات – ضرورة توفير برامج تأهيل وتدريب متخصصة في أساليب الوعي الصحي وأنشطته. في الإطار ذاته ذكر Omotosho & Okiki (2012) أن غالبية المكتبات في إفريقيا ليس لديها موظفون مدربون على تلبية احتياجات المستفيدين من المعلومات الصحية.

الأمر ذاته ينطبق على مؤسسات المعلومات المعنية بحفظ التراث والثقافة؛ إذ يشير Mazlina, Maryam, Rina, Eliana & Nora'aya (2014) إلى أن عدم كفاية التعليم والتدريب الذي تلقاه موظفو المحفوظات والوثائق قد ساهم في محدودية معارفهم، ومهاراتهم، لدعم أدوارهم في إدارة السجلات الإلكترونية؛ فمهاراتهم المحدودة حالت دون تنفيذ السياسات والإجراءات الموحدة المتعلقة بإدارة السجلات الإلكترونية التي تشكل جزءًا من مسؤوليتهم الرئيسة. فضلا عن أن العديد من المكتبات تعاني من قلة عدد الموظفين؛ إذ يؤكد Adesina &Onoyeyan (2014) أن المكتبات العامة في نيجيريا تعاني من قلة عدد الموظفين فضلا عن ضعف تأهيلهم وتدريبهم.

ونظرًا لما تمثله المكتبات من أهمية بالغة، كونها مستودعات للمعرفة عالميًا؛ ينبغي إدارتها بمستوى عالٍ من الكفاءة من قبل أمناء المكتبات المدربين تدريبًا مهنيًا جيدًا؛ لما لهم من دور أساسي في تنمية رأس المال البشري، مما يعني ضرورة تدريبهم وتأهيلهم لهذا الدور، من خلال رفع مستوى تعليمهم ومهاراتهم، ولاسيما المتعلقة بالوصول إلى المعلومات (Akomolafe, 2012). وتأكيدًا على أهمية تدريب أمناء المكتبات، ليتمكنوا من المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، فقد أوصت دراسة Sow & Vinekar (2012) بضرورة تدريب موظفي المكتبات وإعطائهم المسؤولية بتقديم خدمات مكتبية موجهة بشكل أكبر نحو تحقيق الأهداف الإنمائية.

3- قلة وعي الحكومات بدور مؤسسات المعلومات وأهميتها

إن وعي الحكومات وصناع القرار بأهمية مؤسسات المعلومات والمكتبات، والدور الفاعل الذي يمكن أن تؤديه إذا ما تم توفير المناخ الملائم لها من شأنه أن يسهم في مساهمتها في تنمية المجتمعات والمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة على مختلف الأصعدة الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية. في المقابل – وبوصفه نتيجة منطقية – تنعكس قلة الوعي بدور المكتبات، وما يمكن أن تحدثه من فروق، على جميع

مستويات التنمية على مستوى أدائها، ويظهر عائقا يحد من مساهمتها الفاعلة في التنمية بشكل عام. ففي الوطن العربي يشير قدورة (2017) إلى أن مفاهيم النفاذ إلى المعلومات، ودور المكتبات في التنمية المستدامة، لا تزال حديثة بالنسبة لمتخذي القرار في تونس؛ إذ يلحظ غياب هذه المفاهيم في المخطط الوطني للبيئة، والتنمية المستدامة (أجندا 21 تونس)، بل أيضًا يلاحظ سوء فهم حول مصطلح "التنمية المستدامة"؛ إذ ينظر إليه على أنه حماية البيئة الطبيعية فقط، وتوصي الدراسة بضرورة مشاركة المكتبات في وضع وتنفيذ الخطط المحلية للتنمية المستدامة، وتعزيز النفاذ إلى المعلومات والمكتبات، لتحقيق الأهداف الوطنية المختلفة. يشير Ukachi (2012) إلى أن مجتمع المعرفة شرط لابد منه لتحقيق التنمية المستدامة، ولذلك ينبغي على المكتبات أن تسعى لتقديم خدمات تتسم بالكفاءة والفاعلية، بوصفها أطرافا رئيسة فاعلة في تحقيق مجتمعات المعرفة والتنمية المستدامة، كما يرى أن إضفاء الطابع المؤسسي على المكتبات العامة الراسخة والنشطة في المجتمعات النامية من قبل الحكومة، يساعد على إقامة مجتمعات المعرفة، ويسهل عملية التغيير الثقافي الإيجابي، ويعزز التواصل عبر جميع مستويات المجتمعات المحلية، واستخدام التكنولوجيا الملائمة، مما سيخلق مجالاً لإتاحة المعلومات لكافة شرائح المجتمع، كما أنه سيفتح فرصًا لتدريب الناس، ليكونوا قادرين على الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها مما يمكنهم من تحقيق إسهامات ذات مغزى في تنمية مجتمعاتهم؛ ومن أجل ذلك ينبغي على الحكومات أن تنشئ مكتبات عامة في كل منطقة، مع ضمان أن المكتبات المُنشأة مجهزة تجهيزًا جيدًا بمستوى عالٍ من مهارات العاملين فيها، والبنى التحتية اللازمة والمناسبة لتقديم خدماتها بكفاءة وفاعلية. في الإطار ذاته أوصت دراسة Ifijeh, James & Adebayo (2016) بأهمية مشاركة أمناء المكتبات في نيجيريا في المناقشات الوطنية، حول سياسات الإنترنت، والإدماج الرقمي، والوصول السريع للإنترنت، والبيانات المفتوحة، التي تعزز في مجملها من تحقيق التنمية المستدامة، كما ينبغي على الحكومات أن تذهب إلى أبعد من ذلك، بتضمين المكتبات في خطط توسيع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ووصول النطاق العريض إلى الريف، وخفض تكلفة الإنترنت لذوي الدخل المنخفض، كما ينبغي توفير التكنولوجيا المساعدة لتحسين إمكانية وصول ذوي الإعاقة إلى المعلومات في المكتبات العامة.

ويشير Omotosho & Okiki (2012) إلى أنه – وبالرغم من الدور الهام الذي تؤديه المكتبات العامة في مجتمعاتها المحلية – فإنها لا تؤخذ في الاعتبار عند اتخاذ القرارات التي لا يمكن اتخاذها دون الرجوع إلى المعلومات ذات الصلة بالموضوع، فعلى سبيل المثال: عانت نيجيريا في مجال الصحة من وفيات الأمهات والأطفال بشكل متزايد، وناقشت الحكومة والجهات المعنية تطوير السياسات الصحية، وإنشاء المراكز الصحية، وإنشاء مراكز لإدارة المعلومات الصحية، إلا أنها قد أغفلت مشاركة المكتبات العامة في ذلك؛ مما يُصعِّب دور المكتبات العامة في تحقيق الأهداف الإنمائية الصحية والأهداف الأخرى، لعدم إشراك المكتبات في عملية التنمية في البلد.

4- ضعف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والبنية التحتية

تعد تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أهم متطلبات التنمية في العصر الحالي، وتسعى الأمم المتحدة من خلال خطة التنمية المستدامة 2030 إلى ضمان تمتع الجميع بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتوافر البنية التحتية التقنية الملائمة، مما يؤدي إلى ضمان وصول الجميع إلى المعلومات المتاحة، عالميًا وإقليميًا ومحليًا، وسد الفجوة الرقمية فيما بين الدول، وداخل الدول بين الحضر والريف. تعد المكتبات في كثير من بلدان العالم، ولاسيما النامية، المكان الوحيد الذي يمكن للكثير من الناس الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ مما يؤكد أهمية تجهيز المكتبات ومؤسسات المعلومات، بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بالشكل الملائم الذي يلبي احتياجات المستفيدين، فضلا عن أهمية تأهيل أمناء المكتبات للتعامل مع هذه التكنولوجيا، والعمل على تدريب المستفيدين على استخدامها بكفاءة عالية تلبي احتياجاتهم وتمكنهم من تنمية مهاراتهم ومجتمعهم.

لكن الوضع في بعض البلدان قد يختلف كثيرًا عن الوضع المأمول؛ فمع ظهور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات نجد أن معظم المكتبات تحولت في تقديم خدماتها التقليدية إلى خدمات إلكترونية ورقمية. وإن هذا الواقع لا ينطبق على كثير من المكتبات العامة في نيجيريا، تلك المكتبات التي لا تزال غير قادرة على حوسبة مجموعاتها، بل إنها غير قادرة على استخدام أجهزة الحاسب الآلي Omotosho & Okiki, 2012). وقد أشار المسند (2017) إلى عدم كفاية البنية التحتية، كالمباني، والتجهيزات في كثير من المكتبات العربية، وأكد Onoyeyan & Adesina (2014) ضعف البنية التحتية في المكتبات النيجيرية أيضًا، وأوصت دراسة Ifijeh, James & Adebayo (2016) بأهمية تدريب أمناء المكتبات على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، من أجل المساهمة في قضية الإدماج الرقمي، وسد الفجوة الرقمية.

وفي مجال حفظ التراث الثقافي والأرشيف، تعد الوسائط والتكنولوجيا التي تستخدم لأغراض النقل والحفظ غير مستقرة؛ فهي تتطور وتتغير باستمرار، فتحل محلها تقنيات أخرى، مما يجعل هذه الوسائط أو التقنيات تفقد الدعم لتقادمها، الأمر الذي سيشكل تحديا في ضمان الوصول إلى ذلك الأرشيف والمحفوظات بمرور الوقت (Mazlina, Maryam,Rina, Eliana & Nora ayu,2014).

5- ضعف التسويق للخدمات المقدمة في المكتبات العامة

يعد التسويق الجيد للخدمات الموجودة داخل المكتبة من العوامل المؤثرة في إقبال المستفيدين على المكتبة؛ فكثير من المكتبات قد يجتهد في تقديم وتنويع الخدمات، إلا أنها لا تلقى الإقبال المتوقع من المستفيدين، على الرغم من حاجتهم الفعلية لذلك النوع من الخدمات، ويرجع السبب في ذلك إلى ضعف التسويق

والتعريف بخدمات المكتبة، أو انعدامه. فعلى سبيل المثال، يشير Omotosho & Okiki (2012) إلى أن مستخدمي المكتبات العامة في نيجيريا دائما ما يواجهون التحدي المتمثل في معرفة نوع الخدمات، ومصادر المعلومات التي تستضيفها المكتبات العامة، وعندما سعت المكتبات العامة النيجيرية للمساهمة في تحقيق الأهداف الإنمائية الصحية من خلال أنشطتها وبرامجها، لم تلقَ الإقبال المتوقع، نظرًا لعدم دراية المستفيدين بما تقدمه هذه المكتبات من مصادر وخدمات متعلقة بالأهداف الصحية، مما جعل مهمتها في تحقيق الأهداف الصحية أكثر صعوبة، وأوصت الدراسة بضرورة قيام المكتبات العامة النيجيرية بتوعية مستفيديها بالخدمات المقدمة للمجتمع.

خلاصة الدراسات السابقة

- اتفقت معظم الدراسات التي تناولت المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، على أن قلة الموارد المالية، وضعف تدريب وتطوير العاملين، بالإضافة إلى ضعف البنية التقنية، من أبرز المعيقات التي تواجهها، بالإضافة إلى قلة وعي صناع القرار بدور مؤسسات المعلومات بوصفه شريكا في التنمية.

- يلاحظ قلة الدراسات التي تتحدث عن المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق التنمية المستدامة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن مؤسسات المعلومات ما زالت في بداية تبني أدوار متعلقة بالتنمية المستدامة - وما زال التركيز على دراسة الواقع - وإثبات دورها وقدرتها على المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

3- منهج الدراسة وإجراءاتها

3-1 منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج االمزجي Mixed Methods Approach لتحقيق هدفها المتمثل في التعرف على المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030؛ لملائمة هذا المنهج مع طبيعة الدراسة التي تتطلب دراسة الواقع الفعلي للتحديات التي تعاني منها مؤسسات المعلومات، وتحد من مساهمتها في تحقيق التنمية المستدامة 2030، من وجهة نظر العاملين فيها، من خلال استبانة مخصصة لهذا الغرض، بالإضافة إلى التعرف على وجهة نظر إدارات هذه المؤسسات والقائمين عليها حول هذه المعيقات وطرق التغلب عليها من خلال المقابلة لإعطاء فهم أعمق حول تلك التحديات، ودرجة تشابهها، وتأثيرها على المؤسسات المعلوماتية وأنشطتها.

2-3 مجتمع الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من جميع مؤسسات المعلومات في سلطنة عمان المعنية بإنتاج وحفظ وإتاحة المعلومات، والمتمثلة في المكتبات، ودور الوثائق والمحفوظات، والمتاحف، والمراكز الثقافية، بالإضافة إلى الجمعية العمانية للمكتبات والمعلومات، ودائرة المكتبات بوزارة التراث والثقافة.

3-3 عينة الدراسة

اعتمدت الدراسة على عينة طبقية قصدية من مؤسسات المعلومات، بهدف محاولة تغطية العينة لكافة أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، وفقًا لاختصاصات كل مؤسسة وأنشطتها. ويوضح الجدول رقم (1) عينة الدراسة

جدول 1 عينة الدراسة

م	نوع مؤسسة المعلومات	مؤسسة المعلومات
1	المكتبات الأكاديمية	المكتبة الرئيسية بجامعة السلطان قابوس
2		مركز المعلومات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة السلطان قابوس
3		المكتبة الطبية بجامعة السلطان قابوس
4		مكتبة الدراسات العمانية بجامعة السلطان قابوس
5	المكتبات العامة	مكتبة المعرفة العامة
6		مكتبة جامع السلطان قابوس الأكبر
7		دائرة شؤون المكتبات بمركز السلطان قابوس العالي للثقافة والعلوم
8		مكتبة حصن الشموخ
9		مركز ذاكرة عمان
10	المراكز الثقافية	مركز منح الثقافي
11	دور الوثائق	هيئة الوثائق والمحفوظات الوطنية
12	المتاحف	المتحف الوطني

13	الوزارات الحكومية	دائرة المكتبات بوزارة التراث والثقافة
14	جمعيات مؤسسات المعلومات	الجمعية العمانية للمكتبات والمعلومات

3-4 أدوات الدراسة

3-4-1 الاستبانة

اعتمدت الدراسة على استبانة لجمع البيانات من العاملين في مؤسسات المعلومات حول التحديات التي تواجههم، في سبيل المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030.

3-4-2 المقابلة شبه المقننة Semi-Structured Interview

اعتمدت الدراسة على المقابلة شبه المقننة في جمع البيانات، كونها الأداة الأنسب لجمع البيانات، من إدارات ومؤسسات المعلومات والقائمين عليها للتوسع في مناقشة التحديات التي تواجه مؤسسات المعلومات، وسبل الحد من تأثيرها، والقضاء عليها؛ فالباحث في هذا النوع من المقابلات يضع مجموعة من الأسئلة الأولية، وفقا لأهداف الدراسة، تلك الأسئلة التي تعينه على توجيه وإدارة المقابلة بنجاح، وبصورة تتيح له جمع أكبر قدر من المعلومات، والفهم الواسع لمشكلة الدراسة.

3-5 صدق الأدوات

للتحقق من صدق الاستبانة وأسئلة المقابلة، تم عرضها على مجموعة من المحكمين من قسم دراسات المعلومات، وآخرين من كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، وكلية التربية بجامعة السلطان قابوس، للتأكد من مدى وضوح عباراتها، ودقة صياغتها اللغوية، وارتباطها بهدف الدراسة، وقد تم الأخذ بجميع ملاحظات المحكمين.

3-6 أسلوب تحليل البيانات

استخدمت الدراسة برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Psychological of Social Science (SPSS) لمعالجة البيانات الكمية، والتحليل النوعي للبيانات النوعية.

4- نتائج الدراسة

للإجابة عن سؤال الدراسة "ما المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030؟"، تم الاعتماد على استبانات وزعت على العاملين في مؤسسات المعلومات، عينة الدراسة، للتعرف على المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق أهداف

التنمية المستدامة، من وجهة نظر العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية، وعلى المقابلات شبه المقننة، للتعرف على المعيقات، من وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات، كما يلخصها الجدول رقم (2) والجدول رقم (3) .

جدول2

م	ما المعيقات التي تحد من تحقيق أهداف التنمية المستدامة والمتعلقة بمكتبتكم؟	التكرار	النسبة
1	عدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها	33	%70.2
2	الموارد المالية	35	%74.5
3	تأهيل الموارد البشرية	26	%55.3
4	إدارية	31	%66
5	أخرى	7	%14.9

المعيقات من وجهة نظر العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية

*السؤال يتيح اختيار أكثر من إجابة

يتضح من الجدول أن الأسباب المتعلقة بالموارد المالية جاءت في المرتبة الأولى، بوصفها معيقا يحد من تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وبنسبة 74.5%، من وجهة نظر العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية، عينة الدراسة، في حين أن الأسباب المتعلقة بعدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها، قد جاءت في المرتبة الثانية وبنسبة 70.2%، تلتها مباشرة الأسباب الإدارية بنسبة 66%، ومن ثم الأسباب المتعلقة بتأهيل الموارد البشرية بنسبة 55.3%. وتتشابه هذه المعيقات في مجملها مع المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات، من وجهة نظر إدارات تلك المؤسسات، بصورة عامة، كما أوضحتها المقابلات، ويلخص الجدول رقم (3) المعيقات التي تواجه تلك المؤسسات كالآتي:

جدول 3

المعيقات من وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات

م	المعيقات التي تحد من تحقيق أهداف التنمية المستدامة	التكرار	النسبة
1	المعيقات المالية	10	%83.3
2	عدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها	8	%66.6
3	المعيقات البشرية	8	%66.6
4	المعيقات الإدارية	7	%58.3

*يمكن لكل مؤسسة تحديد أكثر من معيق

يتضح من خلال الجدول السابق أن 83.3% من مؤسسات المعلومات، عينة الدراسة، تواجه معيقات متعلقة بالجوانب المالية، في حين تساوت نسبة المؤسسات التي تواجه معيقات متعلقة بعدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة، والمعيقات البشرية بنسبة 66.6% لكل عامل، وجاءت المعيقات الإدارية في المرتبة الأخيرة بنسبة 58.3%. وفيما يتعلق بالمعيقات المالية، فقد أشار عدد من مبحوثي مؤسسات المعلومات إلى أن المعيقات المالية دائمًا ما تتصدر قائمة المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات بشكل عام، وأشار مبحوث آخر إلى أن المعيقات المالية تحد من مساهمتها في تحقيق التنمية المستدامة من خلال القدرة على توفير كوادر بشرية متخصصة، وأيضًا قدرتها على إتاحة بعض البيانات والمعلومات، التي تتطلب إتاحتها تنفيذ مسوحات تحتاج إلى مبالغ مالية كبيرة.

أما المعيقات المتعلقة بعدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها، فقد أشار أحد المبحوثين إلى أن وعي المختصين في مؤسسات المعلومات بأن لهم دورا في المساهمة في تحقيق التنمية المستدامة، ووجود روح المبادرة والرغبة في المساهمة في تحقيقها أمر بالغ الأهمية، مؤكدًا أن الوعي سيأتي بالأفكار والمبادرات والمناشط، ويرى مبحوث آخر أن غياب الوعي عند بعض الموظفين لا يقتصر على أهداف التنمية المستدامة، بل غياب الوعي أيضًا بأهداف ومهام واختصاصات المؤسسة التي ينتمون إليها، والتي لا تتعارض بشكل من الأشكال مع أهداف التنمية المستدامة.

وأظهرت آراء بعض المبحوثين أن غياب رغبة الموظفين عن الخروج عن مهام عملهم الأساسية، وتنفيذها بالطريقة المعتادة، ساهم في الحد من مساهمتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، أو تنفيذ الأنشطة والبرامج التنموية في المجتمع المحيط، وأكد مبحوث آخر على أهمية استقطاب الكفاءات البشرية للعمل في مؤسسات المعلومات الأهلية التطوعية، واصفًا ذلك بأنه "ليس بالأمر السهل"، موضحًا محاولة مؤسستهم بأن يكون مجلس المؤسسين خليطا من تخصصات مختلفة، حيث تتكامل زوايا رؤيتهم للأمور،

موضحًا أن هناك تنوعا في تخصصات المتطوعين العاملين في المؤسسة، يصل إلى تسع تخصصات مختلفة، فهناك أطباء، ومهندسون، ومعلمون، واقتصاديون، وغيرهم، مع الحرص على أن يترأس الفرق المكونة للمؤسسة، متخصص في المجال؛ ففريق الشفاء يترأسه طبيب مختص، وفريق الابتكار يترأسه مهندس، وفريق الوثائق يترأسه متخصص في الوثائق، وهكذا مع بقية الفرق الأخرى، مضيفًا أن الكفاءة البشرية هي الأساس في نجاح أي مؤسسة، متفقًا بذلك مع مبحوث آخر قد أشار إلى أهمية الرغبة ودورها، وروح المبادرة لدى القائمين على المكتبات في المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وأنها هي الأساس في تحقيق التنمية المستدامة. وأضاف مبحوثان آخران عدم كفاية الكوادر البشرية في مؤسسات المعلومات الأهلية التي تعمل بجهود تطوعية؛ إذ إن هناك كثيرا من المشاريع، وكثيرا من الأفكار والبرامج المخطط لها، إلا أن نقص الكوادر البشرية الموجودة، وعدم تفرغها للعمل في هذه المؤسسات، يحد كثيرًا من مساهمتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بشكل خاص، وفي تنفيذ خططها وبرامجها، بشكل عام.

وفيما يتعلق بالمعيقات الإدارية فقد أشار أحد مبحوثي مؤسسات المعلومات إلى أن الإجراءات الإدارية في المكتبات الأكاديمية المتخصصة لا تسمح بالخروج عن إطار رؤية الكلية، موضحًا ذلك بقوله "المكتبة أكاديمية متخصصة، ووضعت من أجل تلبية احتياجات الكلية في المقام الأول؛ وبذلك فإن الأنشطة والمبادرات لا يسمح أن تخرج عن إطار رؤية الكلية وتوجهها"، في حين أكد آخر أن بطء الإجراءات الإدارية، وتعقيدها، يحدان أيضًا من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، من خلال الأنشطة والبرامج والمبادرات، التي تحتاج إلى إجراءات عدة للموافقة عليها من قبل المؤسسة الأم التي تنتمي إليها المكتبة.

أما عن ترتيب هذه المعيقات من حيث المعيق الأول لمؤسسات المعلومات من وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات فيوضحها الجدول رقم (4) كالآتي:

جدول 4

المعيقات بوصفها مرتبة أولى لكل مؤسسة من وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات

م	المعيقات بوصفها مرتبة أولى لكل مؤسسة	التكرار	النسبة
1	المالية	5	%41.7
2	البشرية	4	%33.3
3	عدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها	2	%16.7
4	الإدارية	1	%8.3

يتضح من الجدول أن الموارد المالية حصلت على النسبة الأعلى بوصفها معيقا أوليا يواجه مؤسسات المعلومات من بين المعيقات الأخرى، إذ بلغت ما نسبته 41.7%، وجاء هذا متفقًا مع وجهة نظر العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية ممن حضروا الورش التعريفية، إذ حصلت أيضًا الموارد المالية على أعلى نسبة تكرار، تلتها مباشرة المعيقات البشرية بنسبة 33.3%، ومن ثم 16.7% للمعيق المتعلق بعدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها، في حين أن المعيق المتعلق بالإجراءات الإدارية لم يرد بوصفه معيقا يتصدر المرتبة الأولى، عدا في مؤسسة واحدة فقط وبنسبة 8.3%. وقد تباينت وجهات نظر إدارات مؤسسات المعلومات حول ترتيب المعيقات لدى مؤسساتهم؛ إذ أشار أحد مبحوثي مؤسسات المعلومات حول تصدر عدم كفاية الكوادر البشرية، بوصفه معيقا أوليا إلى أن "المكتبة لها أهدافا ومهام أساسية، لابد أن تقوم بها في المقام الأول، والقيام بأنشطة ومبادرات أخرى يجب ألا يؤثر في المهام والوظائف الأساسية للموظفين"، في حين فسر مبحوثان آخران تصدُر المعيقات البشرية في المرتبة الأولى في مؤسساتهم بعدم تفرغ الأعضاء للعمل في تلك المؤسسات، وأن العمل فيها تطوعي، ولديهم مهام ومسؤليات متعلقة بعملهم الأساسي، كما أشار مبحوث آخر إلى أن المعيق البشري يظهر في عدة أشكال، فتوفير المعلومات والبيانات الإحصائية يتطلب التعاون مع مختلف الجهات الحكومية لتجميع البيانات، ولاسيما فيما يتعلق بمؤشرات قياس التنمية المستدامة، إذ إن توفير بيان معين، أو قياس مؤشر معين، يتطلب معلومات من عدة جهات، وليس من جهة واحدة، موضحًا أن التفاصيل المطلوبة لهذة المؤشرات لا تقتصر على المستوى الوطني فحسب، بل على مستوى المحافظات والولايات، وعلى مستوع النوع (ذكورا وإناثا)، وعلى مستوى الفئات العمرية، وغيرها من المستويات أيضا؛ مما يتطلب توفير عدد كبير من الكوادر البشرية، وفي الوقت نفسه، تمتلك قدرات إحصائية تتقن منهجيات احتساب المؤشرات، موضحًا أن بناء القدرات الإحصائية ينطبق حتى على الإحصائيين المتخصصين ومن ذوي الكفاءة، ولاسيما فيما يتعلق بمؤشرات التنمية المستدامة، كونها مؤشرات حديثة، ومنهجيات احتسابها جديدة، كما أكد أن توفير البيانات والمعلومات من خلال المسوحات ليس بالأمر اليسير، ويحتاج إلى جهود بشرية كبيرة. في الإطار ذاته أكد مبحوث آخر أهمية توفر الكادر البشري ذي الكفاءة العالية، أكثر من توفر الموارد المالية، موضحًا أن أفكار الأفراد هي ما يجلب المال، كما هو الحاصل لديهم، إذ استطاعوا بأفكارهم جلب مبالغ سخية ومتبرعين لدعم ما يقومون به من أنشطة وبرامج، وهذا يتفق أيضًا مع ما أشار إليه مبحوثون آخرون: أن المعيقات المالية يمكن التغلب عليها من خلال البحث عن مصادر تمويل خارجية.

وبالحديث مع إدارات مؤسسات المعلومات عن سبب تشابه ترتيب المعيقات، من وجهة نظر العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية – التي ورد ترتيبها كالآتي: الأسباب المتعلقة بالموارد المالية، والأسباب المتعلقة بعدم الوعي بماهية أهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها، والأسباب الإدارية، والأسباب المتعلقة بتأهيل الموارد البشرية – وإذا ما كانوا يتفقون مع الترتيب نفسه؛ فقد تباينت آرائهم بين الاتفاق

والاختلاف على هذا الترتيب؛ إذ أشار أحد مبحوثي مؤسسات المعلومات في جامعة السلطان قابوس إلى اتفاقه مع الترتيب نفسه؛ مُعللا ذلك بأن "أغلب هذه المكتبات تخضع لسياسة المؤسسة الأم، وبالتالي تواجه الظروف والتحديات نفسها، مع الاختلاف في درجة تأثير أو حضور العامل المعيق"، في حين أرجع مبحوثان آخران ذلك التشابه إلى عدم الوعي بأهمية المكتبات من قبل المسؤولين، وما نتج عنه من عدم الاهتمام بها بالشكل المطلوب؛ مما أدى إلى تشابه ظروفها وتشابه المعيقات التي تواجهها. في المقابل رأى مبحوث آخر أن المعيقات البشرية تأتي قبل المعيقات المالية، موضحًا أن المعيق المالي ليس الهاجس الأكبر لدى مؤسستهم؛ إذ استطاعت إيجاد ممولين وداعمين لمشاريعها، وصرفت مبالغ مالية تفوق ما صرفته مؤسسات أخرى كبيرة جدًا، وأن توفر الكادر البشري المؤهل والكافي من حيث العدد، سيذلل جميع الصعاب الأخرى، ومن بينها الموارد المالية، وهذا ما أكده مبحوث آخر قائلا إن أفكار الأفراد هي من تجلب المال. ويرى مبحوث آخر أن وعي القائمين والمختصين في المكتبات بأهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها، يأتي في أعلى القائمة، مبررًا ذلك بأن توفر المال لا يغير من الوضع شيئا في ظل غياب الوعي وروح المبادرة، مضيفًا أنه - وحتى في ظل الأزمة المالية - يمكن الحصول على تمويل للمشاريع والبرامج من الجهات الخارجية، عند تقديم مشاريع وبرامج مقنعة ذات أهمية كبيرة. وأشار مبحوث آخر إلى أن المعيقات الإدارية تأتي في المرتبة الأولى، من وجهة نظره، موضحًا أن مدى وعي الإدارة بأهمية المكتبة وأدوارها، وأهمية ما تقوم به من أنشطة وبرامج، سيحدد إذا ما كانت المكتبة من ضمن أولويات الصرف لديها؛ فحتى في وجود الوفرة المالية، وغياب وعي الإدارة، فلن تستطيع المكتبات تنفيذ العديد من أنشطتها وبرامجها.

وفيما يتعلق بآليات تجاوز المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات، وتحد من تحقيق أهداف التنمية المستدامة فقد أشار عدد من مبحوثي مؤسسات المعلومات إلى أن المعيقات المالية يمكن تجاوزها بطلب التمويل والدعم الخارجي مع مراعات الإجراءات الإدارية التي تتبعها المؤسسة الأم، في حين أن المعيقات الإدارية "يمكن تجاوزها بإقناع الإدارات، والدخول في مناقشات، وتقديم مبررات قوية لجدوى مثل هذه المبادرات والبرامج، وتوضيح الأثر من تبنيها، والحرص على إيجاد مبادرات لا تتعارض مع سياسات ورؤى المؤسسة أو الوحدة"، وفيما يتعلق بالمعيقات البشرية والمتعلقة بوعيهم بأهداف التنمية المستدامة فأشار إلى:

أن قضية الوعي بأهداف التنمية المستدامة، يمكن تجاوزها من خلال تبادل المعرفة بين الموظفين، ومن خلال الاطلاع الذاتي على مستجدات الموضوع، من خلال موقع الإفلا الذي يتيح كل التفاصيل المتعلقة بموضوع التنمية المستدامة، والاستفادة من التجارب التي تعرضها، كما يمكن طلب الإعانة من الإفلا في تقديم ورش للمتخصصين، ولاسيما أنها تلقت الكثير من الدعم المادي، وهي ترحب بدعم جميع المبادرات المتعلقة بالتنمية المستدامة، والاستفادة من الورش الإقليمية التي تقدمها ومحاولة نقل أثر هذه الورش بالنسبة للمتخصصين ممن حضروا تلك الورش لزملائهم في

التخصص، كما أن مناقشة أعضاء المكتبة الواحدة بمستجدات التخصص، من خلال اطلاعهم أو حضورهم لبعض الورش والمؤتمرات، ومحاولة تقديم أفكار ورؤى جديدة لما يمكن أن تقدمه المكتبات ومن شأنه أن يسهم في رفع مستوى وعي العاملين بالمستجدات بما فيها التنمية المستدامة.

وأشار مبحوث آخر إلى أهمية تشجيع العاملين في مؤسسات المعلومات على المبادرة والابتكار والإبداع في تقديم خدمات المعلومات، كما يرى أنه قد تضطر إدارات مؤسسات المعلومات في بعض الأحيان إلى اللجوء إلى سياسة الفرض والإلزام للقيام بمبادرات، وتنفيذ برامج وأنشطة، من أجل النهوض بمؤسسات المعلومات، ويؤكد مبحوثان آخران أن الدور الرئيس للحد من تأثير المعيقات التي تواجه المكتبات يعود إلى القائمين على المكتبات من خلال إبراز أهميتها في تنمية البلد، موضحين أن الوعي بأهميتها من قبل المجتمع ومتخذي القرار سيؤدي إلى تلاشي جميع المعيقات التي تواجهها، وسيؤدي إلى تسريع الإجراءات وتوفير الموازنات.

وعن دور الجمعية العمانية للمكتبات والمعلومات في الحد من تأثير المعيق المتعلق بوعي العاملين في مؤسسات المعلومات بأهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها، فقد أشار مبحوث الجمعية إلى أن الجمعية بصدد تنفيذ ورشتين توعويتين بأهداف التنمية المستدامة، وسبل تحقيقها في السنة الحالية 2018، في حين أشار مبحوث دائرة المكتبات بوزارة التراث والثقافة إلى أن الوزارة تسعى للحد من المعيقات التي تواجه المكتبات من خلال استقطاب الكوادر المؤهلة المتخصصة في المكتبات للعمل التطوعي في المكتبات الأهلية، مع سعيها إلى تأهيل المتطوعين غير المتخصصين الذين يشكلون غالبية العاملين في المكتبات الأهلية من خلال الورش التدريبية، كما أنها تسعى لحل التحديات المالية من خلال التنسيق مع وزارة الإسكان، لمنحهم أراضٍ تجارية، يتم بناؤها بتمويل من القطاع الخاص والمجتمع المدني، وتستثمر لتشغيل المكتبات والمراكز الثقافية الأهلية. وفيما يتعلق بأهداف التنمية المستدامة، فأشار إلى أن "الأمر يحتاج إلى مناقشته مع الجهة المعنية بإعداد استراتيجية 2040، وفي ضوئه تتولى الوزارة ما يتعلق بدور المكتبات ومؤسسات المعلومات، ومحاولة التركيز عليه من خلال الورش التي تنفذ".

5-مناقشة نتائج الدراسة

تواجه مؤسسات المعلومات العديد من المعيقات التي تحد من مساهمتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وعلى الرغم من تشابه هذه المعيقات في معظم مؤسسات المعلومات، فإنها تختلف في درجة تأثيرها وحِدتها من مؤسسة لأخرى، لعدة اعتبارات كطبيعة مؤسسات المعلومات، وكونها حكومية أو أهلية، وطبيعة الجهة المشرفة عليها، ومدى كفاءة الكوادر البشرية العاملة فيها، وغيرها الكثير.

وقد أشارت نتائج الدراسة الحالية إلى تصدر المعيقات المالية قائمة المعيقات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق التنمية المستدامة، من وجهة نظر العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية، ومن وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات، كما أنها تصدرت قائمة المعيقات التي تواجه

مؤسسات المعلومات، بوصفها معيقا أوليا. جاءت هذه النتيجة متفقة مع ما أشارت إليه معظم الدراسات التي تحدثت عن أبرز التحديات التي تعاني منها المكتبات في أغلب دول العالم، ولاسيما الدول النامية، ومن هذه الدراسات دراسة المسند (2017) الذي أشار فيها إلى أن الانكماش الاقتصادي الذي تعاني منه الدول العربية، أدى إلى زيادة ضعف الدعم المالي في الدول العربية عامة، ودراسة عبدالله (2017) التي أشير فيها إلى الضعف الشديد في الموازنات المالية للمكتبات العامة المصرية التابعة للهيئة العامة لدار الكتب، والتي أثرت على مساهمتها في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، ومن أجل ذلك أوصت الدراسة بضرورة زيادة ميزانية المكتبات العامة، من أجل تطوير أدائها، وتحقيق أهدافها الثقافية والتعليمية والبيئية، بالإضافة إلى دراسة Sow & Vinekar (2012)، و Onoyeyan & Adesina (2014) ، و Omotosho & Okiki (2012). وقد أوصت دراسة Sow & Vinekar (2012) بضرورة تمويل المكتبات العامة على نحو كافٍ، وعدها مركزًا لتحقيق التنمية، كما أوصى Onoyeyan & Adesina (2014) بضرورة توفير التمويل المناسب للمكتبات النيجيرية، إذا ما أريد لها أن تكون فاعلة ومؤثرة، حيث تصبح قادرة على توفير المساحات والمباني الآمنة والمناسبة، وتوفير عدد كافٍ من الموظفين المؤهلين تأهيلا جيدًا، ولكي تصبح قادرة أيضًا على اقتناء مواد إعلامية مناسبة فيما يخص الأهداف الإنمائية لرفع مستوى وعي المستفيدين بها، وتلبية احتياجاتهم المتعلقة بالتنمية المستدامة.

كما أشارت نتائج الدراسة الحالية إلى وجود معيقات متعلقة بالوعي بأهداف التنمية المستدامة وسبل تحقيقها. ويُعد تدريب العاملين وتأهيلهم مهنيًا في مؤسسات المعلومات، بما فيها المكتبات، أمرا بالغ الأهمية، إذا ما أُريد لهذه المؤسسات أن تقوم بالدور المنوط بها على أكمل وجه، وبما يسهم في خدمة المجتمع وتنميته؛ فمؤسسات المعلومات ولكي تقوم بالمساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، ينبغي أن يُدرب ويُؤهل العاملون فيها جيدًا للقيام بذلك الدور، كما يعد التدريب والتأهيل إحدى وسائل التوعية بأهداف التنمية المستدامة خاصة، وبمستجدات التخصص عامة، وأظهر 97.9% من العاملين في قطاع المكتبات والمراكز الثقافية، ممن حضروا الورش التعريفية، حاجتهم إلى دورات تدريبية تؤهلهم للقيام بمهام جديدة تسهم في تحقيق التنمية المستدامة، كما أشار أحد مبحوثي مؤسسات المعلومات إلى ضرورة وجود جهة معنية بالتوعية بأهداف التنمية المستدامة 2030، تتولى إعلام الجهات المختلفة بخطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، وتوعيتها بالأهداف السبعة عشر وسبل تحقيقها. اتفقت هذه النتيجة مع ما أشار إليه السيد وصالح (2009) في دراسة أجريت للتعرف على دور المكتبات العامة في تنمية الوعي الصحي، ومكافحة الأزمات الصحية عالميًا؛ إذ أشارا إلى أن مستوى أداء أنشطة وخدمات الوعي الصحي يعتمد على عدة مقومات، أهمها: تأهيل اختصاصي المعلومات والمكتبات لتوفير معلومات صحية للمستفيدين؛ مما يستوجب ضرورة توفير برامج تأهيل وتدريب متخصصة في أساليب الوعي الصحي وأنشطته. في الإطار ذاته ذكر Omotosho & Okiki (2012) أن غالبية المكتبات في إفريقيا ليس

لديها موظفون مدربون على تلبية احتياجات المستفيدين من المعلومات الصحية. وتأكيدًا لأهمية تدريب أمناء المكتبات ليتمكنوا من المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، فقد أوصت دراسة Sow & Vinekar (2012) بضرورة تدريب موظفي المكتبات، وتخويلهم المسؤولية لتقديم خدمات مكتبية موجهه بشكل أكبر نحو تحقيق الأهداف الإنمائية، كما أكد Akomolafe (2012) أهمية إدارة المكتبات بمستوى عالٍ من الكفاءة من قبل أمناء المكتبات المدربين تدريبًا مهنيًا جيدًا؛ لما لهم من دور أساسي في تنمية رأس المال البشري، مما يعني ضرورة تدريبهم وتأهيلهم لهذا الدور من خلال رفع مستوى تعليمهم ومهاراتهم، ولاسيما المتعلقة بالوصول إلى المعلومات، كما أوصت دراسة Onoyeyan & Adesina (2014) بأن تسعى المكتبات للحصول على مواد إعلامية متعلقة بالأهداف الإنمائية، لرفع مستوى وعي مستخدمي المكتبة.

كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود معيقات بشرية، من حيث عدم كفاية عدد الموظفين، وغياب روح المبادرة لأداء مهام عمل جديدة وبطرق مبتكرة، وعدم تخصص العاملين، ولا سيما في المكتبات الأهلية؛ فقد أشار مبحوث دائرة المكتبات بوزارة التراث والثقافة إلى أن معظم العاملين في المكتبات الأهلية، هم من غير المتخصصين. اتفقت هذه النتيجة مع ما أشار إليه المسند (2017) من عدم توافر الكوادر البشرية المؤهلة والمدربة لإدارة المكتبات إداريًا وفنيًا، كأحد تحديات التنمية المعرفية المستدامة التي تواجه العالم العربي، ومع ما أشارت إليه دراسة دينا عبد الهادي (2017) من أن المعيقات البشرية التي تواجه المكتبات المصرية العامة وتحد من دورها في تحقيق التنمية المستدامة، تتمثل في عدم تخصص 50% من مدراء المكتبات العامة عينة الدراسة، وهي نسبة عالية لا تتلاءم مع المعيار العربي الموحد للمكتبات العامة، وانخفاض عدد المهنيين في كل من مكتبة التحرير، ومكتبة حلوان، ومكتبة الخليفة، وانخفاض مجموع العاملين بشكل عام في كل من مكتبة حلوان والخليفة، مقارنة بالمكتبات الأخرى، على الرغم من كثافة السكان في منطقتي الخليفة وحلوان؛ مما أثر سلبًا في جودة الخدمات والأنشطة المقدمة، وأشارت أيضًا إلى ارتفاع نسبة غير المهنيين إلى نسبة عدد المهنيين في المكتبات التابعة للهيئة العامة لدار الكتب. كما اتفقت نتيجة هذه الدراسة أيضًا مع ما توصلت إليه دراسة Onoyeyan & Adesina (2014) التي أشارت إلى نقص عدد الموظفين في المكتبات العامة النيجيرية بالإضافة إلى ضعف تأهيلهم وتدريبهم، ومع دراسة Omotosho & Okiki (2012) التي أشارت إلى افتقار المكتبات العامة النيجيرية إلى الكفاءة والقوة العاملة المهنية اللازمة للتعامل مع شؤون المكتبة، وأنه ومع قلة عدد العاملين في المكتبات، تظل الحكومة غير قادرة على تدريبهم وإعدادهم مهنيًا، بطريقة أثرت في نوعية الخدمات المقدمة؛ وبذلك فهي تواجه تحديًا في تقديم خدمات تسهم في تحقيق الأهداف الإنمائية.

أما المعيقات الإدارية التي أشارت إليها نتائج الدراسة فهي من وجهة نظر العاملين في مؤسسات المعلومات تتعلق بإدارت مؤسسات المعلومات ذاتها، وهي من وجهة نظر إدارات مؤسسات المعلومات، تتعلق بالإجراءات المتبعة من قبل المؤسسة الأم التي تنتمي إليها مؤسسات المعلومات، وبالجهات الأخرى التي تتعامل معها مؤسسات المعلومات من أجل إنتاج بياناتها وإتاحتها، وقد أشار أحد مبحوثي مؤسسات المعلومات إلى أن بعض المؤسسات لها طبيعتها الخاصة التي تتطلب إجراءات إدارية ومالية مختلفة عن تلك الموضوعة من قبل الجهة التابعة لها، والتي يرى أنها جامدة لا تتناسب مع متطلبات مؤسسات المعلومات في الوقت الحالي. ويرى آخر أن المعيقات الإدارية تتمثل في عدم وضوح أهداف المكتبات الأهلية، وعدم وجود خطة استراتيجية تؤطر العمل، وأشار آخر إلى أن تعقيد الإجراءات الإدارية من قبل الجهات المشرفة على مؤسسات المعلومات، هو نتيجة لعدم الفهم الواضح، والوعي بدور مؤسسات المعلومات وأهميتها، وأن الدور الرئيس للحد من هذا المعيق يعتمد على جهود القائمين على مؤسسات المعلومات في إبراز دورها وأهميتها في تنمية البلد؛ إذ يرى مبحوث آخر أن الوعي بدور المكتبات وأهميتها من قبل متخذي القرار، سيؤدي إلى القضاء على كافة التحديات الأخرى، مؤكدًا أن المعيقات الإدارية ليست بالتحدي الكبير، ويمكن التغلب عليها بالإصرار على إبراز دور تلك المؤسسات في التنمية.

6-التوصيات

من خلال ما توصلت إليه الدراسة من نتائج خرج الباحثون بمجموعة من التوصيات كالآتي:

- تعزيز وعي العاملين في مؤسسات المعلومات بأهداف التنمية المستدامة، وسُبل تحقيقها من خلال الدورات التدريبية، والورش التعريفية.
- أن تعمل مؤسسات المعلومات على تسويق نفسها، بوصفها شريكا في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، من خلال ربط أنشطتها وبرامجها بأهداف التنمية المستدامة، والتسويق لهذه الأنشطة والبرامج في مختلف القنوات التسويقية من أجل تعزيز وضعها في البلد ولدى متخذي القرار.

العمل على إيجاد مصادر أخرى للدعم المادي، كتشجيع القطاع الخاص على دعم برامج ومبادرات مؤسسات المعلومات بما يساهم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة بشكل أوسع.

7-الخاتمة

تتعدد التحديات التي تحد من مساهمة مؤسسات المعلومات في تحقيق التنمية المستدامة، ويمثل الوعي بدور هذه المؤسسات المفتاح الرئيس للتغلب والحد من هذه التحديات، سواء أكان وعي العاملين في مؤسسات المعلومات أنفسهم بالتنمية المستدامة، ودورهم الفاعل في تحقيقها، أم وعي متخذي القرار في البلد بأهمية تعزيز هذه المؤسسات للقيام بأدوارها الفاعلة في التنمية وتسريع عجلتها، أم وعي

الجهات المشرفة عليها بقدرتها على تنمية المجتمعات التي توجد فيها، والمؤسسات التي تنتمي إليها، والمجتمع عامة.

وبعبارة أخرى فإن الدور الرئيس للحد من تأثير المعيقات التي تواجه مؤسسات المعلومات عامة يعود إلى القائمين عليها من خلال إبراز أهميتها في تنمية البلد؛ فالوعي بأهميتها من قبل المجتمع ومتخذي القرار سيؤدي إلى تلاشي جميع المعيقات التي تواجهها، وسيؤدي إلى تسريع الإجراءات وتوفير الموازنات.

قائمة المصادر

الأمم المتحدة (2015). *أهداف التنمية المستدامة*. استرجع من https://goo.gl/C8etFg

صالح، عماد عيسى والسيد، أماني محمد (9-11 ديسمبر، 2009). *دور المكتبات العامة في تنمية الوعي الصحي ومكافحة الأزمات الصحية العالمية: دراسة استكشافية مقارنة لبرامج وأنشطة المكتبات في ضوء وباء الأنفلونزا*. بحث مقدم إلى المؤتمر العشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (اعلم)، تونس. استرجع من https://goo.gl/egDJum

عبد الهادي، دينا محمد فتحي (26-27 أبريل، 2017). *دور مؤسسات المكتبات والمعلومات المصرية في التنمية المستدامة: دراسة للواقع وتطلعات المستقبل*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته (إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

قدورة، وحيد (26-27 أبريل، 2017). *النفاذ إلى المعلومات والتنمية المستدامة في تونس*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته (إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

المدني، آمنة والشاطر، آلفة (26-27 أبريل، 2017). *أخصائي المعلومات ومكتبة المستقبل من أجل تنمية مستدامة*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته(إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

المسند، صالح محمد (26-27 أبريل، 2017). *الفهرس العربي الموحد والمكتبة الرقمية العربية الموحدة أدوات معرفية للتنمية المستدامة في العالم العربي*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد

الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته (إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

Akomolafe, A. M. (2012). The role of library education in national development. *Journal of research in education and society, 3*(2),52-56. Retrieved from https://goo.gl/S37E2u

Ifijeh, G., James, J. L., & Adebayo, O. (2016). *Digital inclusion and sustainable development in Nigeria: The role of libraries*. Paper presented at 3rd international conference on african development issues (CU- ICADI), Ota, Nigeria. Retrieved from https://goo.gl/uAewJQ

International Federation of Library Associations and Institutions. (2014). *Lyon declaration on access to information and development*. Retrieved from https://goo.gl/HX1G24

International Federation of Library Associations and Institutions. (2015). *Libraries and implementation of the UN 2030 agenda*. Retrieved from https://goo.gl/HX8V8X

Mazlina, P., Maryam, A. N., Rina, A. U., Eliana, K. I., & Aya, A. U. N. (2014, December 15-16). *A conceptual framework on preservation management: modeling the sustainable development for preserving archival heritage*. paper presented in global conference on business and social Sscience, Kuala Lumpur, Malaysia. Retrieved from https://goo.gl/b53wTq

Omotosho, A. M., & Okiki, O. C. (2012). Challenges of public libraries patrons in the use of information services for attainment of healthmillennium development. *library philosophy and practice* (e- journal). Paper 758. Retrieved from https://goo.gl/nbW3up

Onoyeyan, G., & Adesina, O. I. (2014). A literature review of the role of libraries in the provision of information towards the attainment of the united nations millennium development goals (MDGs) in Nigeria. *library philosophy and practice* (e- journal). Paper 1069. Retrieve from https://goo.gl/C98ryH

Sow, P. G., & Vinekar, V. (2012). Effect of public libraries in attainment of health millennium development goals in Sengal. *International journal of public health science, 1*(1), 11-18. Retrieved from https://goo.gl/o1nd3T

Ukachi, N. B. (2012). Knowledge societies and sustainable development: the roles of libraries. *modonna journal of research in library and information science, 2*(1). Retrieved from https://goo.gl/55Hm3P

Acknowledgment

بيانات الدراسة هي جزء من رسالة الماجستير المعنونة بـ " دور مؤسسات المعلومات في سلطنةعمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030"

عبد الهادي، دينا محمد فتحي (26-27 أبريل، 2017). *دور مؤسسات المكتبات والمعلومات المصرية في التنمية المستدامة: دراسة للواقع وتطلعات المستقبل*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته (إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

قدورة، وحيد (26-27 أبريل، 2017). *النفاذ إلى المعلومات والتنمية المستدامة في تونس*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته (إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

المدني، آمنة والشاطر، آلفة (26-27 أبريل، 2017). *أخصائي المعلومات ومكتبة المستقبل من أجل تنمية مستدامة*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته(إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

المسند، صالح محمد (26-27 أبريل، 2017). *الفهرس العربي الموحد والمكتبة الرقمية العربية الموحدة أدوات معرفية للتنمية المستدامة في العالم العربي*. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الإقليمي الثالث للاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات ومؤسساته (إفلا) في المنطقة العربية بالتعاون مع الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات والمعهد العالي للتوثيق، تونس. استرجع من goo.gl/gPKqsu

Akomolafe, A. M. (2012). The role of library education in national development. *Journal of research in education and society, 3*(2),52-56. Retrieved from https://goo.gl/S37E2u

Ifijeh, G., James, J. L., & Adebayo, O. (2016). *Digital inclusion and sustainable development in Nigeria: The role of libraries*. Paper presented at 3rd international conference on african development issues (CU- ICADI), Ota, Nigeria. Retrieved from https://goo.gl/uAewJQ

International Federation of Library Associations and Institutions. (2014). *Lyon declaration on access to information and development*. Retrieved from https://goo.gl/HX1G24

International Federation of Library Associations and Institutions. (2015). *Libraries and implementation of the UN 2030 agenda*. Retrieved from https://goo.gl/HX8V8X

Mazlina, P., Maryam, A. N., Rina, A. U., Eliana, K. I., & Aya, A. U. N. (2014, December 15-16). *A conceptual framework on preservation management: modeling the sustainable development for preserving archival heritage*. paper presented in global conference on business and social Sscience, Kuala Lumpur, Malaysia. Retrieved from https://goo.gl/b53wTq

Omotosho, A. M., & Okiki, O. C. (2012). Challenges of public libraries patrons in the use of information services for attainment of healthmillennium development. *library philosophy and practice* (e- journal). Paper 758. Retrieved from https://goo.gl/nbW3up

Onoyeyan, G., & Adesina, O. I. (2014). A literature review of the role of libraries in the provision of information towards the attainment of the united nations millennium development goals (MDGs) in Nigeria. *library philosophy and practice* (e- journal). Paper 1069. Retrieve from https://goo.gl/C98ryH

Sow, P. G., & Vinekar, V. (2012). Effect of public libraries in attainment of health millennium development goals in Sengal. *International journal of public health science, 1*(1), 11-18. Retrieved from https://goo.gl/o1nd3T

Ukachi, N. B. (2012). Knowledge societies and sustainable development: the roles of libraries. *modonna journal of research in library and information science, 2*(1). Retrieved from https://goo.gl/55Hm3P

Acknowledgment

بيانات الدراسة هي جزء من رسالة الماجستير المعنونة بـ " دور مؤسسات المعلومات في سلطنةعمان في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030"

مساهمة الإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية المستدامة

د. مريم الواهم مصابح
أستاذ مساعد
جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة (الجزائر)
meriemsk73@gmail.com

د. خديجة بو شربط
أستاذ مساعد
جامعة باجي مختار عنابة (الجزائر)
k.boucharbat@yahoo.fr

المقدمة:

تعالت الأصوات في العقد الأخير من القرن الماضي و مطلع القرن الجديد حول عيوب النمط التقليدي للتنمية، و الذي كان يهدف أساسا لتحقيق أرقام ضخمة للنمو العالمي خاصة ما تعلق بالجانب الاقتصادي من أجل تحقيق الرفاه المادي للبشر على اعتبار أن كل جهود التنمية تصب لخدمة العنصر البشري، لكن على حساب البيئة الطبيعية من جهة –و ما طالها من تعد صارخ و ما رافقها من تدهور في المحيط جراء التلوث بمختلف مظاهره–، و من جهة أخرى فقد تم التعدي على حقوق الأجيال القادمة في العيش في بيئة سليمة و نقية و حقها من الموارد الطبيعية القابلة للنفاذ التي يتم استنزافها بشكل فظيع.

ومن هذه المنطلقات بدأت النداءات تتعالى من أجل تبني فلسفة جديدة للتنمية تسلك نهجا مغايرا للنهج الوحشي للتنمية التقليدية، نهج عقلاني و مسؤول يلبي حاجات الأجيال الحالية و لا يساوم على قدرات الأجيال القادمة في تحقيق حاجياتها المختلفة، هذا النهج الجديد الذي اصطلح على تسميته بالتنمية المستدامة، التي شملت بفكرها التقدمي المختلف جميع المجالات من اقتصاد و بيئة و ثقافة ومجتمع. وعليه فقد غدت التنمية السياحية المستدامة –على اعتبارها أحد أهم مؤشرات التنمية المستدامة–أسلوبا و فكرا تبنته كبريات المؤسسات السياحية العالمية، و التي تقوم على ثلاثة مبادئ أساسية يفترض أن تكاليفها المادية أقل في مقابل عوائدها المعنوية الجليلة: و هي البعد الاقتصادي و الاجتماعي و البيئي. لذا فقد تم رسم السياسات و تخطيط جهود مختلف فواعل المجتمع في سبيل تطوير جهود التنمية السياحية المستدامة: بدء بالمستثمر، مرورا بالمجتمع المحلي الذي انخرط في العملية مرورا بدور وسائل الإعلام باعتبارها شريكا فعالا في رسم و تطوير السياسات السياحية المستدامة.

وعليه فإن الإعلام السياحي يقوم بأدوار كبيرة في سبيل تحقيق التنمية السياحية المستدامة، سواء على النطاق المحلي أو العالمي، و ذلك لقوة تأثير الإعلام فيما يخص الإخبار و التفسير و الإقناع

والتوجيه و التوعية و التسلية في إطار السياسات الإعلامية السياحية.

وبناء على ما تقدم جاءت هذه الورقة البحثية لكي تجيب على التساؤل الموالي:

ما هي مساهمة الإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية المستدامة؟

وللإجابة على هذا التساؤل تم تقسيم هذه الورقة إلى ثلاثة محاور تتعلق ب:

المحور الأول: الإعلام السياحي.

المحور الثاني: التنمية السياحية المستدامة.

المحور الثالث: دور الإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية المستدامة.

أولا / الإعلام السـياحي

1/ الإعلام السياحي: مفهومه و أهميته:

هو أحد أشكال الإعلام المتخصص ويمكننا **تعريفه**: بأنه كافة أوجه النشاط الاتصالية المخططة والمستمرة التي يمارسها إعلاميون متخصصون بهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور المتعلقة بالسياحة بطريقة موضوعية ودون تحريف عن طريق وسائل وأشكال الاتصال المختلفة وبكافة الأساليب الفنية للإقناع والتأثير من أجل تنمية الوعي السياحي لدى الجمهور من ناحية ، ومن أجل اجتذاب اكبر عدد من الأفراد للإقامة بعيدا عن موطن إقامتهم سواء داخل البلاد أو خارجها من ناحية أخرى. (حجاب.1998.ص 63)

الإعلام السياحي هو كافة الجهود الإعلامية الموضوعية وغير الشخصية والمبذولة من الجهات الرسمية أو غير الرسمية لتحسين صورة السياحة الداعية إلى إعداد ونقل رسالة أو مجموعة من الرسائل بهدف خلق وعي سياحي أو تنمية الصورة السياحية لدولة ما أو منطقة ما لدى أسواق وجماهير معينة باستخدام الوسائل الإعلامية بغرض جذب اهتمام السائحين المرتقبين في تلك الأسواق سواء داخل البلاد أو خارجها و دفعهم إلى ممارسة النشاط السياحي .(البكري.2001.ص88)

من خلال التعريفين السابقين يمكننا إيجاز مفهوم الإعلام السياحي فيما يلي:

*الإعلام السياحي شكل من أشكال الإعلام المتخصص.

*الإعلام السياحي نشاط إعلامي مخطط و مدروس من قبل هيئات و مؤسسات رسمية و غير رسمية.

*يخاطب الإعلام السياحي الجماهير سواء داخل الدولة أو خارجها.

*خلق و تنمية الوعي السياحي من بين أبرز و أهم وظائف الإعلام السياحي.

*عرض المنتج السياحي عرضا مشوقا و موضوعيا لاستقطاب السائحين.

الإعلام السياحي هو الدليل المادي للصناعة السياحية من خلال وظيفته الأساسية و جوهرها هو التعريف بما يحتويه البلد من معالم سياحية سواء أكانت طبيعية أم أثرية تاريخية أم فندقية أو أي مجال من مجالات الجذب السياحي، و ذلك باستخدام كافة الوسائل الإعلامية و الاتصالية المتطورة من أفلام وإعلانات قادرة على جذب السياح الأجانب و مواطني البلد، و بالتالي فالإعلام السياحي صفة ملازمة للصناعة السياحية. (خطاب.2004. ص 48)

ربط هذا التعريف الإعلام السياحي بالصناعة السياحة و اعتبره ملازما لها من خلال ما يقوم به من الترويج لمختلف عناصر الجذب السياحي التي تدعم صناعة السياحة. و هذا التعريف يعد أشمل من سابقيه بحيث أن صاحبه أضاف وسائل الاتصال بصفة عامة في حين أن التعريفين السابقين ركزا على وسائل الإعلام فقط.

ويمكننا أن نوجز **أهمية** الإعلام السياحي فيما يلي:

للإعلام السياحي أهميته التي يستمدها من كونه نشاطا مهنيا يعكس القيمة الحقيقية للمنتج السياحي

تظهر أهميته في ضوء التفاعل المستمر بين العديد من العناصر أهمها: العرض السياحي، الطلب السياحي والسفر، و قد قسم مصطفى يوسف كافي أهمية الإعلام السياحي كما يلي: (كافي.20015.ص90)

*الأهمية المهنية الاتصالية: باستناده على رؤية واضحة و إطار ناظم و خبرة مهنية و وسائل فعالة يمكن للإعلام السياحي القيام بدور بارز في تناول المعلومات التي تعكس صورة تتمتع بالجاذبية للمنتج السياحي، حيث يكون محفزا قويا للجمهور في الداخل و الخارج للإقبال على المنتج السياحي.

***الأهمية الاقتصادية**: يعتبر الإعلام السياحي أحد الوسائل الاتصالية الفعالة في التعريف بفرص الاستثمار المتاحة في قطاع السياحة و بث روح التنافس بين المستثمرين، كما يعتبر أحد المجالات التي تولد فرص عمل للكوادر الإعلامية، كما أن لديه القدرة على حفز الجمهور للإقبال على السياحة و هو ما يعزز من حجم الطلب السياحي داخليا و خارجيا.

***الأهمية الثقافية و الاجتماعية**: يؤدي دورا مهما في تعزيز الوعي بأهمية السياحة و في نشر ثقافة سياحية، كما يساهم في التعريف بالثقافات الإنسانية المختلفة التي تحملها حركة السياحة الدولية.

ومن المجالات التي يكتسي الإعلام السياحي أهمية بالغة فيها نجد أيضا :(باي.20019.ص.ص 57.58)

***الأهمية البيئية**: يعتبر الإعلام السياحي متغيرا أساسيا لدعم التوجه الإيجابي للتعامل مع البيئة من خلال عمليات الترويج للسلوكيات الإيجابية التوعوية التي يتم نشرها كمحاولة لإرساء ثقافة سياحية لدى الجمهور من خلال إرشادهم إلى كيفية التعامل مع عناصر البيئة سعيا للحفاظ عليها و منع تدهورها، إضافة إلى التعريف بمقومات السياحة البيئية و تنمية الوعي العام للتقليل من الآثار السلبية.

***الأهمية السياسية:** يعد الإعلام السياحي من أهم المتغيرات التي لها أثر واضح في تحقيق أهداف السياحة على الصعيد السياسي من حيث : تطوير العلاقات السياسية بين الدول و إبراز الوجه الحضاري للمنطقة و التركيز على الجانب الأمني المستقر و مواجهة الشائعات و الصور الذهنية المسبقة للسائح الأجنبي عن الأوضاع الأمنية للبلد.

2/ وظائف و أهداف الإعلام السياحي:

1/2 الوظائف:

1/الإخبار والإعلام : ونعني في مجال الإعلام السياحي تنمية وتزويد الجمهور بالأخبار الداخلية والخارجية والأنشطة المختلفة التي تنمي معرفة المواطنين ، وتساعد على تنمية الوعي السياحي لديهم مما يجعلهم يتعرفون على قيمة ما يحيط بهم ويعملون على تقديمه في أفضل صورة تجذب السياح من مختلف جهات العالم ،وتحثهم على المعاملة الطيبة للسائح.

2/التفسير: ويعني تزويد الجمهور سواء الداخلي أو الخارجي بخلفيات وتفاصيل الأحداث والقضايا والمشكلات السياحية الراهنة ، وشرح جداول التنمية السياحية وعلى أن تقدم هذه المعلومات بطريقة مبسطة وخالية من التفاصيل العلمية وبلغة سهلة ميسرة وبطريقة توقظ الجمهور وتثير انتباهه وتهيئ ذهنه للمشاركة في مناقشتها . (حجاب.1998.ص.ص 84.85)

3/التنشئة: بمعنى نقل تراث الأمة و حضارتها إلى الأجيال المتعاقبة مع التأكيد على الحسن و المفيد و حجب الضار منه و التعبير عن الثقافة السائدة و الاعتراف بالثقافات الفرعية و المحافظة على القيم الإيجابية السائدة فيها.

4/الترفيه و الترويح: بتقديم المواد الخاصة و المتنوعة التي تدفع الملل و تساعد على استعادة النشاط و تعمل على تقليل التوتر. (آل دغيم.2014.ص 60)

5/ خدمة السياسة القومية السياحية: وذلك بفتح صفحات الجرائد وقنوات التلفزيون وغيرها لعرض القضايا والمشكلات والسياسات السياحية ومناقشتها وتشجيع مشاركته المواطنين، فضلا عن تغطية الشؤون السياحية الدولية يشكل موضوعي يساهم في تنمية الوعي السياحي للجمهور.

6/ التسويق الإعلامي: الإعلام بوسائل المختلفة يعد أهم الوسائل التي تلجا إليها المؤسسات والشركات والهيئات السياحية للإعلان عن البرامج والسياسات السياحية والإعلانات تتناول البرامج الخارجية والبرامج السياحية الداخلية وهذا الإعلام الاقتصادي السياحي إلى جانب أهميته لتغطية الموضوعات السياحية في إطار الخطة العامة ، فهو يفيد الجمهور بتوفير لهذه المعلومات الضرورية كما انه يشكل مصدر أساسيا وسائل الإعلام . (حجاب.2018.ص.ص86.87)

وأيا كانت الوظيفة أو الدور الذي يقوم الإعلام السياحي فهو يصب في خدمة أهداف السياحة كنشاط يعود بالفائدة على الدولة من خلال ما تجنبه من عائدات مالية كان للإعلام مساهمة وافرة في ذلك ، دائما من خلال التوعية وتسليط الأضواء على ماهية وأهمية السياحة.

2/2 الأهداف:

في إطار الوظائف السابقة يحقق الإعلام السياحي أهدافه سواء الداخلية أو الخارجية على النحو الآتي:

*أهداف عامة: إبراز صورة الدولة السياحية و إبراز أهميتها السياحية على المستوى العالمي، نشر الوعي السياحي و التأكيد على المناطق السياحية و الأثرية و المحافظة عليها، زيادة أعداد السائحين عن طريق وسائل الجذب المختلفة و فتح أسواق جديدة.(عيساوة.2019.ص 12)

وقسم محمد منير حجاب أهداف الإعلام السياحي إلى أهداف داخلية و أهداف خارجية:

فمن الأهداف الداخلية:

-إبراز الآثار الاقتصادية للسياحة: كون السياحة مصدر من مصادر الدخل القومي و ما توفره من فرص للاستثمار و القضاء على البطالة.

-إبراز الآثار الاجتماعية: من خلال الاحتكاك بثقافات و حضارات أخرى، المساهمة في نمو الفنون والصناعات المرتبطة بالسياحة، و هي أيضا أداة لتعميق الانتماء للوطن.

-مقاومة الشائعات والقضاء عليها :في مجال الإعلام السياحي يصبح من الأهداف الأساسية مقاومة الشائعات لانعكاساتها على إقبال السائحين ، ومن ذلك الشائعات التي تروج حول افتقاد الأمن وانتشار الإرهاب أو سوء الخدمات.(حجاب.1998.ص.ص.ص 87.88.89)

أما الأهداف الخارجية:

-الإعلام والإخبار بعناصر الجذب والمقومات السياحية و المغريات الطبيعية و الصناعية.

-مناقشة الواقع السياسي للبلد، وما تتميز به من استقرار وثبات سياحي، ذلك لان الاستقرار السياسي احد أهم عناصر الجذب السياحي. (حجاب.1998.ص.ص.ص 90.91.92)

و مهما تعددت أهداف الإعلام السياحي يمكننا أن نحصرها أساسا خلق الوعي الجماهيري بأهمية السياحة كنشاط يدر العملة الصعبة ويساهم في القضاء على البطالة ، ويوقظ الوعي بأهمية المشاركة في التنمية بدعم هذا القطاع، من أجل استقطاب السياح المحليين أو الأجانب خلال تشريح الواقع السياسي للبلاد وإبراز المعالم والآثار السياحية المختلفة ، وتكييف الخطاب الإعلامي وخصائص وصفات كل سائح، و إبراز التنوع الثقافي و الحضاري باعتباره من أهم المقومات السياحية.

3/ مبادئ الإعلام السياحي:

يستند الإعلام السياحي إلى المبادئ الآتية: (كافي،2015،ص.ص 95.96)

-التقيد بالأطر القانونية الناظمة لأنشطة القطاع السياحي و صناعة السياحة.

-الاحترام الكامل للعادات و التقاليد.

-اليقين بإمكانية القطاع السياحي في دعم اقتصاد البلاد.

-الإيمان بأن التكامل و الشراكة بين الإعلام السياحي و مختلف الجهات المعنية تعبير عن المسؤولية الوطنية لهذه الأطراف اتجاه السياحة.

-اليقين بأن المجال السياحي يعتبر فضاء للفرص الاستثمارية ذات المردود الربحي للبلاد.

4/ خصائص الإعلام السياحي :

*الجاذبية مع البساطة: أي أن تتمكن الرسائل الإعلامية من جذب اهتمام السياح و أن تتسم بالبساطة في عرضها و في عرض معلوماتها حتى يسهل استيعابها.

*المصداقية مع الوضوح: أي أن تقدم وسائل الإعلام أرقاما و معلومات صادقة و واضحة يتأكد منها السياح عند قيامهم برحلات سياحية.

*التغطية مع الاقتصاد:الرسائل الإعلامية عن السياحة ينبغي أن تغطي أكثر من سياحي و أن تبرز الإمكانات السياحية و الخدمات التي تقدم للسياح و عدم المغالاة في تكلفتها.

*التحفيز مع التركيز:من مميزات الرسائل الإعلامية السياحية المتميزة أن تستثير رغبات السياح من التركيز على المميزات التي تنفرد بها الدولة المضيفة.

*التذكير مع التأثير:تنجح الرسائل الإعلامية السياحية إذا ذكرت السياح المحتملين بالمميزات السياحية لدى دولة ما بحيث تؤثر في اتخاذ قراراتهم.

5/ واقع الإعلام السياحي:

يعاني الإعلام السياحي من غياب الروية بشأن الصورة التي ينبغي أن يكون عليها و لكي يكون أكثر استيعابا لأولويات قطاع السياحة، فإن هذا النوع من الإعلام المتخصص بحاجة إلى أن يمتلك رؤية واضحة و أن يمتلك القدرة على تقييم الأثر الذي يحدثه من خلال ممارسته و إمكاناته الحالية. (الكافي،2015،ص 91)

مع الإشارة إلى المستوى الإيجابي المتحقق من تفعيل الإعلام السياحي و تأصيل مرجعيته المهنية على الأقل متمثلا في تنشيط التواصل بين وزارة السياحة و وسائل الإعلام ، و تنشيط الإطار المهني الإبداعي للمشتغلين في مجال الإعلام السياحي، فضلا عن المؤشرات الإيجابية إمكانية توسيع مستوى تغطية الإعلام السياحي من خلال إطلاق قنوات تعنى بالسياحة إلى جانب اهتمامها بالتعليم و الشباب والرياضة و إصدار ملحقين سياحيين عن الصحافة اليومية.(وزارة السياحة اليمنية.د ت. ص6)

وعلى الرغم مما يتوفر عليه الإعلام السياحي من أهمية خاصة تستدعي قيام ممارسته وفق رؤى و استراتيجيات توجه ممارساته بغية تحقيق أهدافه المهنية، إلا أن العمل في مجال الإعلام السياحي يتسم بعدة إشكاليات منها: افتقاره للرؤى و الإستراتيجيات المؤسسية التي تحدد منطلقاته و أهدافه و أساليب ممارسته المهنية المتخصصة، و يعود ذلك لحداثة هذا المجال النوعي من الإعلام في المجتمع الأمر الذي أسهم في غياب السياسات الشاملة للعمل في هذا الجانب، بحيث لا تنحصر فقط في أبعاد محددة من النشاط السياحي ، و إنما تأخذ بالحسبان الطبيعة الخاصة بالسياحة من حيث أهمية مختلف جوانب هذه الصناعة : اقتصاديا، اجتماعيا و ثقافيا.

أسهم غياب الرؤى و الإستراتيجيات الوطنية الشاملة إلى اعتماد أغلب الممارسات الإعلامية التي تتم في المناطق على الرؤى و المنطلقات الذاتية و التي تحقق غايات تسويقية موسمية قصيرة المدى،إضافة إلى ذلك فإن الإعلام السياحي يفتقد لوجود مرجعية إدارية مركزية تعنى بالتخطيط له و تقوم بتنظيم شؤونه

وتنفيذ مهامه ما أدى إلى : تعدد جهات الإشراف و الرقابة، سيادة العشوائية و التداخل. (الهيئة العامة للسياحة و الآثار السعودية.د ت . ص 10)

أما على المستوى المهني فإن معظم وسائل الإعلام تفتقر إلى كوادر متخصصة في مجال الإعلام السياحي بسبب المكانة الهامشية التي يعاني منها، ما نتج عنه ركاكة و ضعف مضمون الرسالة التي يقدمها وتأثيرها على الجمهور المستهدف، بسبب ما تعانيه السائل من ضعف في المعلومات الدقيقة والصحيحة والمهارة في الصياغة والاستخدام الملائم للمفاهيم والمفردات.(كافي.2015.ص.ص 92.93)

ثانيا/ التنمية السياحية المستدامة:

1/ مفهوم التنمية السياحية:

أصبحت التنمية الشاملة الشغل الشاغل لمعظم دول العالم، و حتى يتحقق هذا الهدف فإن الأمر يتطلب تعبئة و تجنيدا لكل الموارد المتاحة المادية منها و البشرية ضمن سياسات و إستراتيجيات كلية قطاعية. و على هذا الأساس يشكل قطاع السياحة أحد أهم القطاعات المعول عليها للمساهمة في رفع النمو الاقتصادي و من ثم تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية. (يوسفي.2013.ص 224)

يعبر مصطلح التنمية السياحية عن مختلف البرامج التي تهدف إلى تحقيق الزيادة المستمرة المتوازنة في الموارد السياحية و تعميق و ترشيد الإنتاجية في القطاع السياحي. و هي عملية متشعبة تضم عدة عناصر متصلة ببعضها و متداخلة تقوم على محاولة عملية و تطبيقية للوصول إلى الاستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج السياحي الأولية في إطار طبيعي و حضاري. و تتمثل التنمية السياحية في أنها عملية تكامل طبيعي وظيفي بين عدد من العناصر الطبيعية الموجودة في المنطقة و المرافق العامة التي يتحتم وجودها كأساس لإقامة الاستثمارات السياحية و مقابلة احتياجات السائحين. (ملوخية.2007.ص.ص 44.45)

وتمر عملية التنمية السياحية بعدة مراحل متصلة يبعضها وتتشابه إلى حدا كبير بالمراحل التي يمر بها المنتج السياحي أو ما يطلق عليها دورة حياة المنتج السياحي، فأي منتج سياحي يمر بعدة مراحل وتكون هذه المراحل دورة حياة لهذا المنتج ، وتتلخص هذه المراحل في: الانطلاق، النمو، النضج،التجمد والانحدار أو التجديد. وبصفة عامة تبدأ عملية التنمية السياحية لأي منطقة باكتشاف مجموعة من السائحين لهذه المنطقة، ويؤدي استمرار توافدهم عليها إلى العمل على توفير الخدمات والتسهيلات اللازمة لإشباع رغباتهم وإعاشتهم من قبل المنطقة، ومع تزايد تدفقهم على هذه المنطقة وتزايد التعرف عليها من قبل سائحين تأخذ هذه الخدمات والتسهيلات شكلا أخر أكثر تنظيما و تصبح هناك مؤسسات كبيرة وأنشطة قائمة بصفة أساسية على خدمة النشاط السياحي في المنطقة.

(الجمعية المصرية لخبراء السياحة العلميين.1998. ص.ص.253. 254)

2/ التنمية السياحية المستدامة:

1/2 مفهومها:

تعرف بأنها تنمية يبدأ تنفيذها بعد دراسة علمية كاملة في إطار التخطيط المتكامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية و البيئية داخل الدولة ككل، أو داخل أي إقليم تتجمع فيه مقومات التنمية السياحية من عناصر جذب طبيعية و حضارية.

وعرف الإتحاد الأوروبي للبيئة و المنتزهات القومية سنة 1993 التنمية السياحية المستدامة على أنها:

نشاط يحافظ على البيئة و يحقق التكامل الاقتصادي و الاجتماعي و يرتقي بالبيئة المعمارية.

في حين عرفتها منظمة السياحة العالمية بأنها: تلك التنمية التي تعمل على سد احتياجات السياح والمواقع المضيفة،إلى جانب حماية حقوق الأجيال القادمة في التمتع بهذه المواقع في المستقبل.

(ياسية و لحواسنية. 2017.ص.ص 191.206)

وقبل الخوض في الحديث عن التنمية السياحية المستدامة، ارتأينا إجراء هذه المقارنة بين التنمية السياحية التقليدية و التنمية السياحية المستدامة على النحو الآتي.

و الجدول الموالي يلخص جوهر الفروقات بينهما.

2/2 الفرق بين التنمية السياحية و التنمية السياحية المستدامة:

التنمية السياحية التقليدية	التنمية السياحية المستدامة
مفاهيم عامة	
تنمية سريعة	تنمية تتم على مراحل
ليس لها حدود	لها حدود و طاقة استيعابية محددة
قصيرة الأجل	طويلة الأجل
سياحة الكم	سياحة الكيف
إدارة عمليات التنمية من الخارج	إدارة عمليات التنمية عن طريق السكان المحليين
إستراتيجيات التنمية	
تنمية من دون تخطيط	التخطيط أولا ثم التنمية بعد ذلك
تخطيط جزئي لقطاعات منفصلة	تخطيط شامل و متكامل
التركيز على إنشاء وحدات لقضاء الإجازات	مراعاة الشروط البيئية في البناء و تخطيط الأرض
مباني حضرية تقليدية	أنماط معمارية محلية
برامج خطط لمشروعات	برامج خطط مبنية على مفهوم الاستدامة
مواصفات السائح	
مجموعة و أعداد كثيفة من السياح	حركة أفراد و مجموعات صغيرة
فترات الإقامة قصيرة	فترات إقامة طويلة
ضوضاء و أصوات مزعجة	رزانة و هدوء في الأداء
في الغالب زيارة واحدة للمكان	احتمال تكرار الزيارة مرة أخرى للمكان
مستويات ثقافية مختلفة	مستوى عالي من الثقافة و التعليم

المصدر: (هماش و آخرون،2006 ص.ص 106.113)

يشير الجدول أعلاه إلى المقارنة بين نمطي التنمية السياحية و هما التنمية السياحية التقليدية و التنمية السياحية المستدامة، حيث يمكننا بسهولة استخلاص أوجه الاختلاف بين النمطين، و إن كانت أوجه الاتفاق أو التشابه تكمن في الهدف الأساس من التنمية بشقيهما و هو النهوض بالقطاع السياحي باعتباره أحد أهم روافد الاقتصاد في كل بلد، لما تذره السياحة كعملية اجتماعية و ثقافية من إيرادات

مالية ضخمة سنويا، نتيجة استفادة جموع السياح من الخدمات و المنتجات السياحية المختلفة التي توفرها مناطق الجذب السياحي سواء منها الطبيعية أو البشرية.

لكن جوهر الفرق بين نمطي التنمية السياحية يكمن في الطرق و الأساليب التي تحقق جملة الأهداف التي من أجلها أقيمت عمليات التنمية السياحية.

تقوم التنمية السياحية التقليدية على مختلف البرامج التي تهدف إلى تحقيق الزيادة المستمرة و المتوازنة في الموارد السياحية، تقوم على عدة عناصر متصلة ببعضها و متداخلة تقوم على محاولة عملية و تطبيقية سريعة من أجل الاستغلال الأمثل لعناصر الإنتاج السياحي في إطار طبيعي و حضاري، تهدف بالأساس لاستقبال حشود كبيرة من السياح للاستفادة القصوى من إنفاقهم على مختلف المنتجات

والخدمات المتوفرة، و على النقيض من ذلك تقوم التنمية السياحية المستدامة على تسطير و تخطيط لمجمل مراحلها دون تسرع و لا تهور على المدى الطويل من أجل استقطاب عدد محدود من السياح حفاظا على جمالية و سلامة المواقع السياحية من جهة، و تقديم خدمات سياحية لائقة ن جهة أخرى يشرك في تصميم مراحلها السكان المحليون للمنطقة السياحية بما يحملونه من زخم ثقافي و تراثي يسوقونه للضيوف.

ومن خصائص التنمية السياحية المستدامة و التي تنعدم أو تقل في التنمية السياحية التقليدية ايلاء الاهتمام البالغ للمحافظة على البيئة و ضمان السلامة الايكولوجية للمواقع السياحية و الآثار المختلفة، وهو ما يتجلى في مصطلح السياحة البيئية أو السياحة الخضراء أو السياحة المسؤولة وهي التي يتحمل فيها السائح مسؤولية السلامة البيئية للمزار السياحي، و الذي تكفلت به السلطات و المواطنون بتنظيفه مع مراعاة الأنماط المعمارية المحلية التي تعتبر جزء مهما من المجتمع المحلي الذي يحتضن المزار أو المعلم السياحي، كل هذا يسبقه عمليات تخطيط دقيق و شامل و متكامل للوصول إلى النتائج المرغوبة على عكس ممارسات التنمية السياحية التقليدية.

ولأن ممارسات التنمية السياحية التقليدية أنهكت البيئة الطبيعية و البشرية و ما ينتج من الأعداد الهائلة من السياح الذين يتفاوتون في مستوياتهم الثقافية و التعليمية، فإن التلوث البيئي من تراكم للأوساخ و الفضلات و التلوث السمعي جراء الفوضى و الضوضاء و ما يخلفانه من إزعاج،جرى تبني النمط الحديث من التنمية السياحية المستدام الذي يناهض كل الممارسات السلبية للسائح التقليدي، الذي صار يحمل صفة السائح المسؤول عن نظافة المواقع و المزارات السياحية، في شكل أفواج قليلة العدد و التي تتمكن من الاستمتاع بالموقع بكل رزانة و هدوء لأطول فترة ممكنة مع إمكانية تكرار عملية الزيارة.

3/ أسباب الاهتمام بمبدأ استدامة السياحة:

ليس خفيا أن إدخال مبدأ الاستدامة في تنمية السياحة ناجم عن عدة أسباب أجبرت الحكومات والمنظمات و البلدان المضيفة على تبني مبدأ الاستدامة في تنمية السياحة و هذا راجع لعدة أسباب:

*نتيجة للتوسع السريع في قطاع السياحة تواجه الوجهات السياحية التقليدية و الناشئة مزيدا من الضغط على بيئتها الطبيعية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية، و ثمة إقرار بأن نمو السياحة الجامح الهادف إلى تحقيق فوائد قصيرة الأمد كثيرا ما يفضي إلى حدوث آثار سلبية تضر بالبيئة و المجتمعات و تدمر الأساس الذي تقوم عليه السياحة و تزدهر.

*حتى وقت التسعينات كانت بعض الحكومات و المنظمات الدولية قد عالجت بعض الآثار السلبية للسياحة بما في ذلك الظروف غير المستقرة للعمالة، و استغلال الأطفال وتدهور التقاليد و القيم الثقافية

والأضرار البيئية في المواقع السياحية و الأماكن الطبيعية، و قد حدثت هذه الآثار السلبية بفعل الإفراط في استهلاك الموارد و التلوث و النفايات التي تنجم عن تطوير البنية التحتية و المرافق السياحية و النقل و الأنشطة السياحية ذاتها. كما تم الإقرار بأن السياحة لها من القدرات ما يجعلها تعود بالفوائد الاقتصادية على المجتمعات المضيفة، و تتخذ كوسيلة للتخفيف من حدة الفقر و الحفاظ على الثروات الطبيعية والثقافية وغيرها من المنافع.

*كان مبدأ السياحة المستدامة قد اقترح أوائل عام 1988 من طرف المنظمة العالمية للسياحة، حيث كان من المتوقع من هذه السياحة المستدامة أن تؤدي إلى إدارة الموارد بطريقة تتيح تلبية الاحتياجات الاقتصادية و الاجتماعية و الجمالية مع الحفاظ في الوقت ذاته على سلامة الثقافية و العماليات الإيكولوجية الأساسية و التنوع البيئي.

*وعي المجتمعات المضيفة تدريجيا بمشاكل السياحة غير المستدامة، كما أصبحت شواغل الاستدامة تحظى بتزايد في السياسات و الإستراتيجيات و الخطط الوطنية و الإقليمية و المحلية في مجال السياحة.

4/ مبادئ التنمية السياحية المستدامة:

هناك أربع مبادئ رئيسية تبنى عليها التنمية السياحية المستدامة هي:(هماش ساعد و آخرون.2006)

***/تبني سلوك التخطيط و رسم الإستراتيجيات الشمولية:** و المقصود بهذا المبدأ الاعتماد على التخطيط كمنطلق أساسي لتنمية المناطق السياحية المستدامة، و بالتالي فالتخطيط هنا يكون أولا كقاعدة للتنمية وليس العكس. و أثناء عملية التخطيط يجب إدماج مختلف الاعتبارات البيئية و الثقافية

و الاجتماعية ومراعاتها بشكل كبير و إعطاءها الأولوية للحفاظ عليها ثم رسم الإستراتيجيات التي من خلالها نحقق أهداف التخطيط سواء على المدى البعيد أو القريب عبر مراحل متتابعة. و هنا يجب التنسيق بين عملية التخطيط و تنفيذ الإستراتيجيات و عدم إغفال الهدف الأساسي من الاستدامة و هو الحفاظ على الموارد الطبيعية و سلامة ايكولوجية المنطقة.

*/**حماية أساسيات البيئة الايكولوجية (النظام البيئي)**:إن الحفاظ على سلامة البيئة من مياه و أرض وطاقة وهواء مسألة ضرورية من أجل استدامة عملية التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و الحفاظ على الثروات الطبيعية للأجيال القادمة، و حماية أساسيات البيئة الايكولوجية هو من أهم مبادئ التنمية المستدامة، و هو مبدأ جد مهم أيضا في التنمية السياحية المستدامة فالشروع في التنمية المستدامة للمناطق السياحية يفرض علينا عدم الإضرار بالموارد الطبيعية و التشكيلة البيئية و الحيوية و البيولوجية لتلك المناطق، و ذلك بإنشاء المباني الصديقة للبيئة و التعمير الأخضر و محاولة خلق أكبر عدد من المساحات الخضراء و مراكز الترفيه و الحدائق و المساهمة في تحسين الطبيعة و البيئة المريحة و الجاذبية للسياح.

*/**حماية التراث الإنساني و الحفاظ على التنوع البيئي**:الغرض الأساسي من التنمية السياحية المستدامة حماية التراث الإنساني للمناطق المستضيفة و بالتالي حماية عاداتهم و تقاليدهم و ثقافتهم، و فتح المجال لهم للاندماج ضمن الثقافات العالمية و الاحتكاك بها من خلال تعاملاتهم مع السياح، و استغلال تراثهم المتمثل في العادات و التقاليد كمؤشر لجلب أكبر عدد من السياح. و يأتي دور الدولة في هذا المجال من خلال تدعيم و تشجيع النهوض بالحرف و تطويرها و تعريفها للسياح و تنمية القدرات الخاصة بالموارد البشرية للمناطق السياحية.

*/**تبني التنمية التي تسهم في استدامة الموارد لأجيال المستقبل**: إن الهدف الأساسي من التنمية المستدامة هو الحفاظ على حق الأجيال القادمة في كل المجالات و بالتالي فإن التنمية المستدامة تفرض تبني خطط عملية واستراتيجيات تحقق أهدافها حاضرا و مستقبلا، و قد أصبحت الاستدامة بمثابة الملجأ الوحيد لمختلف سياسات و اقتصاديات العالم للحفاظ على خصوصية المجال الحيوي للإنسان و عدم الإضرار بكوكبه الذي أصبح يتهدده الخطر من كل الجهات.

5/ خصائص التنمية السياحية المستدامة:

-السياحة المستدامة تهتم بنوعية الخبرات و طرق تقديمها.

-السياحة المستدامة فيها عدالة اجتماعية بإشراك الشعب بصنعها و معرفة حاجات السكان.

-السياحة المستدامة تستعين بالسكان المحليين في الأعمال و التخطيط لها.

-تعمل ضمن حدود الموارد و الإقلال من التأثيرات السلبية و استخدام الطاقات النظيفة و معالجة النفايات.

-تقدم إمكانيات الاستجمام و فرص المعرفة و الثقافة للأجيال القادمة.

-تسمح للضيف أن يستمتع و يجد ما ينشده إلى جانب حماية المجتمع المضيف للبيئة.

-السياحة المستدامة تتوازن مع الصناعات الأخرى و الأنشطة ضمن إطار الاقتصاد الوطني.

-السياحة المستدامة تتكامل مع الخطط المحلية و الإقليمية و العالمية.(بظاظو. 2010.ص.ص 92.93)

6/ أهداف التنمية السياحية المستدامة:

تبنت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة سنة 2015 "**أجندة 2030 للتنمية السياحية المستدامة**"

و هي تمثل علامة مميزة في طريق الاهتمام بالتنمية السياحية المستدامة، و تقديم المساعدة للدول الأعضاء في هذا المجال الحيوي. وتتضمن هذه الأجندة أهداف التنمية السياحية المستدامة و الإطار العام لهذه الاستراتيجية يتجه نحو القضاء على الفقر المطلق في الدول النامية، و خاصة الأقل نموا

والأكثر فقرا و محاربة التمييز و عدم المساواة ، و تقليل مخاطر التغيرات المناخية و الاحتباس الحراري حتى سنة 2030. و تركز أهداف التنمية السياحية المستدامة على التنمية البشرية في تكاملها مع استراتيجيات التنمية لمختلف الدول، حسب ظروفها الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية، و تساهم بطريقة مباشرة و غير مباشرة في تحقيق هذه الأهداف. (خريوطلي.2004.ص19)

و تتمثل أهداف التنمية السياحية المستدامة فيما يلي: (هماش و آخرون.2006)

***أهداف اقتصادية:** و المتمثلة في تعظيم مساهمة القطاع السياحي المستدام في التنمية الاقتصادية المستدامة و دفع عجلة الاقتصاد الوطني، و جعل السياحة رافدا أساسيا و بديلا لرفع مستوى الدخل الوطني، و تحسين ميزان المدفوعات السياحية، و خلق أسواق جديدة للمنتجات المحلية.

***أهداف اجتماعية و حضرية:** تحقيق النمو الاجتماعي و الحضري للمواطنين و المناطق السياحية

و رفع مستوى وعيهم و ثقافتهم و تقديرهم لتراثهم و انتماءهم لوطنهم و تحقيق العدالة على مستوى الجيل الواحد و الأجيال القادمة للاستفادة من مختلف المداخيل من خلال توفير مناصب شغل و استقطاب يد عاملة ، و بالتالي تحسين الظروف المعيشية و تحقيق نزع من العدالة الاجتماعية.

***أهداف متعلقة بالعمل الحكومي:** و تشمل تحقيق التعاون الكامل بين جميع أنشطة الحكومية المتصلة بالسياحة و دعم الحاجة لتوعية المسؤولين بالسياحة و أهميتها و الطرق العلمية لتنميتها، و إصدار التشريعات اللازمة لتنظيم السياحة ،و رفع مستوى خدماتها مع رفع مستوى الوعي الشعبي للسياحة،

مع تشجيع القطاع الخاص بشتى الحوافز لتوسيع دائرة اهتماماته بالتنمية السياحية المستدامة و توفير الأمن في مختلف المناطق السياحية لضمان سلامة السائحين الأجانب و المحليين.

***الأهداف البيئية:** يجري تبني الأهداف البيئية بمعنى العمل على حماية البيئة كسبيل رئيسي من سبل التنمية المستدامة، و يكون ذلك عن طريق الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية، و تفادي أسباب التلوث و حماية البيئة الطبيعية عن طريق الالتزام بالطاقة الاستيعابية القصوى للمناطق السياحية ، و التي يمكن إيجازها فيما يلي: حماية الأحياء المائية في البحار و المحيطات، توفير الصرف الصحي و الإمداد بالمياه النقية، الاستخدام الواسع لمصادر الطاقة النظيفة، إنشاء مدن و مجتمعات مستدامة، الحد من التغيرات المناخية و المحافظة على الزراعة المستدامة و الغطاء النباتي. (خربوطلي.2004.ص19)

7/ تحقيق الاستدامة للسياحة: (بولحبال و عروسي.2021. ص.ص 205.191)

إن تحقيق الاستدامة للسياحة يتطلب إدارة التأثيرات البيئية و الاقتصادية و الاجتماعية، و يكون ذلك بوضع المؤشرات البيئية الخاصة بالموقع و دعم النوعية و الجودة للمنتج السياحي وفق متطلبات الأسواق الخارجية، و تضمينها في عملية التخطيط و التنفيذ و الإدارة، و بهذا يتم الإقلال من التأثيرات السلبية المحتملة للسياحة. على أن تتم المراقبة المستمرة و المعالجة الفورية للمشاكل التي تنشأ و التأكد من المحافظة على مستويات الاستدامة السياحية.

***إدارة التأثيرات البيئية:** الهدف من دراسة العلاقة بين السياحة و البيئة هو أن تكون السياحة وسيلة للحفاظ على نقاء البيئة و تحسينها، فالموارد السياحية هي مكونات البيئة في المنطقة، و لكن التنمية السياحية التي يتم التخطيط لها قد تشكل أحيانا مجالا لحدوث بعض القضايا البيئية في المنطقة من خلال الاستخدامات العشوائية للأرض، أو نظم تصريف المخلفات أو تصرفات السياح،و تلك التأثيرات السلبية تشمل السكان المحليين و المستوى السياحي، فإذا تم التخطيط السليم و الجيد للسياحة و طبقت قواعد الاستدامة فإن النتائج الايجابية التي يمكن تحقيقها تقضي إلى ما يلي:

- تساعد و تمول الحفاظ على الموارد الطبيعية و على البيئة الصالحة للحياة البرية و البحرية باعتبارها مشوقات مطلوبة من السياح.

- تساعد على نوعية و مستويات البيئة، لأن نظافة و نقاء البيئة و البنية التحتية الجيدة من أهم شروط البيئة السياحية.

- تساعد على الحفاظ على المراكز الأثرية و المواقع التاريخية لأنها مقصد لشرائح مهمة من السياح.

- تنشر الوعي البيئي لدى السكان المحليين عندما يرون حرص السياح على البيئة و اهتمامهم بها و تمسكهم بالسلوك الصحيح اتجاه التعليمات البيئية.

إدارة التأثيرات الثقافية و الاقتصادية و البيئية: التأثيرات السلبية و الإيجابي للسياحة في المجالات الثقافية و الاقتصادية و الاجتماعية متلازمة مع التأثيرات البيئية، و لهذا فإن المحور في أهداف التنمية هو الإقلال من السلبيات وزيادة الإيجابيات، و يكون ذلك المحور حيويا في المجتمعات التقليدية.

ورغم وجود احتمال حدوث بعض السلبيات إلا أن إيجابياتها أوسع، لذا من الضروري أن يتم تحليل وتوضيح التأثيرات السلبية و الإيجابية المحتملة بالنسبة للمنطقة المستهدفة للتنمية بالنسبة للأسواق السياحية الحالية و المستقبلية المخططة.

******* تخطيط و تنمية السياحة المستدامة:**

(بولحبال و عروسي،2021،ص.ص 206.191)

يمكن للتنمية السياحية المستدامة أن تلبي الحاجات الاقتصادية و الاجتماعية و الجمالية في حين تحافظ على التكامل الثقافي و العمليات البيئية، و يمكنها أن تؤمن قوت ضيوف و مضيفي اليوم بينما تحافظ على هذه الفرصة نفسها بالنسبة للأجيال المستقبلية. إلا أن تنمية السياحة المستدامة تتطلب أيضا خيارات سياسية صعبة، تركز على مساومات اجتماعية و اقتصادية و بيئية معقدة، كما تتطلب رؤية تشمل سياقا زمنيا و مكانيا أوسع من السياق التقليدي المستعمل في التخطيط و اتخاذ القرارات.

ويمكن للتخطيط المحلي أن يستعمل المبادئ الآتية كإرشادات أساسية عند محاولته إدخال هذه الرؤية الأوسع في الممارسات و السياسات المحلية:

*تخطيط السياحة و تنميتها على أن تكون جزء من استراتيجيات الحفاظ على البيئة أو التنمية المستدامة في المنطقة، تجمع ما بين القطاعات و أن تكون متكاملة مشركة مختلف الوكالات الحكومية و الشركات الخاصة و مجموعات المواطنين و الأفراد فتؤمن بذلك أكبر كمية ممكنة من الفوائد.

*التخطيط للسياحة و إدارتها بشكل مستدام مع إيلاء أهمية لحماية البيئة البشرية و الطبيعية في المنطقة المضيفة و استعمالهما استعمالا ملائما اقتصاديا.

*القيام بتحليل التخطيط البيئي و الاجتماعي و الاقتصادي المتكامل قبل الشروع بمشاريع أساسية مع النظر عن كثب في الأنواع المختلفة لتنمية السياحة و سبل ربطها بالاستعمالات الحالية و طرق العيش والاعتبارات البيئية.

*تشجيع السكان المحللين على لعب دور القيادة في التخطيط و التنمية بمساعدة المصالح الحكومية والتجارية و المالية و مصالح أخرى و يجب أن يطالبوا بلعب هذا الدور.

*توفير المعلومات الجيدة و الأبحاث و التواصل حول حلول طبيعة السياحة و آثارها على البيئة البشرية و الثقافية، و ذلك قبل التنمية و خلالها لاسيما بالنسبة للسكان المحللين كي يتمكنوا من المشاركة والتأثير في الاتجاه الذي تتخذه التنمية و آثارها على المصلحة الفردية و العامة.

***خلال كل مراحل التنمية و العمليات السياحية يجب الاعتماد على التقييم المدروس و المراقبة وبرامج التواصل للسماح للسكان المحليين و غيرهم الاستفادة من الفرص و التعامل مع التغيرات.

ثالثا/ دور الإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية المستدامة:

لتحقيق التنمية السياحية المستدامة، يلعب الإعلام دور كبيرا في المواءمة بين رغبات ونشاطات السياح من جهة وحماية الموارد البيئية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، وذلك من خلال عدة نقاط أهمها: (حازم،2020،ص ص 301، 313)

1. تقديم معلومات شاملة عن المواقع للزوار، وإعطاء بعض الإرشادات الضرورية حول كيفية التعامل مع الموقع، و تدريب السكان المحليين على إدارة الموقع والتعامل مع المعطيات الطبيعية.
2. العمل على تسهيل إدارة سليمة للموارد الطبيعية والبشرية في المنطقة، و التي يمكنها أن تحافظ على هذه المكتنزات للأجيال القادمة من خلال عناصر بشرية مدربة مطلعة على كافة المعلومات الضرورية واللازمة لذلك.
3. يلعب الإعلام دورا كبيرا في التوعية والتثقيف البيئي من خلال توعية السكان المحليين أولا بأهمية البيئة والمحافظة عليها، فكثيرا ما نلاحظ أن السكان المحليين هم الذين يسعون إلى تخريب وتدمير بيئتهم لأسباب مادية، ولذلك يجب التركيز على التوعية والتثقيف البيئي للسكان المحليين وللعاملين في الموقع، مع الحرص على وجود اللوحات الإرشادية التي تؤكد على أهمية ذلك.
4. تقديم المعلومات الضرورية التي تعمل على تحديد القدرة الاستيعابية للمكان السياحي، بحيث يساهم تحديد أعداد السياح الوافدين للمنطقة السياحية بدون ازدحام واكتظاظ ، حتى لا يؤثر ذلك على البيئة الطبيعية والاجتماعية من جهة وعلى السياح من جهة أخرى فيرون بيئة جاذبة توفر لهم الخدمات والأنشطة.
5. دمج السكان المحليين وتوعيتهم وتثقيفهم بيئيا و سياحيا.
6. التعريف بالمشاريع التي تعود بالمنفعة على السكان المحليين، مثل الصناعات الحرفية التقليدية وتشجيع الزراعة العضوية فضلا عن العمل كمرشدين سياحيين.

7.إبراز دور قطاع السياحة في توفير فرص العمل و التأثير الإيجابي لصناعة السياحة في الأنشطة الاقتصادية.

8.نشر الوعي السياحي و التأكيد على أهمية المناطق السياحية و الأثرية و المحافظة عليها والقيام بوظيفة التثقيف السياحي و ترشيد القيم الإيجابية، و غرس القيم الإيجابية اتجاه السياحة.

9.مقاومة التلوث و المحافظة على البيئة حتى تكون مصادر الجذب السياحي الطبيعي بصفة دائمة، و تنمية الوعي السياحي العام للتقليل من الآثار البيئية السلبية للتنمية السياحية.

10. إتاحة فرص التداول الحر للآراء حول مختلف الجوانب البيئية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية لصناعة السياحة .

11.يقوم الإعلام السياحي بدور هام في مجال التنشئة السياحية و التعريف بمقوماتها ومرافقتها على أساس العمل التكاملي بين المؤسسات الإعلامية على اختلافها و بين مؤسسات المجتمع خاصة المؤسسات التعليمية و التربوية و الاجتماعية.

و من آثار الإعلام السياحي على التنمية السياحية المستدامة أيضا ما يلي:(غربي. د.ت)

1.تحرير القطاع السياحي من القيود المفروضة عليه، الأمر الذي ينعكس إيجابا على كفاءته لخلق الحوافز للقيام بإصلاح هياكل المؤسسات السياحية، و تسهيل قيام هذه المؤسسات بتقديم خدمات شاملة

2.خلق فرص للانطلاق نحو أسواق خارجية و تدعيم التواجد للتسويق السياحي بالخارج و خلق فرص جديدة، و الحد من البطالة عبر تلميع الصورة الخارجية للبلد باستخدام وسائل الإعلام.

3.كما يتيح الإعلام السياحي خلق التكيف مع متطلبات المنافسة على مستوى الكفاءات و التكاليف وزيادة كفاءة فعالية الأسواق المحلية السياحية و رفع مستوى الخدمات فيها.

4.زيادة مصداقية الدول أمام المستثمرين الأجانب و تهيئة المناخ المناسب لجذب الاستثمارات الأجنبية هذه المصداقية مرتبطة بثقة الدولة بالسياحة لديها و خدماتها و التسهيلات المختلفة و الكفاءات البشرية العالية، و بغير ذلك قد ينقلب الإعلام ضدها.

ويتنوع الإعلام السياحي من حيث وسائله التي تستخدم في الترويج للسياحة، فالوسائل: المكتوبة

و المسموعة و المرئية و الإلكترونية، و لكل حسب خصائصها التقنية و الفنية دور بالغ الأهمية في دعم جهود التنمية السياحية المستدامة بما يضمن انخراط الفاعلين المختلفين لإنجاحها، و تحقيق الهدف الأسمى و هو استقطاب أفواج السياح، و بممارسات مسؤولة و صديقة للبيئة.

وفيما يلي استعراض لدور كل وسيلة على حدا:

***السينما و التلفزيون:

السينما مثلا سواء كانت وثائقية تنقل الواقع أو روائية تجسد القصص في شكل فلم تمثيلي خيالي بالصوت و الصورة، فهي لا تخلو من الترويج للأفكار و المنتجات و الخدمات. و لما كانت السياحة من القطاعات المهمة جدا في المجتمعات الحديثة فإن السينما ارتبطت بها في علاقة أخذ و عطاء، فهي تستمد من تمويلها الإنتاجي المادي و الخدماتي و في المقابل فهي تروج لها من خلال ما تعرضه من صورة و صوت يحمل إما إعلانات أو دعاية للسياحة. فالسينما الوثائقية التي تنقل لنا الواقع أعطت أهمية كبيرة للأفلام الوثائقية السياحية بفضل انجازها لأفلام توثيقية و ترويجية للسياحة بمختلف أنواعها في شتى أنحاء العالم. مثل أفلام الثقافة العامة و أفلام الرحلات و أفلام الآثار القديمة .فالأفلام تصور مظاهر الحياة الحديثة سواء في المدن أو الأرياف أو المناطق الرعوية، و أفلام الأنثروبولوجيا و الأفلام التي تصور حياة الحيوانات و الطيور و الحشرات في بيئاتها الطبيعية. (بوشطاح 2018 ،ص.ص 81. 96)

والمتصفح للتاريخ السينمائي يلاحظ عدد الأفلام التي وظفت للترويج السياحي سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة و ذلك قبل انطلاق البث التلفزيوني، حيث تربع التلفزيون على عرش وسائل الإعلام بميزاته التي كانت سندا كبيرا لخدمة لأغراض التنمية السياحية.

ويؤدي **التلفزيون** عدة وظائف إعلامية على درجة كبيرة من الأهمية، كتزويد أفراد المجتمع بالأخبار والمعلومات السياحية، وتقديم التحليل والتفسير لهذه المعلومات، كما يقوم بمهام التعليم والإعلان والعلاقات العامة والترفيه.. وهذا التفاعل بين هذه الوسيلة والمجتمع يسهم إسهاما فعالا في تطوير هذا المجتمع . كما أن التلفزيون يساعد على نشر المعلومات السياحية لمسافات بعيدة، ولمجموعات كبيرة من الناس ويقدم خبرات وتجارب واسعة، الأمر الذي لا يمكن تحقيقه بأية طريقة أخرى. كما يساعد على تقديم المعلومات والتجارب بصورة فردية، ويؤدي إلى الإحساس بالألفة بين المادة السياحية المعروضة والجمهور الذي يتلقاها، وذلك بما يتوافر له من إمكانات فنية تساعده على التعبير الصحيح عن المضمون الفكري الذي يتناوله .إن التلفزيون قادر على مخاطبة جميع الفئات والشرائح وبمختلف المستويات الثقافية حتى الأميين، وأن له قدرة الوصول إلى مناطق جغرافية نائية بفضل التطور التقني، وبذلك فإن مساحة التعرض الاتصالي لبرامجه تكون واسعة، فضلا عن قدرته على الإقناع بحكم العناصر الفنية (الإخراجية) عن طريق الحركة والحبكة وغيرها من العناصر. (باقر الرمضان، 2011 ص 54)

وبالحديث عن التلفزيون و مزاياه في خدمة السياحة و تنميتها، نجد أن تركيا قامت باستغلال التلفزيون كوسيلة إعلامية تسويقية لسياحتها، وهي بذلك استفادت من الدور المزدوج المعرفي والإقناعي.

فالإضافة إلى اختيار الصورة السياحية المعروضة في الدراما و التي تعد فنا قريبا من المشاهدين بحكم تناولها مواضيع اجتماعية و إنسانية تهم المتابع لها. إضافة إلى دور الصورة كونها وسيطا اتصاليا... ويتضاعف دور الدراما المتلفزة كون الصورة المعروضة فيها يدخل في محتواها إمكانية الحركة و الاقتراب

و الابتعاد و الارتفاع و الانخفاض، كما تلعب الإضاءة دورها في رسم الجو العام للقطة مما يشد نظر المشاهد. و هذا بالفعل ما حدث مع الدراما التركية التي ركزت على الجانب النفسي المتمثل في تعلق الإنسان بالصورة المرتبطة بالحكاية، فصورت بذلك للمشاهد أن تركيا جنة على الأرض، فكل المؤشرات تؤكد أن الدراما التركية لعبت دورا مهما في تنمية السياحة، و قد رجح البعض أن سبب تصدير هذه المسلسلات الدرامية هو الجذب السياحي، وقد تمثل هذا الدور في: (زرقين و العلمي. 11/12 أفريل 2016)

1.لعبت الدراما التركية دور الدليل المادي للبيئة التركية، فكانت خلفية لمناظرها و حياتها المتطورة السريعة.

2.لا تقتصر السياحة على المناظر الطبيعية فقط بل تعدتها أيضا إلى الخدمات المرفقة التي كانت تبرز خلال المسلسلات بشكل ملفت، ففي العديد من المشاهد تظهر سهولة التنقل و توفر المواصلات في كل مكان، أو تظهر سهولة سحب النقود حتى في وقت متأخر من الليل، بالإضافة لأماكن الإيواء من فنادق و مجمعات فاخرة و بسيطة.

3.طول مدة عرض المسلسلات التركية و بالتالي طول مدة الترويج للسياحة ما ساهم في بناء صورة حسنة لدى المشاهد و إقناعه بأن تركيا بلد سياحي يستحق الزيارة.

4.استخدام عدسات الكاميرا و الإخراج و الأداء الفني الجيد و توظيف جماليات الطبيعة كلها عناصر أبهرت المشاهد، خاصة مشاهد مضيق البوسفور و معه الجسر المعلق الذي يربط أوروبا بآسيا و الذي يظهر أكثر من مرة في الحلقة بتصوير محترف و مبهر يجذب الأبصار.

*** كيف أثرت الدراما التركية على التنمية السياحية؟

زادت الرحلات السياحية إلى تركيا زيادة ملحوظة خلال الفترة الأخيرة، إذ ارتفعت نسبة السائحين المغاربة بنحو 51%، و من الإمارات 12%، و هو ما أرجعه خبراء السياحة إلى نجاح الدراما التركية في جذب المشاهدين العرب الذين صاروا يتلهفون لزيارة الأماكن التي تم فيها تصوير المسلسلات. كما أكد أحد خبراء السياحة أن المسلسلات التركية خلفت ببطلاتها المتحررات و ديكوراتها الساحرة إقبالا كبيرا للتعرف على هذا البلد القريب من أوروبا و الشرق الأوسط. هذا و كشف "**سيم بولاتوجولو**" صاحب مكتب سياحة بتركيا أنه في غضون سنة واحدة تضاعفت الحجوزات مرتين و ازداد عدد السائحين العرب و الأجانب الوافدين إلى تركيا بشكل ملحوظ، وهو ما بدأ بشكل ملحوظ مع عرض مسلسل"**نور**".

وبهذا استطاعت الدراما التركية بفضل قوة إنتاجها و جودته أن تعرض على شاشات 142 دولة و بلغات و لهجات مختلفة، فيما حققت أرباحا وصلت إلى 350 مليون دولار، لتحتل بذلك المرتبة الثانية في تصدير المسلسلات في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية. (بوشطاح.2008.ص.ص 81.96)

وأي مجال نوعية البرامج و المواد السياحية التي يمكن أن تقدم من خلال التلفزيون و السينما فإنها تختلف حسب الفئات المستهدفة من مواد موجهة للسياح المحتملين، إلى مواد موجهة للسياح الحاليين وكذلك مواد مختلفة تخاطب العاملين في النشاطات السياحية و المستثمرين و برامج موجهة للجمهور داخل البلاد و خارجها، و ذلك حسب المواد الآتية: **الإعلانات السياحية في التلفزيون، الأفلام التسجيلية في التلفزيون و السينما، الأخبار السياحية، و البرامج السياحية.** (الحربي و السهلي،2012، ص 58)

***الإذاعة:

وتعد ميزات الإذاعة المعروفة من المبررات التي تجعلها وسيلة مهمة في التنشيط للقطاع السياحي خاصة إذا استخدمت في دعم وسائل اتصالية أخرى و زيادة فعاليتها. و من مميزات الإذاعة كما يرى "واكين" أنها:" أكثر حميمية من أية وسيلة اتصال جماهيري أخرى"، حيث تدل برامج الأحاديث على أن الناس يعاملون المذياع بخصوصية ، خصوصا مع البرامج الإذاعية المباشرة مع الجمهور التي يتصل فيها المستمع بالهاتف مباشرة مع البرنامج، و هذه تعكس طبيعة بشرية في رغبة الناس بالمشاركة. و هذه الميزة يمكن الاستفادة منها في بث برامج مماثلة مع السياح في بث أحاديث و لقاءات تتناول مختلف القضايا التي تهم السائح. (الحربي و السهلي،2012، ص،ص 64،65)

وهي إذاعة أردنية تم **FM** ومن أمثلة الإذاعات المتخصصة في المجال السياحة نجد إذاعة **سياحة** تأسيسها سنة 2010، و هي أول إذاعة متخصصة في الإعلام السياحي المسموع في الوطن العربي.

تأسست هذه الإذاعة بسبب افتقار الإعلام المسموع للجانب التخصصي و هو الأمر الذي أوجد فراغا واضحا في هذا الجانب، فانطلق صوتها بعد دراسة شاملة و موسعة بهدف ملء الفراغ في فضاء الإعلام السياحي المسموع، و سعيا إلى تفعيله مزامنة للواقع الذي تعيشه صناعة السياحة. فإضافة لخدمة الجمهور في الجانب السياحي جاءت هذه الإذاعة أيضا إلى رغبة القائمين عليها في إيضاح مفهوم السياحة بشكل أبسط لتقترب معانيها إلى العامة كمنشط اقتصادي حيوي يؤثر بشكل أو بآخر على الحياة العامة و يخلق حالة وعي لا بد أن تترك أثرا طيبا على الاقتصاد. (الحميدات،2013،ص ص 52،53)

ولأن المحلية مبدأ مهم من مبادئ التنمية السياحية المستدامة، فإن للإعلام السياحي المحلي دور مهم للنهوض بالتنمية السياحية المحلية . فمن المهام المنوطة بالإعلام السياحي المحلي في علاقته بالتنمية السياحية المستدامة ما يلي: (غربي،د.ت)

*تكثيف البرامج التوعوية من خلال النشرات الإرشادية حول الوعي السياحي الداخلي.

*توجيه برامج إعلامية خاصة بالمعالم السياحية الداخلية.

*تحفيز تدابير المحافظة على السمات المادية للسياحة البيئية.

*رعاية المواقع والمعالم التاريخية و الحياة البرية.

*تخصيص مساحات صحفية و إذاعية للتربية السياحية الوطنية لنشر الوعي السياحي المستدام.

***الصحف و المجلات:

وتتميز **الصحف المطبوعة** بميزة مهمة يمكن للقائم بالاتصال السياحي الاستفادة منها و في معالجة الموضوعات السياحية الطويلة، و التي تكون بحاجة إلى تفاصيل موسعة و هي أن الصحف تتيح أكثر من الوسائل الأخرى مناقشة القضايا السياحية المعقدة التي تحتاج إلى نشر بيانات أو إحصاءات وتناول لمختلف الآراء و الانطباعات، حيث يمكن للقارئ في هذه الحالة أن يستوعب المادة المقروءة بعد قراءتها و تحليل كلماتها و الأشكال المنشورة معها سواء كانت صورا أم خرائط أم إحصاءات و غيرها مما يجعل تأثيرها أعمق من الوسائل الأخرى. و مع ظهور الصحافة المتخصصة التي تعني التوجه إلى فئات متجانسة من الجمهور يجمعها اهتمام مشترك أصبحت الصفحات السياحية الموجهة للسياح من المواد الأساسية في كثير من الصحف، خصوصا خلال المواسم و الإجازات بالإضافة إلى ظهور العديد من الصحف السياحية بكاملها. (الحربي و السهلي،2012، ص 68)

أما **المجلات** فتعالج الموضوعات و القضايا بشكل أكثر تفصيلا و توسعا من الجريدة و بلغة و أسلوب يختلفان عن الصحيفة اليومية، و ذلك بحكم دورية المجلات،كما أن جمهورها يعد أكثر ثقافة من جمهور الصحف. و تخصص كثير من المجلات العامة صفحات خاصة بالأنشطة السياحية، كما تقوم بعض الجهات القائمة على الأنشطة السياحية بإصدار مجلات خاصة بها خصوصا الجهات الرسمية المسؤولة كوزارات السياحة و هيئاتها و جمعياتها.و نظرا لأن مواد المجلة التي تتناول الموضوعات السياحية يجب أن تكون عميقة و دقيقة – بسبب طول دورية صدورها- لما تتضمنه من معلومات عن الأسعار

والخدمات و الميزات الخاصة بالبرنامج السياحي فإن المجلات السياحية تمثل بيئة ملائمة تماما لما يسمى في عالم صحافة اليوم"بصحافة الدقة". (الحربي و السهلي،2012 ص ص ص 76.77)

***شبكات التواصل الاجتماعي:

في دراسة لـ **KO & Kim** أعرب فيها أن أكثر من 30%من المبحوثين يشعرون بالشعور الإيجابي اتجاه المنظمات التي تستخدم شبكات التواصل الاجتماعي لعرض المنتجات و الخدمات، كما أن 70%من النسبة السابقة أكدوا تصفحهم لشبكات التواصل الاجتماعي للحصول على معلومات من المنتجات التي يقصدونها، في حين أن 49% منهم كونوا حزمة معلومات كاملة عن المنتج، كما أكد 80% من النسبة الأخيرة قرار الشراء الفعلي.و في الدراسة نفسها تبين أن 60% من إجمالي المبحوثين يمررون المعلومات لأصدقائهم. و توصلت دراسة أخرى أن 45% من منظمات الأعمال التي لا تستعين بشبكات التواصل

الاجتماعي كعنصر رئيس في إستراتيجياتها التسويقية فوتت فرصا عظيمة لكسب المزيد من العملاء. في حين أكد كلا من **Yoo& Gret Zel** في دراستهما أن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت مكونا رئيسا من مكونات المزيج الترويجي للمقاصد السياحية، حيث أشارا إلى أن 81% من المبحوثين لديهم اتصال بشبكات التواصل الاجتماعي لتوفير المعلومات المرتبطة بالتخطيط لرحلاتهم. (فلاق.2017.ص21)

خاتمة:

ارتبط مفهوم الاستدامة بالسياحة كما هو الحال بالنسبة للقطاعات الأخرى، فالتنمية السياحية المستدامة تتضمن الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية و تخفيف آثار السياحة على البيئة، بمعنى آخر فهي التي تلبي احتياجات السياح و المناطق المضيفة بحماية و تعزيز الفرص المتاحة للمستقبل.

ولتحقيق التنمية السياحية المستدامة تتضافر جهود عدة قطاعات و منشآت، يلعب الإعلام السياحي دورا كبيرا في إنجاحها بالمواءمة بين رغبات و نشاط السياح من جهة و حماية الموارد البيئية

والاجتماعية و الاقتصادية من جهة أخرى. حيث يتضمن **الإعلام السياحي** عددا من المجالات التي تدعم العمل السياحي و تفعله، سواء عن طريق توظيف **وسائل الإعلام كأدوات** أو **قنوات وسيطة** أو عن طريق توظيف **المضمون الإعلامي و فنونه**.

ومن خلال العرض السابق نستنتج المساهمة الكبيرة و البارزة للإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية المستدامة، و من أجل نجاح هذا الدور و جب تطوير و توسيع دائرة الاعتماد على الإعلام السياحي كشريك فعال في الخطط و الإستراتيجيات المحلية و الوطنية و الدولية، و تطوير أدائه

ومواجهة أوجه القصور و المشاكل التي يواجهها هذا النوع المتخصص من الإعلام، بالإضافة إلى تطوير محتوياته شكلا و مضمونا، و العمل على مراجعة كل القضايا المطروحة و الابتعاد عن المبالغة و التهويل و التحلي بالدقة والمصداقية. دون أن نغفل عن أهمية و دور وسائل الإعلام الجديد المختلفة لما لها من نفاذ و تأثير على المستخدمين من جميع أنحاء العالم، و الاستفادة من مزاياها المتعددة في دعم العمل السياحي المستدام.

قائمة المراجع و المصادر:

أولا/ الكتب:

1/ حجاب محمد منير: **الإعلام السياحي**. دار الفجر للنشر و التوزيع.القاهرة.1998.

2/ البكري فؤادة: **الإعلام السياحي**. دار نهضة الشرق. القاهرة.2001.

3/ كافي مصطفى يوسف، **دراسات في الإعلام و الإعلان السياحي**. دار الحامد .عمان.2015.

4/آل دغيم خالد بن عبد الرحمن، **الإعلام السياحي و تنمية السياحة الوطنية**. دار أسامة للنشر والتوزيع عمان.2014.

5/ ملوخية أحمد فوزي، **التنمية السياحية**. دار الفكر الجامعي.القاهرة.2007.

6/ الجمعية المصرية لخبراء السياحة العلميين، **الكتاب السنوي للسياحة و الفنادق(كتاب متخصص و محكم)**.منشأة المعارف بالإسكندرية. الإسكندرية. 1998.

7/ بظاظو إبراهيم، **السياحة البيئية و أسس استدامتها**. الوراق للنشر و التوزيع.عمان 2010.

8/ خربوطلي صلاح الدين، **السياحة المستدامة** .سلسلة دار الرضا.دمشق.2004.

9/ بن رجاء الحربي هباس و السهلي سعود السيف، **الإعلام السياحي: مفاهيمه و تطبيقاته**. دار أسامة للنشر و التوزيع. عمان.2012.

ثانيا/ الأطروحات الجامعية:

10/ باي أمال، **دور الإعلام السياحي المكتوب في تنمية الوعي السياحي لدى الجمهور الجزائري- دراسة تحليلية و ميدانية على عينة من أعداد جريدة السياحي و قرائها**- أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث. تخصص وسائل الإعلام والمجتمع. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة باتنة1.الجزائر.2018.2019.

11/ باقر الرمضان سعيد محمد،**الإعلام السعودي و تأثيره على السياحة الداخلية**. رسالة ماجستير في الإعلام مقدمة إلى مجلس كلية الآداب و التربية.الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمراك.2011

ثالثا/ المجلات العلمية:

12/ يوسفي رشيد، **التنمية السياحية و أثرها على التنمية الشاملة: تقييم وضع السياحة في العالم و في الجزائر**. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية. العدد 21. السداسي الأول.201.

13/ ياسية سليمة و لحواسنية ياسمين، **نحو إستراتيجية التنمية السياحية المستدامة في الجزائر**. مجلة الاقتصاد الصناعي، العدد 12(1)،جوان 2017.

14/ هماش ساعد و آخرون، **السياحة المستدامة كإستراتيجية لتنمية السياحة الصحراوية بالجزائر**.المجلة الدولية للتخطيط و التنمية المستدامة. المجلد 3.العدد.2006.

15/ بولحبال أميرة و عروسي سميرة، **واقع التنمية السياحية المستدامة في إستراتيجية التنمية السياحية التركية**. مجلة آراء للدراسات الاقتصادية و الإدارية. المركز الجامعي أفلو. الجزائر. المجلد 3. العدد 1.

16/ حازم رشيدة، **دور الإعلام السياحي في التنمية السياحية المستدامة في الجزائر**.مجلة الرسالة للدراسات و البحوث الإنسانية.المجلد20.العدد 9.ديسمبر 2020.

17/ بوشطاح طيب، **توظيف السينما في الترويج السياحي "التجربة التركية أنموذجا"**. مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية و الاتصالية.المجلد6.العدد العدد..4.2018.

18/ عيساوة نبيلة، **دور الإعلام السياحي في تحقيق التنمية السياحية بالجزائر**. مجلة الآداب و العلوم الاجتماعية. المجلد11.العدد الأول.

17/ فلاق محمد، **دور شبكات التواصل الاجتماعي في التسويق المعاصر-منظور تحليلي**-الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية. قسم العلوم الاقتصادية و القانونية. العدد 18.جوان 2017.

18/ الحميدات علي فايز محمد، **الإعلام السياحي في الاردن: إذاعة سياحة FM نموذجا**. دراسة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإعلام. كلية الإعلام.جامعة الشرق الأوسط. 2013.

رابعا/ المداخلات:

19/ زرقين عبود و العلمي إيمان، **تعزيز دور الإعلام في تحقيق تنمية سياحية مستدامة- الدراما التركية كنموذج إعلامي للتنمية السياحية**-. ورقة بحثية مقدمة قصد المشاركة في المنتدى السنوي السابع حول: الإعلام و الاقتصاد... تكامل الأدوار في خدمة التنمية. من تنظيم المنتدى الإعلامي السنوي السابع للجمعية السعودية للإعلام و الاتصال. يوما: 11/12 أفريل 2016.

20/ العيد غربي، **الإعلام السياحي المحلي و علاقته بالتنمية السياحية المستدامة**. ورقة علمية مقدمة للملتقى الدولي حول: الإعلام المحلي في الجزائر-التحديات المعاصرة و رهانات المستقبل- كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية. جامعة الوادي. د.ت.

خامسا/ منشورات أخرى:

21/ الهيئة العامة للسياحة و الآثار في المملكة العربية السعودية، **إستراتيجية الإعلام السياحي في المملكة العربية السعودية** .دت. ددن.

العلوم الاجتماعية في الخطط التنموية الإماراتية: علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أنموذجا (قراءة تحليلية وتقييمية للتجربة)

د. آمال بايشي

جامعة عجمان

الملخص

تحاول الدراسة البحثية الحالية، تقديم قراءة تحليلية-تقييمية للتجربة الإماراتية في مجال استثمارها للعلوم الاجتماعية (علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أنموذجا) تحقيقا لخططها التنموية. وللوصول إلى هذا الهدف فقد اتبع المنهج الوصفي التحليلي بأداة تحليل المضمون لقاعدة معلومات وبيانات من مصادر رسمية وحكومية لدولة الإمارات العربية المتحدة متعلقة بالاحتياجات التنموية والمجتمعية للتخصصين (علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية) لاستقراء مقتضيات التمكين في هذه التخصصات وتحدياتها في الخطط التنموية الإماراتية.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن هناك توجها متناميا لتخصصات العلوم الاجتماعية في الجامعات الإماراتية لتلبية الاحتياجات التنموية والمجتمعية نحو رؤية لتوطين هذه التخصصات أكاديميا ومهنيا ولا سيما علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية؛ لذا توصي الدراسة باستمرار التطوير في التكوين العلمي للتخصصين من منظور تحليل احتياجات النظام المؤسساتي للدولة وخطاب المنتج البحثي.

الكلمات المفتاحية: العلوم الاجتماعية، علم الاجتماع، الخدمة الاجتماعية، الخطط التنموية الإماراتية.

Abstract

The current research study attempts to provide an analytical-evaluative reading of the Emirati experience in the field of its investment in social sciences (sociology and social work as a model) in order to achieve its development plans. To reach this goal, the descriptive analytical approach was used with the content analysis tool of a database of information and data from official and governmental sources of the United Arab Emirates related to the development and societal needs of the two disciplines (sociology and social work) to extrapolate the requirements for empowerment in these disciplines and their challenges in the UAE development plans..

The results of the study indicated that there is a growing trend for social sciences majors in Emirati universities to meet development and societal needs and towards a vision to localize these disciplines academically and professionally, Therefore, the study recommends continuing development in the scientific formation of the two specializations from the perspective of analyzing the needs of the state's institutional system and the discourse of the research product

Keywords: social sciences, sociology, social work, Emirati development plans

مقدمة

يعد علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية من تخصصات العلوم الاجتماعية التي تهتم بالحياة الاجتماعية للإنسان، وتقوم على الدراسات الاجتماعية للقضاء أو التخفيف من حدة بعض المشكلات الاجتماعية. وإذا كان علم الاجتماع يؤدي إلى المعرفة والفهم السليمين للسلوك الإنساني من خلال نظرياته الكبرى، فإن الخدمة الاجتماعية تقوم بالتدخل العملي لدراسة المشكلات الاجتماعية وعلاجها بتنفيذ برامج الرعاية الاجتماعية.

وعن نشأة وتطور علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في التاريخ الحديث والمعاصر، للبلاد العربية فقد ارتبطا بالإطار الاجتماعي/الاقتصادي الذي ولدا في رحابه. وأهم محدّدات هذا الإطار:

1. سيطرة الاستعمار على المجتمع العربي وما صاحبه من تبعية في الفكر والعلم لخدمة مصالحه والحفاظ عليها.
2. طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمع العربي الذي يمتاز بأنماط إنتاجية مشوهة غير مستقرة.
3. ظهور مشكلات اجتماعية مصاحبة للتغير السريع الذي ساد شتى مجالات الحياة بالدول العربية التي ظهر بها البترول.

وتقع المحدّدات السابقة ضمن المراحل الآتية:

الأولى، تتمثل القضايا التي شغلت علم الاجتماع العربي في إبراز طابع العلم وأهميته، وضرورة التخصص فيه وتميزه عن غيره من العلوم الاجتماعية، فلا تكاد تجد كتابا إلا وقد أفرد فصلا أو أكثر لتعريف علم الاجتماع وموضوعه وشرعيته العلمية، وبعد هذا انشغل معظم أفراد الرعيل الأول بالتدريس. (المعطي، 1989)

الثانية، خلفت السوسيولوجيا الاستعمارية، الكثير من النظريات والتيارات الفكرية التي ظهرت على الأرض الأوروبية انطلاقا من إشكاليات لها خصوصياتها قد نقلت إلى الجامعات العربية المغاربية (الجزائر، وتونس، والمغرب)، لتردَّد بشكل آلي. (البياتي ي.، 2002).

الثالثة، ترسيخ علم اجتماع عربي من الناحية الكمية، أصبح فيه الجانب المؤسساتي لعلم الاجتماع قويا، في الساحة الأكاديمية للجزائر، وتونس، والمغرب. حيث فرض نفسه علما قائما بذاته وتدعّم من خلال البحث واللقاءات ونشر الأفكار (البياتي ي.، 2002).

الرابعة، برزت الحركات الاجتماعية بشكل مستقل نسبيا عن العمل السياسي للاهتمام بدراسات متخصِّصة متمركزة حول الخدمات الاجتماعية. فتم إعداد متخصصين اجتماعيين على المستوى الجامعي في مصر، وليبيا، والسعودية، وقطر، والكويت، والإمارات، والبحرين. (حمزة، 2015).
مجمل القول، أنه قد تكوّنت فئة من السوسيولوجيين التي تطورت مواكبة للأحداث التاريخية والظروف الاجتماعية والتنموية في الجزائر وتونس والمغرب، وعدم وضوح الرؤية بخصوص الخدمة الاجتماعية في هذه الدول. في حين أن مكانة الخدمة الاجتماعية في مصر، وليبيا، والسعودية، وقطر، والكويت، والإمارات، والبحرين تزداد يوما بعد يوم مع زيادة الاهتمام بتخريج متخصصين وطنيين في الخدمة الاجتماعية.

ومع آفاق القرن الحادي والعشرين، تزايدت اهتمامات دول الخليج العربي بتخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أكاديميا ومهنيا. وتعد دولة الإمارات العربية من بين هذه الدول، حيث أصبحت بحاجة لخريجين في مجالات التخصصين السالف ذكرهما نظرا: للاحتياج التنموي (حيث خصّصت ست جهات حكومية للعمل الاجتماعي والخيري والإنساني في الدولة) (الجهات الحكومية المسؤولة عن العمل الاجتماعي والخيري والإنساني في دولة الإمارات، 2020) وللاحتياج المجتمعي (ويتمثل في الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية حيث تشتمل الدولة على 24 مؤسسة خيرية وإنسانية) (المؤسسات الخيرية والإنسانية في دولة الإمارات العربية المتحدة، 2020) بالإضافة إلى مؤسسات التعليم بالدولة (641 مؤسسة تعليم حكومي و580 مؤسسة تعليم خاص) (الإحصاء المدرسي،2018-2017) التي تحتاج إلى متخصصين في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

وفي إطار هذا السياق، اتجهت الدراسة الحالية إلى البحث في واقع علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في مؤسسات التعليم العالي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وتقييم مكانة التخصصين في الخطط التنموية بالدولة.

الإشكال العام للدراسة وتساؤلاتها: من وجهة النظر التي تطرحها هذه الدراسة، يتحدّد الإشكال العام في استقراء التجربة الإماراتية في مجال استثمار العلوم الاجتماعية (تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أنموذجا) وتحليل التجربة وتقييمها في سياق الخطط التنموية للدولة.

وللإحاطة بهذا الاستشكال والإجابة عنه، يمكن أن نتساءل:

1. ما مكانة العلوم الاجتماعية – منها علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية – في التجارب الأكاديمية والمهنية العربية (المغاربية والشرق-أوسطية والخليجية)؟
2. ما أهم القراءات الوصفية التحليلية لأشكال الاستثمار في العلوم الاجتماعية والإنسانية في التجربة الإماراتية (علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أنموذجا)؟

3. ما أهم التقييمات المقدرة للاحتياجات التنموية الإماراتية لمجالي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية؟

أهمية الدراسة وأهدافها: إن المعلومات التي تراكمت عن السلوك الاجتماعي خلال المائة عام الماضية أوسع وأعمق مما كان معروفا من قبل، وإن هناك قلة قليلة من المشكلات الاجتماعية التي لم تنل بعد حظها من الدراسة والبحث بطريقة علمية من خلال المناهج الموثوق بها. وعلى الرغم من ذلك، لم ترق كل تلك الجهود، في كثير من الأحيان، إلى ذلك المستوى من فهم وتحليل وتفسير واقع متطلبات المجتمعات واحتياجاتها التنموية، وهذا يعبر عن أزمة واقع عالم الاجتماع والإخصائي الاجتماعي التي مست جوهر اهتماماتهما. ومن هذا الواقع جاءت أهمية الدراسة الحالية التي تسعى إلى:

1. تحليل الوضع الراهن لمكانة العلوم الاجتماعية ومنها مجالا علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في التجارب الأكاديمية والمهنية العربية، ورصد أهم المشكلات التي تتحدى استثمارها في الخطط التنمية العربية.
2. تحليل واقع استثمار تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في الخطط التنموية الإماراتية.
3. تقييم احتياجات التجربة التنموية الإماراتية لمجالي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، من منظور تحليلي لمعطيات رسمية للدولة.

منهج الدراسة في القراءة التحليلية: اعتمد التناول التحليلي للدراسة على تحليل المضمون أو المحتوى الذي يعد: محاولة لترجمة المعلومات المتعلقة بالوثيقة وإمعان النظر فيها من خلال قراءات متعمقة لدلالة هذه المعلومات لوصف المضمون الظاهر الصريح للمادة، واستخدام النتائج التي تم التوصل إليها عن طريق عملية التحليل بعد ربطها بالبيانات والمتغيرات البحثية (عبد الله و عدنان ، 2010). وقد تمت ترجمة أهداف الدراسة إلى معايير كيفية يتم بموجبها تحليل المعلومات والبيانات الرسمية الخاصة بالمعلومات المتصلة بالاحتياجات التنموية والمجتمعية للتخصصين (علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية) ومقتضيات التمكين وتحدياته في الخطط التنموية الإماراتية.

المفاهيم الأساسية للدراسة: قبل التطرق إلى محتوى الدراسة الحالية، من المهم أن نتعرف على المفاهيم الأساسية لها، وهي:

1. **العلوم الاجتماعية:** لقد فتحت العلوم الإنسانية مسميات معادلة أو فرعية أو نوعية حسب الهدف، كمعادلة العلوم الاجتماعية بالعلوم الإنسانية. وغالبا، حينما تركز العلوم على إبراز إنسانية الإنسان تصبح التسمية "علوم إنسانية" وحينما تعطي أولوية لما هو مجتمعي تكون "علوم اجتماعية".

2. **علم الاجتماع (Sociology)**: لم يعد خفيا ما لعلم الاجتماع من أهمية في دراسة المجتمع فهو: الدراسة العلميّة لسلوك الأفراد الاجتماعيّ، وللأساليب التي ينتظم بها المجتمع باتباع أُسس المنهج العلميّ، حيث يهتمّ بالأفراد والمجتمع ودراسة العلاقة بينهم، وتأثير هذه العلاقة في كل طرف منهما (مسعود ، 2011)

ولم يعد مجرد علم نظري بحت، أو علم تطبيقي خالص، بل يدعو إلى أن يكون علما نظريا وتطبيقيا في آن واحد حيث يؤدي إلى المعرفة والفهم السليم للسلوك الإنساني، واكتشاف الحقائق الاجتماعية من أجل استخدامها في الحياة العملية.

3. **الخدمة الاجتماعية (social work)**: ما يزال الاتفاق على أن الخدمة الاجتماعية: فن تكتيكي وعملي يقوم بتقديم مهام يحتاج إليها الفرد والمجتمع... وأنها علم وفن تقدم بواسطة الإخصائي الاجتماعي وذلك في مؤسسة اجتماعية لتنمية القيمة والرفاهية الاجتماعية للأفراد والجماعات (حمزة، 2015).

من ثم، يبدو أن للخدمة الاجتماعية دورا مهنيا مهما، حيث تتدخل لتمكين الأفراد وتحريرهم من أجل تعزيز رفاهيتهم باستخدام نظريات السلوك الإنساني والأنساق الاجتماعية.

4. **الخطط التنموية**: حسب المعهد العربي للتخطيط تمثل الخطط التنموية محصلة أو ناتج الجهد التخطيطي المبذول، والوسيلة التي سيتم من خلالها تحقيق أهداف عملية التخطيط، وهي تتضمن السياسات والبرامج المحفزة لإنجاز الأهداف المخططة (المعهد العربي للتخطيط، 2013). "*وترتبط الخطط التنموية للإمارات العربية المتحدة بالأجندة الوطنية لرؤية الإمارات 2021، وأن عناصر هذه الرؤية تنقسم إلى ستة محاور وطنية تمثل القطاعات الرئيسية التي سيتم التركيز عليها خلال السنوات المقبلة في العمل الحكومي وتتلخص هذه المحاور في: بناء اقتصاد قابل للاستدامة، وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والإقليمية المتوازنة، وتنمية تحقيق المنافع للجميع*" (حكومة الإمارات العربية المتحدة، رؤية 2021، 2021).

أولا، نماذج عربية للاستثمار في تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

لقد ارتبط الاستثمار في تعليم العلوم الاجتماعية، بتاريخ فتح برامج لتعليم هذه التخصصات في جامعات كان ميلادها الفعلي، بشكل عام، في منتصف القرن العشرين. "*فقد أنشئت أولى الجامعات العربية عام 1908 وهي الجامعة المصرية، ثم أنشئت الجامعة الجزائرية سنة 1909 (وإن كان تأسيسها الفعلي سنة 1879، وأنشئت جامعة الإسكندرية سنة 1942، وجامعة عين شمس في 1950، أما جامعة الخرطوم فقد كانت نواتها كلية غوردون التي أنشئت سنة 1902 وسميت بجامعة الخرطوم عقب الاستقلال سنة 1956 وفي العام نفسه افتتحت الجامعة الليبية، أما المملكة العربية السعودية فأقدم جامعاتها -جامعة الملك*

سعود التي أنشئت سنة 1957 وفي لبنان تأسست جامعاتها سنة 1951، وكانت من قبل تعتمد على الجامعة الأمريكية التي أنشئت سنة 1920 وأنشئت جامعة بغداد سنة 1958" (التميمي، 2007، صفحة 26).

وفي العموم، لم تبرز في الجامعات العربية مجموعات منفصلة للعلوم الاجتماعية، إلا في سبعينيات القرن الماضي. ومن الناحية السياسية، كانت هذه المجموعات تتفاهم وتستوحى من براديغمات ومنهجيات العلوم الاجتماعية الفرنسية، وإلى حدّ أقل كثيرا من العلوم الاجتماعية الأمريكية. وقد ارتبطت النشأة العربية لتخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بشكل خاص في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين بالاستعمار، وكانت في أغلبها تابعة له، وامتداداً للإطار الاشتراكي أو الليبرالي الذي تبنَّته هذه الجامعات. وهنا يمكن الحديث عن أعرق التجارب، وهي التجربة المصرية والتجربة الجزائرية بوصفهما نموذجين لهما اقترابات فكرية متباينة:

- **التجربة المصرية بوصفها نموذجا لمنطقة المشرق:** "*ارتبطت كتابات الرعيل الأول لعلم الاجتماع في مصر بالتعريف بعلم الاجتماع وموضوعاته، ثم توجههم إلى التدريس فقط، ثم الاتجاه حاليا إلى مجالات البحث والتدريب. وفي عام 1961 صدرت قوانين يوليو الاشتراكية في مصر فتوسع التعليم الجامعي للخدمة الاجتماعية وظهرت مجالات عمل جديدة*" (إبراهيم، 2015، صفحة 26). "*إذ توجد خمس كليات للخدمة الاجتماعية، وهذه الكليات هي: كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة حلوان، وكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة الفيوم، وقسم الخدمة الاجتماعية بكلية التربية بجامعة الأزهر، وكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة أسيوط، وكلية الخدمة الاجتماعية بجامعة جنوب الوادي بأسوان. وتوجد معاهد عليا خاصة تمنح درجة البكالوريوس المعادل للبكالوريوس الذي تمنحه الكليات الجامعية لمدة أربع سنوات وتوجد هذه المعاهد في القاهرة، والإسكندرية، وكفر الشيخ، ودمنهور، وأسوان، وبورسعيد، وبنها، وسوهاج، وقنا، والمنصورة، والسادس من أكتوبر. كما توجد في مصر معاهد متوسطة تمنح درجة الدبلوم في الخدمة الاجتماعية لمدة عامين بعد الثانوية العامة*" .

والمسجل هنا، توسع تعليم الخدمة الاجتماعية من 1968 إلى الآن. وفي الواقع، تذهب الجامعات المصرية إلى الفصل بين التخصصين واستقلالية الخدمة الاجتماعية عن علم الاجتماع، ومن خلال قراءة تحليلية لمضمون المحتوى البيداغوجي لهذه التخصصات، على المواقع الإلكترونية لكل من جامعة القاهرة، وجامعة عين شمس وجامعة حلوان، يتبين أنها تضع مساقات للخدمة الاجتماعية ومجالاتها في مقررات التدريب الميداني لتخصص علم الاجتماع. وتحاول الاعتماد على ثقافة مفتوحة على العالم من خلال وضع مساقات عن اللغات الأوروبية (فرنسية وإنجليزية) والفكر الاجتماعي، والأنثروبولوجيا، والاقتصاد، والمجتمع.

- **التجربة الجزائرية بوصفها نموذجا للمنطقة المغاربية:** "*لقد ظل التوجه الفرانكفوني للخطاب السوسيولوجي قائما داخل الجامعات الجزائرية حتى عام1971 حيث عُني بالتنظير الذي*

يفتقر إلى الدراسات الميدانية الواقعية، كما تميز بالاهتمام بدراسة أعمال دوركايم، ويكاد يقتصر على النقل والتحصيل دون التأصيل والتحليل. فرغم الإصلاحات لم يتغير التغير المطلوب من خلال التقويم الشامل لما خلفته السوسيولوجيا الاستعمارية" (مساك، 2009، صفحة 91).

ويذكر جمال معتوق: أن الجزائر تنفرد بممارسة سوسيولوجية تختلف وتتميز بها عن كل من المغرب وتونس ذلك لما تتميز به من خصوصيات، فالجزائر لها تجربة تاريخية وثقافية متميزة والمتمثلة في نوعية الاستعمار الفرنسي الذي نشأ في كنفه علم الاجتماع الأوروبي (مساك، 2009).

ومنذ الثمانينات، ترسخ علم الاجتماع من الناحية الكمية وأصبح يُدرس على مستوى أغلب الجامعات الجزائرية حيث تزايدت أعداد الطلبة المسجلين في أقسام علم الاجتماع (الموزعة حاليا على 18 جامعة و21 مركزا جامعيا). لكن في غياب عنوان لمنصب عمل سوسيولوجي في قوانين التوظيف العمومي الجزائري، لم يستطع خريجو علم الاجتماع فرض أنفسهم بوصفهم سوسيولوجيين يحملون معرفة ومهارات متميزة.

عموما، لا تزال ثقافة علم الاجتماع سائدة في الجامعات الجزائرية، وتعتمد على تخصصات فرعية له في مختلف الميادين حيث إن تعليم علم الاجتماع يرتبط بقاعدة أولية ترتبط بمقررات العلوم الإنسانية والاجتماعية (علم النفس، والفلسفة، وعلم الآثار والتاريخ وغيرها) ثم يوجه إلى علم الاجتماع بتخصصاته الفرعية (الأكاديمية أو المهنية) تبعا لنظام التعليم الجديد (LMD). مع الإشارة إلى أن التوجه في اختيار المساقات يرتبط أكثر فأكثر بعلم الاجتماع التطبيقي (المشكلات الاجتماعية، ودراسات في علم الاجتماع، وتحليل ومعالجة المعطيات الاجتماعية، وغيرها). لكن البرامج الأكاديمية للخدمة الاجتماعية، لا تزال في قائمة اللجان والجمعيات الأكاديمية والمهنية، نظرا لسياساتها التشغيلية التي أصبحت تصطدم بأزمة خريجي أقسام علم الاجتماع في كل الفروع التطبيقية والمهنية المتزايدة على مستوى البكالوريوس والدراسات العليا.

- **التجربة السعودية بوصفها نموذجا لمنطقة الخليج:** تشهد التجربة السعودية في مجال الاستثمار في تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، توسعًا مبنيا على قالب خاص لبرامجها وخططها التعليمية المستقاة من التجارب العربية والعالمية من حيث البناء، وتضع أسماء المقررات حسب معطيات واقعها الاجتماعي. ويظهر الجدول رقم (1) نمذجة للخطة الدراسية والتعليمية في بعض الجامعات السعودية.

جدول (1): المحتوى البيداغوجي للخطة الدراسية لبكالوريوس علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في الجامعات السعودية

اسم البرنامج	السنوات الدراسية	الساعات المعتمدة	الخطة الدراسية
بكالوريوس علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية. قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية. كلية الآداب جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل	يعتمد القسم النظام الفصلي، حيث تقسم سنوات الدراسة الأربع على ثمانية فصول دراسية في كل سنة فصلان دراسيان.	132 ساعة معتمدة مقسمة إلى ساعات مشتركة للقسم والتخصص بالتساوي.	- توزيع المقررات على متطلبات القسم ثم التخصص الفرعي. - توزيع المقررات على ثمانية فصول دراسية. - اعتماد نظام المقررات الإجبارية والاختيارية. - التأكيد على أهمية اللغة العربية والإنجليزية والثقافة الإسلامية. - اعتماد السنة الأولى والثانية بوصفهما سنة تحضيرية مشتركة لتخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.
بكالوريوس شعبة علم الاجتماع. **بكالوريوس شعبة الخدمة الاجتماعية** قسم الدراسات الاجتماعية كلية الآداب جامعة الملك فيصل	تعتمد الكلية النظام الفصلي في الدراسة؛ حيث تقسم سنوات الدراسة الأربع على ثمانية فصول دراسية في كل سنة فصلان دراسيان، بالإضافة إلى فصل صيفي.	132ساعة معتمدة مقسمة إلى (8) ساعة معتمدة للجامعة، (44) ساعة لمتطلبات الكلية والباقي للتخصص.	- توزيع المقررات على متطلبات جامعة، ثم متطلبات الكلية ثم متطلبات التخصص العلمي. - اعتماد نظام الحزم والمجالات في متطلبات الكلية والمتطلبات التخصصية. - اعتماد نظام المقررات الإجبارية والاختيارية - التأكيد على أهمية اللغة الإنجليزية والمهارات الحاسوبية. - توزيع المقررات على ثمانية مستويات. - اعتماد السنة الأولى بوصفها سنة تحضيرية مشتركة لجميع التخصصات في الكلية ولا يدرس فيها الطالب إلا متطلبات الجامعة أو الكلية.

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على المواقع الإلكترونية الرسمية للجامعات السعودية.

يعتمد منظور الجامعات السعودية، على اهتمام متزايد بثقافة المجتمع ولغته، حيث تحاول بناء هويتها المؤسساتية والفكرية من خلال طرحها لمساقات الثقافة الإسلامية واللغة العربية ومبادئ عامة في الإدارة والإحصاء والحاسوب. ثم بمواد التخصص بشكل تفصيلي (علم اجتماع السكان، علم الاجتماع الطبي، خدمة الفرد والجماعة، سياسات الرعاية الاجتماعية وغيرها). بالإضافة إلى اهتمامها بالتدريب العملي قبل التخصص وبعده (تدريب 1،2،3) ومشروع التخرج، وهذا يعزز الرؤية والرسالة والأهداف التي تتفق مع نقطة: تزويد المجتمع بكفاءات علمية مهنية متخصصة في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، مما يسمح التوجه الشامل لتوطين كفاءات التخصصين.

والملاحظ أن الجامعة السعودية، ترتبط بمناهج ومقررات دراسية لها علاقة بالرؤى والفلسفات والأهداف الخاصة بالمجتمع العربي نفسه. ومن ثم فهي برامج تحتاج إلى تخطيط مسبق تحت إشراف المتخصص في ثقافة المجتمع العربي وتحدياته. وهي بين التوجه الأوربي والتوجه الأمريكي حيث تحاول الخلط بين تخصصات علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، وهذا من شأنه أن يمتص من حدة أزمة توظيف الخريجين من هذه التخصصات.

عموما، ومن خلال تحليل محتوى المناقشات العامة للاستثمار في العلوم الاجتماعية في التجارب العربية (من المشرق والمغرب والخليج العربي)، يمكن القول إن قضية التخصصين علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في البلاد العربية هي قضية العلوم الاجتماعية وفروعها التي لم تتطور من التقليدية إلى النقدية وإلى التوطين مفاهيميا وممارسة من جهة، وهي قضية الوضع الإشكالي للعمل الفردي وليس بوصفها مجموعات مستقلة لمخاطبة المجتمع وحل مشكلاته من جهة أخرى.

ثانيا، الاستثمار في العلوم الاجتماعية والإنسانية في التجربة الإماراتية (علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية أنموذجا)

لقد أكدت "الاستراتيجية الوطنية للتعليم العالي 2030" ضرورة تزويد الطلبة بالمهارات الفنية والعملية، ليكونوا منتجين وقادرين على دفع عجلة الاقتصاد في القطاعين الحكومي والخاص (وزارة التربية والتعليم، 2021). حيث تشير إحصائيات بوابة البيانات الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة (ومصدرها وزارة التربية والتعليم حيث لا تشمل المنطقة الحرة بدبي) إلى أن: *"التوجه نحو العلوم الإنسانية والاجتماعية في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة، من بين التوجهات الجاذبة منذ السنة الدراسية (2015-2016) لأنها تهيئ الخريجين للعمل في مجالات: البرامج التنموية والتقويمية، وتحليل السياسات الاجتماعية والأمنية والبحث، وهي مجالات وتخصصات تحتاجها المؤسسات الاجتماعية في كلا القطاعين العام والخاص. وقد جاء في القرار رقم (28) لسنة 2013 بشأن اعتماد نظام تقييم وتوصيف الوظائف بالحكومة الاتحادية أن العوائل الوظيفية لتخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، من أهم الوظائف التي سطرت لها الدولة في سياساتها لتغطية مجالات ذات ريادة*

في خططها وهي: التعليم، والرعاية الاجتماعية، وإدارة البرامج والمشاريع، وخدمات الدعم والمساندة" (مصرف الإمارات العربية المتحدة، 2021).

ولقد بين التقرير الاقتصادي الربعي (الربع الثاني 2020)، أن هناك انخفاضا للتوظيف في المتوسط في الربع الثاني، بينما سجل انتعاشا كاملا تقريبا في يونيو من السنة نفسها (وزارة الاقتصاد، 2021). مما يعني أن سياسات التوظيف لم تتأثر بسبب جائحة الكوفيد 19، حيث كانت القطاعات الخدمية ذات انكماش متوسط.[1] وعملا بالخطط والإستراتيجيات المنبثقة عن رؤية 2021، فقد نما كل من قطاعي التعليم والأنشطة المهنية والعلمية والتقنية بنسبة تراكمية بلغت 28.2% و9.5% على التوالي في الفترة (2014–2018)(وزارة الاقتصاد، 2021).

"واستنادا إلى بيانات الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء، تطور عدد القوى العاملة بالدولة من7.424 بنسبة تراجع بلغت -0.5%، كما تطور عدد المشتغلين بكافة القطاعات الاقتصادية بالدولة بين العامين (2017–2018) من 7.241 مليون مشتغل عام 2017 إلى 7.219 مليون مشتغل عام 2018 بنسبة تراجع بلغت -0.3%، انخفض عدد المتعطلين عن العمل من 183.0 بنسبة تغير بلغت نحو 10.0%، وبهذا انخفض معدل البطالة من 2.5 عام 2017 إلى 2.2 عام 2018" (وزارة الاقتصاد، 2021).

وقد وصل معدل البطالة في دولة الإمارات في عام 2019 (2.19%) وهو أقل من معدل البطالة العالمي الذي بلغ (5.39%)، وتجب الإشارة إلى أن نسبة الذكور (76%) من إجمالي العاملين بالدولة ونسبة الإناث هو (24%) من إجمالي العاملين بالدولة(وزارة شؤون مجلس الوزراء، 2021)

وتبين هذه القراءة الإحصائية، أنه "*رغم النمو في عدد السكان الذي شهدته الدولة بين الفترة (2016 إلى 2018) حيث كان عددهم (9,121,167) نسمة وأصبح (9,366,829) نسمة، رغم ذلك، فإن معدل البطالة في هذه الفترة بالدولة ثابت نسبيا (2.2 سنة 2018 و2.19 سنة 2019). مما يعكس عدم فقدان الوظائف وخلق وظائف تشغيلية جديدة، حيث بين تقرير مؤشر الازدهار 2019 أن هناك مؤشر لكثافة أنشطة الأعمال الجديدة*". (وزارة شؤون مجلس الوزراء، 2021)

وعموما، فإن "*الذين يشتغلون بالدولة بشهادة البكالوريوس وما يعادلها عددهم (26.1%) من المجموع الكلي للمشتغلين حسب الحالة التعليمية، وبالمقابل نجد أن (15.6%) من يشتغلون باختصاصاتهم. حيث نسجل أن من بين الذين يشتغلون باختصاصاتهم بالدولة أولئك الذين تخصّصوا في مجال العلوم الاجتماعية. والجدول أدناه يظهر مجموعة الأنشطة التي يحتاجها تخصص علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية وأعداد العاملين بها تبعا لإحصائيات 2019*" (وزارة شؤون مجلس الوزراء، 2021).

جدول (2): التوزيع النسبي للمشتغلين في الأنشطة التي تحتاج إلى الاختصاص في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية حسب الجنسية والنوع الاجتماعي سنة 2019

مجموعة الأنشطة والمهن التي تحتاج إلى اختصاص علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية	مواطن			غير مواطن			المجموع الإجمالي		
	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
الأنشطة المهنية والعلمية والتقنية	1.3%	1.2%	1.3%	5.0%	3.4%	4.6%	4.8%	3.3%	4.4%
أنشطة الخدمات الإدارية وخدمات الدعم	1.5%	2.2%	1.7%	8.2%	5.1%	7.5%	7.9%	4.9%	7.2%
الإدارة العامة والدفاع والضمان الاجتماعي	69.0%	39.9%	60.0%	2.7%	1.4%	2.4%	5.6%	3.7%	5.2%
التعليم	2.0%	13.5%	5.5%	1.6%	9.0%	3.4%	1.6%	9.3%	3.5%
الأنشطة في مجال صحة الإنسان والعمل الاجتماعي	1.3%	7.7%	3.2%	1.6%	6.1%	2.6%	1.5%	6.2%	2.7%

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على المركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء حول مسح القوى العاملة في سنة 2019

يبين الجدول أعلاه أن هناك اتجاها مرتفعا للمواطنين من الجنسين (ذكورا وإناثا) نحو مجموعة الأنشطة المرتبطة بالإدارة العامة والدفاع والضمان الاجتماعي بنسبة تقدر بـ (69% للذكور) و(39.9% للإناث) ممّا يثبت رؤية الدولة نحو توطين هذه الأنشطة التي تحتاج إلى الاختصاص في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية. والملاحظ أيضا وجود استقطاب في مجال صحة الإنسان والعمل الاجتماعي للمواطنات بنسبة تعادل 7.7% مما يعكس السياسات التشغيلية في الخطط التنموية للدولة.

ثالثا، تقييم عام لاحتياجات الدولة لخريجي تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

1 .من خلال إحصاءات بوابة البيانات الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، نسجل أن أعداد الخريجين في برامج البكالوريوس لجامعات الدولة (الحكومية والخاصة)، والتي عددها 79 بين جامعة وكلية،(وزارة شؤون مجلس الوزراء، 2021). ثابت نسبيا حيث كانت أعداد الخريجين في التعليم العالي حسب النوع، والجنس، والجنسية، والإمارة والدرجة العلمية للعام الدراسي2017-2018 و2018-2019 يقدر بالتوالي بـ: 21,705 و20,420 خريجا من المواطنين وغير المواطنين في برامج البكالوريوس بالدولة، (حكومة الإمارات العربية المتحدة، 2021). مما يعني استيعاب سوق العمل لها. ومن ناحية أخرى، تشير إحصائيات بوابة البيانات الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة (ومصدرها وزارة التربية والتعليم حيث لا تشمل المنطقة الحرة بدبي) إلى أن التوجه نحو العلوم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة، من بين التوجهات الجاذبة (حكومة الإمارات العربية المتحدة، 2021). كما هو موضح في الجدول:

الجدول (3): عدد الطلبة الجدد والمستمرين والخريجين في مؤسسات التعليم العالي بدولة الإمارات العربية المتحدة

الحالة	الجنس والجنسية		مواطنون			غير مواطنين		
			ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
العلوم الإنسانية	مؤسسات التعليم العالي الخاصة	الطلبة الجدد والمستمرون خلال العام: 2016-2017	736	2,082	2,818	665	2,458	3,123
		الطلبة الخريجون خلال العام: 2015-2016	127	286	413	78	692	770
	مؤسسات التعليم العالي الحكومية	الطلبة الجدد والمستمرون خلال العام: 2016-2017	269	3,949	4,218	72	377	449
		الطلبة الخريجون خلال العام: 2015-2016	65	436	501	15	64	79

يتضح من خلال الجدول أعلاه، أن هناك توزيعا طبيعيا للطلبة بين مؤسسات التعليم العالي (الحكومية والخاصة)، وأن الأرقام تثبت اتجاه المواطنين إلى تخصصات العلوم الإنسانية بوصفها أحد التخصصات المطلوبة لدى الذكور (بعد الاقتصاد والإدارة، والشريعة والقانون، والهندسة، والإعلام والاتصال ونظم المعلومات بهذا الترتيب) ولدى الإناث (بعد الاقتصاد والادارة، والهندسة، والشريعة والقانون بهذا الترتيب).

و"تبعا لإحصاءات "الهيئة الاتحادية للتنافسية والإحصاء" فإن الاتجاه نحو تخصص علم الاجتماع من بين الاتجاهات الجاذبة والمتصدرة لقائمة التخصصات الإنسانية الأكثر استقطابا، فخلال العام الجامعي 2016-2017 كان عدد الملتحقين بتخصص علم الاجتماع والإعلام (13,877 منهم: 4,661 طالبا و 9,216 طالبة) وعدد الخريجين هو (2,311 منهم: 504 طالبا و1,807)" (وزارة شؤون مجلس الوزراء، 2021). وتجب الإشارة إلى أن متوسط عدد الملتحقين ببرنامج علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية هو 220 طالبا و383 طالبة سنويا، وعدد الخريجين هو 11 طالبا و24 طالبة سنويا، بحيث يعرف البرنامج استقطابا مرتفعا إلى منخفض-مرتفع (نسبيا) في عدد الملتحقين والخريجين من البرنامج بين الفترة: 2015-2020

وتجب الإشارة إلى أن هناك خططا لتوطين الوظائف بالدولة، *فقد "أطلقت وزارة الموارد البشرية والتوطين في نوفمبر 2018" الإستراتيجية الوطنية للتشغيل 2031 "، وأبرز أهدافها استقطاب وتأهيل القدرات البشرية المواطنة، وتمكين مشاركتها في سوق العمل. حيث إنه من المتوقع أن يبلغ مجمل القوى الوطنية العاملة في الجهات الحكومية والخاصة نحو 610 آلاف مواطن ومواطنة بحلول عام 2031"* (حكومة الإمارات العربية المتحدة، رؤية 2021، 2021). و"*منذ عام 2016 هناك توزيع للمواطنين على الوظائف حسب درجة البكالوريوس المتخصصة، حيث سجلت الإحصاءات الرسمية (مركز الإحصاء-أبو ظبي) أن هناك (9 .17% من الذكور) و(3 .20% من الإناث) مما يدل على أن هناك أهمية نسبية لتوزيع المواطنين (10 سنوات فأكثر) حسب أعلى مستوى تعليمي.*" (حكومة الإمارات العربية المتحدة، 2021). و"*في مايو 2018، تم إطلاق مبادرة (توطين 360)، وهي إحدى أهم مبادرات وزارة الموارد البشرية والتوطين، بالشراكة مع وزارة التربية والتعليم والجامعات والقطاع الخاص، والرامية إلى توعية الطلبة المواطنين، في المرحلة الجامعية ومرحلة الثانوية العامة، حول أهمية العمل في القطاع الخاص*". (وزارة الاقتصاد، 2021) مما يشجع التسجيل في برنامج علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كما يحفز الحاصلين على شهادة البكالوريوس في تخصص علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية على التسجيل في هذا البرنامج. وتقدر النسب المئوية للتوطين (لعام 2012) في الوزارات الاتحادية كما يأتي: (حكومة الإمارات العربية المتحدة، 2021).

الجدول (4): النسب المئوية للتوطين (لعام 2012) في الوزارات الاتحادية

اسم الوزارة	المواطنون	غير المواطنين	النسبة
وزارة الخارجية	201	9	0.957
وزارة العمل	1106	50	0.957
وزارة الأشغال العامة	336	36	0.903
وزارة الاقتصاد	266	36	0.881
وزارة الشئون الاجتماعية	548	97	0.85
وزارة العدل	1136	321	0.78
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي	58	18	0.763
وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع	205	73	0.737
وزارة الطاقة	62	23	0.729
وزارة التجارة الخارجية	36	14	0.72
وزارة البيئة والمياه	390	179	0.685
وزارة التربية والتعليم	12222	5871	0.676
وزارة الدولة لشئون المجلس الوطني	27	13	0.675
وزارة المالية	185	110	0.627
وزارة الصحة	3386	6430	0.345

وهنا يظهر أن النسب المئوية للتوطين في الوزارات الاتحادية ذات الصلة بتخصص علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ذات أهمية نسبية مرتفعة (مثلا بوزارة الشئون الاجتماعية 548 مواطنا مقابل 79 غير مواطن بأهمية نسبية تقدر بـ: 0.85%، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع 205 مواطنين و73 غير مواطنين بأهمية نسبية تصل: 0.74%). مما يفسر ترجمة "هدف الأجندة الوطنية وهو مضاعفة عدد المواطنين العاملين في القطاع الخاص إلى 10 أضعاف بحلول عام 2021 " (وزارة شؤون مجلس الوزراء، 2021) ومن ثم، التوجه المستقبلي للتوطين سيصل إلى القطاع الخاص والبرامج الداعمة للقطاع الحكومي.

وعند تقييم هذه القراءات، يظهر وجود اهتمام بمجال العلوم الاجتماعية والإنسانية في الخطط التنموية الإماراتية وتوطين ممارستها، لكن الأمر يثير إشكالية تأسيس (Institutionalization) العلوم

الاجتماعية (علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية خاصة) بوصفها تخصصات أكاديمية ومهنية. فعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في الجامعات الإماراتية، أمام أزمة عالمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة. وأمام تأسيس حديث العهد في برامجها وتنوع مناهجها في إطار رؤية مشتتة بين القيم العربية والمعايير العالمية. وفيما يلي جدول لأهم الجامعات الإماراتية التي تهتم بالتكوين العلمي في تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.

الجدول (5): أهم الجامعات الإماراتية المهتمة بالتكوين الأكاديمي في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

اسم الجامعة	تاريخ النشأة	عدد الأقسام الأكاديمية/ الكليات	مجموع البرامج الأكاديمية المطروحة	برامج علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية
جامعة الإمارات العربية المتحدة	1976	9 كليات (بالإضافة إلى الكلية الجامعية وكلية الدراسات العليا)	146 برنامجا (80 للبكالوريوس والدبلوم+ 42 للماجستير + 24 الدكتوراة).	– بكالوريوس الخدمة الاجتماعية – ماستر الخدمة الاجتماعية
جامعة عجمان	1988	9 كليات	36 برنامجا (22 للبكالوريوس +14 للماجستير)	– بكالوريوس الآداب في علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية.
جامعة الشارقة	1997	14 كلية	111 برنامجا (58 للبكالوريوس +38 للماجستير +15 للدكتوراة)	– بكالوريوس الآداب في علم الاجتماع. – ماجستير الآداب في علم الاجتماع التطبيقي. – دكتوراة الفلسفة في علم الاجتماع التطبيقي. – دكتوراة الفلسفة في علم الاجتماع الجنائي.
جامعة العين	2004	6 كليات	25 برنامجا (17 للبكالوريوس + 8 برامج للماجستير) إضافة إلى الدبلوم المهني في التدريس	– بكالوريوس الآداب في علم الاجتماع التطبيقي
جامعة السوربون أبو ظبي عام	2006	10 أقسام	23 برنامجا (11 للبكالوريوس+12 للماجستير)	– بكالوريوس مزدوج في الفلسفة وعلم الاجتماع. – ماجستير في علم الاجتماع والبحث العلمي.
الجامعة الكندية	2006	4 كليات (7 أقسام)	35 برنامجا (29 للبكالوريوس+6 للماجستير)	– بكالوريوس الآداب في علم الاجتماع التطبيقي.

المصدر: من إعداد الباحثة من خلال المواقع الإلكترونية الرسمية للجامعات الإماراتية

يتضح من خلال جدول أهم البرامج الأكاديمية المطروحة في تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في أهم الجامعات الإمارتية المرخصة والمعتمدة، أن تاريخ التكوين العلمي في التخصصين –

وفروعهما – لا يزال في بدايته وما يؤديه من تحقيق للتنمية الاجتماعية بالدولة يرتبط بمستويات ما قبل التدرج تحديداً. إذ تجب الإشارة إلى أن الاهتمام بالتكوين العلمي في التخصصين، تركَّزَ، حتى الآن، في مستوى البكالوريوس وأن البرامج المتوفرة على مستوى ما بعد التدرج (الدراسات العليا) لا تزال منخفضة بالنظر إلى التوجه في مجال التخصصات الأخرى. مما يثبت في العموم، أن احتياجات الدولة لخريجي التخصصي وفقا لمتطلبات سوق العمل تكتفي بمستوى البكالوريوس بوصفه مؤشرا لتحقيق خططها التنموية الحالية.

خلاصة وتوصيات عامة

مع أن علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية على مستوى العالم، هما من الأدوات الرئيسة المستخدمة في الإصلاح الاجتماعي. يتقوى هذا الميل مع منتجي المعرفة الاجتماعية في المدرسة الأوروبية والأمريكية. وفي البلاد العربية ما زال الوضع عموما، يحتاج إلى خطة استثنائية تتعلق بمؤشرات مرنة متلائمة مع الاحتياجات التنموية والمجتمعية.

وفي الإمارات، ما زالت رؤيتها الفتية في مجال تأسيس العلوم الاجتماعية كآلية تحاول تجاوز الآثار (الثقافية) السلبية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية ذات المنشأ الأوروبي أو الأمريكي. وتسعى إلى تأصيل وتوطين كل من علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية من خلال النزعة البراغماتية الماثلة في بنية خططها التنموية. لذا توصي الدراسة الحالية بالعمل على إعداد برامج أكاديمية ومهنية خالية من أي مواد (مقررات) فلسفية أو نظرية بحتة تحتوي على انتقادات جوهرية عميقة، وتوجيه المقررات بشكل عام (في مرحلة البكالوريوس) نحو المواد والمقررات التي تلبي الحاجات والتحديات الاجتماعية القائمة بحيث تعمل على تزويد الطلاب بما يمكنهم، بعد التخرج، من المساهمة في تكيف وتأقلم أفراد المجتمع مع بيئتهم المحيطة السائرة نحو التغير المستمر. ومن ثم، تصنيف مواد ومقررات علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية برؤية واضحة وبطريقة أكثر تركيزا في مرحلة الدراسات العليا، وهو ما يساهم في فتح فئات واسعة للتخصصات الفرعية داخل تخصصي علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بما يعزز إمكانية قبولهما وتوطيدهما في السياق المجتمعي ذي النظم العقائدية والثقافية القوية.

كما توصي الدراسة بمناقشة قضايا مجتمعية مجزأة أو عامة في الخطط التنموية مما يدفع الفكر الاجتماعي الإماراتي، في النهاية، إلى اكتشاف حالات عقلانية تشرح تناقضات واقعها الاجتماعي والاقتصادي والمحلي من جهة. وتعطي أولوية للإجابة في استنطاق الواقع الاجتماعي من أبسط مظاهره وأشكاله إلى أعقدها من جهة أخرى.

قائمة المراجع:

فلاح المنيزل الله ، ويوسف العتور عدنان . (2010). *مناهج البحث في العلوم التربوية والنفسية*. (مكتبة الجامعة، المحرر) الأردن: إثراء للنشر والتوزيع.

أحمد طاهر مسعود . (2011). *المدخل إلى علم الاجتماع العام*. عمان: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.

أحمد إبراهيم حمزة. (2015). *المدخل إلى الخدمة الاجتماعية*. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

وزارة التربية والتعليم. حكومة الإمارات العربية المتحدة: مركز بيانات التعليم. تاريخ الاسترداد 10 أكتوبر , 2021، من

https://www.moe.gov.ae/Ar/OpenData/Documents/2017-2018.pdf

ياس خضير البياتي. (2002). *النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية وروادها*. طرابلس: الجامعة المفتوحة.

حكومة الإمارات العربية المتحدة. الجهات الحكومية المسؤولة عن العمل الاجتماعي والخيري والإنساني في دولة الإمارات. (17 ديسمبر, 2020). تاريخ الاسترداد 10 أكتوبر, 2021، من المؤسسات الخيرية-البوابة الرسمية لحكومة الإمارات العربية المتحدة: https://u.ae/ar-ae/information-and-services/charity-and-humanitarian-work/ways-of-doing-charity-in-the-uae/charitable-organisations

حكومة الإمارات العربية المتحدة. المؤسسات الخيرية والإنسانية في دولة الإمارات العربية المتحدة. (10 ديسمبر, 2020). تم الاسترداد من البوابة الرسمية لحكومة الإمارات العربية المتحدة: https://u.ae/ar-ae/information-and-services/charity-and-humanitarian-work/ways-of-doing-charity-in-the-uae/charitable-organisations

أمينة مساك. (2009). علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بين البرامج الأكاديمية والواقع الاجتماعي، مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، دراسات اجتماعية وتربوية. *دراسات اجتماعية وتربوية*(العدد الرابع).

أنيسة محمد علي المنشئ. (1984). ديناميكية التفاعل بين مراكز التقنيات التربوية والمؤسسات التعليمية ودورها في تقنية التعلم الذاتي. *مجلة تكنولوجيا التعليم، العدد/14*.

بشير العلاق حميد الطائي. (2009). *تسويق الخدمات: مدخل استراتيجي، وظيفي، تطبيقي*. عمان: اليازوري.

حكومة الإمارات العربية المتحدة. (2021). تم الاسترداد من :
https://data.bayanat.ae/ar/dataset/graduates-in-higher-education-by-institution-type-gender-nationality-capmus-emirate-degree/resource/73ee011e-81a9-4715-a0f3-dfe3c17a2df6?inner__span=True

حكومة الإمارات العربية المتحدة. (21 ديسمبر, 2021). *الجهات الحكومية المسؤولة عن العمل الاجتماعي والخيري والإنساني في دولة الإمارات*. تم الاسترداد من البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة: https://u.ae/ar-ae/information-and-services/charity-and-humanitarian-work/ways-of-doing-charity-in-the-uae/charitable-organisations

حكومة الإمارات العربية المتحدة. (21 سبتمبر, 2021). *رؤية 2021*. تم الاسترداد من رؤية2021 :
https://www.vision2021.ae/ar

حكومة الإمارات العربية المتحدة وزارة الاقتصاد. (2021). *www.economy.gov.ae*. تم الاسترداد من :www.economy.gov.ae
https://www.economy.gov.ae/EconomicalReports/%D8%A8%D8%B5%D9%85%D8%A9%202%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A3%D8%AB%D9%8A%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%20%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%AF%2019%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B7%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA%20%

حكومة الإمارات العربية المتحدة وزارة شؤون مجلس الوزراء. (2021). *fcsc.gov.ae*. تم الاسترداد من :fcsc.gov.ae

https://fcsc.gov.ae/arae/Lists/D__Reports/Attachments/129/UAE%20Numbers%20Ar%202019%20(1).pdf

حكومة الإمارت العربية المتحدة وزارة التربية والتعليم. (04 اكتوبر, 2021). *https://www.moe.gov.ae*. تم الاسترداد من https://www.moe.gov.ae/Ar/MediaCenter/News/Pages/h2030.aspx

طلعت إبراهيم لطفي . (2009). *مدخل إلى علم الاجتماع*. القاهرة: دار غريب القاهرة.

عبد الباسط عبد المعطي . (1989). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. *سلسلة عالم المعرفة*(44).

عبد الباسط عبد المعطي. (1989). *اتجاهات نظرية في علم الاجتماع*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

المعهد العربي للتخطيط. (2013). *آليات تنفيذ ومتابعة وتقييم خطط التنمية*. تم الاسترداد من www.arab-api.org: https://www.arab-api.org/images/training/programs/1/2013/214__P14005-5.pdf

محمد محمود الجوهري. (2009). *المدخل إلى علم الاجتماع*. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

مصرف الإمارات العربية المتحدة. (01 اكتوبر, 2021). *www.centralbank.ae/ar*. تم الاسترداد من www.centralbank.ae/ar: https://www.centralbank.ae/ar

مهدي حسين التميمي. (2007). *مهارات التعليم: دراسة في الفكر والأداء التدريسي، عمان*. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

ياس الخضير البياتي. (2002). *النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية وروادها* . طرابلس: الجامعة المفتوحة.

حكومة الإمارت العربية المتحدة وزارة التربية والتعليم. (04 اكتوبر, 2021). *https://www.moe.gov.ae*. تم الاسترداد من https://www.moe.gov.ae: https://www.moe.gov.ae/Ar/MediaCenter/News/Pages/h2030.aspx

طلعت إبراهيم لطفي . (2009). *مدخل إلى علم الاجتماع*. القاهرة: دار غريب القاهرة.

عبد الباسط عبد المعطي . (1989). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. *سلسلة عالم المعرفة*(44).

عبد الباسط عبد المعطي. (1989). *اتجاهات نظرية في علم الاجتماع*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

المعهد العربي للتخطيط. (2013). *آليات تنفيذ ومتابعة وتقييم خطط التنمية*. تم الاسترداد من www.arab-api.org: https://www.arab-api.org/images/training/programs/1/2013/214__P14005-5.pdf

محمد محمود الجوهري. (2009). *المدخل إلى علم الاجتماع*. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

مصرف الإمارات العربية المتحدة. (01 اكتوبر, 2021). *www.centralbank.ae/ar*. تم الاسترداد من www.centralbank.ae/ar: https://www.centralbank.ae/ar

مهدي حسين التميمي. (2007). *مهارات التعليم: دراسة في الفكر والأداء التدريسي، عمان*. عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

ياس الخضير البياتي. (2002). *النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية وروادها*. طرابلس: الجامعة المفتوحة.

"استراتيجيات إدارة المعرفة ودورها في نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي في عصر العولمة الإعلامية - تصور مستحدث في مفاهيم الشراكة المنتجة وتكامل الأدوار"

رياض بن ناصر بن محمد الفريجي

باحث دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية

مقدمة:

يشهد العالم اليوم تحوّلا رقميًا في مختلف مناحي الحياة، غيّر الكثير من ملامح المشهد الثقافي والإعلامي والاجتماعي والاقتصادي الحديث؛ ونتيجة لذلك فقد دعت الحاجة إلى أن تكون "الثقافة الرقمية" محور اهتمام كثير من الباحثين والأكاديميين والخبراء، ومن أهم الأولويات التي توليها المؤسسات في كافة المجتمعات العربية ولاسيما المجتمع السعودي، بوصفه واحدا من المجتمعات العربية التي تسعى دائمًا إلى تحقيق استفادة قصوى من مظاهر الثورة الرقمية، وبخاصة المرتبطة بإدارة المعرفة وتطبيقاتها المختلفة بكل جودة وإتقان وبسهولة ويسر في عصر العولمة الإعلامية، التي تُشير في مجملها إلى معطيات جديدة تتمثل في الترابط والتكامل بين مجالات الثقافة والإعلام وتكنولوجيا الاتصال الرقمية ومجتمع المعرفة واستراتيجيات إدارتها مجتمعةً.

ومن هنا تنبثق أهمية هذه الدراسة التي تستهدف البحث في الكيفية التي يمكن من خلالها ربط إستراتيجيات إدارة المعرفة بأبعاد "الثقافة الرقمية" بما يتوافق مع معايير متطلبات عصر العولمة الإعلامية والتي تبدو متسارعة، ومتلاحقة، من دون كابح، وهي السمة المهيمنة على مفهوم الثقافة المعاصرة في شتى مساراتها، والتي بلغت فيها درجة كبيرة من التعقيد وباتت متعددة المشارب والمفاهيم، ومتفرعة إلى أطر تحكمها عوالم افتراضية، بفعل تكنولوجيا الاتصالات الرقمية، كما سيبين الباحث من خلال هذه المداخلة البحثية والتي تأتي في أربعة محاور رئيسية، تأتي على النحو التالي:

- إدارة المعرفة ... مفهوما وفهما.
- الثقافة الرقمية ... الماهية والأهمية.
- العولمة الإعلامية وأثرها على الهوية الثقافية العربية.
- مفاهيم الشراكة المنتجة وتكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة ونشر الثقافة الرقمية في عصر العولمة الإعلامية.

(الإطار المنهجي للدراسة)

مشكلة الدراسة:

يعد القطاع الثقافي من بين أهم القطاعات التي توليها المملكة العربية السعودية كغيرها من البلدان العربية اهتمامًا كبيرًا على المستويين البحثي والأكاديمي، ولاسيما بعدما شاع مصطلح "الثقافة الرقمية" خلال العقدين الأخيرين، والذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمجموعة أخرى من المفاهيم والمصطلحات الحديثة التي طغت على مختلف مناحي الحياة في عصر العولمة الإعلامية.

ويأتي من بين أهم هذه المصطلحات – وفقا لرأي الباحث – "إدارة المعرفة" التي بدأت المملكة في توظيف تطبيقاتها وتفعيل استراتيجياتها وبقوة في كافة الأنشطة والممارسات والفعاليات الثقافية، من أجل تعميم الوعي التقني والمعرفي ونشر مفهوم الثقافة الرقمية، إذ تكمن مشكلة الدراسة والتي يمكن للباحث تحديدها في التعرف على دور إستراتيجيات إدارة المعرفة في نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي في عصر العولمة الإعلامية.

أهداف الدراسة:

في ضوء ما تقدم، فإن الباحث يستهدف من هذه المداخلة البحثية تحقيق هدف رئيسي يتمثل في البحث عن سبل الشراكة المنتجة وتكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة ودورها في عملية نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي في عصر العولمة الإعلامية، وينبثق عن هذا الهدف أكثر من هدف فرعي آخر، ما يمكن إيجازه فيما يلي:

1. الكشف على ماهية إدارة المعرفة بوصفه مصطلحا إداريا معاصرا يمكن توظيفه وبقوة في نشر مفهوم الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي.
2. محاولة ربط الواقع الثقافي في المجتمع السعودي بالتغيرات المتماشية مع متطلبات الحياة اليومية التي تفرضها أنساق العولمة الإعلامية؛ والتي بدأت ترسم له هويات جديدة تستند إلى تكنولوجيا المعلومات الحديثة ومجتمع المعرفة العصري.
3. التعرف على انعكاسات التغير الحاصل في مسار صناعة الثقافة في المجتمع السعودي فيما يطلق عليه الثورة الرقمية وما يصاحبها من تحولات ومتغيرات.
4. توضيح أوجه التكامل بين استراتيجيات إدارة المعرفة وتطبيقاتها في نشر مفهوم الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي المعاصر، مع البحث عن الخيارات والبدائل الثقافية التي يمكن توفيرها لأفراد المجتمع السعودي في عصر العولمة الإعلامية.

5 .التعرف على مجموعة الرهانات والتحديات التقنية والتكنولوجية والثقافية التي تحدد مسار نشر الثقافة الرقمية في ظل تحولات ظاهرة العولمة الإعلامية.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه المداخلة البحثية من خلال مجموعة النقاط التالية:

1 . قلة الدراسات والبحوث التي تناولت الدور الذي يمكن أن تلعبه إستراتيجيات إدارة المعرفة في عملية نشر الثقافة الرقمية، وتحسين أداء مؤسسات القطاع الثقافي في المملكة العربية السعودية في عصر العولمة الإعلامية ومتغيراته التكنولوجية المتعددة.

2 .كما تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة في ظل التطور الهائل الذي يشهده القطاع الثقافي السعودي، وحداثة مفهوم إدارة المعرفة وتطبيقاتها الحديثة.

3 . وتبرز أهمية الدراسة في ضوء ما حظيت به إدارة المعرفة باهتمام بحثي ومجتمعي كبير في ضوء التحول المبتكر نحو ضرورة توظيفها في مختلف القطاعات العاملة في كافة الدول العربية أسوة بدول العالم المتقدم.

4 . تعد هذه الدراسة امتدادًا لاتجاه بحثي واسع وممتد بالدراسات الغربية يهتم برصد تأثير إستراتيجيات إدارة المعرفة والتقنيات الرقمية الحديثة على القطاع الثقافي في المجتمع السعودي.

5 . كما يمكن أن تقدم هذه الوقة البحثية إطارًا نظريًا ومعرفيًا، يتم من خلاله التفاعل مع ديناميكية الوضع الراهن للقطاع الثقافي السعودي، إذ تكمن أهمية الدراسة التطبيقية في لفت انتباه القائمين على هذا القطاع الهام إلى ضرورة الاستعانة بتطبيقات إدارة المعرفة، لما لها من أهمية كبيرة في عملية نشر مفهوم الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي في ظل تحولات العولمة الإعلامية الحديثة.

تساؤلات الدراسة:

يسعى الباحث ومن خلال هذه المداخلة البحثية إلى الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

ما الدور الذي يمكن أن تلعبه إدارة المعرفة بإستراتيجياتها المتعددة في نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي فيما يسمى بعصر العولمة الإعلامية؟، هذا وينبثق عن هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية أخرى، يأتي من بين أهمها:

1 .ما مفهوم إدارة المعرفة؟

2 .وما أهميتها بالنسبة للقطاع الثقافي السعودي؟

3. ما ماهية الثقافة الرقمية؟

4. وما أهم ملامح نشأتها بوصفها واحدة من أحدث إفرازات تحولات الثورة الرقمية الحديثة؟

5. كيف يمكن الاستفادة من إستراتيجيات إدارة المعرفة وتوظيفها في نشر الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي؟

6. وما مدى مساهمة ذلك في دعم خطط القطاع الثقافي السعودي في ظل ظهور مفهومي الثقافة الرقمية والعولمة الإعلامية؟

7. ما أشكال الشركة المنتجة وتكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة وعمليات نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي؟

8. كيف يمكن ربط استراتيجيات إدارة المعرفة بأبعاد "الثقافة الرقمية" بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة الإعلامية؟

نوع الدراسة ومنهجها:

تنتمي هذه الدراسة بطبيعتها المنهجية والنظرية إلى "البحوث الوصفية"، التي تعنى بدراسة واقع الأحداث والظواهر والآراء التي أثيرت حولها، وتحليلها وتفسيرها بهدف الوصول إلى استنتاجات ومؤشرات مفيدة، إما لتصحيح الظاهرة أو تحديثها أو استكمالها أو تطويرها[1].

إذ تسعى الدراسة نحو التعرف على كيفية توظيف إستراتيجيات إدارة المعرفة في نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي، كما تستند في إجراءاتها المنهجية على منهج "المسح الوصفي" وذلك من أجل الخروج بمؤشرات ودلائل بحثية حول أشكال الشركة المنتجة وتكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة ومتطلبات نشر الثقافة الرقمية بما يتوافق مع المتغيرات التي يفرضها عصر العولمة الإعلامية.

المفاهيم الإجرائية للدراسة:

نظرًا لكثرة المفاهيم وتشعبها وتداخلها أحيانًا، ومن أجل التحكم وبشكل جيد في عناصر هذه الورقة البحثية؛ وجد الباحث أنه ينبغي حصر مفاهيم تلك الدراسة ومصطلحاتها الأساسية واستلهامها من مجمل التعريفات المتفق عليها علميًا على النحو التالي:

- إدارة المعرفة: وهو مصطلح حديث متعدد التعريفات ومتشعب المفاهيم يعرفه البعض بأنه: "مدخل نظامي متكامل لإدارة وتفعيل المشاركة في كل أصول معلومات المؤسسة بما في ذلك

1- محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، (القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2000)، ص 35.

قواعد البيانات، والوثائق، والسياسات، والإجراءات بالإضافة إلى تجارب وخبرات سابقة يحملها فريق العمل الذي ينتمي للمؤسسة"[2].

كما يعرفها آخرون بأنها: "مجموعة المعارف، والمهارات المعرفية المكتسبة التي يمكن الاستفادة منها في تحقيق مستويات أعلى من الإنجاز، والتي تعتبر من أهم الإستراتيجيات والأساليب الإدارية الحديثة لإحداث التطوير المستمر في الأداء والتغيير نحو الأفضل في الممارسات العملية"[3].

ويقصد بها الباحث إجرائيًا في هذه الدراسة: "جميع العمليات التي يمكن أن تساعد مؤسسات قطاع الثقافة السعودي على اكتساب المعرفة، وتطويرها، وتنظيمها، وتطبيقها، ونقلها وتحويل المعلومات الهامة والخبرات التي تمتلكها، والتي باتت ضرورة ملحة من ضروريات نشر مفهوم الثقافة الرقمية بممارساتها وأنشطتها المتنوعة، والتي يفرضها عصر العولمة الإعلامية".

- الثقافة الرقمية: ينظر بعض المثقفين إلى مصطلح "الثقافة" على أنه يشير إلى جملة العلوم والمعارف التي يدركها الفرد وهي تُعبر عن الموروث الفكري الذي تتميز به أمة دون الأخرى، حيث ترتبط بالقيمة الحضارية للمجتمع، تنمو وتتراجع بحسب النمو أو التخلف الحضاري له [4].

وفي ضوء ما سبق فإن الباحث يقصد بـ "الثقافة الرقمية" التي انتشر تداولها وبقوة في الفترة الأخيرة إجرائيًا: "قدرة الأفراد في المجتمع على التواصل السليم مع الآخرين من خلال الوسائل التقنية المختلفة، واستخدام الأجهزة والأنظمة والتطبيقات الرقمية التي تفرز بدورها مجموعة متنوعة من المعطيات الثقافية الجديدة، مع ضرورة الالتزام بالأخلاقيات المستمدة من ثقافة المجتمع".

- **العولمة الإعلامية:** تعني العولمة في أبسط مفاهيمها: "جميع النشاطات الإنسانية في نطاق عالمي، بمعنى جعل العالم كله مجالا للنشاطات الإنسانية المتعددة"[5].

ويقصد بالعولمة الإعلامية: "التضخيم المتسارع والمتواصل لقدرات وسائل الإعلام والمعلومات لتتجاوز الحدود الدولية للوصول إلى الشعوب بفضل وسائل الاتصالات الحديثة وتحقيق المكاسب لشركات ووسائل الإعلام"[6] .

---

2 – عبد الستار العلي، عامر قنديلجي، غسان العمري، **المدخل إلى إدارة المعرفة**، (عمان: دار المسيرة، 2006)، ص 23.

3 – توفيق سريع علي، **تكامل إدارة المعرفة وإدارة الجودة الشاملة وأثره على الأداء**، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد وإدارة الأعمال، 2006، ص 63.

4– نبيل على، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، ع276، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، 2001، ص 94.

5 – برهان غليون، **العولمة وأثرها على المجتمعات العربية، ورقه علمية، مقدمة لاجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، المنعقد ببيروت، ديسمبر** 2005، **ص** 28.

6 –عبد الله محمد أبكر، **عولمة الإعلام**، بحث منشور، الرياض، المجلة العربية، العدد (326)، مايو 2006، ص 29.

وبناءً عليه يمكن للباحث تعريفها إجرائيًا على أنها: "إنتاج وتوزيع واستهلاك منتجات الوسائط الإعلامية على نطاق عالمي، مما يسهل تبادل الأفكار والثقافات والمعارف ونشرها عبر المجتمعات المختلفة".

(الإطار الفكري للدراسة)

ينطلق الباحث فكريًا في هذه المداخلة البحثية عبر عدة محاور رئيسية تأتي على النحو التالي:

المحور الأول: إدارة المعرفة ... مفهوما وفهما

لقد تناول العديد من الباحثين مفهوم إدارة المعرفة من زوايا مختلفة وفقًا لاتجاهاتهم الفكرية، من خلال الدراسات التي قدموها في هذا الموضوع، ولاسيما بعدما أصبحت إدارة المعرفة من أهم الإستراتيجيات التي تسعى كافة قطاعات الدول لتبنيها في العقدين الأخيرين، من أجل تحسين أعمالها وأنشطتها وممارساتها ومساعدتها في تنمية قدرتها على مواكبة التطورات والمستجدات والاكتشافات والابتكارات في عصر العولمة الإعلامية الذي تشهد فيه البشرية ثورة معرفية هائلة مصحوبة بثورة مذهلة في تقنية المعلومات والاتصالات، ساهمت بلا أدنى شك من وجهة نظر الباحث في إحداث تغيرات جذرية قوامها المعرفة في مختلف المجالات الحياتية[7].

وقد نتج عن هذا التباين الواضح تباينٌ جديدٌ أكثر وضوحًا في صياغة مفهوم إدارة المعرفة وتحديد ماهيتها، والسبب في ذلك يعود - وفقا لرأي الباحث - إلى صعوبة التسليم بوجود مفهوم جامع شامل، إذ يشير العديد من المتخصصين إلى أن إدارة المعرفة تعتمد على قاعدة المعرفة، والتي تهدف إلى إضافة قيمة للأعمال الإدارية والممارسات العملية في مختلف القطاعات ومن بينها بالطبع قطاع الثقافة، الذي يعتمد بطبيعته على البيانات والمعلومات والمعارف، كما أوضح بعض الكتاب الآخرين أن إدارة المعرفة تتضمن عمليات امتلاك واحتفاظ وخزن وتوزيع واستعمال ونشر المعرفة، لذا حدد هؤلاء ماهيتها في إدارة عمليات المعرفة، كالحصول عليها، وتقاسمها، وتوزيعها، وإنشائها، وكذلك قياس وتقييم وتعظيم أصولها[8].

ويشير البعض الآخر من الخبراء والباحثين إلى أن مفهوم إدارة المعرفة يرتبط ارتباطا وثيقًا بالبيانات والمعلومات، حيث تعد البيانات بمثابة المادة الأولية الخام التي تنبثق منها المعرفة، والتي تحتاج إلى تنظيم ومعالجة لتصبح معلومات يمكن الاستفادة منها، ثم تأتي المعرفة التي من خصائصها أنها مزيج من الخبرات والمعلومات، وتتضمن عوامل بشرية وغير بشرية، أي أنها الحقائق الناتجة عن الاستخدام الكامل للمعلومات والبيانات والثقافات والخبرة والتعلم التراكمي والمعلومات المنظمة، التي تم تحليلها لتصبح مفهومة وقابلة للتطبيق، كما تتسم كذلك بأنها الأكثر قدرة على إضافة قيمة للأشياء، وبالتالي

7 - محمد تركي لبطانية، زياد محمد المشابقة، **إدارة المعرفة بين النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى، (عمان: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، 2010)، ص 23.

8 -محمد عواد الزيادات، **اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة**، الطبعة الأولى، (عمان: دار صفاء للنشر،2008)، ص 53.

تتحقق الاستفادة منها في مختلف الأنشطة الثقافية بوصفها واحدة من أهم عوامل الإنتاج الثقافي والمعرفي في ظل التحولات العديدة التي يشهدها عصر العولمة الإعلامية[9].

كما يمكن للباحث هنا أن يبين العناصر الأساسية التي تساعد – من وجهة نظره – على تلمّس وبناء تصور مفهوم لإدارة المعرفة وتحديد ماهيتها التي من بينها ما يلي[10]:

- أن إدارة المعرفة عملية تتكون من مجموعة من النشاطات التي تُعنى بإبداع المعارف، وتنظيمها، وتخزينها، وتدقيقها، وتهذيبها، والحصول عليها وتنميتها، ونشرها، وتطبيقها.
- أن هناك مجموعة من المقومات الضرورية لتنفيذ نشاطات إدارة المعرفة في القطاع الثقافي والمتمثلة وفقا لرأي الباحث في وجود البيئة المناسبة والملائمة لنجاح جهود إدارة المعرفة.
- أن الهدف من تبني جهود إدارة المعرفة في القطاع الثقافي بالمملكة هو نشر الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي، من خلال تحسين قدرتها على إيداع الثقافات ونشر المعارف عن طريق وسائل الاتصال الرقمية والنوافذ الثقافية الحديثة.

وبناءً على ما سبق يمكن للباحث تحديد ماهية إدارة المعرفة على أنها:

- مفهوم ومنهج يستخدم تقنية المعلومات كأداة لتجميع ومشاركة المعلومات والبيانات والثقافات والمعارف والخبرات، وليست أداة من أدوات تقنية المعلومات؛ لذلك يرى الباحث أنه يجب على إدارة المعرفة في القطاع الثقافي بالمملكة أن تمتاز بالمرونة في التقاط البيانات، وتبادل الثقافات والمعارف وإدارتها بين الأنشطة والممارسات الثقافية المتنوعة[11].
- كما أن مفهوم إدارة المعرفة يمكن تطبيقه في جميع المجالات والأنشطة والأعمال الثقافية النمطية والرقمية، ومن ثم يمكن عدها تلك الإدارة الرسمية للمعرفة التي تسهل خلق، ووصول، واستعمال نماذج وتقنيات رقمية متقدمة لنشر الثقافة بين أفراد المجتمع، لذلك فهي عملية تنظيمية متكاملة من أجل توجيه نشاطات القطاع الثقافي للحصول على المعرفة، وخزنها، ومشاركتها، وتطويرها، واستخدامها من قبل الأفراد والجماعات من أجل تحقيق أهداف على كافة المستويات ومختلف الأصعدة الثقافية[12].

9- عصام نور الدين، **إدارة المعرفة والتكنولوجيا الحديثة**، الطبعة الأولى، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009)، ص31.

10-United Nations Report, (2004), **Knowledge Management Methodology: Experimental Comparison in Central Sectors in ISQUA State Members**, New York-U.S.A , p123.

11 – أمين سعيد عبد الغني، **الثقافة العربية والفضائيات – رؤية إعلامية من منظور منهجية التحليل الثقافي**، (القاهرة: دار إيتراك للطباعة والنشر، 2005)، ص 132.

12 – محمد عواد الزيادات، **اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة**، الطبعة الأولى، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع،2008)، ص 53.

- ويشار إليها مؤخرًا في الكثير من القطاعات والمجالات الحياتية على أنها تلك العملية التي تهدف إلى البحث عن المعرفة وامتلاكها، وخزنها، والقيام بعملية نشرها مع ضمان تنفيذها داخل القطاع، إذ يعدها الكثيرون ولاسيما في المؤسسات الثقافية مجموعة من الجهود المبذولة من المديرين لغرض تنظيم وبناء رأس مال القطاع من الموارد الثقافية والمعرفية والمعلوماتية، أو ما يمكن أن يسميه الباحث رأس المال الفكري والثقافي والمعرفي الذي يملكه القطاع الثقافي.

ومن المنطلقات السابقة يرى الباحث أن إدارة المعرفة في القطاع الثقافي تعد حقلا معرفيًّا يعامل رأس المال الثقافي والفكري على أنه أصول، وموجودات يمكن إداراتها، فهي مشاركة ما يحتويه القطاع من ثقافات ومعلومات وبيانات مع الجمهور لتحقيق التميز والتفوق والريادة في بيئة رقمية حديثة تتطلب الإبداع والتجديد والابتكار.

هذا وتتجلى أهمية إدارة المعرفة في القطاع الثقافي بصفة عامة في مساهمتها بشكل مباشر في نشر مفهوم الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع، ورفع مستوى أداء مؤسساتها الفكري والإداري والمهني وتحقيق الأهداف المرغوبة من خلال تحسين الإبداع داخلها، وزيادة الإنتاجية الثقافية ونشرها وتحسين عمليات اتخاذ القرار بها، وزيادة مستوى التعاون بين الأفراد بصورة أفضل لنشر الثقافة الرقمية فيما بينهم[13].

المحور الثاني: الثقافة الرقمية ... الماهية والأهمية

لقد أصبح مصطلح "الثقافة الرقمية" محل بحث وتدقيق، لما أخذته تكنولوجيا المعلومات من تقدم مستمر ومساحة لا يستهان بها في مختلف مناحي الحياة الأدبية والفكرية والعملية والثقافية ولاسيما لمستخدمي التكنولوجيا الحديثة من إلكترونيات والعالم الإلكتروني، الذي لا ينفصل عن عالمنا المعاش، والذي أصبح نواة لكل أعمالنا واستخداماتنا في شتى أنواع الحياة المعرفية والثقافية، فالعالم بأكمله تحول من الثقافة المطبوعة السائدة في القرن التاسع عشر نحو الثقافة الإلكترونية في القرن العشرين، وصولا إلى "الثقافة الرقمية" في القرن الحادي والعشرين التي وثقت بشكل جيد؛ وظهرت بشكل واسع وسريع بسبب تكنولوجيا الحواسيب والتقنيات الرقمية الحديثة والاستعمالات المتعددة للبرمجيات وشبكة المعلومات الدولية[14].

ويرى الباحث أن "الثقافة الرقمية" بوصفها تطبيقا عمليا غير محدود يمكن عدها انبثاقا لمجموعة من القيم والممارسات والتوقعات، بالنظر إلى نمط عمل الأفراد وتفاعلهم مع الشبكات الرقمية للمجتمع المعاصر، إذ إن الثقافة الرقمية أظهرت خصائص بوصفها نتيجة منطقية لأسس تتمثل في ظواهر

13 – حسن العلواني، **إدارة المعرفة المفهوم والمداخل النظرية**، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العربي الثاني في الإدارة – القيادة الإبداعية في مواجهة التحديات المعاصرة للإدارة العربية– المنعقدة في المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، القاهرة، 2003، ص 73.

14– تي في ريد، **الحياة الرقمية– الثقافة والسلطة والتغير الاجتماعي في عصر الإنترنت**، ترجمة: نشوى ماهر كرم الله، (الرياض: العبيكان للنشر والتوزيع، 2018)، ص 21.

الاتصال على الخط المباشر وخارجه، بواسطة الروابط التشعبية إضافة إلى الاتجاهات والتطورات الحاصلة في العمل الإلكتروني التي يرجع تاريخها إلى ظهور الإنترنت[15].

فالتشابك الدائم مع البيئة الرقمية التي ينتجها الإنترنت، يحدث عنه تأثير مباشر وتغير خاص في نمط استخدامات الأفراد والمؤسسات لهذه الشبكة، أدى بدوره إلى ظهور نمط الثقافة الرقمية التي يمكن للباحث توصيفها بالثقافة التي تستوجب المهارات والمعارف الضرورية للمشاركة في أهم الأنشطة باستخدامات تكنولوجيات الإعلام والاتصال، والمتمثلة في استخدام الحاسب الآلي ووسائله لاسترجاع وولوج وتخزين وإنتاج وتقديم المعلومات، وكذا الاتصال والمشاركة في الشبكات التعاونية عبر الإنترنت[16].

كما يعرف آخرون الثقافة الرقمية بأنها مقدرة الأفراد على تحديد وتنظيم وفهم وتقييم وتحليل المعلومات والمعارف، باستعمال التكنولوجيا الرقمية، فهي تنطوي على المعرفة العملية بالتكنولوجيات المتطورة، وفهم كيفية توظيفها، وعلى الجانب الآخر يرى فريق ثالث أن "الثقافة الرقمية" قد تكون تعبيرًا عن مميزات حقبة زمنية بعينها، ففي الثمانينيات مثلا كان التعبير الأكثر تداولا هو – الثقافة المعلوماتية – وكانت تعني وقتها الإلمام بالقدر الذي يساعد فئة كبيرة من المجتمع على الاستفادة من الإمكانيات التي يقدمها الحاسب الآلي، وقد وضع وقتها، في بعض الدول، ما يعرف ببيان تطوير مفهوم الثقافة المعلوماتية، ويتمثل هذا النوع من الثقافة في اكتساب معارف ومهارات، تمكن أغلب فئات المجتمع من تملك البيئة أو المحيط الذي يعيشون فيه[17].

وقياسًا على ذلك، وبعد هذه الحقبة التي انتهت بظهور مجتمع المعرفة الذي لم يلغ – وفق رأي الباحث – ما جاء به مجتمع المعلومات، وفي الإطار نفسه وبالمنهجية نفسها؛ انتقل مفهوم الثقافة من المعلوماتية إلى الرقمنة، وأصبحت المجتمعات تبحث عن التأقلم مع مجتمع جديد تنفرد به هذه الحقبة وتميزه تلك العملية التي أساسها المعرفة وتتحكم فيه التكنولوجيات الرقمية للإعلام والاتصال، بوصفها وسيلة وليست غاية[18].

فمجتمع المعرفة بطبيعته يبحث عن أشكال امتلاك هذه الثقافة الرقمية، كما يبحث كذلك عن أدواتها وإستراتيجياتها التي تعد من وجهة نظر الباحث وسيلة مهمة لنشر هذه المفهوم المستحدث – الثقافة الرقمية– بين أفراد المجتمع، ويعد الهاتف المحمول والحاسوب من الأدوات الهامة التي يمكن عدهما كذلك من المميزات الأساسية لهذه العملية، ومن قبلهما الراديو والتليفزيون والتليفون، ثم ظهور شبكة

15– إدريس عبدالنور، **الثقافة الرقمية من تجليات الفجوة الرقمية إلى الأديبة الإلكترونية**، (طرابلس: سلسلة دفاتر الاختلاف، 2011)، ص 19.

16– محمد سيد ريان، **تسويق المنتج الثقافي في عصر الثقافة الرقمية – مفاهيم نظرية وتجارب عملية**، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2011)، ص 38.

17– حافظ محمد الشمري، **الأدب الرقمي بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي – رؤية استشرافية**، (القاهرة: دار الكتاب الأكاديمي، 2020)، ص 73.

18– إدريس عبد النور، **مرجع سابق**، ص 42.

الإنترنت التي جعلت من التكنولوجيا الرقمية، في الوقت الراهن، في أوج مجدها، حيث أصبحت تسيطر على الإنسان بدلا من أن يسيطر عليها، فانتشار هذه التقنيات وبقوة في العالم ساعد حتمًا على انتشار مثل هذه الثقافة، وبالتالي فهدف مجتمع المعرفة وإستراتيجيات إدارتها هو تعميم استعمال هذه التقنيات، من أجل استغلالها في اكتشاف ما تحمله الرقمنة من معارف وثقافات، والعمل على انتشارها بين مختلف فئات المجتمع[19].

وتأسيسًا على ما سبق، فالثقافة الرقمية في أغلب تعريفاتها تستنفذ الثقافة بمعانيها المختلفة، ففي المعنى الضيق تصير تنمية بعض القدرات في إطار استخدام تكنولوجيا المعلومات، كما تعني استنتاجًا، ما هو حاصل نتيجة هذه العملية، وفي معناها الأوسع تكون صفة ذلك الشخص المتعلم لهذه التكنولوجيا، الذي أتم ذوقه وفكره وحسه النقدي وحكمه بواسطة اكتساب معارف هذه التكنولوجيا، وأحيانًا للدلالة على عملية التعليم المؤدية إلى اكتساب الصفات المذكورة أعلاه[20].

وهذه التعاريف للثقافة الرقمية ترتكز من وجهة نظر الباحث على تنمية القدرة على استخدام أجهزة الكمبيوتر والخدمات الإلكترونية وتطبيقات تقنياتها الرقمية المتجددة، بل والترويض الحركي والذهني على التعامل معها وتنمية آليات التفاعل مع ما يعرض على الشاشة وتنمية قدرات الحس الفضولي وتربية الذوق كي يعرف كيف يبحث عما يريد بثقة وإتقان، وأن جوهرها يكمن في تمكين أفراد المجتمع من استخدام التطبيقات الرقمية بكفاءة وثقة لإنجاز أعمالهم الوظيفية أو الشخصية أو واجباتهم ومهامهم تجاه المجتمع، وأن الدخول بالشكل الفني والإبداعي باستخدام الوسائط المتعددة هو إحدى ضرورات الثقافة الرقمية تحقيقًا للتواصل والتفاعلية والتعميم لكل النشاط الإنساني.

كما أن الثقافة الرقمية، بالمعنى التعليمي الاكتسابي التفاعلي، تعد إحدى الأدوات الضرورية للثقافة التقليدية بوصفها نظاما للإدراك الجماعي، وهي أيضًا تعبير عن علاقة المشاركة في المحيط الإنساني العام، كأن تكون طرفًا في تشكيل المجتمع من طريق مجموعة التقنيات والأدوات والوسائل التي مكنت ووسعت قدرتنا على الاتصال؛ من خلال النشاطات الاتصالية والتثقيفية التي نقوم بها في هذا النطاق التشابكي والتي أدخلتنا إلى هذا التطور الرقمي عبر استعمالاتها وتطبيقاتها التكنولوجية المتنوعة[21].

المحور الثالث: العولمة الإعلامية وأثرها في الهوية الثقافية العربية

لا شك أن موضوع العولمة لم يعد الشغل الشاغل لمراكز البحوث والمؤسسات الكبرى والجامعات فحسب، بل تعداها لأن يكون الموضوع الأساس الذي تزخر به الصحف والمجلات والدوريات العلمية ووسائل

---

19 – تي في ريد، **مرجع سابق**، ص 41.

20 – محمد صالح نبتي، سناء بوتجمنت، **الثقافة الرقمية إحدى سمات مجتمع المعرفة: دراسة ميدانية**، بحث منشور، ضمن أعمال المؤتمر الثالث والعشرين – الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء المجتمعات المعرفية العربية، الدوحة، نوفمبر 2012، ص 12.

21 – محمد سيد ريان، **مرجع سابق**، ص 63.

الإعلام الأخرى، حتى أصبح العنوان الرئيس لأهم وأكبر المؤتمرات والندوات العلمية التي عقدت ولا تزال تحاول أن تخترق عوالم هذه الظاهرة التي لم نجمها في سماء القرن الحادي والعشرين، فمصطلح "العولمة الإعلامية" والذي أفرزته الثورة التكنولوجية الهائلة، وزاد من حدته ما نشاهده من انفجار تقنى رقمي واسع، وتنوع في وسائل الاتصال والإعلام الذي ساعد وفق رأي الباحث في نشر ثقافتها، وتوسيع دائرة تأثيرها[22].

فإلى جانب البث الرقمي الفضائي، أصبحت شبكة الإنترنت هي الأخرى فضاءً واسعًا ورحبًا لتداول المعارف والقيم والمشاعر وصياغة المواقف وتشكيل وتبادل الثقافات والسلوكيات في فضاء افتراضي رقمي متنامي، إذ يشار إلى مصطلح "العولمة الإعلامية" على أنه سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدودًا فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية؛ لتقيم عالما من دون دولة أو أمة أو وطن، وهو عالم يمكن أن يسميه الباحث، عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمارة منظومات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات يتسم مضمونها بالعالمية والتوحد رغم تنوع رسائلها التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة؛ لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء[23].

كما يعرفها آخرون بأنها عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع لقدرات وسائل الإعلام والمعلومات بهدف دعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى.

وفى ضوء هذه الأطروحات يرى الباحث أن مفهوم العولمة الإعلامية ينطوي على مجموعة من الأبعاد والمكونات الأساسية التي يمكن أن يوجزها على النحو التالي:

- الاندماج والتداخل بين أدوات العولمة الإعلامية وتقنيات الاتصال ووسائل الإعلام الحديثة: فقد أصبحت شبكة الإنترنت مثلا تحمل عروضًا تلفازية، وتحمل كذلك صفحات المجلات

22 – صابر حارص، **الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير**، (القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع، 2008)، ص 15.

23 – John Christian Feaster, ET. Al. "**Media Richness Perceptions As Impressions of Interpersonal Communication Competence With In The Relational Competence Frame Work**" ،Paper Presented At The Annual Meeting of the International Communication Association ،TBA. Sanfrancisco ،CA. 23 May 2007. Available At: http//www. All academic. Com/meta/p172650-index, html.

والدوريات، ويتم تناول مداخلات المتابعين للبرامج المباشرة التلفازية والإذاعية عبر برامج الإنترنت المتنوعة وذلك في أي مكان في العالم.[24]

- التفاعلية بين أدوات العولمة الإعلامية ومتابعيها: حيث أصبح المتابع لها لديه القدرة على المشاركة الحية والإضافة والتعليق على ما يعرض من خلالها، وأصبح هناك تنافس بين هذه الأدوات في سرعة التفاعل لتحظى بمتابعين أكثر[25] .
- إلغاء الحدود الزمانية والمكانية: حيث لم يعد الزمن أو المكان عائقا في المتابعة، فأدوات العولمة الإعلامية لا تعترف بالزمن، فهو فضاء مفتوح في حدوده وزمانه، فيستطيع أي فرد من الدخول في أي زمان ومكان ومتابعة اهتماماته.
- العالمية: فأدوات العولمة الإعلامية يتشارك في استخدامها العالم أجمع.
- إعلام شبه مؤمرك لا يحترم الخصوصية الثقافية للآخر، كما أنه يعد إعلامًا استهلاكيًا، يعد الجانب الاقتصادي فيه ركيزة أساسية.
- ارتباطه بالشركات الاحتكارية متعددة الجنسية، وذلك من خلال الدعوة إلى تغيير التشريعات والنظم التي تعيق التدفق الحر للمعلومات والصور والرموز بين الدول أو تمنح الحكومات أدوارًا ووظائف إعلامية كالتخطيط والرقابة والمنح الصادرة.

أما على مستوى تأثيرات "العولمة الإعلامية" على الهوية الثقافية العربية فيمكن للباحث القول إنه إذا كانت "العولمة الإعلامية" في جوهرها تعني أن يكون العالم مفتوحا كمجال حيوي اقتصادي وأمني وثقافي يتقاسمه الأغنياء والقادرون دولا وأفرادًا وفق معايير السوق، فمن الطبيعي أن ينتج عن ذلك مجموعة من المتخوفين من تبعاتها وتأثيراتها ومخاطرها التي تتعدى وفق رأيهم المجال الاقتصادي إلى المجالات السياسية والثقافية المتصلة بالمجال السيادي والهوية وأنماط العيش والقيم[26].

ويستند هؤلاء إلى احتمال ظهور التنميط أو التوحد الثقافي، وينطلقون في ذلك من مسلمة نظرية تتمثل في فكرة التأثير الطاغي لوسائل الإعلام التقليدية والحديثة - كالوسائط المتعددة - في حياة الفرد والمجتمع، ولعل أخطر النتائج المترتبة على العولمة الإعلامية تلك المتصلة بمخاطر الاقتلاع الثقافي

24- مؤيد عبد الجبار الحديثي، **العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي**، الطبعة الأولى، (عمان: دار الأهلية للنشر، 2002)، ص 42.

25- Sedigheh Babran, **Media, Globalization of Culture, and Identity Crisis in Developing Countries**, Intercultural Communication Studies XVII: 2008, p212.

26- إبراهيم إسماعيل عبده، **الأمن الفكري في ضوء متغيرات** العولمة، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري"مفاهيم وتحديات"،جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2009، ص 62.

والخوف من فقدان الهوية لدى العديد من الشعوب والأمم والفئات الاجتماعية النامية التي تزداد هامشيتها بمرور الوقت، والتي من بينها للأسف بعض المجتمعات العربية[27] .

فمخاطر العولمة الإعلامية على الهوية الثقافية العربية وفق رأي الباحث إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم على الاستقلال والإرادة والثقافة الوطنية العربية التي تنجرف رغما عنها نحو مزيدٍ من تبعية الأطراف والقوى الثقافية الغربية، وبطريقة لا شعورية وتحت تأثير تقليد المركز والانبهار بثقافته واستعمال طرق تفكيره ومذاهبه كإطار مرجعي للحكم دون مراجعة أو نقد، بشكل قد يتعارض مع دين وقيم وأعراف وثقافة ومثالية وواقعية المجتمعات العربية.

كما يرى الباحث أن هذه الأخطاء لا تقتصر على هذا المدى، بل تمتد لتشمل الثقافة في مجالات أخرى يأتي من بين أهمها [28]:

- خطر التهميش: أي استبعاد الثقافات الوطنية العربية من دائرة المشاركة العالمية من خلال تحويلها إلى ثقافات محلية شعبية أو عامية مما يؤدي إلى جعلها تابعة لغيرها.
- نزع الصفة الحيوية عن الهوية الثقافية العربية وذلك بتحويلها إلى ثقافة تقليدية مقابل الثقافة العصرية، والتقليدية هنا تعني أن الزمن قد تجاوز هذه القيم التي تدعو إليها، مما يعني الجمود والتخلف.
- تشويه صورة الثقافة الوطنية العربية بتحويلها إلى ثقافة همجية لا أخلاقية مقابل الثقافة المدنية، وفي هذا المجال تنسب الثقافات العالمية الكبرى السائدة إلى نفسها كل القيم الإيجابية والإبداعات التاريخية وتنكر ذلك على الثقافات الأخرى.
- تفكك التضامن الاجتماعي، واستشراء وتائر "التفقير"، و"الفردانية"، بالإضافة إلى تفريغ المجتمعات الاستهلاكية التي من بينها المجتمعات العربية من مضامينها الروحية والإنسانية والحضارية، واختزالها إلى مجرد مستهلكين، رغم وفرة الإنتاج وكثافة المغريات، فرغم التخمة البشرية في المجتمعات العربية فإن ثمة محاولات تفريغ متعمدة وفق رأي الباحث للإنسان العربي من هويته العربية والإسلامية على مستوياتها الأخلاقية والحضارية والثقافية.
- كما أن العولمة الإعلامية تسعى من خلال تكنولوجيا الثورة الاتصالية إلى نشر "مبدأ التماثل" وتحميه ليصبح التماثل بذلك أمرًا واقعًا، وتحويل المجتمع إلى كتلة متشابهة، فضلا عن فكرة تنميط الحياة

27- رضوان بوجمعة، **التكنولوجيات الجديدة للاتصال وعولمة الثقافة - الهوية كشرط في الاتصال**، مجلة قطر ومجتمع، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، العدد الأول، يناير 2008، ص19.

28 - ناديس لونيس، **الإعلام الجديد والهوية الثقافية - دراسة نظرية في جدلية العلاقة والتأثير**، بحث منشور، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 31، ديسمبر 2014، ص 32.

اليومية بحكم فراغ ما يسمى "الخيال" الجماعي وخواءه وظهور نمط واحد من الواقع المعيشي يتصف بالتماثل السكوني [29].

- كما أنها تعمل على تنميط المشاعر الإنسانية والتحكم في تشكلّها وفق منطق معين من الأولوية والأهمية، فالتحكم الإعلامي في المشاعر البشرية وتحديد أهميتها وبرمجة أولويتها هو تحكم في الخيال الجماعي وبالتالي التحكم في ثقافات الشعوب.
- كما أن العولمة الإعلامية يمكن أن تسهم وبشكل مباشر في تعميق وظيفة "التشيؤ" بإحلال عالم الموضوعات محل العالم الإنساني، محل الذوات والأشياء محل الأفراد، باختزال القيمة الإنسانية إلى قيمة سلعية [30].
- بالإضافة إلى تأثيراتها الكبيرة في تعميق ثقافة الاستهلاك، وجعل الثقافة مجرد (سلعة) لتسطيح الحياة، فضلا عن تمركز المصادر الإعلامية والثقافية والمعرفية من حيث الإنتاج والتوزيع بكافة أشكاله في الدول التي تحتكر مصدر التكنولوجيا والتقينات المعلوماتية والثقافية والمعرفية. [31]

ومن هنا يجب تأكيد نقطة يعدها الباحث في غاية الأهمية مفادها أن السياسات الثقافية العربية ينبغي أن تشجع على التمكن من تقنية المعلومات الرقمية وإستراتيجيات إدارة المعرفة وتوظيفها، بصورة واعية ومبدعة، في تنمية مختلف أوجه حياة الإنسان، كما ينبغي أن تسهم بفعالية في تجسير الفجوة الرقمية والمعرفية التي تفصل العالم العربي عن العالم المتقدم، ويمكن أن تكون البداية من وجهة نظر الباحث بالشروع في تعميم نواد إعلامية رقمية في مختلف المؤسسات والفضاءات الثقافية، والإسهام في دعم البرامج والأنشطة الرقمية التي يمكن أن تسهم بدورها في نشر الثقافة الرقمية في الأوساط الاجتماعية ولدى فئات المواطنين كلها.

المحور الرابع: مفاهيم الشراكة المنتجة وتكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة ونشر الثقافة الرقمية في عصر العولمة الإعلامية

تبقى إدارة المعرفة بإستراتيجياتها المتعددة وتطبيقاتها النافذة والواسعة وفق رأي الباحث الوسيلة الأقوى لتحقيق طموحات وآمال وأفكار مسئولي القطاع الثقافي بالدول العربية عامة والمملكة العربية السعودية بصفة خاصة في نشر الثقافة الرقمية بين أفراد مجتمعاتها، بالشكل الذي قد يسهم بفاعلية كبيرة في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية وتحقيق التنمية والتبادل الثقافي للقيم والحريات وتلبية احتياجات الواقع الثقافي العربي في ظل العولمة الإعلامية التي تفرض على كافة المجتمعات العربية مجموعة من الرهانات والتحديات التكنولوجية والتقنية والثقافية الكبيرة .

---

29 – مؤيد عبد الجبار الحديثي، **مرجع سابق**، ص 49.
30 – أحمد محمد حجازي، **الثقافة العربية في زمن العولمة**، (القاهرة: دار قباء للطباعة النشر والتوزيع،2003)، ص 63.
31 – إبراهيم إسماعيل عبده، **مرجع سابق**، ص 69.

إذ يتصور الباحث أن أهمية إدارة المعرفة في نشر الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي تتجلى في مساهمتها بشكل مباشر في رفع مستوى أداء مؤسسات القطاع الثقافي السعودي إداريًا ومهنيًا وفكريًا وتحقيق الأهداف المرغوبة من خلال تحسين الإبداع بداخلها، وزيادة الإنتاجية الثقافية وتحسين عمليات اتخاذ القرار، كما أنها تعد فرصة كبيرة لتنسيق الأنشطة الثقافية ومنع ازدواجيتها وتكرارها[32].

فقد دأبت مؤسسات القطاع الثقافي بالمملكة بوجه عام على العمل الدائم على تجديد تقنيتها وخبرتها وكادرها ومنتجاتها الثقافية، والأهم من ذلك نمط تفكيرها في تقديم خدماتها الثقافية على المستوى الرقمي، وقد أثر هذا التجديد المشار إليه بصورة خاصة ومباشرة على هذه المؤسسات وعلى ممارساتها وأنشطتها الثقافية التقليدية والرقمية، وقد انسحب ذلك بدوره وفق رأي الباحث على سماتها الوظيفية وممارساتها التثقيفية في إطار محددات نشر الثقافة الرقمية لتحقيق مجموعة الأهداف التالية[33]:

- جذب رأس المال المعرفي والثقافي والإداري بشكل أكبر وأكثر فاعلية لوضع الحلول للمشكلات التي تواجه تحديث الممارسات والأنشطة الثقافية النمطية.
- خلق بيئة تنظيمية تشجع مسئولي القطاع الثقافي على المشاركة بالمعرفة لرفع مستوى الأداء الفكري والمعرفي والثقافي والمهني له وللآخرين.
- إعادة استخدام المعرفة ومحاولة توظيفها في خلق ممارسات وأنشطة ثقافية حديثة تعظم من دور الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي في ظل متغيرات البيئة الرقمية الحديثة.
- خلق قيمة مضافة للأنشطة والممارسات الثقافية الرقمية المستحدثة لقطاع الثقافة السعودي من خلال التخطيط السابق لها، وإدارة وتطوير محتواها الثقافي والفكري والمعرفي.

وفي ضوء ما تقدم يجدر بالباحث تأكيد أن فكرة نشر الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي تعد واحدة من أهم أولويات رؤية المملكة 2030 التي تشتمل على العديد من الأهداف والبرامج الطموحة والفاعلة للتنمية والاستدامة، ومنها التوجه نحو التقنية الرقمية وتطويعها في العمل الثقافي عن طريق برنامج «التحوّل الرقمي» وهو أحد برامج التحوّل الوطني 2020 بالمملكة، والذي أولت له الحكومة السعودية جلّ اهتمامها لدعم عمليات تحويل البيئة الفكرية والثقافية إلى بيئة رقمية وتمكين أفراد المجتمع السعودي من التفاعل والاستفادة من التقنيات الرقمية الحديثة، وإكسابهم المهارات الشخصية والتقنية اللازمة للاستخدام الإيجابي لهذه التقنية لنشر الثقافة الرقمية بهدف الحافظ على الهوية السعودية وتعزيز موروثاتها، وذلك من خلال دعم وإطلاق بعض المبادرات والمشروعات الثقافية الرقمية

32 – حازم الشرقاوي، **بحث آليات نشر الثقافة الرقمية في أوساط المجتمع السعودي**، مداخلة بحثية، مقدمه لاجتماع المعاهد الأهلية للتدريب، الرياض، مارس 2013، ص 21.

33 – حسن العلواني، **إدارة المعرفة المفهوم والمداخل النظرية**، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العربي الثاني في الإدارة – القيادة الإبداعية في مواجهة التحديات المعاصرة للإدارة العربية– المنعقدة في المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، القاهرة، 2003، ص 73.

الواعدة، في ظل ما يشهده القطاع الثقافي من تطورات تكنولوجية رقمية وتقنيات اتصال حديثة، وما نتج عنها من عوالم افتراضية تؤثر في تشكيل فكر المواطن السعودي ووجدانه وثقافته.

ويخلص الباحث مما سبق إلى أن البيئة الاتصالية الرقمية بكافة أشكالها وتنوع وسائلها، مدعوة في ظل صراع عولمة الإعلام والثقافة، إلى الدخول وبقوة في معركة نشر الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي لمواجهة الغزو الثقافي أو الصراع الفكري، الذي لا يقل أهمية وفق رأي الباحث عن الصراع العسكري، وفقًا لما تفرضه متغيرات المرحلة وتحولات العصر الحديث، ويمكن أن تقوم البيئة الرقمية بهذا الدور بفاعلية عن طريق مجموعة الآليات التالية التي يمكن للباحث إيضاحها على النحو التالي[34]:

- يمكن للبيئة الرقمية توفير عدد متنوع من الخيارات الثقافية والمعلوماتية أمام أفراد المجتمع السعودي، حيث أصبحت وفق رأي الباحث مصدرًا رئيسًا لتلقي المعلومات وتداول المعارف وتبادل الثقافات بكل أشكالها، ولنشر الفكر، والإبداع، والثقافة.
- كما يمكن للبيئة الرقمية أن تساهم في خلق نوع من التقارب الثقافي لأفراد المجتمع السعودي، ومراقبة البيئة الثقافية والمعرفية الدولية.
- كما يرى الباحث أنه بإمكان التقنيات الرقمية تعزيز الصالح العام في الحياة الثقافية للمجتمع السعودي، إذ إن سلبيات هذا التداول الثقافي تجعل المجتمعات تعمل على تحصين أفرادها من خطر ما يتم تداوله من ثقافات رقمية مغايره وسياسات عدائية وشائعات وأخبار مغلوطة.
- كما يمكن للتقنيات الثقافية الرقمية أن تولى اهتماما أكبر للقضايا الثقافية المثارة في المجتمع السعودي بهدف خلق حالة من التفاعل والحوار المجتمعي بين أفراده حولها، بالشكل الذي يثري الحياة الثقافية والجوانب الفكرية والمعرفية للمواطن السعودي.
- ويمكنها أن تتيح المساحة الكافية للمستخدمين من أفراد المجتمع السعودي للمشاركة الثقافية والمعرفية الفورية والتفاعل وبدون انتظار، بالإضافة إلى إسهاماتها الفاعلة في خلق الانتشار خارج الحدود المحلية، مما يحسن إيقاع التداول الرقمي للمعلومات وتبادل الثقافات والمعارف والتحقق من صحتها.
- فضلا عن إمكانية التراسل الرقمي الفوري للأفراد من خلالها والذي يؤدي إلى إنشاء مجموعات كثيرة للتبادل الثقافي الرقمي، والتداول المعلوماتي، والمعرفي الفوري والسريع.

وبناءً عليه يرى الباحث أنه ينبغي الاهتمام بمفاهيم الشراكة المنتجة والبحث عن تكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة ونشر الثقافة الرقمية، ووضعها ضمن أهم أولويات المؤسسات الثقافية السعودية الإدارية والتنظيمية نظرًا لما يمكن أن تحققه لها من فوائد ومكاسب في عملية نشر الثقافة

34 – عبير الحماني، **الإعلام الرقمي الإلكتروني**، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012)، ص 52.

الرقمية في عصر العولمة الإعلامية، ولاسيما إذا ما أحسن توظيفها وتم استغلالها الاستغلال الأمثل في تطوير أدائها وتنمية ممارساتها الثقافية والإدارية والفكرية العصرية، والتي يمكن للباحث إجمالها ختامًا على النحو التالي[35]:

- استثمار رأس المال الفكري والتقني بتيسير الوصول إلى مصادر المعرفة وتنسيق ونشر كافة الأنشطة الثقافية الرقمية وتنظيمها على نحو متكامل يحقق الأهداف.
- الإبداع في تطوير الخدمات الثقافية وخلق ممارسات وأنشطة جديدة يمكن أن تساهم في نشر الثقافية الرقمية، بالتركيز على مواطن الإبداع والابتكار في تقديم المحتوى الثقافي الرقمي الذي يستقطب قطاعا أكبر من الجماهير من مختلف أفراد المجتمع السعودي ويحقق الانتشار على نطاقات جغرافية أوسع داخل المملكة وخارجها.
- التحول إلى مؤسسات عصرية تسعى لتقديم المعارف والمعلومات المتعددة ونشر الثقافات المتنوعة في شكل مستحدث يتسق مع ما تفرضه المجتمعات المعرفية الرقمية التي بات بمقدورها إحداث تغيرات جوهرية في نشر الثقافة بين أفراد المجتمع السعودي لمواكبة المتغيرات المتسارعة والتعقيدات المستحدثة في البيئة الرقمية.
- انفتاح المؤسسات الثقافية السعودية على التغيرات التكنولوجية الرقمية والتحولات التقنية على كافة الأصعدة بمرونة والتكيف معها من حيث الهيكلة ونسق العمليات والتنسيق وإدارة علاقاتها الداخلية والخارجية.
- الاستفادة من إستراتيجيات إدارة المعرفة التي تعتمد على مصادر المعلومات والمعارف ذاتها بوصفها سلعة أو خدمة مستحدثة خاضعة للترويج والنشر واستخدامها في تعديل المنتج الثقافي على مستوى الشكل والمضمون أو إيجاد خدمات تثقفية واستحداث ممارسات وأنشطة ثقافية رقمية جديدة.
- يمكنها أيضًا العمل على تعزيز القدرة للحفاظ على الأداء المؤسسي الثقافي القائم على الخبرة والمعرفة وتحسينه على المستوى العملي والمهني والفكري.
- تحديد كم المعرفة المطلوب في إدارة المؤسسات الثقافية السعودية بأسلوب إداري مستحدث والعمل على تطوير الأداء الإداري لبعض هذه المؤسسات التي لا تزال من وجهة نظر الباحث تبحث عن اتجاه إداري معرفي مهني يمكن تطبيقه أو تقويمه وتطويعه لإحداث التغيير المرغوب في تقديم كافة أوجه الثقافات العربية والسعودية في البيئة الرقمية المستحدثة.

35 – ستوازن صالح دروزه، **العلاقة بين متطلبات إدارة المعرفة وعملياتها وأثرها على تميز الأداء المؤسسي**، رسالة ماجستير، غير منشورة، عمان ، جامعة الشرق الأوسط للدارسات العليا، 2008، ص 52.

- تدعيم الجهود للاستفادة من الكينونات الرقمية الثقافية التي توفرها المملكة لمختلف القطاعات لتوفير أطر عمل تعزز المعرفة التنظيمية وتسهم في نشر مفهوم الثقافة الرقمية بين أفراد المجتمع السعودي.

خاتمة:

لقد أعطى المجتمع السعودي كغيره من المجتمعات العربية كافةً اهتمامًا كبيرًا للقطاعات التي لديها مستوى أفضل وأوضح تميزًا في مجال كيفية الحصول على المعرفة وإدارتها، والتعامل معها وتطبيقها والاستفادة منها، ويأتي من بينها بلا أدنى شك القطاع الثقافي، والذي يبرز فيه وبقوة مفهوم "إدارة المعرفة" ولاسيما في عصر العولمة الإعلامية التي تفرضها تحولات البيئة الرقمية، التي – وكما أوضح الباحث – تشكل أحد التطورات الفكرية المعاصرة التي تهتم بالمعارف والمعلومات والبيانات والثقافات والأنشطة الفكرية المتعددة والعمل على استحداث طرق نشرها رقميًا لتتجاوز بذلك الحدود الجغرافية والزمانية وتتجه نحو ثقافة الشعوب الأخرى.

لذا حاول الباحث ومن خلال مداخلته البحثية هذه أن يبحث عن مفاهيم الشراكة المنتجة وتكامل الأدوار بين إستراتيجيات إدارة المعرفة ودورها في نشر الثقافة الرقمية في المجتمع السعودي بما يتوافق مع معايير متطلبات عصر العولمة الإعلامية التي تبدو متسارعة، ومتلاحقة ومتفرعة إلى أطر تحكمها عوالم افتراضية، ومن هنا ينبغي على السياسات الثقافية العربية بصفة عامة والسعودية بصفة خاصة أن تشجع على التمكن من إستراتيجيات المعرفة والتقنيات الرقمية على حد سواء وتوظيفها، بصورة واعية ومبدعة في نشر الثقافة الرقمية بين أفراد مجتمعها للعمل على تجسير الفجوة الرقمية والمعرفية التي تفصل العالم العربي عن العالم المتقدم.

مراجع البحث:

أولا" المراجع العربية:

- إبراهيم إسماعيل عبده، **الأمن الفكري في ضوء متغيرات العولمة**، المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري "مفاهيم وتحديات"، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2009.
- أحمد محمد حجازي، **الثقافة العربية في زمن العولمة**، (القاهرة: دار قباء للطباعة للنشر والتوزيع،2003).
- إدريس عبد النور، **الثقافة الرقمية من تجليات الفجوة الرقمية إلى الأديبة الإلكترونية**، (طرابلس: سلسلة دفاتر الاختلاف، 2011).
- أمين سعيد عبد الغني، **الثقافة العربية والفضائيات – رؤية إعلامية من منظور منهجية التحليل الثقافي**، (القاهرة: دار إيتراك للطباعة والنشر، 2005).

- برهان غليون، **العولمة وأثرها على المجتمعات العربية**، ورقه علمية، مقدمة لاجتماع خبراء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، المنعقد ببيروت، ديسمبر 2005.
- توفيق سريع علي، **تكامل إدارة المعرفة وإدارة الجودة الشاملة وأثره على الأداء**، رسالة دكتوراة، غير منشورة، جامعة دمشق، كلية الاقتصاد وإدارة الأعمال، 2006.
- تي في ريد، **الحياة الرقمية- الثقافة والسلطة والتغير الاجتماعي في عصر الإنترنت**، ترجمة: نشوى ماهر كرم الله، (الرياض: العبيكان للنشر والتوزيع، 2018).
- حازم الشرقاوي، **بحث آليات نشر الثقافة الرقمية في أوساط المجتمع السعودي**، مداخلة بحثية، مقدمه لاجتماع المعاهد الأهلية للتدريب، الرياض، مارس 2013.
- حافظ محمد الشمري، **الأدب الرقمي بين ضبابية العولمة وتداعيات المشهد الثقافي – رؤية استشرافية**، (القاهرة: دار الكتاب الأكاديمي، 2020).
- حسن العلواني، **إدارة المعرفة المفهوم والمداخل النظرية**، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العربي الثاني في الإدارة.
- القيادة الإبداعية في مواجهة التحديات المعاصرة للإدارة العربية- المنعقدة في المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، القاهرة، 2003.

- حسن العلواني، **إدارة المعرفة المفهوم والمداخل النظرية**، ورقة مقدمة إلى المؤتمر العربي الثاني في الإدارة.
- القيادة الإبداعية في مواجهة التحديات المعاصرة للإدارة العربية- المنعقدة في المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، القاهرة، 2003.

- رضوان بوجمعة، **التكنولوجيات الجديدة للاتصال وعولمة الثقافة - الهوية كشرط في الاتصال**، مجلة قطر ومجتمع، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، العدد الأول، يناير 2008.
- ستوازن صالح دروزه، **العلاقة بين متطلبات إدارة المعرفة وعملياتها وأثرها على تميز الأداء المؤسسي**، رسالة ماجستير، غير منشورة، عمان، جامعة الشرق الأوسط للدارسات العليا، 2008.
- صابر حارص، **الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية من الترغيب والتنويم إلى الصراع والتدمير**، (القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع، 2008).
- عبد الله محمد أبكر، **عولمة الإعلام**، بحث منشور، الرياض، المجلة العربية، العدد (326)، مايو 2006.

- عبد الستار العلي، عامر قنديلجي، غسان العمري، **المدخل إلى إدارة المعرفة**، (عمان: دار المسيرة، 2006).
- عبير الحماني، **الإعلام الرقمي الإلكتروني**، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2012).
- عصام نور الدين، **إدارة المعرفة والتكنولوجيا الحديثة**، الطبعة الأولى، (عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009).
- محمد تركي لبطانية، زياد محمد المشابقة، **إدارة المعرفة بين النظرية والتطبيق**، الطبعة الأولى، (عمان: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، 2010).
- محمد سيد ريان، **تسويق المنتج الثقافي في عصر الثقافة الرقمية - مفاهيم نظرية وتجارب عملية**، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2011).
- محمد صالح نبتي، سناء بوتجمنت، **الثقافة الرقمية إحدى سمات مجتمع المعرفة: دراسة ميدانية**، بحث منشور، ضمن أعمال المؤتمر الثالث والعشرين – الحكومة والمجتمع والتكامل في بناء المجتمعات المعرفية العربية، الدوحة، نوفمبر 2012.
- محمد عبد الحميد، **البحث العلمي في الدراسات الإعلامية**، (القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2000).
- محمد عواد الزيادات، **اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة**، الطبعة الاولى، (عمان: دار صفاء للنشر،2008).
- محمد عواد الزيادات، **اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة**، الطبعة الاولى، (عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع،2008).
- مؤيد عبد الجبار الحديثي، **العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي**، الطبعة الأولى، (عمان: دار الأهلية للنشر، 2002).
- ناديس لونيس، **الإعلام الجديد والهُوية الثقافية - دراسة نظرية في جدلية العلاقة والتأثير**، بحث منشور، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 31، ديسمبر 2014.
- نبيل على، **الثقافة العربية وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، ع276، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، 2001.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- John Christian Feaster, ET. Al. "**Media Richness Perceptions as Impressions of Interpersonal Communication Competence With In The Relational Competence Frame Work**" ،Paper Presented At The Annual

Meeting of the International Communication Association ،TBA. Sanfrancisco ،CA. 23 May 2007. Available At: http//www. All academic. Com/meta/p172650–index, html.

- Sedigheh Babran, **Media, Globalization of Culture, and Identity Crisis in Developing Countries**, Intercultural Communication Studies XVII: 2008.
- United Nations Report, (2004), **Knowledge Management Methodology: Experimental Comparison in Central Sectors in ISQUA State Members**, New York– U.S.A.

اللغة العربية والتنمية: التحديات وآفاق التعزيز
دراسة مقارنة بين النص والممارسات العملية في سلطنة عمان

د. فوزية بنت سيف الفهدية

دكتوراة الفلسفة في اللغة العربية وآدابها

Umsaba76@gmail.com

الملخص:

تعدّ العلاقة بين اللغة والتنمية علاقة انعكاسيّة وتأثيريّة، وهي "تتأكّد اليوم أكثر من ذي قبل في ظلّ اقتصاد المعرفة وعولمة السوق؛ ذلك لأنّ القوّة باتت تستند إلى المعرفة، حيث اكتسبت لغة المعرفة نفوذًا غير مسبوق في عالم الاقتصاد، وتجاوزت اللغة بعدها الإيديولوجي نسبيًا، وابتعدت عن كونها مجرّد جزء من النسق العقدي للدولة، بعد أن اكتسبت سلطة تابعة لتلك التي امتلكتها المعرفة من حيث كونها أحد أعمدة خلق الثروة في الاقتصاد الجديد"[1].

ولئن كان للغة هذه الأهميّة الكبيرة، فإنّنا وجدنا صورة ضبابيّة لسياسة لغوية واضحة المعالم، توظّف الممارسة اللغويّة بشكل يتيح ميلاد لغة علميّة، تعزّز القدرة التنافسيّة للغة العربية في مواجهة تحديات متعدّدة، كالازدواجيّة والثنائية اللغوية السائدة في المجتمع العماني، التي تشق طريقها في المجتمع، بفعل توطيد وجود هذه الثنائية في مؤسسات مختلفة، ناهيك عن السوق الذي يشجع على ذلك.

ونسعى من خلال تجربة هذا البحث إلى خلق تجربة رائدة، وواضحة، تعزّز وجود علاقة بين الهُويّة اللُّغويّة والجانب المعرفيّ لها، ونحاول تقديم أطر مترابطة تجمع بين اللغة العربية والتنمية المستدامة، وكيف يمكن أن تكون اللغة العربية أحد أعمدة الدعم في التنمية الشاملة والدائمة، وذلك من خلال الإجابة عن أسئلة مهمة مثل: أيّ تنمية نستهدف؟ وما دور اللغة في تحقيق أهداف التنمية؟ ولماذا اللغة العربية؟ ولماذا نمارس التنمية بلغة أخرى غير العربية؟

وفي الوقت الذي نبحث فيه عن أهمّ التحديّات التي تعيق وجود هذه السياسة اللغويّة الواضحة للتنمية المستدامة، نرجو أن نوفق في فتح آفاق لتعزيز وجودها، وممارستها على المستوى الاجتماعي، والمستوى العلميّ والمعرفيّ، من خلال ما يدور في البعد الثقافيّ للتنمية المستدامة، ومحاولة فهم بعد التنمية

[1] – حساني (محمد عمر)، اللغة والتنمية: المعيقات والمحفّزات، مجلة آفاق علمية، المجلد ١١، العدد ٢، ٢٠١٩، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الجزائري، ص٥٤٤

الفلسفي في كل أمّة؛ لنفهم تأثير اللغة العربية في صنع هذا الدور، سواء أكان ذلك من خلال الخطاب، أم من خلال رقمنة اللغة.

الكلمات المفتاحية: المستوى الاجتماعي للغة – المستوى العلمي للغة – التنمية – التحديات – آفاق تعزيز اللغة العربية

المقدّمة:

يغفل الكثير من الدول عن نقد الاتفاقيات الدولية التي قد توقّع عليها، وتصادق تلك الدول على تنفيذها، وتتناسى أنّ تلك الاتفاقيات تلزمها بممارسات قد لا تتواءم مع طبيعة المجتمع، أو الفلسفة التي تنبثق منها دساتيرها وأنظمتها التي استلت من مصادر التشريع، كما تغفل العوامل المشاركة التي تحفظ لها هويّتها، وشخصيّتها الاعتبارية بين الدول، إذ إن العقل والمنطق يلزمنا أن نتابع ما نسنّ من قوانين، وما نقر من مشاريع، ونتابع مدى صلاحيتها ونفعها على أرض الواقع؛ لنعزز جدواها وفوائدها، ونعدّل مسار تطبيقها، وفق معطيات العصر والواقع، ونجمع ما أفرزته من سلبيات لنتداركها، ونسير فيها سيرا يقلل من الأضرار، ويعزز من نجاحاتها والأهداف التي حقّقتها.

تقع اللغة -باعتبارها وعاء التنمية، ووسيلتها التواصلية الحقيقيّة- موقع التأثير المباشر الذي يخدم التنمية، ويحمل مخزون التراث الثقافي الذي يمثله المجتمع الإنساني في أي بقعة، كما أن اللغة وسيلة التواصل الذي يفسر أهداف التنمية، ويثبت مشاريعها ويوثّقها، ولنا أن نراهن على أن للغة أثرها الكبير في نجاح أهداف التنمية، وصياغة استدامتها عن طريق الخطاب التنموي الكبير الذي تستقطب به المؤسسات والأفراد على حدّ سواء، فالحكومات لا تنجح دون دعم من مجتمع، فهم أهداف التنمية، وسعى مع المؤسسات إلى تحقيق الأهداف؛ لأن الفرد هو هدف التنمية، ووسيلتها في الوقت نفسه.

وفي هذا الإطار، ننظر إلى اللغة وكيفية العلاقة التي ربطتها بالتنمية المستدامة من منظور علمي ومنهجي، نسعى فيه إلى استقراء الأهداف، والبرامج الدولية، والخطط المحلية، التي صاغتها حكومة السلطنة، ومدى مطابقة ذلك للواقع الملموس الذي يظهر في شكل عمل للمؤسّسات، وبرامج ومشاريع تنفذ على الأرض، يتفاعل معها المواطن، من أجل المواطن ذاته، وسنحاول في خطة منهجيّة علمية نقدية أن نرى: كيف تكون اللغة عاملا أساسيا مؤثرا في نجاح خطط التنمية؟ وكيف تتحول التنمية من مجرد مشاريع مادية إلى مؤسسات مؤثرة، تؤدي خدمات مستمرة، تنعت بها خطط التنمية المستدامة التي من شأنها أن تجدد من ثوبها وتخلق آفاقا جديدة باستمرار لتتصف بعد ذلك بالتنمية المستدامة؟

ومع مطابقة الواقع بالنظام الأساسي في عمان، وجدنا إشكالية تتلخص في ضبابية تنفيذ بعض مواد النظام الأساسي، إذ وجدنا بعض المؤسسات التعليمية تدرس المعارف بلغة غير اللغة الأساسيّة التي

أقرها النظام الأساسي للدولة، فوضعنا أسئلة نسعى من خلالها إلى تفسير ما نقوم به على أرض الواقع، في مقابل الدعوات إلى تعزيز الهوية الوطنية للبلاد.

إنّ هذه الازدواجية قد تخلق تشتيتا لجهود التنمية، وتوجه الأهداف إلى مسالك غير مثمرة، قد تضيع من خلالها جهود كثيرة، دون الوصول إلى منجزات ملموسة وواضحة، فالسياسة الواضحة في التنمية، هي الوحيدة التي يمكن أن نلمس لها إنجازات بارزة، وقد انبثق من هذه الإشكالية التي لمسناها مجموعة من الأسئلة المهمة التي يجب أن نسألها في هذا المقام، من منطلق علاقة اللغة بالتنمية المستدامة، وسوق المعرفة:

فما المعرفة أو المعارف التي نمتلكها في مجتمعنا، ونستطيع استثمارها في التسويق؟

وما العلاقة بين اللغة والمعرفة؟

وما اللغة المناسبة التي يمكن أن تعكس معرفتنا وتوصلها للعالم؟ وهل اللغة مهمة لتكون وسيلة تسويق لمعرفتنا، وثقافتنا، وتراثنا الفكري والمادي؟

إذن ما دور لغة المعرفة في تنمية الاقتصاد، وزيادة الاستثمار لتنمية الاقتصاد الوطني لأي بلد؟

وهل ممارساتنا العملية في الواقع تطابق رؤانا؟ وما خططناه في دساتيرنا، ونصوص خططنا التنموية؟

والحقيقة أنّ البحث عن إجابات لهذه الأسئلة تلزمنا في تناول اللغة، باعتبارها وسيلة المجتمع في نقل ثقافته، وتراثه، والتعريف بهويّته، وشخصيّته الاعتبارية والحضارية؛ لهذا نظرنا إليها من منظور تداولي تواصلي، يهتم بأسس الخطاب اللغوي، ويهتم بأطرافه الأساسية:

المرسل الرسالة المرسل إليه

هذا الثالوث يرسم لنا قيمة الخطاب اللغوي الذي ترسله التنمية لأبنائها الذين توظفهم لتنمية أنفسهم، وصنع مستقبلهم الحقيقي على أرضهم التي أمروا ليعمروها. وهذا هو جوهر التنمية المستدامة الحقيقي الذي يجب أن نعيه ونسير عليه.

وقد جاء المنهج الذي انتهجناه منهجا مقارنا يوازن بين النصوص الخاصة بالإستراتيجيات التخطيطية لعمان، والممارسات العملية التي تقوم بها المؤسسات والسوق، والحياة الاجتماعية للأفراد والمجتمع في سلطنة عمان، وهو محاولة للاقتراب من فهم الواقع، ورصد جوانب الإنجاز والقصور لدينا؛ لنعيد تشكيل رؤانا، ونبصّر أنفسنا بخطط وبرامج تسعفنا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بحول الله.

المبحث الأول: علاقة اللغة بالتنمية

لولا اللغة لما وصلَتنا تراكمات التجارب الإنسانيّة، والتراث الثقافي الكبير، الذي انطلقنا منه لنعبّر عن ذواتنا، ونتعرّف هويّتنا، ولنستلهمه في صياغة تجاربنا ومشاريعنا؛ لهذا أكّد "اللغوي أندرسون أن اللغة:

الأساس الصلد الذي تقوم عليه قصّة الأمّة"[2]، ولئن كان بعض الدارسين يقول بجدليّة العلاقة بين اللغة العربية والتنمية المستدامة، في شعوبنا العربية، من خلال ازدواجية لغات التعليم وتعدد اللهجات واللغات، فإن هناك باحثين يؤكّدون التأثير العميق للغة في التنمية، ذلك لأنّ "لغة الإنسان تعدّ منطقة سريّة تضمن له توازنه وانسجامه الاجتماعي والثقافي"[3] ، ولهذا وجب أن نبين الجانب الاجتماعي والثقافي للغة، وما يحققه ذلك من إشباع نفسي، وامتلاء فكري نفسي للذات المتكلمة والمعنية بتنفيذ خطط التنمية، وحصد ثمارها. ولا يتحقق هذا الإشباع النفسي إلا من خلال الشعور بالانتماء إلى هُويّة محدّدة لها مقومات تضمن للذات الإنسانية كرامتها وعزّتها، وتشعرها بالفخر لانتمائها إليها، هذه الهُوية تكون اللغة هي أولى عناصرها.

1. مستويات اللغة: -

أولا: المستوى الاجتماعي للغة

يأخذ علم اللغة (اللسانيات) في الاعتبار العلوم الأخرى في دراسته للظواهر اللغوية، وهو ما جعل علم اللغة يتقارب مع العلوم الأخرى الإنسانية والتطبيقية، وينتج عن ذلك التقارب ما يسمى في الدرس العلمي بالعلوم البينية، فاللسانيات تُعنى بدراسة الظواهر اللغوية، وما يتّصل بها من مناحي الاتصال بالعلوم الأخرى؛ لهذا نجد اللسانيات الاجتماعية، واللسانيات الثقافية، واللسانيات النفسية، واللسانيات العصبية، واللسانيات الجغرافية، واللسانيات التربوية، وغيرها من العلوم التي اتصلت بعلم اللغة في الوقت الحاضر، وأهمها الآن اللسانيات الحاسوبية، التي ترفد الذكاء الاصطناعي ببحوثها، وإسهاماتها التي تستفيد منها برامج التنمية.

تنقسم اللسانيات الاجتماعية، أو علم اللغة الاجتماعي قسمين أساسيين: الأول سوسيولوجية اللغة، وهو العلم الذي يعنى بدراسة اللغة في سياقها الجغرافي، أو ما يسمى بالخريطة اللغوية، والثاني هو سوسيولسانيات اللغة، وهو العلم الذي يهتمّ بدراسة أشكال اللغة الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية، وينظر علم اللغة الاجتماعي إلى اللغة على أنها بنية متفاعلة ذات ارتباط بوظائف اجتماعية وثقافية، ويرى أنها ظاهرة تربطها قوانين وعلاقات بالمجموعات البشرية.

ويدرس علم اللغة الاجتماعي اللغة في مجتمع ما، وفق ما يظهر فيه من مؤثرات الجنس، والعرق، والطبقات الاجتماعية، وما يؤثر فيه من المعتقدات، والمبادئ، والأفكار، كما يدرس تبادلية التأثير بين اللغة والمجتمع؛ لأنّ اللغة تسهم في تغيير سلوكيات الفرد والمجتمع بشكل عام.

---

[2] – حساني (محمد عمر)، اللغة والتنمية –المعيقات والمحفّزات– مجلة آفاق علمية، مجلد ١١، العدد ٢، السنة: ٢٠١٩، ص٢٤٠

[3] – حساني، المرجع السابق نفسه، ص٢٤٠

وتتعدد مشارب الدرس اللغوي في اللسانيات الاجتماعية، وفق طبيعة الدراسة، فإذا اهتم الباحث بدراسة اللهجات والإنثولسانيات، فإنه يؤدي بذلك مهمة السوسيولساني في إبراز العلاقات الممكنة بين تنوّع الظواهر اللسانيّة والاجتماعية وضروب التأثير المتبادل بينها، آخذا بعين الاعتبار حالة المتكلم ووضعيّته الاجتماعية، وأصله ومهنته بوصفها معطيات اجتماعية مرتبطة بإنجازاته اللغوية.

أمّا إذا درس اللغة المستعمَلة في المجموعات اللغوية، أي اللغة اليومية الدراجة، فإنه يؤدي بذلك دور السوسيولساني، فينظر للغة باعتبار من يتكلمها، ووفق أي سياق يقولها، ويهتم في ذلك بالجانب التأثيري للغة في السياق الاجتماعي الذي تشتغل فيه. لكن الأمريكي فينيغان جمع بين النظرتين، وبحث في اللغة المستعملة التي يتحدث بها الأفراد يوميا، وقد أخذت طابعا تأثيريا في التفاعل الاجتماعي سواء أكانت منظومة (شفهية) أم مكتوبة في نص. وهذا ما يتجلى لدينا الآن في الرسائل التي تبثّ عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي المتنوعة، في صورة سيطرة مفردة يتم تداولها بكثرة، وتأخذ ذلك الزخم التأثيري في عموم المتلقين في المجتمع.

ويعدّ علم اللغة الاجتماعي علما مدنيّا نسبيًّا، ظهر مع ظهور البنيوية في أوروبا، وارتحل كذلك إلى الشطر الأمريكي، فتنوعت الدراسات فيه، واختلفت بين مدرسة وأخرى.

ثانيا: المستوى العلمي للغة

تعاني اللغة العربية من التهميش والتقصير من جانب أبنائها، وهم بذلك يمثلون مجتمعات شاذّة عن باقي المجتمعات التي تسعى إلى التّمسّك بلغاتها من خلال دعوات التعصّب للغات والاعتزاز بالخصوصيّة والهويّة. وفي حين يثني العديد من المستشرقين على العربية، ويؤكّدون كفاءتها وعبقريّتها، ويصفونها باللغة التي حوت جوامع الكلم والسمو في الفكر، واللغة الحمّالة للثقافة المتجذّرة وقيم الفتوّة والمروءة، نجد أبناءها على النقيض من ذلك. كما تحدث هؤلاء المستشرقون كثيرا عن سماتها المتفرّدة مثل تميّزها، كالجرس الموسيقي، واتصافها بالمرونة والحيويّة، وقدرتها على التكيّف مع مقتضيات العصر، وهي صفات جعلت منها لغة لها كيان مستقلّ تستطيع أن تحتفظ به في كل زمان ومكان.

"وتعدّ اللغة العربية من أكثر اللغات شيوعا وانتشارا، فهي مستعملة لدى ما يزيد عن ٤٢٥ مليون نسمة، وفقا لدراسة لمنظمة الأمم المتحدة. وعلى الرغم من انتشارها الواسع، فهي لغة موغلة في القدم، مما يدفع إلى التساؤل الطبيعي عن مدى قابلية العربية للتكيّف مع تحديات العصر."[4]

إن النظر إلى سمة المرونة والحيوية التي تتصف بها اللغة العربية يدفعنا إلى أن نجزم بعبقرية هذه اللغة في استيعاب شتى العلوم وفي أوسع الحدود، " فهي لغة عبقريّة تحمل في جنباتها أدوات اشتقاقيّة

[4] – www.mabarrat.org.ib, اللغة العربية والتطور العلمي والفكري، قرأ بتاريخ: ١٨/ ١٠/ ٢٠٢١

ساهمت إلى أبعد الحدود في جعلها أثرى لغة عرفتها البشرية من حيث عدد جذور كلماتها البالغة ستة عشر ألف جذر، مقابل ألفي إلى ثلاثة ألاف جذر عند معظم اللغات الحيّة الأخرى "[5] هذه المرونة والقدرة علي الاستيعاب مكّنتا العلماء المسلمين في عصور تاريخية سابقة من ترجمة التراث الفكري، واستيعابه لأهم حضارتين سبقتا حضارتهم، وهما الحضارة الفارسيّة والحضارة اليونانيّة. وبفضل عمليات الترجمة والتعريب الواسعة في العصرين الأموي والعباسيّ، تمكّن المسلمون من التقدم في العلوم التطبيقية والإنسانية بخطى متسارعة، معملين تفكيرهم الناقد فيما نقلوه من علوم، ومكملين طريق البحث والتجريب، موظفين في ذلك الملاحظة العلمية الدقيقة والمنهج العلمي الخاص.

هذا الغنى الذي تتميز به العربية، والذي جعل معجمها يستوعب ما يناهز النصف مليون كلمة، يؤهلّها لأن تكون " مطواعة، وجدّ دقيقة؛ لأنها ساهمت لقرون عديدة في نقل المعرفة البشرية، ومثلت عملية نقلها للعلوم قفزة نوعية، جعلت منها حلقة وصل بين الحضارات القديمة والحضارة الغربية التي اقتبست من التراث العلمي الإسلامي الشيء الكثير خلال عصر التنوير في أوروبا، ودفعت الشباب الأوروبي إلى تعلم العربية والتباهي بإتقانها آنذاك، هذه العلوم التي نقلت عن العربية ما زالت تدرّس حتى القرن التاسع عشر، ككتب ابن سينا في الطب، والخوارزمي في الرياضيات، وابن الهيثم في الفيزياء.

إنّ اللغة التي نتحدّث بها في حياتنا، قريبة كل القرب من الفصحى ولغة العلم، وهي اللغة التي نفكّر بها، فإذا استخدمنا اللغة العربية في جميع شؤون حياتنا اليومية، علمية، أو شخصيّة، أو مهنية، فإننا – من دون شك – سوف نفكّر بها، وننتج بها، فاللغة لا تنهض من دون نهضة أبنائها، ورغبتهم في استعمالها وتوظيفها، ولا نستطيع أن نحمّل اللغة العربية مسؤوليّة التراجع الفكري والركود العلمي للعرب؛ لأنّ اللغة هي وعاء نقل الإنتاج ووسيلته، سواء أكان ماديا، أم فكريا، ولن تعجز العربية عن فعل ذلك، إذا ما نهض أبناؤها، وزاحموا الآخر في الإنتاج الفكري والعلمي والتقني.

وبالنظر إلى فلسفة التعليم في سلطنة عمان نقرأ أنها "ترمي إلى تكوين الإنسان المؤمن بالله تعالى، والمتمسّك بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه، والمخلص لوطنه وسلطانه، والقادر على فهم مجريات العصر، وحسن التعامل معها، والممتلك لمهارات التفكير العلمي والحياة العملية الإيجابيّة، المسهم في التنمية المستدامة في القطاعات المختلفة بالمجتمع العماني"[6]. هذه المادة تهدف إلى التكوين المتكامل لشخصية المواطن العماني، دون الإشارة إلى الوسيلة والوعاء اللذين يهيأ بهما هذا المواطن الصالح، بوصفه مخرجا نهائيا من عملية التعلم، هذا التغافل عن الوسيلة أو القناة التي يحول بها الإنسان

[5] – المرجع السابق نفسه، ص٢

[6] – وزارة التربية والتعليم، فلسفة التعليم في سلطنة عمان، الأمانة العامة لمجلس التعليم، ٢٠١٧، ص١١

الخام إلى شخص صالح، يدرك فكريا كل العوالم الفكرية والعلمية التي تحيط به، لم تناقش أبجديات هويّته، ولم توضح وسيلة نقل المعرفة إليه.

لهذا نشأت العملية الازدواجية في القنوات الموصلة لهذه المعرفة؛ فتعددت اللغات الناقلة، وتوسعت الدائرة بوجود المدراس التي تعددت مسمياتها، وتشعبت أهدافها ومقاصدها، فوجدت المدارس الدولية والمدارس العالمية، والمدارس ثنائية اللغة، ناهيك عن وجود ازدواجية لغوية في بعض المجتمعات المدنية والبدوية في عمان، مثل وجود اللغة السواحيلية، واللغة البلوشية، واللغة المهرية، والجبالية، والكمزارية، وغيرها. هذه اللغات استوعبتها عمان وفق معطياتها الحضارية التي أفرزتها المعطيات التاريخية والجغرافية لسلطنة عمان، وهو ما يفرض علينا النظر إلى خصوصيّتها اللغوية والحضارية بشيء من التحليل الخاص للمعطيات التي تجعلنا نضع لها السياسات التعليمية الناجعة، ولا سيما ما يتعلق بتدريس اللغات، والاعتزاز بالهوية الوطنية الموحدّة.

2. مفهوم التنمية

جاء في لسان العرب "نمي: النماء: الزيادة، نميًا ونميًا ونماءً: زاد وكثر، وربما قالوا: ينمو نموًّا."[7]، ومعنى الزيادة وارد في تنمية الأفراد والمجتمعات، في زيادة المعرفة، وتطوير ممارسات الأفراد والمجتمعات.

أما على مستوى الاصطلاح فقد ارتبط اللفظ بالجانب الاقتصادي أكثر، مقارنة بجوانب الحياة الأخرى؛ ولهذا نجد تعددا في التعريفات التي تناولت التنمية من جوانبها المتعددة، وذلك تبعا للمنهج العلمي المتبع، والمجال الذي يهتم بدراستها، ومناقشة أهم عناصرها. فعلى المستوى الاقتصادي تعرّف التنمية بأنّها "عمليّة تغيير شاملة، في إطار نموذج تنموي، يحقّق الاستدامة الاقتصادية، والاجتماعيّة، والثقافية، والسياسيّة، والبيئيّة، التي تضمن ترقية الكفاءة الاستخداميّة للموارد، وتزيد القدرة الإنجازيّة في تلبية الاحتياجات الحاليّة والمستقبليّة"، إذن لا يمكن أن نغفل أن التنمية إنما هي عملية معقّدة وشاملة، تضمّ جوانب متعدّدة، كالجوانب: السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والإديولوجية.

في حين عرّفت الأمم المتحدّة التنمية بوصفها مصطلحًا مهمًا، تسعى إليه جميع دول العالم منذ عام ١٩٥٦م، وقالت إنّها " العمليّات التي بمقتضاها، توجّه الجهود لكلّ من الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافية، في المجتمعات المحليّة لمساعدتها على الاندماج في حياة

[7] – ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري)، لسان العرب، ج١٣، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨، مادة (نمي)

الأمم، والإسهام في تقدّمها بأفضل ما يمكن"[8]، إذن فالتنمية المستدامة لا تقتصر على التحسين والتطوير، بل تتعداه للمساهمة في رقي الأمم وتقدّمها، وبهذا تنقل التنمية المستدامة أي دولة من مرحلة النمو الخاصة إلى مرحلة التقدم العامة. لكن ذلك لا يلغي خصوصيّتها، ومحافظتها على هُويّتها وتميّزها في الأداء.

كما أن التنمية هي عمليات مشتركة بين جهات التخطيط والتنفيذ والمجتمع المحلي، يقوم كل طرف منهم بدوره المنوط به، ويمارس صلاحياته وفق الخطط والبرامج التي تضمن مصلحة الوطن، وتعمل بالتوازي مع تحقيق أهداف التنمية، كما أنّ التنمية لا تتصف بالاستدامة إلا إذا كان الأطراف قد أجمعوا على أهمية تلك البرامج، وفائدتها بعيدة المدى، التي تثمر رخاء وعزا للبلاد والمجتمع، وتخلق فرصا، وتفتح أبوابا لتجدد البناء والإعمار في البلاد، وفي تنمية الإنسان على أرض الوطن.

إذن ما علاقة اللغة العربية بالتنمية المستدامة في ظل هذه التعريفات؟

لقد نشأت العربية في حضن التجارة، فقد كانت الأسواق الأدبية تقام في مواسم الحج، وفي قدوم القبائل إليها لأداء تلك المناسك، تقام عرصات اللغة والشعر والخطب هناك، وهو ما أدى إلى تنمية ثروتها اللفظية والدلالية، ونمو مصطلحاتها من خلال التعاملات التجارية التي كانت تتمّ بين القبائل في أرجاء الجزيرة العربية. أو عن طريق احتكاكهم بالشعوب المجاورة لهم في قوافل رحلاتهم التجارية الموسمية، ومنها رحلتا الشتاء والصيف مع عرب الشام وعرب اليمن، المذكورتان في القرآن الكريم.

إذن فقد رافقت العربية ازدهار هذه التجارة وحياة هذه الأسواق، ولم يعقها أمر لتكون لغة التعامل التجاري بينهم، فلماذا تتعرض للإقصاء اليوم؟ السبب واضح، وهو أن أبناءها لم يعد لهم الإنتاج الذي ينافسون به.

ومما لا شك فيه أن تحديد القيمة السوقية للغة ما إنما يرفعه مستوى الإنتاج وجودته، سواء أكان هذا الإنتاج يدويا، أم تقنيا، أم فكريا. وإذا قارنا اليوم بين اللغة الصينية واليابانية، نجد أن الرغبة في تعلم الصينية ليست شديدة، رغم أن لها جماعة لغوية ضخمة، ولها تراث ثقافي عميق، في حين تحظى اليابانية برغبة شديدة في تعلمها، بوصفها لغة أجنبية، ارتفعت قيمتها السوقية بسبب إنتاجها التقني الجيد والمرغوب فيه في العالم، وهو ما أهلّها لتكون شريكا تجاريا مهما للعديد من الدول في القارات المختلفة.

إذن علينا أن نعيد ثقتنا بلغتنا، ونصلح مواطن الخلل بمواجهتها، بوضع أيدينا عليها لتجاوزها، لنعلي من القيمة السوقية للغتنا، وننهض بها من جديد.

[8] – صالحي (صالح)، التنمية المستدامة والكفاءة الاستخداميّة للثروة البترولية في الجزائر، مداخلة في المؤتمر الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية، ص٨٥

التحديات التي تواجهها اللغة العربية في علاقتها بالتنمية المستدامة

إن جدليّة العلاقة القائمة بين اللغة والتنمية، قد خلقتها التحديات التي تواجهها اللغة العربية، والازدواجية، والتراجع الحضاري الكبير لأمة اللغة العربية لأسباب كثيرة، وهو ما جعل المسألة تطفو على السطح لتصبح إشكاليّة يعاني منها المنظرون والمخططون لبرامج التنمية المستدامة، فلغة التكنولوجيا تفرض علينا دراسة لغة الغرب المتقدم بأشواط علينا في هذا الجانب؛ لأنه من يصنع أدوات التقانة والحضارة بلغته، وهو ما فرض تدريس اللغة الإنجليزية في مراحل التعليم المبكرة، ليتمكن منها مستخدمو التقانة في المستقبل، وهذا ما وجّه جهات التخطيط لاعتماد أمر تعليم الإنجليزية في مدارسنا، وتشجيع البرامج الدولية على المساهمة في برامج التعليم بجميع مراحله ومستوياته. هذه المسألة خلقت أزمة هوية، وإشكالية في ازدواجية اللغات، وهذا ما يراه ويؤكده كثير من المفكرين والدارسين، ولنمعن النظر في المسألة فإننا سنستعرض التحديات التي تواجهها العربية في بلداننا العربية، ولتكن السلطنة أنموذجا ومنظارا؛ لنقيس مدى وجود هذه الإشكالية في مجتمعنا العماني.

تواجه اللغة العربية عصر العولمة، بكلّ ما تحمله من وسائل الهيمنة في المجالات الاقتصادية والثقافيّة والإعلاميّة والتكنولوجية، مما عمل على اكتساح غير مسبوق للغة الأجنبيّة من جانب، وعلى تحدي اتّساع العاميّة على منابر تواصليّة مهمة، كانت تشغلها العربية من قبل، وهو ما أدّى إلى تهميشها، ونعتها بالتخلّف والركود، وصعوبة التعلّم، ونتج عنه عزوف كثير من أبنائها عن تعلّمها، وعن التفكير بها وفيها.

إنّ عملية التفكير باللغة، من أهم مشاغل العلوم المعرفيّة، والدراسات الخاصّة باللغة، وتشريح الدماغ، فالعلاقة بين اللغة والتفكير هي في الحقيقة علاقة جدليّة كذلك؛ لأن هذه المسألة تدخل في صلب صياغة واقع الأمّة، فاللغة أداة تعلّم، ووسيلة تعبير في الوقت نفسه، هذه العلاقة الجدلية تقودنا إلى البحث عن علاقة اللغة بالهويّة، فاللغة ليست ألفاظا وتراكيب، يستخدمها الناس للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم فقط، وإنما تتجاوز ذلك "لتكون مرتكزا أساسيًّا من مرتكزات الأمة، وأنّ عدم إدراك أهميّة اللغة ودورها في البناء الحضاري وإنتاج المعرفة، يقود إلى حالة من التقهقر والتبعيّة، ولا يمكن بالتالي تحقيق الاستقلال الحقيقي، والحفاظ على الهويّة القومية، وبناء المستقبل، دون الالتفات إلى أهمية اللغة في تأسيس البناء الثقافي للأمّة"[9].

وقد أجملت معظم الدراسات السابقة الصعوبات والتحديات التي تعاني منها العربية، التي يمكن أن نجملها فيما يأتي:

---

[9] – القصراوي (مها حسن يوسف)، واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير، www.alarabiahconferences.org قرئ بتاريخ ٣١/ ١٠/ ٢٠٢١

١-زحف العاميّة - وما يوجد لدينا من تعدد لغوي في بعض الأماكن - واحتلالها مساحات من حياتنا العامة اليومية.

٢-مزاحمة اللغات الأجنبية للفصحى في ميادين التعليم، وفي مجالات حيوية في الإدارات وقطاع الاقتصاد والأعمال بالتحديد، وفي بعض المناحي الاجتماعيّة.

٣-الهجمة الشرسة للعولمة بوسائلها التقنية التي تتمثل في الأجهزة، والإعلام، والاتصال، والرقمنة، والإنترنت.

٤-اتهامها بالركود والتخلّف، وأنها ليست لغة مناسبة للعصر والعلم والمعلوماتية.

وفي كتاب مهم عن التحديات التي تواجه اللغة العربية في العصر الحديث، تحدث محمد رفعت في كتاب حمل هذا العنوان عن حصره لهذه التحديات، وقد قسمها إلى: تحديات داخليّة، وتحديات خارجية، تتمثل التحديات الداخلية في كون الأمة تعاني من أزمة حضاريّة عميقة، المسؤول الكبير فيها الاستعمار بوسائله وأساليبه وخططه، وذلك لأنّ الغرب يدرك أن العربيّة الفصحى هي وجدان العرب وهويّتهم، فضرب الفصحى هو ضرب لهذه الهُويّة. أما التحديات الخارجية فتتمثل في مزاحمة اللغات الأخرى، والغزو الفكري الذي يمارسه الآخر علينا بصورة يومية، وعبر وسائل متعددة تستهدف جميع الشرائح والفئات.

ولمحاولة فهم ذلك وموازنته مع الخطط التنموية التي بدأت في عمان، منذ بداية النهضة الحديثة عندما تولى جلالة السلطان قابوس بن سعيد بالمعظّم – طيب الله ثراه- الحكم، وبدأت خطط التنمية بالصياغة والتنفيذ على شكل حزم خمسية، تمتد الخطة الواحدة منها خمس سنوات، كانت البداية في عام ١٩٧٥م عندما انتهت حرب الجنوب في ظفار.

وقد انبثقت من تلك الخطط فلسفة عامة للتعليم، على أساس رعاية الخطط التي كان نشر التعليم وتمكين العمانيين من الحصول عليه من أهم منطلقاتها وأهدافها، وتؤكد مواد فلسفة التعليم مبدأ الهويّة والمواطنة، فقد جاء في مبادئ هذه المادة " تعزيز المواطنة والهُويّة العمانية، انطلاقا من الأهداف التالية: ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتأصيل منهج الوسطية في الدين بسلوك الطلاب، وإتقان اللغة العربية والاعتزاز بها، والاعتداد بالهُويّة والتاريخ العمانيين، وترسيخ الانتماء للأمّة العربية والإسلامية"[10].

إنّ عملية وضع هدف لإتقان اللغة العربية، والاعتداد بها، لهو ترجمة واعية لفكر يعي أهمية اللغة العربية في تعزيز الهوية الوطنية لأبناء هذا البلد، إذ استمدت مجمل مبادئ فلسفة التعليم فيها من مصادر مهمة هي: الدين الإسلامي، والفكر السامي لجلالة السلطان قابوس – رحمه الله- والنظام

[10] – فلسفة التعليم في عمان، كتيب منشور في موقع: www.educouncil.gov.om، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص١٤- ١٧

الأساسي للدولة، والحضارة العمانية، والمجتمع العماني بخصائصه واحتياجاته وطموحاته، والرؤية المستقبلية للدولة، والفكر التربوي المعاصر وخصائص المتعلم، والقضايا العالمية المعاصرة. ويأتي هدف إتقان العربية متماشيا ومنسجما مع المبادئ الأخرى؛ لأنه يعززها، ويساعد على تحقيق أهدافها، ولا سيما وهو يأتي ليكون ثاني مبادئ الفلسفة، بعد التعلم المتكامل للمتعلم. ففلسفة التعليم في عمان "ترمي إلى تكوين الإنسان المؤمن بالله تعالى، والمتمسّك بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه، والمخلص لوطنه وسلطانه، والقادر على فهم مجريات العصر وحسن التعامل معها، والممتلك لمهارات التفكير العلمي والحياة العملية الإيجابية، المسهم في التنمية المستدامة في القطاعات المختلفة بالمجتمع العماني"[11].

هذا التوازن الجيد بين مبتغيات سياسة التعليم ومبادئها، واتساقها مع المصادر المنبثقة منها، يساعد بصورة كبيرة في عملية التخطيط المتوازن والواضح في إعداد البرامج اللازمة للتمكين، وتحديد المهارات المطلوبة لكل مجال من مجالات التنمية في المستقبل لينمو المجتمع ويتطور، ويسير نحو غاياته المنشودة، والتي تترجم على أرض الواقع إلى برامج ومشاريع.

وتنصّ المادة الثالثة من مواد النظام الأساسي للدولة أنّ "لغة الدولة الرسميّة هي اللغة العربية"[12]، وتشكّل هذه المادة من مواد النظام الأساسي أساسا لمبادئ ومنطلقات خطط التنمية وهو ما وجدناه مبرمجا وحاضرا في رؤية ٢٠٤٠، التي نحن بصدد تنفيذ أولى مراحلها الخمسية هذا العام. فأهم الأهداف التي تسعى إليها الرؤية هو "تنمية مجتمع إنساني مبدع، معتدّ بهُويّته، مبتكر منافس عالميًا، ينعم بحياة كريمة، ورفاهة مستدامة"[13]هذا الهدف المهم أشار وبجلاء إلى أهمية وجود الهويّة الوطنية، التي ينطلق الإنسان منها بإبداعه وابتكاراته ليشارك بها العالم وليساهم في الحضارة الإنسانية.

ولئن كان هذا الهدف ترجمة سلوكية ينبغي على المؤسسات السير في تحقيقها من خلال البرامج المختلفة والمشاريع المنظورة للتنفيذ، فإنّ الهدف جاء منسجما ومتسقا مع أولويات الرؤية، فمن هذه الأولويات جاء " التعليم والتعلّم والبحث العلمي والقدرات الوطنية" وتأتي المواطنة والهُويّة والتراث والثقافة الوطنية ثاني هذه الأولويات؛ لتترجم عبر المؤشرات الحيوية عن طريق الاستمرار في تعزيز بناء مجتمع ملتزم معتدّ بهويّته وثقافته، وملتزم بمواطنته وانتمائه[14].

تعبّر نصوص الرؤية المبنية على ما نفذ في الخطة الخمسية الخامسة، ووفق ما نصّ عليه النظام الأساسي على توحيد الفكرة، وتعزيز دور الهويّة الوطنية، وهو ما تؤكّده فلسفة التعليم في السلطنة،

---

[11] – المصدر السابق نفسه. ص١١

[12] – النظام الأساسي لسلطنة عمان الصادر بمرسوم سلطاني رقم (١٠١/ ٩٦)، ص٣، home.moe.om

[13] – رؤية عمان 2040، وثيقة الرؤية، www.isfu.gov.om

[14] – السابق نفسه، ص٢١

وتسير في تنفيذه في مراحل التعليم الأساسي التي تشرف عليها وزارة التربية والتعليم، لكن الإشكالية والفجوة تظهران في مراحل التعليم العالي وما بعده، من خلال سوق العمل والانطلاق إلى العالم الرحب للاستزادة في العلم، أو طلب التخصصات الدقيقة في العلوم التطبيقية المختلفة.

إنّ ربط التعليم بالعمل والنفعية، جعل الكثير من مخرجات التعليم تعيش حالة من الارتباك في جانب الاعتداد بالهوية والانتماء، ذلك أن الانتماء والهوية أمران مرتبطان باللغة العربية، لهذا وجب أن نناقش الصلة بين اللغة العربية والهويّة الوطنية، يقول محمد عمر غرس الله في كتابه (اللسان – الهويّة، الأمّة، العلمانيّة) إنّ " استخدام لغة أجنبيّة تزاحم لغة الأمّة يسبب إزاحتها وموتها التدريجي، بتصاعد الولاء للغة الأجنبيّة، والتأثّر بثقافتها ومحمولها الحضاري تحت وهم التفتّح والحداثة"[15].

إذن المشكلة ليست في النصوص، سواء أكان ذلك نص النظام الأساسي للدولة، أم نصّ فلسفة التعليم ،أم نصوص الخطط الخمسية أم نص رؤية ٢٠٤٠، لكنّ الإشكال يكمن في عمليات التطبيق والصيرورة الاقتصادية المتسارعة التي تفرض على المجتمع ومؤسّساته، الانصياع لمتطلبات المعرفة المعمّقة للغة الأجنبية، خاصة في العلوم التطبيقيّة، وقد لحقتها العلوم الإنسانية والاجتماعيّة الآن بطبيعة الحال، بسبب التطور الكبير في هذه العلوم على مستوى التناول والبحث والنتائج العلمية والمنهجية المتشعبة.

وإذا أردنا أن نشرح المسألة عمليا فسنجد مظاهر هذه الانهزامية من خلال مجموعة من الإشكاليات والمظاهر المتعلقة بذلك، مثل:

١-إشكالية انتشار ظاهرة تسكين المصطلحات الأجنبية في النص العربي عبر كتابة لفظها الأجنبي بالحروف العربية، تنتشر هذه الظاهرة لدى الباحثين والكُتّاب والصحافيين، وحتى المؤسّسات التعليمية والبحثيّة مثل كلمات: (سوسيولوجيا Sociology) بمعنى علم الاجتماع، و(كولونيالي Colonialism) بمعنى النهج الاستعماري، و(إمبريالية Imperialism) بمعنى إمبراطوريّة توسّعيّة، وغيرها من الكلمات التي دخلت في لغتنا اليومية التي نتعامل بها، سواء أكانت في المناقشات العابرة، أم في الأوساط العلمية التخصصيّة.

٢-إشكالية قومنة اللهجات المحليّة، وجعلها ضرّة للغة العربية، وما زرعه ذلك من تأثير العصبية القبليّة ونعراتها، وانتشار هذه العصبية على مستوي الدول والمذاهب الدينية. توجد في عمان العديد من اللهجات التي رصدها كتاب اللسان، هي: الجبالية، والشحرية، والصلالية، والبطرحية، والسواحلية، والمهرية، والهيبوتية، والبلوشية، والزدجالية، واللواتية. والحمد لله نحن لا نعاني من هذه المشكلة؛ لأن الفكر السامي أدرك التعامل العادل، والمساواة بين الناس في المعاملات، من خلال المساواة في الحقوق والواجبات. لكن بعض الدول العربية ما زالت تعاني من هذه المشكلة.

[15] – غرس الله (محمد عمر)، اللسان (الهويّة– الأمة– العلمانيّة)، دار نقوش عربية، تونس، ط١، ٢٠٢١، ص٢٢

٣-انتشار ظاهرة التغريب، وتشابك خطوط التحدّي اللغوي، وتمظهر معضلة التغريب في مسألة تربية الطفل على اللغة الأجنبية منذ سنوات عمره الأولى؛ ليشَبّ متقنا لها، ملحقين الأبناء بمربيّات أجنبيات، يتعاملن مع الطفل باللغة الأجنبية، ناهيك عن المؤسّسات التعليمية التي بدأت تؤصّل لتعلم اللغة الأجنبية، وفق مناهج دولية عالمية، مهمشين فيها اللغة الأم، ومعززين فيها وجود اللغة الأجنبية، وهو ما يمكن أن نعزوه إلى "الانسلاخ والتبعيّة الفكريّة والثقافيّة"، وما أثّر به هذا السلوك في "بنية ذاكرة أجيال المجتمع"، والتي أصبح إتقان اللغة الأجنبية – خاصة الإنجليزية - مظهرا من مظاهر المباهاة والوجاهة الاجتماعيّة.

كلّ هذه نماذج للقضية نفسها، وتحديات تعانيها العربية في عمان وفي دول عربية عديدة، ويجب أن نقف هنا وقفة تأمل، لنرى ماذا يمكن أن نصنع حيالها؟ إن جملة هذه الإشكاليات تنتج صراعا حضاريا ضد ما يسمى باللغة الأم (اللغة العربية)، فاللغة العربية على حد قول د. علي الودغيري: هي اللغة التي تشترك في التفاهم بها مكونات الأمّة كلها بمختلف شعوبها ودولها ولغاتها؛ لأنها الجامعة، والحاملة للمدلول الديني والثقافي للأمّة، بمفعول اللسان العربي المبين، وهو الذي صنع ويصنع ترابط النسيج اللساني المتداخل في المجتمع، ويشكّل لوحة الحضارة العربية الإسلامية الكاملة"[16].

المبحث الثاني: آفاق تعزيز اللغة العربية في التنمية المستدامة

إنّ اللسان العربي المبين منهاج ثقافي قرآني على ألسنة الناس، وتعدّ اللغة العربية هي الحاملة لمفاهيمه، معبرة عن ثقافة مجتمع، بل أمّة بأسرها، من خلال الجمل والتراكيب والصيغ التي أقل ما يمكن أن نصفها به هو الحيوية والحركية وإمكانية استيعاب العلم والثقافة، وإذا ما تسلح بها أبناؤها، فإنهم سيضمنون مناعة ذاتية شخصيّة، تفكيرا وسلوكا وثقافة، ضد أيّ مخطط إزالة أو هيمنة أو تغييب. تلك الثلاثة الآنفة الذكر تجعل المجتمع في حالة دفاع ذاتي وفكري وثقافي مقاوم قادر مع الزمن على رد أي محاولة تمس كيانه، أو تحاول هدم بنيانه. وما من سبيل إلا التشبّع باللغة الأم وإتقانها، قبل دراسة أي لغة أخرى. وفيما يأتي نعرض لأهم معزّزات مقاومة هذه التحديات، مبرزين مواطن القوة، ومؤكدين على آفاق تعزيز كل جانب من هذه الجوانب.

أولا: القيمة العلمية والحضارية للغة العربية

إن السؤال الجوهري لنا في هذا المحور يركز على معرفة دور لغة المعرفة في تنمية الاقتصاد الوطني لأي بلد أو أمّة، وكيف تعكس اللغة العربية معرفتنا الحاضرة وتراثنا الفكري والثقافي، وتعزز وجودنا بين شعوب العالم، وما الخطوات التي بها نعتني بلغتنا الأم اللغة العربية؛ لتكون وسيلتنا لتسويق معرفتنا في شتى المجالات.

[16] – غرس الله، اللسان، مرجع سابق، ص٢٤

إن الانتقال باللغة العربية من لغة نص إلهي، وتراث فكري وثقافي، لهو المهمة الكبيرة التي يجب أن تشغل مفكرينا ومؤسّسات التخطيط العليا؛ إذ يجب أن تؤسس المؤسسات التي تشتغل بنقل اللغة العربية من مستوى الاستهلاك إلى مستوى الإنتاج؛ وذلك بتطوير مهارات أبنائها، وتنميتهم التنمية التي تتوافق ومعطيات تاريخهم وهويّتهم والعصر الذي يعايشونه. هذا الهدف الاستراتيجي يظهِر أمامنا سؤالا يبدو لنا حيويا، ومهما؛ لنفكر به متعلّقا بموضوع تطوير وتطوّر اللغة باعتبارها كائنا حيّا، ومتعالقًا بسلوك عفوي يقوم به أبناء أمتنا، ولاسيما مثقفوها والبارزون في مجال الدعاية والإعلام، وهي مسألة استعارة المصطلح والدلالة، " فالنفوذ المصطلحي الوافد حاصل، سواء أقبلنا بذلك أم رفضنا، وهو مرتبط بنفوذ الدول الكبرى وسطوتها وهيمنتها التقنيّة والفكريّة الثقافيّة والسياسية، وأيضا بتقدمها العلمي والتقني، الأمر الذي يطرح علينا مواجهة ومقاومة إشكالية تعجيم المصطلح والوصف أو لبررته (من الليبرالية) وبالتالي تغريب الأفق الفكري والثقافي للأجيال في أمّتنا"[17].

يمكن تمثيل هذه الفكرة باستخدام بعض المصطلحات الخاصة بالممارسات السياسية، مثل: مصطلح (الديمقراطية) الذي يصر على استخدامه الإعلام والمثقفون، في حين يتم إقصاء مصطلح (الشورى) وتهميشه وتجاهله، فالديمقراطية لفظ أعجمي المفهوم، اتصل بالمخاض الأوروبي وتراثه، ومفاهيمه ولغاته وشرائعه، وله حزمته العلميّة والمعرفيّة المفاهيمية الإبستيمية التي تتضمن" العلمانية ولبررة القيم والتحرر والحرية"[18] المتصلة بالمفهوم الأوروبي وبمسألة التحلل من القيم عبر إباحة المثلية، والإنجاب خارج المؤسسة الزوجية، والتحرر والفردانية، ومجتمع السوق.

سرى ذلك على وجود بعض المصطلحات الاجتماعية كذلك، مثل: مصطلح (الاشتراكية) الذي يدل على (العدالة الاجتماعية) "رغم أن هذا المصطلح تمّ حرفه في أذهان العامة والرأي العام، علاوة على أنّه يحمل شحنته الفكرية التي أنتجت فكرته في أوروبا"[19]. وقد أضحت المصطلحات الوافدة ثقافة لها مفعولها التغريبي، وهو الأمر الذي سيكون له أثر في إضعاف نفوذ الشريعة والمدلول الثقافي وضياع الهوية فيما بعد. والسؤال الذي يجب أن نسأله أنفسنا عندما نفعل ذلك على مستوى المؤسسات أو الأفراد، هو: أيضيف هذا شيئا إلى لغتنا العربية، أو يجعلها لغة معاصرة، أم أنه يفرّغها من محتواها، ويجعلها لغة عمياء دون شريعة كما كانت؟

إنّ لنا في الفكر السامي لجلالة السلطان قابوس بن سعيد – طيب اللّه ثراه – سيرة حسنة في هذا الجانب، فما مرسومه بإنشاء مجلس يسمى بمجلس الشورى إلا امتثالا لهذا الفكر العربي الأصيل

[17] – غرس اللّه، اللسان (الهويّة والأمة، والعلمانية)، مرجع سابق، ص٣٥

[18] – السابق، ص٣٥.

[19] – السابق، ص٣٦.

الذي اتصل بدينه وشريعته وفلسفته التي يعتز بالانتماء إليها، وما اهتمامه بتعريب وتسمية الأشياء بأسمائها العربية الدالة على معناها ومفهومها إلا انعكاسا لهذه الهوية العربية المتأصلة فيه.

وقد سلطت الباحثة رحمة الهشامية[20] الضوء على هذا الفكر المستنير لجلالته في دراسة لها خاصة بحصر "جهود السلطان قابوس في حماية اللغة العربية"، وجعلت الجهود متمثلة في مجال تخصيص كراسٍ علمية في الجامعات الأجنبية حول العالم، تعنى بمجال دراسة اللغة العربية والفكر المتصل بها والتراث الثقافي لها، وقد بلغ عدد هذه الكراسي أحد عشر كرسيا علميا، ومثلت جائزته للثقافة والفنون والآداب صورة مشرقة لاهتمامه بالإنتاج المتميز في هذه اللغة، وكانت الكلية التي أنشأت لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ولاية منح هي أحد أشكال هذه الجهود المباركة.

وعرجت الباحثة على مسابقة اقرأ، التي تعنى بغرس حب التنافس في تعلم اللغة العربية، بأنها صورة للحفاظ على العربية، واستمرار تلقيها، وتشرب قواعدها، وتمثل طلاقتها. أما القرارات التي تعلقت بتعديل المصطلحات فقد حاولت حصرها في جدول:

م	المصطلح قبل التغيير	المصطلح بعد قرار التغيير
١	عاطل	باحث عن عمل
٢	رجال الدين	علماء الدين
٣	سكرتير	منسق
٤	خليج عمان	بحر عمان
٥	إعصار جونو	أنواء مناخية
٦	المتميزون	المجيدون

كذلك غير جلالته -رحمه الله- في أسماء بعض الأماكن التي رأى أن لها معاني لا ترقى للتراب العماني، والنهضة التي يعيشها، ومنها ما حصرته الهشامية في الجدول الآتي:

م	اسم المكان قبل التغيير	اسم المكان بعد قرار التغيير
١	المتهدمات	العامرات
٢	وبال (مصيبة) في وادي بني رواحة	منال
٣	الحمّة (الحمى) في وادي بني رواحة	العافية

[20] – الهشامية (رحمة بنت عبد الله بن سليمان)، جهود السلطان قابوس لحماية اللغة العربية، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي للغة العربية بدبي، أبريل ٢٠١٨.

٤	العقرب بولاية عبري	أرحب
٥	قيقة	فيحة
٦	الفاسقة	العفيفة
٧	بلدة (الجوع) في محافظة الباطنة	الجود

نلاحظ في اختياره الأسماء مسحة التفاؤل، والحب للأرض، وعمقا في معرفة اللغة، والجرس الموسيقي، ومعرفته بالمتضادات، والمقاربة الصوتية بين الكلمات والأسماء، رحمه الله فقد كان واسع الاطلاع، محبا شغوفا بكل ما يتصل بوطنه وتراثه ودينه.

وكانت عناية جلالته -رحمه الله- كبيرة بإخراج كتاب موسوعي سماه "معجم الأسماء العربية"، هو الأول على مستوى الثقافة العربية، وإضافة إلى معاجمها الموسوعية الغنية، هكذا كان فكر جلالته مبدعا في رعاية اللغة العربية، وإعادة إنتاجيتها، وذلك يدل على وعيه الذي كان يؤمن بحيوية اللغة العربية وعمقها وثرائها.

إن هذا الجهد الفردي لجلالة السلطان قابوس - رحمه الله - إنما كان له القرار السياسي الذي مكنه وثبته في المخاطبات الحكومية، وهو الدور الذي يجب أن تمارسه مجامع اللغة العربية، التي غاب ذكرها، وشتتت السياسة شملها، وغيّب التمويل المتواضع دورها، لقد أضحت أطلالا دون قصيدة. إن دورها في تعريب المصطلحات الوافدة من المشترك الإنساني بات أمرا مهما جدا.

ثانيا: موقع اللغة العربية والتعريب في برامج التنمية المستدامة

يتعاظم دور مراكز البحث العلمي يوما بعد يوم، بتعاظم دورها في مجال رفد الخطط التنموية التي تعنى بتحديد مسارات العمل في شتى مؤسسات العمل الحكومية والخاصة، وأصبح لزاما علينا أن نتساءل عن دور مجامع اللغة العربية في هذه المراكز البحثية، والعمل على تفعيل دور المجامع في إمداد مراكز البحث بالمصطلحات والمفاهيم التي يجوز للباحثين طرحها وتأطير العلوم المختلفة بها، بما يتناسب مع المشترك الإنساني وتطور العلوم.

يساند دور المجامع في هذا الدور العمل الأكاديمي الذي تقوم به الجامعات مؤسسات التعليم العالي التي عليها مسؤولية فتح آفاق لمناقشة العلوم التطبيقية والعلوم الإنسانية، من منظور لغوي، يسمح بمناقشة إمكانية تعريب المصطلحات الوافدة في كل علم، ورفع مقترحات الترجمة والتعريب لكل مصطلح قادم من الخارج عبر الدراسات والعلوم المختلفة.

إن الواقع التنموي بات يفرض علينا أن نتجه لاستخدام مصطلحاتنا القرآنية المرتبطة باللسان العربي المبين ومفاهيمه ومدلولاته، وما يشتقّ منها في إطار حقلها المعرفي العربي الواسع والغنيّ والثريّ، يساعدنا في ذلك عمليات تطوير الذات، وما تسعفنا به لغتنا العربية من عمليات نحت واشتقاق وتعميم وربط، بحيث نستخدم ونترجم ونوازن بمصطلحات من جذورنا، ومخزون تاريخنا ومسيرتنا، وما يعبر عن مخاضنا الفكري، ومن مدلول لغتنا، وفلسفتها وحزمتها، ومسيرتها ومواقفها التاريخية والسياسية عبر عصور الحضارة الإسلامية المختلفة بدءا بوثيقة المدينة، ومرورا بالعهدة العمرية التي نقلت الإسلام من مجرد دين ينشر إلى أكبر وأوسع حضارة عرفتها البشرية.

لا يغيب في هذا الإطار تبني المشترك الإنساني وتضمينه واستيعابه، والعمل في مراكز اللغة ومجامعها على اعتماد المصطلحات بمعيارية مرتبطة بالذاتية العربية وتاريخها وشريعتها من نسيج الفكر والثقافة العربية ومخزونها ومنجمها المعرفي؛ لما في ذلك من أثر ودور في الذاكرة المعرفيّة، هذا الانفتاح على الآخر يجب أن يكون بوعي وتنبّه؛ لأنّ تعريب المصطلحات الوافدة من المشترك الإنساني يجب أن تكون له حدود مقيّدة ومتحكَّم بها، بما لا يخلّ بالبنية المعرفية لثقافة الذاكرة وبنيتها المرتبط بالنص القرآني وقيمه ولسانه العربي المبين، مع ضرورة تقديم تعريف ومدلول معجمي لها، فالترجمة الحرفية، أو النقل المباشر، قد يضر أكثر من نفعه، وإنما يتطلب الأمر عملية استيعاب متحكَّم بها، كي تُدار بعناية شديدة، وهذا ما يقوي دور مجامع اللغة ومراكزها؛ فهي تعمل تحت إطار فلسفة، تلامس اللغة المستخدمة ومفرداتها وتعابيرها من كلمات وجمل، ويندرج تحت هذه المجامع والمراكز مجموعة من المخابر أو المعامل البحثية المتخصصة في علم معين، ولها اتصال مباشر بالجامعات ومراكز البحوث المختلفة.

عندما نخضع المصطلحات والألفاظ الوافدة عن طريق مجامع اللغة العربية ومراكزها لكل ذلك، فإنها تصبح مناسبة للذوق العربي السليم، وتعمل هذه المجامع والمراكز على نشر هذه الألفاظ والمصطلحات بعد تعريبها، عن طريق إصدار القواميس المتخصصة في جميع المجالات (الإعلام، والسياسة، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، والفلسفة، وغيرها) وعبرها يتم اعتماد المصطلحات الوافدة من المشترك الإنساني، وإجازتها للاستخدام، ووضعها في سياق التعريب والبنية المعرفية لكل علم من تلك العلوم، كما تعتمد التعريفات والمفاهيم التي تدل عليها، والسياق الذي تستخدم فيه. وتصبح بعدها مرجعا يستند إليه الباحثون والصحافيون والإعلاميون، وهذا بالتحديد ما تفعله أمم أخرى تسعى إلى الصمود في صراع التحدي اللغوي، ومراقبة انتشار المصطلحات والحذر من تناولها واعتمادها.

يعدّ هذا الدور الذي تقوم به المجامع اللغوية ومراكز التعريب، عملا مهما وأساسيا للحدّ من التغريب والهيمنة الفكرية والثقافية التي يمارسها العالم المتقدم في الأدوات التكنولوجية والحضارية، ولهذا الدور أثر ثقافي وفكري لا يظهر إلا مع توالي الأجيال والحقب الزمنية" حيث إنّ التحدّي اللغوي

يتمحور حول فكرة تعجيم المصطلح بوصفه طريقا لتعجيم اللغة، جزئيا وبالتدريج، وبالتالي – وبتوالي الأيام – تعجيم الثقافة والمدلول، أي الذاكرة المعرفية"[21]، ولنحافظ على ذاتيتنا وهويّتنا اللغوية والفكرية والثقافية، علينا فكّ تشابك كل خيوط هذه الممارسات اللغوية التي ستضعف وجودنا، ولكي نحدث الحداثة الحقيقية يجب أن نتسلح بالمعرفة التي تنقلنا إلى مرحلة المساهمة الحقيقية النابعة من هويتنا، وخصوصيتنا اللغوية، والثقافية، وألا نكون أمة قد وقعت في الاستلاب والتغريب اللغوي والقيمي لتبرير الحداثة، بل نصر على قيمنا عبر تطوير لغتنا وطرائق تفكيرنا.

واللغة العربية كائن حي له كيانه القوي الذي حُفِظَ بوجود النص الخالد "القرآن الكريم"، وهو الذي يمنح اللسان العربي المبين للأمة العربية، وتستطيع أي دولة أن تبني به ذاكرة شعبها وأمتها؛ لأن اللغة العربية متصلة اتصالا وثيقا بالشريعة القرآنية، والممارسات الدينية اليومية التي يتعبد بها المسلمون نحو خالقهم، ونحن نعايش كيف ينتشر الإسلام في العالم الآن بسبب انتشار الأسئلة الوجودية والفلسفية التي تعنى بالبقاء والارتباط بخالق الكون، ويجب بالتالي أن نساير أمر نشر لغتنا لكل من يهتم بدخول الإسلام؛ لنكون أمة الرسالة، ولنكون " خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله..."[22]

ثالثا: تعزيز الهوية اللغوية والثقافية (لبنة البناء لتنمية مستدامة حقيقية)

إذا كان النظام الأساسي للدولة ينص على أن اللغة الرسمية للدولة هي اللغة العربية، فلماذا نصرّ على ممارسة غيرها في الكثير من المواقع؟ وإذا كانت فلسفة التعليم قد أكدت تعليم اللغة العربية لينشأ طالب العلم معتزا بهويّته وانتمائه لأمته ووطنه، فلماذا يمارس عليه التغريب والاستلاب عندما يذهب إلى بعض مؤسسات التعليم العالي وسوق العمل؟ وإذا كانت رؤية 2040 قد رسمت ليكون مجتمع هذا الوطن معتزا بهويّته لينطلق إلى مستويات الإبداع والابتكار، فكيف سيبدع إن اهتزت ثقته بلغته وهويّته؟ فهو سيعبر بلغة أخرى، وينشر ابتكاره مكتوبا بلغة أخرى غير التي فكر بها.

لقد آن الأوان لنفكر في هذه الازدواجية التي نعيش في خضمها، وتتربى أجيال كثيرة تحت وطأة الاستلاب والتغريب، فقد أمسى أبناؤنا يقدّسون لغة الآخر، ويهرولون لتعلمها، يهمشون لغتهم وينعتونها بالصعوبة والتعقيد. لقد اهتزت ثقة أبنائنا بلغتهم، ودينهم، وكل ما هو متعلق بثقافتهم؛ لأن ما نمارسه غير الذي نكتبه خططا لمستقبلنا.

وإذا أخذنا مسألة وصف اللغة العربية بالصعوبة والتعقيد، فإن هناك العديد من الدراسات التي أشارت إلى بعض الحلول العملية التي يمكن أن تيسر أمر اللغة، وتسهّل تعلمها، من بينها: تعريب

[21] – غرس الله، اللسان، مرجع سابق، ص٤٠

[22] – آل عمران، آية ١١٠

المصطلحات الأجنبية، وترجمة آداب الأمم الأخرى، والاستفادة منها، وتسهيل قواعد الإملاء والنحو العربي، وإقحام العامي مع الفصيح في معجم واحد لتوضيح التعددية اللغوية للمعنى الواحد في لهجات كثيرة، وإعداد برامج متعددة للغات، لا أن تسيطر لغة واحدة علينا وتستلبنا لتعلمها ولثقافتها، ونعلم اللغات في مراحل التعليم العالي وميدان العمل، وتعلم اللغة ضمن الجماعة، وتطوير المعلمين من أجل تربية لغوية شاملة وموجّهة توجيها صحيحا، وتعزيز القدرة على مواجهة الأزمات عن طريق التفكير باللغة. ويجب أن نُفعِّل أدوات التطوير والتقييم ليتم التقويم بصورة صحيحة، ولا نغفل عن عمليات المتابعة المستمرة لتقييم البرامج، وعمل المؤسسات، فمن دون المتابعة والتقييم لن تتم عمليات تحديث حقيقية وفاعلة، وعلينا في هذا الإطار أن نفعل مؤشرات النجاح والتطوير. ومما لا شك فيه أن أمر تفعيل مؤشّر مخاطر اللغة مهم في إطار متابعة ممارساتنا التعليمية في تعليم اللغة العربية، لنقيم أنفسنا في ذلك، لنصلح قبل أن نستلب.

إنّ تفعيل مؤشّر مخاطر اللغة لهو أمر في غاية الأهمية؛ لنرفع من شأن لغتنا، ونطور تعليم اللغة العربية؛ لأن ما يمارس على حضارتنا واللغة العربية من إقصاء، وتهميش، بفعل أبنائها أولا وبفعل الآخر ثانيا، إنما هو عمليّة ممنهجة للتغريب والاستلاب عبر أجيال متعاقبة، ولكي نرفع من شأن لغتنا يجب علينا القيام بعدة أمور أهمها: إيجاد النصّ اللغوي المعاصر الذي ينبغي أن يكون سهلا وميسّرا وفق المرحلة العمرية، ويرتفع مستوى العمق والتناول مع المراحل العمرية اللاحقة، وعلينا الاستفادة من القرآن الكريم ونصوص الحديث وخطب السلف الصالح، بما يتماشى وتنمية المهارات اللغوية، مستفيدين في ذلك من التقنيات، وتفعيل دور المتعلم أكثر في صقل مهارات البحث. وعلينا ألا ننسى تعريب المصطلحات العلمية بشكل دائم، وتوحيد الجهود في إيجاد معاجم وقواميس عصرية مزودة باللوحات والرسومات التوضيحية الجاذبة، وتطوير المعاجم اللغوية بصورة دائمة كل في حقله وتخصصه. وهنا أشير إلى تجربة بعض الباحثين في وضع قاموس لغوي رقمي لألفاظ اللغة العربية، هذا القاموس الرقمي، سيساهم بصورة كبيرة في دعم وتعزيز جهود اللغويين الذين يعلمون العربية للناطقين بغيرها، والذين يزداد عددهم يوما بعد يوم.

هذه الجهود التي نشير إليها لن تثمر إذا لم تتعاون أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة معا لتحقيق هذه الأهداف والرؤى، التي نؤكد من خلالها أن العمل يجب أن يكون وفق منظومة متكاملة، يعزز فيها كل مجال أو قطاع عمل الآخر من مؤسسات الدولة وجهات التعليم.

في عمان نحن نمتلك تراثا فكريا وثقافيا متشعّبا، يرتبط في جزء كبير منه بمجالات تتصل بالدين والقرآن والحضارة الإسلامية وتاريخ بناء الحضارات على هذه الأرض، إذن فنحن نمتلك هويّة ثقافية ذاتية مميّزة تساعدنا على الإبداع والابتكار في قطاعات متعددة منها القطاع الثقافي والقطاع السياحي والقطاع الاقتصادي، وكل ذلك يساهم في تثبيت الجانب السياسي للدولة فيكسبها سمة الديمومة والاستمرار، لكن يبقى أن نعي أن أمر تسويق هذه المعرفة إنما يحتاج إلى تطوير في الأدوات

والإجراءات، وإبداع في العرض وتوظيف للموارد المتاحة، باختصار نحن نحتاج إلى فكر شبابي مبتكر ومبدع؛ لنظهر معرفتنا، ونجذب بها الآخر ليأتي إلينا.

في الحقيقة هناك نماذج لبعض المبادرات التي تتّسم بالإبداع والابتكار لتقديم هذه المعرفة وتسويقها، من جملة هذه الأفكار ما أشارت إليه عائشة الدرمكية في جملة مقالاتها الثقافية عن التنمية المستدامة وعلاقتها بالثقافة، من بين هذه المبادرات والرؤى: "منصّة المدن الذكيّة، ومنصّة إيجاد الالكترونية، ومجمع الابتكار في مسقط، وهي إنجازات رائعة تمارس الصناعات الإبداعية الحديثة، وتوظف مهارات الشباب في مجال التقنية وعلم الشبكات، وتعمل على تسويق المعرفة الثقافية، لكننا نطمح في المزيد، فنحن لدينا ثروات بشرية من الشباب نحسد عليها، ينقصنا فقط توجيه الرعاية، والعمل بإخلاص وحب. وبهذا يتعزّز في مجتمعنا ما يسمى بالإبداع البرتقالي "القائم على المعرفة والتفاعل بين الإبداع الإنساني من جهة، والأفكار والمعرفة والتكنولوجيا من جهة أخرى"[23]، وكل ذلك يتفاعل ويتأثر بالقيم الثقافية، أو التراث الفني والثقافي، والتعبيرات الإبداعية الفردية والجماعية التي غرست في الشاب العماني والفتاة، اللذَيْن نَشَآ على ثقافية ذاتيّة، لها خصوصيّتها وهويّتها الثقافية المرتبطة بدينها، ولغتها، وتاريخها، وحضارتها.

إنّ المساجد والجوامع والقلاع والحصون العمانية، ثروة معمارية يمكننا الاستفادة منها في نشر ثقافة العمل، والورش التدريبية، والمعامل التقنية المتحركة لتنفيذ العديد من المبادرات، والخطط التنموية التي نصل من خلالها لكل فرد ولكل حيّ، نحتاج فقط إلى عمل الفريق في التخطيط والتنفيذ.

الخاتمة والتوصيات

إن وضع أيدينا على موضع العطب ومكمن التقصير، إنما يكون بالمتابعة الحثيثة التي تقارن بين الهدف وما يتحقق على أرض الواقع، وإذ إننا لم نلمس تجاوزا في النصوص التشريعية التي ترفع من اللغة العربية وتقيم لها وزنا وقيمة وحضورا كليا في عمليات التنمية المستدامة التي تبنيها مؤسسات القرار والتشريع والتخطيط، فهي حاضرة في النظام الأساسي، وفي الخطط الخمسية وفلسفة التعليم ورؤية ٢٠٤٠، لكن الخلل يكمن في الممارسات وفي التنفيذ الذي يفتقر إلى المتابعة، والتقييم الدقيق، وعين الخبير الذي يجب أن يكون متسلحا بأدوات فلسفية نقدية عالية، وخبرات، ورؤية عميقة ترى بعين البعيد، وتحسب النتائج قبل التنفيذ، وترسم خرائط الطريق للعمل الجاد المستمرّ.

إذن كيف لنا أن نواجه التحديات، ونطوّق مشكلات اللغة العربية في مجتمعنا، قبل أن نتطرق إلى الأدوار المطلوبة من المؤسسات والجهات المعنية بالتنفيذ؟ وإذا أردنا أن نحدد جهات المسؤولية في تعليم الأبناء اللغة العربية، فإننا نجد أن الأسرة والمجتمع والإعلام هي الجهات المعنية بتنمية لغة الطفل

[23] – الدرمكية (عائشة)، الثقافة في التنمية المستدامة، جريدة عمان، نشر: ٢١/ ٨/ ٢٠٢١، omandaily.om

حتى سن الثالثة أو الرابعة، وتدخل مع تقدمه في العمر جهات أخرى أهمها الحضانة والمدرسة فيما بعد.

أما دور الأسرة فهو عامل كبير جدا في تحديد الهوية اللغوية والعلمية التي سينتمي إليها الابن، فإذا كان ممن يتصفون بالأمية وقلة الوعي اللغوي، فسيكون أحد أفراد التجربة المؤسسية في تلقي اللغة، أما إن كان من أبناء الطبقة الحريرية، نشأ وكبر على التحدث بلهجته أو باللغة الأجنبية، فسوف يرسل إلى مدرسة دولية أو ثنائية للغة ليكمل مسيرته التعليمية فيها. إذن فدور الأسرة قد يقوّم بالوعي المجتمعي، ويمكننا استثمار وسائل التواصل والإعلام في ذلك.

إن نشر الوعي مطلوب الآن وبقوة من الأفراد والمؤسسات والجهات الحكومية، ويجب أن يعمل الجميع على الحفاظ على الهوية؛ لأن دفع الاقتصاد سيكون بتوظيف الثقافة والإرث الثقافي بعد الاهتمام به ومعرفة قيمته، ولن يتأتى ذلك إلا بتوحيد الجهود ورفع الوعي، وفي هذا إثبات للهوية اللغوية، وتعزيز لها عن طريق ربطها بالإبداع وتسجيل براءات الاختراع لتكون مصدرا لترجمتها إلى لغات العالم الأخرى.

يشكل العرب سكانا لعدد كبير من الدول، ولغتهم التي تجمعهم تمثل هوية لعدد كبير من السكان، وإذا ما عملت هذه الدول بصورة متكاملة لرفد دولها بقرارات دولية تحمي لغتها، فستكون قد حققت هدفا استراتيجيا كبيرا، تستطيع أن تبني عليه عملها المشترك الذي يعزز مكانتها بين دول العالم. إنّنا نحتاج بالفعل إلى قوانين موحدَّة بين الدول الناطقة بالعربية، تلزم الجميع بعمل موحد مشترك بين مؤسساتها، هدفها تعزيز وجود اللغة العربية بين أبنائها؛ فالعمل الفردي المميز لا يظهر أثره في الأمة، إن لم تسانده أعمال مشابهة في الدول الأخرى، ولنا في جمعية اللغة العربية بالشارقة مثالا حيا لرقي الهدف النبيل في المحافظة على اللغة العربية.

رسالة إلى وزارة التعليم العالي والقبول الموحد:

يجب علينا أن نتخلى عن فكرة أن كل من لم يجد مجالا للدراسة، أو لم يجذبه شغفه، أو لم يقبل في أي تخصص، يُرمى به ليتخصص في اللغة العربية، ليخرج معلما للغة العربية أو المجال الأول في الحلقة الثانية، فاللغة العربية ليست (بدبد) ترمى فيها الخيول المتقاعدة والمريضة التي تنتظر الوفاة، وليست اللغة العربية تخصصا لكل فاشل كما ساد ذلك لفترة كبيرة من الزمن، حتى الآن للأسف، فبرنامج تأهيل الخريجات في التربية الخاصة ليكن معلمات في المجال اليومي، صورة لترقيع المشكلات، وتعطيل لتحقيق أهداف تدريس اللغة، وتعزيز الهوية. وما ذهاب الأعداد الكبيرة من الخريجات غير المعينات إلى دول عربية لدراسة المجال الأول إلا صورة مستنسخة لهذا الفشل.

لماذا لا تجرى اختبارات للقدرات اللغوية لكل من كتب رغبته لدراسة تخصص اللغة العربية، لماذا لا تجرى المقابلات العلمية التي تقيس مدي الاستعداد العلمي للطالب الذي يرغب في دراسة اللغة

العربية. فإذا كانت إسرائيل وهي دولة العدو، تعقد اختبارا لكل الطلاب الذين يدخلون الجامعات في اللغة العربية يشبه اختبار الأيلتس في اللغة الإنجليزية، ليقيس مهارة الطالب في اللغة العربية، فمن باب أولى أن تطبق جامعتنا ذلك الاختبار على الأقل لمن سيتخصصون في اللغة العربية.

رسالة إلى وزارة التربية والتعليم:

إننا نحي فيكم وضع اختبار لكل المتقدمين لشغل وظيفة معلم قبل الانخراط في الميدان في السنوات الأخيرة، لكن ما حصل منذ سنوات في إدخال مجموعة كبيرة من المعلمين غير المؤهلين تأهيلا علميا دقيقا، قد أمسوا عبئا على التعليم والتدريب في الوقت الراهن.

كفانا ترقيعا لتجاوز الأخطاء، إن عملية تحويل بعض خريجي اللغة العربية وخريجاتها في سنوات سابقة من تخصصاتهم إلى تخصصات أخرى، مثل: المهارات الحياتية، وأخصائي مدخلي بيانات، قد كان خطأً تخطيطيا غاية في الإجحاف والظلم، ليس لهؤلاء الخريجين فحسب، ممن تخصصوا في اللغة العربية، بل ظلم للأجيال من الطلاب الذين كانوا سيستفيدون من علمهم وخبراتهم، وإن الاستمرار في وضعهم الوظيفي، وبقائهم في مسمياتهم الوظيفية تلك، يحرم العديد من الطلاب من المادة الجيدة الرصينة، فكفانا تخبطا وعشوائية في القرارات لترقيع الاحتياجات.

لماذا لا يكون هناك متابعة للأكاديميين، وبرامج لتطوير مهاراتهم في التدريس الجامعي، والرقي بمستوياتهم في جامعاتهم؛ ليكونوا مصدر الإجادة للأطر الأكاديمية والعلمية للمعلمين القادمين إلى الميدان التعليمي في المستقبل. فنحن نستثمر في أبنائنا للمستقبل.

أين التدريب الذي يرتقي بمعلمي اللغة العربية في المادة، إن العديد من المعلمين يلجؤون إلى التحضير المشترك للعديد من المناهج الدراسية عبر المجموعات الرقمية (واتساب- فيسبوك- انستجرام) العابرة للسلطنة. لماذا لا يجرى اختبار قدرات لمعلم اللغة العربية كل خمس سنوات، لنميز بين المعلم المجيد الذي يطور من مهاراته ويصقلها، والمعلم الذي بقي خاملا من دون تطوير، ولنطلع على تجارب الدول؛ لنعرف سبب تميزها وتفوقها في التعليم، ونحاول التقليد أولا، لنتجاوزهم بعد ذلك.

رسالة إلى مؤسّساتنا التشريعية والتنفيذية:

نحن بحاجة إلى القيام بتجارب استثمارية تستثمر في النشء، من خلال تربيتهم على برامج اللغة العربية، والبيئة الداعمة لها. يكفي تقديسنا للآخر ولغته، والرفع من شأنه وقيمته في أعين أبنائنا، لقد أصبح التعليم غير متكافئ، بسبب استقطاب أبناء الطبقة الحريرية إلى مؤسسات تعليمية تركز على اللغات الأخرى، وتقوي من تلقيهم لها، وتهمش اللغة العربية، نحن مقبلون على عالم يموج بالمتغيرات، وعالم يسوق المعرفة بأساليب مبتكرة.

يجب أن نقتنع أفرادًا في المجتمع، وساسةً في مراكز القرار، بأن اللغة العربية هي اللغة الأوْلَى بالاهتمام، لتصبح لغة التعامل ولغة التعليم الأولى في كل مراحله، ولغة العلوم في الجامعات والتكوين التقني، ولغة الإعلام والمعلوماتية، ولغة الإدارة والاقتصاد، وهي اللغة الحية في كل مجالات الحياة.

كل هذا سيرفع من قيمة اللغة العربية، فإذا ما رأى أبناؤنا أن لها شأنا في نفوسنا، سيرونها كذلك، فلا يمكن للغة أن يراها الآخر قوية في حين يراها أصحابها ضعيفة، وإذا حكمنا عليها بالضعف فسنصبح نحن الضعفاء. إنّ التنمية الحقيقية لا يمكن أن تحدث باللغة الأجنبية، ولن نتطور وفق تعليم مذبذب، بعضه يعزز لغات أجنبية وبعضه يبني باللغة الأم، يجب أن تكون الخطة مشتركة، في تعليم يسوده التكافؤ؛ لأن التعليم هو حق للجميع، طبعا هذا لا يلغي أن نتعلم اللغات الأخرى بعد إتقان اللغة الأم ومعرفة كيف ننتج بها. فاستعمال اللغة الأجنبية في كثير من الدول لم يؤدّ إلا للتبعية في البحث العلمي والاقتصاد والتكنولوجيا؛ لأنها لم تتمكن من توطين التكنولوجيا وإنتاجها بسبب الفجوة اللغوية.

أما اللهجات فإننا لا نرى أنها تزاحم العربية في مجتمعنا فلطالما تماشت العربية وتفاعلت مع مجمل لهجات العربية، أخذت منها وأعطتها، وكانت سببا من أسباب قوتها ورفدها، وكان أبناؤها أسماء داعمة للثقافة الإسلامية، وأسماء مُعلية من شأنها عبر العصور المختلفة.

نرجو أن يكون للموضوع دراسة ميدانية ترفد هذه الأفكار وتعزز من قيمة رسائله في المستقبل إن شاء اللّٰه.

وباللّٰه التوفيق

أولا- المصادر:

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري)، لسان العرب، ج١٣، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨
3. رؤية عمان ٢٠٤٠، وثيقة الرؤية، www.isfu.gov.om
4. فلسفة التعليم في سلطنة عمان، وزارة التربية والتعليم، الأمانة العامة لمجلس التعليم، www.educouncil.org.om
5. النظام الأساسي لسلطنة عمان، الصادر بالمرسوم السلطاني رقم (١٠١/ ٩٦)، www.home.moe.om

ثانيا- المراجع:

6. حساني (محمد عمر)، اللغة العربية والتنمية -المعيقات، والمحفزّات، مجلة آفاق علمية، مجلد١١، العدد٢، ٢٠١٩.

7. الدرمكية (عائشة)، الثقافة في التنمية المستدامة، جريدة عمان، نشر: ٢١/ ٨/ ٢٠٢١، omandaily.om.

8. صالحي (صالح)، التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للثروة البترولية في الجزائر، مداخلة في المؤتمر الدولي حول التنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية.

9. غرس اللّه (محمد عمر)، اللسان (الهويّة- الأمة- العلمانية)، دار نقوش عربية، تونس، ط١، ٢٠٢١.

10. الهشامية (رحمة بنت عبد اللّه بن سليمان)، جهود السلطان قابوس لحماية اللغة العربية، ورقة علمية مقدمة للمؤتمر الدولي للغة العربية بدبي، أبريل ٢٠١٨.

ثالثا- المواقع الالكترونية:

www.mabarrat.org.ib، مقال: اللغة العربية والتطور العلمي والفكري، قرئ بتاريخ: ١٨/ ١٠/ ٢٠٢١.

المحور الثالث:
المسألة الثقافية والتنمية المستدامة

التَّنمية المُسْتَدَامة في عُمان وواقع الهوية الوطنية

أ.د. سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي
Hashimys2@gmail.com

المقدمة:

بدأت عُمان بتنمية المجتمع العُمانيّ من عام 1970م، حينما تولى جلالة السُّلطان قابوس بن سعيد (ت: 2020م) – رحمه الله- مقاليد الحكم، خلفًا لوالده السُّلطان سعيد (ت: 1972م) الذي تنازل له عن الحكم. وتعهد بتحديث عُمان، في المجالات المختلفة التي تهمُّ المواطن العُمانيّ الذي يهبُّ إلى مساندة قيادته، إذ يقول: "**سأعمل بأسرع ما يمكن لجعلكم تعيشون سعداء لمستقبل أفضل، وعلى كلٍّ واحد منكم المساعدة في هذا الواجب**"[1]. لقد هبَّ الشعب العُمانيّ وراء سلطانه؛ حيث ثار بحماسه، تمليها عليه وطينته في تحقيق إنجازات في مجالات التطور والنمو؛ في مجالات التَّنمية الشاملة، على الرغم أن السنوات الأولى من النهضة عانت عُمان فيها معاناةً صعبة اقتصاديًّا، ولكن بالعزيمة الوطنية تغلب الشعب بقوة إيمانه بخالقه، وقيَمه الوطنية، وإرادته القوية، وحبِّه لوطنه.

فخلال الخمس السنوات من حكم السُّلطان قابوس – رحمه الله- لم يكن هنالك خططٌ تنمويةٌ مرسومة، إنما كان الأمرُ وَفْقَ الحاجة الملحة التي تفيد المجتمع، مثل شقِّ الطرق وتمهيدها، وإنشاء المدارس والمصحات، والتوسع في مدّ المدن بالكهرباء، والمياه، وتحسين الموانئ، وتوفير الأغذية، والمساكن، وتأسيس مؤسسات لخدمة الشعب والنهوض بمستواه الاجتماعيّ والثقافيّ، والصحيّ، والاقتصاديّ. وبعد ذلك بدأت الخطة الخمسية الأولى: 1975 – 1980م، التي تركز على توفير الخدمات الأولية للشَّعب، وكان السُّلطان قابوس – رحمه الله- دائما يردِّد العبارة "**إننا نجنِّد كلَّ الطاقات من أجل النهوض بمستوى الفرد، وتنمية موارده ووعيه اقتصاديًا، إن دافع التطور والتَّنمية تستهدف الإنسان العُمانيّ، لأجل إسعاده، وإعداده؛ ليعطي بلاده أحسن ما عنده من إنتاج**"[2]. وينادي السُّلطان – رحمه الله-: " **ونحن ماضون -بإذن الله- في طريق التَّنمية الشاملة من أجل عزة الوطن، ورخاء المجتمع، وراحة المواطن**".

---

[1] السُّلطان، قابوس بن سعيد. خطب وكلمات حضرة السُّلطان قابوس المعظم 1970 – 2005م. ط1، وزارة الإعلام، مسقط: 2005، ص: 10- 11

[2] السُّلطان، خطب وكلمات، ص:44 – 51

ولهذا فإنَّ المحاور التالية تكشف عن دور التَّنمية واهتمامها بتعزيز الهوية الوطنية، وواقعها.

المحور الأول التَّنمية المُسْتَدَامة في سلطنة عُمان:

1. التَّنمية المُسْتَدَامة:

كلمة التَّنمية كلمةٌ تعني النمو والتطور، واستدامتها هو المحكُّ الذي يُنبئ بتحقيق أهدافها الآنية أو المستقبلية. والحقيقة أنها تُلبي احتياجات الحاضر، أمَّا احتياجات المستقبل- حيث إنَّه بالإمكان أن نجعل هذه التَّنمية مستدامة- فيلزمنا أنْ تَتجدَّد وَفْق حاجة المجتمع، وتتطور معارفه الثقافية والوطنية، ولكن لا بدّ للمخطط أنْ يراعي سلامة البيئات الطبيعية، والمساواة في العدالة الاجتماعية، وأنْ يحقِّق التكافل الاجتماعيّ، والمحافظة على القيم الوطنية، ومصادره، والنهوض بمجالاتها الإيديولوجية.

وتعني التَّنمية المُسْتَدَامة السَّعْي إلى استقرار النمو السكانيِّ للمجتمع، وتطوير الخدمات العلمية والصِّحية لفئات المجتمع؛ للحد من تدافُع الناس إلى العاصمة أو مراكز المحافظات للبحث عن موارد الرزق، وإسهامهم في التخطيط التنمويّ.

ولكي نعي أهميةَ التَّنمية المُسْتَدَامة التي تشكِّل حزمةً من الأشياء، فإنه من الواجب أن يدرك مجالاتها إدراكاً، يُحسِن التعاملَ معها، وعدم التهاون في إنجازاتها بالقدر المستطاع؛ لأنها تعتبر من أصعب الأشياء في تطبيقها أو تجاوز عوائقها؛ ولإن الهدف منها إسعاد المواطن الذي هو نفسه يدفع بعجلة التَّنمية إلى التجديد والتطوير، واستخدام البدائل في التغلب على عوائقها.

إن سلطنة عُمان قد التفتت لهذه التَّنمية واستمرارها، وتطويرها؛ لهذا لجأت حكومة السلطنة إلى وضْع خطط تنموية خمسية مستدامةٍ؛ لخدمة كل جيل، والتوسع في المرافق المختلفة وَفْقَ خطط خمسيةٍ، بدأتها في عام 1976م، واستمرت إلى وقتنا الحاضر، والاعتماد على موارد الطبيعة؛ لتبقى عُمان في أمن وسلام للأجيال القادمة. وذلك مشروط بتكاتف الحكومة مع المواطن؛ ومن ثَمَّ يسود الأمن والسلام والاستقرار والعدالة، ومما يدلُّ على ذلك إشارة السُّلطان قابوس – رحمه الله – في إحدى خطبه السنوية، فقد قال: "**إن الأعمال التي تقوم بها وزاراتنا في خدمة أبناء شعبنا ذات أهمية حيوية لتحقيق هذه الأهداف: إن مهام توفير حياة كريمة ومرفهة لشعبنا، وإتاحة فرص التدريب لشبابنا، وإعدادهم ليكونوا جديرين بتراثهم العظيم، سيؤول إليهم في يوم من الأيام، ولتنمية مواردنا الاقتصادية ولتمثيلنا في المجالس العالمية**"[3].

[3] السُّلطان، خطب وكلمات، ص:101

ولا يعني هذا في فكر السُّلطان أن هذه هي الغاية المنشودة، فلا اكتفاء بالإنجازات التي تحققت في الواقع أو سوف تتحقق على المدى القريب، بل نادى بمواصلة "**الجهود وأن لا نتقاعس عن تأدية واجبنا لخدمة عُماننا الحبيبة بجدية أكثر**".

فنخلص مما قلناه إلى أنه يجب أن تكون التَّنمية المُسْتَدَامة متوازنةً في مختلف أنشطة المجتمع، وذلك باتخاذ أفضل الوسائل لاستثمار الموارد المادية، والبشرية في هذه التَّنمية والاتكاء على مبادئ العدالة في الإنتاج والاستهلاك عند توزيع العوائد، دون الإضرار بالطبيعة أو التَّغافل عن مصالح الأجيال القادمة[4]. كما لا يفوتنا – في التخطيط لأجل التَّنمية المادية الاجتماعية – أن نشير إلى أهمية تراثنا الثقافي المادي وغير المادي، حيث لا تكمن التَّنمية في الازدهار المادي وحده، بل يواكب ذلك الجانب الروحي والثقافي، فنأخذ من تراثنا العُمانيّ أفضله، ومن مبادئ شرائعنا منهجا، وبهذا نكون قد حافظنا على الاستقرار النفسيِّ والاجتماعيِّ للمواطن العُمانيّ.

هذا، وتستلزم التَّنمية المُسْتَدَامة إجراءاتٍ مختلفةً في كل منطقة من مناطق العالم، فإن الجهود الرامية إلى بناء نمط حياة مستدامٍ حقًا تتطلب التكاملَ بين الإجراءات المُتخذَة في ثلاثة مجالات رئيسة[5]، هي:

أولاً- النمو الاقتصادي والعدالة: إن النُّظم الاقتصادية العالمية القائمة حاليًا بما بينها من ترابط، تستلزم نهجًا متكاملاً؛ لتهيئة النمو المسؤول الطويل الأمد، مع ضمان عدم تخلف أية دولة أو مجتمع.

ثانياً- حِفْظ الموارد الطبيعية والبيئية من أجل الأجيال القادمة، من خلال إيجاد حلولٍ قابلة للاستمرار اقتصاديًا؛ للحد من استهلاك الموارد، وإيقاف التلوث، وحِفظ المصادر الطبيعية.

ثالثاً- التَّنمية الاجتماعية، حيث إنَّ جميع شعوب العالم بحاجة إلى العمل والغذاء والتعليم والطاقة والرعاية الصحية والماء. وعند العناية بهذه الاحتياجات، على المجتمع العالمي أن يكفل أيضاً احترام النسيج الثري الذي يمثله التنوع الثقافي والاجتماعي، واحترام حقوق العمال، وتمكين جميع أعضاء المجتمع من أداء دورهم في تقرير مستقبلهم، وعليه، فقد أكد التقرير، الارتباط الوثيق بين التَّنمية الاقتصادية والاجتماعية مع الحفاظ على البيئة.

2. أهدافُ التَّنمية المُسْتَدَامة:

غدت عُمان منذ نشأت نهضتها الحديثة عام 1970م، وهي تضع خططها التنموية في المجالات المختلفة من أجل إسعاد المواطن العُمانيّ، وديمومة هذه التَّنمية، وأن لا تكون هذه التَّنمية تعتمد على عوائد النفط والغاز وحده، إنما تهدف أيضا تنويع قاعدة الإنتاج الاقتصاديّ، وإيجاد مصادر

[4] النور، عز الدين آدم. التنمية المستدامة بين النظرية والتطبيق. بحث نشر عبر النت PDF، سنة 2014، ص: 6
[5] أبو جودة، إلياس. التنمية المُستدامة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية؛ تقرير منظّمة الصحة العالمية، العمل معاً من أجل الصحة، جنيف، 2006، ص .14–16

دَخْل جديدة، وذلك تجنُّباً لانهيار أسعار النفط، وتقلُّبها حتى يعيش المواطن في استقرارٍ معيشيٍّ مناسب. إضافة إلى ذلك تسعى السلطنة إلى إتاحة تكافؤ الفرص الذي يحقق القدرة البشرية على المشاركة ووالإسهام في إيجاد تنوع المجالات التنموية.

إن السلطنة تسعى إلى رفاهية المواطن واحترام حقوقه وألا تمَس كرامته الإنسانية، كما يجب احترام حريته وآرائه، وأن تسود سيادة القانون والعدالة والمساواة وعدم التمييز، والإنصاف والتسامح والانفتاح الحضاري.

لهذا جاء في أهداف الخطة الخمسية الثامنة: 2011 –2015م ما يعمق هذا الهدف ويؤكِّده إذ إن "**تعزيز فرص مواصلة النمو بالسعي إلى تحقيق معدلات للنمو الاقتصادي، لا يقل متوسطها السنوي بالأسعار الثابتة لفترة الخطة عن ثلاثة في المائة (3%)، وذلك من خلال حفز الطلب المحلي، وتنمية الصادرات وتشجيع الاستثمار، ووضع استراتيجية لرفع الإنتاجية والاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية والطاقات الإنتاجية والبنية الأساسية القائمة**"[6].

ولكن هل تحققت معدل النمو الاقتصادي خلال هذه الخطة؟

لقد تعذرت الإجابة عن مدى تحقيق أهداف الخطط الخمسية بالمعنى الصحيح حسب الأهداف التي وضعت لتحقيقها؛ وذلك للعوائق الاقتصادية التي تحول دون تحقيق الأهداف المرسومة لكل خطة. ومن أمثلة ذلك أن هذه الخطة تعرضت لأزمة اقتصادية في عام 2014م، وذلك عندما تعرضت انخفاض أسعار النفط انخفاضا حادا، وتسببت في:

- انخفاض الإيرادات النفطية.
- انكماش الناتج المحلي الإجمالي.
- زيادة رصيد الدين العام بنحو 132% بين عامي: 2015 – 2016.

3. مجالات التَّنمية المُسْتَدَامة:

لقد أشرنا إلى اهتمام السلطنة في تنميتها بمجال الصحة والتعليم والاقتصاد، والمواصلات، وذلك خدمةً للمجتمع وتوفير دخل مناسب للمواطن وفق قدرته، ومؤهلاته العلمية وتخصصه التقني والفني والتربوي والثقافي. و في ماهية التَّنمية ربطت السلطنة التَّنمية بالجوانب المادية والثقافية وفق منظور تراث ثقافي معين وعادات قيمية، يقرها المجتمع والشريعة السمحاء. كما تطورت منهجية التخطيط التنموي للسلطنة إثر صدور قانون التَّنمية الاقتصادية رقم 1975/1، والذي وضعت بموجبه أولُ خطةِ تنمية خمسية في تاريخ السلطنة (1976 – 1980م) وتمثلت أهدافها في تحقيق التوسُّع الاقتصادي بصفة عامة ورَفْع مستوى معيشة المواطنين بصفة خاصة.

[6] الخطة الخمسية الثامنة 2011– 2015، الصادرة بالمرسوم السُّلطانيّ رقم 2011/1م، الصادر في الأول من يناير 2011م، ص: 3

وأنشأت الحكومة وزارة التَّنمية، ومجلس التَّنمية، وبنكًا للتنمية، يقدِّم الدعم الفني، والمالي للمشاريع، ودَعْم مشاريع التشغيل الذاتي وغيرها من التمويل للمشاريع، ودَعْم الشركات الصغيرة والمتوسطة. وفي بداية الخطة الخمسية الثالثة، افتتح جلالة السُّلطان قابوس – رحمه الله– المجلس الاستشاري للدولة الذي شُكِّل أعضاؤه من القطاعين الخاص والعام؛ من أجل دراسة رغبات واحتياجات المواطنين، ونَقْلها للحكومة، كما أنَّ من أهدافه التِمَاسَ مصالح المواطنين الحقة، وتدارُسَها بواقعيةٍ وموضوعيةٍ في معالجة الأمور[7].

كما تُوِّجَت الخطة الخمسية الأولى بإنشاء صندوق الاحتياطيّ العام للدولة، بالمرسوم السُّلطاني (1 / 80)؛ ليكون بمثابة صمام الأمان المالي تحسُّبًا لأية أزماتٍ ماليةٍ، بغرض تمويل الموازنة العامة للدولة في سنوات العجز[8]. ويهدف جلالة السُّلطان قابوس من ذلك كله إلى: "**بناء الإنسان العُمانيّ وتكوين شخصيته المتكاملة، وتعليمه وتثقيفه، وصقله وتدريبه هو في مقدمة الأهداف النبيلة، والغايات الجليلة التي نسعى دائماً وأبداً إلى تحقيقها من أجل توفير العيش الكريم لكل فرد على هذه الأرض الطيبة المعطاء**"[9].

لقد أنشأت الحكومة عدداً من المنشآت، كالمدارس والجامعات والكليات المتخصصة، والمعاهد التربوية والصحية والمهنية، والإدارية، إسهامًا مع القطاع الخاص؛ وذلك لتعليم الناشئة، وتوفير الكادر المهني المتدرب وفي كلمة السُّلطان قابوس في18 نوفمبر 1988 م ما يؤكد ذلك إذ يقول: "**لقد أولت مسيرتنا عنايةً كبيرة لإنجاز البنية الأساسية في المجالين، التعليم والتدريب، وأكملنا بذلك مراحل مهمة، حرصاً منّا على إعداد أبنائنا للمشاركة في بناء وتنمية البلاد**"[10] وكان السُّلطان حريصا أن يكون في هذين المجالين رَبْطٌ بينهما وفق احتياجات البلاد من القوى العاملة "**ربطا دقيقا وفعالاً، وبكل ما يعنيه ذلك من تكيف وتنوع في برنامج التعليم والتدريب وفق احتياجات سائر قطاعات الدولة، من المهنيين والفنيين وغيرهم من العمالة والكفاءة المؤهلة**"[11].

وكانت فلسفة التعليم في السلطنة قد بدأت في 1978 خلال الخطة الخمسية الأولى، ثم طورت عام 2003 بموجب الخطة الخمسية الخامسة، وفي عام 2009 أيضا جرت عليها بعض الإضافات، ثم تُطورت هذه الفلسفة من قِبَل مجلس التعليم الذي أنشئ بموجب مرسوم سلطاني رقم 2012/48م؛ ليكون مُعيناً في رسْم سياسات التعليم، وقد شملت هذه الفلسفة مبادئ جديدة فرضها الواقع

[7] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 123
[8] مجلس الدولة. أبرز ملامح الاقتصاد العماني خلال الفترة (1970–2016 م. الأمانة العامة المساعدة لشؤون، مركز المعلومات والبحوث، دائرة البحوث الاقتصادية والمالية، مسقط: أغسطس 2018، ص: 3
[9] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 251
[10] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 182
[11] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 182

العلمي، وتقدم التكنلوجيا في عام 2014م، وفي الحقيقة هي تشمل مجموعة من المبادئ والاهداف التي تجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتي تستند على مصادر وأسس دينية وعلمية ووطنية ودولية[12]. ويمثل تطور سكان عُمان تطورا مستمرا، فالتعداد السكاني في عام 2003 وهو ثاني تعداد للسلطنة بلغ 1779318 مواطنا، والوافدون بلغوا 552073، وفي سنة 2010م بلغ عدد العُمانيّين:1,957,336 نسمة، والوافدون بلغوا 816,143 نسمة، بينما كان التعاداد في عام 2020 يشير إلى بلوغ العُمانيين 2,731,456 نسمة، وبلوغ عدد الوافدين: 1,739,692 نسمة، والجدول التالي يوضح تطورَ أعداد السكان:

السنة	عُمانيون	وافدون	جملة السكان
1993	1,465,000	535000	2,000,000
2003	1779318	552073	2,331,391
2009	294,937	897,161	1,192,098
2010	1,957,000	1,957,000	2,773,000
2011	2,013,000	1,282,000	3. 295,000
2012	2,093	1,530.	3,623
2013	2,172	1,683	3,855
2014	2,261	1,732	3,993
2015	2,345	1,814	4,159
2016	2,428	1,986	4,414
2017	2,505	2,055	4,560
2018	2,579	2,022	4,602
2019	2,655	1,963	4,618

[12] مجلس التعليم. فلسفة التعليم في سلطنة عمان. ط1، مسقط: 1438هـ/2017م، ص: 11

2020	2,731	1,739	4,471
الاسقاطات السكانية 2020 – 2040[13]			
2030	3,485,906	2,808,776	6,294,682
2040	4,232,476	3,423,868	7,656,342

وكشف تقرير مجلس التعليم الذي نشر عام 2014 عن واقع مسيرة التعليم في السلطنة حتى 2014م فقد تطور التعليم في السلطنة من ثلاث مدارس في عام 1970م إلى 967 مدرسة في عام 1997/1966م، وقفز عدد المدارس إلى 1039 في العام الدراسي 2000/1999م، وبلغت المدارس في عام 2020/2019م 1166 مدرسة، وقد صنفت وزارة التربية والتعليم التعليم إلى أربعة أصناف: التعليم ما قبل المدرسة، والتعليم المدرسي، والتعليم المستمر، والتعليم الخاص، كما أنَّ هناك التعليم العالي المتمثل في الجامعات والكليات والمعاهد المتخصصة.

والجدول التالي يوضح أعداد الطلبة والمدارس وعدد الخريجين: 2009 – 2020م[14]

السنة الدراسية	عدد الطلاب	عدد المدارس	عدد الخرجين
2010/2009	629,353	1,418	15,769
2011/2010	632,326	1,466	15,077
2012/2011	652,567	1,486	16,616
2013/2012	655,928	1,529	20,547
2014/2013	679,235	1,553	21,454
2015/2014	701,577	1,580	19,063
2016/2015	724,395	1,647	23,830
2017/2016	748,308	1,725	28,227

[13] المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. الاسقاطات السكانية 2020 – 2040. أغسطس 2017
[14] كتاب الإحصاء السنوي لعامي 2018 و2019

2018/2017	770,481	1,808	28,419
2019/2018	805,329	1,927	27,651
2020/2019	843,598	2,046	

ونحن هنا لا يهمنا كثيرا أعداد الطلبة في المدارس، فأكثر ما يهمنا عددُ الخريجين، الذين يتوجهون إلى البحث عن عمل، فقد تخرج خلال العام الأكاديمي 2010/2009 بمؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة داخل السلطنة: 15,769 خريجا، أمَّا الخريجون خلال العام الدراسي 2018 ـ 2019م من مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة بالسلطنة فقد بلغ 27,651 خريجا، والجدول التالي يوضح تطور العمالة الوطنية والوافدة في القطاعين الخاص والعام[15]

السنة	العُمانيّون	الوافدون	الجملة
2009	294,937	897,161	1,192,098
2010	318,086	979,242	1,297,328
2011	333,699	1,139,772	1,473,471
2012	338,870	1,343,704	1,682,574
2013	362,597	1,501,528	1,864,125
2014	389,732	1,544,004	1,635,785
2015	403,585	1,671,540	2,075,125
2016	429,806	1,825,603	2,255,409
2017	434,368	1,832,072	2,266,440
2018	447,942	1,765,496	2,213,438
2019	465,226	1,692,581	2,157,807

[15] كتاب الإحصاء السنوي لعامي 2018 و2019

يتضح من الجدول من أن عدد الوافدين ثلاثة أضعاف العُمانيّين حسب عام 2019م، وأن عدد العُمانيّين الذين توظفوا 5,478 موظفا، بينما الذين تقاعدوا 18,784 موظفا، وأن انخفاض الوافدين قد بلغ حوالي 72915 موظفا. وأكثر هؤلاء الموظفين في القطاع الخاص، وأن نسبة 75.4%من إجمالي المشتغلين في السلطنة يعملون في القطاع الخاص، مقابل 11 % يعملون في القطاع الحكومي و13.6 % في القطاع العائلي، وكان عدد الخرجين في عام2018م: 27,651 خريجا، وهذا لا يتناسب مع عدد الموظفين الجدد عام 2019م.

ولهذا فإن اجراءات الحكومة بالنسبة للبطالة تكمن في أنها سعت إلى إيجاد رؤية عشرينية (2020 – 2040)، كنوع من الحلول لمشاكل التوظيف وازدياد عدد السكان، حيث تهدف رؤية 2040 إلى ضمان القدرة على تحمُّل التكاليف، والتوافر، وإمكانية الوصول إلى الطاقة لجميع المساهمين، بما في ذلك المجتمع والأعمال. كما تشمل أيضا الرؤية إسهام مصادر الطاقة المتجدِّدة في إجمالي استهلاك الطاقة، والهدف هو زيادة المحتوى المحلي ذي القيمة المضافة في المزيد من الصناعات المحلية القائمة على النفط والغاز؛ لتعزيز الصادرات وتوفير المزيد من فرص العمل لسلطنة عُمان بدلاً من تصدير الموارد الخام. ففي عام 2017، كانت حصة النفط من الناتج المحلي الإجمالي 39 في المائة بينما كانت المصادر غير النفطية 61 في المائة. إن هدف السلطنة هو خفض حصة النفط من الناتج المحلي الإجمالي إلى 16 في المائة في عام 2030 والوصول إلى 8.4 بحلول عام 2040. وتقاس هذه الرؤية عن طريق الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال التركيز على كمية الإنتاج الذي يحقق- بلا شك -حاجة المواطن، بما يضمن استمرار سلوكه تجاه المتغيرات الجارفة، ولضمان توزيع منافعه على طبقات المجتمع كافة، وليس مجرّد عمليّة توسُّع اقتصاديّ.

4. عوائق التَّنمية المُسْتَدَامة:

إن حكومة السلطنة، قد بذلت جهودًا كبيرة في توفير البنى التحتية، وشكَّلت لها مؤسسات عديدة، ووضعت لها قوانين؛ لتسيير تلك المؤسسات، ومنها أنها أنشأت وزارات تخدم التوظيف في المجالين، العام والخاص، ووزارات تخدم الخدمات العامة، كالمسكن والزراعة والأسماك، والتربية، والصحة، والثقافة وغيرها مع خطط خمسية منذ عام 1976م وحتى الآن كما أشرنا. كل ذلك لتوفير وظائف للمواطنين في القطاعين، ولكن التخطيط كان ينقصه البعد الواقعي المدروس، فالمواطنون يتكاثرون دون أن تضع مؤسسات الحكومة ذلك في حسبانها، وتترك كل مؤسسة تحل مشاكلها، كالتربية والتعليم، والصحة وغيرها من المؤسسات الخدمية، وفي الوقت نفسه وجدنا الحكومة تبرم مشاريع كبيرة، تتطلب منها مبالغ هائلة على حساب المواطن الذي يبحث عن وظائف، فلا يجدها، ويزداد

العدد حتى أصبحت البطالة حقيقية. ولكن الحكومة لا تود الاعتراف بذلك، واستعاضت بمصطلح "**باحثين عن عمل**".

كما أن عائق التوظيف في ذلك يكمن في أن الحكومة لم تستطع الاستغناء عن عوائد النفط، في ظل ضعف العائد المحلي الذي يتذبذب وفق جودة الإنتاج والتنافس التجاري الحر. فانخفاض النفط يخلق عائقا حقيقيًّا خلال تنفيذ برامج الخطط الخمسية[16]، وتسجيل عجوزات في أغلب خطط التَّنمية الخمسية، كما أن خطط التأهيل للقوى العاملة تركز في جوانب على حساب جوانب أُخَر.

ولهذا ظهرت البطالة التي تُعرف بأنها حالة الأشخاص الذين ليس لديهم وظيفة يمارسونها، ولم يتمكّنوا من الانخراط في القوى العاملة الفعّالة في المجتمع، حيث إنَّهم يسعون للحصول على وظيفة باستمرار، وهو أمرٌ في غاية الأهمية، لأنها مشكلة تشكل هاجسًا كبيرًا على مستوى المجتمع والحكومة.

ومما لا شك فيه أنَّ أثر البطالة لا ينكرها عاقل، حيث تنعكس بشكل سلبيٍّ على الناحية الاقتصادية والاجتماعية والوطنية، إذ إنها تؤثر في النمو الاقتصاديّ، على المدى الطويل، وتنعكس على المواطنين حيث يصبحون غير قادرين على تسديد التزاماتهم الماليّة، فينتج عن ذلكَ تعرّضهم للضغط النفسيّ، والإصابة بالأمراض، والتشرّد، وارتفاع نسبة الفقر، وفقدان رأس المال البشريّ، ويحدث ذلك عندما يقبل الأفراد العمل دون مستوى مهاراتهم للحصول على الأموال، وعلى الصعيد الاجتماعيّ والسياسيّ فإنّ ارتفاع معدلات البطالة قد يؤدّي إلى الاضطرابات المدنيّة والصراعات، والاعتصامات، والمَسيرات، والسرقات.

ومن العوائق في التَّنمية الفساد الإداري، الذي يتلف المصداقية بين المواطن والحكومة. والفساد الإداري في الحقيقة هو "**ظاهرة قديمة، وهي تتصل بالطبيعة البشرية، وبالتالي لا يخلو منها أي مجتمع مهما بلغ من مراحل النمو والتطور، ويشكل الفساد الداء العضال لهذه المجتمعات. والعائق أمام تقدمها، ويُحْدِث تأثيرًا سلبيًا على اقتصادها ونموها**"[17]. والفساد الإداري هو سوء استعمال الوظيفة العامة من قِبل الموظف العموميّ الذي يخالف القانون من أجل منفعةٍ غير شرعية، لنفسه أو لذويه من الأقارب والأصدقاء والمعارف ومنفعة لجماعة أو طبقةٍ مَّا، أو امتناعه

[16] مجلس الدولة. أبرز ملامح الاقتصاد العماني خلال الفترة (1970–2016 م. الأمانة العامة المساعدة لشؤون، مركز المعلومات والبحوث، دائرة البحوث الاقتصادية والمالية، مسقط: أغسطس 2018، ص: 8 – 9

[17] منصور، صبحي. أخلاقيات الوظيفة العامة، والفساد الإداري. بحث نشر ضمن كتاب الفساد الإداري والمالي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة: 2008م، ص: 194

عن أداء عملٍ من أجْل كسْب ربحٍ شخصيٍّ، أو استغلال مركزه وسلطانه، وبذلك يكون الموظف قد ارتكب سلوكًا غيرَ سويٍّ، وخالف القوانين ومعايير السلوك الأخلاقي.

وسلوك الموظف الحكومي حدده قانون الخدمة المدنية العُمانيّ الصادر في عام 2004م في توظيف الموظف الحكومي، فيجب أنْ يكون حسن السير والسلوك، وأنْ يحافظ على كرامة الوظيفة، وأنْ يكون أميناً على وظيفته، ومخلصاً في عمله، وأن يحسن التعامل مع الناس، وأن لا يفشي أسرار الوظيفة.

أمَّا مظاهر الفساد الإداري فقد حددته منظمة الأمم المتحدة في وثيقة "اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد"[18] وهو الرشوة، والاختلاس، والمتاجرة بالنفوذ، وغسل الأموال، والإثراء غير المشروع، وإساءة استغلال الوظيفة، والإخفاء، وإعاقة سير العدالة. كما يدخل في ذلك بيع الوظيفة، والمحسوبية، والمحاباة، والغش والتزوير، والابتزاز[19].

المحور الثاني: واقع الهوية الوطنية

حرصت حكومة سلطنة عُمان على المحافظة على الهوية الوطنية من خلال تنميتها الاجتماعية والثقافية، وكذلك من خلال فِكر جلالة السُّلطان قابوس – رحمه الله – ويشمل ذلك مظاهر الهوية الوطنية، عمليًّا وفكريًّا، من خلال المناهج الدراسية في المدارس والكليات والجامعات، وكذلك من خلال البرامج السمعية والبصرية والمقروءة، إذ تحاول هذه المؤسسات غرس القيم الدينية، والتراثية، والتاريخية، والاجتماعية. ولكن هل استُوفيت حقها في استيعاب الناشئة مفردات الهوية والوطنية؟ وذلك أمام القنوات التلفزيونية، وشبكات المعلومات، وشبكات التواصل الاجتماعي، التي تنادي بعولمة الثقافة وحرية الاقتصاد، وفي غياب الرقابة الذاتية للناشئة. كما تراجع دور الأسرة والمجتمع عن واجباته نحو الناشئة، فظهرت مشاكل تربوية واجتماعية، نتيجة تحديات كثيرة، وأصبحت بعض الأسر بنفسها غير قادرة أن تحد من هذا الانفلات شبه الأخلاقي، وليس هناك برامج إعلامية موجهة إلى معالجة هذه المشاكل الأسرية، وعلى وجه الخصوص الصراع بين قيم الهوية الوطنية، وثقافة العولمة. ولعلنا لا نخرج عن المألوف حينما نشير إلى تقليص المواد الاجتماعية (التربية والجغرافيا والتاريخ)، فضلا عن التهاون في مادة التربية الإسلامية أو الدينية، وهي أسُّس في وجدان الناشئة، وتمده بانضباطه السلوكي والانتماء في محيط المجتمع.

[18] اعتُمدت اتفاقية مكافحة الفساد من قِبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في 31 أكتوبر 2003م، وبلغ أعضاؤها 172 عضوًا.

[19] المعمري، صالح بن راشد بن علي. استراتيجية مكافحة الفساد الإداري في القطاع العام. ط 1، النادي الثقافي، مسقط: 2013م، ص: 140

1. أنواع الهوية: الواجبات والحقوق:

إن مفهوم كلمة "هوية" مركبة من ضمير الغائب "هو" مضافا إليه ياء النسبة؛ للتدليل على ماهية الشخص أو الشيء الذي له مقومات ومواصفات وخصائص معينة، تمكنه من معرفة صاحب الهوية بعينة دون اشتباهٍ مع أمثاله من الأشباه. وقد تكلم كثيرون في معنى الهوية، وأعطوا تفسيرات مختلفة ومعايير عديدة. فالهوية الثقافية تعني التفرُّد الثقافيّ، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط وسلوك ومَيل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة[20].

فقد جاء في كتاب "الكليات" لأبي البقاء الكَفوي: "**أن ما به الشيءُ هو باعتبار تَحقُّقِه يسمى حقيقةً وذاتاً وباعتبار تشخصه يسمى "هوية" وإذا أَخَذَ أعمّ من هذا الاعتبار يسمى ماهية**"، وجاء في هذا الكتاب أيضاً "**أن الأمر المُتعقَّل من حيث إنَّه مقول في جواب (ما هو) يسمى ماهية، ومن حيث ثبوتُه في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى "هوية**"[21].

وقسمت الهوية إلى أربعة أنواع؛ النوع الأول الهوية الفردية، ويقصد بها توضيح ماهية الإنسان ومن هو، وتشمل عدّة عوامل؛ كالرقم الوطني، وبصمات الأصابع، وجواز السفر، وشهادة الميلاد، والتاريخ الشخصي، والأصدقاء، والعائلة، والعلاقات. أمَّا النوع الثاني فهو الهوية الاجتماعية، التي توضح أنها إلزامية بمفهوم الأدوار الاجتماعية وطرق التصرّف المفروضة على فئة محددة؛ كالأطفال. أمَّا الهوية الثالثة فهي الهوية الجماعية، وهي التي تشاركها المجموعات الاجتماعية الأخرى، والنوع الرابع هو الهويات المتعدة: تلك التي يُجادل علماء الاجتماع فيها، فيرون أنّها هوية أعقد ممّا سبق؛ وذلك لأنّها تتأثّر بعدّة عوامل ترتبط بالقضايا الاجتماعية المحيطة؛ كالطبقة الاجتماعية، والجنس، والعِرق، والعمر، والجنسية، وغير ذلك.

وهذا التصنيف ربما يناقضه تصنيفٌ آخر، وهو التصنيف الذي ينادي بأن الهوية إمَّا أنْ تكون فردية أو جماعية، كالهوية الوطنية أو الانتماء لمجتمعٍ أو طائفة، وهذا النوع لا يمكن تغييره، بينما هناك هوية يسعى لها، مثل الهوية المهنية أو الهوية الفكرية التي يعتنقها الفرد كالماركسية والقومية والبعثية والناصرية، والشيوعية وغيرها، والهوية المهنية والفكرية هي غير ثابته وقابلة للتخلي عنها.

وفي الحقيقة يمكن القول: إنَّ موضوع الهوية قد شغل المجتمعات كثيرا، وذلك أنَّ من بعض المجتمعات مَن تمسك بهوية الوطن، ومنهم من انحاز إلى هوية الدين وتمسك بها، ونرى بعض المجتمعات تفضل انسجام المجتمع في حريته وأمانه. ومن الغريب أنَّ التعصب للهوية في المجتمعات الصغيرة، يكون بسبب

---

[20] الحاج، كميل. الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي. مكتبة لبنان، بيروت: ٢٠٠٠، ص 3 .

[21] الكفوي، أبو البقاء. "الكليات". تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1995، ص 961.

شعورها بأن كيانها مهدد، أو الخوف من اضمحلال هويتها وبالتالي تتلاشي، وخصوصا التي تفتقر إلى مقومات وقيم الهوية.

إن موضوع هوية المجتمعات والأمم يكمن في صفاتها التي تميزها من باقي الأمم؛ لتعبر عن شخصيتها الحضارية[22]. وأهم عناصر الهوية ثلاثة عناصر؛ أولها عنصر العقيدة (الدين) االذي يتلاشى أمامه جميع الهويات المتعددة أثناء الحروب، وتصبح الهوية الدينية الأكثر قبولا في الصراعات، وقد أشار جلالته في ذلك بقوله: "**وإننا وقد وضعنا بلادنا على طريق البناء والتقدم من أجل إقامة دولة عصرية، إلا أن ذلك يجب ألا يكون على حساب تعاليم ديننا القويم**"[23]، والعنصر الثاني وهو عنصر اللغة التي يُعبَّر بها؛ لكونها عاملا مميزا للمجتمعات، أمَّا العنصر الثالث فهو التراث الثقافي والحضاريّ لهذه المجتمعات التي يُسهم هذا العنصر في تشكلها [24]. هذا، ولم يغفل السُّلطان عن هذا العنصر إذ يقول: "**وإننا وقد وضعنا بلادنا على طريق البناء والتقدم من أجل إقامة دولة عصرية، إلا أن ذلك يجب ألا يكون على حساب تعاليم ديننا القويم، أو على حساب تقاليدنا، وتراثنا الحضاري الذي نعتز به اعتزازاً بأنفسنا**"[25].

إن المواطن الذي ينتمي لمجتمعٍ مَّا تربطه علاقة الدين واللغة، والتاريخ الثقافي والحضاري، فإن هذا المواطن له حقوق وعليه واجبات لهذا الوطن، يقيم فيه، وهذا ما يُعرف بحقوق وواجبات المواطنة. ولهذا فإن كل دوله تمنح لمواطنيها حقوقا بموجب قوانينها. وتنطوي هذه الحقوق في أربعة حقوق أساسية، بغض النظر عن عرقهِ أو لونهِ أو لُغته، وهي الحقوق الدينية، والحقوق الاقتصادية، والحقوق الاجتماعية، والحقوق السياسية. فقد خصص النظام الأساسي للدولة الباب الثالث في الحقوق والواجبات العامة للمواطن. "**المواطنون جميعهم سواسية أمام القانون، وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة، ولا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو الدين أو المذهب أو الموطن أو المركز الاجتماعي**"[26].

---

[22] هنتنجتون، صامويل. صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح، ط2، القاهرة: ١٩٩٩م، ص: 103؛ انظر أيضاً كاظم، ثائر رحيم. العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، المجلد 8، جامعة القادسية، كلية الآداب، القادسية: 2009م، ص: 253 – 272.

[23] السُّلطان، قابوس بن سعيد. خطب وكلمات حضرة جلالة السُّلطان قابوس المعظم 1970 – 2005م. ط1، وزارة الإعلام، مسقط: 2005م، ص: 141

[24] عمارة، محمد. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية. ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٩٩، ص: ٤٦، انظر أيضاً كاظم، ثائر رحيم. العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، المجلد 8، جامعة القادسية، كلية الآداب، القادسية: 2009م، ص: 253 – 272

[25] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 141؛ الهاشمي، عبد الله بن مسلم. الهوية الوطنية والقومية في فكر صاحب الجلالة السُّلطان قابوس. مجلة رسالة التربية، العدد 17، وزارة التربية والتعليم مسقط: شوال 1428/نوفمبر 2007م، ص: 124

[26] المادة 21 من النظام الأساسي للدولة الصادر بالمرسوم السُّلطاني رقم 2021/6 بتاريخ 11 يناير 2021

إن ثمّة حقوقًا ترتبط بالحرية، والحق في الحياة الآمنة والمُستقرة وعدم تهديد الحياة بالخطر أو التعرض لأي نوع من أنواع التعذيب والاستغلال. وهي تكمن في الحق في المشاركة السياسية، وحرية التعبير عن الرأي، والتفكير، والحق في التملُّك الخاص، وحرية التنقل، واختيار مكان الإقامة في أي مكان داخل حدود الدولة، والحق في الشعور بالأمان، وعدم التعرض للاعتقال أو التوقيف التعسفي، بالإضافة إلى الحقِّ في عدم التدخل في الخصوصية وكل ما يتعلق بشؤون الأسرة أو المراسلات الشخصية.

أمَّا الحقوق التي ترتبط بالأمن، فتكمن في حق المواطن في العمل؛ إذ إن لكلِّ مواطنٍ الحق في أن يمتهن أيَّة مهنةٍ حسب اختياره الشخصي مع حقه في توفير ذلك من قِبل الدولة التي يقيم عليها وفق نظام الضمان الاجتماعي، ومنها الحق في السكن؛ حيث ينبغي أن يكون الفرد حراً في اختيار مكان سكنه داخل أي مكانٍ في الدولة، ومنها الحق في التعليم؛ حيث إنَّ لكلِّ فردٍ داخل حدود الدولة الحق في الحصول على التعليم بمستوياته كافةً، وأهمها التعليم الابتدائي، مع الأخذ بعين الاعتبار تأسيس المدارس والمؤسسات التعليمية المختلفة من قِبل الدولة، ومنها الحق في الحصول على الرعاية الصحية؛ إذ إن لكلِّ مواطنٍ الحق في الحصول على العلاج الطبي ضمن مستشفيات الدولة ومؤسساتها الصحية، بالإضافة إلى الحق في الحصول على التأمين الصحي وتلبية احتياجات المناطق الريفية للخدمات الصحية بنفس مستوى الخدمات التي تقدّم في المناطق الحضرية، ومنها الحق في اللجوء للقضاء، والحصول على المحاكمة العادلة والحماية القانونية، بالإضافة إلى الحق في الحصول على أية معلومة قد تكفل حماية حقه.

وللمواطن أيضا حقوقٌ، تتمثلُ في حق المواطن في العيش في بيئة غير ملوثة ونظيفة وآمنة غير مُزعزعة، ومنها الحق في ممارسة التَّنمية السياسية والاقتصادية والثقافية، وكذلك منها الحق في العيش داخل مجتمع متضامن اجتماعياً، والحق في اعتناق الأديان وأداء العبادات الخاصة بها.

وإذا كان للمواطن من حقوق، فإن في مقابل ذلك عليه واجبات، تندرج مجملا في التحلي بالأخلاق، والمحافظة على وطينته وعائلته، واحترام القوانين، والقيم العقائدية والاجتماعية، وأهمها تفصيلا دعم التعليم من خلال المُشاركة فيه وإنشاء المدارس، ومعرفة قوانين الدولة ومُتابعة تطبيق الدستور، والمُشاركة في نشر المفاهيم وتعزيزها، والمبادئ، والقيم واحترام حقوق الآخرين التي ينصُّ عليها النظام الأساسي للدولة، والسَعي في تحقيق السلام ونشره في المجتمع، ودعم الدولة ومُساندتها في حالة الكوارث الطبيعية، والحالات الطارئة، والحروب، ومنع انتشار أعمال الفساد وإدانتها، ودفع الضرائب المقررة حسب القانون وحسب الحالة الاقتصادية، والالتزام والسعي للعمل حسب القدرة البدنية، والفكرية لكلِّ شخص، والمُشاركة في الأنشطة المجتمعية المُفيدة، ودعم المبادئ المنصوص عليها في النظام الأساسي للدولة وممارستها، ودعم وتثقيف الأبناء، والمساواة بين الزوج والزوجة في المسؤوليات.

2. الوطنية: ماذا يعني الوطن

مصطلح مواطنة مصدر الفعل واطن، أي شارك في المكان مولداً وإقامة، واستوطن، أمَّا المواطنة اصطلاحا فتعني الارتباط بالمكان ارتباطاً شعوريا ووجدانياً وعاطفيا، وبالتالي تصبح له حقوقٌ، وعليه واجبات في الانتماء والولاء لوطنه في وقت السلم أو الحرب[27].

وهناك آراء متعددة في مفهوم المواطنة، منها أن كيرنس (Cairns) يرى أنها تتكون من ثلاثة عناصر هامه؛ العنصر الأول منها يتعلق بالنظام القانوني للمواطنة، التي يحددها ، من ناحية الحقوق والواجبات المدنية والسياسية والاجتماعية، والعنصر الثاني مشاركة المواطن بنشاطٍ في مؤسسات المجتمع السياسي، أمَّا آخر عناصر كيرنس فهو عضوية المواطن البارزة في المجتمع[28].

وأهم مكونات المواطنة عنصر الانتماء الذي يتألف من الأبعاد التالية[29]:

1. الهوية، وتتمثل في وجود الفرد ويسعى الانتماء إلى توطيدها.
2. الجماعية، وتشتمل على تعاون وتكافل وتماسك الأفراد في المجتمع الواحد، وهي بذلك تعزز ميل الأفراد إلى المحبة والتفاعل المتبادل
3. الالتزام، ويتضمن التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية بما فيها الالتزام بمعايير الجماعة وتجنب النزاع.

ومن عناصر المواطنة عنصر الولاء فهو جوهر الالتزام، ويدعم الهوية الذاتية من جهة، ويقوي الجماعية بين الأفراد من جهة أخرى، حيث يعتبر أشمل وأوسع من الانتماء، إذ يتضمن الولاء في مفهومه الواسع الانتماء، فالانتماء لا يتضمن بالضرورة الولاء، وقد يمتزج الولاء والانتماء حتى يصعب الفصل بينهما، فالولاء هو صدق الانتماء ولا يولد مع الإنسان، وإنما يكتسبه بالتنشئة الاجتماعية والتربوية من مجتمعه. ويقصد بالولاء مجموعة المشاعر التي يحملها الفرد تجاه الكيان الذي ينتمي إليه، فعندما يشعر الفرد بأنه جزء من نظام اجتماعيٍّ مَّا، فإنه يدين بالولاء لهذا النظام حتى يصبح هذا الولاء مشاعر وجدانية عميقة قوية[30].

---

[27] الدجاني، أحمد صدقي. مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية. مركز يافا للدارس والأبحاث، القاهرة: ١٩٩٩، ص 5

[28] صفرار، عبد الله بن محمد بن بخيت. دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العماني. رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم الإعلام، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، عمّان: 2017، ص:28

[29] قرواني، خالد. الاتجاهات المعاصرة للتربية على المواطنة. جامعة القدس المفتوحة. ص: 13؛ العامر، عثمان صالح. أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطن لدى الشباب السعودي. المؤتمر السنوي الثالث، المملكة العربية السعودية، الباحة: 2005، ص 511

[30] القريني، المرجع السابق، ص: 13 – 14

3. واقع الهوية الوطنية

لقد استعرضنا جهود الدولة في التَّنمية المُستَدَامة، حيث وَضْعُ الخطط الخمسية من أجل النهوض بالمواطن وتقديم عيشة هنية له، فقد أُنشئت المدارس للتعليم والمعاهد للتدريب؛ لإعداد هذا المواطن اعداداً جيدً، ليلتحق بالعمل وفق مؤهلات، يكسب منها معيشته. وفي الوقت نفسه أُعِدّ هذا المواطن لاكتساب المعارف، والقيم، والاتجاهات؛ ليكون مواطنا فاعلا في مجتمع وطنه. وهذا ما يعرف عند التربويين بالتربية المواطنة، يكتسبها الناشئة من جميع المناهج الدراسية في مختلف المراحل الدراسية، وأكثر المعارف تركيزا لتربية المواطنة الدراسات الاجتماعية والتربية الإسلامية واللغة العربية، وقد كان جلالة السُّلطان قابوس مدركًا أهمية الوعي الوطني، ولهذا دائما ينبه في مختلف المناسبات على أهمية الوطنية وعناصرها، إذ يقول: " **وبالتالي من دون وعي وطني لا نستطيع أن نحقق شيئاً، .... إنني أومن بأن الوعي يولِّد المسؤولية والمسؤولية تعني في النهاية الالتزام بالوطن وبأرضه، وبنظامه**"[31].

لقد أيقن السُّلطان منذ أن تولى الحكم معنى الوطن والمواطن، فسعى في توحيد عُمان تحد حكومته، فغير اسم عُمان إلى سلطنة عُمان، وغير العلم والنشيد الوطني، كما غير النقد العُمانيّ من الريال السعيدي إلى الريال العُمانيّ، كما رفع جميع القيود المفروضة على المواطنين، وأصبح التعليم إلزاميًّا، وساعدت الدولة المعسرين من خلال"الضمان الاجتماعي" براتب شهريٍّ مناسب. وناشد السلطان المواطنين بأن الوطن للجميع، وأنه لابد أن تكون هناك مشاركة في التَّنمية بين الحكومة والمواطنين، فقال: "**فالحكومة والشعب كالجسد الواحد، إذا لم يقم عضو منه بواجبه اختلت بقية الأجزاء في ذلك الجسد**"[32]. ويقول: "**إن السياسة التي اخترناها، وآمنا بها هي دائما وأبداً التقريب والتفهم بين الحاكم والمحكوم، وبين الرئيس والمرؤوس، وذلك ترسيخاً للوحدة الوطنية، وإشاعة روح التعاون بين الجميع**"[33].

إن واقع الهوية الوطنية واقعٌ ملموسٌ، فالوطن واحد، وللمواطن حقوق وواجبات وفق القوانين، وإذا كان مؤسس هذه اللمحة الوطنية قد توفاه اللّه فخليفته السُّلطان هيثم والمواطنون يسيرون على نهج السُّلطان الراحل.

وأمام هذه التَّنمية، والخدمات التي تقدم للموطن اجتماعيا، واقتصاديا، وثقافيا، نطرح سؤالا هو:**هل الشباب يعانون من أزمة هوية وطنية؟**

إن الشباب يشكلون الشريحة الأكثر والأكبر بين فئات المجتمع، حيث يمثلون المرآة التي تُعْكَس بها وعليها كل المتغيرات والمستجدات بالمجتمع، وذلك من أثر التحولات الثقافية والاقتصادية التي في طور ازدياد

---

[31] فريحة، نمر منصور. التربية المواطنة في فكر جلالة السُّلطان قابوس. مجلة رسالة التربية، العدد 15، وزارة التربية والتعليم مسقط: جمادى الثانية 1428/يونيو 2007م، ص: 23

[32] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 11

[33] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 95

في عصرنا، فمنذ مطلع الألفية الثالثة، وتطور ثقافة الشباب والمجتمع، وذلك بدخول مصادر المعلومات المتعددة وبسرعة، والهواتف النقالة الذكية، ودور شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها الواقعي على الهوية الوطنية، فضلا عن عجز الثقافة الوطنية الراهنة عن التكيف الإيجابي مع المتغيرات المحلية والعالمية، وما تمر به الهوية الثقافية من قسر وقهر واجبار وما تروِّج له قوى العولمة من فرض معايير مشتركة واحدة[34].

ونحن هنا من خلال رصدنا لرغبات الشباب منذ 21 سنة، نجد أن ما يعانون منه قلة العمل والبطالة " وتندرج تحت الباحث عن عمل". فما الأسباب أو المعوقات التي تحول من توظيف هذه الفئة أولا بأول. والتي تؤثر تأثيرًا بالغا في أزمة الهوية الوطنية لا محالة، وذلك ما يمكن أن نحصره في نقطيين: المعوقات الاقتصادية، والمعوقات الإدارية والتنظيمية .

ويمكن أن تحصر المعوقات الإدارية في[35]:

1. تخلف الأجهزة الإدارية القائمة، وبيروقراطية إجراءاتها، والبطء في اتخاذ القرارات فيها.
2. ضعف التنسيق بين الوحدات الإدارية الحكومية، والمؤسسات الخاصة، ومرونة القوانين واللوائح الخاصة في هذا المجال.
3. عدم تقبل القيادات الإدارية في أهمية إجراءات التطوير والتحديث في مؤسسته، ولا يبالي بحاجات المجتمع .
4. عدم توافر الكوادر المؤهلة والقادرة على رسم البرامج التنموية وتنفيذها ومتابعتها.
5. غياب التكامل في التخطيط وتنفيذ البرنامج التنموي، مع غيره من البرامج في القطاعات الأُخَر.
6. غياب الشراكة من قِبل القطاع الخاص، ومؤسسات المجتمع المدني في برامج التَّنمية.

وقد شعرت الحكومة بهذه المشكلة فبدأت بعلاجها عن طريق تخفيض الرواتب، والتقاعد المبكر بخلاف القانون، ومساهمة الموظفة في تغطية متطلبات أسرتها "أبويها وأخوتها" عن شكل إجباري، وفرض الضرائب، ورفع الدعم الحكومي عن الوقود، والكهرباء والماء، وغيرها. أمام ذلك كان تعبير المواطنين بعدم الرضى، والتذمر، وكذلك لجأت الحكومة إلى الزيادة في مادة ثقافة المواطنة التي تتناول الهوية الثقافية للشباب، وذلك بإقامة المحاضرات والندوات لتعزيز ثقافة المجتمع وأصالته والاهتمام بالتربية

[34] شحاته، فوزي محمد عبد الهاي. مشكلات الشباب: أزمة ثقافية. مجلة كلية الخدمات الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 3، جامعة الفيوم، ص: 106

[35] الحراحشة، عبد المجيد أحمد. التنمية المحلية في الأردن: تقدير اقتصادي إسلامي. رسالة ماجستير منشورة pdf، جامعة اليرموك، 2003، ص 65 – 66

الوطنية، وعناصره منبثقة من الفكر واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد، والعقيدة، والقيم، والأخلاق، وغيرها من معايير السلوك. حيث أوعزت إلى المؤسسات العليا للتعليم – الجامعات والكليات والمعاهد والمراكز- بتدريس المواد التاريخية والحضارية التي تعزز من قيمة الهوية الوطنية[36].

وفي الحقيقة يمكن القول: إن موضوع الهوية الوطنية احتلت مكانه هامة على كافة المستويات النظرية والممارسة في التاريخ المعاصر، وبناء على مقترحات الحكومة، قررت وزارة التربية والتعليم طرح كتاب منهج لطلبة الصف الحادي عشر " **هذا وطني**"، كما طورت جامعة السُّلطان قابوس مقرر "**المجتمع العُماني**" الذي يدرسه طلبة الجامعة إلزاميًّا، فقد طرحت كتاب: "**عُمان والإنسان**"، الذي تناول ستة فصول؛ يحتوي على الهوية العُمانيّة والانتماء والولاء، وإنجازات النهضة العُمانيّة، والتنظيم الإداري للدولة، والأمن الفكري والتحديات المعاصرة، وأخيراً عُمان والمجتمع الدولي[37].

ولا يهمُّنا سردُ محتويات هذا الكتاب بقدر ما يهمنا ما سطره عن عناصر الهوية العُمانيّة، فيما يتصل بتسمية سلطنة عُمان، والهوية والدولة، فقد أشار الكتاب إلى "**أن جلالة السُّلطان لمَّا تولى الحكم لم يصطدم بالهويات الخاصة، ولكنه ركز اهتمامه على بناء هوية عُمانية مشتركة، أساسها المواطنة والمساواة والعدالة بين الجميع أمام القانون**"[38].

ولعمري أهذه هي الهوية المشتركة التي نادى بها جلالته، وأنه ترك الهويات الخاصة؟ هذا القول فيه نظر؛ لأن تعريف مفهوم الهوية كما عُرِّف في بداية هذا الفصل " **الهوية العُمانيّة**" تختلف عن الحقوق والواجبات، والعدالة، والمساواة التي تحاشا ذكرها المؤلفون في الفصل الرابع "**التنظيم الإداري للدولة**"، واكتفوا بالمبادئ. ثم ما المقصود بالهويات الخاصة في نظر مؤلفي الكتاب؟ أهي اللغة، والثقافة، والعقيدة، والعادات والتقاليد، والأزياء والزينة وغيرها؟ ترك لنا جلالته – رحمه اللّٰه- الدشداشة، وحمل العصى، ولبس الخنجر، ولبس العمامة، والفنون الشعبية، هذه الهوايات التي جلالته – رحمه اللّٰه- لم يتدخل فيها، وتحاشا الاصطدام بها، ففي خطابه السامي[39] إذ يقول: "**لقد كان واضحاً لدينا أن مفهوم التراث لا يتمثل فحسب في القلاع والحصون والبيوت الأثرية وغيرها من الأشياء المادية، وإنما هو يتناول أساساً الموروث المعنوي من عادات وتقاليد، وعلوم، وآداب وفنون، ونحوها مما ينتقل من جيل إلى جيل، وأن المحافظة الحقيقية على التراث لن تتم ولن تكتمل إلا بإعطاء كل مفردات هذا المفهوم حقها من العناية والرعاية، وقد نجحنا بحمد الله خلال السنوات الماضية في تحقيق جانب كبير من هذا الهدف النبيل**"[40].

---

[36] اللواتية، طاهرة بنت عبد الخالق، ويونس العنقودي (اعداد). ملف التربية المواطنة. مجلة رسالة التربية، العدد 15، وزارة التربية والتعليم مسقط: جمادى الثانية 1428/يونيو 2007م، ص: 19-75

[37] البلوشي، محمد، وآخرون. عمان الدولة والإنسان. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السُّلطان قابوس، مسقط: 2018م.

[38] البلوشي، المرجع السابق، ص: 11

[39] في خطابه السنوي 18 نوفمبر 1994م بنزوى بمناسبة عام التراث.

[40] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 260

الخاتمة والنتائج:

1. لقد تناول البحث منجزات التَّنمية في كافة المجالات منذ بداية النهضة العُمانيّة في يوليو 1970، وتطويره المستمر، فزاد عدد السكان وزاد عدد الطلاب، وكثر عدد الخرجين، فأصبحت الوظائف محدودة، وغير ميسرة، وغير منتظمة، وذلك لتضارب المصالح، وأخطاء في تطبيق القانون. وقد نبه جلالة السُّلطان قابوس – رحمه الله- على هذه الأمور في اجتماعه بكبار رجال الدولة "الوزراء، والوكلاء، مدراء العموم"[41]، وطالبهم بأن يتجردوا من كل الأنانيات، وأن تكون مصلحة الأمة قبل أية مصلحة شخصية، وأن لا يتهاونوا في أداء خدمة الوطن ومواطنيه.
2. إن الهوية قابلة للتغيير والتطوير، حسب العصر، ونظرة المجتمع لمكونات الهوية، وتغيرها بفعل الثقافة السائدة، والقيم وسلوك أفراده، ولا بد من تجدد فكر الأمة وتحديثه؛ لأن. "**الجمود داء وبيل قاتل، عاقبته وخيمة، ونهايته أليمة**"[42].
3. لقد وضَّح البحث أن جلالة السُّلطان قابوس -رحمه الله- كان أكبر همِّه بناء الإنسان العُمانيّ، فهو هدفه وغايته، ويحث المواطن على العمل دون الترفع عن مهنة أجداده، كما حث أرباب العمل والمؤسسات الخاصة أن تقتصر العمالة الوافدة في حدود المتطلبات الضرورية، وفي حالة عدم توفرها محليا، ولكن الواقع خلاف ذلك، بسبب أرباب العمل الذين يبحثون عن عمالة رخيصة لتتكتسب مؤسساتهم ربحا عالياً ، مع ترفع المواطن على المهن المتواضعة، فضلا عن الشكاوي الملحة من الرواتب المنخفضة، ثم عمدت الحكومة إلى تخصيص بعض المهن، وقصرتها على المواطن.
4. لقد كشف هذا البحث أن البعد الوطني العالمي قد طغى على البعد الوطني، وذلك بواسطة شبكات التواصل الاجتماعية، والثورة الثقافية الإلكترونية، والقنوات الفضائية، وعرف المواطن واجبات المواطنة وحقوق المواطن، وكان أثر ذلك من خلال الاعتصامات والمظاهرات، تركزت مطالبهم في العدالة الاجتماعية والمساواة من حيث التوظيف، وزادت البطالة التي تجاوزت 61 ألفًا، وهم الذين صُنفوا تحت "**باحثين عن عمل**".
5. إن واقع الهوية الوطنية والانتماء، لا تحتاج إلى تنظير، إنما ينقصها الممارسة والنظر إلى احتياجات المواطنين، الذين يعوزون مصادر رزق يعيشون منها. فالوطنية والانتماء تجري في شرايينهم، حيث تراكمت المعارف الثقافية المختلفة من مختلف مصادر المعرفة المتعددة، وأصبحوا يميلون إلى الاستقرار والثبات المعرفي.

[41] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 96
[42] السُّلطان، خطب وكلمات، ص: 260

المصادر والمراجع:

1. الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة. اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد. قرر الجمعية العامة للأمم المتحدة في 31 أكتوبر 2003م
2. الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة. خطة التَّنمية المُسْتَدَامة لعام 2030. قرار الجمعية العامة في 25 أيلول/سبتمبر 2015 في الدورة السبعون
3. أبو جودة، الياس. التَّنمية المُسْتَدَامة وأبعادها الاجتماعية والاقتصادية والبيئية؛ تقرير منظّمة الصحة العالمية، العمل معاً من أجل الصحة، جنيف، 2006
4. الحاج، كميل. الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي. مكتبة لبنان، بيروت: ٢٠٠٠
5. الحراحشة، عبد المجيد أحمد. التَّنمية المحلية في الأردن: تقدير اقتصادي إسلامي. رسالة ماجستير منشورة pdf، جامعة اليرموك، 2003
6. خطة التَّنمية الخمسية الثامنة 2011- 2015. الصادرة بالمرسوم السُّلطاني رقم 2011/1م، الصادر في الأول من يناير 2011م
7. خطة التَّنمية الخمسية التاسعة 2016- 2020. الصادرة بالمرسوم السُّلطاني رقم 2016/1 الصادر في الأول من يناير 2016
8. خطة التَّنمية الخمسية العاشرة 2021- 2025. الصادرة بالمرسوم السُّلطاني رقم 2021/1 الصادر في الأول من يناير 2021
9. الدجاني، أحمد صدقي. مسلمون ومسيحيون في الحضارة العربية الإسلامية. مركز يافا للدارس والأبحاث، القاهرة: ١٩٩٩م
10. الدريج، محمد. التربية والتعليم وبناء الإنسان العُمانيّ. مجلة رسالة التربية، العدد 17، وزارة التربية والتعليم مسقط: شوال 1428/نوفمبر 2007م، ص: 3 - 52
11. الديب، إبراهيم رمضان. بناء مفهوم الهوية: وأدوارها الوظيفية في صناعة هوية الدولة الحديثة.
12. السُّلطان، قابوس بن سعيد. خطب وكلمات حضرة جلالة السُّلطان قابوس المعظم 1970 – 2005م. ط1، وزارة الإعلام، مسقط: 2005م
13. شحاته، فوزي محمد عبد الهاي. مشكلات الشباب: أزمة ثقافية. مجلة كلية الخدمات الاجتماعية للدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 3، جامعة الفيوم
14. صفرار، عبد الله بن محمد بن بخيت. دور شبكات التواصل الاجتماعي في ترسيخ قيم المواطنة من وجهة نظر الشباب الجامعي العُمانيّ. رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم الإعلام، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، عُمان: 2017

15. العامر، عثمان صالح. أثر الانفتاح الثقافي على مفهوم المواطن لدى الشباب السعودي. المؤتمر السنوي الثالث، المملكة العربية السعودية، الباحة: 2005
16. عمارة، محمد. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية. ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٩٩م
17. فريحة، نمر منصور. التربية المواطنية في فكر جلالة السُّلطان قابوس. مجلة رسالة التربية، العدد 15، وزارة التربية والتعليم مسقط: جمادى الثانية 1428/يونيو 2007م، ص: 21 – 29
18. فريحة، نمر منصور. قيم لبناء المواطن العُمانيّ كما وردت في كلمات جلالة السُّلطان قابوس وأعماله. مجلة رسالة التربية، العدد 17، وزارة التربية والتعليم مسقط: شوال 1428/نوفمبر 2007ملم، ص: 142– 158
19. قرواني، خالد. الاتجاهات المعاصرة للتربية على المواطنة. جامعة القدس المفتوحة.
20. كاظم، ثائر رحيم. العولمة والمواطنة والهوية (بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1، المجلد 8، جامعة القادسية، كلية الآداب، القادسية: 2009م
21. الكفوي، أبو البقاء. "الكليات". تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت: 1995
22. اللواتية، طاهرة بنت عبد الخالق، ويونس العنقودي (اعداد). ملف التربية المواطنة. مجلة رسالة التربية، العدد 15، وزارة التربية والتعليم مسقط: جمادى الثانية 1428/يونيو 2007م، ص: 19– 75
23. كناعنة، شريف. دراسات في الثقافة والتراث والهوية. رام الله: 2011م
24. مجلس التعليم. فلسفة التعليم في سلطنة عُمان. ط1، مسقط: 1438هـ/2017م
25. مجلس الدولة. أبرز ملامح الاقتصاد العُمانيّ خلال الفترة (2016–1970 م. الأمانة العامة المساعدة لشؤون، مركز المعلومات والبحوث، دائرة البحوث الاقتصادية والمالية، مسقط: أغسطس 2018
26. المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. كتاب الإحصاء السنوي لعامي 2018. الإصدار رقم 47 مسقط: أغسطس 2019
27. المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. كتاب الإحصاء السنوي لعامي 2019. الإصدار رقم 48 مسقط: أغسطس 2020
28. المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. الاسقاط السكان: 2020 – 2040. مسقط: أغسطس 2017م
29. المركز الوطني للإحصاء والمعلومات. إحصاءات السكان 2019. الإصدار رقم 2020/9، مسقط: 2020.

30. المسن، عبد الله بن محمد. التعليم والثقافة ركيزة التَّنمية وبناء المجتمع. ملحق تواصل العدد الرابع يونيو 2006، اللجنة الوطنية العُمانيّة للتربية والثقافة والعلوم، ص: 102 – 105

31. المعمري، سيف بن ناصر. المواطنة: رواية عُمانية. ط1، مؤسسة عُمان لصحافة والنشر والاعلان، مسقط: 2008م.

32. المعمري، صالح بن راشد بن علي. استراتيجية مكافحة الفساد الإداري في القطاع العام. ط 1، النادي الثقافي، مسقط: 2013م

33. منصور، صبحي. اخلاقيات الوظيفة العامة، والفساد الإداري. بحث نشر ضمن كتاب الفساد الإداري والمالي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة: 2008م

34. الموافي، عبد الحميد. التعليم والتَّنمية. مجلة رسالة التربية، العدد 17، وزارة التربية والتعليم مسقط: شوال 1428/نوفمبر 2007م، ص: 55 –65

35. النظام الأساسي للدولة الصادر بالمرسوم السُّلطاني رقم 2021/6 بتاريخ 11 يناير 2021

36. النور، عز الدين آدم. التَّنمية المُسْتَدَامة بين النظرية والتطبيق. بحث نشر عبر النت PDF، سنة 2014م

37. الهاشمي، عبد الله بن مسلم. الهوية الوطنية والقومية في فكر صاحب الجلالة السُّلطان قابوس. مجلة رسالة التربية، العدد 17، وزارة التربية والتعليم مسقط: شوال 1428/نوفمبر 2007م، ص: 121 – 129

38. الهنائي، أحمد بن محمد بن عبدان. التعليم والتَّنمية الموارد البشرية في خطب وأقوال جلالة السُّلطان قابوس. مجلة رسالة التربية، العدد 17، وزارة التربية والتعليم مسقط: شوال 1428/نوفمبر 2007م، ص: 131– 141

39. هنتنجتون، صامويل. صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح، ط2، القاهرة: ١٩٩٩م

ثانيا– الهوية والمواطنة:

تمُثِّلُ المواطنة تعبيراً عن الانتماء للوطن، ولهويته العربية الإسلامية، بما يترتب عليها من حقوق وواجبات ومسؤولية مجتمعية مشتركة، ويتم تعزيز المواطنة والهوية العُمانيّة انطلاقاً من الأهداف الآتية:

1. ترسيخ العقيدة الصحيحة، وتأصيل منهج الوسطية في الدين وسلوك الطلبة.
2. إتقان اللغة العربية والاعتزاز بها.
3. الاعتزاز بالهوية والتاريخ العُمانيّين.
4. ترسيخ الانتماء للأمة العربية والإسلامية21.

5. الحفاظ على التراث الحضاري العُمانيّ وتنميته.
6. تعزيز قيم المواطنة، والحفاظ على التراث الحضاري العُمانيّ.
7. تنمية حس المسؤولية وقيم المشاركة المجتمعية والوطنية.
8. تحقيق التوازن بين الأصالة والمعا صرة في عملية التطور الاجتماعي.
9. الاهتمام بالأسرة باعتبارها مكوناً أساسياً للمجتمع.
10. ترسيخ الحقوق والواجبات تجاه الوطن والمجتمع.

ثالثاً- العزة والمنعة الوطنية:

من المبادئ المهمة في أي نظام تعليمي أن يربى النشء على حب الوطن والولاء لقيادته، وتقدير رموزه، والمحافظة على منجزاته؛ لتحقيق العزة والمنعة الوطنية، وذلك من خلال الأهداف الآتية:

1. تعزيز الانتماء للوطن والولاء لجلالة السلطان.
2. تعزيز هيبة الدولة وسيادة القانون فيها.
3. تعزيز الوحدة الوطنية بين أفراد المجتمع العُمانيّ.
4. ترسيخ احترام «علم السلطنة » و «النشيد الوطني » وإبراز دلالتهما الرمزية والوطنية.
5. تنمية الوعي بأهمية الدفاع عن الوطن وحماية مكتسباته.
6. إعلاء شأن المصلحة الوطنية فوق الاعتبارات الشخصية.

رابعاً- القيم والسلوكيات الحميدة:

يقوم المجتمع العُمانيّ على منظومة من القيم والسلوكيات التي تكوِّن كيانه وترسم ملامح هويته العربية الإسلامية، وتتكامل مؤسسات التعليم في بناء هذه القيم والسلوكيات، ويتم من هذا المبد أ تحقيق الأهداف الآتية:

1. ترسيخ القيم الإسلامية.
2. تعزيز الالتزام بالعادات والتقاليد الحسنة للمجتمع العُمانيّ.
3. تقدير القيم الإنسانية المشتركة.
4. غرس السلوكيات الحميدة في نفوس المتعلمين22
5. تنمية الشعور بمكانة المعلم العلمية والاجتماعية.

6 .تعميق احترام الآداب والذوق العام.

خامساً-التربية على حقوق الإنسان وواجباته:

تُعدُّ التربية على حقوق الإنسان من الجوانب التي ركّز عليها الدين الإسلامي، وهي تعريف الأفراد بحقوقهم وواجباتهم على المستوى الوطني والعالمي، في سبيل إقامة مجتمع يحظى فيه جميع الأفراد بالتقدير والاحترام، ويتم ذلك بتحقيق الأهداف الآتية:

1 .تعزيز ثقافة حقوق الإنسان وواجباته.

2 .تنمية الوعي بالقضايا الإنسانية.

3 .تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الذات والآخر.

4 .ترسيخ الحق في التعليم.

5 .ترسيخ مبادئ المساواة والعدالة وفقاً للنظام والقانون.

6 .تنمية الوعي بحقوق المرأة والطفل.

7 .تنمية الوعي باحتياجات ذوي الإعاقة واحترامهم والتفاعل الإيجابي معهم.

8 .تعزيز حق الفرد في المشاركة السياسية والمجتمعية.

الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة

أ. عائشة محمد التاورغي
محاضر، عضو هيئة التدريس، جامعة طرابلس
كلية التربية، قصر بن غشير
قسم الخدمة الاجتماعية، ليبيا

مقدمة

برز مفهوم التنمية بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية ، فلم يُستَعمَل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني "آدم سميث" في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء ، فالمصطلحان اللَّذان استُخدِمَا للدلالة على حدوث التطور المُشار إليه في المجتمع هما (التقدم المادي أو التقدم الاقتصادي)، وحتى عندما ثارت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت المصطلحات المستخدمة هي التحديث "Modernisation"أو التصنيع"Industrialization" .

فمفهوم التنمية برز بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدِم للدلالة على عملية إحداث مجموعةٍ من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر، بمعدل يضمن التحسُّن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للمتطلبات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات، عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة، وحُسن توزيع عائدِ ذلك.

والتنمية هي عنصر أساسي للاستقرار والتطور الإنساني والاجتماعي، وهي عملية تطور شامل أو جزئي مستمر، وتتخذ أشكالا مختلفةً، تهدف إلى الرقي بالوضع الإنساني إلى الاستقرار والتطور بما يتوافق مع احتياجاته وإمكانياته الاقتصادية و الاجتماعية والفكرية.

(جعفر،2019: 7)

وقد تعزز الفهم الشامل للتنمية المُسْتَدامَة بصورة متزايدة. وتعكس أعمال مؤتمر القمة العالمي للتنمية المُسْتَدامَة الذي عقد عام 2002 وخطة تنفيذه الإقرارَ الدولي بالدعائم الاقتصادية والاجتماعية التي يجب أن تقوم عليها السياسات، فقد أقر المدير العام في مؤتمر القمة هذا بتحدي أنماط الإنتاج

والاستهلاك غير المُسْتَدامَة والمتغيرة، وحدَّد ذلك على أنه "فرصة أخيرة للاختراقات التكنولوجية والاستثمار وتنمية المهارات. (مكتب العمل الدولي،2005 :2)

وبعبارة أخري التنمية المُسْتَدامَة تُفهمُ من تسليط مؤتمر الأمم المتحدة عام 1972م في ستوكهولم الضوء علي المخاوف المتعلقة بالحفاظ علي البيئة وتنوعها البيولوجي وتعزيزهما لضمان حقوق الإنسان، وتحقُّق عالمٍ صحيٍّ ومنتج، وقد جادلت البلدان النامية بأن أولويتها التنمية ، في حين أن البلدان المتقدمة قدمت قضية حماية البيئة والحفاظ عليها باعتبارها القضية الأولي.

كما حددت اللجنة العالمية للبيئة والتنمية بالإنجليزية WCED تعريفاً خاصاً لها علي أنها التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر (دون المساومة علي قدرة الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتهم الخاصة) ، وساعد هذا التقرير علي فهْم أنه تندرج تحت التنمية المُسْتَدامَة عدة ركائز لتحقيقها، مثل الحفاظ علي سلامة البيئة وإرضاء الحاجات الإنسانية.

وتطور التعريف الرسمي للتنمية المُسْتَدامَة لأول مرة في تقرير برونتلاند عام 1987 ، وهذا يعني مراعاة الضرورات الحالية والمستقبلية، مثل الحفاظ علي البيئة والموارد الطبيعية أو العدالة الاجتماعية والاقتصادية علي وجه التحديد، ويمكن إضافة أنَّ التنمية المُسْتَدامَة هي وسيلةٌ لتنظيم المجتمع بحيث يمكن أن يوجد علي المدى الطويل.

(أعمال مؤتمر المسؤولية،2020: ص407- 414)

وتعدُّ العلاقة بين التعليم العالي والتنمية المُسْتَدامَة علاقة تبادلية عضوية، فالتنمية بمفهومها الشامل تركز علي التحول في البناء الاقتصادي والاجتماعي والمعرفي والثقافي، وتؤدي إلي زيادة الإنتاج وإشباع الحاجات الضرورية للفرد وزيادة دخله وتحقيق طموحه وزيادة الخيرات المتاحة له.

ويعدُّ التعليم العالي(الجامعي) الركيزة الأساسية للتنمية الشاملة بصفة عامة والتنمية البشرية بصفة خاصة؛ ولذلك تعمل مختلف الدول المتقدمة والساعية بجديةٍ نحو التقدم المستمر علي مراجعة نُظُمِها التعليمية بصورة مستمرةٍ، وتعمل علي تحسينها وتطويرها، حتي وصلت إلي تبني مفاهيم الجودة وإدارة الجودة الشاملة نظريًّا وتطبيقيًّا والإسهام الفعال في تقديم البلاد وتحقيق التنمية الاجتماعية وضمان استقرارها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتعليمي. (الشيتي،2020: 538)

كما أن الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني تسهم في تحقيق عملية التنمية المُسْتَدامَة داخل المجتمع؛ ولعل هذا يعد من ضمن المواضيع التي تسهم في تقديم الخدمات المتنوعة ذات الصبغة العلمية والعملية لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة داخل المجتمع ؛ فالتعليم العالي كغيره من المجالات الأخرى يتأثر بالتكنولوجيا الحديثة بشكل رئيس لتحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة بمساعدة بعض منظمات المجتمع المدني المهتمة بالتعليم العالي والبحث العلمي .

وأيضا بالإمكان أن يوظف هذا التأثير توظيفاً إيجابيًا، بل يمكن أن تكون التكنولوجيا بمختلف أشكالها أحد الحلول الفريدة لمعضلات التعليم في المرحلة الجامعية، وذلك من خلال استخدام الحاسوب والتجهيزات الحديثة وتقنيات التعليم كأدوات تكنولوجية معرفية لا يقتصر دورها على عرض المعلومة، بل يمتد إلى تنمية مهارات عقلية عليا لدى الطالب الجامعي، كالتنبؤ والتفسير والتحليل وغيرها، حيث إن الاستخدام الحالي للتكنولوجيا في معظم حالاته هو مجرد انصياع للنداءات المتكررة لإدخال تكنولوجيا الحاسوب في العملية التعليمية دون التفكير في الكيفية التي توظف فيها توظيفاً سليماً .

إن إعداد جيل مثقف واع مؤمن بدوره وبقضايا أمته هو السبيل للنجاح والبقاء والقدرة على التنافس في هذا العالم المتغير، فالانفتاح على الحضارات الأُخَر والتعامل معها أصبح أمراً لا مهرب منه، ولا جدوى من الانغلاق الفكري والثقافي، والشيء الذي يتطلب أن تشرع الجامعات ومعاهد التعليم العالي في تحديد آليات التعامل مع التحديات من خلال رؤية جديدة تنسجم والدور المرتجى منها. (الرصاعي،2020 : 32)

ومن أهم التحديات التي تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي ما يُعرَف بتحدي العولمة والمنافسة العالمية، فقد أدت العولمة إلى تغيير مسار حركة التعليم الجامعي ﴿المنافسة في السوق العالمي. إنَّ تحدي النهوض بالتعليم لتحقيق حاجات ومتطلبات المجتمع هو تحدي الثورة المعلوماتية بما قدمته من منجزات علمية وتكنولوجية كان لها أثرٌ كبيرٌ في تزايد الفجوة بين دول الشمال والجنوب، حيث سيطرةُ الثقافة الغربية، ويتطلب هذا التحدي ضرورة الحفاظ على الهوية الثقافية, وتطوير محتوى مقررات الثقافة الوطنية لمواجهة الغزو الثقافي والفكري، وهنا أتذكر قوله تعالى:﴿إِنمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ سورة فاطر رقم 28. (عبد المجيد،2006: 41)

وتمثل سياسات التعليم العالي في ليبيا أهمية كبيرة ودلالة علي تقدم المجتمعات ونموها، وثمة اتفاقٌ عام وسائدٌ في الأدبيات المرتبطة بالتعليم الجامعي محليًا وعالميًا علي أن الجامعات منوط بها ثلاث وظائف رئيسة، هي التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع؛ وعلى الرغم أن خدمة المجتمع تحتل المرتبة الثالثة في هذا التصنيف فإنَّ ثمَّة توجُّهاً عاماً يذهب إلي أنها يجب أن تغدو الوظيفة الأولي، بل القائدة للتعليم الجامعي .

وأمام قوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ سورة آل عمران رقم 7 ، **يمكن الإشارة إلى أنَّ التعليم العالي قد** واجه- ويواجه- مشكلات وتحديات، تستوجب مراجعة فلسفته وعلاقته بالمجتمع ومعالجة مشكلاته حتي يتماشي مع المتغيرات الحاصلة علي مستوي البني الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتحديات الجديدة في ضوء الظروف المحلية والخصوصيات الثقافية لكل مجتمع، وهو ما عرفته كثير من جامعات دول العالم، فقد قال تعالى : ﴿قُلْ

هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنمَا يَتَذَكّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر رقم 9. (حُسين، 2018: 352)

هذا، ومن الجدير ذِكْره أن التعليم بصورته التقليدية **لا يفي** بمتطلبات التنمية المُسْتَدامَة للأجيال الحاضرة والقادمة، وفي النهاية تتلاشي قدرته علي إيجاد مستقبل أفضل لمجتمع مستدام، ويعجز عن تحقيق دوره التنموي في تأهيل رأس المال المعرفي الذي يمكن أن يتحول إلي تقنيات إنتاج تلبية احتياجات السوق، ويعود ذلك إلي مؤسسات التعليم العالي غير المعدة الإعداد الكافي لأحداث التنمية المُسْتَدامَة ؛ بسبب كونها مؤسسات محافظة ومقاومة لنُظم الجودة ؛ فلديها انحيازٌ تلقائيٌّ للماضي وتراكماته ونادراً ما تأخذ المستقبل ومتطلباته في قراراتها.

ويؤكد مصطلح التنمية المُسْتَدامَة الذي ظهر بحلة جديدة يختلف عن المصطلحات الشائعة المرتبطة بمدارس البيئة التي تهتم أساساً بحماية البيئة ، أن ثمة تحديات جديدة أمام الجامعات والتعليم العالي التي ترغب في الانخراط بالتعليم من اجل التنمية المُسْتَدامَة ؛ إذ إن هذا المصطلح لا يتعامل فقط مع اعتماد الناس علي الجودة البيئية كمدخل لاستثمار الموارد الطبيعية اليوم ومستقبلاً ، بل يتناول أيضاً جوانب مشاركة هؤلاء الناس وكفايتهم الذاتية وتوافر المساواة والعدل الاجتماعي كجوانب أساسية في بناء البشر من أجل التنمية المُسْتَدامَة.

والشراكة بين التعليم والتنمية المُسْتَدامَة رؤيةٌ تعليميةٌ، تسعي إلي إيجاد توازن بين الرخاء الإنساني والاقتصادي والتقاليد الثقافية واستدامة الموارد الطبيعية والبيئية؛ من أجل حياةٍ أفضل للفرد والمجتمع في الحاضر والمستقبل، فهو يسهم بشكل إيجابيٍّ في مواجهة مشكلات التعليم العالية. وبناءً علي ذلك فالتنمية المُسْتَدامَة تحتاج إلى تعليمٍ ليس فقط مستمراً مدي الحياة، بل تحتاج إلى تعليم الناس جميعًا، ويقوم علي أساس مجالات المعرفة كافة ، فهي تسعي إلي إدراج التعليم العالي داخل الأنشطة الأساسية للحياة كافة؛ من منطلق أنَّ التعليم العالي أحد أهم عوامل التغيير علي وجه الأرض، وهو مصدر الرفاه والتقدم الاقتصادي والرقي الاجتماعي والعدل والمساواة وتحقيق كافة أهداف التنمية المُسْتَدامَة على وجه الخصوص.(الخوالدة،2016: 67-68)

ومن ناحية أخري المجتمع المدني أصبح يلعب دوراً كبيراً ومهمًّا في تحقيق التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة وتنمية ثقافة العمل التطوعي قصْدَ تعزيز قِيم التضامن الاجتماعي والمسؤولية الاجتماعية، من خلال الأدوار المتعددة التي يقوم بها للإسهام في التنمية بأغلب الدول العربية ، فميزة التطوع التي تطبع أعماله وأنشطته أصبحت من العناصر الأساسية في إرساء قيم المواطنة وتعزيز ها؛ حيث أصبح المجتمع يُثمن هذه الممارسات، ويعتز بها؛ بسبب كَون شعور الأفراد بأنهم باتوا شركاء في بناء النهضة بالبلدان العربية، التي هي بأمس الحاجة إلى هذه المنجزات لاسيما أن منافعها متعددة وأثارها إيجابية علي الأجيال المستقبلية .

وبما أن التطوع ممارسة إنسانية فقد ارتبط مفهومه بتحقيق التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة والتي هي تكملة لإنجاح العملية التنموية التي تسهم أيضا في تحقيق الهدف المنشود وتحقيق التغيير والتقدم المنشود للمجتمعات ، فكلما زاد عدد المنخرطين بهذه الأعمال التطوعية كلما زاد معه الحس والشعور بالوطنية ممَّا يؤدي إلي ازدياد فرص المجتمع في تحقيق التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة داخل منظمات المجتمع المدني. (أعمال مؤتمر المسؤولية، 2020:ص 356)

وتحظي منظمات المجتمع المدني بالتقاء روح المسؤولية المشتركة والمسألة والالتزام بالعمل معاً؛ من أجل صالح الجميع وعلي الالتزام بمبدأ الشراكة والتشبيك ،وهذا قد يتم من خلال إشراك منظمات المجتمع المدني مع وزارة الشؤون الاجتماعية لتحقيق التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة وتحقيق أهدافها والعمل علي تحقيق تلك التنمية بصورة أسرع وأفضل ، وفي حالة إشراكِ منظمات المجتمع المدني هذه مع وزارة الشؤون الاجتماعية ، فسوف تكون المنظمات بمثابة حلقة وصل بين أفراد المجتمع وبين مؤسسات الدولة وأجهزتها ، فالأفراد هم المستهدف الأول من عملية التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة؛ لان عملياتها وأهدافها كلها تنصب في تحقيق الاكتفاء والرفاهية وكذلك إشباع الحاجات المستقبلية للأفراد.

فالشراكة بين منظمات المجتمع المدني ووزارة التعليم العالي هدفها تحقيق التنمية المُسْتَدامَة؛ بهدف تحقيق الأبعاد التنموية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال عملية التنسيق والتشبيك وتقديم الخدمات المتنوعة للفئات المستهدفة وتقديم يد العون لهم ومساعدتهم وحل مشكلاتهم وتلبية كافة احتياجاتهم وفق الإمكانات المتاحة.

وهذا يعني أن مبدأ الشراكة والتشبيك والتنسيق بين وزارة التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني يكمن في الإسهام لتحقيق أبعاد التنمية ا المُسْتَدامَة المتمثلة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية و البيئية، بهدف تحقيق الشراكة بين القطاعين وتعزيزها. (أعمال مؤتمر المسؤولية،2020: ص 407)

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ **منظمات** المجتمع المدني تطوعية لا تهدف للربح وغير إجبارية، وتلعب دوراً مهماً لاسيما دورها بين المواطن والمجتمع ؛ لتحقيق فائدة للمجتمع وللمواطن، ولا شك في أنَّ الأعمال التطوعية عاملٌ رئيسٌ من عوامل بناء المجتمع القوي، ولا يتحقق أي مجتمع ويتطور في ظل غياب المبادرات التطوعية الكبيرة، ومن ضمن أشكال العمل التطوعي ما يأتي:

- **الشكل الأول الشكل الفردي**: ويقصد به كل جهد تطوعي يقوم به الفرد من تلقاء نفسه بإرادته نتيجة للمواقف الإنسانية والأخلاقية.
- **الشكل الثاني الشكل المؤسسي**: وهو الذي تقوم به مؤسسات المجتمع المدني التي تعد الجانب الأعظم في إحداث التنمية، حيث إنها لا تهدف إلي الربح، كما أنها تعتبر تنظيمات تطوعية، تهدف إلي تحقيق منفعة عامة.

أما عن التنمية المُسْتَدامَة حيث سلط مؤتمر الأمم المتحدة عام 1972م في ستوكهولم الضوء علي المخاوف المتعلقة بالحفاظ علي البيئة وتنوعها البيولوجي وتعزيزهما لضمان حقوق الإنسان وإيجاد عالم صحي ومنتج، فقد جادلت البلدان النامية بأن أولويتها التنمية ، في حين أن البلدان المتقدمة قدمت قضية حماية البيئة والحفاظ عليها باعتبارها القضية الأولي.

كما حددت اللجنة العالمية للبيئة والتنمية بالإنجليزية **WCED** تعريفاً خاصاً لها علي أنها التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر (**دون المساومة علي قدرة الأجيال القادمة في تلبية احتياجاتهم الخاصة**) ، وساعد هذا التقرير علي فهم أنه تندرج تحت التنمية المُسْتَدامَة عدة ركائز لتحقيقها، مثل الحفاظ علي سلامة البيئة وإرضاء الحاجات الإنسانية.

وتطور التعريف الرسمي للتنمية المُسْتَدامَة لأول مرة في تقرير برونتلاند عام 1987 ، وهذا يعني مراعاة الضرورات الحالية والمستقبلية، مثل الحفاظ علي البيئة والموارد الطبيعية أو العدالة الاجتماعية والاقتصادية علي وجه التحديد والتنمية المُسْتَدامَة هي وسيلة لتنظيم المجتمع بحيث يمكن أن يوجد علي المدى الطويل. (أعمال مؤتمر المسؤولية،2020: ص407___414)

مشكلة البحث:

يعدُّ موضوع الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة من ضمن القضايا والمشكلات التي لاقتّ اهتمامًا كبيرًا لدي المتخصصين والبحُاث والكتاب والمهتمين، باعتبار أن قضية التعليم العالي وقضية منظمات المجتمع المدني قضيتان ، قد قد تترتب عليهما العديد من الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ؛ وأيضا تنتج عنهما أحيانا بعض المشكلات والآثار والانعكاسات المركبة والمتنوعة ؛والتي قد يصعب حلها ودراستها والتعمق فيها، ممَّا يتطلب الأمر الخوض والتعمق في جذور الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني.

ومما لاشك فيه أن مبدأ الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق عملية التنمية المُسْتَدامَة يعدُّ من ضمن المبادئ الهامة التي تستند عليها الدولة والمجتمع أثناء قيامه بأعمالها العلمية والمهنية والبرامج المتنوعة التي تسهم في دعم العملية التعليمية والتربوية ؛ وتنمية مجال رعاية منظمات المجتمع المدني ذات الطابع العلمي والبحثي والتنموي وذي الصبغة الاجتماعية التنموية لخلق التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة للسعي في إشباع الحاجات وتحقيق الرغبات وفقاً للحقوق الإنسانية المتمثلة في الحقوق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والصحية والسياسية والمدنية.

ويعد موضوع سياسات التعليم العالي والتنمية المُسْتَدامَة من ضمن القضايا والمواضيع التي شغلت بال كثيرٍ من الكتاب والمتخصصين والمهتمين في مجال البحث العلمي بشكل عام والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية وعلوم التربية بشكل خاص، من جهة أن مفهوم سياسات التعليم جزءٌ من السياسات العامة

للدولة ، أمَّا السياسة فهي علم يدرس أسس الحكم ونظمه وتاريخه وأساليبه ونظرياته ومرحلة وضع الأهداف المحددة التي تؤدي إلى تحقيق الغايات، ذلك التوسع يكون في قاعدة البيانات في التعليم العالي.

ومما لاشك فيه أن موضوع الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني قد تعرض للعديد من التحديات والصعاب التي باتت تتأرجح بين الإصلاح والتطوير وفقاً للتحول والتغير والتطور السريع الذي يشهده العصر، فلا نكاد نعثر علي منهجٍ يسلك لنا خطوط سياسات واستراتيجيات التعليم العالي ؛ نظرا لما تعرضت له البلاد من حروب ونزاعات طيلة عشر سنوات، وهو الأمر الذي قد أثر –و سوف يؤثر– علي البيئة التعليمية والتربوية علي المستويات كافة في مجتمعنا الليبي.

وبطبيعة الحال تعدُّ التنمية المُسْتَدامَة في مجال التعليم العالي طمأنةً للمجتمع التعليمي العالمي، فالهدف الرابع المقترح من أهداف التنمية المُسْتَدامَة، الذي يدعو المجتمع الدولي إلى ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع ، متوائمٌ بشكل وثيقٌ مع الهدف المقترح في اتفاق مسبق، وعلى الرغم من وجود بعض أوجه التباين بين الغايات الواردة في اتفاق منتظم ، وتلك التي اقترحها الفريق العامل مفتوح بابِ العضوية، تضع الغايات السبعة ووسائل التنفيذ الثلاث الواردة في إطار الهدف الرابع من أهداف التنمية المُسْتَدامَة خطة طموحة للتعليم، من شأنها أن تمهد الطريق نحو مستقبل مستدامٍ وقادر على إحداث التحوُّل.

وتناصر اليونيسكو، باعتبارها الوكالة المتخصصة التابعة للأمم المتحدة في مجال التعليم، اقتناعاً مفاده أن التعليم حق أساسيٌّ من حقوق الإنسان، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بإعمال الحقوق الأُخر. وعلى هذا النحو، يكون التعليم منفعة عامة للأفراد جميعا وأساس تحقيق الذات الإنسانية، والسلام، والتنمية المُسْتَدامَة، والمساواة بين الجنسين، والمواطنة العالمية المسئولة. ويمثل التعليم بوصفه محفزا للتنمية مسهماً رئيسًا في الحد من عدم المساواة وخفْض الفقر؛ كما أن إمكانية الوصول بشكل كامل إلى التعليم الجيد في جميع المستويات شرط أساسي للتعجيل، بإحراز تقدم صوب تحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة الأخرى. وبعبارة أخرى، تبدأ التنمية المُسْتَدامَة مع التعليم.

وقد حققت أهداف توفير التعليم للجميع والأهداف الإنمائية للألفية المتفق عليها دوليًا مكاسبَ بعيدة المدى خلال الخمسة عشر سنة الماضية، وكذلك استخدمت البلدان هذه الأهداف كغايات ومعايير من أجل حشْد الإرادة السياسية المحلية للإصلاح وتحسين نظمها التعليمية، في حين استخدمها المانحون لجعل سياساتهم وأولوياتهم في تقديم المساعدة الإنمائية في مجال التعليم متماشية مع الأهداف والغايات الدولية.

وعلي هذا الأساس نجد أن ثمة بحوثًا ودراسات اهتمت واختصت بالمحور الأول المتعلق بموضوع السياسات التعليم العالي حيث جاءت (**دراسة انتصار البراهمي**/2010) وأوصت بضرورة دعم برامج الدراسات العليا بالجامعة في التخصصات المختلفة وتقويمه باستمرار لتحقيق أهداف التنمية

وتطويرها، وأيضا أكدت الدراسة رَبْطَ مخرجات التعليم العالي بحاجة سوق العمل وتحقيق الشراكة بين مؤسساته وتوفير الفرص المناسبة للخريجين؛ لضمان الإسهام الفعَّال في تنمية المجتمع.

وجاءت (**دراسة الحضيري**/2012) في توصياتها بضرورة القيام بالدراسات التقويمية في مجال السياسات العامة حتي يتم التغلب علي الصعوبات المصاحبة لعملية تنفيذ تلك السياسات ؛ من جهة أن السياسات العامة بها العديد من القطاعات التي تحتاج إلي متابعة مستمرة وصولاً للمستوي المطلوب، من حيث الإدارة وفاعليتها.

وكذلك (**دراسة حسان بن اسباع**/2014) ترى أن أغلبية المبحوثين يؤكدون أنه لا يوجد اهتمام بتقديم الحوافز لمختلف فئات المجتمع الجامعي؛ بسبب غياب نظام أو قانون واضح، تُقَدَّمُ علي أساسه الحوافز، كما يقرون بأنه لا توجد عدالة في تقديم الحوافز رغم قلتها، وهو ما يدل علي أهم ركائز نجاح إصلاح التعليم العالي وفق منظور الجودة الشاملة.

كما جاءت (**دراسة إلهام شيلي**/2014) التي أوصت بضرورة ربْط الجامعة بالمؤسسات الاقتصادية؛ لتطوير البحث العلمي ونشْر ثقافة التنمية المُسْتَدامَة في كل وحدات المؤسسة والمجتمع والقطاعات كافة.

وقد بينت دراسة (براهمي وليد/2015) أن للتعليم العالي دور هام ورئيس في تطوير المجتمع وتنميته، وذلك من خلال إسهام مؤسساته في تخرج الكوادر البشرية المدربة علي العمل في كافة المجالات والتخصصات المختلفة، كما اتضح أن الجامعة تسعي إلي وصول المجتمع إلى مرحلة الرقي والتقدم، عن طريق ربطها باحتياجات قطاعات الانتاج والخدمات التي تجعل المجتمع متقدماً ومزدهراً.

وأيضا أكدت دراسة (**محمد مجدي**/2017) توصلُّها إلي أن مخرجات التعليم العالي لا تتلاءم مع سوق العمل، بالإضافة إلى إهمال الدولة الميزانية الموجهة للبحث العلمي، وهذا ما يؤدي إلى ضعف في التطور التكنولوجي، كم أكَّدت أن إهمال التعليم التقني بزيادة الصرف علي التعليم الأكاديمي كان سببًا في رفع البطالة.

وأكدت دراسة (**سامية فلتان**/2018) أنّ سياسة التعليم العالي تعد من أهم المواضيع على مستوى الساحة العلمية والعلمية؛ حيث تعتبر جزءا هامًا من السياسات العامة في الدولة، التي تتضمن مجموعة من الأطر المفاهيمية والمنهجية والتحليلية المتكاملة فيما بينها كما، ترتبط الجودة الشاملة بسياسة التعليم العالي ، من جهة أن الجودة الشاملة تعتبر استراتيجية حديثة، يُتوخَّى تطبيقها وفق رؤى تخطيطية دقيقة، مما يضمن سياسة تعليمية جامعية وفق متطلبات ومعايير الجودة الشاملة.

وأيضا من ضمن التوصيات التي تم توصل إليها بالمؤتمر الدولي 2021 حول جودة مؤسسات التعليم العالي في ليبيا الذي انعقد في مدينة بنغازي الفترة (27-28فبراير 2021) ، ضرورةُ تطوير مؤسسات سوق العمل الليبي، بالرفع من جودة مخرجات التعليم العالي، وكذلك كيفية التنسيق الكامل بينهما؛

لخلق ربط تعاون علميٍّ وتقني، يمكن العمل عليها بإنشاء قاعدة بيانات، يمكن من خلالها معرفة المشاكل والعراقيل التي كانت سببًا في الفوضي الموجودة حالياً في مؤسسات سوق العمل. ومن ضمن التوصيات الاهتمام بتطوير التعليم الجامعي؛ لما له من أهمية كبري ومحورية في تحسين اقتصاديات الدول والتنافسية علي المستوي الدولي وإقامة شراكات وآليات وتعاون بين الجامعات والمراكز البحثية العربية ودعم الابتكار، بوصْفها من أهم الوسائل لتحقيق الجودة في التعليم العالي.

أما الدراسات المتعلقة بالمحور الثاني "منظمات المجتمع المدني" **فهي** دراسة (وصل /سنة2006)، فقد توصلت الدراسة إلى اكتشاف أن لمؤسسات المجتمع المدني الدور الكبير والمهم في توفير قدرٍ من الاحتياجات الحياتية لأفراد المجتمع خصوصاً الطبقات الفقيرة ،وفي مختلف المجالات التعليمية والثقافية والاجتماعية ، كما كشفت الدراسة عن وجود علاقة تعاون مشترك بين مؤسسات المجتمع المدني والحكومة، وأنَّ الإشراف الحكومي يعتبر أكثر انتشاراً بين مؤسسات المجتمع المدني في علاقتها بالدولة.

دراسة (**قرملة**/2007): أسفرت الدراسة عن ضرورة تعاون كافة مؤسسات المجتمع المدني في مواجهة كافة ظاهرة الإرهاب، وقد اتضح من خلال ذلك أن التربية الإسلامية السليمة بما تضمنه من مفاهيم وأهداف وما تستند عليه من مصادر قادرةٌ علي أن تربي نشئاً مؤمناً بعقيدته صالحاً مصلحاً، يأمر بالمعروف والموعظة الحسنة، وينهي علي المنكر .

وهناك أيضا دراسة (**علي**/2008)، فقد توصلت الدراسة إلي العمل علي صياغة مفهوم الثقافة المدنية والمشاركة السياسية وطرْح المفهوم بصيغته الجديدة وتعميمه علي أوسع الشرائح الاجتماعية في المدارس والمؤسسات التعليمية ؛ودمج وإشراك الشرائح الاجتماعية الواسعة والمتنوعة في البينية الأساسية لمنظمات المجتمع المدني، يكون منذ خطوات تشكليها الأوليّ.

كما أشارت دراسة (**عبيد**/2009) إلى دعوة المكتب العربي للإعلام الأمني لإعداد البرامج؛ لإقناع المواطنين في العالم العربي بفكرة العمل الطوعي في مجال خفْض الطلب علي المخدرات أملا في أن يصل العمل الطوعي إلي العالم الغربي.

وأشارت دراسة (**كسبة**/2013) إلي التركيز علي الأنشطة والبرامج والفعاليات التي تعبر عن حاجات المجتمع الفلسطيني وأن تركز أعمالها علي الأنشطة التي تعزز علي قيم الانتماء والولاء، وتركز علي البرامج التي تسهم في تعزيز القيم والقضايا الوطنية للشعب الفلسطيني ؛ والعمل علي تطوير آليات التشبيك والتعاون بين منظمات المجتمع المدني الفلسطيني وأن تبني العلاقة بينها علي أساس التخصصية في العمل، بما يخدم المجتمع الفلسطيني وتطلعاته وبناء إستراتيجية أولويات فيما تقدمه من أنشطة وبرامج.

وكذلك أشارت دراسة(رفاعي/2013) إلى أنَّ الجمعيات الأهلية تُسهم في العديد من الأدوار، سواء كان ذلك في أعمال الخير أو في صرف الإعانات أو إعانة بعض الأسر المحتاجة والفقيرة وتوفير المتطلبات الضرورية لحياتهم، وأكدت الدراسة أن معظم المشكلات التي تواجه الجمعيات الأهلية هي مشكلة التمويل.

وأيضاً جاءت دراسة(**حجازي**/2013) لتُبين أن من من نتائج الدراسة المشاركة الشعبية، التي تعدُّ من أهم العوامل التي تساعد علي زيادة فاعلية منظمات المجتمع المدني في مجال التنمية، فهي وسيلة أساسية لبقاء المجتمع المدني والحفاظ علي استقراره ، وقد توصلت الدراسة إلي أن أغلب المبحوثين اقروا بأهمية منظمات المجتمع المدني في التعليم ودورها الفعال في فتْح فصول محو الامية.

أمَّا بخصوص الدراسات والبحوث التي تتعلق بالمحور الثالث "التنمية المُسْتَدامَة"، فقد جاءت (دراسة إسماعيل/2015) ، وفيها أشار الباحث في نتائجه التي توصل إليها إلى أنه يوجد تحسين ملحوظ في بعض مؤشرات التنمية الاجتماعية؛ بسبب سياسة الدولة في الاستثمار في قطاع الصحة والتعليم، فكان لهما أثر مميز من خلال معدل الالتحاق بالتعليم وتحسين الأجل المتوقع.

وأيضا من ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي الموسوم بـ"المسئولية الاجتماعية للمؤسسات الاقتصادية كآليةٍ لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة" إبَّان تفشي الأوبئة، إلى تحديات الحاضر والمستقبل (برلين ـــ المانيا)، فقد جاء بحث (نعيمة /2020)، ومن توصياته أنَّ ثمَّة تحالفًا بين قطاع التربية والتعليم والتكوين؛ من أجل التكنولوجيا العالمية، بما يتوافق مع الاحتياجات المحلية ، وهو ما يوحي بضرورة إشراك المجتمع المدني من أجل التكفل بمطالب المواطن المتعلقة بالحفاظ على المحيط البيئي وحماية صحته ،و الموازنة الإقليمية بين الشمال والجنوب من أجل تنمية مستدامة متكاملة.

كما أكد (بحث بوسرسوب/2020) أن للمسجد دورًا فعالا في المحافظة علي البيئة ونشر الوعي البيئي المستدام، كونها محوراً لمجموعة من الخدمات الثقافية والتربوية الهادفة في المجتمع، كما أشارت الدراسة أن هناك معوقات وعقبات تقف حائلاً أمام انتشار الوعي البيئي في المجتمع، وهو الأمر الذي يستدعي تفعيل كل المؤسسات الاجتماعية العامة والخاصة في التنشئة البيئية وترسيخ ثقافة الوعي بقضايا البيئة ومتطلبات المحافظة عليها.

واتضح من (بحث راجح/2020) أن التوجه الاستراتيجي نحو التنمية المُسْتَدامَة يشير إلي اختلافٍ في طريقة التفكير الاستراتيجي لمنشآت الأعمال ، من خلال الأخذ في الاعتبار جميع جوانب الأداء ذات الصلة بأبعاد الاستدامة (الاقتصادية والاجتماعية والبيئية) عند تشكيل الاستراتيجيات وصياغتها،كما توصي الدراسة بضرورة إعادة دراسة مستقبل منشآت الأعمال وتحليله، والآلية التي يمكن من خلالها إعداد وتنفيذ الاستراتيجيات، والأهداف التي تعكس توجهها الاستراتيجي نحو التنمية المُسْتَدامَة في ضوء قدرات وإمكانيات المنشأة ، والفرص والتهديدات التي أفرزتها الأوبئة.

وكذلك (بحث الحبيشي/2020)، فقد توصل البحث إلي مجموعة من النتائج، وهي تعاظم دور الجامعات في تحقيق التنمية المُسْتَدامَة، من خلال دورها الاقتصادي والاجتماعي، وقد أصبحت المؤسسات الاقتصادية شريكاً هاما في تحقيق التنمية المُسْتَدامَة، فلم يعد هذا الدور مقصوراً علي الحكومات. وأن هناك انخفاضًا في أعداد الباحثين في عالمنا العربي بسبب ضعف الإمكانيات المادية وتوفير البيئة الملائمة للبحث العلمي رغم وجود النوابغ من خريجي الجامعات العربية إلا أنهم يتجهون للخارج؛ لاستكمال بحوثهم في بيئةٍ جامعية متطورة، في ظل توفير تلك الجامعات تسهيلات لاستقطاب هؤلاء الخريجين للدراسة وتوفير فرص عمل وحياة كريمة.

وأيضا من ضمن التوصيات التي تم توصل إليها بالمؤتمر الدولي 2021 "حول جودة مؤسسات التعليم العالي في ليبيا"، الذي انعقد في مدينة بنغازي الفترة (27-28فبراير 2021)، فقد أوصى بضرورة تطوير مؤسسات سوق العمل الليبي، من جهة الرفع من جودة مخرجات التعليم العالي، وكذلك كيفية التنسيق الكامل بينهما؛ لخلق تعاون علمي وتقني، يمكن العمل عليه في إنشاء قاعدة بيانات، يمكن من خلالها معرفة المشاكل والعراقيل التي كانت سببًا في الفوضى الموجودة حالياً في مؤسسات سوق العمل. والاهتمام بتطوير التعليم الجامعي ؛ لما له من أهمية كبري ومحورية في تحسين اقتصاديات الدول والتنافسية علي المستوي الدولي وإقامة شراكات وآليات وتعاون بين الجامعات والمراكز البحثية العربية ودعم الابتكار، بوصفه من أهم الوسائل لتحقيق الجودة في التعليم العالي.

وعلي هذا الأساس يمكننا طرح التساؤل الرئيس، ألا وهو: ما واقع الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة؟.

أهمية البحث:

1. التأكيد علي أهمية الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني في تحقيق التنمية المُسْتَدامَة في المجتمع الليبي.
2. توضيح أهمية الشراكة بين التعليم العالي و التنمية المُسْتَدامَة.
3. تطبيق مبدأ الشراكة بين الهدف الرابع للتنمية المُسْتَدامَة (التعليم) و منظمات المجتمع المدني.
4. الخروج بمجموعة من التوصيات والمقترحات التي تفيد موضوع الدراسة.

أهداف البحث:

1. الكشف عن واقع الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة.
2. التعرف عن أهداف منظمات المجتمع المدني في مجال التعليم العالي والتنمية المُسْتَدامَة.

تساؤلات البحث:

1. ما واقع الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة.
2. ما أهم أهداف منظمات المجتمع المدني في مجال التعليم العالي و التنمية المُسْتَدامَة.

المفاهيم والمصطلحات المُستخدمَة في البحث:

تعريف الشراكة:

الشراكة هي عقدٌ أو اتفاق بين مشروعين أو أكثر قائم علي التعاون فيما بين الشركاء، ويتعلق بنشاط إنتاجي أو خدمي أو تجاري، وعلي أساس قائم وثابت وملكية مشتركة؛ وهي أيضا اتفاقيةٌ يلتزم بمقتضاهما شخصان طبيعيان أو معنويان أو أكثر للمشاركة في مشروع مشترك، بتقديم حصة من عمل أو مال، بهدف اقتسام الربح الذي ينتج عنه أو بلوغ هدف اقتصادي ذي منفعة مشتركة .

كما أنها عملية ديناميكية تتضمن عقد اتفاق بين طرفين أو أكثر للاشتراك في مشروع مَّا أو القيام بنشاطٍ يتم خلاله التكامل بين كافة الأطراف، ويسعي الشركاء غالباً إلى صياغة أهداف جديدة مشتركة مبنية علي أسس من الإدارة والفهم المشترك والارتباط بعقد يستتبعه التزامات ملزمة للأطراف كافة. (بلحاوي : 2020، ص 682)

تعريف الشراكة إجرائياً:

الشراكة هي التشبيك الاجتماعي والاقتصادي والتنموي بين وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وبين منظمات المجتمع الليبي ؛ من أجل تحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة للصالح العام. هذا مع العلم بأن مفهوم الشراكة والتشبيك والتفاهم يتم بين طرفين وفقاً لعدة اعتبارات قانونية وإدارية مقننة وإعداد التقارير المفصلة والعمل علي تطبيق تلك الشراكة علي أرض الواقع وترجمة أهداف التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة وتحقيق المنفعة والتكامل بين الأهداف والاستراتيجيات المستقبلية وفق الرؤى العلمية المنطقية من منطلق الخبرات من ذوي الاختصاص والخبراء.

تعريف التعليم العالي:

هو ذلك النمط من التعليم الذي يعقب ويكمل التعليم الابتدائي والثانوي ويحتل موقفاً بارزاً في قمة نظام التعليم بصورة عامة ،ويعرف أيضا بأنه الدراسة في الجامعات في نظر الكثيرين ، وأنه دراسة متخصصة ينبغي أن تقتصر علي مادة التخصص وما يرتبط بها من مواد أُخَر ارتباطاً شديداً علي عكس الدراسة في التعليم العام الذي يسبق التعليم الجامعي، ففيه يدرس الطلاب مبادئ وأساسيات المعرفة في كل الحقول تقريباً. (التاورغي،2021: 8)

تعريف التعليم العالي اجرائياً:

هو المجال الواسع الذي يضم العديد من الأشخاص ذوي الخبرات والكفاءات في المجالات العلمية المختلفة، يقومون بأدوارهم المختلفة والمتنوعة وفقا للهدف الرابع للتنمية المُسْتَدامَة (التعليم).

تعريف منظمات المجتمع المدني:

عُرِّفت منظمات المجتمع المدني في كتاب (دراسات اجتماعية معاصرة) ، بأنها مجموعةٌ من الأنشطة التي يقوم بها أفراد المجتمع في نطاق بعيد عن سيطرة وتحكم الدولة ، حيث تعد تلك الأنشطة لتشمل جميع قطاعات المجتمع وطبقاته واهتماماته ومن ثم فالمجتمع المدني هو المجتمع الذي يتمكن أفراده من تكوين أعمالهم الجماعية وممارسة أنشطتهم بصورة مستقلة عن مؤسسات الدولة. (سبيقة،2013: ص36.)

وتعرف الباحثة منظمات المجتمع المدني إجرائياً:

بأنها مؤسسةٌ خيريةٌ وأهلية، يستوجب فيها تقديم الخدمات الإنسانية والمساعدات وإعداد البرامج المتنوعة في مجال التعليم العالي والبحث العلمي والعمل علي حماية الحقوق الإنسانية للأفراد وتحقيق رغباتهم وإشباع حاجاتهم وتوفير إمكانياتهم ؛ من منطلق أنَّ المؤسسات الأهلية بمثابة الأداة التي تسعى لدعم الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة، والعمل علي التحفيز والمساندة والتشجيع علي القيام ببعض الأعمال التطوعية، وإحداث التغير الاجتماعي، والإشراك بالمشاريع التنموية المستقبلية في مجال التعليم العالي والبحث العلمي.

تعريف التنمية المُسْتَدامَة:

تعرف رئيسة وزراء النرويج أول من استخدم مصطلح التنمية المُسْتَدامَة بشكل رسمي سنة 1987 في تقرير " مستقبلنا المشترك" للتعبير عن السعي لتحقيق نوع من العدالة والمساواة بين الأجيال الحالية والمستقبلية.

أما البنك الدولي فيعتر نمط الاستدامة هو رأس المال وعرف التنمية المُسْتَدامَة بأنها : تلك الجهود التي تهتم بتحقيق التكافؤ المتصل؛ الذي يضمن إتاحة نفس الفرص الحالية للأجيال القادمة وذلك بضمان ثبات رأس المال الشامل أو الزيادة المستمرة عبر الزمن، كما أن "تقرير ري ودي جانيرو" حسب جدول أعمال القرن 21 عرف التنمية المُسْتَدامَة بأنها تنمية يجب أن تحقق بطريقة توفق وتساوي إرضاء وإشباع حاجات المرتبطة بالتنمية والبيئة للأجيال القادمة والمستقبلية. (حمادة:2020، 37)

تعريف التنمية المُسْتَدامَة إجرائياً:

تُعرف بأنها تلك الجهود المبذولة لتحقيق الأبعاد البيئية والاجتماعية والاقتصادية والتقنية، بالشراكة مع وزارة التعليم العالي" الجامعات "والتشبيك والشراكة في القيام بكافة الأعمال والبرامج التعليمية ذات الطابع التنموي بشكل متعاون لخدمة الصعيد الشخصي والفردي والجماعي والمجتمعي وتحقيق وظائف الجامعة الثلاث المتعلقة بالتدريس والبحث العلمي وخدمة بيئة المجتمع، وتحقيق التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة لكافة الأجيال المستقبلية وتوفير المتطلبات لهم، وإشباع الاحتياجات وتحسين نوعية مستوي الحياة التعليمية والثقافية والعلمية. والهدف من الشراكة هو تحقيق التنمية المُسْتَدامَة وفق سياق التعليم وفقاً لتعاون الأهداف والبرامج مع بعضهما وبين معايير جودة التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة في مجال التعليم العالي.

المحور الأول: واقع الشراكة بين التعليم العالي ومنظمات المجتمع المدني في تحقيق التنمية المُسْتَدامَة:

تعد الشراكة من أهم المفاهيم التي أصبحت أكثر تداولاً في المجالات الاقتصادية والزراعية والاجتماعية والخدمية والبحثية، فقد حظي هذا المفهوم باهتمام الباحثين في هذه المجالات، بوصفه من أهم الركائز التي تستند عليها التنمية المُسْتَدامَة. وتبنى فكرة الشراكة على قناعة أساسية، مفادها أن الأطراف المشاركة والفاعلة تندرج في إطار علاقة تنظيمية مؤسساتية واضحة ومحددة، تستطيع من خلالها جميع الأطراف المشارِكة الاستفادة من الأطر الموضوعة في تنفيذ المشروعات المتفق عليها.

وتُشير الأدبيات المعاصرة إلى أهمية الشراكة بين أجهزة التعليم ومؤسسات المجتمع المدني؛ وذلك للأسباب الآتية:

1- أصبح العمل يعتمد على قواعد المعرفة والتكنولوجيا، ولا سبيل إلى نقل المعرفة وتطبيق التكنولوجيا إلا من خلال مراكز البحث العلمي.

2- إن سرعة التقدم المعرفي والتقني جعل مبدأ التعليم المستمر ضرورة لازمة لضمان ارتفاع معدلات الأداء والمجتمع.

3- تمر أساليب المجتمع وأدواته ووسائله بتحولات مستمرة، بسبب التطور المستمر في تكنولوجيا الإدارة، والبرمجة، وبحوث العمليات؛ ممَّا أحدث خللاً مستمراً في هيكلة العمالة.

4- إن الفجوة بين التقدم والتخلف هي فجوة معرفية تكنولوجية، ومن ثم يجب أن تكون الجامعات دوماً هي النافذة التي تُطلّ منها مؤسسات المجتمع على التقدم، وتستشرف المستقبل.

5- إن تكلفة التعليم العالي بأنواعه الأكاديمية والتكنولوجية والبحثية في ارتفاع مستمر، وتحتاج هذه

المؤسسات إلى دعم متواصل وإلى مصادر تمويل غير تقليدية؛ لذا يجب أن تكون مؤسسات المجتمع من بين هذه المصادر.

وتتمثل إحدى مميزات الشراكة بين التعليم الجامعي والمؤسسات المجتمعية في تنمية روح المبادرة الاستثمارية للتعليم الجامعي، وحرصه على الفاعلية والكفاءة، وتنمية التنافسية، والعناية بالمهارات. وفي المقابل يمكن للتعليم الجامعي أن يجلب للمؤسسات المجتمعية معرفته الغزيرة، وقدراته العلمية، واهتمامه بالأجل الطويل، والآثار المضاعفة لنتائج بحوثه الأساسية، وحرصه على الطابع الكلي للحق والعدل سعيًا إلي إقامة عالم أكثر انسجامًا؛ لذا على التعليم الجامعي أن يتكيف مع التحولات التي تطرأ على عالم العمل، دون أن يعني هذا فقده لهويته وأولوياته الخاصة المُتعلقة باحتياجات المجتمع ككل.

ومن مزايا الشراكة أيضًا ما يلي:

1. تُتيح الشراكة فرصًا عظيمة ومغرية لأعضاء هيئة التدريس من ناحية التطبيق الميداني للبحوث؛ حيث يوظف المشاركون مهاراتهم ومعارفهم لمواجهة التحديات والقضايا التي تكون محور اهتمام الشركاء خارج نطاق أبوب الجامعة.
2. تعمل الشراكة على إتاحة الفرصة للمؤسسات المجتمعية لتغيير وتطوير برامجه ومشاريعه ومنتجاته وفقًا للمنهجية المتبعة في ضوء مثل هذا التعاون، بما يتناسب وحاجة المستفيدين وأهداف هذه المؤسسة والشركات. (جمعة،2020: 6)
3. تعمل الشراكة على توفير فرص تبادل الخبرات بين الطرفين، وكذلك من لهم علاقة بهما، وهم من طلاب الجامعة والمتدربين والمساعدين للباحثين في الطرف الأول، ومن الموظفين والعمال والمهنيين في الطرف الثاني.
4. إن الشراكة من شأنها تنمية دخل الجامعة، وتعزيز سمعتها ووظيفتها بين الجامعات المُناظرة، وانفتاحها على قضايا المجتمع، وبناء الروابط العلمية والاقتصادية معه، وذلك من خلال توفير كثيرٍ من الفرص والمجالات؛ لتدريب الطلاب وتطوير المناهج والمقررات الجامعية وفقاً لسوق العمل وحاجات المجتمع.
5. تمثل الشراكة بكافة أنواعها ومستوياتها فرصةً لربط أستاذ الجامعة بمؤسسات المجتمع المدني وقضاياه وهمومه ومشكلاته. بل هي الفرصة الأمثل لإجلاء الصورة المشوهة لأستاذ الجامعة، بأنه بعيد عمَّا يُعانيه المجتمع من مشكلات، فهو إذن على المستوى الفردي يُحسن وضعه الشخصي والعلمي، وعلى المستوى الوطني يُسهم في تنمية المجتمع، بوصفه فرداً من أفراد المجتمع الصالحين، وهنا تسعى الجامعة إلى مسؤوليتها الاجتماعية.

وللشراكة خصائص تميزها، حددها فريد النجار (1999) في أنها: ذات طابع تبادلي تعاوني؛ حيث يقدِّم كل عضو أفضل ما لديه لنجاح الشراكة للطرف الآخر، ويجب أن يتم تنظيم العلاقات بين الشراكات

على أسس أفقية ورأسية، بغرض تبادل التكنولوجيا، وبناء قاعدة قوية من الموارد الضرورية:

وقد حددت Barbara A. Holland (2001) خصائص الشراكات الفاعلة والمستمرة، كالتالي: إنها قائمة على اكتشاف وتحديد الأهداف والمصالح المشتركة بين الأطراف، ويتم من خلالها الوصول إلي اتفاق مشترك، وتطوير خطة عمل متكافئة بشكل تعاوني بين الأطراف، وتكون التوقعات، وقدرات كل طرف، والنتائج واضحة، وناجحة في قياس كلٍّ من الجوانب المؤسسية والمجتمعية التي تمثل مخرجات الشراكة، والمشاركة في التحكم والإدارة لاتجاهات الشراكة والمصادر المتاحة.

والتركيز على نقاط القوة التي يملكها كل طرف، وتحديد الفرص المتاحة لتحقيق النجاح المبكر، والتركيز على الرؤية ثنائية الأبعاد، والتي تهتم بتبادل الخبرات والتعلم وبناء القدرات، والاهتمام بعملية الاتصال، ومحاولة زرع الثقة بين الأطراف، والالتزام بالتقييم المستمر لعملية الشراكة، وكذلك المخرجات:

شروط تكوين الشراكة بين التعليم الجامعي ومؤسسات المجتمع:

تتمثل شروط تحقيق الشراكة بالنسبة لمؤسسات المجتمع مع التعليم الجامعي ومؤسساته في قدرة الجامعة على أن:

- تطور مناهج التدريب وأساليبه؛ لما للتعليم الجامعي من قدرة على الدمج بين البحث والعلم.
- تمثل الجامعات مراكز للتنافس، لها الحق في منح الدرجات العلمية المختلفة.
- تمثل الشراكة مع الجامعة معيارًا أساسيًّا لتحقيق عالمية مؤسسة المجتمع كجزء من شبكة الصناعة العالمية.
- تكون ذات سمعة طيبة وخاصة في مجال الشراكة مع مؤسسات المجتمع؛ حيث تمثل هذه السمعة مؤشرًا لجودة البرامج التعليمية المُقدمة في الجامعة. (جمعة،2020: 6)

وترى Barbara A. Holland (2002) أن هناك ستة شروط رئيسة لتحقيق شراكة فعالة بين التعليم الجامعي ومؤسسات المجتمع المختلفة، هي:

1- يجب على الشركاء اكتشاف أوجه الاختلاف بينهم وفهمها، وكذلك أهدافهم العامة واهتماماتهم. فالشركاء يريدون أغراضًا مختلفة، ولكنهم يستطيعون فقط إنجاز ما هو مُتفق عليه؛ لذا يجب أن تتصف هذه العلاقة بالوضوح وأن تؤدي إلي تطوير جدول أعمال مفيد قادر على تمييز الأعمال المنفصلة والمشتركة.

2- على كل طرف أن يتفهم القدرات والمصادر والإسهامات والجهود المتوقعة منه ومن كل الأطراف. ويعمل هذا على تكوين إحساس واقعي من التوقعات وكذلك تكوين خريطة للأشكال المختلفة للخبرات التي سيسهم بها كل طرف في علاقة الشراكة.

3- الشراكة الناجحة تعمل على تحديد فرص النجاح والمنفعة المُتبادلة من خلال التخطيط الجيد والحذر لأنشطة المشروع.

4- لكي تكون الشراكة مستمرة يجب على الأطراف الانتباه إلي أن الشراكة ليست مهمة منفصلة عن نشاط ومهام كل طرف، بل هي علاقة قائمة على تبادل المعارف والخبرات وبناء القدرات بشكل مستمر. فالشراكة أنواع مختلفة، كل نوع يحتاج إلي مستوى مختلف من الالتزام، بدءًا من التفاعل على المستوى الشخصي وانتهاءً إلي التفاعل بين مؤسسات مختلفة، بالإضافة إلي أن التخطيط لتحقيق شراكة ناجحة لا يعتمد على تحديد الأنشطة فقط، بل على نوع التعاون، وشكله، والعمليات، والإدارة، ومستوى تعقد التعاون، والمدى الزمني للأنشطة.

5- يجب أن تضمن عملية تصميم الشراكة تحكمًا مشتركًا بين الأطراف في اتجاهات العمل؛ لهذا يتم بناء مجموعة استشارية تتضمن أعضاء من كل الأطراف قادرة على اتخاذ القرار والتخطيط الجيد لتحقيق أهداف الشراكة.

6- يجب على أطراف الشراكة تكوين لجنة وظيفتها التقييم المستمر لعلاقة الشراكة نفسها، بالإضافة إلي تقييم المخرجات. فالتقييم الذي يتضمن كل الأطراف يولد الثقة المتبادلة، ويزيد أشكال التعاون، ويولد خطوط عملٍ ومصادر تمويل جديدة، ويُبقي على الأهداف المشتركة، بالإضافة إلي توقعات كل طرف.

7- لتحقيق الشراكة بين التعليم الجامعي ومؤسسات المجتمع المدني يجب على الطرفين تحديد: المهام والأنشطة المكلف بتنفيذها كلٌّ طرف، والعناصر الأساسية للشراكة، والمتضمنة مستوى الخبرة المطلوب لتنفيذ المهام والأنشطة المحددة، وعوامل تقييم النجاح الحادث، والأنشطة التي تتطلب مستوى عالٍ من التقنية، والتي تتطلب فترات طويلة من التعاون، وأعضاء لجان المفاوضات بين الطرفين؛ لجعل العمل أكثر تحديدًا وفعالية. (جمعة،2020: 6)

المحور الثاني: أهم أهداف منظمات المجتمع المدني في مجال التعليم العالي والتنمية المُسْتَدامَة:

إنَّ ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلّم مدى الحياة للجميع قد أحرز تقدمًا كبيرا في الحصول على التعليم، وتحديدا على مستوى المدارس الابتدائية، للفتيان والفتيات. ومع ذلك فالوصول لا يعني دائما نوعية التعليم، أو الانتهاء من المرحلة الابتدائية حاليا، فيوجد أكثر من 103

مليون شاب في جميع أنحاء العالم لا تزال تفتقر إلى مهارات القراءة والكتابة الأساسية، وأكثر من 60٪ من هؤلاء هم من النساء. والغاية الأولي من الهدف 4 هو ضمان أن يكمل جميع الفتيات والفتيان بحلول عام 2030 التعليم الابتدائي والثانوي المجاني والمنصف والجيد.

من أهم أهداف منظمات المجتمع المدني في مجال التعليم العالي تحقيقُ أهداف التنمية المُسْتَدامَة والمتمثلة فيما يأتي:

1. عقد الشراكة لتحقيق الأهداف:

إحياء الشراكة العالمية من أجل التنمية المُسْتَدامَة، ويتطلب ذلك خطة ناجحة للتنمية المُسْتَدامَة، حيث إقامةُ شراكات بين الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني، وهذه الشراكات الشاملة القائمة على المبادئ والقيم، والرؤية المشتركة، والأهداف المشتركة التي تضع الناس والكوكب في المركز، تكمن في الحاجة إلى المستوى العالمي والإقليمي والوطني والمحلي، وهذا ما يلزم اتخاذ إجراءات عاجلة لتعبئة وإعادة توجيه وإطلاق العنان لقوة تحويل تريليونات الدولارات من الموارد الخاصة لتحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة. وهناك حاجة إلى استثمارات طويلة الأجل، بما في ذلك الاستثمار الأجنبي المباشر، في القطاعات الحيوية.

ولا سيما في البلدان النامية وهي تشمل الطاقة المُسْتَدامَة والبنية التحتية والنقل، فضلا عن تكنولوجيات المعلومات والاتصالات. وسيحتاج القطاع العام إلى تحديد اتجاه واضح، ويجب إعادة صياغة أطر المراجعة والرصد واللوائح وهياكل الحوافز التي تمكن هذه الاستثمارات لجذب الاستثمارات وتعزيز التنمية المُسْتَدامَة. وينبغي تعزيز آليات الرقابة الوطنية مثل مؤسسات الرقابة العليا ومهام الرقابة من جانب الهيئات التشريعية. (تقرير التنمية المجتمعية المُسْتَدامَة،2018: 22-37)

وبالإضافة لما سبق فإنَّ لمؤسسات أو منظمات المجتمع المدني مجموعةً من الأدوار المتنوعة، تسهم بشكل كبير ومباشر في تقديم الدعم المعنوي للأسر التي تحتاج للمساعدة والمعونة النفسية والاجتماعية ؛ فالأدوار التي تقوم بها منظمات المجتمع المدني لا تختلف كل الاختلاف عن الأدوار والبرامج التي تقوم بها مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي ، ولعل هذا سيكون واضحاً من خلال العرض التالي :

- **الدور التثقيفي:**

يكمن الدور التثقيفي لمنظمات المجمع المدني في مجال التعليم العالي، في تقديم البرامج التثقيفية والتوعية للطلاب والعمل علي تشجيعهم في إقامة الأنشطة المتنوعة التي تسهم بطبيعة الحال في تقديم المسئولية الاجتماعية لحماية حقوقهم والعمل علي إدراكهم لفهم مشكلاتهم النفسية والاجتماعية

والاقتصادية والمتنوعة ؛ بالإضافة إلي الوعي التام والمهم؛ لتهيئة الطلاب إلى التغير الثقافي وعبر وسائل الاتصال والإعلام المختلفة في مجال التعليم والبحث العلمي. (زيدان،2017 : ص584)

- **الدور الإغاثي:**

تقوم معظم منظمات المجتمع المدني بتقديم خدمات الإغاثة التي تسهم بشكل كبير في سد ثغرة نقص الحاجات والاحتياجات لكافة الطلاب المحتاجين والأسر المحتاجة، وتقديم الخدمات الإنسانية والاجتماعية والنفسية والخدمات المتنوعة والإسهام في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي اللازمة، كما يساعد العمل التطوعي الخيري في تنمية الإحساس بالمسؤولية وتنمية قدرات الطلبة النازحين داخل مخيماتهم وخارجها؛ لكي يشعر أولئك الأفراد بقدرتهم علي العطاء وتقديم الخبرة والنصيحة في المجال الذي يتميزون فيه. (بوركان،2010: ص 195)

- **الدور الحقوقي:**

المقصود بالدور الحقوقي هو حماية الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والمدنية والثقافية للطلبة ذوي الدخل المحدود والنازحين والأسر المهشمة، من جهة أن الحماية الهدف منها هو حماية كرامة الإنسان الاجتماعية ، وهي تلك الحالة التي ينتفي فيها الظلم والاستغلال والقهر والحرمان من الثروة أو السلطة أو من كليهما، والتي يغلب فيها الفقر والتهميش والإقصاء الاجتماعي، وتنعدم فيها الفروق غير المقبولة اجتماعيا بين الأفراد والجماعات والأقاليم داخل الدولة، والتي يتمتع فيها الجميع بحقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية وبيئية متساوية وحريات متكافئة، ولا تجور فيها الأجيال الحاضرة على حقوق الأجيال المقبلة، والتي يعم فيها الشعور بالإنصاف والتكافل والتضامن والمشاركة الاجتماعية، والتي يتاح فيها لأفراد المجتمع فرصٌ متكافئة لتنمية قدراتهم وملكاتهم ولإطلاق طاقاتهم من مكامنها ولحسن توظيف هذه القدرات والطاقات بما يوفر لهؤلاء الأفراد فرص الحراك الاجتماعي الصاعد، وبما يساعد المجتمع على النماء والتقدم المستدام، وهي أيضا الحالة التي لا يتعرض فيها المجتمع للاستغلال الاقتصادي وغيره من آثار التبعية لمجتمع أو مجتمعات أُخَر، ويتمتع بالاستقلال والسيطرة الوطنية على القرارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

إن جوهر ذلك الحفاظُ على الكرامة الإنسانية وإلغاء أي نوع من التهميش والإقصاء، وهذا لا يتحقق بدون مبدأ العدل الذي يكون هنا بإتاحة الفرصة وإلغاء الظلم والتمييز .

إن ذلك يعني بصورة جلية أخرى إقامتنا لدولة سيادة القانون المنتمية إلى العصر بكل قيم المساواة واحترام التنوع والقبول بالآخر على أساس أن المساواة هي إتاحة الفرص بين الناس دون تمييز مسبق، وإعمال القانون على الجميع مع سياسة تحقق الرفاه؛ لندرك أن تحقيق مبادئ حقوق الإنسان في تنوعها وشموليتها يكون في جوهر العدالة الاجتماعية حيث لا يمكن أن نحقق طائفة من الحقوق دون غيرها. (الاصبحي:2013: 5 – 6)

- **الدور التنموي:**

ترتكز الأدوار التنموية لمنظمات المجتمع المدني بمجال رعاية الطلاب في التعليم العالي والبحث العلمي في إعداد بعض البرامج والمشاريع التنموية ؛ من جهة أن نجاح تلك المشاريع والبرامج يتوقف علي مدي الشراكة بين التعليم العالي والبحث العلمي والعمل علي إدارتها والتخطيط لها من خلال القدرة والكفاءة والمسؤولية التامة في الحصول على المردود الكبير من إنتاج المشاريع والتي تتمثل بمثابة مصدر الدخل والبديل للرفع من مستوى العيش الكريم وتحسين مستوى نوعية الحياة؛ وتفعيل الدور التنموي علي أكمل وجه ممكن.

- **الدور الوقائي والعلاجي:**

يكمن الدور الوقائي والعلاجي في مجال رعاية الطلاب وأسرهم في تقديم الخدمات الوقائية والعلاجية لكافة الفئات والعمل علي التنسيق بين مؤسسات المجتمع المدني والجهات ذات الاختصاص في تقديم سُبل العلاج والعناية بالمرضي وتوفير كافة الخدمات الصحية التي تليق بهم، وذلك وفق البرامج التوعية والتثقيفية والصحية والعمل علي مساعدة أفراد وجماعات الطلاب في إشباع حاجاتهم في مجالات الرعاية الاجتماعية بالتنسيق مع الخدمات وتنمية كافة الموارد والسبل التي تسهم بشكل كبير ومباشر في تحقيق الأهداف العلاجية والوقائية لكافة الأسر المحتاجة. (حمزاوي:1998:ص17-19)

نتائج البحث:

من خلال ما تم عرضه من أدبيات البحث توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج وفقا لأدبيات الإطار النظري التي تفيد موضوع الشراكة بين التعليم العالي والبحث العلمي ومنظمات المجتمع المدني لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة ، تخدم موضوع البحث ، ولعل من أهم تلك التوصيات ما يأتي:

1. تسهم المشاركة في تنمية روح المبادرة الاستثمارية للتعليم الجامعي، وحرصه على الفاعلية والكفاءة، وتنمية التنافسية، والعناية بالمهارات.
2. تبين أن الشراكة بين التعليم الجامعي ومنظمات المجتمع المدني تسهم في دعم المؤسسات المجتمعية، حيث المعرفة الإبداعية، والقدرات العلمية؛ لتحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة.
3. تعمل الشراكة على إتاحة الفرصة للمؤسسات المجتمعية لتغيير وتطوير برامجه ومشاريعه ومنتجاته وفقًا للمنهجية المتبعة وفقاً لسياسات التعليم العالي؛ لكي يتم هدف التعليم للتنمية المُسْتَدامَة.
4. تعمل الشراكة على توفير فرص تبادل الخبرات بين الطرفين(التعليم العالي والبحث العلمي ومنظمات المجتمع الليبي) وتحقيق أهداف التنمية المُسْتَدامَة.

5. عقد الشراكة من أجل تحقيق أهداف التعليم العالي لوضع خطة ناجحة للتنمية المُسْتَدامَة وإقامة شراكات بين الحكومات والقطاع الخاص والمجتمع المدني. وهذه الشراكات الشاملة هي القائمة على المبادئ والقيم، والرؤية المشتركة، والأهداف المشتركة لخدمة بيئة التعليم العالي.
6. يكمن الدور التثقيفي لمنظمات المجمع المدني في مجال التعليم العالي في تقديم البرامج التثقيفية والتوعية للطلاب لنشر ثقافة التنمية المُسْتَدامَة.
7. تقوم معظم منظمات المجتمع المدني بتقديم خدمات الإغاثة التي تسهم بشكل كبير في سد ثغرة نقص الحاجات والاحتياجات لكافة الطلاب؛ لتحقيق الأهداف الاجتماعية للتعليم العالي.
8. ترتكز الأدوار التنموية لمنظمات المجتمع المدني بمجال رعاية الطلاب في التعليم العالي والبحث العلمي في إعداد بعض البرامج والمشاريع التنموية.
9. يكمن الدور الوقائي والعلاجي في مجال رعاية الطلاب وأسرهم في تقديم الخدمات الوقائية والعلاجية لكافة الفئات والعمل علي التنسيق بين مؤسسات المجتمع المدني.
10. العمل علي مساعدة أفراد وجماعات الطلاب في إشباع حاجاتهم في مجالات الرعاية الاجتماعية، بالتنسيق مع الخدمات وتنمية كافة الموارد والسبل وتحقيق التنمية المُسْتَدامَة.

أما توصيات ومقترحات البحث، فهي:

من خلال ما تم عرضه من أدبيات البحث توصلت الباحثة إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تفيد موضوع الشراكة بين التعليم العالي والبحث العلمي ومنظمات المجتمع المدني؛ لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة وبناءً في عرضنا للنتائج، فإنَّ ذلك يستوجب علينا الخروج بجملة من التوصيات والمقترحات التي تخدم موضوع البحث، ولعل من أهم تلك التوصيات، وهي كما يلي:

1. ضرورة تطوير بيئة التعليم العالي وفقاً لهدف التعليم من التنمية المُسْتَدامَة.
2. العمل علي إشراك منظمات المجتمع المدني المهتمة بالتعليم والهادفة إلى تحقيق التنمية المُسْتَدامَة .
3. ضرورة إعداد مكتب خدمة بيئة المجتمع والتنمية المُسْتَدامَة، بحيث يسهم في تقديم الخدمات التعليمية.

أما عن أهم المقترحات التي تم الوصول إليها، فهي كما يلي:

تقترح الباحثة وضع تصور مقترح، وهو كالاتي:

(استحداث مكتب خدمة بيئة المجتمع والتنمية المُسْتَدامَة)

مدير مكتب

الشؤون الإدارية والمالية

البحوث والدراسات التنموية

الشؤون القانونية

المراجعة الداخلية

المراجع:

المصادر:

- **القران الكريم.**

أولاً/ الكتب:

1. رياض أمين حمزاوي، طلعت مصطفي السروجي، إدارة منظمات الرعاية الاجتماعية "دراسة لنموذج مجتمع الأمارات"، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة (دبي)،1998.
2. بوركان، العمل الخيري ودوره ي تنمية المجتمع، المجتمع المدني في ليبيا (مفهوم، شروطه، ودوره في السياسية، منشورات المنتدي الليبي (7)، سنة 2010.
3. محمد عبد القادر سبيقة ، دراسات اجتماعية معاصرة ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، سنة 2013.
4. محمد الرصاعي، التعليم الجامعي التحديات والاستراتيجيات، من الرابط:-

http://www.jafwinfo.org/look/article.tpl?IdLanguage/17&IdPublication/2&NrArticle/448&NrIssue/1&NrSection/3

ثانياً/ الرسائل العلمية:

1. انتصار جبريل البراهمي، التعليم العالي ودوره في التنمية الاجتماعية في الجماهيرية العظمي، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة طرابلس، كلية الآداب ،سنة 2010.
2. براهمي وليد، سياسة التعليم العالي وانعكاساتها علي التنمية الاقتصادية في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر،سنة2015.
3. سمير جعفر، التنمية المُسْتَدامَة واستراتيجيات تطبيقها في الجزائر، جامعة محمد خضير بسكرة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، رسالة ماجستير غير منشورة، سنة 2019.
4. عبدالسلام محمد الحضيري، تقويم سياسات التعليم العام في ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، كلية الاقتصاد، سنة2012.

5. عمر بن حزام بن قرملة، دور مؤسسات المجتمع المدني في الوقاية من الإرهاب، جامعة نايف للعلوم الأمنية ، الرياض، رسالة ماجستير، منشورة، سنة 2007.
6. قدري فضل كسبه، منظمات المجتمع المدني، دورها في تعزيز مفهوم المواطنة في فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، سنة2013.
7. إلهام شيلي، دور استراتيجية الجودة الشاملة في تحقيق التنمية الاقتصادية في المؤسسة الاقتصادية، جامعة فرحات عباس اسطيف، رسالة ماجستير غير منشورة، الجزائر،2014.

ثالثاً/ البحوث والدوريات:

1. أعمال المؤتمر الدولي الافتراضي" المسؤولية الاجتماعية للمؤسسات الاقتصادية كآلية لتحقيق التنمية المُسْتَدامَة أبات تفشي الأوبئة، تحث شعار(تحديات الحاضر وآفاق المستقبل) الفترة 16/15/ سبتمبر، المركز الديمقراطي ، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية (برلين- المانيا) ،سنة 2020.
2. إيناس محمد الشيتي، دور الجامعات السعودية في موائمة مخرجات التعليم العالي ومتطلبات التنمية المُسْتَدامَة وفق رؤية2023 في المملكة العربية السعودية، دراسة تحليلية للآراء القيادية الإدارية في جامعة القصيم، بحث منشور ضمن مجموعة بحوث بمجلة العالمية للاقتصاد والأعمال، سنة 2020.
3. تفعيل من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس العاملين ، بحث منشور ضمن مجموعة بحوث ، مجلة كلية الاقتصاد، جامعة الزيتونة 2018.
4. توصيات أعمال المؤتمر الدولي 2021 حول جودة مؤسسات التعليم العالي في ليبيا الذي انعقد في مدينة بنغازي الفترة .(27-28فبراير 2021).
5. تيسير محمد الخوالدة، معوقات استدامة التعليم العالي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية، بحث منشور ضمن مجموعة بحوث، دراسات العلوم التربوية ،المجلد 43، العدد (1)، سنة2016.
6. حكيمة رجب علي زيدان، المسئولية الاجتماعية للجمعيات الأهلية في تثقيف المقبلات علي الزواج بحقوق الطفل، المواطنة والتنمية كأساس للعدالة الاجتماعية ، بحث مشارك من ضمن مجموعة بحوث بمشروع برنامج الندوة الدولية حول التنمية وتطوير النظام الإقليمي، العربي،(القاهرة)9-2013/5/10، المجلد الثاني.
7. السيد علي السيد جمعة، الشراكة بين الجامعة ومؤسسات المجتمع كاتجاه لتطوير التعليم الجامعي، محاضرات للطلاب الجامعيين ، جامعة قناة السويس، كلية التربية بالسويس، سنة 2020.

8. عز الدين سعيد الاصبحي ، المواطنة والتنمية كأساس للعدالة الاجتماعية ، بحث مشارك من ضمن مجموعة بحوث بمشروع برنامج الندوة الدولية حول التنمية وتطوير النظام الإقليمي، العربي،(القاهرة)9.10/5/2013 .

9. محمد سعيد عبد المجيد, قانون تنظيم الجامعات وجودة التعليم، دراسة ميدانية مقدمة للمؤتمر الدولي الثاني لقسم علم النفس سلوك الإنسان وتحديات العصر,18-2006/4/20م، جمهورية مصر العربية، جامعة المنيا، كلية الآداب.

10. مكتب العمل الدولي الوثيقة: GB.294/ESP/2 الدورة: 294 مجلس الإدارة جنيف، تشرين الثاني/ نوفمبر 2005 لجنة العمالة والسياسة الاجتماعية ESP البند الثاني من جدول الأعمال تعزيز التنمية المُسْتَدامَة لتحقيق سبل عيش مستدامة.

عنوان المداخلة: الخطاب التاريخي وصناعة الوعي المجتمعي

د. نجيب بن خيرة
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة الشارقة، الإمارات

مقدمة

1. **في مفهوم صناعة الوعي المجتَمَعِيّ**
2. **المعرفة التاريخية والخطيئة المعرفية في المنظومة التربوية**
3. **المؤرخون وصناعة الوعي (الشيخ المؤرخ -مبارك الميلي أنموذجا)**
4. **حول تجديد الخطاب التاريخيّ (وجهة نظر)**

1. في مفهوم صناعة الوعي المجتَمَعِيّ

الإنسان نتاج الثقافة ، فهو عند مولده كائن خام ، ولا تتبلور إمكاناته إلا في بيئة مادية ووجدانية وثقافية ملائمة، وبعد جهد متواصل؛ ولذا يمكن القول: إن الوعي معطى اجتماعيٌّ.

ومع أن الوعي يقيم علاقة جدلية مع المجتمع و الوجود عامة ، يؤثر فيه ، ويتأثر به ، فإن الصحيح أن وعي الفرد يظل مسوّرا إلى حد بعيد بمستوى الوعي السائد في مجتمعه . تحت طائلة الموروث الثقافي ، والعرف السائد ، والمثل الدارج ، فالفرد مطالب دوما أن يجدد نفسه إذا ما أراد أن يقوم بوظيفته في تنظيم الخبرة ، وإدراك التحديات، وطرح الحلول لمواجهتها ..

ولعل كثافة المنتجات الثقافية ، وسرعة المتغيرات الاجتماعية ، قد جعلت الوعي قاصرا عن ملاحقتها واستيعابها، وأحيانا بطء استجابة الوعي لهذه المتغيرات المتسارعة وخوف الناس من التغيير ، يجعل الجهد شاقا ، حيث إن على القائمين بصناعة الوعي المجتَمَعِيّ أن يقوموا بدور الحجر والنحّات معا. (**بكار**، 2000م، **ص**11-13).

والعقل الجَمْعِيّ يعاني دائما من السطحية و انخفاض مستوى الفهم ، كما يعاني من نوع من المجافاة للتحليل والتفصيل والتفلسف، ..ولعل ذلك يرجع إلى حرص العقل الجَمْعِيّ والثقافة الشعبية على التلاحم والتضامن الأهلي، ممَّا يجعل الناس يسيرون بسير الأضعف فيهم ، ويخفضون مستوى الفهم للأمور ، ويظهرون كثيرًا من المراءاة و المراعاة والمجاملة ، مع التقليل من النقد لمفردات العقل الجَمْعِيّ ، وكل ذلك من أجل تعزيز الشعور التضامنيّ والظهور بمظهر التوحد ..وهذا يجعل من الأفكار السهلة

والسطحية تظفر بنصيب الأسد من الانتشار والتعميم والتداول ، مما يكبح أيَّ فكرٍ عميق لدى الأفراج ، ويدفع بالصفوة بالعمل في مجال خاص ومحدود ، وهذا ما جعل القرآن يشير في كثير من المواضع إلى أن أكثر الناس لا يعقلون، ولا يعلمون، ولا يشكرون، قال تعالى :﴿ **وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾(يوسف : 103) . (**بكار**، 2010م، **ص** 70-71)

ولا شك أن الوعي الجَمْعِيّ هو بالأساس فهْم الواقع بكل مكوناته ومتطلباته وفرصه وخياراته ، وكما هو مطلوب على مستوى الفرد هو مطلوب أيضا على المستوى المجتَمَعِيّ؛ لتحقيق الإقلاع الحضاري المنشود .وغياب هذا الوعي يعمق الأزمة ، ويديم عمر التخلف ويخلق التأسن ، ويجذر الضعف على المستويات جميعها ، ويوطِّئ للتبعية المقيتة ...ويحدث ذلك كله في غياب الوعي بالتاريخ ..!

فمما لا شك فيه أن" *التاريخ علم كسائر العلوم الإنسانية الأخرى ، هو علم إقناعي يتداخل تداخلا بنيويا مع (الإيديولوجيا) الحضارية لجميع المجتمعات الحداثية ، فإذا تجاهلنا الافتراضات و المعطيات الأساسية لهذا العلم، فإن ذلك التجاهل سيكون بمثابة قطع الطريق للوصول إلى الآخر من أجل تغيير مفاهيمه الخاطئة ، ذلك أن المفاهيم الغربية تشكل خطابا ، وهذا الخطاب هو عينه الخطاب العالمي ذو القوة و السلطان ، وعدم الانخراط في عالمية الخطاب هو تهميش للذات ، وهدر كبير للفرص المتاحة لها* " (**حلاق**، 2007م ، **ص** 11).

ونحن يمكننا أن نندمج في هذا الخطاب العالمي عندما نتحرر من التصور بأن تاريخنا مملوءٌ بالجرائم والفضائع ، وأن صفحاته قاتمة دامية، وأحداثه راعفة نازفة ، ممَّا يولِّد التشاؤم والاكتئاب عند التفكير في أيَّة نهضة ، أو يقظة أو تقدم .

ونحن لا نضفي على تاريخنا القداسة والعصمة والنقاء والصفاء ، فهو تاريخ بشر، فيه من الصفحات القاتمة كما فيه كثيرٌ من الصفحات المشرقة الناصعة ، ولكن بعض المقولات المثبطة تحولت إلى عقائدَ اجتماعيةٍ، حالت دون نهوض المجتمع وترقِّيه... مثل قولهم (ليس في الإمكان أبدع مما كان) وقولهم (ما ترك السابق للاحق شيئًا) وقولهم (ما ترك الأول للآخر شيئا) مما يجعل المتأخر دوما محل الزلة ، ومظنة الخطأ ، وهي مما يخدر العقل ويسلبه قواه ، ويجعل المتأخر يتشرنق داخل أوهام وعراقيل ذهنية وفكرية ..!

إن الخطاب التاريخي المرجو في صناعة الوعي المجتَمَعِيّ هو الذي يسعى إلى تحويل الماضي إلى قوة فكرية وروحيةٍ، ينصلح بها الحاضر، وتتحدد بها معالم المستقبل. والتاريخ يعلمنا " *أمورا عديدة مهمة، مثل نجاعة بعض الأساليب الإصلاحية، ونتعلم منه أيضا ما يترتب عن الظلم والاحتقان الاجتماعي من أضرار، كذلك نتعرف من خلاله على آثار بعض الإجراءات والقوانين، مثل الحكم اللامركزي والبيروقراطية.*

كل هذا نتعلمه من التاريخ ونستدرك به الأخطاء الفائتة، ومن خلاله نستطيع التدقيق في مدى إيجابية أو سلبية السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ومن خلاله أيضا نكتشف العلاقات الجدلية بين الأشياء، كالعلاقة بين الدين والدولة والسياسة، والعلاقة بين المال والأخلاق، والعلاقة بين العقل والعاطفة، والعلاقة بين الفقر والتمرد، والعلاقة بين العلم والتماسك الاجتماعي." (**بكار**،2020م).

2 .المعرفة التاريخية والخطيئة المعرفية في المنظومة التربوية:

لا شك في أن الوعي بالتاريخ ينشط حركة الإنسان ، ويحفزه إلى معرفة مسؤوليته خلال المسيرة الإنسانية الطويلة، فالإنسان كائن تاريخي بطبعه ، فكل مدركاته ومعاييره وأحكامه هي نتاج تراكم خبرته من الماضي، وقد يخطئ وقد يصيب بقدر حسن اختياره ووعيه بمراتب الرشد والفهم أو نكوصه عن التوجه السديد والمعرفة الرصينة .

" وقد تتحول الأحداث التاريخية من مصادر للحكمة و العظة و التعلم إلى عوائق للتقدم والإصلاح ، بما تسببه من عقد نفسية وأوهام وعراقيل ذهنية وفكرية . ...والعلاقة المتوازنة مع الماضي تقوم على الأخذ و العطاء ، فنحن نستفيد من أسلافنا مع نقد أفكارهم وإبداء وجهات نظرنا تجاهها ، والوعي بالتاريخ يوقفنا على شيء مهم ، هو نسبية صواب وصلاحية أفكارنا وآرائنا وخططنا ، فنحن لا نشك في أن كثيرا من الأفكار الإصلاحية كان ملائما للبيئة و العصر اللذين تم إطلاقها فيهما ، ثم بعد ذلك يفقد بالتدريج كثيرا من تلك الملاءمة و الصلاحية ، من خلال تغير المعطيات و الظروف و الناس .." (**بكار**، 2021م ، **ص** 119-120) .

والحق أن هذه النظرة المتوازنة تجعل من التفاعل مع التاريخ طريقا للخروج من أيَّة كبوة حضارية، من جهة أن السقوط الحضاري لا يعني حتمية البقاء في مستنقع السقوط ، بل إن إمكانية الخروج منه تتوفر حين تتوفر إرادة التغيير في المحتوى النفسي والروحي؛ ليتغير البناء الخارجي العلوي ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم**﴾(الرعد :11) .

وتغيير ما بالأنفس لا يقصد به الأفراد فحسب ، إذ إن الفرد منتظم في المجتمع ، وهذا المجتمع هو تركيب اعتباري، وليس واقعيا، والأفراد فيه لا يندمجون مع بعض في(كل) هو المجتمع ، كما تندمج المركبات الطبيعية وتتحول غلى مركب صناعي واحد ، تنصهر مع بعضها وتذوب في مجموعها ، بل يبقى المجتمع مركبا تركيبا حقيقيا لا يفقد فيه الأفراد خصوصيتهم وأفكارهم وميولاتهم وعواطفهم وإراداتهم، بل يتلبس ذلك كله بروح الجماعة وتحت إشعاعها .

والجماعة في أيَّة فترة زمنية قد تصنع المعجزات، وقد ترتكب الحماقات ، وتظل هذه الحماقات تتكرر عبر الأجيال المتعاقبة بدعوى أنها ميراث السلف، وخير سبيل للاقتداء بمن سبق ..

ونحن نعود إلى التاريخ؛ لنجعل منه منجما لكثير من أدوات التوجية والتربية للأجيال الناشئة التي تحتاج إلى خبراته ودروسه وعظاته ، مع وضع أحداثه في نطاقها الزمانيّ و المكانيّ ، دون إغفال إكراهات اللحظة الراهنة التي وقع فيها الحدث التاريخيُّ، مع اعتبار ما كان متاحا لصانعي تلك الأحداث من خيارات .

إن الأحداث لا تتكرر بملابساتها وشخوصها ، ولكن القيم التي ترشح منها هي ما يبقى للأجيال اللاحقة، تنظر فيه ، وتتدارسه وتستخلص القوانين والسنن منه ." *والعلاقة بين التاريخ و القيم واضحة ، فهي تكسب الإنسان مهارة التفكير والتعلم من الأخطاء، من خلال فحص الروايات ونقدها والوصول إلى الحقيقة فضلا عن الاستقراء والاستنباط وإكسابه فضائل خلقية كثيرة، كالصدق والجد و المثابرة والدقة والتجرد من الأهواء وميله لتحقيقه والشعور بالمسؤولية وغيرها من القيم و المهارات العقلية العليا* " (**الجمل**، 1996م، **ص** 132.).

إن دراسة التاريخ والاهتمام به في حياة الأمم لم يعد موضع شك ، ولم تعد مكانة علم التاريخ في مناهج الدارسين على اختلاف مراحلهم موضع تساؤل ...ولقد غبر زمان ،كان أهله يرددون وراء كريستوفر دوسن قوله :"ما أسعد أمة ليس وراءها تاريخ ".وانقضى عصر كان مربوه يؤمنون بما ذهب إليه جون جاك روسو من أن الحمقى هم الذين يسمحون لأولادهم بأن يتعلموا التاريخ.!

إن الزمان قد تغير ، ولم يصبح من الممكن أن تتطور الأمم، وتنتظم في مدارج الحضارة والرقي بعيدا عن نبض الماضي ، وبمنأًى عن فقه صحيح لتجارب السابقين.

وقد دأبت الجماعات البشرية منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا على توجيه الاهتمام نحو ماضيها ، فحفظت من أحداثه كل ما يهمها روايةً في الصدور، أو كتابة في السطور.

والمسلمون أولى الأمم بالنظر البصير إلى سيرة أسلافهم ، ودراسة ما صنعوه من أحداث مع نقدها ، والتفكير فيها ..حتى تحصل العبرة، ويتحقق المقصود.

ونحن لا ندعي أننا نملك تاريخا أنموذجيا من أوله إلى آخره، ولكن التاريخ في حقيقته هو سجل الأمم في تطبيق منهجها ، ومن هنا فإن تاريخ الإسلام يحمل صحائف النصر والبطولة والفداء بكل محاسنها، كما يحمل مواقف كثيرة من الضعف والاضطراب والعثار .!..

وعندما نراجع تاريخنا فإنه ينبغي أن نستفيد منه جميعا ، وننظر إلى صانعيه دون تقديس أو تبخيس. وإلى صنيعهم على أنه فعل بشر ليسو بمعصومين، تحكم حركتهم في الحياة ظروف وصروف تضبط سلوكهم، وتوجه مصائرهم.

والمناهج الحديثة لم تعد تدرس التاريخ القديم على أنه قديم وانتهى أمره ، ولم تعد تنظر إلى أحداث العصور الخوالي على أنها أحداث انتهت مع أمس الدابر ...لأن شيئا مما حدث في الماضي لا يمكن أن

ينتهي نهاية باتة قاطعة، فهو من صُنع الإنسان ، والتاريخ إنما هو الاهتمام بتركة الإنسان وآثار جهده على ظهر الأرض .....لأن الاهتمام بالتاريخ إنما هو اهتمام بتركة الإنسان وآثار الجهد الإنساني ، وربما يشك بعض الناس في قيمة تثقيف الطلاب بمعلومات عن أشخاص مضوا وحضارات أصبحت في طي الفناء ...و الحقيقة أن هؤلاء الأشخاص وهذه الحضارات لم تعف آثارها ، فما زالت مقيمة بيننا مؤثرة فينا وملهمة لنا ..

فالفكر السياسي عند المسلمين لا تزال مباحثه تبدأ بما وقع في سقيفة بني ساعدة ،وكيف أرسى المسلمون قواعد النظام السياسي في هذا المؤتمر ؟! ..كما أن الدارسين لحرية الممارسة السياسية عند المسلمين لا يفوتهم أن يفقهوا تاريخ خلافة عثمان ـ كما أن الصراع التقليدي بين السنة والشيعة لا تزال معالمه الأولى منصوبة يوم الجمل وصفين..!

والمتحدثون اليوم عن حقوق الإنسان في الإسلام ..وعن سماحة المسلمين في نشر عقيدتهم يتخذون من الفتوحات الإسلامية في عصر الراشدين مادة لردِّ شبهات الخصوم ودحض مفترياتهم ...بل إن معظم المآسي التي تعاني منها الأمة اليوم إنما يرتكز فكرها على تزوير تاريخي وتدليس في رواية أحداث صدر الإسلام.!

والأمة المسلمة اليوم أحوج أمم الأرض إلى دراسة تاريخها ،وأخْذ الدروس والعبر منه، وهي مُلزَمة بأن تحث أبناءها على التزود منه كلما اشتد ظمؤهم إلى المثل العليا ، والنماذج الحية، والقُدى الطيبة ، والبطولات النادرة ، والتضحيات الرائدة التي تكاد تحسبها ـ لولا صدق التاريخ ـ أحلاما وأساطير ..!

والمسلمون في صراعهم المعاصر لايبدأون من فراغ ، وليس على سطح الأرض اليوم لا في أمريكا ولا في أوروبا ولا في روسيا ولا في غيرها أمة لها ما للمسلمين من جذور عميقة في التاريخ ...كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها نابت !.ولئن أتى على هذه الأمة خريف أسقط ما عليها من ورق ولم ير الراءون عليها ما اعتادوا من أطايب الثمر ، وأقبل صبيان التاريخ يتقافزون على فروعها ويقتطعون منها ، فإن من طبائع الأمور الخاضعة لسنة الله أن تمدها جذورها من جديد بما سبق أن أمدتها به من قبل ، فتعود مثمرة مورقة وارفة، تستظل البشرية بظلها ، ولن يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

إن دراسة التاريخ هي في الواقع البداية الصحيحة لصناعة التاريخ ، من يحسن دراسة تاريخه يحسن صناعة حاضره ومستقبله ، إنه صمام الأمان الذي يقي الأجيال من الانسلاخ من شخصيتها والتنكر لتراثها، واستدبار مرجعيتها، مما يجعلها موسومة بالتبعية المدنية والعبودية الحضارية والوجود الملفق .

ومما يؤكد قيمة التاريخ" أنه عقد ذات يوم مؤتمر علمي لأساتذة التاريخ ، وخرجوا بقرار يقول :" إنه لو أمكن تأليف كتاب واحد منصف للتاريخ ، يدرس في أنحاء العالم ، لما قامت أيَّة حروب على الإطلاق،

إن الحروب الطاحنة بين الدول توجد جذورها في كتب التاريخ ، والانتصارت والهزائم تُصنع أولا في كتب التاريخ .

ومن حوالي سنوات قامت أزمة بين الصين واليابان حول تغيير بضعة أسطر في كتاب مدرسي ياباني ، في الكتاب المدرسي أرادت اليابان أن تغير بضعة أسطر (تمس تاريخ الصين) فحدثت أزمة .. انظروا الوعي ، دولتان كبيرتان، كل منهما على وعي بقيمة التاريخ، هذه على وعي بأن هذه الأسطر القليلة ، و الكلمات التي نعدها ضئيلة لها أثر في صياغة العقول ، وفي بناء الإنسان ، فأرادت أن تغيرها ، والأخرى على البعد خارج الحدود ، عينها على كتب الدولة الأخرى.!.

وفي عالمنا العربي نحن نقرأ عجبا :" *فرغ المستشرقون الروس في كل من موسكو ولينينجراد من إعداد أربعة مجلدات ضخمة عن تاريخ دولة (اليمن الجنوبية) من العصر الحجري حتى الوقت الحاضر. وأعلنت أكاديمية العلوم للاتحاد السوفياتي أنها قامت بهذا العمل بناء على طلب، تقدمت به هذه الدولة في أواسط السبعينيات ، وسوف يكون الإصدار الأول الذي تجري طباعته حاليا باللغة الروسية، ومن ثم يترجم إلى اللغة الإنجليزية ، ثم العربية .! !* (**الذيب**، 1997م ، **ص** 124-125)

إن هناك خطيئة معرفية في مناهجنا التربوية ، حيث يتخرج الطالب من المدرسة أو الجامعة وهو لا يكاد يملك معرفة بتاريخه وحضارته، ولا معرفة بخصائص هذه الحضارة ومميزاتها وأعظم إنجازات أهلها ، فضلا على أنه يتخرج وهو لا يملك الإحساس بالانتماء و الولاء لهذه الأمة وهذه الحضارة.

وبالرغم من الديباجات المتنوعة في الكتب الدراسية وفي دليل الوزارات المشرفة عليها، فإننا نلمس ذلك الجفاء بين الطالب وحبه لتاريخه ورغبته في التخصص فيه ، بل إن المنتسبين إلى أقسام التاريخ تتبعهم العيون بالازدراء لما اختاروه من تخصص لا تتناول معارفه إلا ما يختص بالأموات والمقابر والاثار المندرسة ..!!، مما خلق أجيالا متمردة عن كل ما يربطها بتراثها وتاريخها وحضارتها ..!!

ومهما يكن من أمر فإننا اليوم مطالبون بمعالجة هذه الخطيئة المعرفية، من خلال مناهج أكثر سلامة في عرض أحداث التاريخ ومنجزات الحضارة ، وجعل الأجيال الحاضرة تشعر بأنها جديرة بتقديم المشروع الحضاري قبالة الفراغ المؤكد الذي أحدثه سقوط جل النظم والأفكار و التجارب الوضعية الشموليةو المحدودة على السواء ...كما وصلت الأديان المحرفة إلى طريق مسدود وراحت تبحث عن منافذ للخروج حتى ولو جاء ذلك على حساب ثوابتها الدينية والأخلاقية . (**خليل**، 2004م، **ص**14).

3 .المؤرخون وصناعة الوعي (الشيخ المؤرخ -مبارك الميلي أنموذجا)

لقد آمن مثقفو العربية في الجزائر أن الاستعمار الفرنسي كان لا يريد اغتصاب الأرض وحدها بل يريد اغتصاب أركان الهوية الجزائرية وهي الإسلام و التاريخ والعربية العربية ..

والمستعمر إذ يلغي الخصائص الوطنية للتاريخ ، أنكر معها أيضا خصائص الجغرافيا عندما اعتبر أن الجزائر جزءٌ من فرنسا، ولا يفصلها عنها إلا البحر المتوسط كما يفصل نهر السين ضفتي مدينة باريس !!..

والذي يتابع حركة التأليف في التاريخ إبان الحقبة الاستعمارية يدرك المخطط الآثم الذي وضعه دهاقنة السياسة والفكر في فرنسا والمختصون منهم بالتاريخ تحديدا ، حيث وجدنا أن المؤرخ ستيفان غزيل Stéphane Gsell(ت 1932م) تخصص في التاريخ القديم لمنطقة المغرب العربي وكتب يقول :" *إن التاريخ يحدد لنا أيضا واجباتنا : فعلينا أن نتسلح بإرادة لا تقهر في أن نكون أسيادا وإلى الأبد ، كما أن هناك ضرورة تتمثل في إقامة استعمار، يعتمد على استيطانٍ ريفي أوروبيٍّ ضخم ، وضرورة تقريب الأهالي منا على أساس الرغبة الصارمة والأمل في أن يتحقق انصهارهم في مستقبل قريب أو بعيد ، فالتاريخ إذن لا يعتبر في إفريقية أقل العلوم جدوى* .." (**الميلي**، (**د، ت**)،ج1/**ص** 29).

وبالسلطة القاهرة للمستعمر المغتصب تم تزوير التاريخ وصياغته وفق المخطط المرسوم في المناهج الدراسية والتآليف الثقافية مقتطعا مجزَّءا، فقد أصبحت فرنسة الجزائر هي الأصل ، وأما عهدها الإسلامي فاقتُطِع تعسُّفًا من سياقه ، على اعتبار أن هذا استردادٌ لحقٍّ مسلوب ، منذ الفتح العربي لهذا الشمال الإفريقي .! بل هي في الأساس لم يكن لها تاريخ على حد تعبير ليون غوتيي Léon Gautier(ت 1897م) الذي قال :" هذه بلاد ليس لها اسم معروف عالميا ، مما اضطر إلى إعطائها اسما ما : ذلك أنه ليس لها وجود سياسي متميز، وبناء على ذلك لم يكتب تاريخها "(**الميلي**، (**د، ت**)،ج1/**ص** 30) .

وهكذا أريد ربط الجزائر بوصفها قلب المغرب العربي بالتاريخ الفرنسي خاصة والتاريخ اللاتيني عامة، مما جعل لوى بيرتران Louis Bertrand (ت1941م) في كتابه " دماء الجذور " : " *ما إن يضعف الشرق حتى تسقط إفريقيا الشمالية في الفوضى التي لازمتها منذ الولادة أو تخضع للهيمنة اللاتينية التي وفرت لها قرونا من الازدهار، والتي أعطتها لأول مرة شبه وحدة، كما زودتها بشخصية سياسية وثقافية ..إن العربي لم يقدم لها إلا البؤس والفوضى والهمجية ، إن كل شيء قد أتاها من الخارج ،من سوريا ، من فارس، من اليونان، من بيزنطا ، ومن البلاد اللاتينية على الخصوص* . " (**الميلي**، (**د، ت**)،ج1/**ص** 30).

وقد سار المشروع الفرنسي الاستدماري المزدوج على نهج يبقي على الطقوس الدينية بعدما يفرغها من روحها ، ويصنع من الجزائري مسخا من الخلق عاجزا عن مغالبة المشروع الثقافي الاستعماري الذي يقوم على تحريف التاريخ ، والتجهيل بالعربية، وإفراغ الدين من مضمونه الحضاري وقوته الروحية . والسبيل إلى هذا الثالوث المدمر هو تحقير التاريخ الوطني في مناهج التدريس البائسة والخاصة

يالأهالي، بل إن تلك البرامج التدريسية تقدم الجزائريين على أنهم باعوا وطنهم سنة 1830م للفرنسيين مقابل قصعة من الزلابية تحلقوا حولها؛ ليأكلوا منها .

وهكذا يتم وضع تاريخ جديد للجزائر، يتماشى مع الرؤية الاستعمارية التي تريده تاريخا مسيحي الروح، لاتيني الثقافة ، وتم ظهور مجلة بعنوان " لفريقيا لاتينية " التي حاولت إبراز " الهوية الغربية اللاتينية المسيحية للعالم البربري " وبعث التاريخ الروماني وإبرازه في صورة العصر المشرق النير ، وكذلك العهد الفرنسي ، وما بينهما من العهد الاسلامي، فيتم تعتيمه وإهالة ركام النسيان عليه .

وقد تميزت الكتابات الفرنسية في القرن التاسع عشر بسيادة عنصر الهواية والخدمة العسكرية، في محاولة لاستكشاف بنية المجتمعات القبلية في الجزائر، من خلال ما جُمِعَ من رويات شفوية وتقارير رسمية ومذكرات شخصية، أو بواسطة المكاتب العربية ، بين سنتي (1830و1880) ، ومن بين من اشتهروا بذلك نجد شارل فيروا (Charles Féraud) وأرنيست مارسيي (Ernest Mercier) وترومليي (C.Trumelet)، وكلوزال (Clauzel)، وكاريت (Carette)، وجورج فوازين(Georges Voisin) المعروف باسماعيل إربان(Ismail Urbain) وغيرهم ..

بينما عرف القرن العشرين بين سنتي (1880و 1962) ظهور مجموعة من الباحثين الجامعيين المتخذين من جامعة الجزائر (1909) ومعهد الدراسات الشرقية (1933) ، ومعهد الأبحاث الصحراوية ، 1940إطارا لتنسيق جهود البحث والاستكشاف . وبتشجيع من الإدارة الفرنسية ، كما تم تنشيط حركة النشر كإصدار المجلة الافريقية (Revue africaine) والمجموعة الأثرية لعمالة قسنطينة، Recueil archéolgique dela province de Constantine .) والمجموعة الأثرية لمقاطعة وهران (Recueil archéolgique dela province d`Oran),

وقد اشتهر منهم خاصة: ستيفان غزال (S.Gzell)، وغوتي (Gauthier)وجورج وليام مارسي (G.W.Marcais) و لوتورنو(Le Tourneau)وغيرهم (**سعيدوني**، 2009م ،**ص**17). (**عمارة**، 2008م ، **ص** 93-102)

وكانت كل هذه الجهود مكرسة لخدمة أهداف الاستيطان الفرنسي التي تربط دوما تاريخ الجزائر بالعهد الروماني وفترة الحكم الفرنسي ، لاغية كل فترات الحكم الإسلامي معتبرةً إيَّاها فترات هامشية، تتسم بالغموض والفوضى، ضاربة وجه الحائط بجميع المناهج العلمية في كتابة التاريخ وصياغته . معتمدة على المصادر الغربية و الوثائق الأوروبية ، غير مكترثة بما هو موجود في المخطوطات العربية والأرشيفات العثمانية، مما أفقدها العمق، وجعلها تتصف بالسطحية وسرعة الأحكام والتحيز واللاموضوعية .

بل إن كثيرا من هذه الدراسات التاريخية الاستعمارية توغل في تزييف الوعي ركزت على الروايات العربية الأسطورية لتصوير قادة الفتح العربي الاسلامي كسفاحين وناهبين لخيرات المجتمعات القبلية البربرية ، مصورة الهجرة الهلالية على أنها خراب لبلاد المغرب ودمار لأهله البربر المستقرين ..، ودعت إلى إعادة النظر في الحقوق المسلوبة للبربر بسبب الهمجية المشرقية، وفي مقدمة المؤرخين الفرنسيين في تسطير هذه العنصرية هو جورج مارسي (Georges Marçais) في أطروحته التي نشرت عام 1913م بعنوان " العرب في بلاد البربر من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر" والتي حكم فيها أحكاما قاسية على القبائل الهلالية، واتهمها بتخريب حضارة المغرب . وإشاعة الفوضى بإفريقية ، وتعريب المنطقة ، وإدخال البداوة إليها ..!! (**عمارة**، 2008م ،**ص**96) .

ومع إميل فليكس غوتيي (Emile Félix Gautier) ظهر نوعٌ من الكتابات العنصرية، من خلال اتهام العرب بتحطيم حضارة المغرب الموروثة عن الرومان و البيزنطيين وتشبيه الحركة الهلالية بهمجية الشعوب المتبربرة المحطمة لحضارة روما ، وفي كتابه " أسلمة إفريقيا الشمالية ، القرون المظلمة للمغرب " كرر عددا من أقوال ابن خلدون حول همجية العرب "ووظفها في قالب إيديولوجي استعماري (**عمارة**، 2008م ، **ص**95) .

ومن أسف القول: إن هذه الرؤية الاستدمارية المقيتة تلقفتها عقول بعض من أبناء الجزائر المستلبين ثقافيًا ،ممن باعوا ضمائرهم للدخيل، فنطقوا بلسانه ،وعبروا عن أهدافه ، وذلك ما فعله أحد السياسيين الجزائريين، وهو السيد فرحات عباس، بعد عودته من فرنسا متنكرا لهويته وتاريخه ولغته، فكتب تحت عنوان " فرنسا هي أنا " في مدخل جريدة " الوفقا الفرنسي الإسلامي " لسان حال اتحاد النواب المسلمين، قِسّم قسنطينة بتاريخ 23 فيفري 1936م يقول :" ...*إن الجزائر كوطن هي خرافة لا وجود لها ، إنني لم أكتشفها ، لقد سألت التاريخ والموتى والأحياء، وزرت المقابر ، فلم يحدثني عنها أحد* (**Abbas,** 23 **Fevrier** 1936.**P**1)."

ومن خلال هذه الجهود المتواصلة من قبل الاستدمار الفرنسي لتزيف وعي المجتمع بنخبه وعامته عبر مراحل مختلفة وأدوات متنوعة كانت الحاجة ماسة لكتابة تاريخ باللغة العربية، يكتبه أبناء البلد ، يصححون به الأغاليط، ويبثون من خلاله الوعي ، ويعيدون الحق المغتصب والتاريخ المنْسي . (**الميلي**، (**د، ت**)،ج1/**ص** 31-32).

ونظرا لضراوة المعركة وشراستها حول مقوم التاريخ ، وكيف يتم استخدامه في تزييف الوعي المجتَمَعِيّ نهضت نخبة من رجال العلم والإصلاح والحركة الوطنية، بالرغم من ظروفهم الصعبة أن يسدوا هذه الثغرة بإمكانياتهم المحدودة جدا ، باذلين الوسع في شلِّ قدرة التأثير الاستيلابية لهذه المدرسة التي استقطب الاستعمار عقول أبنائها، وهم من بني جلدتنا. وتمكنوا من حصْر تأثيرها في نطاق فئةٍ تقف على هامش المجتمع الجزائري ودون أي تاثير لها عليه . فكل الأجيال الجزائرية التي تعاقبت من جيل

المقتومة إلى جيل نوفمبر قد رفضت في أغلبيتها الساحقة أطروحات مدرسة التاريخ الاستعماري حول ماضي الجزائر القريب والمتوسط والبعيد ، ولكن كان ينقصها المادة التاريخية لتحول هذا الرفض من رفض سلبي إلى سلاح هجومي ضد الأطروحة الاستعمارية (**قنان**، 1994م ، **ص** 321) .

وفي مقدمتهم علماء التاريخ في مرحلة العشرينات من القرن الماضي، وباستلام المهمة الضخمة مهدت لها كتابات بعض الجزائريين في أوائل عهد الاحتلال أمثال حمدان خوجة[1] وابن العنابي[2] ،مع بروز حركة إحياء التراث التي نشط فيها كل من محمد بن أبي شنب (1869–1929م) وأبو القاسم الحفناوي (1850–1942م) ، فالأول نشر العديد من أمهات كتب التراث الجزائري ، مثل " عنوان الدراية" للغبريني (1910م)، و" نزهة الأنظار " للورتلاني (1908م) ، و" نحلة اللبيب " لابن عمار (1902م) ، و" البستان" لابن مريم(1907م) وغيرها ، و الثاني :أصدر معجما بأعلام الجزائر (1906م) عرّف فيه بحياتهم وإنتاجهم وأطلق عليه عنوانا يعكس اهتمامه والغرض من تأليفه وهو " تعريف الخلف برجال السلف " (**سعيدوني**، 2009م، **ص** 20) .

وفي مرحلة الثلاثينات من القرن الماضي برز جيلٌ جديد من المؤرخين الذين حاولوا أن يصنعوا وعيا جديدا لأمتهم ومجتمعهم، وذلك بإبراز التاريخ الوطني وحدةً متكاملة، من حيث المدى الزمني والحيز الجغرافي، ومن بينهم الشيخ مبارك الميلي[3] . الذي نهض لمواجهة الغزاة فكريًّا، بعد ما تمت مواجهتهم

---

[1] ـ **حمدان خوجة** : من رواد الإصلاح في الجزائر ولد سنة 1773م ، من أسرة جزائرية عريقة في العاصمة ، تلقى العلوم الشرعية وعلوم عصره حتى الطب تعلمه وكتب فيه ، وبعد الاحتلال الفرنسي عام 1830م ، عاش مناضلا مقاوما ضد الاستعمار بقلمه ومواقفه ، ثم رحل إلى فرنسا عام 1833م ، وواصل هناك جهوده للدفاع عن الجزائر من خلال الاتصال بالشخصيات الفرنسية التي ظن أنها سوف تدعمه ، وفي النهاية قرر السفر إلى القسطنطينية 1836م ، وفيها توفي ما بين 1840–1845م .

[2] ـ **ابن العنابي** : هو محمود بن محمود بن حسين ، من أسرة جزائرية، لها اعتبارها الديني والفكري ، من وراد الإصلاح و المقاومة في الجزائر ولد سنة 1775م تعلم العلوم الشرعية عن أبيه المفتي وبعض الشيوخ في عصره ، وتولى منصب القضاء الحنفي، ولما أوجست فرنسا من أفكاره الإصلاحية خيفةً طردته من الجزائر، فاستقر به المقام في الإسكندرية حيث ولاه محمد علي باشا وظيفة الفتى الحنفية فيها ، ترك العديد من الأثار العلمية، منها :كتاب " السعي المحمود في نظام الجنود"، إضافة إلى ذلك نجد عديد المؤلفات الأخرى، منها، "صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة"، "شرح الدر المختار في الفقه الحنفي"، "العقد الفريد في التجويد"، "التوفيق والتسديد في شرح الفريد في التجويد"، "إمعان البيان في بيان أخذ الأجرة على القرآن"، "خاتمة في التوحيد"، "المقتطف من الحديث"، "المنتقى من الصِّحاح في الحديث"، "المنتخب من فوائد المنتقي لزوائد البيهقي للبوصيري"، "التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية، في البلاغة والأدب"، "رسائل ثماني عشرة في وقف العقار"، "رسالة في أداء زكاة الفطر"، "رسالة خاصة بالمرأة."وله أيضاً فتاوى كثيرة منثورة، وإجازات متعددة، ومراسلات مع العلماء والساسة، وله أيضاً تقاريظ وتعاليق على بعض الكتب.

[3] ـ **هو الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي** ولد في قرية "أورمامن" في جبال الميلية شرق الجزائر حوالي سنة 1896م، حفظ القرآن الكريم، على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود، في جامع الشيخ عزوز بأولاد مبارك. وبعد ذلك قصد إلى مدرسة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالميلي ببلدة ميلة، حيث مكث هناك أربع سنوات، ثمّ اتجه إلى مدينة قسنطينة وانضم إلى دروس الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، ثمّ غادر قسنطينة بعد ذلك إلى تونس؛ لمواصلة دراسته بجامع "الزيتونة"، ليعود بعد تخرجه منها إلى بلده الجزائر سنة 1925م.

استقر الشيخ فور عودته إلى الجزائر بمدينة قسنطينة، حيث عمل مُعلّمًا في مدرسة قرآنية عصرية تأسّست في مسجد "الشيخ بومعزة"، وفي سنة 1927م غادرها إلى مدينة الأغواط، وأسّس فيها مدرسة تولّى فيها الإشراف على التعليم بنفسه، فأثار تنامي نشاطه تخوّف السلطات الفرنسية من تأثيره في فئة الشباب خاصة والمجتمع عامة، فأمرته بمغادرة الأغواط بعد سنوات من العمل والنشاط.

غادر الشيخ مبارك الأغواط متّجهًا إلى بلدة بوسعادة فقام بالأعمال والنشاطات نفسها، إلاّ أنّ حظّه مع الإدارة الفرنسية في تلك البلدة لم يكن أفضل من الأولى، حيث أمرته بدورها بمغادرة بوسعادة أيضًا، فعاد الشيخ إلى ميلة ليستأنف ما

عسكريا، خلال القرن التاسع عشر ، ولكن نظرا لعدم تكافؤ القوة العسكرية فقد تمكن المستعمر الغالب أن يحكم السيطرة على الأرض ، ويريد أن يحكم سيطرته على العقول والأفكار بما يسطره من تدليس التاريخ وسرقته واستعماله سلاحا في صياغة فكر أجيالٍ تأبت أن تستجيب له وتخضع لأباطيله .

ويتضح من خلال صفحة إهداء : تاريخ الجزائر في القديم و الحديث " أن المؤلف أراد من تأليف كتابه استنهاض الأمة ، والتنبيه إلى الأخطار التي تحيط بها، إذا استكانت ،ورضيت بالهوان، واستمرأت الظلم ، وركنت إلى الجبن والجمود ، منبها إلى أن الإرادة الحقيقية هي إرادة الشعب الذي تهدى إليه الكتب وخاصة شبابه المفكر ورجاله العاملين المخلصين.(**الميلي**، (**د، ت**)،ج1/**ص** 5)

وقد اعترف الشيخ الميلي بما اعترضه من صعوبات ومشاق طوال كتابته تاريخ الجزائر من افتقاده للاليات المنهجية لكتابة تاريخ عصري تفهمه الأجيال الحاضرة ، وبلغة سهلة ميسورة ، كما أن غموض المادة التاريخية، وعدم قراءته المصادر بلغتها الفرنسية زاد من رهق مهمته، ولكنه نصب فيه لذة العالم وهو يصحح وعي أبنائه ، ويجمع ما يقدر عليه من تواريخ بلاده ، ويصوغ ذلك كله في مصنف أصبح رائدا في ميدانه، ودليلا يهتدون به لمعرفة تاريخهم وتراثهم وحضارتهم، حتى قالت جريدة الشهاب يومها عن هذا الكتاب " إنه مفخرة عظمى ، تتغنى بها الأجيال مدى الأيام " (**الميلي م**.، 1928م).

والشيخ مبارك الميلي أكد في مقدمات كتابه " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " كيف أن التاريخ يقدم كنزا ثمينا من الوعي بالذات والفهم العميق لأسباب التقدم والتألق ودواعي التقهقر والانطفاء ، وبه تستطيع الأمة أن تكتشف موضعها من الجملة الحضارية ، وموقعها بين الأمم و الشعوب ، وتكتشف نقاط ضعفها وقوتها ، وتكتسب مناعتها من الرضا بالذل و الهوان ، والاستكانة للغازي و استمراء الحرمان ، فكتب يقول :" *إن التاريخ مرآة الغابر ومرقاة الحاضر ، فهو دليل وجود الأمم وديوان عزها ومبعث شعورها وسبيل اتحادها وسلم رقيها ، متى درسه أبناء أمة وأحاط أخيرا بأدواره شبابها ، عرفوا وجودهم فلم تبتلع قوميتهم القوميات الحية النهمة المجاورة لهم ، وأدركوا ما لماضيهم من المجد وما لأسلافهم من الشرف ، فلم يقبلوا تنقيص المنتقصين وعبث المدلسين وقدح المغرضين ، وشعروا بعز السيادة ولذة الحياة ، فأنفوا من سيطرة المستبدين ولم يخضعوا لذل المستعبدين* ...".(**الميلي**، (**د، ت**)، ج1/**ص**32-33.)

بدأه من أعمال منذ عودته من تونس، فاستقرّ بها وسعى بمعية بعض أعيانها إلى تأسيس مسجد جامع تُقام فيه الصّلوات، فكان هو خطيبَه والواعظَ فيه. ثمّ أنشأ الإصلاحيون في ميلة بقيادة الشيخ الميلي، جمعيةً باسم "النادي الإسلامي" ثمّ جمعية "حياة الشباب"، كما ساهم الشيخ مبارك في الحياة الصحفية في الجزائر، وكان أحدَ أبرز الطاقات التي قامت عليها الصحافة الإصلاحية؛ إذ كان من أول المحررين في "المنتقد" و"الشهاب" منذ أيامهما الأولى ثم في "السُنّة" و"البصائر" التي تولى إدارة تحريرها بعد تخلي الشيخ الطيب العقبي عنها سنة 1935م.
توفي الشيخ مبارك، رحمه الله، يوم 9 فيفري 1945، وشيّع جنازتَه الآلاف من المحبين والطلبة الذين قدموا من أنحاء مختلفة من البلاد، وأبّنَه باسم العلماء رئيسُهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وباسم الهيئات الوطنية فَرحات عباس زعيم حزب البيان يومها.

وعن دوافع كتابة الميلي لتاريخه بقول الدكتور أبو القاسم سعد الله :" *ومن يقرأ مقدمات كتابه ، سيجده مركزا كثيرا على ذلك الدافع ، ونعني به الجهل بالتاريخ الوطني ، مضافا عليه التنكُّر له أيضا والقدح فيه ، وفي اعتقادنا أن الميلي كتب تاريخا هو في الواقع درسٌ في السياسة الوطنية ، وجزءٌ من مهمته، كمرشد وواعظ ومدرس في مدرسة الإصلاح ، ويبدو لنا أن اللذين تلقوا عليه دروس العامة كانوا أيضا يتلقون دروس الوطنية؛ لأن أفكاره في دروسه هي أفكاره في كتابه* " (**سعد الله**، 1998م ، ج7/**ص** 305-306) .

وقد كان يرى الشيخ مبارك الميلي أن العناية بالتاريخ تأتي ضمن سياق العناية بالعقيدة التي يرى الشيخ أنها فسدت، وطال الأمد على الأمة، فقست قلوب أبنائها ، وداخلتها الشركيات والخرافات والبدع؛ ولذلك ألَّف كتابه النفيس " رسالة الشرك ومظاهره " ، وأوضح فيه أن الاهتمام بالآراء الكلامية وشَغْل العامة بها ممَّا أضعف العقيدة في القلوب ، وصرفها عن الجد في العمل ، وأوهن الجهاد في النفوس، فكتب فيها يقول :" *ويا ليتنا تركنا كتب المتكلمين للخاصة يستعينون بها في مواطن الجدال مع الخصوم، ووضعنا للعامة كتبا في العقائد على أسلوب الكتاب المجيد، فيكون بذلك رياضة للعقول وحماية للحق، ومن هذه طهارة للقلوب وهداية للخير.. كلّهم في حاجة إلى تطهير البواطن ومعرفة الهدى، فعمت الحاجة إلى معرفة الشرك ومظاهره؛ ولهذا عرف جميع الأنبياء بحكم الشرك*» (**الميلي م**، 2001م، **ص**49).

فقد عالج في هذه الرسالة كثيرا من مفاهيم الزهد والتصوف ، والكرامات والولاية، ممَّا التبست فيه الفهوم ، وقعدت به الهمم، ومن ثَمَّ قال عنه الشيخ أبو يعلى الزواوي -رحمه الله -: «صديقنا العلامة المؤرخ، ابن تيمية عصره، محارب الإشراك والبدع" (**رزيق**، 2021م).

والحق أن الرجل المتنور استطاع أن يعالج قضايا العصر بروح جديدة بعيدة عن الخرافات والأوهام، فقد كان الميلي عقلانيًّا في تناوله قضايا المجتمع والدين ، وذلك ما جعله أقرب إلى التاريخ من غيره من العلوم (**سعد الله**، 1998م، ج7/**ص** 412).

و قال عنه الشيخ العربي التبسي رحمه الله تعالى: "*فنهض بهذا الفرض الكفائي الأستاذ المحقق مؤرخ الجزائريين الشيخ مبارك الميلي، أمين مال جمعية العلماء، وجمع رسالة تحت عنوان الشرك ومظاهره، خدم بها الإسلام، ونصر بها السنة، وقاوم بها العوائد الضالة والخرافات المفسدة للعقول*".

أمَّا شهادة غير الجزائريين، فمنها ما قاله أمير البيان شكيب أرسلان -رحمه الله تعالى – بعدما اطّلع على كتاب الشيخ الميلي: تاريخ الجزائر، فقد قال في رسالة وجهها إلى الشيخ الطيب العقبي: "أمَّا تاريخ الجزائر للشيخ مبارك الميلي فوالله ما كنت أظن في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أعجبت به كثيرا".

فهو أول كتاب صوّر الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سويّة بعدما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك.

يقول أحمد توفيق المدني:

"فمبارك الميلي سلك في تدوين تاريخه مسلك التحليل العصري، فلم يكن يكتفي باستجلاء الحقائق، وإثباتها مجردة، بل كان يمعن النظر في الأسباب والنتائج، ويثبت أحكاما هي عصارة فكره، وخلاصة رأيه، ونتيجة بحثه واستقرائه.

فتاريخ الجزائر في القديم والحديث، لم يكن من تلك الكتب الجافة الجامدة، المملة المضنية، بل كان إلى جانب التحقيق التاريخي كتابا طريفا حيًا، تتراءى لك فيه شخصية مؤلفه العظيمة.. شخصية الوطني الصادق، شخصية المسلم الصحيح، شخصية العربي المتفاني في سبيل عروبته، شخصية الرجل المثالي الذي يدأب سعيا لإدراك غايته، والبلوغ بأمته، إلى ذروة المجد والعزة والكرامة " (**رزيق**، 2021م).

وقال عنه أمير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : " ...*حياة كلها جدٌّ وعمل ، وحيّ كله فكر وعلم ، وعمر كله درس وتحصيل ، وشباب كله تلقّ واستفادة ن وكهولة كلها إتاح وغفادة ، ونفس كلها ضمير وواجب ، وروح كلها ذكاء وعقل، وعقل كله رأي وبصيرة ، وبصيرة كلها نور وإشراق ، ومجموعة خلال سديدة ، وأعمال مفيدة ، قلّ أن اجتمعت في رجل من رجال النهضات ، فإذا اجتمعت هيّأت لصاحبها مكانه من قيادة الجيل ،ومهّدت له مقعده من زعامة النهضة ...ذلكم مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر ..ففقدت بفقده مؤرخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وإنارة جوانبه المظلمة ، ووصّل عراه المفصومة ...*" (**الإبراهيمي**، 1997م، ج2/ص183).

وقد كتب رائد الإصلاح الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رسالة إلى الشيخ مبارك الميلي يقرظ فيها كتاب تاريخ الجزائر في القديم و الحديث يقول له فيها :" *أخي مبارك ! : سلام ورحمة ، حياك الله تحية من علم وعمل وعلَّم ، وقفت على الجزء الأول من كتابك " تاريخ الجزائر في القديم و الحديث " ، فقلت لو سميته " حياة الجزائر " لكان بذلك خليقا، فهو أول كتاب صور الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية ، بعد ما كانت تلك الصورة أشلاء متفرقة هنا وهناك ، وقد نفخت في تلك الصورة من روح إيمانك الديني والوطني ما سيبقيها حيةً على وجه الدهر ، تحفظ اسمك تاجا لها في سماء العلا ، وتخطه بيمينها في كتاب الخالدين.*

أخي مبارك : إذا كان من أحيا نفسا واحدة فكأنما أحيا الناس جميعا ، فكيف من أحيا أمة كاملة ؟ أحيا ماضيها وحاضرها ، وحياتهما عند أبنائها حياة مستقبلها ، فليس ـ والله ـ كفاء عملك أن تشكرك الأفراد ، ولكن كفاءه أن تشكرك الأجيال ، وإذا كان هذا في الجيل المعاصر قليلا ، فسيكون في الأجيال الغابرة كثيرا ، وتلك سنة الله في عظماء الأمة ونوابغها ، ولن تجد لسنة الله تبديلا . وأنا واحد من هذا الجيل ، بلسان مَن يشعرون بشعوري أشكرك؛ لأقوم بما علينا من واجب، لا لأقابل ما لك من حق

.جازاك الله خير ما جازى به العاملين المخلصين للدين والوطن بعلم وتحقيق وإنصاف ، والسلام عليك من أخيك عبدالحميد بن باديس " (**الميلي م.، (د، ت)، ج1/ص** 9-10) .

والحق أن كتاب تاريخ الجزائر للشيخ الميلي مثَّل منحنى هامًّا في محاولة كتابة تاريخٍ وطنيٍّ، يصنع الوعي الذي راهنت الكتابات التاريخية الاستعمارية على تزييفه ، ويمازج فيه بين الأحداث التاريخية مع الوطنية المكافحة، وقد تزامن تأليف الكتاب مع التحضيرات لاحتفالات المائة سَنَّة لاحتلال الجزائر ..وأصبح كتابا تاريخيا مرجعيًّا للتيار الإصلاحي بالجزائر (**عمارة**، 2008م، **ص**96-97) .

بل إن الصحافة التونسية حين صدور كتاب تاريخ الجزائر أولته عناية خاصة؛ لما وجدت فيه من روح المقاومة والنضال وصناعة الوعي الذي غيبته السياسات الاستعمارية الكذوب ، ورأت فيه مسدًّا لنقصٍ، كانت تعانيه المكتبة الجزائرية العربية ، فكتبت يومها :"*نهضت الجزائر نهضة مباركة منذ سنوات قليلة ، وشعرت بأن الخطوة الأولى في سبيل النهوض لا بد أن تعتمد على الأدب الذي هو قوام الروح وغذاء الفكر ، والدافع الأقوى إلى المشي نحو الأمام* " (**الجابري**، (**د، ت**) ، **ص**21).

وبالرغم من التكوين التقليدي للشيخ الميلي- والذي لم يكن يضع دراسة التاريخ من ضمن العلوم الشريفة التي تكون لها الأولوية في التعليم -فإن ما حمله على دراسته والكتابة فيه معرفتُه بواقعه المعاصر ، وشعوره بالواجب الوطني في صناعة وَعْي أمةٍ، عمل المستعمر على تغييب وعيها وطمْس مآثرها والعبث بمواريثها ، مع شعوره بعدم امتلاكه منهجَ المؤرخ أو صَبْرَه على تمحيص الروايات والوقائع واستخلاص الحقيقية التاريخية من بينها ، بل كان يعنيه الإنسان الجزائري وانتكاسة أحواله، في ظل استعمار يريد أن يمحو إنسانيته بمحو تاريخه .

بل إن الشيخ الميلي يندد بالقطيعة بين كل أصناف المتعلمين الجزائريين وتاريخهم فيقول :" *إن المتعلمين اليوم من أبناء الجزائر قطعوا الصلة بينهم وبين ماضيهم، فجهلوا ما فيه من عزٍّ وذُلٍّ وبؤس ومدنيةٍ وهمجيةٍ وسيادة وعبودية* " (**الميلي م.، (د، ت)، ج1/ص** 33).

ثم يحلل المسار الذي أدى إلى تجهيل المتعلم الجزائري بتاريخه ، فعن خريجي المدارس الفرنسية يقول :" *ترى المتعلم بالمدارس يعرف من تاريخ بعض الأمم الأجنبية وما يجدر به أن العلم مثله من تاريخ شعبه ولا يحسن منه تقديمه عليه، فكيف بالاقتصار عليه والاكتفاء به ؟ إن النسبة بين التاريخين : الشعبي والأجنبي، مثل النسبة بين الضروري و الكمالي ، إنما يحصل له هذا المثل غذاء، جاء بعد الضروري، فإن سبقه لم يكن كماليا، وكان ضررُه أكثر من نفعه . ومن مضار تقديم تاريخ الأمة الأجنبية قصْر الكمال والسيادة عليها وحَصْر المعارف والحضارة فيها ، وذلك تزهيدٌ للمتعلم في وطنه وتنفيرٌ له من بني جنسه*". (**الميلي م.، (د، ت)، ج1/ص** 33)

وفي مقام آخر يُقرع بلهجة قاسية على القائمين على البرامج العربية تفريطهم في وضْع علِم التاريخ موضع العلم الذي يصنع الوعي والرشاد فيقول :" *وهناك متعلمون تعلموا بالمساجد مبادئ بعض العلوم*

اللسانية والدينية، وأهملوا من برامج قرآتهم التاريخية، فإذا فارقوا المساجد، وقُدِّر لبعضهم أن يحيا حياةً علمية ، ألفيته يقتصر على مراجعة ما درسه من الكتب ، وإن دعت الهمة أحدَهم إلى التوسُّع، ففي الفنون التي أخذ مبادئها بالمسجد .

فرطوا بذلك في قراءة علمٍ يعود على أخلاقهم بالتهذيب وعلى عقولهم بالتدريب على التفكير ، ذلك علمُ التاريخ وتلك فوائده ، وإن منهم لقومٌ يخربون عقولهم بأيديهم ويطفئون نور الله ـ العقل ـ بأفواههم، وذلك باشتغالهم بقراءة كتب المناقب والخوارق ، وإنها لكتب سيئة الثر في النفوس .

ثم يقول : فلو اشتغل هؤلاء القوم ـ بدل هذه الكتب ـ بكتب تاريخ البشر وحياة الأمم لأناروا عقولهم، وأطلقوها من ذلك السجن، تكتشف من خبايا الأيام وخفايا الطبيعة وما يعود على الإنسانية عامة وبني جنسهم خاصة بالفوائد الجليلة " . (**الميلي م.، (د، ت)، ج1/ص** 34-35)

ومن يتابع كتاب تاريخ الجزائر للشيخ الميلي يُدْرَك أنه لم يحلل بعض الظواهر التاريخية إلا من خلال الرؤية الاستعمارية التي وقع في شباكها؛ لغياب المنهجية النقدية المعاصرة ،وعدم اطلاعه بما يكفي من المصادر والمخطوطات، مثل حديثه عن الهجرة الهلالية ، التي تحدث عنها كونها تمثل " الكارثة الهلالية" وهو ما روجت له المدرسة الفرنسية الكلاسيكية ، (**عمارة**، 2008م، **ص**100) .

"ولعل غياب المصادر المحلية والاكتفاء بالترجمة والنقل عن الكتابات الفرنسية التي اعتمدت على المصادر اليونانية واللاتينية مع محاولة مزجها بالمعطيات الخلدونية حول الفترة القديمة الأسطورية في معظمها، مع غياب الشعور بالوطن الواحدحين الكتابة عن الفترة الإسلامية التي اكتفت بالتأريخ للسلطان أو الفقيه أو القبيلة ، جعل كتاب تاريخ الجزائر للميلي يدخل ضمن الكتابة التاريخية من زاوية " الهواية النضالية " ، وذلك لغياب قراءة النصوص والتفكير بالبعد المنهجي التاريخي المبني على قدرة تقسيم المراحل التاريخية Le découpage historique " ، مما جعل منه غير متحرر، كما ينبغي من النظرة الفرنسية لتاريخ الجزائر ، واكتفى بالإدلاء ببعض الآراء بعيدا عن روح النقد " . (**عمارة**، 2008م، **ص**101).

ولكن الكتاب أدى هدفه كما رسمه له صاحبه خدمة للأمة الجزائرية واللغة العربية؛ ليشكل في مرحلة زمنية مصيرية مرجعية هامة لمعرفة التاريخ الوطني . (**عمارة**، 2008م، **ص**101).

ولعل كثيرًا من القضايا التي تم تزييف الوعي حولها استطاع الميلي أنْ يقف فيها الموقف المتوازن الذي ينم عن روح عميق من الانتماء للدين الجامع والحضارة الواحدة، وأن اختلفت الأعراق والأجناس .فتحدث عن كل ما من شأنه أن يوحد الشعب ، ويقضي على عناصر الفرقة بينهم ، ويعزز روح الدفاع عن الوطن ، فهو يعتز في الجزء الأول المخصص للفترة السابقة عن دخول الإسلام بشخصيات أمازيغية مثل ماسينيسا ويوغرطا وتاكفاريناس ، (**الميلي م.، (د، ت)، ج1/ص**36)، بل إنه وهو العالم المسلم يشيد

بشخصيةٍ مثل " الكاهنة " مدفوعا بروح وطنية، لم ينل منها حماسه للإسلام وتدينه الشديد، فهو يقول عن الكاهنة - رغم أنها حاربت المسلمين - :" .....*كل من ينظر إلى التاريخ بعين الحقيقة، يراها دُرّة في جيد تاريخ المرأة؛ لما كانت عليه من حسن التدبير وشدة البأس وصدِق الدفاع عن الوطن و الثبات على المبدأ* " . (**الميلي م.، (د، ت)، ج1/ص36**).

فهي من الشخصيات التي تم تزييف الوعي حولها ، ولا تزال مثار جدل ، وموضع همْزٍ ولمْزٍ وغمْزٍ من الضائقين لفتح العرب لبلاد إفريقية والمغرب، فإن الشيخ مبارك الميلي، عبر عن شخصية هذا الفاتح العظيم بما يمكن أن يوجه به رسالة إلى كل من يريد أن يشوه رسالة الفتح الإسلامي، ويقدح في قادته، وينعتهم بالغزاة الهاجمين ، ويشحن الأجيال الجديدة بالحقد عليهم ، ونكران جميلهم ، واستدبار الرسالة المحمدية التي قطعوا المفاوز والقفار من أجْل نشْرها ، وهذا ما يسعى خونة التاريخ دوما إلى ترويجه ، فيقول الشيخ الميلي :" *وإن عقبة ابن نافع لجديرٌ بأنْ يُخَصَّ بالتأليف، فإنه أعظم أبطال التاريخ، غزا الروم بحرا من مصر ، وافتتح غدامس، وذهب منها إلى ودّان ففزان ، وانتهى إلى السودان وفتح كورا منه ، كل هذا قبل أن يشرع في حرب إفريقية ..وإن مَن نظر إلى أبعاده في الغزو وانتصاره على العدو مع تماثل السلاح وفقْد وسائل النقل والاطلاع ، لم تكن لهم آلات هذا العصر وخرائط الجغرافية - من نظر إلى ذلك مع تلك الحال أكبر عقبة أيما إكبار ، وأكبر تغافلنا عن تاريخ عظمائنا ، الأمر الذي جرأ كثيرا من خونة التاريخ أو الجاهلين به المتطفلين عليه على تشويه ماضينا ودرس حاضرنا* " . (**الميلي م.، (د، ت)، ج2/ص28**).

وهكذا استطاع الشيخ الميلي أن يجعل من كتابه النفيس ذخيرة للوعي تُسهم في فَهْم الوقائع والأحداث من غير تضخيم ولا تقزيم ، ومن غير تحريف ولا تزيف ، تستخلص منها مفاهيم وقواعد، تشد الوعي نحو الثبات ، وتصنع من هذه الذخائر مرشدات فكرية ومعرفية، تجعل الناشئة تتماسك أمام عواصف الغزو الثقافي التي تشنها الدوائر الاستعمارية التي تأكد لها أن الغلبة العسكرية تصنع الغالب المؤقت، ولا يمكن لها أن تستولي على القلوب والعقول بالمدفع والبارود ، فعمدت إلى وعي الأمة الذي عماده التاريخ، تحرِّف وقائعه، وتسوِّد صحائفه، وتنقله للأجيال مملوءًا بالغلط و التدليس .

4 .حول تجديد الخطاب التاريخي (وجهة نظر)

"*كان من الطبيعي أن يتغير الخطاب التاريخي في مضامينه وصوره واتجاهاته وموضوعاته مع ظهور المدارس التاريخية الفكرية الحديثة في مطلع القرن التاسع عشر وما تلاه، بل أنه ومع ثورة البحث عن الهويات، غدا التاريخ سلاحًا ذا حدين: يوظف بطريقة إيجابية عند البحث عن الجوانب المحفزة واكتشاف قوانين التقدم والتقهقر، ويوظف بطريقة سلبية عندما يتعمد تزييف حقائقه لغايات وأهداف ذاتية لا إنسانية، وأحيانًا يتم تكريس خطابه – كما هو الحال بالنسبة للتاريخ الإسلامي ليصبح تاريخًا عبئًا حين يتم اجترار ونبش مراراته الماضية، ويتحول إلى أداة مدمّرة، فالإرث التاريخي إذا لم يحسن*

توظيفه، وانتقاء ما يعرض منه يتحول إلى كابوس يصعب الفكاك منه، وفي ضوء ذلك يجب الانتباه من الخطاب التاريخي في الجانب السلبي منه، والتعامل معه بحذر، والعمل على فهمه من خلال سياق الواقع بعيدًا عن سلطة الذات، وسلطة السلطة، وسلطة المنظومة المجتَمَعيّة بعقائدها وعاداتها وتقاليدها ." (**الريامي**، 2018م) .

إن المتأمل في الواقع الراهن خلال الثلاثين سنة الأخيرة يدرك أن أكثر التيارات الإيديولوجية التي زعمت أنها تمثل المستقبل (من ليبيرالية، وقومية، وماركسية ....) اعتقدت أنها تستطيع أن تصنع الإقلاع الحضاري، من خلال الدخول في مناخ العصور الحديثة، عن طريق التقليد السهل والاستيراد السطحي للمفاهيم والمصطلحات والأفكار والمنهجيات المنتزعة من سياقها الطبيعي في الغرب، اعتقادا من المبشرين بها أن هناك إمكانيةً للقفز فوق كل الثقل التاريخي والعمق التاريخي للماضي التراثي والتوصل إلى الحداثة والحرية والديمقراطية بكل سهولة ويُسر . وربما كان سبب هذا الوهم يعود إلى ضمور الحس التاريخي لدى النخبة الساذجة من هؤلاء المثقفين عموما، والاعتقاد أيضا أن وضعنا يشبه وضع الغرب، لمجرد أننا نعيش في نفس العصر، وكانت الخيبة بحجم الأوهام التي بنيناها على هذا الاتجاه (**صالح**، 2010م، **ص** 153).

لكن في المقابل- ونحن نراجع الماضي ونستلهم منه- لا بدَّ أن نعترف أن فيه ألغاما لابد من تفكيكها، وهي عملية أشبه بصراع مع الذات، فالتاريخ يستبطن في داخلنا، في شرايينا، في عروقنا، في ردود أفعالنا، إذا أردنا فتْح ثغرةٍ في جدار التاريخ المسدود وإيجاد صيغة موفقة للتفاعل مع الحداثة الفكرية العالمية، دون أن نفقد هويتنا، ولا نعيش على هامش التاريخ .

وفي اعتقادي أن وسائل العصر الرقمي جديرة بأن تعيننا على هذا الجهد، لكن ثمَّة عوائق لا تزال في الطريق نذكر منها :

1. العصر الرقمي المُعولم، فهو يعبر عن مركزية دفينةٍ في الوعي الغربي والأمريكي، وتقوم على عنصرية عرقية، وعلى رغبة في الهيمنة والسيطرة، بخلْق مفاهيم وزجِّها خارج حدوده، مثل العولمة، نهاية التاريخ، صراع الحضارات، ثورة الاتصالات، العالم قرية واحدة، الكونية، وهذه المفاهيم المنتجة غربيا يُراد منها سيطرة المركز على الأطراف .
2. لقد تزامن تدويل وسائل الاتصال مع نزعتين متناقضتين في منظومة الفكر الأممي، نزعة تنادي بالتنوع الخلاق وثقافة الاختلاف وحوار الحضارات ونهاية العقلانية الشمولية، ونزعة استقطابية أحادية ،كرّستها العولمة الرأسمالية، ومررت من خلالها ثقافة الفكر الواحد والتوحّد القسري تحت لواء الديمقراطية الغربية .
3. إيديولوجيا العولمة والايدولوجيا الاشهارية التي تشتغل بآليات سمعية بصرية ومعلوماتية رقمية، لها قوة الاشتراط السيكولوجي للمتلقي، بحيث يخضع للمنطق التجاري، ممَّا يعني إفلاس الثقافة

واندثار الهوية وسقوطها في فخّ العرض والطلب .

4. الوعي بالتحديات التي نواجهها، وذلك بالانخراط الواعي في مجتمع المعلومات، وهذا لا يعني الاستسلام للعولمة الإعلامية ومبدأ التماثل السكوني الذي يختزل القيمة الإنسانية في وظيفة التشيؤ، بل يعني بالأساس ربط مبدأ السيادة والوطن والهوية بثقافة الحداثة كمحصلةٍ إنسانية لمنجزات العقل. (**بولعشب**، 2010م).
5. غياب التاريخ في المنظومة الإعلامية؛ لأن المهتمين بشأن الهوية مغيبين، ومستهلكين للشبكة فحسب .
6. في ظل هذا الفيض الإلكتروني السبراني الهائل باتت عملية التأريخ شديدة التعقيد تحتاج إلى مخاطرة كبيرة ووعي واحتراز كثير.
7. غياب التاريخ في الإشهار الإعلامي ..إلا في الإشهار السياحي الربحي.
8. زيارات المتاحف الأثرية والحضارية كئيبة وبائسة وغير فاعلة .
9. تشويه الحس التاريخي في نفوس الناشئة، من خلال ربْطه بسوق العمل، وأنه لا موقع للمؤرخ في دنيا الناس .
10. استدعاء التاريخ في تأجيج النعرات الطائفية والقبلية (العراق، سوريا، اليمن ...) .
11. اختزال التاريخ في الصور والأفلام الوثائقية والمسلسلات التاريخية في شهر رمضان .
12. كثير من المادة التاريخية في مواقع الإنترنيت ووسائل التواصل الرقمي لا تعبر عن ذخائر التراث، ووقائع التاريخ، ممَّا يجعلها موردا للثقافة السطحية العائمة والتي لا تستند إلى مصدرٍ موثوق، ولا إلى برهان واضح .
13. انتشار الدراسات والمقالات والأبحاث التي تقرأ التاريخ قراءة إيديولوجية أو مذهبية، ممَّا يعسر معه جعْل التاريخ مصدرا للعبرة ومنجمًا للحكمة ومنبعًا لتصويب الفعل الإنساني الراهن.
14. توظيف التاريخ للدعاية السياسية والمذهبية، ممَّا يجعل التاريخ أداة غير محايدة، وهو كذلك حين يوظف التوظيف السلبي .

ولتجاوز هذه العوائق لا بد من الآتي :

1. إطلاق برنامج عربي للثورة الرقمية لصناعة محتوى تاريخي عربي، يكون مرجعا شاملا للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية؛ لتقليص الفجوة الرقمية وإنتاج المضامين ونشْر ثقافة المعرفة التاريخية العابرة للثقافات والشعوب والأوطان . .
2. تصميم مواقع "للمؤرخ الشبكي"، وذلك لـ : (ضبط التواريخ، تفسير الحوادث، تصحيح المفاهيم، استخلاص العبر والعظات) .
3. تحويل المستخدم العربي إلى منتج للمحتوى، وليس إلى مستهلك سلبي له، فالتحدّي الأكبر لهويتنا الثقافية اليوم هو في التموقع الفاعل في عملية الفرز بين من يولّد المعلومات ويمتلك القدرة على

استغلالها وبين من هو مجرّد مستهلك لها .

4. مراقبة المحتوى الرقمي في مادة التاريخ وإثبات ما فيه من أوهام ومغالط وشبهات، مع تجاوز الهوية التقليدية إلى هويّة جديدة قادرة على تحقيق الانسجام بين الثوابت التراثية وعقلية العصر الرقمي علما أن الثوابت هي جزء من الحاضر، والحاضر هو الزمن الوحيد الذي نملك أن نعيش فيه.
5. خلْق رؤية وطنية للمعلوماتية وقواعد معلومات ذات بُعد وطني واستثمار العقل واقتصاد الذكاء ومجتمع المعرفة، مع اعتبار أن التشبث بالثوابت والتاريخ والتراث هي عنوان الحداثة، وهي سؤال المستقبل ومنهج الاعتماد على التفكير العلمي الناقد؛ لمواجهة الجهل والخرافة والذوبان في فخاخ العولمة .
6. وضْع ملخصات تاريخية بشكل جميل ومحفِّز مع طرح أسئلة ضمن مسابقات تنافسية .
7. تقديم مادة تاريخية، تخص بعض البلاد العربية التي فيها جماعات إثنية ودينية وفق استراتيجية (الوحدة الفضفاضة) .
8. تبسيط الحدث التاريخي : كتابة، وفيلما، ورسوما .....مع إعطاء قاعدة تاريخية مستخلصة وفق السنن التاريخية .
9. توفير الخرائط والأطالس في مواقع خاصة (خرائط للأسماء والمواقع، وخرائط للأسرات الحاكمة، وخرائط للحرف والصنائع، وخرائط للفنون الإسلامية .....
10. ـ المسارعة إلى رقمنة وأرشفة الوثائق والمخطوطات وصور الآثار والنصب التذكارية قبل أن تدمرها يد الإرهاب الأعمى أو تخطفها يد الاستبداد القمعي؛ فتخفيها .
11. إنشاء فِرق إعلامية، تتولى فتْح حسابات على مواقع" الفيسبوك Facebook " و " الأنستغرام Instagram " واليوتيوب youtube .....وغيرها؛ لإبراز أهم الأحداث التاريخية الوطنية والإقليمية والدولية .
12. التعاون مع شركات الاتصال؛ لإرسال رسائل نصية قصيرة للمشتركين لتواريخ حدثت في نفس اليوم، على نحو برنامج (حدث في مثل هذا اليوم) وبلغات مختلفة؛ وذلك حتى تبقى الذاكرة الجَمْعِيّة منتعشة، ونشطة، ومتيقظة واستحضار الماضي ينير بلا شك درب الحاضر .

قائمة المراجع :

1. الإبراهيمي, أ . (1997) .م .(*آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي*)ط1 .(.بيروت: دار الغرب الإسلامي.
2. الجابري, م. ا .المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية .*مجلة الثقافة* .(102) ص21 .
3. الجمل, ع. (1996) .م .(*القيم ومناهج التاريخ الإسلامي* . القاهرة : عالم الكتب.

4. الذيب, ع. (1997) .م .(*نحو رؤية جديدة للتاريخ الإسلامي* . القاهرة : دار الوفاء.

5. الريامي, ع ,(2018, .26 نوفمبر .*الخطاب التاريخي* Retrieved from . https://anwaar.squ.edu.

6. سعد الله, أ . ا1998) .م .(*تاريخ الجزائر الثقافي*)ط1 .,ج7 .(بيروت: دار الغرب الإسلامي.

7. سعد الله, أ . ا1998) .م .(*تاريخ الجزائر الثقافي* .بيروت: دار الغرب الإسلامي.

8. الميلي, م، د، ت .(*تاريخ الجزائر في القديم و الحديث* .)ج1 .(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

9. الميلي, م .(1928) .تاريخ الجزائر والأمة .*الشهاب* .(173) ,

10. الميلي, م2001) .م .(*رسالة الشرك ومظاهره*)ط4 .(.السعودية: دار الراية.

11. .الميلي,محمد .*مقدمة كتاب تاريخ الجزائر في القديم و الحديث* .ج1 .(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

12. بكار, ع.، أ ، (2010م.) *تكوين المفكر*)ط1 .(.دمشق: دار القلم.

13. بكار, ع. ا، (17-12-2020) - *لماذا يُعيننا الوعي التاريخي في التقدم الحضاري؟* . Retrieved from https://omran.org/.

14. بكار, ع. ا .(2021) .*التاريخ كيف نفهمه وكيف نستفيد منه ؟*)ط1 .(.دمشق: دار القلم.

15. بولعشب, ح .(2010) .*تحديات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة* Retrieved from . http://www.aranthropos.com/.

16. حلاق, و2007) .م .(*نشاة الفقه الإسلامي وتطوره* . بيروت : دار المدار الإسلامي.

17. خليل, ع. ا2004) .م .(*الوسيط في الحضارة الاسلامية*)ط1 .(.ed عمان: دار الحامد للنشر و التوزيع.

18. رزيق, ن. أ ،(2021 .م)، فيفري الثلاثاء 11 .(*الإصلاح العقدي وتأصيل التاريخ عند الشيخ مبارك الميلي* .Retrieved from https://elbassair.org .

19. سعيدوني, ن.أ ، (2009م) *ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني*)ط2 .(.الجزائر: دار البصائر.

20. صالح, ه. م.(2010م) *لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي ؟*)ط2 .(.بيروت: دار الساقي.

21. عبد الكريم بكار. (2000م). *في تجديد الوعي*. دمشق: دار القلم.

22. عمارة, ع .(2008م) ، ديسمبر .(الشيخ مبارك الميلي ..ومواجهة المشروع الفرنسي لكتابة تاريخ الجزائر .*مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع و التاريخ ,العدد3*

23. قنان, ج .(1994) .*قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر* . الجزائر : المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار

24. Abbas, F. (23 Fevrier 1936). *La France Cest Moi.* L ENTENTE. .

عنوان المداخلة: تحقيق مفهوم الاستدامة في العمارة الإسلامية (تطبيقاً على منشآت السلاجقة بالأناضول والمماليك بالقاهرة)

د. الزهراء بهزاد موسى

مدرس الآثار والعمارة الإسلامية، قسم الآثار الإسلامية
كلية الآداب، جامعة المنصورة، مصر
zahraabehzad@mans.edu.eg

مقدمة

خلق الله الإنسان وسخر له الأرض وأمره بعمارتها لذا تُعدُّ الصلة بين الإنسان والعمران وثيقة، فالعمارة هي وسيلة للوقاية من الشمس وتقلبات المناخ والغرباء والحيوانات المتجولة. وقد حظيت العمارة في الإسلام باهتمام كبير؛ إذ تشتمل تعاليم الدين الإسلامي على الكثير من مبادئ الاستدامة التي تداخلت مع التنظيم الاجتماعي والسلوك الإنساني للمجتمع، وانعكست على عمائر العصور الإسلامية المختلفة، فقد عاش أسلافنا التنمية المستدامة في العمران وطبقوها تطبيقًا عمليا. وعلى كثرة الدراسات السابقة التي تحدثت عن مفهوم الاستدامة في العمارة التراثية والإسلامية فإنها في جلها دراسات أعدها أساتذة مختصون في الهندسة المعمارية أو العمارة، أو الفنون التطبيقية والتصميم الداخلي؛ فطبقت مبادئ التنمية المستدامة على منشأة تراثية بعينها، أو نُظِرَ إليها بمنظور هندسي حديث، فكان الدافع لهذا البحث هو تطبيق مبادئ التنمية المستدامة على العمارة الإسلامية من منظور متخصص في تاريخ الفن والآثار الإسلامية لمراعاة الظروف التاريخية والبيعة المجتمعية المعاصرة لنشأة تلك المنشآت وبنائها، وحرصت على تطبيق الدراسة على بيئتين مختلفتين من الناحية الجغرافية والمناخية لمعرفة مدى توافق مبادئ التنمية المستدامة وتكيفها مع اختلاف البيئات الطبيعية والمناخية للمنشآت الإسلامية.

وقد أدرك الأوائل أن كل عمارة إسلامية أصيلة مستدامة، وتعزز التنمية المستدامة، ليس فقط بيئيًا واقتصاديًا، بل اجتماعيا ونفسيا كذلك؛ فذكر ابن خلدون أن البناء هو أساس الحضارة، وهو في مقدمة أهم الحرف التي لا غنى عنها، والتي يجب أن يكتسب الإنسان معرفتها. (ابن خلدون، ص489-490، دار الفجر – القاهرة 2004) وقال معمار سنان (895-996هـ/ 1489- 1588م) أحد أعظم المعماريين في الحضارة الإسلامية، وأشهر معماري عثماني، عاش في العصر الذهبي للعمارة العثمانية، وكان رئيس المعماريين خلال حكم أربعة من السلاطين، هم: سليم الأول، وسليمان الأول، وسليم الثاني، ومراد الثالث. "ومن الواضح والمثبت لرجال الذكاء والحكمة وأصحاب التفاهم والرؤية أن البناء – مع كونه من الماء والطين – فنًا ميمونًا، فقد شعر أبناء آدم بالنفور من الجبال والكهوف، وكانوا يميلون منذ البداية إلى

المدن والقرى. ولأن البشر بطبيعتهم متحضرون؛ فقد اخترعوا يومًا بعد يوم أنواعًا كثيرة من المباني، وازدادت مع الأزمان مهارات وفنون بنائها".[1]

مفهوم العمارة المستدامة وأبعادها

اعتمد أول تعريف للاستدامة -كما طرح في المؤتمر العالمي للتنمية والبيئة والذي وضعته WCED - أنها "سد لحاجيات المجتمع في الحاضر، دون التأثير على الأجيال القادمة في سد احتياجاتهم المستقبلية"[2] أما العمارة المستدامة فوفقا للتعريف الحديث لها هي العمارة التي تلبي احتياجات الإنسان المعمارية من حيث الجمال والوظيفة والمتانة[3]، مع قدرتها على تقليص استهلاكها للطاقة المطلوبة لتشغيلها وتقليل كلفة الإنتاج والإدامة قدر الإمكان مع الحفاظ على كوكب الأرض وبيئته وموارده سليمة معافاة للأجيال القادمة.[4] ويسعى مفهوم الاستدامة لتحقيق التوازن والدمج بين ثلاثة أبعاد أساسية وهي البعد البيئي والاقتصادي والاجتماعي.[5] كما هو موضح في المخطط التوضيحي رقم (1).

---

[1] *Sinan's Autobiographies, Five Sixteenth-Century Texts*. (2006). Introductory notes, critical editions and translations by Howard Crane and Esra Akin. Edited by Gulru Necipoglu. Leiden: Koninklijke Brill NV.

[2] عمر فروخة. (2006): الطاقة في العمارة المحلية المستدامة- أثر خصائص التنظيم الفضائي للمنظومة السكنية على صيغ استهلاك الطاقة، دكتوراة غير منشورة – بغداد، ص11.

[3] وهي المبادئ ذاتها التي كانت تسعى إلى تحقيقها العمارة في السابق، فيما عرف باسم ثلاثية فتروفيس (المتانة والوظيفة والجمال). انظر: أمجد القرداغي وأميد صديق. (2012): الاستدامة في العمارة المحلية إمكانية تطبيق مبادئ الاستدامة في المسكن المحلي، مجلة المخطط والتنمية، العدد 26، ص97.

[4] عمار سالم: طبقات العمارة المستدامة، مجلة الهندسة، العدد 4، المجلد، 14، ص 578- 579.

[5] Zeinab Abd El-Kader and Reham Momtaz. (2010). Sustainability in architecture between the past and the future, international conference on urbanism and green architecture, p5.

مخطط توضيحي رقم (1):

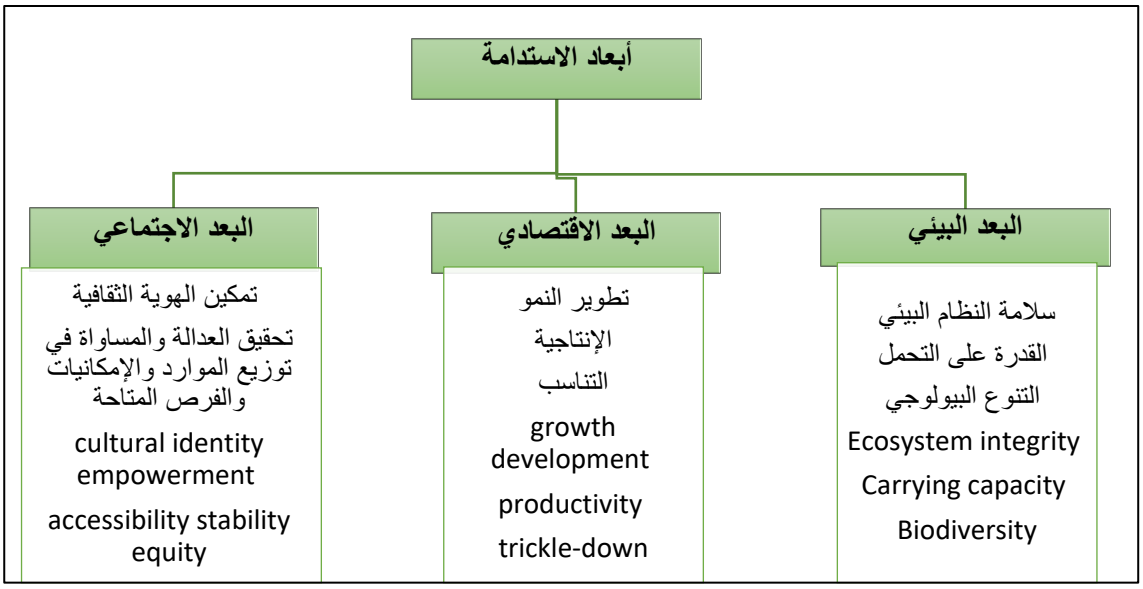

يوضح متضمنات الأبعاد الثلاثة للاستدامة- عمل الباحثة

العلاقة بين مفهوم العمارة المستدامة ومفاهيم ومبادئ الدين الإسلامي

رغم حداثة صياغة مفهوم العمارة المستدامة ومبادئها وأبعادها فإنها هي ذاتها الأبعاد التي اعتمدت عليها الهندسة المعمارية الإسلامية في جوهرها، إذ قامت على أساس التعايش السلمي مع البيئة والمجتمع وفي ذات الوقت سعى المعماري المسلم لتحقيق المتانة اللازمة لبقائها ومقاومة عوامل الزمن قدر الإمكان وهو ما عبر عنه المعماري والفنان مكتوبًا بشكل صريح أحيانا كما في مدرسة صرجالي[1] السلجوقية بمدينة قونية حيث نقش المعماري اسمه داخل بلاطة خزفية مثبته بباطن عقد إيوان القبلة باللغة العربية بصيغة "عمل محمد بن محمد بن عثمان البنا الطوسي" ويقابله بلاطة أخرى[2] نقش عليها بالفارسية ما ترجمته " أنا من نقش هذه الزخارف التي لا مثيل لها، وسأفنى أنا ويبقى هذا الأثر" (لوحة رقم 1). كما ذكر القضاعي عن أحمد بن طولون أنه قال للمهندس عندما أراد أن يبني جامعه بالقطائع بمصر "أريد أن أبني بناء إن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي، فقيل له يبني بالجير والرماد والآجر الأحمر القوي النار إلى السقف ولا يجعل فيه أساطين رخام فإنها لا صبر لها على النار فبني هذا البناء"[3]

[1] تقع هذه المدرسة بمدينة قونية عاصمة الدولة السلجوقية بالأناضول وقد أمر بإنشاء هذه المدرسة الوزير السلجوقي بدر الدين مصلح عام 646هـ/ 1248م، وتعني كلمة صرجالي Sırçalı "المزججة بالخزف" وذلك لكثرة زخارفها الخزفية البديعة التي تكاد تغطي جميع جدران المدرسة. للمزيد عن هذا الأثر انظر: Yaşar Erdmir, Sırçalı Medrese- Mezar Anıtları Müzesi, Konya İl Kültür Müdürlüğü yayın no. 37

[2] محفوظة حاليا بمتحف الفن الإسلامي ببرلين- ألمانيا.

[3] سعاد ماهر. (2017): مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج1، ص 144.

لوحة رقم (1): بلاطتان مسدستان من باطن عقد إيوان القبلة بمدرسة صرجالي بقونية- (تصوير الباحثة)

وهكذا يجب النظر إلى العمارة الإسلامية على أنها ظاهرة عالمية تكشف المعايير والقيم التي أدت إليها. صحيح أنها كانت تستجيب للمتطلبات المناخية والجغرافية والثقافية مثل أي تقليد معماري آخر. لكنها من ناحية أخرى لم تفصل أبدًا بين الاحتياجات الجسدية والنفسية والروحية للإنسان.[1] فقد ارتبطت الاستدامة في الهندسة المعمارية الإسلامية بالقيم والمفاهيم الإسلامية وهي التي منحتها هويتها وحيويتها واتجاهها. ففكرة الهندسة المعمارية المستدامة في المجتمع الإسلامي قامت على خلق الوعي والشعور المطلق بالمسؤولية لدى الناس، مما جعل من إجراءات الاستدامة في العمارة تلقائية والصادقة. نعني بالناس ليس فقط المهندسين المعماريين والمصممين والرعاة، بل نعني أي شخص آخر في المجتمع أيضًا. وبهذه الطريقة كانت مساهمة المجتمع في السعي وراء الاستدامة هو التزامهم الأخلاقي والروحي.[2]

فالمهندس المسلم يتأكد من أن البناء الجديد يخدم غرضًا نبيلا سواء أكان مسجدًا، أم مدرسة، أم مسكنًا، أم بيمارستانا، أم سبيلا، أم ضريحًا، وما إلى ذلك محققا بذلك قوله تعالى "وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض". وبهذه الطريقة، فإن كل بناء يندمج مع البيئة بقدر ما يمكن من تصميمه وفائدته ووظيفته. ولهذا يقول معمار سِنان "إن الهندسة المعمارية هي في الوقت نفسه دعوة شاقة تستحق التقدير، ومن يمارسها بشكل صحيح وعادل يجب أن يكون قبل كل شيء تقيًا".[3]

---

[1] Omer, Spahic. (2009). *Islamic Architecture: Its Philosophy, Spiritual Significance and Some Early Developments*. Kuala Lumpur: A.S. Noordeen.

[2] Spahic Omer 2016, A Conceptual Framework for Sustainability in Islamic Architecture

[3] *Sinan's Autobiographies, Five Sixteenth-Century Texts*. (2006). Introductory notes, critical editions and translations by Howard Crane and Esra Akin. Edited by Gulru Necipoglu. Leiden: Koninklijke Brill NV.

وعادة ما يتم أخذ مواد البناء والمواد المستخدمة في عمليات البناء أو "استعارتها" من الطبيعة. ونتيجة للتدخل المقيد والمراقب للمسلمين في الطبيعة، فإن السياق الأصلي لمواد وموارد البناء الطبيعية تتغير في حين تظل الوظائف المتأصلة في مواد البناء كما هي.

وقد حرص الإسلام على أن يعيش البشر في علاقة ودية مع الطبيعة، بقدر ما يكون هذا الترتيب ممكنًا ومفيدًا ومطلوبًا. لا يمكن للإنسان تحت أي ظرف من الظروف أن يعلن حربًا على البيئة الطبيعية؛ لأنه – بسبب العديد من أنواع الضعف الجسدي والعقلي والعاطفي في اعتماد الإنسان الكلي الفعلي على البيئة – لا بد أن يظهر الإنسان في جميع الأوقات بوصفه خاسرا رهيبا. البيئة الطبيعية هي في نفس الوقت عائق ومساعد، ويسعى المعماريون إلى طلب مساعدتها إذا تم التفكير فيها بجدية، فقد يتم تحويل موضع البناء وشكله، وفقا لاتجاه القبلة في المنشآت الدينية والمساحة المتاحة للمنشأة وتوجهات البناء للتحكم في الضوء الطبيعي والتهوية والتدفئة والتبريد والعزل والضوضاء إلخ. يجب ربط الفلسفة نفسها بالبعد الروحي للعلاقة بين البيئة المبنية والطبيعية؛ لذلك فالناس لا يجب أن يكونوا مرتبطين بمبانيهم جسديًا فحسب، بل عاطفيًا وروحيًا كذلك.

فالبناء يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنمط الحياة اليومية للناس. وعندما يفقد الناس علاقتهم العاطفية والروحية بالمباني التي يشغلونها، تنتهي الغاية الحقيقية من الهندسة المعمارية.[1]

علاوة على ذلك، كان يُنظر إلى الهندسة المعمارية على أنها واحدة من العديد من المهن المهمة اللازمة لاستدامة الحضارة والاستمتاع بها. ولهذا السبب لم يتم كتابة أسماء البنائين في معظم المباني الإسلامية. فالنقوش الكتابية على المنشآت الإسلامية في الغالب تحمل تاريخ بدء أو اكتمال البناء واسم الحاكم أو الراعي، ونادرًا ما كان المهندسون المعماريون مهتمين بالترويج لأسمائهم أو مكانتهم، يشير هذا إلى أن المباني في الإسلام مشحونة بشكل كبير بروحانية الإسلام من خلال قنوات ووسائل مختلفة بما في ذلك تخطيط وتنظيم المساحات في المباني، والتعامل مع أشكالها، ووظائفها المتصورة، وأساليب الزخرفة، والتجميل.[2]

إن العمارة الإسلامية في وئام تام مع بيئتها الطبيعية وأنماطها وظروفها الاجتماعية، والأهم من ذلك مع مقتضيات أهلها. أبعادها البيئية والاجتماعية والإنسانية متكاملة وقابلة للتبادل، ومتشابكة مع خيوط النظرة الإسلامية للعالم، ونظم وقواعد التشريع الإسلامي والأحكام الفقهية.

---

1 Gifford, Robert. (1997). *Environmental Psychology*. Boston: Allyn & Bacon; *Reynolds, John, S. (2002).* Courtyards: Aesthetic, Social, and Thermal Delight. *New York: John Wiley & Sons, INC.*

2 Bianca, Stefano. (2000). Urban Form in the Arab World. *London: Thames and Hudson; Nasr, Seyyed Hossein. (1987).* Islamic Art and Spirituality. *Albany: State University of New York Press.*

أهم المعايير الدولية لتقييم الاستدامة في العمارة

مع استمرار وتزايد الثورة الصناعية وما نتج عنها من تلويث البيئة. أدرك البشر كم الآثار السلبية التي تركتها الحداثة المادية غير المنضبطة، فبدأت تتعالى أصوات المعماريين منذ السبعينات مطالبين بعمارة أكثر ملائمة للبيئة منهم: وليام ماكدونو، وبروس فول وروبرت فوكس من الولايات المتحدة، وتوماس هيرتسوج من ألمانيا، ونورمان فوستر وريتشارد روجرز من بريطانيا. وبدأ هذا الرعيل باكتشاف التصاميم المعمارية وبلورتها، تلك التصاميم التي ركزت على التأثير البيئي طويل المدى،[1]ومنذ ذلك الحين ظهر مفهوم العمارة المستدامة (Sustainable architecture) الذي يهتم بالمحيط الطبيعي المادي للبيئة ويوصي باستعمال مواد طبيعية غير مصنعة أو نصف مصنعة، لا تضر البيئة أو تقلل الملوثات، والحفاظ على قاعدة الموارد الطبيعية للمستقبل.[2]

وظهرت معايير لتقييم مدى تحقق الاستدامة في المباني أشهرها:

1- معايير (BREEAM) وهي واحدة من الأنظمة الرائدة للتقييم البيئي للمباني حيث تضع مجموعة من المعايير القياسية للتصميم المستدام والتي طورتها مؤسسة أبحاث البناء وقد بدأ اعتمادها وتطبيقها في بريطانيا منذ عام 1990م.[3] ووفقا للموقع الرسمي لـ(BREEAM) فإن نظام التقييم يعتمد على مجموعة النقاط التالية: (إدارة المشروع، والموارد، واستخدام البيئة، والابتكار، وصحة المستخدمين، والطاقة، والمياه، والمخلفات، والنقل، والتلوث) ويتم إعطاء كل نقطة من النقاط السابقة تقييمًا، ثم يتم تجميع درجات التقييم لإعطاء تقييم للمبنى يتراوح بين (مقبول، وجيد، وجيد جدا، وممتاز).[4]

2- معايير (LEED) وهي اختصار (Leadership in Energy and Environmental Design)، وتم وضع هذه المعايير من قبل المجلس الأمريكي للأبنية الخضراء (USGBC) وهذا النظام قد بدأ تطبيقه في العام 2000م في الولايات المتحدة الأمريكية، وتتكون معايير (LEED) من قائمة بسيطة من المعايير المستخدمة في الحكم على مدى التزام المبنى بالضوابط الخضراء، ووفقًا لهذه المعايير يتم منح نقاط للمبنى في جوانب مختلفة وهي: (كفاءة استهلاك الطاقة في المبنى، وكفاءة استخدام المياه، وجودة البيئة الداخلية وسلامتها في المبنى، والنقاط الإضافية للمزايا الإضافية للمبنى، مثل: مولدات الطاقة المتجددة، أو أنظمة مراقبة غاز ثاني أكسيد

1 نشر التقرير في مجلة: (نيتشرNature) لشهر حزيران – يونيو 2006.

2 حيدر كمونة – مقال: دور المعالجات البنائية في تحسين البيئة السكنية –جريدة المدى– بغداد.

3 مي أسامة وآخرون: تقييم تجربة العمارة المستدامة في مصر، journal of AlAzhar University Engineering sectore, vol. 11, no. 39, Aprile 2016, 717

4 https://www.breeam.com/discover/how-breeam-certification-works/

الكربون). وبعد تقدير النقاط لكل جانب يتم حساب مجموع النقاط التي تعكس تقدير (LEED) وتصنيفها للمبنى المقصود، فالمبنى الذي يحقق مجموع نقاط يبلغ (50- 59 نقطة) له تصنيف (فضي)، أما المبنى الذي يحقق مجموع نقاط يبلغ (60- 79 نقطة) فله تصنيف (ذهبي)، في حين أن المبنى الذي يحقق مجموع نقاط أكثر من (80 نقطة) له تصنيف (بلاتيني) وهذا التصنيف يعني أن المبنى يحقق خفضًا في التأثيرات البيئية بنسبة (90 %) على الأقل مقارنة بمبنى تقليدي مماثل.[1]

3- معايير (GPRS) يحتوي نظام GPRS على مجموعة من العناصر العامة، والثابتة لجميع أنواع الأبنية؛ حيث إنه لم يستهدف شرائح أو فئات معينة من الأبنية، وتُعد محددات وعناصر هذا النظام هي نتاج الدمج بين محددات متبعة في نظامي BREEAM ، وLEED مع توظيف ما يلائم الأبنية في مصر، ومحددات نظام تقييم الهرم الأخضر هي (المواقع المستدامة، كفاءة الطاقة، وكفاءة استخدام المياه، والمواد والموارد، وجودة البيئة الداخلية، والإدارة، والابتكار، والقيمة المضافة). وهناك ثلاثة مستويات للحصول على شهادة الأبنية الخضراء وفقا لنظام التصنيف المصري (الهرم الفضي، والهرم الذهبي، والهرم الأخضر).[2]

وبعد أن تعرفنا على أهم المعايير الدولية لتقييم الاستدامة في العمارة نجد أنها – رغم ما يوجد من بعض الفروق بينها –قد اشتركت جميعها في ستة محاور رئيسية، وهي: (استدامة الموقع، وكفاءة استخدام المياه، والطاقة والغلاف الجوي، والمواد والموارد، وجودة البيئة الداخلية، والإبداع التصميمي). وفيما يلي سنقوم بتطبيق المعايير العالمية للاستدامة مع تطبيقات العمارة الإسلامية المملوكية بالقاهرة والسلجوقية بالأناضول لمعرفة مدى التوافق بينهما، ومدى شمول العمران الإسلامي في بيئتين مختلفتين مناخيا وطبيعيا لمبادئ الاستدامة بمفهومها المعاصر. وسيتم تطبيق كلٍّ من المحاور الستة من خلال مجموعة من العناصر التي حددتها المعايير الدولية لكل معيار. كما هو موضح بالشكل رقم (1).

[1] تم الاعتماد في أسلوب تقييم وحساب معايير "ليد" على الموقع الرسمي للمجلس الأمريكي للأبنية الخضراء (USGBC) https://www.usgbc.org/leed 10-10-2021

[2] أسامة قنبر وأحمد علاء لبدة (2019): معايير التصميم الداخلي المستدام في ضوء نظام تقييم الهرم الأخضر، مجلة البحوث الهندسية (ERJ)، م4، ص50.

مخطط توضيحي رقم (2): المعايير المستخدمة في تقييم الاستدامة في العمارة وعناصر كل معيار (عمل الباحثة)

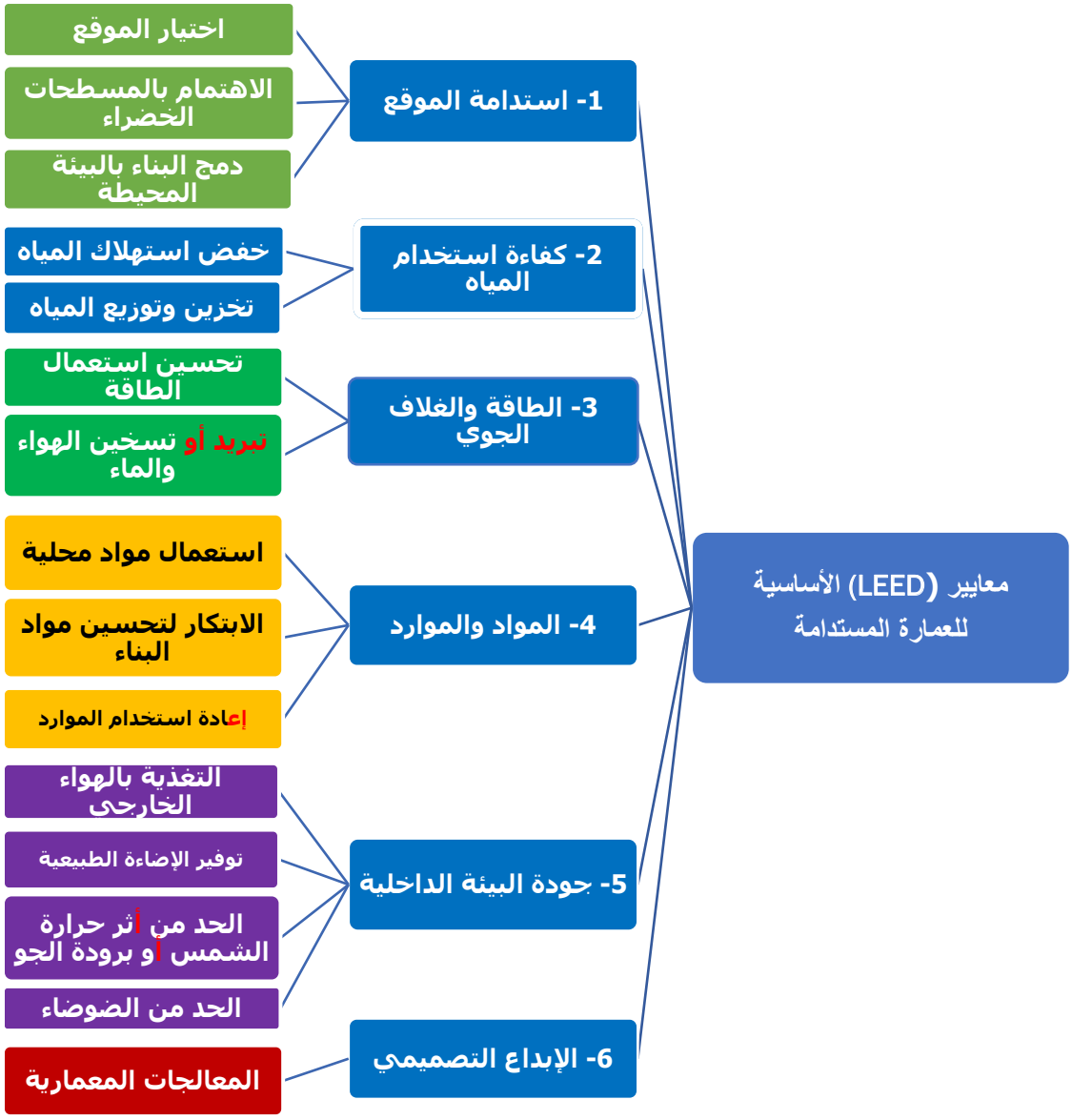

المعيار الأول: استدامة الموقع

يندرج تحت هذا العنصر اختيار موقع المدينة ذاتها، ثم اختيار موقع كل منشأة داخل هذه المدينة. ونبدأ باختيار موقع المدن الإسلامية، وقد ذكر ابن الأزرق عند اختيار الموقع أنه يجب مراعاة أصلين مهمين، هما: "دفع المضار وجلب المنافع".[1] وهو ما تم مراعاته عند اختيار موقع المدينة الإسلامية. فمن باب دفع المضار كان يراعى عند اختيار موقع المدن اختيار موقع يوفر الحماية للمدينة طبيعيا أو معماريا في حالة

[1] عبد الستار عثمان (1988): المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ص102.

ما إذا كان موقع المدينة غير محصن طبيعيًا. ومن باب جلب المنافع كان الحرص على أن يكون موقع المدينة قريبا من مصادر المياه وأن تكون طيبة الهواء وعُدَّتْ جودة الهواء من المميزات التي أشاد بها الجغرافيون في حديثهم عن الصفات الحسنة للمدن.[1]

وكان تخطيط المدينة الإسلامية يقوم على أسس مدروسة، وقواعد حددها الفكر الإسلامي. فعند بناء مدينة البصرة (14هـ/ 635م) أشار الخليفة عمر بن الخطاب إلى القدر الذي ترتفع به المباني، كذلك حدد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عند إنشاء مدينة بغداد (145هـ/ 762م) شكل شوارعها واتساع طرقها بما يتناسب وعاصمته الجديدة.[2] وقد روعي في تخطيط المدن الإسلامية بصفة عامة اتساع شوارعها وارتفاع المباني المطلة على هذه الشوارع. حيث حرص المعماري المسلم بعد اختيار موقع المنشأة – لاسيما في مدينة مزدحمة مثل القاهرة خلال العصر المملوكي – أن يحافظ على ما يحيط بالمنشأة من طرق ومنشآت مجاورة فحرص على توجيه منشآته للداخل حرصا على خصوصية المنشأة ذاتها وما يجاورها من منشآت. كما راعى حق الطريق عند اختياره الموقع، وهو ما تلاحظه من خلال العلاقة الوثيقة بين المباني والشوارع المطلة عليها، حتى أصبحت المنشآت مندمجة في نسيج المدينة اندماجا كاملا متجانسا، ولجأ إلى العديد من المعالجات والابتكارات المعمارية المختلفة لتحقيق ذلك. في حين أننا نجد أن المساحات الفضاء المنبسطة الواسعة في المدن السلجوقية في الأناضول لم تفرض على المعماري المسلم اللجوء إلى مثل هذه المعالجات المعمارية فكانت المنشآت تشيد في الميادين الواسعة، وتحيط بها الحدائق ذات الأسوار والمداخل.

المعيار	العنصر	أساليب تحققه في العمارة المملوكية في مصر	أساليب تحققه في العمارة السلجوقية في الأناضول
استدامة الموقع	اختيار الموقع	– كانت القاهرة بأسوارها وقلعة الجبل مقرا مناسبا لحكم المماليك. وقد روعي في تحصين القاهرة واختيار موقعها مسبقا التحصين الطبيعي والمعماري. ولكن التوسع المعماري وامتداد القاهرة خارج الأسوار دفع المماليك لتأمين المياه	كانت العادة عند السلاجقة تحصين مدنهم بإنشاء سور خارجي يحيط بالمدينة، وقلعة داخلية في كل مدينة من مدنهم. ولم يقتصر هذا على عاصمتهم (قونية) فقط، بل نجد هذا النظام في كل من قيصري وأنطاليا

[1] من الجغرافيين والمؤرخين من دلل على حسن هواء المدن بمقاييس تعتبر نافعة في معرفة طيب الهواء أو فساده، فقد ذكر القزويني مثلا عند حديثه عن صنعاء مدللا على صحة هوائها أن "اللحم يبقى بها أسبوعا لا يفسد" وذكر عن طليطلة أنه " من طيب ترابها ولطافة هوائها تبقي الغلات في مطاميرها سبعين سنة لا تتغير" وعندما تحدث عن أصفهان ذكر: أنه لطيب هوائها يبقى بها التفاح غضا سنة والحنطة لا تسوس واللحم لا يتغير". ومن الروايات الطريفة في هذا أن صلاح الدين الأيوبي عندما أراد بناء قلعته في القاهرة لجأ إلى طريقة علمية لا تخلو من الطرافة بغية اختيار أفضل مكان يصلح مناخه للإقامة، فأمر بتعليق الذبائح في أماكن عدة مناسبة من الناحية العسكرية، والموضع الذي يتأخر فيه فساد اللحم دل على أنه الجو الأنقى وفيه أقيمت القلعة. انظر: عبد الرحيم غالب (1988): موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، ص363؛ يحيى وزيري (2004): العمار الإسلامية والبيئة، ص94.

[2] أبو حامد المقدسي الشافعي: الفوائد النفيسة البهيرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة، تحقيق: آمال العمري، وزارة الآثار المصرية– مشروع المائة كتاب 10– 1988، ص1–2.

		للمناطق البعيدة عن النيل فأنشأوا القناطر، ومن أهم نماذج القناطر الباقية قناطر أبي المنجا بالقليوبية.	وأنطاكيا وارزروم وارزنجان وديار بكر. شكل ()
	الاهتمام بالمسطحات الخضراء	- توسع المماليك بالقاهرة فأكثروا من إنشاء الميادين الخضراء، وكذلك زراعة الأفنية داخل المنشآت سواء أكانت دينية أم مدنية "وكان بالقاهرة ثمان وأربعون رحبة..."	- عملوا على إنشاء التلال الخضراء والربوات الصناعية مثل تبة علاء الدين وإنشاء الحدائق المخصصة للتنزه وساعد على ذلك كثرة الأمطار في الأناضول.
	دمج البناء بالبيئة المحيطة	- ربط المنشأة بملحقاتها دون إعاقة حركة السير في الطريق باستخدام عنصر السباط كما نشاهد في منشأة قجماس الإسحاقي؛ حيث يرتبط الجامع بالميضأة في الجهة المقابلة للجامع من خلال ساباط كان اتساعه وارتفاعه كبيرا بحيث لا يعوق المارة (شكل رقم). كذلك نجد مثالا رائعا لمحافظة المعمار على حق الطريق، والحرص على سهولة الاتصال والحركة بين شوارع القاهرة بعمل ممر أسفل مدرسة مثقال بدرب قرمز؛ حيث ارتفع المعمار ببناء المدرسة فوق هذا الممر المقبب محققا إلى جانب عدم إعاقة الطريق توفير مساحة منتظمة للمدرسة.	- كانت مدن الأناضول خلال العصر السلجوقي مدن رومانية قديمة ولم تكن مدن إسلامية مستحدثة مثل قونية وقيصري وأرزروم وأرزنجان وغيرها فتم دمج المنشآت الجديدة بما يتناسب مع شوارع المدن واتجاه القبلة إن كانت المنشأة دينية كالمساجد والمدارس. وكان يتم ذلك بطريقة تلقائية محكوما بعاملين أساسيين: العرف الحتمي، والتخطيط والعمارة معا في أبعاد الفراغ الثلاثة طبقا لظروف ما قد يستحدث من مبان.[1]

المعيار الثاني: كفاءة استخدام المياه

خضع هذا المعيار في المدينة الإسلامية لمجموعة من الضوابط الفقهية، واعتمد على عدم الإسراف في استخدام المياه والتي تعتبر من الأسس الفقهية، وقد ورد عن الرسول الكريم النهي عن الإسراف في المياه ولو كنت على نهر جار.[2] وكانت تغذية المدن بالمياه النظيفة في مقدمة المرافق التي عني بها التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية. وتشير المصادر التاريخية إلى إنشاء نماذج رائعة لشبكات المياه التي كانت

[1] يحيى وزيري (2004): العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة- الكويت، ص 93.

[2] الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، المجلد 28، كتاب الحديث وعلومه (ق1)، كتاب الطهارة- باب الوضوء، ص199- 201.

تغذي تكوينات المدن الإسلامية.[1] أما على مستوى المباني فقد أنشأت للمجموعات المعمارية الكبيرة شبكات خاصة بها تغذي وحداتها المختلفة بالماء، كما في مجموعة السلطان قلاوون بالقاهرة.[2]

وسعت العمارة الإسلامية إلى خفض استهلاك المياه بالحد من استخدام مياه الشرب في ري الحدائق. والاعتماد بشكل كبير على مياه الثلوج والأمطار وعمل مصايد المياه والمواجل من أجل ذلك والمعروف في بناء المواجل أنه كان يُجعل لها بابان، باب يُنزل منه ويكون واسعا، وباب آخر يُستقى منه ويكون ضيقا في جانب الموجل، وحتى يمكن استغلال أي كمية من المطر وتخزينها بهذه المواجل كان يتم تصميم اتجاه الأسقف المائلة بميل معين في اتجاه فتحات هذه المواجل، حيث تتجمع فيها مياه الأمطار نتيجة انحدارها مع هذا الميل. وقد حددت الأحكام الفقهية نظم إنشائها واستغلالها والاستفادة من مائها.[3]

المعيار	العنصر	أساليب تحققه في العمارة المملوكية في مصر	أساليب تحققه في العمارة السلجوقية في الأناضول
كفاءة استخدام المياه	خفض استهلاك المياه	- تخصيص مقدار معين من الماء لكل منشأة. ومقدار مماثل محدد كذلك لكل حي. - إعادة استخدام مياه الوضوء في المساجد أو مياه غسل الأواني في المنازل لري النباتات والأشجار الموجودة بصحن المنشأة. - منع عمل ميازيب والاستعاضة عنها بمسيلات في الحوائط تكلّس ويجري فيها الماء ليصب في قنوات على الطريق.	- استخدام مصايد الماء والصهاريج والمواجل للاستفادة من مياه الأمطار. - إعادة استخدام مياه الثلوج والأمطار في ري الحدائق. وفصل مياه الصرف في المنشآت عن المياه القابلة لإعادة الاستخدام مثل مياه الوضوء في المنشآت الدينية. - عمل ممرات أسفل الميازيب تجري بها مياه الأمطار في قنوات خاصة تتصل بصهاريج وخزانات في جوف الأرض تستخدم لتخزينها وإعادة استخدامها في الفصول التي ينقطع فيها المطر.
	تخزين وتوزيع المياه	- عمل قناطر لنقل المياه من النيل إلى المناطق البعيدة عنه كما في سور مجرى العيون وقناطر أبي المنجا. - عمل صهاريج عميقة في الأرض لحفظ المياه. لاسيما أسفل الأسبلة.	- عمل خزانات وصهاريج ضخمة تحت الأرض لتخزين مياه الأمطار والثلوج والاستفادة منها طول العام. - عمل أحواض في وسط الصحن المغطى في المنشآت لتجميع المياه

[1] مساعد العنقري (1992): المدينة الإسلامية وتطورها العمراني والحضري، سجل أبحاث ندوة "تأثير المنهج الإسلامي في التصميم المعماري والحضري" منظمة العواصم والمدن الإسلامية- جدة، ص93-98.
[2] يحيى وزيري (2004): العمارة الإسلامية والبيئة، ص103.
[3] وليد الغمري بركات وآخرون (2018): دراسة مقارنة بين معايير ليد ومبادئ الاستدامة في العمارة الإسلامية، مجلة العمارة والفنون، ع10، ج3، ص797.

			والثلوج فيها واستخدامها في فترات تالية.

المعيار الثالث: الطاقة والغلاف الجوي

العناية بالظل في جميع أجزاء ومكونات النسيج العمراني للمدينة يعد من أهم مبادئ الاستدامة حيث يسهم في ترشيد استخدام الطاقة وتوفيرها بنسبة تصل إلى 30 %.[1] كما تم استغلال إمكانيات التربة أحد المبادئ التي يعتمد عليها التصميم المستدام للاستفادة من الموارد الطبيعية. فكانت فكرة البناء تحت الأرض والتي تعتمد على تقليل أو تحديد تأثير الظروف المناخية الخارجية على الفضاءات الداخلية، وذلك بالاستفادة من إمكانيات الخزن الحراري لكتلة التربة الذي يسمى التكييف بتأثير الكتلة.[2] ومن أهم الميزات البيئية في المباني الإسلامية هي عملية انتقال المعيشة صيفًا وشتاء، حيث تستخدم فضاءات المنشأة بشكل موسمي، ففي المناطق الحارة صيفا مثل مصر يستخدم الطابق الأرضي وخصوصا الإيوان أو التختبوش المسقف المحمي من الشمس، في حين أن الصحن الأوسط والسطح يُعدان من أهم فضاءات المعيشة صيفا خلال ساعات الليل، أما في الشتاء فالصحن الأوسط والفناء هما الفضاء الأمثل نهارا لقربهما من أشعه الشمس؛ ولأن الأواوين تكون باردة ورطبة. وقد أثر هذا الخطاب البيئوي للعمارة الإسلامية في المدن الإسلامية في المناطق المعتدلة صيفا وباردة شتاءً مثل الأناضول، وقد واءمت تلك البيئات عمائرها في انتقال العائلة على عكس ما ذكرناه في المناطق الحارة، حيث يتم استغلال الطابق الأرضي شتاء الذي يبنى عادة من خامة الحجر وبسمك مناسب للعزل والمقاومة، وكذلك للحماية من تيارات الهواء البارد أو العواصف الثلجية، أما الطابق الأول فيستغل صيفًا، ونادرًا ما يستغل الفناء الأوسط أو السطح.

المعيار	العنصر	أساليب تحققه في العمارة المملوكية في مصر	أساليب تحققه في العمارة السلجوقية في الأناضول
الطاقة والغلاف الجوي	تحسين استخدام الطاقة	- قللوا الأسطح الظاهرة من المباني وكذلك معدل الانتقال الحراري وذلك بتراص المنشآت في مجموعات. - استفادوا من التراوح في درجات الحرارة باستعمال حوائط سميكة مع تقليل عدد الفتحات، وبذلك حدوا من	- استعملوا الطاقة الشمسية في الغرف المصممة للمنازل للتشغيل الشتوي وخزنوا الطاقة في الحيطان والسقوف، وجعلت التدفئة في الشتاء تتم في الحجرات المستعملة للسكن والنوم فقط من أجل الاقتصاد في الطاقة.

[1] وليد الغمري بركات وآخرون: المرجع السابق، ص797.

2 **شهد أبو سرية** (2018): **مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية الإسلامية. ص17.**

		تبادل الطاقة مع الهواء الخارجي ومن تسرب الغبار. - حدوا من معدلات اكتساب الحرارة الشمسي، وذلك ببناء أفنية عميقة تحيط بها الغرف ويتم تشجيرها، وكذلك الاحتفاظ بهواء الصباح البارد عدة ساعات والتقليل من تأثير الرياح المحملة بالأتربة وباستعمال الأسوار العالية والتي توفر قدرًا من الظلال المرغوب بها.	- استخدام القباب والأسقف المزدوجة كما في نظام تسقيف أضرحة الكومبد. - استعملوا السقوف المقببة من أجل الزيادة من معامل الانتقال الحراري، ومسطحة بما يحتم شفطًا للهواء الساخن في أعلى القبة، وتستعمل في المناطق التي يكثر بها الرياح بوصفها فتحات للتهوية الطبيعية بدلا من الملاقف.
	تبريد أو تسخين الهواء والماء	استخدام ملاقف الهواء[1] لتبريد الهواء الداخلي حيث يقوم الملقف بتكوين مناطق ضغط متباينة، فيدخل الهواء بعد تنقيته وترطيبه ومن ثم يخرج عبر فتحات أخرى، وتكون العملية عكسية في ساعات الليل، كما يفيد الملقف في التقليل من الغبار الذي يتراكم في قعر المهوى. والملقف أحد أهم عناصر التهوية الطبيعية المساهمة في خفض درجة الحرارة داخل الدار إلى أقل من 30 درجة مئوية صيفًا، وتساهم جدران الملقف في العزل الحراري للهواء النافذ. وثمة سبب آخر يحرك الهواء يكمن في خاصية الإشعاع الحراري، فيفقد السطح الحرارة ليلا في الصيف، مما يؤدي إلى انخفاض الضغط الملامس للسطح، فيحل هواء الرياح السائدة الأكثر رطوبة بدل الهواء الحار، فيمر	- البناء تحت الأرض حيث تم الاستفادة من خصائص باطن الأرض للوصول إلى الراحة الحرارية في فضاء السرداب[3] وهو عبارة عن طابق أو أكثر تحت الأرض. اتضحت كفاءة الأداء الحراري للسرداب خاصة في ساعات بعد الظهيرة، حيث تصل درجات حرارة الهواء الخارجي إلى حدودها القصوى، أما الفضاءات الأخرى فتقل كفاءة أدائها الحراري كلما ارتفعنا، حيث الطابق الأرضي أفضل في أدائه الحراري على الطابق الأول من السقف المعرض لأشعة الشمس المباشرة طوال النهار، ففي الصباح يستعمل الطابق الأرضي وأحيانا السرداب، وفي المساء تستعمل الطوابق العلوية.

[1] تعرف في العراق باسم (بادكير) وهي كلمة فارسية من مقطعين: باد – هواء، وكير – جالب، أي جالب الهواء.
[3] وقد ورد ذكره في التراث الإسلامي حيث يذكر المؤرخون أنه كانت هناك سراديب تصل القصور بعضها ببعض، وقال ناصر خسرو إن قصور الفاطميين كانت مؤلفة من بيوت كبرى وصغرى تصل بينها سراديب تحت الأرض، ووصف المقدسي سراديب قصر عضد الدولة بشيراز، ويستغل السرداب للقيلولة ولحفظ الفواكه والمربيات والمخللات، لكنه يهمل شتاء، بسبب الرطوبة وارتفاع منسوب المياه الجوفية.

		قريبًا من السطح نحو الملقف ليهبط خلاله نحو الأسفل، وخلال مروره يواجه الهواء الداخل، جرار الماء المبتلة، فتنخفض حرارته وتزداد رطوبته. - واستخدم لتبريد المياه في العصر المملوكي أساليب متنوعة خصوصا في الأسبلة ومنشآت التسبيل منها الشاذروان الرخامي الذي تم تصميمه على شكل لوح رخامي مائل سطحه مزخرف بزخارف دقيقة تمر قطرات الماء على السطح الرخامي البارد فتكتسب البرودة كما أن الزخارف الدقيقة تنقيها من الأتربة والشوائب العالقة به ثم تتجمع قطرات الماء في حوض في نهاية الشاذروان وتكون باردة جاهزة للشرب. - وكذلك كانت المشربيات[1] تعمل على تبريد جرات الماء صيفًا وذلك بوضع جرات المياه ضمن فتحة دائرية أسفل المشربية فيعمل تيار الهواء الداخل من الخرط الدقيق على التبريد.	- تسقيف الفناء للحماية من البرودة والثلوج والأمطار مع عمل فنار يتوسط سقف الصحن ممكن فتحه وإغلاقه للسماح بتمرير الثلوج وتخزينها كما في مدرسة إينجة منارة وكراتاي بقونية. ومن الممكن تسقيف معظم الفناء أو بعضه، للحماية من العواصف والرياح. - عدم اتباع الحل المتضام وتوزيع الأبنية بحيث تفتح بكامل واجهاتها على الخارج لاستقبال أكبر كمية من حرارة الشمس خلال ساعات النهار. فبالمقارنة بين النسبة المئوية للفراغات والمساحات الكلية للمدن السلجوقية وجد أن نسبة الفراغات الخارجية في المدينة يبلغ 31 % تقريبًا في حين تصل لـ 11 % فقط في القاهرة خلال العصر المملوكي.

المعيار الرابع: المواد والموارد

اختيار مواد البناء مهم جدا حيث إن خواصها الفيزيائية من توصيل ومقاومة حرارية وإنفاذ حراري وعاكسية للضوء هي المسؤولة عن تحديد المدة الزمنية لانتقال الحرارة من وإلى المبنى.[3] وقد روعي في تصميم العمائر الإسلامية احترام الموروث في كل بيئة طبيعية بما يناسبها، فكانت الحوائط تُشيّد من مواد محلية وبسمك يضمن صمودها وتحملها أحمال البناء، ومقاومتها للحرارة والرطوبة.

[1] وتسمى كذلك الشناشيل أو الرواشين، والمشربية نافذة بارزة من الخشب الخرط تقام بأشكال هندسية تفتح على واجهة الطابق الأول المطلة على الزقاق بشكل طُنُف تستند على كوابيل خشبية أو حجرية، وقد توسع استعمالها في البيئات التي لا يتوفر فيها الخشب بكثرة كما في مصر، واستعمل في إنشائها ومعالجاتها الجمالية الخشب بوصفه عنصرا أساسيا.

[3] حسن فتحي (1988): الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص81.

وقد روعي استخدام خامات متوفرة بالبيئة، فيذكر أن أرضية المسجد فرشت لأول مرة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالحصباء، ذلك أن السماء قد أمطرت ذات ليلة فأصبحت الأرض مبتلة، فجعل الرجل يأتي بالحصباء في ثوبه فيبسطها تحته ليصلي عليها، فاستحسن الرسول الكريم ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بأن يحصب جميع المسجد، أي يفرش بالحصباء.[1] وقد أقر الخليفة عمر رضي الله عنه أن يبني العراقيون بالقصب مدائن الكوفة والبصرة، كونها زهيدة الكلفة وفعالة وتتماشى مع البيئة المحلية، ونذكر هنا كذلك مثالا على أن المسلمين ورثوا من المصريين مبدأ قطع الحجر من المقالع واستخدامها في نفس الاتجاه التوجيهي، من ضمن مداميك الحيطان، بحيث تحافظ على ديمومتها، وقد تجسد في حيطان مدرسة السلطان حسن، وها هي الأحجار تربع بأمان، ولم تتآكل كما تآكلت أحجار مسجد الرفاعي الذي أقيم في نهايات القرن 19م، والذي لم يحترم مبدأ توجيه الحجر الفرعوني.[2]

المعيار	العنصر	أساليب تحققه في العمارة المملوكية في مصر	أساليب تحققه في العمارة السلجوقية في الأناضول
المواد والموارد	استعمال مواد محلية	- استعمل الآجر كأحد أهم مواد البناء في العمارة الإسلامية وخاصة في مصر حيث يندر وجود الخشب والحجر، وهو يستخدم في بناء الحوائط الحاملة أو كأكتاف أو في بناء القباب والأقبية، وفي حالة بنائه بسمك كبير فإنه يساعد على توفير عزل حراري جيد للفراغات الداخلية بالمبنى. كما يلعب الآجر دورًا هامًا في زيادة نسبة الرطوبة وتكريس الشعور بالراحة، حيث يعتبر أفضل مادة بناء طبيعية، كما يساعد على الحد من استنزاف الموارد الطبيعية الحيوية، وانبعاثات الكربون.[3] - استخدام الحجر الجيري في الغرف المستخدمة نهارا والحجر الجيري مادة ذات سعة حرارية عالية مما يجعل النفاذ الحراري من خلاله يصل إلى 15 ساعة، وهذا يعني أن	- استخدم الحجر بشكل أساسي في الإنشاء خلال العصر السلجوقي، وكان يتم استخدامه في تشييد الجدران الخارجية للمنشآت بسمك كبير مما يوفر عزلا حراريا جيدا للفراغات الداخلية للمبنى كما هو الحال بالنسبة للآجر.[5] - استخدام الحجر الجيري في الغرف المستخدمة للنوم ونظرا لكون الحجر الجيري مادة ذات سعة حرارية عالية فالحرارة الخارجية تأخذ وقتا طويلا للوصول للفراغات الداخلية، فتتوفر التدفئة ليلا نتيجة إشعاع الحوائط للحراة المخزونة بها. مما يوفر جوًا دافئا في الداخل رغم انخفاض درجات الحرارة الخارجية.

[1] إبراهيم السقا: المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد، ص18- 19.
[2] علي ثويني (2018): المنحنى البيئي في العمارة الإسلامية،
[3] يحيى وزيري (2004): العمارة الإسلامية والبيئة، ص106.
[5] عمرو خيرالدين (1997): المعالجات البيئية في تخطيط المدن الإسلامية وتصميم مبانيها، القاهرة، ص855.

		الحرارة الخارجية سوف تأخذ وقتا طويلا للوصول للفراغات الداخلية، وهو ما يساعد على أن تحتفظ الفراغات الداخلية بهوائها البارد معظم ساعات النهار رغم ارتفاع درجة الحرارة بالخارج.[1] - استخدام الرخام وهو من مواد البناء التي تحتفظ بالبرودة واستخدم في عمائر المماليك على وجه الخصوص في فرش الأرضيات وتكسية الجدران. واستخدم في المساجد وكذلك الأسبلة والشاذروانات وأحواض التسبيل لدور الرخام كمادة طبيعية تحتفظ بالبرودة في تبريد مياه الشرب.	- يستخدم الطوب المنهي بالبياض بسمك قليل في الحجرات المستخدمة خلال ساعات النهار فيكون انتقال الحرارة للداخل أسرع مما يوفر تدفئة للفراغات الداخلية خلال الأيام الباردة.[3] استخدام الأخشاب بكثرة فالأخشاب مادة بناء تخزن الحرارة نهارًا وتشعها ليلا وببطء، وبذلك تكون مولدة للحرارة. وشيدت المساجد الخشبية حيث كان الخشب هو مادة مساعدة في بناء الحوائط ومادة أساسية في الداخل حيث الأعمدة الحاملة والأسقف المعلقة والجدران الداخلية.
	الابتكار لتحسين مواد البناء	- استخدم الجص كمعالجة بيئية مهمة لاسيما في الأجزاء عالية الرطوبة فالجص مادة هشة قابلة لامتصاص رطوبة الهواء بشكل كبير ليلا وعند تعرض الجص للحرارة نهارا يفقد الرطوبة المخزونة فيه مما يؤدي إلى انخفاض درجة حرارة سطحه وبالتالي تنخفض درجة حرارة المكان.[4] - كان لندرة بعض مواد مثل الرخام والأخشاب دوره في تنوع أساليب الصناعة حيث استخدمت طريقة التجميع أو ما عرف في وثائق العصر المملوكي باسم الرخام	- استخدم الجص في تغطية الحوائط الداخلية والخارجية للمنشآت فتعمل كطبقة عازلة بينها وبين الأمطار مما يساهم في زيادة قدرة الجدران على التحمل وتقليل نسبة امتصاص الجدران للمياه وبالتالي ضعفها وتهالكها.[6] وكثيرا ما كانت تثبت أعلى طبقات الجص بلاطات خزفية بأشكال زخرفية وهندسية متنوعة مما يضفي مزيدا من المقاومة والتحمل والعزل للجدران الخارجية للبناء. -استخدمت مادة الرماد المخلوط بالجير والتي تعرف باسم قصرمل أو

[1] يحيى وزيري، ص107

[3] حمدي صادق (1994): تأثير العوامل المناخية على التشكيل المعماري للعمارة الإسلامية (دكتوراة غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة حلوان، ص72.

[4] ألفريد لوكاس (1990): المواد والصناعات عند قدماء المصريين (ترجمة: زكي إسكندر ومحمد زكريا)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص127.

[6] Bekir Eskici (2006): Anadolu Selçuklu ve Beylikler Döneminde Alçı Mihrablar, sanat tarihi dergisi, P. 57– 75.

		الخردة.[1] كما استخدم الخرط في عمل المنابر والمشربيات. - استخدمت مادة تعرف بالخرشتف وهي ما يتحجر مما يوقد به على مياه الحمامات وتستخدم مع الجير ومونة البناء لتكوين مادة شديدة الصلابة غير مسامية تستخدم في طلاء الجدران الداخلية للصهاريج والآبار وغيرها من منشآت مائية لمنع تسرب المياه أو تشرب الجدران الداخلية للمياه. وكذلك استخدمت مونة الخافقي وهي عبارة عن رماد مخلوط بالجير في المنشآت المائية.	مونة الخافقي، وهي مادة ملساء شديدة النعومة مقاومة للمياه ولا تساعد على نمو البكتيريا لطلاء الجدران الداخلية لإسطبلات الخيل والحمامات العامة، وكذلك استخدمت في طلاء الأسقف المخروطية للقباب الضريحية التي تعرف باسم الكومبد لحمايتها من تسرب المياه إلى داخلها وكذلك منع نمو الفطريات والبكتريا حفاظا على أجساد الموتى بها.
	إعادة استخدام الموارد	كان من الشائع في العصر الإسلامي وحتى قبل العصر المملوكي إعادة استخدام مواد البناء القابلة للنقل من عمائر قديمة للعمائر حديثة الإنشاء. وفي العصر المملوكي استمر هذا متبعا فيذكر المقريزي أن الظاهر بيبرس عندما أراد بناء جامعه كتب بإحضار عمد الرخام من سائر البلاد.[3] وكذلك نقل الناصر محمد إلى مدرسته بالنحاسين باب رخامي من إحدى كنائس مدينة عكا، بالإضافة إلى كميات أخرى من الأخشاب من عمائر قديمة. كذلك يذكر المقريزي عند حديثه عن جامع المارديني أنه "حمل إليه من الأخشاب والرخام وغيره من مواد البناء ما كان في جامع راشدة فاستخدمت فيه وجاء من أحسن الجوامع"[4] ونقل الأمير صرغتمش الرخام الذي كان موجودا في دار علم الدين المعروفة بالسبع	- أعيد استخدام مواد الإنشاء المختلفة والتي سبق استخدامها في عمائر قديمة في الأناضول خلال العصر السلجوقي، لاسيما مواد البناء الرخامية والحجرية الباقية في منشآت الرومان والبيزنطيين التي هُجرت وتخربت بعد فتح وسيطرة السلاجقة على مدن الأناضول. - فعند إنشاء جامع علاء الدين بقونية نقلت إليه الأعمدة الرخامية من العديد من الكنائس البيزنطية المتخربة والمتهدمة ونظرا لتفاوت أطوال الأعمدة أعد لها معماري المسجد قواعد وتيجان متفاوتة الطول حتى تتناسب ارتفاعاتها مع سقف البناء الجديد وما زالت حتى اليوم تحمل بعض هذه الأعمدة صور صلبان ووحدات زخرفية مسيحية.

[1] يتم في الرخام الخردة استخدام كسرات وقطع الرخام الصغيرة وتجميعها في أشكال هندسية دقيقة وجميلة، وغالبا ما استخدمت في تكسية أرضيات الصحون والأفنية المفتوحة في العصر المملوكي. انظر: آمال العمري: إعادة استخدام الرخام في العصر المملوكي، دراسات آثارية إسلامية، م1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – قطاع المتاحف 1982، ص258.

[3] المقريزي الخطط، جـ2، ص300.

[4] المقريزي، الخطط، ج2، ص308

		قاعات عندما صادره، وأعاد استخدامه بمدرسته.[1] كما يذكر المؤرخون أن السلطان برسباي عند بناء مدرسته أخذ رخام وزرتها من قصر بيسري بين القصرين.[2] وقد كان السلطان الغوري من أكثر سلاطين المماليك الذين قاموا بنقل المواد من الأبنية السابقة واستخدامها في منشآته، فيذكر ابن إياس أنه في سنة 911هـ اهتم السلطان بإصلاح بناء الدهيشة وفرش أرضها بالرخام، ولكن حصل منه الضرر وذلك أنه رسم بفك رخام قاعات كاتب السر أبي بكر مزهر ونقله إلى الدهيشة. ويذكر أيضا أنه في سنة 910هـ عمّر قاعة البيسرية وقاعة العواميد وغيرها من الأماكن التي بالقلعة وزخرفها بالرخام الذي أمر شهاب الدين أحمد ناظر الجيش بفكه من قاعدة والده.[3] كذلك قام الغوري سنة 914هـ بفك رخام قاعات الأتابكي أزبك واستخدمها بالأماكن التي أنشأها بالميدان.[4] وقد ورد بإحدى وثائق الغوري ما يشير إلى شرائه الرخام الذي كان بقاعة الطنبدي.[5]	- أعيد استخدام بعض قطع الرخام القديمة المزخرفة بزخارف رومانية وبيزنطية وكانت مستخدمة في عمائر متهدمة وخرائب كأعتاب للمداخل في بعض منشآت سلاجقة الأناضول كما في مدرسة مبارز الدين أرتقش بعطا بيه.[6] وقلعة كرمان، وأسوار ديار بكر. وضريح السلاطين الملحق بجامع علاء الدين بقونية، وغيرها. حتى إنه في بعض الأحيان استخدمت التراكيب الرخامية الرومانية كما هي بزخارفها بوصفها تراكيب دفن داخل أضرحة السلاجقة. - ويُذكر أنه عقب حدوث زلزال قوي بمدينة قونية زمن السلطان علاء الدين كيقباد وتضرر أجزاء كبيرة من قلعتها الداخلية ومساجدها ومدارسها استخدمت أحجار القلعة في إعادة تعمير المساجد والمدارس والخانات.[7]

[1] آمال العمري: دراسة الزخارف على لوح من الرخام عثر عليه في مدرسة صرغتمش، مجلة كلية الآثار، ع17، 1976، ص143-176.
[2] آمال العمري: إعادة استخدام الرخام في العصر المملوكي، ص259.
[3] ابن إياس بدائع الزهور، ج4، ص68، 80
[4] ابن إياس: بدائع الزهور، ج4، ص137- 138
[5] وقد نشرت د. آمال العمري وثيقة الشراء كاملة. انظر: آمال العمري: إعادة استخدام الرخام في العصر المملوكي، ص260- 269.
[6] الزهراء بهزاد (2020): مدرسة مبارز الدين أرتقش بعطا بيه بالأناضول (621هـ/ 1224م)- دراسة آثارية وثائقية معمارية، حولية الآثاريين العرب- دراسات في آثار الوطن العربي، م 16، ص469- 471.
[7] Zeki Atçeken (1998): Konya'daki Selçuklu Yapılarının Osmanlı Devrinde Bakımı ve Kullanılması, Türk Tarih Kurumu, Ankara, P. 21-22.

المعيار الخامس: جودة البيئة الداخلية

حرص المعماري المسلم على تهيئة بيئة داخلية مريحة للمبنى من خلال استخدام بعض العناصر والحلول والمعالجات المعمارية المختلفة. فالبيئة الإسلامية في مصر تتميز بالجفاف وانخفاض معدل الأمطار، وارتفاع شدة الإشعاع الشمسي، وارتفاع معدل الفاقد الإشعاعي ليلا، وبثبات نسبي في أنواع الرياح اليومية والموسمية، في حين أنها على العكس من ذلك في الأناضول التي تتميز بالبرودة وكثرة الأمطار والثلوج وانخفاض شدة الإشعاع الشمسي، وقد تبنى المعماري المسلم أسلوبًا في البناء متناغمًا مع تلك المعطيات المناخية ومستفيدًا منها، بحيث تتكرس المناحي البيئية لعمارة المسلمين بما يوفر معايير عالية من الجودة والشعور بالراحة في البيئة الداخلية للمنشأة، سواء أكانت دينية أم سكنية.[1]

وتمثل التغذية بالهواء الخارجي مع مراعاة الحد من الحرارة والبرودة حيث تكمن المعضلة في أن النوافذ تعد مصدرا رئيسيا لنفاذ الحرارة إلى داخل المبنى، مما جعل العمارة الإسلامية تطور أساليب مبتكرة للحصول على الإضاءة الطبيعية وطرد أشعة الشمس المباشرة لاسيما في المناطق الحارة خلال فصل الصيف مثل صيف مصر. كما أن توفير الإضاءة الطبيعية أهم إستراتيجيات العمارة المستدامة لتقليل العبء الحراري، وبالتالي توفير بيئة مريحة للساكنين وقد وجد أن الإضاءة الطبيعية من النوافذ أفضل بثلاث مرات في تحسين الرؤية من الإضاءة الصناعية المعادلة لها.[2]

المعيار	العنصر	أساليب تحققه في العمارة المملوكية في مصر	أساليب تحققه في العمارة السلجوقية في الأناضول
جودة البيئة الداخلية	التغذية بالهواء الخارجي	– استخدم الصحن المكشوف بوصفه نقطة مركزية لتحقيق مبدأ التوجه نحو الداخل، وكان بمثابة الرئة والمتنفس الرئيسي للمنشأة، حيث يعمل بوصفه منظما حراريا مستفيدا من التفاوت بين درجات الحرارة ليلا ونهارا، وتكوين أماكن ضغط متباينة ما بين الشوارع الضيقة المظللة والفناء الوسطي المفتوح. وكان يتوسط الصحن نافورة أو بركة ماء، وأحيانا كان يزرع بالأشجار المثمرة. حيث كانت تعمل هذه العناصر مجتمعة على	– كانت المنشأة تتغذى بالهواء الخارجي من خلال الصحن الأوسط ورغم أنه كان يغطى أحيانا باستخدام قبة مركزية كما نشاهد في طراز المدارس السلجوقية المغطاة فإن هذه القبة كان يتوسطها فنار ذو رقبة بها نوافذ زجاجية ذات أطر خشبية قابلة للفتح والغلق تسمح بمرور تيارات الهواء النقي وتحريك الهواء داخل المنشأة. – في حالة إبقاء الصحن مفتوحا بالكامل لتوفير أكبر كمية ممكنة من التهوية والإضاءة، كان يتم تصميم

[1] علي ثويني: المنحنى البيئي في العمارة الإسلامية.
[2] شهد أبو سرية: مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية الإسلامية. ص21.

		ترطيب الهواء الجاف وتخفيض درجة حرارته. ولقد أدخلت بعض التعديلات على مفهوم الفناء لضمان تدفق الهواء ومنها: - **الإيوانات** التي تفتح على الصحن بحيث تحتوي قدرا من الظل طوال اليوم، ويوجد إيوان صيفي يواجه الشمال، وآخر شتوي يواجه الجنوب. - **المقعد** وتكون واجهته محمولة على أعمدة ويطل على الصحن ولذا فهو يتعرض لأقل عدد من ساعات التعرض للشمس خلال النهار.	أماكن مغلقة مطلة على الصحن للحفاظ على التدفئة داخلها قدر الإمكان ففي المساجد مثلا كان يتم تصميم رواق القبلة بحيث يكون مغلقا ويتم الدخول إليه من خلال مدخل أو أكثر، كما في الجامع الكبير بديار بكر. أو غرف مغلقة على جانبي إيوان القبلة في مدرسة صرجالي بقونية ومدرسة مبارز الدين أرتقش بعطا بيه.
	توفير الإضاءة الطبيعية	- استخدام المشربيات وهي معالجات معمارية تسمح بدخول الرياح الملطفة، ولا تسمح بدخول أشعه الشمس، وتعمل المشربية على ضبط مرور الضوء بحيث ينثر الضوء الطبيعي داخل الغرفة ولا يحدث السطوع في الداخل. وتسمح بتدفق الهواء مع تحقيق الخصوصية بفضل خرطها الضيق، وتستعمل في الواجهات الصماء لتسمح بمرور تيارات الهواء التي تحتاجها المناطق الحارة والجافة مثل القاهرة. - استخدمت النوافذ الجصية المعشقة بالزجاج الملون في معظم مساجد ومدارس القاهرة المملوكية وهي تسمح بمرور الضوء والذي تنعكس أشعته بألوان بديعة داخل المنشأة نتيجة انعكاسه على الأسطح الملونة للزجاج، مع حجب حرارة وأشعة الشمس	- نظرا لبرودة الأناضول في معظم فصول السنة وقلة أشعة الشمس كان الحرص على فتح النوافذ الكبيرة لاستقبال أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس خلال فترات الصباح. - يراعى عند توجيه المنشأة لاسيما المدارس أن يستقبل إيوانها الرئيسي أكبر كمية من أشعة الشمس طوال اليوم. ولهذا نجد أنه على العكس من توجيه مدارس المماليك في القاهرة بحسب القبلة بحيث يكون المحراب في صدر إيوان القبلة. كانت الأولوية في توجيه الأواوين في مدارس الأناضول استقبال أكبر قدر ممكن من أشعة الشمس خلال ساعات النهار ولذا نجد المحاريب في العديد من منشآت السلاجقة في الأناضول في أحد الضلعين الجانبيين للإيوان الرئيسي.

		من النفاذ حيث يعمل الزجاج بوصفه عاكسا لها.	
	الحد من الحرارة أو البرودة	- وجود الأشجار والماء في الصحن الأوسط يوفر الظل ويجعل الهواء الموجود فيه باردًا، فينتقل الهواء البارد إلى الغرف المجاورة حيث النوافذ تكون سفلية وإذا دخل الغرفة وصار حارًا فإن كثافة الهواء الحار أقل من الهواء البارد لذا يصعد الهواء في أعلى الغرف ليجد النوافذ العلوية الخارجية ليخرج منها وهكذا يتجدد الهواء في دورة مستمرة لتبريد المساحات الداخلية في المنشأة. - استعمال الماء، وسقي الأشجار في الفناء يؤدي إلى رفع نسبة الرطوبة في الفضاء، فتؤدي إلى تلطيف الجو الداخلي ولاسيما في المناطق الجافة. - يكون ارتفاع جدار الفناء أكبر من طول أي من أضلاع قاعدته، أي أن يكون عميقًا بقدر محسوب ليوفر أكبر مساحة من الظل داخله. - استخدام الشوارع المغطاة بالكامل بالخشب مع وجود فتحات للتهوية كما في قصبة رضوان لاسيما أن هذا الشارع كان مخصصا لبيع الأقمشة الثمينة غالية الثمن والحريرية فكان الحرص على توفير الظل اللازم لحماية المنتجات والسلع.	- استعملت السقائف في الصحن الأوسط للتظليل كما عني بغرس الأشجار في الحديقة التي تقع عادة شمال المبنى لتلعب صفة المصفى ضد الأتربة وتنظيم عملية البخر التي تضطلع بها الفسقة الموجودة في الصحن المكشوف. - وفي المناطق الباردة من الأناضول كان يتم تسقيف معظم الفناء أو بعضه، للحماية من العواصف والرياح والبرودة، ويوفر تسقيف الفناء إمكانية الحفاظ على الحرارة المكتسبة خلال ساعات النهار. استعمال الأخشاب في تكسية الأرضيات والحوائط الداخلية للمنشأة عززت الشعور بالدفء في الفضاء الداخلي للمنشأة خلال فصل الشتاء. - كانت توجد شوارع مغطاة كذلك، ولكنها على عكس شوارع القاهرة المغطاة التي كان الهدف منها توفير الظل من حرارة شمس النهار فقط، كان الهدف من تغطية الأسواق في الأناضول توفير الدفء والحماية من البرد فكان الشارع مسقوفا بالكامل بالبناء الحجري دون فتحات وكان يغلق عليها بوابات محكمة فيما عرف بالبادستانات.

	الحد من الضوضاء	– ساهم استخدام بعض المعالجات المناخية كالحوائط السميكة والأفنية الداخلية والحدائق والفتحات الخارجية الضيقة والنهايات المقفولة للشوارع في كل من القاهرة والأناضول، في عزل جيد للمباني الإسلامية عن الضوضاء الخارجية.[1] – تصميم المداخل المنكسرة لاسيما في عمارة المدارس المملوكية حيث إن الممرات الطويلة والمنكسرة التي تربط بين باب الدخول وصحن المنشأة توفر قدرا من العزل الكافي للضوضاء ما يوفر جوا هادئا داخليا للطلاب بعيدا عن ضوضاء الطرق والشوارع في الخارج. – عزل مناطق الإزعاج والضوضاء كالأسواق مثلا عن المناطق المنازل والمدارس والمساجد والخانقاوات وغيرها، فقد كانت هناك شوارع وأسواق تخصصت في بيع أنواع محددة من السلع سواء أكان ذلك في القاهرة خلال العصر المملوكي، أم في مدن الأناضول خلال العصر السلجوقي.[2]

المعيار السادس: المعالجات المعمارية

لجأ المعماري المسلم إلى اتباع معالجات معمارية وتخطيطية عدة في منشآته بهدف توفير الراحة والدمج الكامل للمنشأة في البيئة وتحقيقًا لمبدأ جلب المنافع ودفع المضار. فنجد بعض الحلول المعمارية التي استخدمت في منشآت كلٍ من العصرين المملوكي والسلجوقي، كل بما يتناسب مع طبيعة البيئة الجغرافية والمناخية.

المعيار	العنصر	أساليب تحققه في العمارة المملوكية في مصر	أساليب تحققه في العمارة السلجوقية في الأناضول
الإبداع التصميمي	المعالجات المعمارية	– استخدام السلالم ذات الطرفين لتسهيل المرور في الطريق العام لاسيما أن شوارع القاهرة خلال العصر المملوكي عرفت بضيقها وتعرجها وذلك كنوع من المعالجات المعمارية المناخية.	– استخدام المداخل الجرارة والتي تنزلق في مجرى داخل الحائط السميك أو خلف الجدار بحيث لا تشغل حيزا من الفراغ الداخلي عند فتح وغلق الباب. وقد ظهر له نموذج واحد في العصر المملوكي في مصر في مدرسة قجماس الإسحاقي.

[1] عمرو خير الدين (1997): المعالجات البيئية في تخطيط المدن الإسلامية وتصميم مبانيها– القاهرة ص855– 877؛ يحيى وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، ص134.

[2] Saide Selin ERAY ve İzzettin KUTLU (2021): Anadolu'da Selçuklu ve Osmanlı Kent Yapısında Çarşının Konumu ve Mekânsal Kurgusu Üzerine Bir İrdeleme, Kent Akademisi | Kent Kültürü ve Yönetimi Dergisi | Cilt: 14 Sayı: 2, P. 508– 512

		- عمل انكسارات بشكل زوايا قائمة متعدد بواجهة المنشأة ذاتها لتحقيق أكبر استفادة ممكنة من توزيع الوحدات الأساسية للمنشأة عليها مثل السبيل ذي الشباكين وتوفير حجر للمدخل يسمح بتدفق المصلين من وإلى المنشأة دون عرقلة الطريق العام. وهو ما نشاهده في معظم المدارس المملوكية ومن الأمثلة التي أبدع المعماري المسلم في تصميمها واجهة مدرسة قجماس الإسحاقي. - تفاوت سمك الجدران في ذات الواجهة وذلك لتوفير مساحة داخلية منتظمة ومتوافقة مع اتجاه القبلة، وفي الوقت نفسه تتماشى مع الطريق العام الذي تقع عليه المنشأة مما أدى إلى تفاوت في سمك الجدار الواحد وكان ذلك يظهر بوضوح في عرض الأعتاب السفلية لشبابيك المنشأة كما هو الحال في مدرسة السلطان قلاوون بشارع المعز، ومدرسة وضريح الصالح نجم الدين أيوب المقابلة لها مباشرة. ويعد أقدم مثال لاستخدام هذا النوع من المعالجات المعمارية في القاهرة في مسجد الأقمر والذي يرجع إلى العصر الفاطمي.	- وجود حجر مربع يصل ارتفاعه إلى حوالي 50 سم مندمج في أحد أركان البناء وعادة ما يكون مندمجا في الركن المجاور لباب الدخول ويعرف باسم حجر الركوب بحيث يقف عليه مستخدم المنشأة حتى يتمكن من ركوب دابته بسهولة وبدون عناء. - في حين كانت المساطب[1] أو ما يعرف بالمكاسل في منشآت المماليك بالقاهرة عبارة عن كتلتين حجريتين مكشوفتين يكتنفان باب الدخول، تم تصميمهم في كتل المداخل السلجوقية بالأناضول على شكل محرابين في الجدارين الجانبيين لكتلة المدخل بحيث يوجد جلسة أسفل كل منهما وذلك لحماية الحارس من مياه الأمطار وذلك تماشيا وتجانسا مع الطبيعة المناخية للأناضول والتي تتميز بكثرة الأمطار.

[1] عبارة عن كتلتين حجريتين مربعتين يكتنفان كتلة المدخل بهدف جلوس الحارس عليها لتنظيم الدخول في المدارس مثلا ومنع دخول الكلاب إلى داخل المنشآت الدينية كالمساجد والخنقاوات وغيرها. وكانت المساطب من أهم الوحدات المعمارية بالمداخل المملوكية.

		– عمل عمود مندمج بناصية المنشآت أو جعل الركن مشطوفا وذلك بهدف الحفاظ على أركان المنشأة وحمايتها من التكسر نتيجة اصطدام العربات التي تجرها الدواب بها، حيث إن عمود الناصية أو الركن المشطوف يحمي أركان المنشأة كما يسهل حركة مرور العربات التي تجرها الدواب لاسيما في الأزقة والحارات الضيقة التي تميزت بها شوارع القاهرة خلال العصر المملوكي.	

التعليق على الجداول السابقة ومدى تحقق معايير الاستدامة الحديثة في عمارة المماليك بالقاهرة والسلاجقة في الأناضول

إن الهندسة المعمارية للشعوب تُعد إطارًا لأنماط حياتهم في الواقع، ونظرا للطبيعة العالمية التي ميزت الحضارة الإسلامية وكون العمارة الإسلامية جزءًا لا يتجزأ منها. فلم تقتصر العمارة الإسلامية على مجموعة عرقية أو حلقة تاريخية أو منطقة جغرافية محددة. كما لم يحكمها تصور مقيد أو نظرة مستقبلية، أو مجموعة من الأساليب والتقنيات الصارمة.[1] ومن خلال الجداول السابقة نلاحظ تحقق معايير العمارة المستدامة إلى حد كبير جدا في العمارة الإسلامية في القاهرة والأناضول خلال العصرين المملوكي والسلجوقي، كل بما يتناسب مع طبيعة البيئة الجغرافية والطبيعية. فكانت العمارة الإسلامية مرنة ومفتوحة لجميع الشعوب لإثراء فلكها لا المتناهي من خلال أساليبهم وتقنياتهم المختلفة. وتعد العمارة الإسلامية ظاهرة عالمية ذات نظرة لا تستفيد فحسب من التجارب السابقة وتطويرها، بل تتجاوز ذلك إلى إنتاج تفاعل حقيقي بين المبادئ والمعتقدات الإسلامية – التي تعطي العمارة الإسلامية جوهرها – وتلك العناصر والمكونات الزمنية التي تعطيها شكلها وتكوينها الخاص. ونتيجة لذلك فقد وُظفت مواد البناء المحلية والخبرات والحرفيين على نطاق واسع، وطبقت مفهوم الاستدامة الحقيقية بمفهومها الحديث المقنن.

[1] Burckhardt, Titus. (1976). *Art of Islam*. London: World of Islam Festival Publishing Company Ltd; Bianca, Stefano. (2000). *Urban Form in the Arab World*. London: Thames and Hudson.

وهكذا تمكنت المظاهر المبكرة للعمارة الإسلامية من الحفاظ على سلامتها البيئية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية رغم اختلاف النطاق الجغرافي والثقافي للبيئة التي نشأت بها. وعلى الرغم من عدم تفصيل مصطلحات التنمية المستدامة أو العمارة المستدامة في تلك الفترة الزمنية من تاريخ الدولة الإسلامية فإنه قد تم شرحها من الناحية التطبيقية في العمارة الإسلامية وكان هذا مسارًا طبيعيًا متوافقًا تمامًا مع طبيعة الإسلام ورسالته.

فليس من العدل بأي حال من الأحوال أن نتهم المسلمين الأوائل والحضارة الإسلامية بالاقتراض الأعمى من الآخرين أو تقليدهم واقتباس أساليب السابقين وطرزهم المعمارية أو أنهم كانوا بطيئين حتى تمكنوا من إيجاد طرز معمارية وأساليب بنائية خاصة بهم، بل يجب النظر للأمر من منظور أعمق؛ إذ إن الهدف الحقيقي للمعماري المسلم هو دمج المكونات والأساليب المعمارية مع جوهر المبادئ السامية للدعوة الإسلامية فنشأت عمارة مستدامة حقيقية بقيت نماذجها قائمة وشاهدة حتى اليوم على مفهوم الاستدامة والبقاء في العمارة الإسلامية. فلم يكن هدف المسلمين عند فتح الأقاليم المختلفة إلغاء واستئصال التقاليد الأصلية وأنظمة الحياة التي طورها الناس عبر القرون بوصفها الأكثر فاعلية في ظروفهم المعيشية والتي لا تتعارض مع معايير ومبادئ الإسلام. إذ تم الحفاظ على هذه التقاليد وأنظمة الحياة سليمة.[1]

وفي الحقيقة لم تكن الهندسة المعمارية على قائمة الأولويات المباشرة للمسلمين كما هو الحال لدى الفارسيين والبيزنطيين. بل كان غرس القيم والمبادئ السامية للدعوة الإسلامية هي التي أدت بدورها إلى إخضاع العمارة لمستويات مختلفة حققت النفع للمجتمع والبيئة. وبالتالي من المهم أن نضيف الإشارة إلى المنطقة الجغرافية أو المجموعة العرقية في وصف العمارة الإسلامية فنقول "العمارة الإسلامية الأموية، أو العمارة الإسلامية العباسية، أو العمارة الإسلامية التركية، أو العمارة الإسلامية الإيرانية، أو العمارة الإسلامية المصرية... إلخ"، وهذا لا يقلل من شأن العمارة الإسلامية، بل على العكس يوضح ويعترف بدور الإسلام في ترسيخ مبادئ التنمية المستدامة في التنوع والوحدة بوضوح. فلا يوجد أسلوب معماري أصلي أولا ثم إسلامي ثانيًا. فالإسلام هو روح وهوية العمارة التي نشأت في ثقافات ومجتمعات مختلفة. وهذا يؤكد أن الإسلام رغم أنه أرسى دعائم حضارة عالمية جديدة ملهمة، فإنه قد أدرك أن كل مجتمع قادر على المساهمة في الرفاهية المستدامة للمجتمع البشري.

إمكانية تطبيق مبادئ الاستدامة التي استخدمت في العمارة الإسلامية على العمارة الحديثة

[1] Spahic Omer (2016): A conceptual framework for sustainability in Islamic architecture, https://www.medinanet.org/arabic/

إن العلم الحديث قادر على تطوير قدرات الإنسان من أجل استغلال المصادر الطبيعية بشكل يفوق ما حققته العمارة الإسلامية في العصور القديمة، بيد أن ذلك يتطلب تطبيقا منهجيا للعلم ومقارنة شاملة بين الإنشاءات الحديثة والتقليدية، وإحياء المبادئ التي اعتمدت عليها الحلول التقليدية. بغير هذه الطريقة لا يمكن للعمارة الحديثة أن تتفوق بإنجازاتها الإنسانية والبيئية على ما قد أنجزته العمارة التقليدية، حيث إن الوسائل والأفكار المعمارية التقليدية قد تفقد أهميتها مقابل الراحة والسهولة اللتين توفرهما الحلول الميكانيكية، لكنها أدت إلى الاستعمال غير المحدود للآلة، ذلك الاستعمال الذي ساهم في المشكلات الحالية للطاقة والبيئة. ومن أجل ذلك كان العمل الجاد للعودة إلى مصادر الطاقة الطبيعية، وفي هذا المجال يمكن أن تكون الحلول التقليدية التي طورتها أجيال من المجتمعات في عمارتها التقليدية، بالاعتماد فقط على مصادر الطاقة الطبيعية، ذات فائدة عظيمة لفتح آفاق جديدة من البحث والتطبيق.[1]

وقد توافقت المنشآت المملوكية في مصر، والسلجوقية في الأناضول مع البيئة بكل إيجابياتها وسلبياتها، إذ تحققت الحماية بالحد من تأثير الظروف البيئية الطبيعية كالمناخ الحار والرطوبة النسبية، أما التكيف فكان باستغلال الإمكانيات الكامنة لمصادر الطاقة الطبيعية كالشمس والرياح. هناك العديد من المبادئ الأساسية التي استندت إليها العمارة الإسلامية في البيئات المختلفة، والتي يمكن مع بعض التعديل والتطوير أن تكون مؤشرات دالة لتصميم عمارة مستدامة معاصرة. ومما لا شك فيه أخيرا أن العمارة الإسلامية رغم اختلاف أقاليمها وأساليب تنفيذها وتنوع طرزها فإنها تعد من أحد أهم النماذج نجاحا في تحقيق مفاهيم العمارة المستدامة، حيث نجحت في تحقيق التوازن بين الجمال والوظيفة، فقد وجدت عناصر التراث المعماري الإسلامي لتعمل ويكمل بعضها بعضا، مع التوليف بين الظروف المناخية والبيئية والاجتماعية المختلفة. أما العمارة المعاصرة فهي تواجه تحديات كثيرة لتثبت أنها قادرة على استيعاب متطلبات التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة، لذا فعليها إعادة استكشاف مبادئ العمارة التقليدية واختيار الملائم منها للبيئة المحلية والمؤثرات البيئية، لتطوير هذه المبادئ ومزجها بالتقنيات الحديثة، واستخدامها في عماراتنا المعاصرة ومساكننا في الوقت الحاضر والمستقبل، حيث يمكن للتقنيات الحديثة أن تجعل استخدام مبادئ العمارة التقليدية أكثر يسرا وكفاءة لتحقيق مبادئ العمارة المستدامة.

الخاتمة

في الواقع لا تنفصل أفكار ومبادئ العمارة المستدامة عن أهمية المبادئ الإسلامية للإنسان والطبيعة والحياة الشاملة وعالمية القضية الإسلامية. علاوة على ذلك فإن جوهر فكرة الاستدامة أي الحفاظ على مصالح ورفاهية الأجيال الحالية والمستقبلية، وكذلك الحفاظ على الثروة والموارد المجتمعية

[1] شهد أبو سرية (2018): مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية الإسلامية.

والطبيعية والبيئية، يمثل جزءًا رئيسيًا من أهداف ومقاصد الإسلام. وبسبب هذا أصبحت العمارة الإسلامية أداة ووسيلة وليست هدفًا لذاته. ومن هنا يجب أن يلتزم الناس بالاعتدال في البناء وفقا لاحتياجاتهم الشخصية والمجتمعية وبالطبع وفقًا للفائدة من البناء من خلال أهميتها ووظيفتها فلا يجب على الناس أن يبنوا أكثر مما يحتاجون إليه حقًا وأكثر مما يمكن أن يستمر، إن فكرة إنشاء مبانٍ غير مستدامة معماريًا واجتماعيًا وروحيًا قد تثبت على المدى الطويل أنها كارثية على مستقبل استدامة المجتمع المسلم كله.

قائمة المراجع

- إبراهيم السقا: المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد، ص18- 19.
- أبو حامد المقدسي الشافعي: الفوائد النفيسة البهيرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة، تحقيق: آمال العمري، وزارة الآثار المصرية- مشروع المائة كتاب 10- 1988، ص1-2.
- أسامة قنبر وأحمد علاء لبدة (2019): معايير التصميم الداخلي المستدام في ضوء نظام تقييم الهرم الأخضر، مجلة البحوث الهندسية (ERJ)، م4، ص50.
- ألفريد لوكاس (1990): المواد والصناعات عند قدماء المصريين (ترجمة: زكي إسكندر ومحمد زكريا)، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص127.
- آمال العمري: إعادة استخدام الرخام في العصر المملوكي، دراسات آثارية إسلامية، م1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – قطاع المتاحف 1982، ص258.
- آمال العمري: دراسة الزخارف على لوح من الرخام عثر عليه في مدرسة صرغتمش، مجلة كلية الآثار، ع17، 1976، ص143-176.
- أمجد القرداغي وأميد صديق. (2012): الاستدامة في العمارة المحلية إمكانية تطبيق مبادئ الاستدامة في المسكن المحلي، مجلة المخطط والتنمية، العدد 26، ص97.
- حسن فتحي (1988): الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص81.
- حمدي صادق (1994): تأثير العوامل المناخية على التشكيل المعماري للعمارة الإسلامية (دكتوراة غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة حلوان، ص72.

- حيدر كمونة – مقال: دور المعالجات البنائية في تحسين البيئة السكنية –جريدة المدى- بغداد.
- الزهراء بهزاد (2020): مدرسة مبارز الدين أرتقش بعطا بيه بالأناضول (621هـ/ 1224م)- دراسة آثارية وثائقية معمارية، حولية الآثاريين العرب- دراسات في آثار الوطن العربي، م 16، ص469- 471.
- سعاد ماهر. (2017): مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ج1، ص 144.
- شهد أبو سرية (2018): مبادئ الاستدامة في العمارة التقليدية الإسلامية. ص21.
- عبد الرحيم غالب (1988): موسوعة العمارة الإسلامية، بيروت، ص363؛ يحيى وزيري (2004): العمارة الإسلامية والبيئة، ص94.
- عبد الستار عثمان (1988): المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ص102.
- علي ثويني (2018): المنحنى البيئي في العمارة الإسلامية.
- عمار سالم: طبقات العمارة المستدامة، مجلة الهندسة، العدد 4، المجلد، 14، ص 578- 579.
- عمر فروخة (2006): الطاقة في العمارة المحلية المستدامة- أثر خصائص التنظيم الفضائي للمنظومة السكنية على صيغ استهلاك الطاقة، دكتوراة غير منشورة – بغداد، ص11.
- عمرو خير الدين (1997): المعالجات البيئية في تخطيط المدن الإسلامية وتصميم مبانيها- القاهرة ص855- 877؛ يحيى وزيري: العمارة الإسلامية والبيئة، ص134.
- مساعد العنقري (1992): المدينة الإسلامية وتطورها العمراني والحضري، سجل أبحاث ندوة "تأثير المنهج الإسلامي في التصميم المعماري والحضري" منظمة العواصم والمدن الإسلامية- جدة، ص93-98.
- مي أسامة وآخرون (2016): تقيم تجربة العمارة المستدامة في مصر، مجلة كلية الهندسة بجامعة الأزهر، مجلد 11، ع 39.
- وليد الغمري بركات وآخرون (2018): دراسة مقارنة بين معايير ليد ومبادئ الاستدامة في العمارة الإسلامية، مجلة العمارة والفنون، ع10، ج3، ص797.

- يحيى وزيري (2004): العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة– الكويت، ص 93.

- Bekir Eskici (2006): Anadolu Selçuklu ve Beylikler Döneminde Alçı Mihrablar, sanat tarihi dergisi, P. 57– 75.
- *Bianca, Stefano. (2000).* Urban Form in the Arab World. *London: Thames and Hudson;*
- Burckhardt, Titus. (1976). *Art of Islam*. London: World of Islam Festival Publishing Company Ltd; Bianca,
- Gifford, Robert. (1997). *Environmental Psychology*. Boston: Allyn & Bacon*;*
- *Nasr, Seyyed Hossein. (1987).* Islamic Art and Spirituality. *Albany: State University of New York Press.*
- Omer, Spahic. (2009). *Islamic Architecture: Its Philosophy, Spiritual Significance and Some Early Developments*. Kuala Lumpur: A.S. Noordeen.
- *Reynolds, John, S. (2002).* Courtyards: Aesthetic, Social, and Thermal Delight. *New York: John Wiley & Sons, INC.*
- Saide Selin ERAY ve İzzettin KUTLU (2021): Anadolu'da Selçuklu ve Osmanlı Kent Yapısında Çarşının Konumu ve Mekânsal Kurgusu Üzerine Bir İrdeleme, Kent Akademisi | Kent Kültürü ve Yönetimi Dergisi | Cilt: 14 Sayı: 2, P. 508– 512
- *Sinan's Autobiographies, Five Sixteenth-Century Texts*. (2006). Introductory notes, critical editions and translations by Howard Crane and Esra Akin. Edited by Gulru Necipoglu. Leiden: Koninklijke Brill NV.
- Spahic Omer (2016): A conceptual framework for sustainability in Islamic architecture www.medinanet.org/
- Stefano. (2000). *Urban Form in the Arab World*. London: Thames and Hudson.
- Yaşar Erdmir, Sırçalı Medrese– Mezar Anıtları Müzesi, Konya İl Kültür Müdürlüğü yayın no. 37
- Zeinab Abd El-Kader and Reham Momtaz. (2010). Sustainability in architecture between the past and the future, international conference on urbanism and green architecture, p5.
- Zeki Atçeken (1998): Konya'daki Selçuklu Yapılarının Osmanlı Devrinde Bakımı ve Kullanılması, Türk Tarih Kurumu, Ankara, P. 21–22.

- https://www.breeam.com/discover/how-breeam-certification-works/
- https://www.usgbc.org/leed 10-10-2021

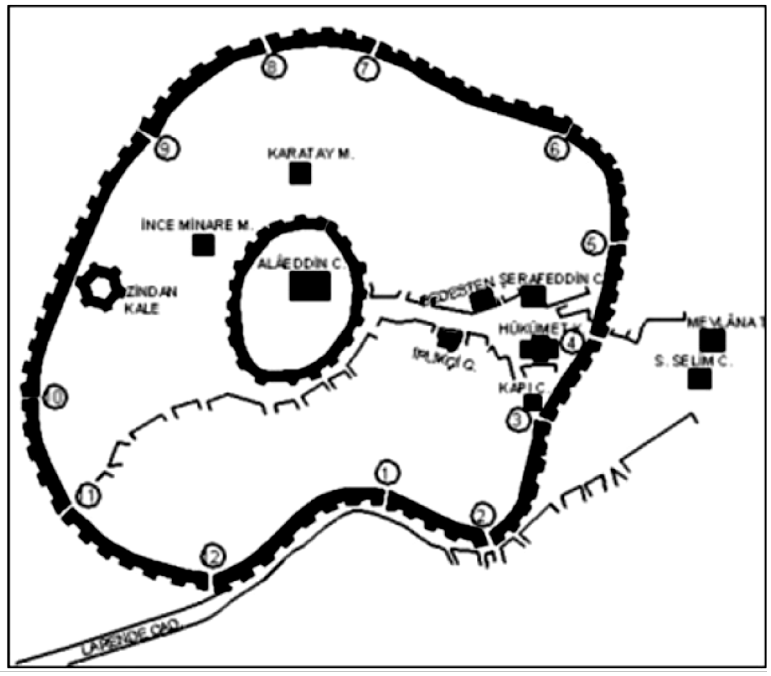

مسقط أفقي لمدينة قونية عاصمة الدولة السلجوقية بالأناضول توضح القلعة الداخلية والسور الخارجي للمدينة، كما أنها تظهر مناطق الأسواق بالمدينة (عن: Baş and Bozkurt)

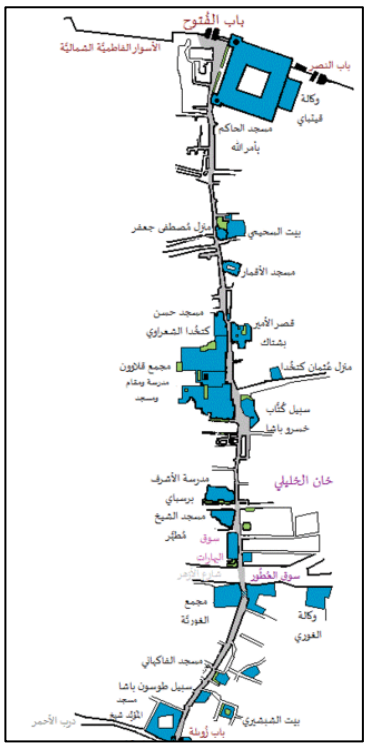

مسقط يوضح التصميم المتضام وتقليل الأسطح الظاهرة من المنشآت بشارع المعز بالقاهرة خلال العصر المملوكي

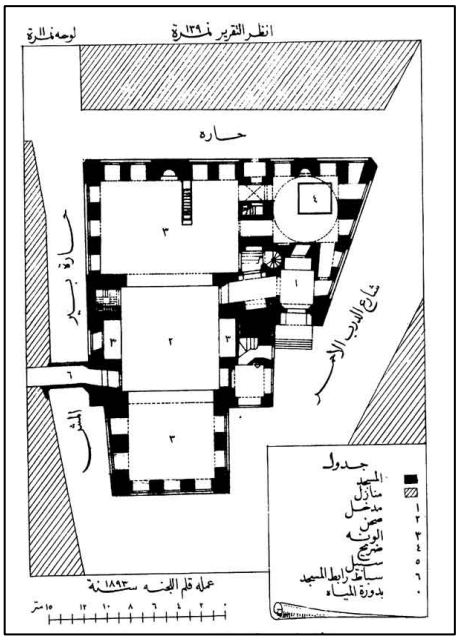

مسقط أفقي لمدرسة قجماس الإسحاقي بالقاهرة، ويظهر بها انكسارات الواجهة المتعددة لخلق فضاء أمام مدخل المنشأة، وكذلك يظهر عنصر الساباط الذي يربط بين قسمي المنشأة دون قطع الطريق العام (عن: عاصم رزق)

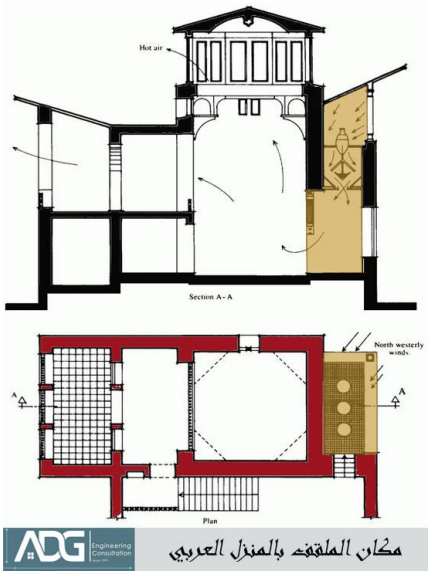

الملقف الهوائي ببيت السحيمي بالقاهرة (تصوير الباحثة)

جزء من قناطر أبي المنجا بالقليوبية والتي ترجع للعصر المملوكي ويظهر عليها رنك السبع الخاص بالسلطان الظاهر بيبرس والتي تنقل مياه النيل إلى المناطق البعيدة عنه (تصوير الباحثة)

الصحن الأوسط بقصر الأمير طاز بالقاهرة ويظهر به زراعة الصحن واحتواؤه على حوض مائي، كما يظهر عنصر المقعد الذي يشرف على الصحن ببائكة من عقود (تصوير الباحثة)

السلم ذو الطرفين الذي يتقدم مدخل مدرسة مملوكية بالقاهرة ويظهر عنصر البناء بالحجر وتكسية المداخل بالرخام (تصوير الباحثة)

الصحن الأوسط المغطى في مدرسة أرتقش بعطا بيه بالأناضول وهي إحدى مدارس العصر السلجوقي. ويتوسط الصحن حوض تجميع الثلوج خلال فصل الشتاء لتخزينها في صهاريج واستخدامها في الصيف (تصوير الباحثة)

إعادة استخدام الألواح الرخامية من عمائر قديمة في مدرسة أرتقش بعطا بيه بالأناضول (تصوير الباحثة)

تسقيف الصحن بقبة مركزية في مدرسة كرتاي بقونية وعمل فنار يتوسط القبة لتوفير الإضاءة والتهوية (تصوير الباحثة)

دراسة مسحية لرؤى الخبراء الأكاديميين عن برامج القنوات التلفزيونية العربية (قناة العربية) نموذجا

Arab media and the consolidation of cultural identity values A survey study of academic experts' views on Arab TV channels' programs (Al-Arabiya channel) as an example

أ.د. هنيدة قنديل أبو بكر
جامعة أبو ظبي، كلية الآداب والعلوم
قسم الإعلام

Abstract:

As a result of the current digital communication pattern, societies faced the most devastating types of wars that destroy the local fabric. Arab and Islamic societies were at the forefront of societies searching for ways to protect and preserve their cultural identity from the danger of dissolution and dangerous transformation. This study seeks to determine the relationship between the contents of media messages (with Arab TV channels/ Al Arabiya channel as a model) and the consolidation of the values of Arab cultural identity. It also aims to achieve a main goal, which is to monitor and analyze the experts' visions and their evaluation of the role of Al-Arabiya channel in consolidating the values of cultural identity. It relied on the survey method, both descriptive and analytical, and the study concluded that the Arab media is not reliable in providing content that cares about Arab issues and dealing with them in a way that enhances the values of Arab and Islamic cultural identity. The study recommended good planning by developing a well-defined plan aimed at consolidating the values aiming at consolidating the Arab-Islamic cultural identity, and setting well-thought-out, organized and clear-cut mechanisms to consolidate the values of identity through programs, the sober Arabic language, and interested coverage of Arab and Islamic affairs.

المستخلص:

التحم العالم اليوم ليصبح قرية صغيرة متداخلة ومتشابكة الأطراف تسود فيها مفاهيم السيطرة، والهيمنة وتنميط الشعوب عبر العولمة وأذرعها الضاربة في وحدة المجتمعات وتماسكها، ونتيجة للنمط الاتصالي الرقمي الراهن واجهت المجتمعات أعتى أنواع الحروب المدمرة للنسيج المحلي، وكانت المجتمعات العربية والإسلامية في مقدمة المجتمعات الباحثة عن سبل حماية هويتها الثقافية وصونها

من خطر الذوبان والتحول الخطير، وتسعى هذه الدراسة إلى تحديد العلاقة بين مضامين الرسائل الإعلامية (بالقنوات التلفزيونية العربية/ قناة العربية نموذجًا)، وترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية، وتفترض الدراسة أن الرسائل الإعلامية تلعب دورًا مهمًا في ترسيخ قيم التوعية الكفيلة بتحقيق قيم الهوية الثقافية العربية لدى الجمهور المستقبل للرسائل الإعلامية، كما تهدف إلى تحقيق هدف رئيس هو رصد وتحليل رؤى الخبراء وتقييمهم لدور قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، وتقع الدراسة في إطار الدراسات الوصفية الميدانية التحليلية والكيفية التي تهتم برصد الظاهرة وتفسيرها وتحليل أبعادها، وقد اعتمدت على منهج المسح بشقيه الوصفي والتحليلي، وقد توصلت الدراسة إلى أنه **يعول على الإعلام العربي في تقديم مضمون يهتم بالقضايا العربية** وتناولها بما يعزز قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية، إلا أن الخبراء الأكاديميين يجمعون على تباطؤ دور الإعلام العربي في القيام بدوره الجوهري في تدعيم قيم الثقافة **العربية، وقد أوصت الدراسة بالتخطيط الجيد بوضع خطة واضحة المعالم تهدف** لترسيخ القيم الرامية لترسيخ الهوية الثقافية العربية الإسلامية، ووضع آليات مدروسة ومنظمة وواضحة المعالم لتوطيد قيم الهوية عبر البرامج، واللغة العربية الرصينة، والتغطية المهتمة بالشأن العربي والإسلامي.

مقدمة:

يعتبر تطور الاتصال الذي نشهده اليوم متسقًا مع حاجة الإنسان للاتصال، فهو مدمج في هويته بحيث لا يستطيع إلا أن يكون متصلا، فكان التطور في النماذج الاتصالية عبر التاريخ يأخذ أشكالا وصورًا لا حصر لها كما تطورت أدوات الاتصال، والتقنية المناسبة لها كأحد أهم الأبواب التي فتحت للحرية الاتصالية وبث المعلومات، وعليه فتح باب حرية الاختيار، وفتح حرية التعرف على الثقافات العالمية المتعددة، فقد تبددت جميع الحواجز الزمانية والمكانية في صيغة الاتصال الرقمي الحديث، وأصبحت الوسيلة والغاية والمضمون متداخلة ومتشابكة مما شكل عقدة وتحديًا أمام المجتمع ومؤسساته الهادفة لحماية أفراده من هيمنة الفيض المعلوماتي الكبير والخطير، و(أمام إشكالية العلاقة وجدليتها بين الاتصال والثقافة وما نتج منها من فرضيات على مستوى تشكل المخيلة الجماعية والفردية، وتشكيل أنماط سلوك وحياة تفكير جديدة ومغايرة، فإننا، بغض النظر عن الفرضيات المتضاربة ذات المنحى الخطي، تساءلنا عن العوامل الكامنة وراء ضعف الثقافة العامة المتمظهرة في وسائل الإعلام، وعن المتغيرات التي طالت العمل الإعلامي في مقاربته موضوع الثقافة. (الإعلام العربي ورهانات التغيير في ظل التحولات، 2017، 17).

ولعل ظهور مصطلحات ومفاهيم وقضايا تهتم بترسيخ قيم الهوية الثقافية المحلية ودور الإعلام في ذلك صار من أهم القضايا التي تشغل الهم العربي اليوم، فقد أصبح التحكم والتأثير في العملية الاتصالية أشد صعوبة من وطأة الحروب، إذ شكل الاتجاه نحو الانفتاح على الآخر، وتبدد الحدود والأنساق المغلقة

كسمة أساسية يتصف بها عصرنا الحالي عصر الاتصال الدولي وهيمنة العولمة وشيوع الثقافات الغربية على حساب الثقافات المحلية شكل تحديًا لمسألة الهوية الثقافية التي تأثرت سلبًا في ظل سيطرة العولمة وهيمنة الثقافات الغربية، فقد أصبح الحفاظ على الملامح والأشكال الثقافيّة الأساسيّة الثابتة من أعظم التحديات التي تهدد سلامة المجتمع وهويّته الثقافيّة سواء كانت تأتي انطلاقًا من تقاليد وعادات العائلة والمجتمع المحيط به، أو عاشها الفرد منذ لحظة ميلاده فكانت الأساس في تكوينه طيلة أيام حياته، وأصبحت جزءًا من طبيعته، أو انطلاقًا من الدين.

ونسلط الضوء من خلال هذه الدراسة على دور الإعلام العربي في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، وذلك في إطار الدور الوظيفي للإعلام، وقد قسمت الدراسة لقسمين رئيسيين هما: الإطار المنهجي والنظري للدراسة، والذي ركز على تحليل الدور الوظيفي للإعلام في ترسيخ وتدعيم قيم المجتمع الهادفة لسلامته والحفاظ عليه في وجه التحديات، أما الإطار التطبيقي (الدراسة الميدانية)، فقد ركز على رصد وتحليل رؤى الخبراء الأكاديميين في دور الإعلام الوظيفي عبر تقييم أداء قناة العربية التلفزيونية نموذجًا، كما طرحت الدراسة خارطة طريق للإعلام العربي من خلال استشارة عمداء الكليات الجامعية ورصد توصياتهم لرسم رؤية رائدة للإعلام باعتباره المؤسسة المجتمعية المهمة.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

مشكلة الدراسة وأهميتها:

يقوم الإعلام بدورٍ رئيسي في تنمية وتثقيف الجمهور، وتعزيز القيم التي تحقق إشباع حاجة الجمهور، وترضي تطلعاته، ويزداد دور الإعلام أهمية لكونه يسهم في إدارة القضايا المهمة، والمؤثرة في سلامة، وتماسك المجتمع العربي، ولعل قضية الهوية الثقافية تأتي في مقدمتها، وتسعى هذه الدراسة إلى تحديد العلاقة بين مضامين الرسائل الإعلامية (بالقنوات التلفزيونية العربية/ قناة العربية نموذجًا)، وترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية، وتفترض الدراسة أن الرسائل الإعلامية تلعب دورًا مهمًا في ترسيخ قيم التوعية الكفيلة بتحقيق قيم الهوية الثقافية العربية لدى الجمهور المستقبل للرسائل الإعلامية، وعليه تسعى هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيسي (ما دور مضامين الرسائل الإعلامية (التلفزيونية على وجه الخصوص) في تعزيز قيم التوعية لتحقيق قيم الهوية الثقافية العربية.

وتتفرع منه الأسئلة التالية:

1-إلى أي مدى يمكن للرسائل الإعلامية أن تسهم في ترسيخ قيم التوعية الكفيلة بتحقيق قيم الهوية الثقافية العربية لدى الجمهور؟

2-هل توجد علاقة بين مضامين الرسائل الإعلامية وترسيخ قيم التوعية والتنوير العلمي؟

3-هل وظفت الرسائل الإعلامية المبثوثة عبر شاشات التلفزيونات العربية لتوعية الجمهور وتثقيفه بقيم الهوية الثقافية العربية؟

وتتمثل أهمية الدراسة في كونها تدرس تعرض المجتمع العربي (دراسة ميدانية)، من خلال رصد مدى التأثير خاصة فيما يتعلق بترسيخ قيم الوعي بالهوية الثقافية، وتزويدهم بالمعلومات الكفيلة بتعزيز الصورة الذهنية الراسخة عن قيم الهوية العربية، والإسلامية، وتزداد أهميتها لكونها تضفي قيمة تطبيقية ناتجة من الاستفادة من نتائج هذه الدراسة، والدراسة الميدانية على وجه الخصوص.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق هدف رئيس هو رصد وتحليل رؤى الخبراء وتقييمهم لدور قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، ويتفرع من هذا الهدف ثلاثة أهداف فرعية، تحقق كل منها التساؤلات البحثية التي تسعى الدراسة للإجابة عنها بشكل دقيق، وذلك على النحو الآتي:

الهدف الأول: الكشف عن العلاقة بين المتغيرات الديموغرافية للجمهور، وبين إدراك قيم الهوية الثقافية وأبعادها، ولتحقيق هذا الهدف تسعى الدراسة للوصول لإجابات دقيقة عن الأسئلة الآتية:

- ما التخصص العلمي للمبحوث؟
- ما معدل المشاهدة لقناة العربية؟
- ما هي الاحتياجات التي تدفعك لمشاهدة قناة العربية؟
- ما نوعية البرامج التي تساعد في ترسيخ قيم الهوية الثقافية؟
- أي البرامج يمكن الاعتماد عليها لترسيخ قيم الهوية الثقافية؟

الهدف الثاني: تحديد دور قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، ولتحقيق هذا الهدف تسعى الدراسة للوصول لإجابات دقيقة عن الأسئلة الآتية:

- هل تهتم قناة العربية باللغة العربية السليمة في تقديم برامجها؟
- إلى أي مدى تقدم قناة العربية محتوى برامجيًا يخدم مصلحة المنطقة العربية والإسلامية؟
- هل تقدم قناة العربية صورة حقيقية للمنطقة العربية والإسلامية بما يسهم في ترسيخ قيم الهوية الثقافية؟
- إلى أي مدى تنجح قناة العربية في تقديم مضمون يهتم بالقضايا العربية ويسهم في ترسيخ قيم الهوية الثقافية؟

- إلى أي مدى تزود قناة العربية الجمهور بالمعلومات ووجهات النظر المتعددة المتعلقة بالقضايا العربية المهمة لهم؟

- كيف تدير قناة العربية أزمات المنطقة العربية والإسلامية وتسهم في ترسيخ قيم الهوية الثقافية؟

- إلى أي مدى تحرص قناة العربية على تقديم ما يخدم مصلحة المنطقة العربية والإسلامية ويسهم في ترسيخ قيم الهوية الثقافية؟

- هل تعتمد قناة العربية على إقناع الجمهور بوجهة النظر التي تتفق والقيم العربية والإسلامية؟

- هل تتبنى قناة العربية ما يخدم قيم الهوية الثقافية عند تناول القضايا غير العربية؟

الهدف الثالث: التعرف على مستوى وعي وإدراك الجمهور المستهدف (المجتمع العربي) لقيم الهوية الثقافية، ولتحقيق هذا الهدف تسعى الدراسة للتوصل إلى إجابات دقيقة عن الأسئلة الآتية:

- هل تناقش مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية؟

- إلى أي مدى تحرص على مناقشة مضمون البرامج المقدمة بقناة العربية مع الآخرين؟

- هل أعتمد على مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية بصفة أساسية مقارنة بوسائل الإعلام والاتصال الأخرى؟

- هل أعتبر مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية إيجابيًا ويسهم في تعزيز انتمائي العربي؟

فروض الدراسة:

الفرض الأول: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية.

الفرض الثاني: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اهتمام الجمهور بالرسائل الإعلامية بالقنوات العربية وإدراكهم لقيم الهوية الثقافية.

الفرض الثالث: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين سمات الجمهور الديمغرافية (النوع- والعمر- المستوى التعليمي) وبين إدراكهم لقيم الهوية الثقافية.

نوع الدراسة:

تقع الدراسة في إطار الدراسات الوصفية الميدانية التحليلية والكيفية التي تهتم برصد الظاهرة وتفسيرها وتحليل أبعادها، بما يسهم في الوصول إلى دلالات ومؤشرات لها مستقبلا.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على منهج المسح بشقيه الوصفي والتحليلي، "وهو من أبرز المناهج المستخدمة في البحث الإعلامي للحصول على البيانات والمعلومات التي تستهدف الظاهرة العلمية ذاتها، ويشمل هذا المنهج خمسة أنواع من المسح، ومن أهمها مسح جمهور وسائل الإعلام، ويستهدف التعرف على الآراء والأفكار والاتجاهات والمفاهيم والقيم والدوافع والمعتقدات والانطباعات والتأثيرات المختلفة لدى جمهور وسائل الإعلام" (المشهداني، سعد، 2017، 164)؛ إذ يعتبر جهدًا علميًا منظمًا يساعد على التوصل إلى بيانات ومعلومات دقيقة عن طبيعة إدراك الجمهور العربي لقيم الهوية الثقافية موضوع الدراسة.

مجتمع الدراسة الميدانية:

يمثل مجتمع الدراسة الميدانية في النخبة من الخبراء الأكاديميين العرب التي تتعرض لبرامج التلفزيونات العربية.

عينة الدراسة الميدانية:

تمثل عينة الدراسة سمات وخصائص المجتمع الدراسة ككل، ويتوقف صدق تمثيل هذه العينة لمجتمع الدراسة على حجم العينة وطريقة اختيارها، وقد تم اختيار العينة المتاحة من الخبراء والمتخصصين، وقد تم سحب المفردة المعروفة للباحثة على أن تكون ممثلة لخصائص مجتمع الدراسة، وقد تم الاعتماد على المعرفة الشخصية والعلاقات (من خلال المؤتمرات على مستوى الدول العربية)، فقد اعتمدت الدراسة على عينة من الخبراء من أساتذة الجامعات بعدد من الدول العربية (العراق، الأردن، السودان، ليبيا، الجزائر، فلسطين، مصر) (25-20 أستاذًا لكل دولة عربية)، وتم الإرسال المباشر لهم، والاعتماد على العلاقات الشبكية لأساتذة الجامعات بالدول العربية، وقد تم الإرسال لعددٍ من الخبراء بينما استجاب 162 خبيرًا؛ إذ تم استبعاد استجابتين (لم يكملا الاستبيان- تم الاستبعاد إلكترونيا)، والاعتماد على 160 استجابة، منها 36 خبيرًا أجابوا بأنهم لا يتابعون قناة العربية، وأفاد 126 بأنهم يتابعون القناة وقاموا بتقييم أداء القناة، وتم توزيع الاستبيان إلكترونيًا في الفترة من 15/ 8/ 2021- 5/ 9/ 2021، كما تم الحرص على تمثيل العينة خصائص مجتمع الدراسة، وتنويع تخصصات الخبراء، وأجريت الدراسة على عينة من الخبراء الأكاديميين المتخصصين في مجالات متعددة، وكان تخصص الإعلام في مقدمتها.

عينة الدراسة من القنوات التلفزيونية العربية:

ركزت الدراسة على القنوات المستهدفة للجمهور العربي والإسلامي ككل، وقد أجرت الباحثة مسح قبلي لعينة من الخبراء العرب لثلاثين (30) خبيرًا أكاديميًا عربيًا وقد أجمع (10) عشرة من بينهم على قناة العربية كقناة تحظى بمتابعتهم في مقدمة القنوات العربية العامة فضلا عن كونها أحد أقدم القنوات

بالمنطقة العربية وتستهدف الجمهور العربي، ف (قناة العربية هي قناة فضائية إخبارية ناطقة باللغة العربية وتبث من المدينة الإعلامية في دبي بالإمارات العربية المتحدة، وتهتم هذه القناة بالأخبار السياسية والرياضية والاقتصادية؛ بدأت البث في 3 مارس 2003، والقناة ممولة من قبل مركز تلفزيون الشرق الأوسط (MBC)، وقد تولى إدارة القناة حين إنشائها وزير الإعلام الأردني السابق صالح القلاب، حيث بدأت تغطية الحرب على العراق؛ ثم تولى الإدارة الإعلامي السعودي عبد الرحمن الراشد بعد أن ترك رئاسة تحرير جريدة الشرق الأوسط وذلك بعد مرور عام على تأسيس القناة، وبحسب دراسة قامت بها ألايد ميديا بالإنجليزية: Allied Media فإن عدد مشاهدي قناة العربية يقدر بـ 23.396.120 مشاهداً) (https://www.marefa. قناة العربية).

أدوات جمع البيانات:

1-**المقابلات المتعمقة:** تعد المقابلة إحدى الأدوات الرئيسية لجمع البيانات في البحوث الكيفية، التي تركز على عملية تحليل وتقويم البيانات المتعلقة بالقضايا المختلفة، للوصول إلى تحليلات أكثر عمقًا للظواهر الاجتماعية، (شتينز، كفال 2018، 414)، وقد اعتمدت الدراسة على المقابلات المتعمقة مع بعض الخبراء في مجال الإعلام، والقانون، والاجتماع[1] للحصول على معلومات دقيقة ومتعمقة حول سبل توظيف الإعلام لترسيخ قيم الهوية الثقافية.

2-**صحيفة الاستقصاء:** "فهي تتيح جمع بيانات واقعية عن الأفراد واتجاهاتهم نحو القضايا المختلفة بطريقة مقننة وموحدة قياسيًا، وهي من أكثر الأدوات شيوعًا" (ماتيور، 414، 2016) حيث تم تصميم استمارة استبيان تشتمل على خمسة محاور رئيسية، بما يتوافق مع أهداف الدراسة، ويجيب عن تساؤلاتها، وقد شملت (26) سؤالا يغطي أهداف الدراسة بشكل كامل، ومن محاور الاستبيان: **المحور الأول:** المتغيرات الديموغرافية، **المحور الثاني:** دور قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، و**المحور الثالث:** فعالية قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية، و**المحور الرابع:** اهتمام الجمهور بالمحتوى المبثوث عبر قناة العربية، **المحور الخامس:** الأسئلة المفتوحة.

إعداد أدوات الدراسة:

وفي هذه المرحلة قامت الباحثة بتصميم استمارة الاستبيان، وذلك عبر المراحل الآتية:

[1] أ. د. هويدا مصطفى، عميد كلية الإعلام جامعة القاهرة.
أ.د. إبراهيم داؤود، جامعة زيان عاشور بالجلفة،استاذ القانون والمشرف العام على مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية بجامعة الجلفة/ الجزائر.
أ.د. وسام عبدالله جاسم/ تدريسية في كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية - قسم الجغرافية، إدارة تحرير مجلة ريس التركية.
د. المستشار. زهير شمّة، المشرف ورئيس المركز الدولي للإعلام والتنمية المستدامة ومنظمة الصداقة الدولية في مملكة السويد.
د. المستشار إبراهيم الزير/ نائب رئيس المركز الدولي للإعلام والتنمية المستدامة ومنظمة الصداقة الدولية في مملكة السويد.

تحديد البيانات: وذلك من خلال تحديد نوعية البيانات والمعلومات المطلوب جمعها من الميدان بعد التحديد الدقيق للمشكلة البحثية، وتحديد هذه البيانات والمعلومات التي من خلالها تستطيع الباحثة التعرف على دور الإعلام في ترسيخ قيم الهوية الثقافية بالمجتمع العربي.

تحديد الأسئلة: تم تحديد الأسئلة في استمارة الاستبيان، ثم عرضها على بعض الأساتذة والعمداء بالدول العربية (التحكيم [2])، وتم الأخذ بعين الاعتبار التعديلات على الاستمارة حتى تغطي الأهداف البحثية بدقة ووضوح.

إعداد صحيفة الاستبيان في صورتها الأولية: من خلال الاختبار القبلي للصحيفة، وقامت الباحثة بإعداد بعض صحائف الاستبيان لاستخدامها وتجربتها على عينة ممثلة للعينة الأصلية للتعرف على مدى وضوح الأسئلة قبل التطبيق النهائي للاستبيان، وتم معالجة الملاحظات فضلا عن التعرف على مدى ملاءمة الأسئلة.

الإعداد النهائي لصحيفة الاستبيان: بعد ذلك تم الإعداد النهائي لصحيفة الاستبيان في صورتها النهائية، والشروع في الدراسة الميدانية، وإجراء الاستبيان، وبعد التطبيق تم مراجعة الصحائف قبل عمل الإحصاء اللازم لها، ومن بعد تم استخراج النتائج النهائية، وتم تحليلها وتفسيرها.

إجراءات الصدق والثبات لأدوات الدراسة الميدانية:

1- **اختبار صدق الأداة:** يعد صدق الأداة من الخطوات المهمة التي تسعى إلى التأكد من كون أداة الدراسة تقيس ما يفترض معرفته من المبحوثين للوصول إلى نتائج دقيقة حيال الظاهرة المدروسة، (هيس، 123، 2018)، وقد تم تصميم نموذج مبدئيًا وذلك للتأكد من صدق الاستبيان، وذلك من خلال عرضه على بعض الأساتذة المحكمين لمراجعة الأسئلة، وتم إجراء التعديلات، علمًا بان الباحثة أجرت تطبيقًا مبدئيًا على (10) عشرة من المبحوثين.

2- **الثبات:** تم قياس ثبات الأداة من خلال إعادة تطبيق الاستبيان، حيث تم توزيع عشر نسخ على المبحوثين، ثم بعد مرور أسبوع تم الطلب منهم إعادة تعبئة الاستبيان وكانت النتيجة تزيد على 92%، وبذلك أصبحت الأداة صالحة للتطبيق.

3- **المعالجة الإحصائية للبيانات:** استخدمت الباحثة اختبار "ألفاكرونباخ " لقياس ثبات وصدق محتوى استبيان الدراسة، بالإضافة إلى إجراءات وأساليب التحليل الإحصائي (التكرارات والنسب المئوية، المتوسطات الحسابية المرجحة، الانحراف المعياري، والترتيب)، فضلا عن الأساليب الإحصائية

---

[2] أ.د وسام جاسم، جامعة بغداد كلية التربية.
أ.د هالة عبدالله، جامعة أم درمان الإسلامية كلية الإعلام.
د. سعد مأمون عبدالرحمن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.
أ. عبد النبي سليمان حسن يعقوب، جامعة أم درمان الإسلامية كلية الإعلام، المشرف الإداري مجلة كلية الإعلام جامعة أم درمان الإسلامية.

المستخدمة، إذ قامت الباحثة بمراجعة استمارة الاستبيان للتأكد من اكتمالها وصلاحيتها لإدخال البيانات، والتحليل الإحصائي حيث تم استبعاد الاستمارات التي لا تتوافر بها الشروط اللازمة، ثم (الترميز) المتغيرات والبيانات ثم تفريغها بالحاسب الآلي على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وقد تم اللجوء إلى عددٍ من المعاملات والاختبارات الإحصائية مثل (المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، ومعامل ارتباط بيرسون للعلاقات الخطية بين متغيرين، واختبار كا2 لدراسة الدلالة الإحصائية للعلاقة بين متغيرين من المتغيرات الاسمية، بالإضافة إلى عدد من الاختبارات الحسابية الأخرى لدراسة الدلالة الإحصائية، والفروق الثنائية).

جدول رقم (1) مقياس ليكرت الخماسي

الوسط الحسابي	الرأي العام
1.00 ----1.880	**لا أوافق بشدة**
1.81 ---- 2.60	**لا أوافق**
2.61 ---- 3.40	**محايد**
3.41 ---- 4.20	**أوافق**
4.21 ---- 5.00	**أوافق بشدة**

حدود الدراسة:

الحدود المكانية: تم تطبيق هذه الدراسة على برامج القنوات التلفزيونية العربية (قناة العربية نموذجًا)، ويتم تطبيق الدراسة الميدانية عبر الاستبيان للخبراء الأكاديميين العرب بإجمالي 162 خبيرًا من الخبراء الأكاديميين العرب.

الحدود الزمانية: تم تطبيق الدراسة الميدانية في الفترة من 2021/ 8/ 15-2021/ 9/ 10م.

الحدود الموضوعية: تقتصر هذه الدراسة على مضامين الرسائل الإعلامية بالإعلام العربي قناة العربية نموذجًا، وفعاليتها في ترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية عبر دراسة تقييم الخبراء الأكاديميين للأداء الإعلامي، إذ تنقسم لشقين أساسيين هما: المحور المنهجي والنظري، والمحور التطبيقي.

مصطلحات الدراسة:

1-**الهوية:** هي التي تعكس ذلك الجزء من مفهوم الشخص عن ذاته، الذي يتأسس في ضوء معرفته المسبقة بانتمائه لعضوية جماعة (أو جماعات) معينة، وهو ما يقتضي تمسكه بـ القيم والأعراف السائدة في إطارها (18). ولا يبتعد إيمانويل رينو كثيرًا عن التعريف السابق إذ يرى أن الهوية: "ما نوجد عليه على نحو فردي وما نريد أن نكون عليه، على معنى ما يميز خصوصيتنا والكيفية التي نتمثل بها هذه الخصوصية معًا، وبعبارة أخرى الكيفية التي يتعين بها كل فرد على حدة، والتي يتطابق في ذات الوقت مع معايير عامة وينتسب بها إلى جماعات محددة". (لونيس، 2015، 44).

2-مفهوم الهويّة الثقافيّة: تعرّف الهويّة الثقافيّة على أنها (مجموعة الخصائص أو النظم السلوكية والفكرية التي تميز فريقًا من الناس عن آخر، ولا جدال مطلقًا في أن هذه الخصائص المميزة تبرز لدى الفرد، المجتمع في أنماط سلوكه في الحياة ومواقفه من مظاهرها وظواهرها معًا، والثقافة وفقًا لهذا التعريف، وبالنظر إلى جدلية علاقتها مع الهوية، تعتبر هي الإطار العام الذي تتشكل فيه هذه الهوية (عوض، 2013، 136-99 .pp).

3- **التوعية:** إدراك الإنسان لذاته ولما يحيط به إدراكًا مباشرًا، وهو أساس كل معرفة كما يشير الوعي إلى الفهم وسلامة الإدراك، ويقصد بهذا الإدراك إدراك الإنسان لنفسه والبيئة المحيطة به، ولعل هذا يعنى فهم الإنسان لذاته وللآخرين عند تفاعلهم سعيًا لإشباع حاجاته، وقضاء مصالحه وهو مدرك العلاقات بينه وبين الآخرين والبيئة من خلال المواقف المختلفة (القحطاني، 2019، 85). ويقصد بالوعي في هذه الدراسة مدى إدراك الجمهور لقيم الهوية الثقافية التي تعرضوا لها من خلال المضامين التلفزيونية.

4- **الرسائل الإعلامية:** وهي عبارة عن مادة إعلامية مقدمة للمجتمع بكل أطيافه واختصاصاته، وتصوغ الرسالة الإعلامية واضحة المعالم، واضحة الأهداف واضحة اللغة، لكي يكون لها دور معلوم وناجح في إطار وضوح الهدف وتماسك الرسالة (عرجة، 2010، 21).

5-**البرنامج التلفزيوني:** هو فكرة أو مجموعة أفكار تصاغ في قالب تلفزيوني معتمدًا على الصورة والصوت بقصد تحقيق الفائدة (شرادقة، 7، 2021).

الدراسات السابقة:

تعتبر مرحلة الاطلاع على الدراسات السابقة لموضوع الدراسة من أهم المراحل المنهجية اللازمة لكل بحث علمي، فهي تسهم بوضع تصور لحدود البحث فضلا عن التمكن من مسح التراث العلمي، والاطلاع على النتائج والتوصيات التي توصل لها الآخرون مما يفيد في بناء منهجية الدراسة، ومقارنة نتائجها، وقد تم تقسيم الدراسات السابقة على النحو الآتي:

المحور الأول: الدراسات التي تناولت مفهوم الهوية الثقافية:

1-**دراسة بشرى كريميش**، بعنوان انعكاسات برامج تلفزيون الواقع على الهوية الثقافية للشابة الجزائرية، دراسة تحليلية لبرامج بيوتي ماتتش نموذجًا (كريميش، 2021، 139)، وقد تناولت الدراسة برامج تلفزيون الواقع التي تبث عبر القنوات الفضائية العربية، وحجم خطورتها على الهوية الثقافية للشابة الجزائرية، من خلال تحليل مضمون عينة من حلقات برنامج (بيوتي ماتتش) عبر قناة mbc4، وقد توصلت الدراسة إلى أن البرنامج يحمل قيمًا سلبية تشجع الشابات على تبني أفكار ومعتقدات غربية بعيدة كل البعد عن الهوية الثقافية العربية المحافظة، ويشجع البرنامج على التبرج والاهتمام بالمظهر الخارجي والبعد عن الاحتشام والزّي التقليدي المحتشم (كريميش، 2021، 133).

2-**دراسة أنجزتها رنا سعد إبراهيم العمري** بعنوان "الهوية الثقافية وعلاقتها بدافع الإنجاز لدى طالبات كلية العلوم والآداب بمحافظة المخواة، وقد سعت الدراسة إلى التعرف على علاقة الهوية الثقافية بدافعية الإنجاز لدى طالبات كلية العلوم والآداب بمحافظة المخواة، والتعرف على درجة الهوية الثقافية لدى طالبات كلية العلوم والآداب بمحافظة المخواة، ومدى دافعية الإنجاز لديهن، وقد هدفت الدراسة إلى بيان درجة دافعية الإنجاز لدى طالبات كلية العلوم والآداب بمحافظة المخواة، والكشف عن طبيعة العلاقة بين الهوية الثقافية ودافعية الإنجاز لديهن، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي الارتباطي لملاءمة هذا المنهج لأغراض الدراسة، وقد توصلت الدراسة إلى ضرورة تعزيز الهوية الثقافية من خلال تكثيف الدورات وورش العمل للطالبات، لما له من أثر واضح في زيادة فاعليتهن الذاتية، مما ينعكس إيجابًا على أدائهن وبالتالي زيادة دافعيتهن للعمل والإنجاز، وضرورة تعزيز مظاهر الحافظ على الهوية الثقافية من قبل الجامعة لدى الطالبات من خلال التخطيط لحملات توعوية تشارك في تنفيذها مؤسسات المجتمع المختلفة.

3-**دراسة أنجزها يحيى حمزة محفوظ** كبها (كبها، 2018)، وحسين، أحمد ضياء الدين بعنوان "السياسات التعليمية الإسرائيلية وتأثيرها على الهوية الثقافية لفلسطينيي الداخل: التحديات والحلول، وقد هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسات التعليمية الإسرائيلية الموجهة لفلسطينيي الداخل وتأثيرها في الهوية الثقافية لديهم، تلك السياسات التي أسهمت في إضعاف المنظومة التعليمية لفلسطينيي الداخل؛ لكونها تحمل أجندات وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، ولتحقيق أهداف البحث استخدم المنهج الوصفي التحليلي الاستقرائي والاستنباطي، ويقترح أهم الحلول التي يمكن من خلالها التغلب على التحديات التي تواجه الحفاظ على الهوية الثقافية في الداخل الفلسطيني، ومن هذا المنطلق كشفت الدراسة عن التهميش والإقصاء الواضح للعرب في الداخل الفلسطيني، من الإدلاء بدلوهم في عملية رسم السياسة التعليمية وصنعها، مما يؤدي تدريجيا إلى طمس ملامح الهوية الثقافية في الداخل الفلسطيني، وأوصت الدراسة بالعمل على توظيف مؤسسات المجتمع المدني الفاعلة في رسم وصنع

السياسة التعليمية، وضرورة إعادة تجديد الخطاب التربوي في الداخل الفلسطيني، بما يعزز الهوية الثقافية لفلسطينيي الداخل في ظل السياسات التعليمية الإسرائيلية، ومن خلال مشاركة العرب في بلورة جهاز التعليم بما يخدم خصوصياتهم، وطموحاتهم، ومطالبهم العادلة.

4-**دراسة أنجزها عبد الله محمد با رشيد**، بعنوان "الدور التربوي للأسرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية، من وجهة نظر الآباء والأمهات بالمدينة المنورة: دراسة تأصيلية ميدانية، وقد هدفت الدراسة إلى معرفة دور الأسرة التربوي في الحفاظ على الهوية الإسلامية من وجهة نظر الآباء الأمهات بالمدينة المنورة، من خلال أبعادها ومقوماتها الأربعة) الدين، والتاريخ، والثقافة، والقيم والأخلاق، وقد تكونت عينة الدراسة من (416) أسرة من الآباء والأمهات بالمدينة المنورة، وتم اختيارها بالطريقة العشوائية العنقودية، واستخدم الباحث منهج الوصف والمسح (وذلك عند إجراء دراسة مسحية لآرائهم. ومن أبرز نتائج الدراسة: أن درجة دور الأسرة التربوي في المحافظة على الهوية الإسلامية من وجهة نظر الآباء والأمهات على المحاور ككل جاءت بدرجة عالية جدا، وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة الدور التربوي للأسرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الجانب القيمي والأخلاقي، تعزى لمتغير الدراسة (النوع) لصالح الأمهات، وعدم وجود فروق دالة إحصائية في باقي الجوانب، لاتفاق العينة على تلك النتيجة، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة الدور التربوي للأسرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية في الجوانب ككل، تعزى لمتغير الدراسة (الحالة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، والدخل الشهري).

5-**دراسة أنجزتها سكينة العابد**، (العابد 2017) بعنوان "الثقافة التكنولوجية ومآل الهوية في عالم متغير: دراسة استشرافية" مجلة الحقيقة. وبذلك تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: كيف أثرت الثقافة التكنولوجية على الهوية في عالم متغير؟ اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي كونه أقرب المناهج لوصف الظاهرة محل الدراسة حيث يقوم بتحليل خصائصها والعوامل المؤثرة فيها للتزود بمختلف المعلومات التي تشرحها والتي تعين على الفهم، وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة تقصي ورصد جملة التحديات التي تواجهها الهوية العربية اليوم ضمن سياق المد الثقافي التكنولوجي ـــالاتصالي العولمي، وما الذي ستؤول إليه هذه الهوية إذا خلخلت هذه القوى التكنولوجية الضاربة جذورها في عمق جغرافيا وحاضر الأمة العربية في ظل استهواء النموذج الغربي من طرف الكثير من المثقفين الذي أضحى يشكل أزمة أخرى، أو نتيجة أولية ضمن الردود المحلية للرفض والقبول لمثل هذه الثقافة التكنولوجية الكوكبية، وقد توصلت الدراسة إلى أن الهوية يجب أن تظل ثابتة بينما الثقافات متغيرة، لأنها تخضع للتحول والتبدل بفعل التطور أو التثاقف، لذلك فالهوية التي نهدف لها هي الهوية الشاملة والمرنة في ذات الوقت التي تعيش أو تقتبس من ثقافات أخرى دون الذوبان فيها، وقد أوصت الدراسة ببناء الهوية في عالم الثقافة التكنولوجية التي فرضتها صناعات الاتصال الحديثة، يجب أن يتعايش وفق هويات متعددة دون أن يفقد أصالته على الرغم من شدة الحصار التكنولوجي

الاتصالي المهدد لها، وأن نشر تقنيات في نسيج أي مجتمع نامٍ يتطلب تشييد البنية الأساسية لتقنية المعلومات داخل المجتمع كبناء الشبكات وتدريب البشر، وهنا يتطلب الأمر كذلك التعامل مع ما يوجد بالمجتمع من تراث حضاري وسلوكيات وطرق في التفكير وثقافة سائدة، وهذا حتى يحدث التوازن بين التقنيات وهوية كل مجتمع.

6-**دراسة أنجزها عبد الرحيم الكوش**، (الكوش، 2017) بعنوان. "العولمة وتهديد الهوية الثقافية بالعالم العربي الإسلامي" مجلة علوم التربية، وقد سعت الدراسة لطرح اقتراحات للتغلب على تحديات العولمة الثقافية وتحدي العولمة يحتم وضع استراتيجية لن تكون ذات قيمة إلا إذا وضعت على أساس قومي عربي (عولمة عربية)، منها يمكن الانطلاق لمواجهة العولمة الكونية، فما نسميه بالثقافة العربية ونخشى عليها من الثقافات الغازية باسم العولمة، لم تكن بالشيء المثالي الذي يمكن الدفاع عنه. المثقفون العرب كانوا يستشعرون الأزمة الثقافية والاجتماعية العميقة التي نمر بها، وقد توصلت الدراسة إلى أنه يمكن للعالم العربي الإسلامي التوقف عن اتهام الغرب – وإن كان غير بريء طبعًا- وتحويل الاتهام إلى الذات العربية الإسلامية، فلا يمكن أن تنتظر دول الجنوب من دول الشمال المساهمة في تقدمها، فلن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، ولكن يجب أن يبدأ التقدم من دول الجنوب أنفسهم، ويجب أن يكون التعاون جنوب- جنوب أولا، وقد أوصت: وبعد ما يتعافى جسم العالم العربي الإسلامي اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا وفكريًا، يمكن آنذاك أن يكون التعاون شمال- جنوب، بمنطق التعاون لا بمنطق التسول وتهديد الهوية الثقافية العربية الإسلامية. فالعالم العربي له من المقومات ما يجعله يدافع عن هويته الثقافية ويصبح من السادة.

7-**دراسة أنجزها أحمد، الدود يوسف الدود وكليبي، سلطان جبران يحيى** (الدود وكليبي، 2019) بعنوان: "أثر برنامج إرشادي تدريبي في تنمية الاعتزاز بالهوية الوطنية والشعور بالانتماء لدى الطالب المعلم تخصص صعوبات التعلم في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030 =مجلة التربية الخاصة والتأهيل، هدفت إلى الكشف عن أثر برنامج إرشادي تدريبي في تنمية الاعتزاز بالهوية الوطنية والشعور بالانتماء لدى الطالب المعلم تخصص صعوبات التعلم في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية (2030). (استخدم الباحثان المنهج التجريبي، تكون مجتمع البحث من 220 طالبًا ومعلمًا بقسم التربية الخاصة، اشتملت عينة البحث على (26) طالبًا معلمًا، تضمنت مجموعتين، تجريبية (13) طالبًا معلمًا، وضابطة (13) طالبًا معلمًا، تم اختيارها بالطريقة العشوائية البسيطة، واستخدم الباحثون مقياسي الاعتزاز بالهوية الوطنية الذي تكون من (62) عبارة، ومقياس الشعور بالانتماء الذي تكون من (69) عبارة، ولتحليل البيانات استخدم الباحثون (SPSS) اعتمادًا على اختبار (ت) للعينة الواحدة، واختبار (ت) للعينتين المستقلتين، اختبار (ف) التباين الأحادي، وارتباط بيرسون، ومعادلة ألفا كرنباخ توصلت الدراسة للنتائج التالية: هنالك أثر للبرنامج الإرشادي التدريبي في تنمية الاعتزاز بالهوية الوطنية لصالح القياس البعدي، هنالك أثر للبرنامج الإرشادي التدريبي في تنمية الشعور بالانتماء لـ

صالح القياس البعدي لا توجد فروق دالة إحصائيًا في الاعتزاز بالهوية الوطنية تبعًا لمتغير العمر، توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيًا بين الشعور بالانتماء، والخلفية الثقافية. كما خرج البحث بالعديد من التوصيات والمقترحات المستقبلية.

المحور الثاني: الدراسات التي تناولت دور الإعلام في تعزيز القيم:

8-**دراسة أنجزها ريطاب**، (May 01, 2016) بعنوان طمس تكنولوجيات الإعلام والاتصال للهوية الوطنية: دراسة حالة المجتمعات العربية. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكيف ساهمت تكنولوجيات الإعلام والاتصال في هدم قيم الهوية العربية من جهة، وعلى روح المواطنة العربية من جهة أخرى؟ وما الأساليب المعتمدة في سبيل تحقيق ذلك؟، وتهدف الدراسة لمعرفة خلفيات الاستخدام السلبي لتكنولوجيا الإعلام والاتصال على الشباب العربي، ومعرفة تأثيرات التكنولوجيات الرقمية في هز قيم المواطنة وطمس الهوية العربية المشتركة، وقد توصلت الدراسة إلى: تشبث الشباب العربي بوطنيته، بالرغم من عدم احترامه الكلي والفعلي لقيم المواطنة الحقيقية نتيجة لغياب الثقافة السليمة حول ذلك، وضرب تكنولوجيات الإعلام والاتصال للهوية العربية المسلمة في الصميم، والتجنيد الإعلامي والسياسي للغرب لتحقيق ذلك.

9-**دراسة أنجزها أمين واني منصور**، (واني، 2019) بعنوان "دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز منظومة القيم في المجتمع الفلسطيني: دراسة ميدانية على طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية" مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، وقد تناولت هذه الدراسة وجهة نظر الشباب الفلسطيني في دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز منظومة القيم داخل المجتمع الفلسطيني، وهي دراسة ميدانية، وتم بناء الدراسة علي أدبيات نظريتي الإشباعات والاستخدامات، والغرس الثقافي وقد استخدمت هذه الدراسة منهج المسح الإعلامي ومن خلال أسلوب مسح أساليب الممارسة، ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة، أن حاجات الشباب الفلسطيني في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي متعددة متنوعة، ومن أهم إيجابيات شبكات التواصل الاجتماعي من وجهة نظر الشباب الحوار وإبداء الرأي، ومن الإشباعات التي تتحقق للشباب من خلال استخدام شبكات التواصل الاجتماعي القيمة الاجتماعية وقيمة التفاعل والمشاركة.

10- **دراسة أنجزها جاسم** ميرزا خليل (ميرزا، 2021) بعنوان "دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي والمعرفة لدى أفراد المجتمع حول أزمة فيروس كوفيد 19 (المستجد): دراسة ميدانية على مستوى الوطن العربي مجلة شؤون اجتماعية، وقد سعت الدراسة للكشف عن دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي والمعرفة لدى أفراد المجتمع حول أزمة فيروس كوفيد 19، وهدفت إلى التعرف على دور وسائل الإعلام التقليدية والجديدة في التعامل مع هذه الجائحة وتقييم مصداقيتها في الدول العربية لإيصال الأخبار والمعلومات الصحيحة حول هذه الأزمة إلى الجمهور، وقد استخدم الباحث في

هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال أسلوب مسح وسائل الإعلام والمنصات الإلكترونية المستخدمة من قبل الجمهور في الوطن العربي للتواصل مع أجهزة الدولة للحصول على المعلومات المختلفة المتعلقة بأزمة كوفيد 19، وقام الباحث بتصميم استبانة لجمع البيانات الخاصة بهذه الدراسة مكونة من 7 محاور وتضم 50 سؤالا بلغت عينة الدراسة 1060 مشاركًا من أفراد المجتمع على مستوى الوطن العربي ذكورًا وإناثًا ممن بلغت أعمارهم ما بين 20 و60 عامًا يمثلون 19دولة عربية.

11- **دراسة أنجزها أحمد نوار** زينهم (زينهم، 2015) بعنوان "الإعلام التربوي ودوره في تنمية قيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتوافرة في منظومة التعليم المصري" دراسات عربية في التربية وعلم النفس، هدفت هذه الدراسة إلى تحديد قيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع اللازم تنميتها لدى طلاب التعليم العام في مصر، وتعرف دور الإعلام التربوي في تنمية هذه القيم، ورصد قيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتوافرة في الأهداف العامة وأهداف المراحل الدراسية، وأهداف المواد الدراسية بمراحل التعليم العام في مصر، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدت على تحليل المحتوى لرصد هذه القيم، وتوصلت الدراسة إلى نتائج، منها: بالنسبة لقيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتضمنة في الأهداف العامة لمرحلة رياض الأطفال، وقد نالت ثمان قيم اهتمام الأهداف العامة لمرحلة رياض الأطفال حيث حصلت المسئولية الفردية الإيجابية –حب الوطن–الإخلاص– الصبر والمثابرة– التجمع – احترام آراء الغير/ التضحية، وبالنسبة لقيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتضمنة في الأهداف العامة المرحلة الابتدائية نالت خمس قيم اهتمام الأهداف العامة للمرحلة الابتدائية حيث حصلت الإيجابية–حب الصالح العام –الإخلاص– التجمع– احترام آراء الغير. وبالنسبة لقيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتضمنة في الأهداف العامة للمرحلة المتوسطة، وقد نالت قيم الاهتمام حب الوطن ـ الأمانة ـ المواطنة الفاعلة حب الصالح العام والانفتاح العقلي– الإخلاص– المسؤولية الفردية– التجمع– احترام آراء الغير، بالنسبة لقيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتضمنة في الأهداف العامة المرحلة الثانوية، ونالت قيم اهتمام الأهداف العامة للمرحلة الابتدائية المسئولية الفردية –حب الوطن، المواطنة الفاعلة–الانخراط في الحياة العامة.

12- **دراسة أنجزتها سعاد محمد المصري** (المصري، 2020) بعنوان "دور الإعلام الجديد في التغيير القيمي والأخلاقي لدى الشباب في الريف المصري" دراسة مسحية لمستخدمي موقع اليوتيوب" المجلة المصرية لبحوث الإعلام جامعة القاهرة، وتسعى الدراسة للكشف عن استخدام الشباب لهذه النوعية من المواقع الاتصالية عبر الإنترنت للوصول إلى قاعدة معلوماتية يمكن البناء عليها تدعيمًا للجوانب الإيجابية وتحذيرًا من المعطيات السلبية لتلك المواقع وتأثيرها على التغير القيمي والانفلات الأخلاقي لدى الشباب الريفي، وقد هدف البحث إلى التعرف على علاقة تعرض الشباب في الريف المصري للإعلام الجديد والتغير القيمي، واعتمدت الدراسة على منهج المسح والدراسة الميدانية لجمع البيانات،

وقد توصلت الدراسة لكون عدد من أفراد العينة يرون أن أكثر أنواع الإعلام الجديد التي تشهد انفلاتًا أخلاقيًا هو موقع اليوتيوب، ثم تليها بقية المواقع، وقد أوصت الدراسة بتعزيز ودعم البحث في الإعلام الجديد والاهتمام بمضامينها.

13- **دراسة أنجزها جوزيف أنطون** متري (متري، 2017) بعنوان "دور قنوات التلفزيون الحكومية والخاصة في تشكيل معارف الشاب واتجاهاته نحو قضايا الأمن القومي المصري"، المجلة المصرية لبحوث الإعلام جامعة القاهرة، وتسعى الدراسة لرصد وقياس دور الفضائيات المصرية سواءً الحكومية أم الخاصة في تشكيل معارف الشباب المصري واتجاهاته نحو قضايا الأمن القومي المهمة ومن أبرزها: الإرهاب، والفتنة الطائفية، وغياب الأمن المائي في ضوء أزمة سد النهضة، والتناحر السياسي، وتهديد الملاحة في قناة السويس، والعنف المسلح في شبه جزيرة سيناء، وغيرها من قضايا الأمن القومي التي تهدد استقرار المجتمع، وتعوق عملية التحول الديمقراطي، وتنتمي هذه البحوث الوصفية، وتستخدم الدراسة الحالية منهج المسح، وقد توصلت الدراسة إلى ضعف تأثير القنوات التلفزيونية في تشكيل معارف الشباب الجامعي وكذلك اتجاهاتهم نحو تطورات الإصلاح السياسي في المجتمع المصري.

رؤية تحليلية نقدية، والتعقيب على الدراسات السابقة العربية*، ومدى الاستفادة منها:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة:

1-اكتفت الدراسات التي تناولت قضية الهوية الثقافية العربية والإسلامية بوصف حجم الخطر المهدد لهويتنا، ولم يلفت أي من هذه الدراسات (في حدود علم الباحثة) إلى تحديد منهج يمكن أن يسهم في الترويج للثقافة الإسلامية والهوية العربية الرصينة وكيف أنها الترياق الأمثل لأزمات المجتمع العالمي الأخلاقية والاجتماعية، وهو ما يؤكد حالة التراجع والتفكك القيمي الذي تشهده الأمة الإسلامية والعربية.

2-ضعف الاهتمام بوصف رؤية متكاملة لسبل ترسيخ الهوية الثقافية العربية والإسلامية، ولدور متكامل تقوم به الدول العربية والإسلامية لتثبيت قيمها وحمايتها من الغزو الفكري المنهج، حيث ركزت جل هذه الدراسات على حدود قطرية لدولة عربية بعينها دون الاهتمام بالدور الموحد في وجه عدو فكري مشترك.

3-اقتصرت غالبية الدراسات التي تناولت قضية الهوية الثقافية على وصف خطورة التيارات الدخيلة، وخطورة الثقافات العابرة للقارات ولم تقدم وصفًا دقيقًا للدور الذي يمكن أن تقوم به مؤسسات المجتمع العربي لتعزيز قيم الهوية الثقافية العربية، كما لم تبحث في أساليب التوظيف الأمثل لها، وماهية المعالجات الدقيقة التي يتطلب استهدافها في مقدمة الأمر.

4-اهتمت الدراسات التي تناولت قضية الهوية الثقافية بتأثرها بالتيارات العالمية المتمثلة في مد العولمة، والتيارات التكنولوجية التي تسيطر على ثقافة المجتمع العالمي التي تزحزح ثوابته.

5-أشارت بعض الدراسات التي تناولت قضية الهوية الثقافية إلى أهمية الدور الذي يجب أن تقوم به مؤسسات الدول العربية لمواجهة التحديات التي تفرضها الثقافات الوافدة الناتجة عن التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال.

6-أكدت بعض الدراسات التي تناولت قضية الهوية الثقافية دور الأسرة العربية في تشكيل حاجز صد آمن ضد التيارات الدخيلة التي تهدد السلامة الفكرية للأجيال القادمة.

7-أكدت الدراسات التي تناولت دور الإعلام في ترسيخ القيم أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به الإعلام في توعية وتحفيز المجتمع وتعزيز قيمة الإيجابية، فقد تناولت الدراسات التي اطلعت عليها الباحثة الدور الجوهري الذي قام به الإعلام في مجال الدراسة المحدد مما يؤكد فرضية توظيف الإعلام لترسيخ قيم الهوية الثقافية في مجابهة المد الثقافي الدخيل.

8-أجمعت الدراسات التي تناولت دور الإعلام في معالجة قضايا المجتمع على كونه أحد أهم مؤسسات المجتمع الرائدة في تدعيم الأهداف التنموية والتعليمية والتثقيفية.

9-أشارت الدراسات السابقة إلى أن الإعلام يمكن توظيفه لخدمة المجتمع، كما يمكن استخدامه كأداة تمرر الثقافات والمعتقدات الغربية التي تهز الكيان العربي الموحد، وذلك من خلال البرامج والدراما التي تقدمها وسائل الإعلام العربية دون الاهتمام بمعايير المسئولية الاجتماعية والأخلاقية.

10-حذرت الدراسات التي تناولت دور الإعلام في معالجة قضايا المجتمع، من خطورة المحتوى المخالف لقيم الدين الإسلامي الحنيف في زعزعة القيم ومعتقدات المجتمع، وعليه يعظم دور القائم بالاتصال ومسؤوليته تجاه المجتمع، وهو ما ركزت عليه هذه الدراسة لمحورية دوره وأهمية تأثيره.

11-ركزت غالب الدراسات في المحور الثاني على وجه الخصوص على استخدام منهج المسح، أداة الاستبيان مسح وتحليل اتجاهات الجمهور من دور الإعلام تجاه المجتمع، وقد شهدت شبه إجماع على قصور دور الإعلام العربي في القيام بالدور المأمول.

12-أفادت الدراسات السابقة والتراث العلمي على وجه العموم في بلورة إشكالية الدراسة ووضع إطارها المنهجي، والوقوف على النقاط التي لم تتناولها ليتم التركيز عليها في هذه الدراسة، إذ ركزت هذه الدراسة على المحتوى الهادف لتعزيز القيم وتنميتها وقيم الهوية الثقافية على وجه الخصوص وهو ما يميز هذه الدراسة عن سابقاتها.

13-اعتمدت هذه الدراسة على النتائج والتوصيات التي قدمتها هذه الدراسات لتقديم دراسة تمثل امتدادًا علميًا مهمًا يسهم في إثراء التراث العلمي ويخدم المجتمع الإسلامي العربي.

النظرية التي اعتمدت عليها الدراسة:

وقد اعتمدت الدراسة على نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام في تفسير الظاهرة، وقد تعددت مجالات الإفادة من هذه النظرية في تحليل الأطر الرئيسية- والفرعية التي يتم من خلالها معالجة سبل ترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية، كما تمت الاستفادة من النظرية في تحليل كيفي للمحتوى الصريح والضمني المقدم لتعزيز قيم الهوية الثقافية العربية، فضلا عن الاستفادة من النظرية في صياغة فروض الدراسة وتساؤلاتها، كما تعد نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام إحدى نظريات الاتصال التي تهتم برصد ودراسة التأثيرات المختلفة لوسائل الإعلام على الفرد والمجتمع، فهذه الدراسة تركز على درجة اعتماد الجمهور على الإعلام العربي في تلبية احتياجاته، ولعل التعرف على قيم الهوية الثقافية يأتي في مقدمة هذه الاحتياجات، فضلا عن التركيز على دراسة كيف يمكن لوسائل الإعلام أن تساهم في تكون آراء واتجاهات ومدركات الجمهور وما يتفق والهوية الثقافية العربية والإسلامية.

مفهوم النظرية: (يعتبر هذا المنظور وهو اعتماد الفرد على وسائل الإعلام جزءًا من نظرية الاعتماد المتبادل بين وسائل الإعلام والنظم الاجتماعية، الذي يشكل بدوره علاقات الجمهور مع وسائل الإعلام، فالأفراد يعتمدون على وسائل الإعلام باعتبارها مصدرًا من مصادر تحقيق أهدافهم، فالفرد يهدف إلى تأييد حقه في المعرفة لاتخاذ القرارات الشخصية والاجتماعية المختلفة، ويحتاج إلى التسلية والترفيه في ذات الوقت، إلا أن الأفراد لا يستطيعون ضبط أو تحديد نوع الرسائل التي تبثها وسائل الإعلام أكثر مما هي عليه، ولكنهم يستطيعون تحديد ما لم ينشر من رسائل، لأن وسائل الإعلام تحدد ما ينشر أو لا ينشر بناء على العلاقة الدائرية مع أفراد المتلقين مثلها مثل النظم الاجتماعية.

ويقوم المنظور الخاص باعتماد الأفراد على وسائل الإعلام على دعامتين رئيسيتين هما:

أولا: أن هناك أهدافا للأفراد يبغون تحقيقها من خلال المعلومات التي توفرها المصادر المختلفة سواء كانت هذه الأهداف شخصية أو اجتماعية.

ثانيًا: اعتبار نظام وسائل الإعلام نظامًا يتحكم في مصادر تحقيق الأهداف الخاصة بالأفراد، وتتمثل هذه المصادر في استقاء المعلومات ونشرها مرورًا بعملية الإعداد والترتيب والتنسيق لهذه المعلومات ثم نشرها بصورة أخرى (عبد الحميد 2014، 297-298).

حدود استخدام الدراسة لنظرية الاعتماد على وسائل الإعلام:

تركز هذه النظرية على تأثيرات محتوى المواد الإعلامية في الأفراد، وهذه الدراسة تركز على مدى تأثر الجمهور بالقيم المبثوثة عبر الإعلام العربي (قناة العربية كنموذج) وترسيخ قيم الهوية الثقافية، والدراسة تؤكد وجود علاقة وطيدة بين ما تقدمه وسائل الإعلام وما يدركه الجمهور، ووسائل الإعلام تعتبر مصدرًا أساسيًا للمعلومات التي يتعرض لها الأفراد فهم يعتمدون عليها ثم يدركونها وتصير

راسخة لديهم، وهي تتحكم في كم وكيف المعلومات المقدمة للجمهور، وهنا يكمن عمق الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في التأثير والتحكم فيما تقدمه من معلومات.

وتفترض الدراسة أن الأفراد يتأثرون بدرجات متباينة ومتفاوتة على الرغم من كونهم يتعرضون للمادة الإعلامية ذاتها ، وعليه تسعى الدراسة لقياس درجات الاعتماد المختلفة للأفراد (الجمهور العربي والإسلامي) المتابع للقضايا المطروحة بالإعلام العربي وقناة العربية على وجه الخصوص، وتفترض الدراسة أن الأفراد الذين يشاركون المعلومات التي يحصلون عليها من وسائل الإعلام تكون درجة تأثرهم بالمادة المعروضة أكبر، وتبادل الآراء ووجهات النظر وتبني موقف الإعلام العربي الداعم للهوية الثقافية العربية والإسلامية يعزز قيم الانتماء والاعتزاز بالهوية العربية، وهو ما تسعى الدراسة لتأكيده، وعليه كلما حرصت وسائل الإعلام العربية على تعزيز قيم الهوية الثقافية زاد لدى الجمهور العربي المعتمد على وسائل الإعلام إدراك قيم الهوية الثقافية العربية، وذلك في ظل ما نشهده من عولمة وتلاشٍ للهويات في مقابل هوية غربية مدعومة بترسانة إعلامية ممنهجة وطاغية.

الهوية الثقافية العربية – التحديات- المأمول:

أطلق وسم عصر المعلوماتية على عصرنا الحالي لما نشهده من سيطرة التيارات المعلوماتية الثقافية العالمية، وذوبان الحواجز والحدود المحلية، وتشهد الثقافات والموروثات المحلية اليوم حربًا تزعزع ثوابتها وتزحزح ركائزها "ويبدو أن ثورة المعلومات ساعدت في تضاعف المعرفة الإنسانية وتراكمها بسرعة رهيبة ما جعل البشرية تجني الفوائد والنتائج الإيجابية وعلى مستويات عدة، حتى أصبح التقدم التكنولوجي هو الحلقة الحاسمة لتحقيق التقدم الاقتصادي، وإذا كان هذا التقدم الاقتصادي عبر المعرفة العلمية قد نال نصيبه، فإن الثقافة أيضًا أخذت حيزًا لا يستهان به من التطور والتفاعل فأرست قواعد لثقافة حديثة أصبحت سمة من سمات هذا العصر، حتى نتج ما أصبح يطلق عليه بالثقافة التكنولوجية استنادًا لتكنولوجيات المعلومات والاتصالات الحاصلة الآن" (العابد، 2017، 12)، "فتعريف الثقافة: تلك الكل المركب المعقد الذى يشمل المعتقدات والمعلومات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوًا في مجتمع «وهذا التعريف يؤكد كلية المفهوم وتعقيده واتساع مدلولاته وتنوع عناصره، كما يؤكد أن الثقافة أكبر من الأفراد وأنها إنتاج الاجتماع الإنساني وأن الإنسان يكتسبها ويتطبع بها دون اختياره فهي تسيره وتحدد ماهيته وترسم نمط تفكيره وتبني نماذج سلوكه وتصنع مسارات اهتماماته وترتب منظومة قيمه، فهو يكتسبها امتصاصًا تلقائيًا بوصفه عضوًا في مجتمع وليس بتخطيط منه سواء كان أميًا أم متعلمًا، أما ما يفعله عن قصد بعد بلوغه الرشد فهو يأتي في الغالب تأكيدًا لما كان قد تشكل به في طفولته فنمو المعرفة يشبه نمو الشجرة، (يوسف، حسن عبد العليم عبد الجواد، 2018، 158).

فكما أثارت مظاهر العولمة الاقتصادية والسياسية حفيظة الخبراء في مجالهم، فقد أثارت العولمة الفكرية والثقافية تخوف علماء الاجتماع وكل من لديه حس الغيرة على الدين والأمة العربية، ولعل ناقوس الخطر الذي دق بشدة لم يكن من فراغ في ظل واقع متهاوٍ ومشتت في الوق ذاته، والدراسات التي أجريت لقياس مدى رسوخ الهوية الثقافية أنذرت من قادمٍ خطير، إذ يمكن من خلال دراسة لمفهوم الهوية التعرف على حجم التحدي الجاسم أمامنا "فمصطلح الهوىة له دلالاته اللغوية والفلسفية والاجتماعية، فالهوية في اللغة العربية مصدر مركب من ضمير الغائب "هو" المعرف بأداة التعريف "أل" ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة وعلامة التأنيث وهي تأتي بمعنى ذات الشيء وعند الفارابي هوية الشيء عينه وشخصه وخصوصية وجوده المتفرد الذي لا ىقع فىه إشراك 4. ينظر انتوني غدنز في كتابه علم الاجتماع أن "مفهوم الهوية متعدد الجوانب، فالهوية بشكل عام تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم، ولما يعتقدون أنه مهم في حياتهم، ويتشكل هذا الفهم من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة ومن مصادر الهوية هذه التوجه الجنسي" (كرمية، خديجة، 2014، 219)، "وإذا كان كل شعب من الشعوب البشرية ينتمي إلى ثقافة فريدة من نوعها ومتميزة عن غيرها بسبب الطابع الخصوصي الذي قد تأخذه مجموع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية، فإن تأثير ثقافة ما يظهر في جميع الأنشطة والفعاليات وأنماط السلوك عند المنتمين إليها، كما تشكل معالم الهوية المميزة لهم عن المنتمين إلى ثقافات أخرى مغايرة، واحتفاظ مجتمع ما بهويته الثقافية وخصوصيته لا يتناقض مع الانفتاح والتعايش والتسامح والتعاون بين الشعوب، فالدين الإسلامي مثلا أكد الحقوق والواجبات بين المسلمين وأهل الذمة، وأكد كذلك حفاظ المسلمين على دينهم وهويتهم، وليس في ذلك تناقض، المشترك بين الإنسانية والمتفق عليه هو أكبر من المختلف فيه، كحقوق الإنسان والتعاون الاقتصادي والثقافي والتضامن بين الشعوب وغير ذلك من الأمور التي تهم الإنسان كإنسان وليس كأيديولوجية، كما أن العالم مطالب بالتعاون في المشترك، وليس فرض هوية وثقافة معينة على الآخر" (الكوش، عبد الرحيم، 2017، 45).

"كما أن الهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل فهي مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ أي أن الهوية قابلة للتحول والتطور، ويمكن النظر إليها في صورتها الديناميكية على أنها مجموعة من المقررات الجماعية التي يتبناها مجتمع ما، في زمن محدد للتعبير عن القيم الجوهرية (العقائدية) والاجتماعية والجمالية والاقتصادية والتكنولوجية التي تشكل في مجموعها صورة متكاملة عن ثقافة هذا المجتمع؛ لذلك فإن الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل التعرية والذوبان". (الملتقى الوطني الأول، 2017، 79)، أما الثقافة "فهي وجه من وجوه الهوية، أو هي التمثيل الحسي للهوية، فمفهوم الثقافة في مجتمع ما يعني إحساس هذا المجتمع بهويته، وإحساسه تجاه ما يجمع بين أفراده، يجعل منهم هذا المجتمع، بالإضافة إلى أساليب التعبير والمحافظة على هذه الهوية" (العيد، وارم، 2014، 17).

"إن الإحساس بالهوية الثقافية والوعي بها يستيقظ ويشتد في ظروف التحولات والانتقالات الكبرى التي تجتازها الشعوب، وتتخللها الأزمات والتصدعات الاجتماعية، ذلك لأن التشبث بالهوية الثقافية في هذه الحالة يكون بمنزلة الملجأ والملاذ الآمن، إذا كانت التحولات التقنية والعولمة قد تشكل تحولا مجتمعيًا في مختلف الميادين، فيمكن أن تشكل العولمة الثقافية أزمة تقدم العالم العربي، خاصة مع تقليد الآخر على مستوى القشور وتحول مجال الاهتمام إلى اللهو واللعب وتدني المستوى المعرفي، فالهوية العربية الإسلامية مهددة. وهي بمثابة الطريدة التي تفر من قناص ماهر اسمه العولمة الثقافية، حيث تفنن الغرب في محاولة أمركة و"غربنة" العالم العربي الإسلامي (الكوش، عبد الرحيم، 2017، 47)، والهوية لأي شعب أو أمة هي حصيلة الدين واللغة والفكر والتاريخ والفنون والآداب والتراث والقيم والعادات والأخلاق والوجدان ومعايير العقل والسلوك، وغيرها من مقومات التي تتمايز بها الأمم والشعوب والمجتمعات، وليست كل هذه المكونات ثابتة بل بعضها يتغير حسب المستجدات الإنسانية الحضارية، (العيد، وارم، 2014، 17).

وقد أصبح واضحًا تجليات وانعكاسات التيارات الفكرية والثقافية والتأثير الطاغي على اتجاهات ومعتقدات الشباب التي تظهر بجلاء من خلال "التأثيرات السلوكية الناتجة عن التأثيرات المعرفية والوجدانية، المتمثلة في الحركة والفعل، الذي يظهر في سلوك علني يتمثل في التنشيط أو الخمول، ويقصد بالتنشيط قيام الفرد بعمل ما نتيجة التعرض للوسيلة الإعلامية، وهو المنتج النهائي لربط الآثار المعرفية والوجدانية، كاتخاذ موقف مؤيد أو معارض لقضية ما، أما الخمول فهو قلة النشاط أو تجنب القيام بالفعل، ويتمثل الخمول في العزوف عن المشاركة السياسية، وعدم الإدلاء بالتصويت الانتخابي، وعدم المشاركة في الأنشطة التي تفيد المجتمع؛ نتيجة تغطية إعلامية مبالغ فيها" (أبو قوطة، 2017، 27)، فضلا عن التأثير في اللغة وقلب هوية الأمة ولسانها "والتأثيرات الحضارية الضاغطة على اللغة نفسها قلبًا وتحويرًا، وحذفًا وإضافة، بل ما يحدث الآن بسبب تكنولوجيا الاتصال التي عاثت في اللغة إفسادًا، وتشويهًا، وخروجًا على القواعد المتبعة، والأصول المعتمدة كما هو الحال في المدونات والتويترات والإيميلات". (محمد، 2016، 177).

الإعلام العربي وتنمية المجتمع:

يستحوذ الاهتمام بوسائل الاتصال الحديثة والتقليدية على اهتمام الجمهور في ظل انتقال وتطور مهم يشهده العالم اليوم، فقد حققت الموجات المعلوماتية والثقافية التي نشهدها اليوم انتقالا وتحولا منقطع النظير يرسم ملامح مشهد إعلامي جديد؛ فقد "انتقل الفرد من تلقي المضامين المحدودة إلى استخدام المضامين المتنوعة التي يذهب هو إليها ولا تأتي إليه، وهكذا يصبح للمستخدم خيار وإرادة تدفعه إلى التفاعل مع ما يشاء من المضامين الإعلامية وأن حالة الانتقال هذه أطلق عليها ألفين توفلر" Alvin Tofflerالموجة الثالثة "التي يعرفها بأنها مرحلة الدخول في "عصر المعلومات ما بعد

العصر الصناعي"، ويتحدث عن "سد الفجوة " ونهاية التكنوقراطية وانقضاء صلاحية الديمقراطية التمثيل النيابي، مستنتجًا أن المعرفة كوسيلة تختلف عن كل الوسائل الأخرى لأنها لا تنضب" (راضي، 2014، 9)، ويمكن وصف التحولات الحديثة بالتطور الخطير الذي يمثل تحديًا أمام وسائل الإعلام ودورها في المجتمع، "فهذه الظاهرة الخطيرة تهدف إلى زعزعة استقرار المجتمعات والتأثير في أوضاعها السياسية وضرب اقتصاداتها الوطنية، الذي يتم على يد جماعات لها طابع اجتماعي تهدف إلى إحداث حالة من الاستقطاب يهدد استقرار المجتمع من أجل السيطرة عليه" (Rohlfing,2017,204)، إذ يواجه الإعلام حربًا مستعرة تحدثها الثقافات الوافدة والانفتاح العالمي غير المسبوق، كما شكل خطاب الكراهية وإقصاء الآخر مهددًا لا يستهان به في وجه سلامة وهوية المجتمعات" واليونسكو استشعرت دور هذه الظاهرة في السلم المجتمعي، وكيف للدول أن تتخذ ردود أفعال دفاعية لحماية مجتمعاتها" (Iginio,2015,167)، فضلا عن الحريات الممنوحة للأفراد في اختيار المضامين المفضلة لديهم مما يشكل تحديًا عظيمًا لوسائل الإعلام ووظائفها في التربية وترسيخ القيم، مما دفع الإعلام لخوض غمار معركة عرفت بلغة الإعلام الاجتماعي " وأصبح الإعلام الاجتماعي لغة عصرية وحضارية لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها، ما يتطلب فهمها واستيعابها، كما أصبح أكثر قدرة على الاستجابة مع الظروف والتحديات التي يفرضها الواقع الإعلامي اليوم في العديد من القضايا ومختلف الميادين والأصعدة" (Hills,2019,177) ولعل ضرورة تطوير وظائف الإعلام في ظل التحديات الراهنة، وتوجيهها لاستيعاب الحرب القيمية التي تهز أركان المجتمعات المحافظة، والمجتمعات العربية والإسلامية في مقدمتها أصبح ضرورة لا بد من الاهتمام بها.

إذ يربط عدد من الخبراء بين مضامين الرسائل الإعلامية والتنشئة الاجتماعية ومدى التوعية، والتنوير، والإعلام يقوم بدورٍ مهمٍ في التأثير في المجتمع ورسم معالم ثقافتها فالخبراء المختصون في مجال الإعلام يؤكدون أهمية الدور الذي يقوم به الإعلام في تعزيز قيم التثقيف والتنمية والتنوير والتوعية بل ويمتد دور الإعلام ليسهم في تربية الأجيال، وفي ذات الوقت يمكن للإعلام أن يلعب دورًا سلبيًا يزعزع القيم والعادات والموروثات عبر النقل والبث غير الرشيد والهادف لتقليد خُطا العولمة، والثقافات الدخيلة على مجتمعنا العربي والإسلامي، فضلا عن بث كمٍ هائلٍ من المواد الغربية تسهم في تخدير إحساس الجمهور وإضعاف قدرته على التركيز في ظل زخم وكمٍ كبيرٍ من المواد الغريبة عنه.

وقد فرض المشهد الراهن في ظل ضغط الثقافات الغربية، والعولمة من جهة ومن جهة أخرى التفكك وهشاشة التصدي العربي في وجه التحديات المتصاعدة، فقد أصبح من الصعب الحديث عن دور الإعلام بعيدًا عن تأثير العولمة وأهدافها، ففي ظل العولمة وما نشهده اليوم من تيارات وثقافات هجينة صار دور الإعلام أشد أهمية وأكثر خطورة، " فمصطلح "العولمة " المتعارف عليه، ويستخدمه الباحثون في مجالات السياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة يخضع للمساءلة، وفق المعايير الإنسانية والأخلاقية، فالبعض

يرى أن المصطلح يعني- العملية التي تصبح من خلالها شعوب العالم متصلة ببعضها دون اعتداد، أو اعتبار لمفاهيم الهوية والخصوصية في كل أوجه حياتها (غازي، (2017)، والعولمة تستهدف هوية الشعوب في المقام الأول حتى يتثنى لها السيطرة عليها والاستيلاء على مقدراتها وتحويلهم لتابعين ينفذون ما تأمر به قوى الهيمنة والإمبريالية العالمية.

وعليه كان لا بد من تضافر مؤسسات المجتمع العربي والاصطفاف جنبًا إلى جنب لحمايه المجتمع وسلامته "فقد أصبحت العولمة أداة للاستعمار الجديد الذي حل محل الإمبريالية العالمية التي تمثل الاستعمار القديم، والمجتمع العربي والإسلامي ولكونه من مجتمعات العالم النامي فإنه سيتأثر سلبًا بهذه الظاهرة حاله حال بقية المجتمعات في الدول النامية (المزروعي، &البياتي، 2012)، 23)، ولعل الأسرة تتقاسم الهم والعبء جنبًا إلى جنب ومؤسسات الدولة الفاعلة، ومن خلال هذه الدراسة نسلط الضوء على المتلقي المتمثل في أفراد المجتمع من خلال مظلة الأسرة، فعلى الرغم من أهمية دور الإعلام لا بد أن يدعمه دور الأسرة بصفتها أحد أهم المؤسسات الداعمة للدورة "فتبني الأسرة مفهومًا دفاعيًا أو علاجيًا للتنشئة تركز فيه على دفع الآثار السلبية وتقويم الانحرافات وإصلاح المفاهيم بدلا من بناء المفاهيم، فهي في حاجة للدعم والمساندة والمشورة المهنية أضف إلى ذلك أن اللغة الإنجليزية هي لغة تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلومات، مما جذب شريحة من الشباب لتنفصل عن القاعدة الشبابية وتنجذب إلى كل ما هو أجنبي، مما أضعف اللغة العربية وأدى إلى فراغ لغوي وثقافي سعت اللغات والثقافات الأجنبية إلى ملئه، ومن ثم تشكل وعي الشباب وفق ثقافة وقيم أجنبية وتأثر انتمائهم لمجتمعهم وثقافتهم وأصبح انتماؤهم إلى القرية الكونية أقوى من انتمائهم لأمتهم وقوميتهم" (حمدي، 2017، 86).

"فالمستقبل هو لمن يسيطر على أذرع العولمة الثقافية المتجددة، ويستخدمها استخدام الحريص على أفكاره، الذي لا يهمل إدارتها للترفيه والتسلية فقط، وهنا يؤكد مؤلف كتاب (سياسة القوة: مستقبل النظام الدولي والقوة العظمى) أن المرحلة القائمة ليست نظاما دوليًا جديدًا، ولكنها مرحلة انتقالية لم تسم بعد، ولم تستقر على حالة نهائية" (المزروعي، &البياتي 2012 ,21) وعليه لا بد من تفعيل مؤسسات المجتمع والإعلام في مقدمتها، وفي ذات الوقت لا بد من تفعيل دورٍ متكامل متحد لصد التحدي المشترك على الدول العربية وعلى هويتها الثقافية، وسلامة مجتمعها.

الإطار التطبيقي للدراسة:

هدفت الدراسة من خلال تركيزها على الخبراء الأكاديميين العرب إلى معرفة تقييمهم للأداء الإعلامي العربي، وذلك لكونهم أحد أهم قادة الرأي الفاعلين في المجتمعات، كما هدفت الدراسة إلى تقييم آراء قادة الرأي في المجتمع العربي ممثلين في الخبراء الأكاديميين، لدور الإعلام العربي ممثل في قناة العربية،

وهي أحد أهم القنوات العربية، وتحظى بمشاهدة عربية عالية، إذ ينعكس التقييم الإيجابي لقادة الرأي للأداء الإعلامي على المجتمع من خلال تبني ذات القيم التي يقدمها الإعلام.

نتائج الدراسة:

أولا: تعرض الخبراء الأكاديميين بعينة الدراسة لقناة العربية:

رسم بياني رقم (1) يوضح مشاهدة عينة الدراسة لقناة العربية

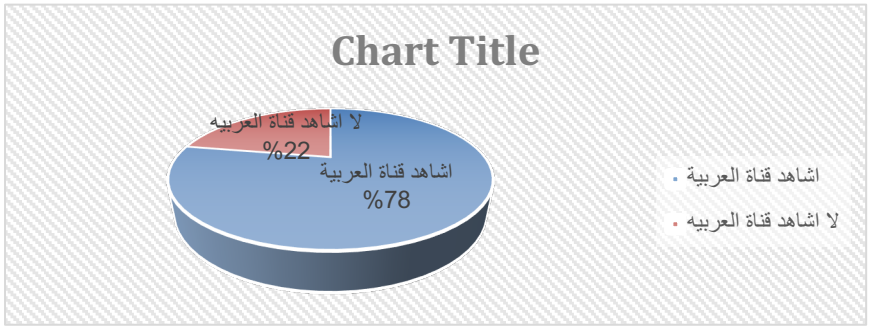

يتضح من بيانات الجدول أعلاه أن هناك (162) خبيرًا أكاديميًا عربيًا شاركوا في الدراسة، وذلك عبر الاستجابة لأسئلة الاستبيان المرسل اليهم، وقد أجاب (78%) بأنهم يتابعون برامج قناة العربية، بينما أجاب (22%) بعدم تعرضهم لبرامج قناة العربية، وقد تم تصميم الاستبيان إلكترونيًا بحيث يتم استبعاد الاستجابات التي تفيد بعدم المتابعة، وعليه فقد أكمل (126) خبيرًا أكاديميًا تقييم برامج قناة العربية ودورها في ترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية، ويمكن وصف النتيجة بالواقعية فهناك انتقائية للتعرض وفقًا لتوجهاتهم السياسية التي يتم إشباعها من خلال القناة المنتقاة.

ثانيًا: خصائص (المتغيرات الديموغرافية) لعينة الدراسة:

رسم بياني رقم (3) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير النوع

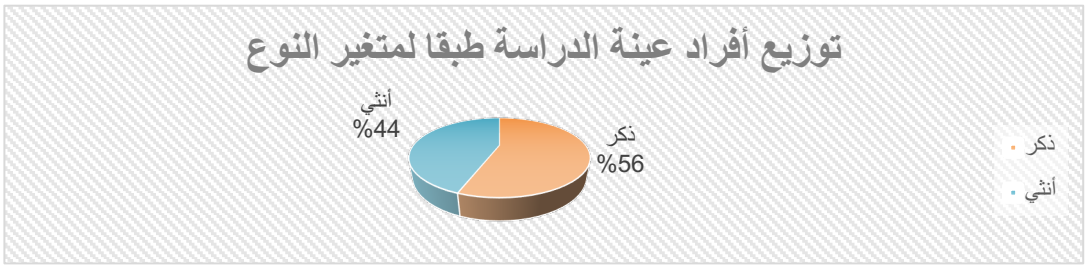

رسم بياني رقم (4) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير العمر.

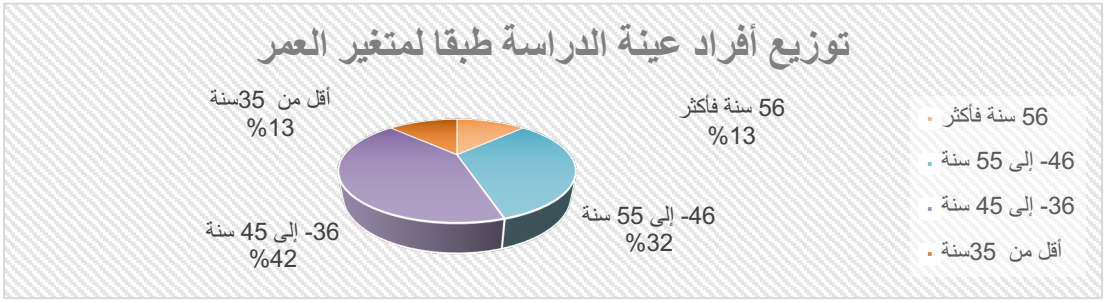

رسم بياني رقم (5) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير التخصص العلمي

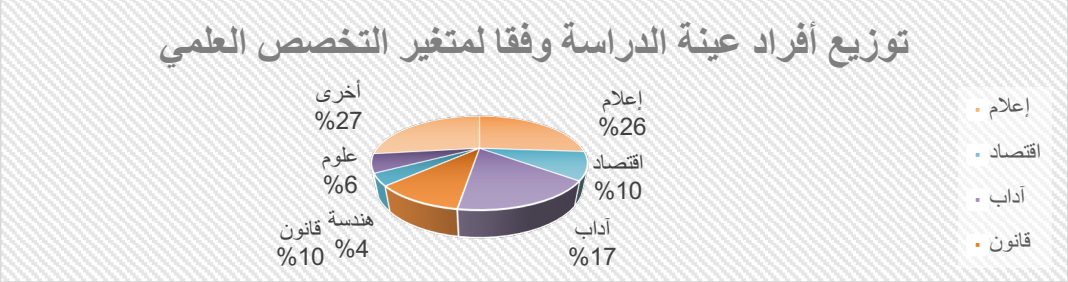

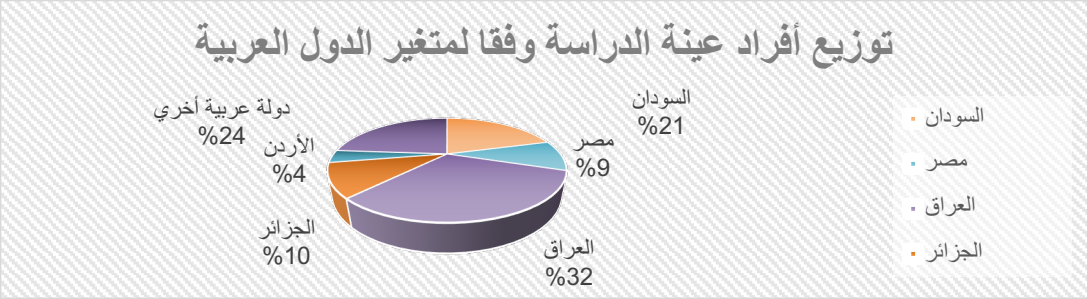

رسم بياني رقم (6) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير الدول العربية

- **من حيث النوع**: نسبة (55.6) من أفراد العينة من الذكور، ونسبة (44.4) منهم من الإناث.

- **من حيث متغير العمر**: نسبة (42.2) من أفراد العينة ضمن الفئة العمرية 36-45 سنة، ونسبة (32.5) للفئة العمرية (46-55 سنة)، ونسبة (12.7) لفئتي العمر (56) فأكثر، وأقل من 35سنة، ويلاحظ من البيانات أعلاه احتلال الفئة 36- 45 سنة المرتبة الأولى.

- **من حيث التخصص العلمي**: نسبة (27.0) من أفراد العينة من تخصصات الطب والزراعة وإدارة الأعمال، وقد فضلت الباحثة التركيز على التخصصات الإنسانية والاجتماعية ودمج التخصصات

العلمية الأخرى ضمن (أخرى)، وجاءت نسبة (26.2) لاختصاص الإعلام، وهي نتيجة متوقعة إذ يهتم الخبراء من تخصص الإعلام بمتابعة وسائل الإعلام ومراقبة أدائها ضمن أولويات التعرض لها، وكانت نسبة (16.7) لتخصص الأدب وهم الأقرب لتخصص الإعلام، ويعتبر أداء الإعلام ضمن اهتماماتهم الأولى، وقد حققت التخصصات الأخرى نسب متقاربة، فقد استهدفت الدراسة الأكاديميين بمختلف تخصصاتهم للوصول لتقويم من وجهات نظر مختلفة الخلفيات الأكاديمية.

- **من حيث الدول العربية**: نسبة (31.7) للخبراء الأكاديميين العرب من العراق في المرتبة الأولى، وقد فضلت الباحثة دمج الدول العربية مثل تونس، والمغرب، ليبيا، ولبنان، وفلسطين بـ (الأخرى)، وذلك لوجود عدد محدود من شبكة معارف الباحثة بهذه الدول، فضلا عن وجودهم بعدد قليل بالمؤتمرات التي شاركت فيها الباحثة، (لم تستهدف الباحثة الدول الخليجية لوجود قيود أمنية تحول دون إنجاز الدراسة ضمن الإطار الزمني المتاح للدراسات المشاركة)، وجاءت نسبة (20.6) من السودان ثم بقية الدول العربية إلا أنها نتيجة مرضية تعكس مدى اهتمام الخبراء بأداء الإعلام ضمن اهتماماتهم بالشأن الإعلامي ودوره في التأثير في الجمهور.

ثالثًا: دوافع المشاهدة لدى لعينة الدراسة:

رسم بياني رقم (7) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير معدل المشاهدة

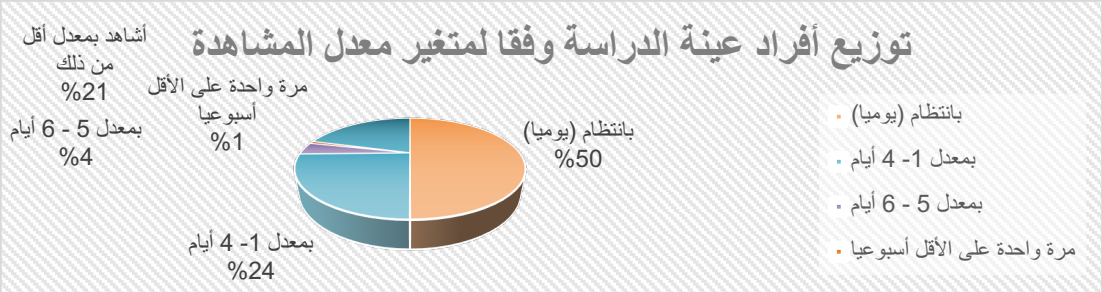

رسم بياني رقم (8) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير معدل الاحتياجات.

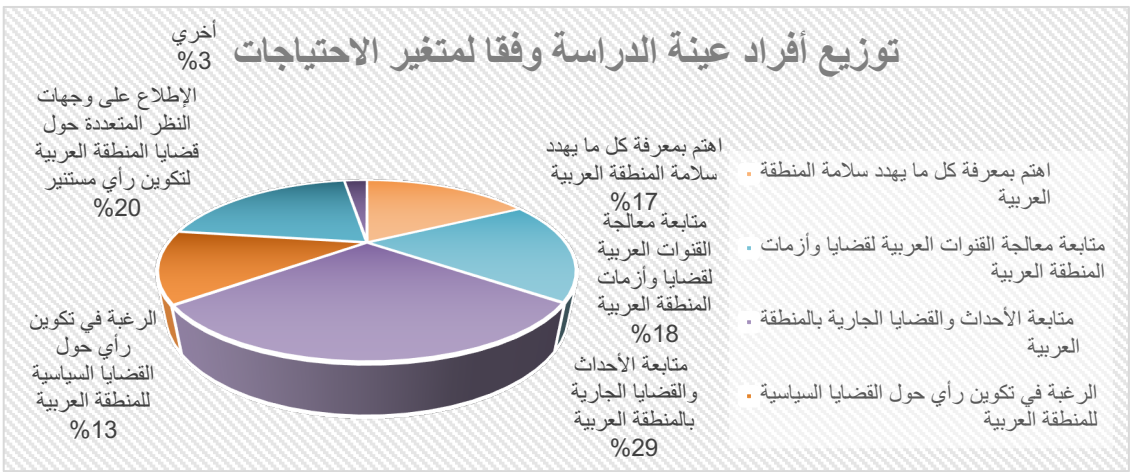

رسم بياني رقم (9) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة طبقًا لمتغير معدل أكثر البرامج متابعتًا.

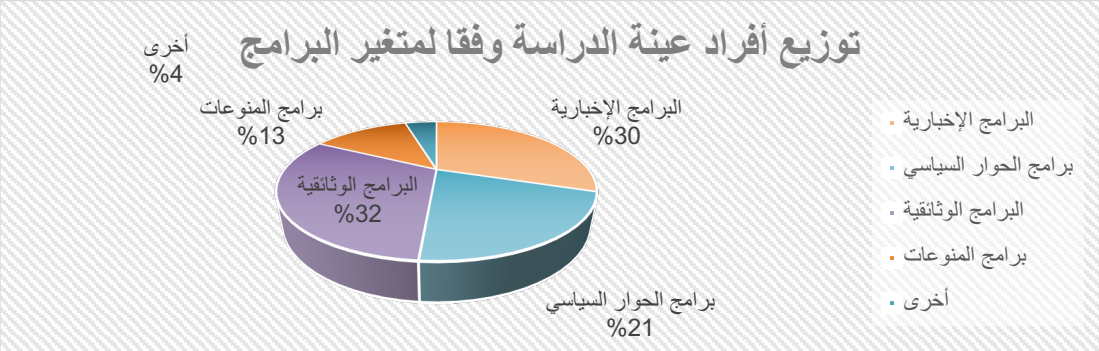

- **من حيث معدل المشاهدة:** نسبة (50) من أفراد العينة يتابعون برامج قناة العربية يوميًا وبانتظام، ثم في المرتبة الثانية نسبة (24.4) يتابعون من يوم لأربعة أيام، ونسبة 20% يتابعون بنسب أقل (وقد يعود ذلك للانشغال وضغوط العمل المتزايدة على الخبراء الأكاديميين)، وهي نتيجة تعكس اهتمام الخبراء بالرسائل الإعلامية كما توضح مدى علاقتهم بطبيعة المواد الإعلامية بالقناة قيد الدراسة.

- **من حيث معدل الاحتياجات: (من البيانات أعلاه نلاحظ أن اختيار أكثر من اهتمام كان متاحًا للخبراء إذ يتوقع اهتمامهم بأكثر من موضوع)**، وجاءت في المرتبة الأولى بنسبة (29.2) من أفراد العينة يتابعون باهتمام البرامج التي تركز على- متابعة الأحداث والقضايا الجارية بالمنطقة العربية، ثم في المرتبة الثانية نسبة (20.4) يهتمون بالاطلاع على وجهات النظر المتعددة حول قضايا المنطقة العربية لتكوين رأي مستنير، وهي نتيجة إيجابية تؤكد حرص أفراد العينة على الاستنارة والوعي، واعتماد دوافع التعرض لديهم على التعددية والشمول لكل أطراف الحدث، ونلاحظ تقارب نسب الموضوعات الأخرى مما يعكس تركيز الخبراء العرب على الموضوعات المهمة بعمق وتركيز.

- **من حيث معدل نوع البرنامج الأكثر مشاهدة: (من البيانات أعلاه نلاحظ أن اختيار أكثر من نوع برنامج كان متاحًا للخبراء إذ يتوقع اهتمامهم بأكثر من نوع)**، وجاءت في المرتبة الأولى بنسبة (31.5) من أفراد العينة يتابعون باهتمام البرامج الوثائقية، ثم في المرتبة الثانية بنسبة (30.1) يهتمون بالبرامج الإخبارية، وهي نتيجة إيجابية تؤكد النتيجة السابقة وتؤكد صدق إدلاء المبحوثين الذين أكدوا حرصهم على متابعة الأحداث الجارية والموثقة، كما حظيت برامج الحوار السياسي بنسبة (21.1) مما يؤكد صدق النتيجة السابقة وترابطها إذ تتيح (في غالب الأمر) برامج الحوار أكثر من رأي ووجهة نظر وهو ما يهتم به أفراد العينة.

رابعاً: تقييم أفراد عينة الدراسة لدور قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية:

جدول رقم (10) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري)

تبعاً لمتغير (فعالية قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية)

	لا أوافق بشدة		لا أوافق		محايد		أوافق		أوافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الرأي العام
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%				
1	44	34.9	51	40.5	23	18.3	6	4.8	2	1.6	1.98	0.934	11	لا أوافق
2	19	15.1	39	31.0	41	32.5	22	17.5	5	4.0	2.64	1.062	4	محايد
3	18	14.3	45	35.7	47	37.3	12	9.5	4	3.2	2.52	0.961	7	لا أوافق
4	24	19.0	47	37.3	38	30.2	13	10.3	4	3.2	2.41	1.014	9	لا أوافق
5	19	15.1	42	33.3	35	27.8	25	19.8	5	4.0	2.64	1.084	4	محايد
6	23	18.3	49	38.9	29	23.0	20	15.9	5	4.0	2.48	1.086	8	لا أوافق
7	19	15.1	36	28.6	46	36.5	21	16.7	4	3.2	2.64	1.031	4	محايد
8	20	15.9	34	27.0	48	38.1	18	14.3	6	4.8	2.65	1.061	3	محايد
9	26	20.6	46	36.5	42	33.3	10	7.9	2	1.6	2.33	0.947	10	لا أوافق
10	14	11.1	36	28.6	49	38.9	24	19.0	3	2.4	2.73	0.975	1	محايد
11	12	9.5	40	31.7	50	39.7	21	16.7	3	2.4	2.71	0.939	2	محايد
فعالية قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية											2.52	0.830	لا أوافق	

1	تهتم قناة العربية باللغة العربية السليمة في تقديم برامجها
2	تقدم قناة العربية محتوى برامجيًا يخدم مصلحة المنطقة العربية والإسلامية
3	تقدم قناة العربية برامج تهتم بالتراث والعادات العربية والإسلامية
4	تنجح قناة العربية في تقديم مضمون يهتم بالقضايا العربية التي تعزز قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية
5	تساعد قناة العربية في اتخاذ موقف يتفق والرؤية العربية عند تغطية وعرض القضايا والأحداث
6	تزود قناة العربية الجمهور بالمعلومات ووجهات النظر المتعددة المتعلقة بالقضايا العربية التي تعزز قيم الهوية الثقافية
7	تنجح قناة العربية في إدارة أزمات المنطقة العربية والإسلامية مما يعزز قيم الهوية الثقافية
8	تحرص قناة العربية على تقديم ما يخدم مصلحة المنطقة العربية والإسلامية بمصداقية
9	تقدم قناة العربية برامج تاريخية ووثائقية تعزز قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية
10	تعتمد قناة العربية على إقناعك بوجهة النظر التي تتفق وقيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية
11	تتبنى قناة العربية ما يخدم قيم الهوية الثقافية عند تناول القضايا غير العربية

يتضح من الجدول أعلاه ما يلي:

- **أجمع الخبراء الأكاديميون وفقًا للعبارات** (تهتم قناة العربية باللغة العربية السليمة في تقديم برامجها)، و(تقدم قناة العربية برامج تهتم بالتراث والعادات العربية والإسلامية)، و(تنجح قناة العربية في تقديم مضمون يهتم بالقضايا العربية التي تعزز قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية)، و(تزود قناة العربية الجمهور بالمعلومات ووجهات النظر المتعددة المتعلقة بالقضايا العربية التي تعزز قيم الهوية الثقافية)، (تقدم قناة العربية برامج تاريخية ووثائقية تعزز قيم الهوية الثقافية العربية والإسلامية) ب (**لا أوافق**)، وقد بلغ المتوسط الحسابي لاستجاباتهم (2.52) بانحراف معياري (0.830).
- **وقد أجمع الخبراء الأكاديميون وفقًا للعبارات** (تقدم قناة العربية محتوى برامجيًا يخدم مصلحة المنطقة العربية والإسلامية)، و(تساعد قناة العربية في اتخاذ موقف يتفق والرؤية العربية عند تغطية وعرض القضايا والأحداث)، و(تنجح قناة العربية في إدارة أزمات المنطقة العربية والإسلامية مما يعزز قيم الهوية الثقافية)، (تحرص قناة العربية على تقديم ما يخدم مصلحة المنطقة العربية والإسلامية)، و(تعتمد قناة العربية على إقناعك بوجهة النظر التي تتفق وقيم الهوية الثقافية العربية

والإسلامية)، و(تتبنى قناة العربية ما يخدم قيم الهوية الثقافية عند تناول القضايا غير العربية) قد أشارت بالدرجة العالية (**محايد**).

ويتضح من بيانات استجابات الخبراء أعلاه أنهم يجمعون على عدم فعالية الإعلامي العربي في ترسيخ الهوية الثقافية، فقد كانت نتيجة (فعالية قناة العربية في ترسيخ قيم الهوية الثقافية) إحصائيًا كالتالي: (لا أوافق) المتوسط الحسابي (2.52) بانحراف معياري (0.830)، فالخبراء يؤكدون بالإجماع غياب الدور الوظيفي للإعلام العربي في خدمة قيم الهوية، كما تشير نتيجة استجابتهم على استبعادهم لفعالية الرسائل الإعلامية في تنوير، وتوعية الجمهور وترسيخ قيم الهوية الثقافية، فضلا عن عدم ثقتهم في الإعلام في مواجهة مد العولمة وتهديدها للهوية المحلية والعربية والإسلامية على وجه الخصوص، وقد جاءت النتيجة مخالفة لتوقعات الباحثة، فقد توقعت الباحثة أن ينقسم تقييم الخبراء بين مؤيد ومعارض ولم تتوقع الإجماع حول سلبية دور الإعلام العربي.

خامساً: اهتمام الجمهور بالمحتوى المبثوث عبر قناة العربية:

جدول رقم (11) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري)

تبعاً لمتغير (اهتمام الجمهور بالمحتوى المبثوث عبر قناة العربية)

	لا أوافق بشدة		لا أوافق		محايد		أوافق		أوافق بشدة		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الرأي العام
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%				
1	36	28.6	58	46.0	25	19.8	6	4.8	1	0.8	2.03	0.807	4	لا أوافق
2	28	22.2	56	44.4	30	23.8	12	9.5	0	0	2.21	0.897	3	لا أوافق
3	22	17.5	47	37.3	33	26.2	19	15.1	5	4.0	2.51	1.071	1	لا أوافق

4	26	20.6	42	33.3	39	31.0	14	11.1	5	4.0	2.44	1.062	2	لا أوافق
اهتمام الجمهور بالمحتوى المبثوث عبر قناة العربية											2.29	0.692	لا أوافق	
1	أحرص على تدقيق مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية													
2	أحرص على مناقشة مضمون البرامج المقدمة بقناة العربية مع الآخرين													
3	أعتمد على مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية بصفة أساسية مقارنة بوسائل الإعلام والاتصال الأخرى													
4	أعتبر مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية إيجابياً ويسهم في تعزيز انتمائي العربي													

يتضح من الجدول أعلاه ما يلي:

- **وقد أجمع الخبراء الأكاديميون وفقًا لعبارات** (أحرص على تدقيق مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية)، و(أحرص على مناقشة مضمون البرامج المقدمة بقناة العربية مع الآخرين)، و(أعتمد على مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية بصفة أساسية مقارنة بوسائل الإعلام والاتصال الأخرى)، (أعتبر مضمون البرامج المبثوثة بقناة العربية إيجابيًا ويسهم في تعزيز انتمائي العربي)، وقد أشارت بالدرجة العالية (**لا أوافق**)، وقد بلغ المتوسط الحسابي (2.29) بانحراف معياري (0.692).

- **اعتمدت الدراسة على قياس وتحليل قادة الرأي من الخبراء الأكاديميين العرب**، وذلك لدورهم الفاعل في المجتمع العربي عبر المؤسسات العلمية من جامعات ومراكز بحثية تشرف على مراقبة المجتمع، وتسهم في معالجة مشكلاته، ولعل ما نشهده من عولمة وذيوع الثقافات، وانتقالها عبر القارات، وما يمثل من خطرٍ جسيمٍ على سلامة المجتمعات، وترابطها، وبالتالي على هويتها الثقافية ويتضح من بيانات استجابات الخبراء أعلاه أنهم يجمعون على عدم اهتمامهم بالمحتوى المبثوث عبر قناة العربية، الممثلة للإعلام العربي، وعليه يتأكد موقفهم الرافض لمنهج الإعلام العربي (قناة العربية نموذجًا)، وعدم ثقتهم في رسائله، ويمكن أن نستنتج غياب دور الإعلام المؤثر في حماية المجتمع من تأثير الثقافات الدخيلة ومخاطرها.

سادسًا: رؤى ومقترحات لتوظيف الإعلام العربي لترسيخ قيم الهوية الثقافية:

تشابهت رؤى الخبراء الأكاديميين، ومقترحاتهم المستقبلية لتوظيف الإعلام العربي لترسيخ قيم الهوية الثقافية، وذلك انطلاقًا من الاستجابات التي خرج بها الخبراء من التناول الإعلامي للأحداث، والبرامج الموجهة لترسيخ قيم الهوية الإسلامية العربية، ويمكن القول إن هناك إجماعًا بين الخبراء بعينة الدراسة

على ضعف دور الإعلام العربي في ترسيخ قيم الهوية الإسلامية العربية، وقد أكد عدد منهم من خلال الإجابة عن السؤال (**في رأيك ما هي السبل الكفيلة لتعزيز الهوية الثقافية لدى الجمهور العربي؟**) ضرورة اعتماد عدد من السبل من ضمنها (العمل على بث البرامج التي تعمل على تعريف المواطن العربي بهويته الثقافية وتعزيز روح الانتماء لديه) (تقديم برامج تحتوي على ثقافة الدول العربية) (فسح المجال أمام حرية التعبير لكل مكونات المجتمع الثقافي العربي، في المحافظة على الهوية الثقافية لكل مجتمع تحدٍ أمام تحقيق أي تطور سياسي واقتصادي) (اتباع خطوات الشريعة الإسلامية، والانطلاق من رؤية كلية واضحة تقوم على فكرة الحفاظ على الموروث الثقافي العربي، ودعم قضايا الوحدة على أساس العروبة والتاريخ المشترك واحترام التنوع الثقافي وحماية الأقليات مع احترام المواطنة. الشفافية في مناقشة القضايا مع الانفتاح على قضايا الآخر. دعم قيم الهوية الثقافية، احترام الجنسيات كافة وعدم التفرقة بينهم من مبدأ كلكم لآدم وآدم من تراب) (زرع الثقة بالجمهور العربي من خلال تذكيرهم بماضيهم حين كنّا سادة الأمم والمجتمعات. ٢ -مواكبة التطوّر لا سيما التكنولوجيا والمعلومات)... إلخ)، ويمكن أن نخلص من الاستجابات التي خرج بها الخبراء ضرورة الاعتماد على الموروث الإسلامي الأصيل والحرص على تعزيز القيم المعززة للعدل والإخاء، والتعاون، والوحدة العربية.

أما الاستجابات الخبراء في الإجابة عن السؤال (**كيف يمكن توظيف القنوات العربية التلفزيونية لخدمة ترسيخ قيم الهوية الثقافية؟**) فقد كان هناك شبه اتفاق في التوصيات المقدمة للإعلام العربي على ضوء خبراتهم العلمية والعملية كما يلي: (سبر أغوار الهوية والثقافية وتضمينها في برامجها ومشاركة الجمهور في صناعتها) (بتعزيز سلامة اللغة، والابتعاد عن الأغراض السياسية، الاهتمام بتوثيق المعلومات، العدالة في طرح ونشر الثقافات، نشر البرامج الثقافية والمنوعات والوثائقيات) (نشر الدين الإسلامي والتاريخ العربي ونقل الحقائق من الواقع وعرض جميع الآراء) (تتناول كل قضايا ومشكلات المنطقة العربية في البرامج المختلفة مع الاعتماد على مصادر موثوقة ومعلومات مكتبية موثقة وإجراء حوارات عميقة مع شخصيات أكاديمية في مجالات السياسية والمحللين بمختلف تخصصاتهم) (الاعتماد على الحوار ونقل التراث التاريخي إلى الأجيال) (التوجيه المهني والإعلامي الرشيد تحت شعار المبادئ الأخلاقية والإنسانية الإعلامية) (باتباع خط تحريري موجه لخدمة الهوية الثقافية بهدف ترسيخ هذه القيم لدى الجمهور العربي)... إلخ).

سابعًا: (المقابلة المقننة):

أكد الخبراء من خلال استجاباتهم أسئلة المقابلة المقننة على ضرورة اعتبار ترسيخ قيم الهوية كأحد أهم أولويات الرسائل الإعلامية في ظل التحديات التي تواجهها الهوية العربية من ثقافات وهيمنة فكرية متمثلة في العولمة الثقافية المهيمنة على الهويات المحلية، وذلك على النحو الآتي:

- **التخطيط الجيد بوضع خطة واضحة المعالم تهدف لترسيخ القيم الرامية لترسيخ** الهوية الثقافية العربية الإسلامية، ووضع آليات مدروسة ومنظمة وواضحة المعالم لتوطيد قيم الهوية عبر البرامج، واللغة العربية الرصينة، والتغطية المهتمة بالشأن العربي والإسلامي.
- **التنسيق بين وسائل الإعلام العربية** في تبادل الخبرات والمواد الإعلامية الفاعلة في ترسيخ الهوية الثقافية العربية.
- **الالتزام بالمسئولية المجتمعية من قبل القائمين على وسائل الإعلام والعاملين** بها وتركيز الجهود في حماية الثقافة العربية الإسلامية، وإنتاج المواد الكفيلة بحماية ثقافتنا في وجه المد الثقافي الدخيل.
- **الاستفادة من التجارب الدولية الناجحة في إطار حماية الهوية الثقافية**، وتعزيز قيمها في مواجهة العولمة الثقافية المهيمنة.

سابعاً: دراسة الفروض.

- **الفرض الأول:** توجد علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة إدراكهم لقيم الهوية الثقافية.

جدول رقم (12) يوضح تحليل التباين لدلالة الفروق بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية

	معامل الارتباط (r)	مستوى المعنوية	النتيجة
العلاقة بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية	0.08	0.37	**لا توجد دالة**

يتضح من الجدول أعلاه رقم (12) أن **معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية** كانت بمعامل الارتباط (r) (0.08) طردياً ضعيف مستوى المعنوية (0.37) أكبر من (0.05) نرفض فرضية الوجود ونقبل فرضية العدم.

جدول رقم (13) يوضح تحليل التباين لدلالة الفروق بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية

	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	مستوى المعنوية	القرار
البرامج الإخبارية	1.44	0.49	0.79	0.64	لا توجد دالة
برامج الحوار السياسي	1.61	0.48	0.87	0.57	لا توجد دالة
البرامج الوثائقية	1.42	0.49	0.62	0.80	لا توجد دالة
برامج المنوعات	1.76	0.42	0.39	0.95	لا توجد دالة
أخرى	1.92	0.27	1.46	0.15	لا توجد دالة

يتضح من الجدول أعلاه رقم (13) أن معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية ونسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية، كانت بمعامل الارتباط (r) تتراوح بين (0.64-0.15) طرديًا ضعيف مستوى المعنوية (0.37) أكبر من (0.05) نرفض فرضية الوجود ونقبل فرضية العدم.

- **الفرض الثاني: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اهتمام الجمهور بالرسائل الإعلامية بالقنوات العربية وإدراكهم لقيم الهوية الثقافية.**

يتضح من الجدول أعلاه رقم (11) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اهتمام الجمهور بالرسائل الإعلامية بالقنوات العربية وإدراكهم لقيم الهوية الثقافية بمستوى المعنوية (0.69) أكبر من 0.05 **نرفض فرضية الوجود ونقبل فرضية العدم.**

- **الفرض الثالث:** توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين سمات الجمهور الديمغرافية (النوع- والعمر- التخصص العلمي) وبين إدراكهم لقيم الهوية الثقافية، **(توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدل الإدراك لقيم الهوية الثقافية بين الذكور والإناث)**

جدول رقم (14) يوضح تحليل التباين لدلالة الفروق بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية

وبين سمات الجمهور الديمغرافية (النوع- والعمر- التخصص العلمي) وبين إدراكهم لقيم الهوية الثقافية

النوع	ذكر			أنثى			t	مستوى المعنوية	القرار
	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري			
	70	2.59	0.88	56	2.44	0.76	0.603	0.529	لا توجد دالة

يتضح من الجدول أعلاه رقم (14) أن معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين سمات الجمهور الديمغرافية، أنه (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدل الإدراك لقيم الهوية الثقافية بين الذكور والإناث مستوى المعنوية (0.529) أكبر من (0.05).

جدول رقم (15) يوضح تحليل التباين لدلالة الفروق بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية

وبين سمات الجمهور الديمغرافية (النوع- والعمر- التخصص العلمي وبين إدراكهم لقيم الهوية الثقافية

الفئات العمرية	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	مستوى المعنوية	القرار
56 سنة فأكثر	16	2.3	0.69	0.177	0.912	لا توجد دالة
46- إلى 55 سنة	44	2.3	0.72			
36- إلى 45 سنة	53	2.3	0.68			
أقل من 35سنة	16	2.4	0.72			
المجموع	126	2.30	0.69			

يتضح من الجدول أعلاه رقم (14) أن معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين سمات الجمهور الديمغرافية، أنه (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لنسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية بين الفئات العمرية مستوى المعنوية (0.912) أكبر من (0.05).

جدول رقم (16) يوضح تحليل التباين لدلالة الفروق بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين التخصصات العلمية

(توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدل الإدراك لقيم الهوية الثقافية بين التخصصات العلمية)

التخصصات	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	مستوى المعنوية	القرار
إعلام	33	2.6	0.92	0.87	0.52	لا توجد دالة
اقتصاد	12	2.4	1.05			
آداب	21	2.6	0.63			
قانون	13	2.4	0.78			
هندسة	5	1.9	0.61			
علوم	8	2.9	0.78			
أخرى	34	2.5	0.82			
المجموع	126	2.5	0.83			

يتضح من الجدول أعلاه رقم (16) أن معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين التخصصات العلمية، أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدل الإدراك لقيم الهوية الثقافية بين التخصصات العلمية مستوى المعنوية (0.25) أكبر من (0.05).

خاتمة الدراسة:

تناولت الدراسة دور مضامين الرسائل الإعلامية (بالقنوات التلفزيونية/ قناة العربية)، وترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية، وتفترض الدراسة أن الرسائل الإعلامية تلعب دورًا مهمًا في ترسيخ قيم التوعية الكفيلة بتحقيق قيم الهوية الثقافية العربية لدى الجمهور المستقبل للرسائل الإعلامية، وقد استعانت الباحثة بمنهج المسح لإجراء الدراسة الميدانية، وتوصلت الباحثة إلى عدة نتائج، وهي:

يتضح من الجدول أعلاه رقم (14) أن معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين سمات الجمهور الديمغرافية، أنه (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لنسبة الوعي لديهم بالهوية الثقافية بين الفئات العمرية مستوى المعنوية (0.912) أكبر من (0.05).

جدول رقم (16) يوضح تحليل التباين لدلالة الفروق بين معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين التخصصات العلمية

(توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدل الإدراك لقيم الهوية الثقافية بين التخصصات العلمية)

التخصصات	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	مستوى المعنوية	القرار
إعلام	33	2.6	0.92	0.87	0.52	لا توجد دالة
اقتصاد	12	2.4	1.05			
آداب	21	2.6	0.63			
قانون	13	2.4	0.78			
هندسة	5	1.9	0.61			
علوم	8	2.9	0.78			
أخرى	34	2.5	0.82			
المجموع	126	2.5	0.83			

يتضح من الجدول أعلاه رقم (16) أن معدل تعرض المجتمع العربي للرسائل الإعلامية بالتلفزيونات العربية وبين التخصصات العلمية، أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معدل الإدراك لقيم الهوية الثقافية بين التخصصات العلمية مستوى المعنوية (0.25) أكبر من (0.05).

خاتمة الدراسة:

تناولت الدراسة دور مضامين الرسائل الإعلامية (بالقنوات التلفزيونية/ قناة العربية)، وترسيخ قيم الهوية الثقافية العربية، وتفترض الدراسة أن الرسائل الإعلامية تلعب دورًا مهمًا في ترسيخ قيم التوعية الكفيلة بتحقيق قيم الهوية الثقافية العربية لدى الجمهور المستقبل للرسائل الإعلامية، وقد استعانت الباحثة بمنهج المسح لإجراء الدراسة الميدانية، وتوصلت الباحثة إلى عدة نتائج، وهي:

أكد الخبراء (المقابلة المقننة) ضرورة اعتبار ترسيخ قيم الهوية كأحد أهم أولويات الرسائل الإعلامية في ظل التحديات التي تواجهها الهوية العربية من ثقافات وهيمنة فكرية متمثلة في العولمة الثقافية المهيمنة على الهويات المحلية، وذلك على النحو الآتي:

1- **التخطيط الجيد بوضع خطة واضحة المعالم تهدف** لترسيخ القيم الرامية لترسيخ الهوية الثقافية العربية الإسلامية، ووضع آليات مدروسة ومنظمة وواضحة المعالم لتوطيد قيم الهوية عبر البرامج، واللغة العربية الرصينة، والتغطية المهتمة بالشأن العربي والإسلامي.

2- **التنسيق بين وسائل الإعلام العربية** في تبادل الخبرات والمواد الإعلامية الفاعلة في ترسيخ الهوية الثقافية العربية.

3- **الالتزام بالمسئولية المجتمعية من قبل القائمين** على وسائل الإعلام والعاملين بها وتركيز الجهود في حماية الثقافة العربية الإسلامية، وإنتاج المواد الكفيلة بحماية ثقافتنا في وجه المد الثقافي الدخيل.

4- **الاستفادة من التجارب الدولية الناجحة في إطار حماية الهوية الثقافية**، وتعزيز قيمها في مواجهة العولمة الثقافية المهيمنة.

5- **تركيز الرسائل الإعلامية على طرح المواضيع التي تهتم بمشاكل المثقف العربي والحلول العقلانية الصحيحة الفعالة**، وكشف وفضح الاحتلال بشتى الطرق وتعريف الشباب بالخطر الذي يحوم حولهم.

المراجع:

1. (2017) الملتقى الوطني الأول: قراءة للتراث والهوية في زمن العولمة. مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
2. (2017) ..N. A الإعلام العربي ورهانات التغيير في ظل التحولات: أعمال المؤتمر الذي نظمته كلية الإعلام في الجامعة اللبنانية The Arab Media : Betting on Changes under = Transformation. مركز دراسات الوحدة العربية.
3. أ. د. سعد سلمان المشهداني، مناهج البحث الإعلامي، ط1، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، 2017، ص 164.
4. أبو قوطة، خالد حامد عبد الكريم (2017)، القنوات الفضائية وقضايا المجتمع. دار الجندي للنشر والتوزيع.
5. أحمد، الدود يوسف الدود و كليبي، سلطان جبران يحيى ."أثر برنامج إرشادي تدريبي في تنمية الاعتزاز بالهوية الوطنية والشعور بالانتماء لدى الطالب المعلم تخصص صعوبات التعلم في ضوء

رؤية المملكة العربية السعودية 2030 = مجلة التربية الخاصة و التأهيل. 2019 Vol. 9 Issue 32 Part 2, pp. 1-22. 2019 Vol. 9 Issue 32 Part 2, pp. 1-22 (2019): 1.

6. خليل، .(January 01, 2017) .الهوية العربية الإسلامية: التباس الهوية والثقافة، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، Vol. 5 Issue 19, pp. 99-1092017 ، Vol. 5 Issue 19, pp. 99-2017 ، 109، 1

7. خليل، لؤي علي (2017)"الهوية العربية الإسلامية: التباس الهوية والثقافة، تبين للدراسات الفكرية والثقافية. 2017 Vol. 5 Issue 19, pp. 99-109: 1. 2017 Vol. 5 Issue 19, pp. 99-109. 2017

8. راضي، (2014). دور الإعلام في تنشيط الحراك السياسي العربي. دار أمجد للنشر والتوزيع.

9. ريطاب، .(May 01, 2016) .طمس تكنولوجيات الإعلام و الاتصال للهوية الوطنية: دراسة حالة المجتمعات العربية. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، Vol. 3 Issue 20, pp. 221-2312016 ، 231، 1.

10. سعاد محمد المصري، دور الإعلام الجديد في التغيير القيمي والأخلاقي لدى في المصري، "دراسة مسحية لمستخدمي موقع اليوتيوب" المجلة المصرية لبحوث الإعلام جامعة القاهرة، العدد 73،2020 الخريف، ص 223-273.

11. سكينة العابد، (2017-يونيو) "الثقافة التكنولوجية ومآل الهوية في عالم متغير: دراسة استشرافية" مجلة الحقيقة 1 :Issue 40, pp. 103-120. 2017 Issue 40, pp. 103-120.

12. شتينز، كفال واوفيه فليك، ترجمة عبد اللطيف محمد حمزة، إجراء المقابلات سلسلة العلوم الاجتماعية (القاهرة: المركز القومي للترجمة ، 2018).

13. شرادقة، تحسين محمد، الإعداد والتقديم التلفزيوني للبرامج السياسية وانعكاساتها على الجمهور المتلقي (دراسة ميدانية)، مجلة الإعلام والعلوم الاجتماعية للأبحاث التخصصية، العدد1، المجلد 4، 2020.

14. عبد الحميد، (مارس 2021) نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، القاهرة، عالم الكتب.

15. عرجة، تيسير. الإعلام العربي وسائله ورسائله وقضاياه. دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2010.

16. عوض، .(January 01, 2013) .صناعة الثقافة في عصر العولمة وأثرها في تغيير ملامح الهوية الثقافية. هرمس، Vol. 2 Issue 1, pp. 99-1362013 ، Vol. 2 Issue 1, pp. 99-1362013 ، 1.

17. العيد ، وارم (2014) "البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي الشباب الجامعي الجزائري – نموذجا" مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية. Issue 2,2014 . 4 Issue 2 .1

18. غازي، (2017). ما بعد العولمة: صناعة الإعلام وتحول السلطة. وكالة الصحافة العربية.

19. القحطاني، (December 01, 2019) مدى توفر الوعي بالأمن السيبراني لدى طلاب وطالبات الجامعات السعودية من منظور اجتماعي: دراسة ميدانية مجلة شؤون اجتماعية، 2019 36 .Vol Issue 144, pp.85–120، 2019 Issue 144, pp.85–1202019 .Vol.36 ، 1

20. كبها، يحيى حمزة محفوظ وحسين، أحمد ضياء الدين. "السياسات التعليمية الإسرائيلية وتأثيرها على الهوية الثقافية لفلسطينيي الداخل: التحديات والحلول" مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية. 2018 . Issue 45, pp.117–132 Issue 45, pp.117–132. 2018 .(2018): 1

21. كريميش، بشرى، (2014) انعكاسات برامج تلفزيون الواقع على الهوية الثقافية للشابة الجزائرية، دراسة تحليلية لبرامج بيوتي ماتتش نموذجًا، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، لمجلد6/ العدد1–

22. الكوش، عبد الرحيم . "العولمة وتهديد الهوية الثقافية بالعالم العربي الإسلامي" مجلة علوم التربية. Issue 67, pp.41–49. 2017 Issue 67, pp.41–49 (2017): 12017

23. ماتيور، بوب، ترجمة محمد الجوهري، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية (القاهرة: المركز القومي للترجمة،2016).

24. متري، جوزيف أنطون، (2020–يوليو) دور قنوات التلفزيون الحكومية والخاصة في تشكيل معارف الشاب واتجاهاته نحو قضايا الأمن القومي المصري"، المجلة المصرية لبحوث الإعلام جامعة القاهرة،508–471 Pages 3__Issue 12__Volume JOA . .

25. محمد (2017). الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير. دار المعتز للنشر والتوزيع.

26. محمد، حسن علي (2016). لغة الإعلام العربي المعاصر: الصحافة المطبوعة، الإلكترونية، الراديو والتليفزيون، الموبايل، شبكات التواصل الاجتماعي. دار الفجر للنشر والتوزيع.

27. المزروعي، & البياتي، (September 21, 2012) العولمة الثقافية وصراع الهويات في المجتمعات العربية: دراسة جيو إعلامية. مجلة شؤون اجتماعية، 2012 Issue 115, pp.165–182 vol.29 ، 1 ، vol.29 Issue 115, pp.165–1822012

28. ميرزا، جاسم خليل."دور وسائل الإعلام في تشكيل الوعي والمعرفة لدى أفراد المجتمع حول أزمة فيروس كوفيد 19 (المستجد): دراسة ميدانية على مستوى الوطن العربي" مجلة شؤون اجتماعية. Vol. 37 Issue 148, pp. 9-44. 2020 Vol. 37 Issue 148, pp. 9-44 (2020): 1. 2020

29. نوار ، (September 01, 2015).الإعلام التربوي ودوره في تنمية قيم العمل التطوعي وخدمة المجتمع المتوافرة في منظومة التعليم المصري، دراسات عربية في التربية وعلم النفس، 2015 Issue Issue 65, pp. 191-2422015 ،65, pp. 191-242

30. هيس، شارليز، وباتريشيا ليفي، ترجمة هناء الجوهري، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2018).

31. وافي، أمين منصور، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تعزيز منظوم القيم في المجتمع الفلسطيني: دراسة ميدانية على طلبة الإعلام في الجامعات الفلسطينية" مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية. 2017 :Vol. 25 Issue 1, pp. 1-20. 2017 Vol. 25 Issue 1, pp. 1-20 (2017). 1. Print .

32. يوسف ، حسن عبد العليم عبد الجواد. "العولمة والتراث والهوية الثقافية العربية" الاستواء. 2018 (2018) Issue 13, pp. 152-188. 2018 Issue 13, pp. 152-188

33. https://www.marefa.org/%D9%82%D9%86%D8%A7%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9

34. https://ar.wikipedia.org/wiki/

المراجع الأجنبية:

1- Iginio,GandDanit Gand Thiago A.(2015).Countering online Hate speech. Published in 2015 by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization 7, Place de Fontenay,75352 Paris 07 SP,France.

2- Hills, S. A. (2019). Persuasion in the digital age: theoretical model of persuasion in terse text (Doctoral dissertation, Loughborough University).

3- Rohlfing, S. (2017). The Role of Social Networking in Shaping Hatred: An Exploration into User- Responses to and Influence and Permissibility of Online Hatred-(Doctoral dissertation, University of Portsmouth).

4- Ekmel Gecer, " Political Marketing in a Turkish Context: Values and Practices, "Communication Faculty e- Journal, (Gumushane University, V. 6, N. 1, 2018).

5- Gunn Enli, " Twitter as arena for the authentic outsider: exploring the social media campaigns of Trump and Clinton in the 2016 US presidential election, " European Journal of Communication, (Norway, University of Oslo, V. 32, N.1, 2017).

6- Wazir Zada Khan; Zahid, Mohammed. "Ethical Aspects of Internet of Things from Islamic Perspective", United States, Ithaca, Cornell University Library, arXiv.org, Working Paper, Jun, 29, 2018.

7- Jacob Amedie. (2015). The impact of social media on society. Advanced Writing: Pop
Culture Intersections, 2, pp. 1–20

8- Wiesman,(2016) Motivational Constructs Teachers' Perceptions of Exploring Novice and Experienced

9- Marianna Patrona: crisis and the media, John Benjamins Publishing company, London & New York, 2018,p p.5,6.